

رحلة بلا حدود

كامل حساني

اسم الكتاب: رحلة بلا حدود

اسم الكاتب: كامل حسانين

تدقيق وتنسيق: خديجة الشرجي

تصميم الغلاف: مها أيمن

رقم الإيداع: ٤٨٧٤ / ٢٠٢٥ م

الترقيم الدولي ٤-٠٨ - ٧٩٢٨-٣٣٦-٨٧٩

كافة الحقوق محفوظة للناسر والمؤلف

لا يُسمح بإعادة طبع أو توزيع أي جزء بأي طريقة، بما يشمل ذلك التصوير أو الطباعة أو التسجيل الصوتي أو أي وسيلة أخرى إلكترونية أو غير إلكترونية، دون إذن كتابي مسبق من الناسر، ويسمح فقط في حال الاستعانة ببعض الفقرات لغرض النقد والدراسة، طبقاً لما تحدده قوانين واتفاقات حقوق الملكية الفكرية

رحلة بلا حدود



الأمل

قطرة هذه تتفرق من موج نهر إبداعه العذب
تتهادى حلوة فواحة تعبق الآمال مهداة
لكل من يقدر الحرف استماعاً وقراءةً وتأملاً وخيالاً
يهبها قلبه ويهديها وجدانه وفؤاده وتسكبها عطرًا أخاذًا
روضته الفيحاء، ويرسلها مليحةً حسناء
بستانه الوارفة ظلالة...

رحلة بلا حدود

....و...ها هو يقف الرحالة على متن القارب الصغير المتحول بصفحة نهر الموت ينادي حيث لا يزال يبحث عن فاطمة ما دامت تدب به الأنفاس والنبض ينبض، والأمل في فؤاده يسري ويتردد، فإن سكت الليل في صمت للوجود هو لا يسكت، نعم وها هو يقول كما تسمعون وترون: _ شاطئ الخلاص أرجوك نظرة، قضيت فما تركت في دنيتي أثرا، أحببتها دوما فلا زارني طيف، من سحرها الآتي حتى ولو مرة، الموج في نهر يتهدى ويثور، ونفوسنا العطشى ترجو ولو قطرة، لا أرجو أن أغرق، لكن بان أنجو، ونظمت في حبك يا مهجتي سطرًا، شاطئ الخلاص أنا معذب، في الجمع أقف ها أنا أخطب، أعلم أن ماءك عذب ولا ينضب، ليت تعطيني من فيضك القطرة، فاطمة هي حلمي وليت ألقاها، القلب يعشقها والنفس تهواها، في القلب يا نهري الفرح ومسرة، إن ترضى عن خل أحبك دهرًا، فرحا سألناه إن عادت الدرة، حياتي والأمل وأعيدها الكرة، فاطمة أين أنت لقد طال البعاد، والبعـد أرقني لا زارني الزاد، وأغوص كما ترون في خضم الغياهب، والكهوف مضيئة كما الكواكب، يا بدر العمر وضياء القلب، أين أنت يا حبيبة القلب.. وها هو يبكي فدموعه قطرات نهر الموت، ومعاناته كظلمات الكهوف التي تسكن قاع ذلك النهر....و..... وفي مشهد متصل لا منفصل ها هي ملكة النحل لا تزال في انطلاقها الدائم المتصل السرمدي تطوي العصر والأمكنة والدنيا والآخرة وتقرب من الرحالة وفاطمة والفارس المثلث الفتاة تبر لا تزال تمتطي جوادها وتطير فتشق الموج وتقتل التماسيح والأحياء المائية والضواري في محاولة لمساعدة أخيها أن يجد فاطمة، متمثلة بها آلة الزمان والمكان ومتمثلة أيضا في ملكة النحل وكل شيء، وفتاة القصر نادية تطل من شرفة قصرها الطائر وتسبح وذلك القصر ونجاة وفتة وآخرون وأخريات خلف الملكة، والكائنات كلها تطير وتسبح في مشهد يسر القلب، ويكفي أننا جميعا مشاركون فيها، فإن انعطفت يمينا تتبعها الجمع العظيم، وإن تحلق في اتجاه آخر فالكائنات لا تفارقها، وفاطمة على بساطها أو يتراءى للجميع هذا، مع أن التي تستقل البساط السحري هي أمل شقيقتها، أما فاطمة أختها فلا تزال في نهر الموت لدي المخبأ السري للقارب الصغير والمخبأ هذا يتمدد ويتسع مع القارب المتحول الطافي على وجه موج نهر الموت المرعب المخيف، والرحالة لا يزال يبحث عنها وهو يضل التماسيح والأحياء المائية ويستدرجهم للسباحة صوب الكهوف المظلمة في قاع النهر، وسندباد وقبطان برفقة العالم الجليل وصبري الطيار الطائر وأبي الرجال الرجل الكبير محروس والكائنات جميعها في آلة الزمان والمكان المتخذة كل الأشكال والصور والهيئات. فهي رحلة متقلبة متحولة يتجلى طيفها فيأسره ويملكه منها الوجدان، بها الورد والزهر وبها الأغصان، وبها الجان والإنس أي بها الثقلان، والبطل فيها سعيد تارة لأنه إنسان، وتارة أخرى وجل تصيبه الأحزان...و....تنطلق فلا يعيقها عائق، ومقدر ما فيها وهي تشرق، بلا

حدود الرحلة والزهور جميلة، في ساحتها الخضراء وتستغرق، العمر وأكثر وفي الآخرة، ومستغرقة وهو المستغرق، بها آلة زمن ومكان بها، صامت في ساحتها وهو ينطق، فعالة تشهد على بطولة، يحكمها العقل والمنطق، دائمة الانطلاق وسعيها دائم، رحلة تأسره وهو نائم، مقاتل في ساحتها ومحارب، وفي السلم يسلم ومسالم، مستيقظ بها وفي روضها، لا ييأس أبدا فهو حالم،....و... بلا حدود الرحلة وهي الأمل، ودأبه فيها سعي متصل، يضني قلبه منها ويزيده ألما، بيد لا يقتله هذا العمل، من نبضه تصور ويتجلى الحرف، ولو عابوا عليه فإنه بطل، بها آلة زمن عند كل العصر، وفي كل مكان الآلة تصل، كم يحب الحسن حين يرنو إليه، وكل نبض فيه يترجمه الغزل، مثل هذا النحل رغم ألم منه، فإن منه كذلك شهد وعسل.....و.... ومثل نهر النيل الرحلة تتدفق، وكبحر يوسف المنى تغدق، وهو فيها يعوم والموج هادر، لكنه في خضمه ولا يغرق، بلا حدود هي وإنها المنى، وكل المنى فيها تتحقق، ونسمات الآمال وهي سعيدة، في صفحة الحياة تترقق، وجل ما يرجوه بعد كل الضنى، حلمه المرجو لا يسرق، رحالة هو كالقمر في السماء، صار بدرا واكتمل ويتألق، الغرب يحبه والجنوب والشمال، ويطيّر من فرح بلقائه هذا المشرق.....و..... رحلة بلا حدود يتدفق ماؤها وتشعل لظاها، ويبدو حسننها ويعبق شذاها، ويتقد لهيبها وتخضر رباها، ككل مخلوق الله سواها، الروح تعشقها والقلب ناداها، وإن أصابنا منها الوجل، فالجمال يرسم على محياها، فبين النعيم والعذاب نحيا ونعيش، والله منقذنا والعالم بما في الصدر يجيش، فيجعلها جل وعلا الربيع والحسن وبهجة الحياة، فإن اختطفت قلبي فهو ملكها، وإن أسلمتني إياه فأنا طوع أمرها، لكنه في الأخير بها معلق، وإن شاعت فعليه تشفق، نسمة هي في بستان حياتي، وفي كوثر الأمل قطرة تترقق، قيثاره تشدو ويحن لها قلبي فتملك وجداني وكياني، نبضي لها حبيبة عمري وزهرة الأمل وإكليل الفرح والسعادة وشذى الورود وعبيرها، تلك أميرة الزمان المتربعة على عرش فوادي السباح في نهر نيلها العذب والمستقر هنالك لدى غديرها راوي النبض وساقى الأمل للروض البهيح، إنها الرحلة بلا حدود بآلتها الزمنية والمكانية " الزمكانية " وكأنه ما بين بهاء الضوء وإطلالة الورود، والجمال كله ونضرة العنقود، بها كل شيء على البال يخطر، وما يدركه العقل وما لا يتصور، ونهر النيل والزرع الأخضر، وأي شيء بها موجود، الطوفان بها والأخدود، والحدائق الغناء والورود، فكرتها أن الله تعالى أول بلا بداية، وآخر بلا نهاية، فبمشيئته جل وعلا، تحقق كل غاية، وهو أول بلا ابتداء، وآخر بلا انتهاء، إذن فهي بلا حدود، بالعطاء والخير تجود، إن ذهب وتولى كل شيء، فإن لها في النفس مردود، وإن ولت عنا الأفراح، بالمسرة الرحلة تعود، طبيعية بلا أفكار وفكر، بها الحروب والزمن والعصر، والسلام والمعارك والنذر، وبها الدواب والكائنات والشمس والقمر، وما نراه والأنجم وهذا الأثر، وما لا نراه وبها الضواري، ويعيش بها في ظلال الرحمن البشر، لا نعلم لها بداية ولا تدركها نهاية، وأنه جل وعلا المرجو وهو الغاية، نولد فلا ندري البدايات الأول، أحبها ولا أزال ولم تنزل، هي النقد والفن والمنى والغزل، حيث لا بداية مع الله لأنه الوجود وموجد

الوجود، وهو الرحمن الغفور الودود، وبعناية منه تعالى وقدر مرت وتمر العهود، خالق الكون ومن بفضله نطمع، ولآياته وقرآنه ننصت ونسمع، بها آلة زمان ومكان، والأنعام والجن والحيوان، والكاننات بها والثقلان، وكل الأسماء وبها الطيور، وها هو العصفور الصغير، يفرح بالأغصان فيطير، وأشرف اللول وذلك الغدير، وبحر يوسف والنيل والأسير، وسليمان بها ومحمد، وأمل وعمر وأمجد، والعالم الجليل يسجد، والله أنا مثلكم بها مسرور، ووقت وزمن بنا يدور، وهذه الحيوانات والأنعام والجان ومريم، ومن الدنيا والأخطاء نحن نتعلم، والكاننات الفضائية ومحمد وسلمى، وأقول فيها ولو أتيت لي الفرصة كلمة، فسلمى الجمال إذا حل ما رحل، وهي الحسن والبهاء ما ارتحل، وإسحاق ومريم وهذا وذاك، بالرحلة رأيتم هنا وهناك، آلة الزمان بها تتخذ كل الهيئات والصور، وبها نتأمل فيرقب الحياة طيف البصر، وتمر وتتقلب في واقع مرورنا كل العصر، وهي تحيي الماضي والحاضر وتستشرف المستقبل وتتوقعه، ومقدر المستقبل وما هو آت الله جل وعلا، وكل مستصعب مع الله استسهل فارتفع وسما، وتجلب الأزمنة جميعها في زمن حاضر، وبها الحيوانات الأليفة وكل الكواسر، وحوش بها تلتهم الفرائس، ولا أخاف إن واجهتها حتى الكوارث، وبدلا عن التهامي فإني لها ملتهم، ومنقذ بأمر ربي الفرائس فإني علم، يكتبني فلا به أكتب ذلك القلم، وعلى ذنبي والآثام تائب ندم، والأسد مني يخاف ولعرشه مزلزل، والضبع إن يواجهني أو يفر فإني قاتل، إياه عند النوازل وأنفه محطم، ولو موج بحر يوسف ونهر النيل متلاطم، بها ملكة النحل وقبطان وسندياد وسندريلا وفتة وفاطمة ذات البساط ونجاة وأحلام، وبها أم الرحلة وضرغام وأشرف، والملك الغضنفر خميس، والفارس المثلث والجواد الطائر والأمير النبيل والفارس النبيل، وأبعد ما يصل إليه الخيال والحدث الكبير، من النوازل بها وفيها الصغير، وبها نخل الصعل والنخل الكومي وطملة تامر، ومدرار أحمد الذي يدر الذهب والياقوت والمرجان، وبها الفتى بطلها صبري الطيار الطائر وحفني في روضته الخضراء ومعه الفتاة ناعسة، فكل العيون لها ناظرة والأفواه هامسة، الجميع يلتقي بها في زمن حاضر يجمع كل الأزمنة والبعث والنشور وحياة القبور والأحداث، والآخرة والجنة والنار وكل العصور، لا نهاية لها ولا بداية، وهي الجميلة والقاسية والمضطربة والمتزنة وهي الآية، الأحداث تشرح نفسها، فتابعوها فلن يصبكم الندم، ولن يشعركم بقسوته ذلك الألم، حينها ستدركون قصدي من جميل السرد، فلکم باقات جميلة من الآمال والورد. أنقض علي الموت انقضا الضواري على فرائسها ولا أهابه، وأرى قبري وجدثي ونهايتي بأمر عيني فأسير مستمرا في جرة، وتهلكني المنية فلا أخشاه لأن بعدها أرجو الراحة، وها أنا أموت فأجد رحمة ربي كما تأملتتها وتمنيتها، عطوف علينا رحيم بنا وغفور رب العالمين، أكثر من عطف ورحمة الآباء والأمهات بأبنائهم وبناتهم، فاعمل ما عليك ولا تشغل بالك، وها هي الروح تخرج مني ولكنها بجواري أشعر بها، وها أنا في القبر والنعيم حولي والروضات، وعد ربي حق، لا بعملني أنال ما أنا فيه، ولكن برحمتك رب العالمين، والرزق مقدر، وها أنا أقابل أُمِّي وكل الأهل وهم يرونني من عالمهم،

وعالمي هو عالمهم، و_ الفارس المثلث الفتاة تبر _ في بحيرة التماسيح كما ترون يحارب الجان والتماسيح، ويقفز صوب صفحة نهر الموت وهو يمتطي فرسه ومهره وجوادا له يحلق في السماء ويمشي فوق صفحة الموج وتغوص فيها وتعمق وهي تشق الماء بفرسها الطائر السابح فالفارسة تبر هي الفارس المثلث، تريد إنقاذ فاطمة والقضاء على الجان وها هو يفعل، وكله بترتيب وقدّر الله جلّ وعلا، ورشا الفتاة رائعة الجمال في طبيعتها البشرية تبدو، وها هي تتحول إلى وحش كاسر تضاريس ملامحه مفزعة، الدماء التي تمتصها تنتشر من الضحايا، تنتقم ممن قتلها وهي لا تعلمه ولا تدري ملامحه، يبدو لها أن الكائنات جميعها قتلتها ولا تزال تقتلها في ليلة زفافها، وأبو عوف يحاول تهدئتها وقراءة القرآن كي يبطل عمل الجان والسحرة بقيادة الساحر الشرير وها هو يفلح، حيث هو قائد السحرة، ويظهر حفي في صفحة الحدث وهو يحارب ابن النوراة وجموع المحاربين، وناعسة مشفقة عليه، حتى إذا نظر متأملا ملامحها وقسماتها وها هو يفعل هذا روعه واستجمع قواه فيجيد في خطي الدفاع والهجوم ويكيل الويل والهجمات ضد المعتدين، ثم تتقلب صفحة الرحلة جامعة الأحداث معها غير تاركتها، والله تعالى يجعل الليل سرمدًا فلا نمك من أمرنا شيئا، نتضرع إليه سبحانه فيرسل لنا الضياء، ثم يجعل النهار سرمدًا متصلًا دون ليل نسكن فيه فنتوب إليه فيرزقنا الليل والسكن فيه، من دون رب العالمين نحن لا شيء، قاسية الحياة علينا ووحوشها تأكلنا وتلتهمنا فبدلاً عن ذلك نأكلها نحن وننتصر عليها، لكننا نذهب أسفل الأرض في الكهوف، والضواري تلاحقنا وتلاحقنا فنواجهها كما ترون فيرسل الله الغيث، وها أنا أبكي من فرط قسوة الحياة فيرحمني الله، والكائنات تبكي وتتضرع لله أن يرحمنا ويغيثنا فتتبدل الصعوبة إلى السهولة واليسر، وأبصر وأرى الجمال، والفتاة حسناء الخصال تبدل عنائي سعادة، وأنا أتزوجها فأجد معها النعيم المقيم، جميعنا في الجنة الآن، ومحسن الحبيب يصبر على البلاء ويبتسم كعادته، والملك الغضنفر يدخلنا في حروب طويلة ويجهز الجيوش ويزودها بالعتاد والسلاح ويحارب على طول جبهات القتال مؤتمرا بأمر أبي الرجال وكلهم في طاعة تامة للقائد الأعلى صلاح الدين، وأبو الرجال الرجل الكبير محروس يخطط للعمليات الحربية بخبرة واقتدار، ونقابل الحيوانات بجميع أنواعها وهي معنا مسافرة، والناقة تحملنا جميعا وتهول مسرعة وتطير وهي بساط بلغ الشرق والغرب والشمال والجنوب والسموات والأرض والبعث والنشور، وهي تسبح في الفضاء والمحيطات وطبقات الأرض والمجرات، وتتحول إلى بساط فاطمة التي لا تزال نبحت عنها باستمرار، ومملكة النحل تواصل تحليقها الأبدي السرمدى، وأنا معهم بالرحلة تالله لا أدري من أنا، بكل العصور متواجد معهم، وكتاب المطالعة كل من به معنا بنبضهم الجميل وكيانهم المادي عمر وأمل وعبد الدائم ومصري ونرجس والثعلب المكار وعمي حسن يزرع الكرنية وعقلة الإصبع أسامة وأمانى.....و.....و.....، والله الخيال واقع والواقع خيال مع آلة الزمان والمكان الجزء الرئيس من الرحلة بلا حدود.

وعامر عند المعمل يتعمق في كهوفه وكنوزه وسراييه المرعبة فلا يخاف، ومصطفى يقابل ذات الأنوار فيبثها آيات حبه ووده ويهديها ورده وزهره، ورضا الباسم يسير مع سامي وعوض وهلال عند روضة الجنة بالنخل الكومي المجاور لنخل الصعل، وحمادة لا تزال ساقيته تجرها الأنعام فتدر الأمل والخير والحسن والجمال، وعبد الدائم لا يزال يضحكنا ويخفف عنا آلام الحياة وقسوتها ومعه مصري ومحمود وأشرف، والخرساء تتسلى النخلة الخرساء وتنطق بالكلام والشدو الجميل، ونخلة الشاب رسمي يبلغ طولها عنان السماء ونحن نتسلقها ونصل إلى أقصاها، وجذوع النخيل تتحرك وبها النبض وعيونها جاحظة نارية، والشمس تدفننا وتزيل آلامنا وتعانق القمر فيصير بدرا، والكواكب تتقلب وتتحرك والمجرات وعناقيد المجرات تشاركنا أحداث الرحلة، يكتبها منذ الطفولة من وحي فكره ويقول، فبالرحلة كما ترون هذا الأسطول، وأنا بها معه لا أدري من أنا، والشر منا يقترب وها هو قد دنا، أمشي وأسير وأغوص وأطير، وأنا حر بها تالله وأسير، مقيد وتعانقتي بغلظتها الأغلال، ويظلمني فلا يدنو مني ذلك الدلال، ويلتقي الأهوال ويداعبه الصبر، ذلك الرحالة ويحتضنه الدهر، ويسلم الأمر لله فالله الأمر، يصل في الحروب ذلك الفتى ويجول، ويصبر فبعد صبره هو من يجني وينول، ويعمه إن أصبح أو أمسى في كل حاله الذهول، فمن زرعه الأمل ينمو وينبت، وصوته في أدب الحديث هامس خافت، لا يقول إلا الحق وهو مطاول، الضواري في إجرامها وإياها منازل، لا مزعزع قلبه بل هو ثابت، وإن لزم الأمر عن قول الباطل يصمت، وفي الحق يتحدث فما بعده متحدث، وفي المياه كالأسماك الفتى يتنفس، للجميع قد أشار ومعهم يتحدث، وللطيور لدى أغصانها يتغنى ويهمس، يتيه في عوالم مختلفة، ويتعجب لأمر الحياة، فيترجم ما يجول بخاطره، ويمس وجدانه، ويداعب شغاف قلبه، يترجم مشاعره قلبه النابض، وناظره الذي لا يكذب فناطق هو بالحق، والحق أنني أحببتها ولا أزال، وهي الود والحب والحسن والآمال، موهوب في كل المجالات والفنون، وله بكل حديقة ورود وغصون، وبكل روضة ثمار له وعيون، مواليد العصور الذهبية ولا يكافئ قدره الذهب، ويشاركه حتى أنفاسه ذلك العجب، عاصر الجيل كل المتغيرات ولا يزال، فترة زمنية ومكانية تطول كل متغير، وتحضر كل التطورات، من المصباح الزيتي والذي يعمل بالوقود الطبيعي، لما هو أحدث وأقدم، ومن عصور سحيفة قديمة لأخرى حديثة متطورة، آلة الزمان تأتي بكل زمن ومكان ونزورهم في كل حقبة، رحلة لم تخل شيئا أبدا، في الآخرة والدنيا تدور، وفي الموت والبعث والنشور تسير، وفي القبر والجثث والآفاق، والفضاء الخارجي والكون والأعماق، مرهف الحس مدرك لما يدور حوله أو غير مدرك، وفي صفحة الحياة وموجها هو قطرات تتألق، مضطرب ومتزن النفس في آن واحد، ويسلك نهج ودرب الحق دون تردد، ضاحك مستبشر وحزين يلم به الوجمل، ولا تعرفه وتراه إلا ومسيطر عليه الخجل، حاصل على الأمل وتحبه القيثارة، وله في كل مجال موهبة ومهارة، محب ولا يعلم إن كان محبوبا أم غير محبوب، ولا يؤمن ويعبد إلا علام الغيوب، هكذا تتكرر الأحداث أو لا تتكرر، فهو من بعد عون الله على الضواري مسيطر، راض بما

يحكم به القدر، والله تعالى له ما يريد وله الأمر، خيالي وواقعي ذلك الرحالة، وها هو يجمع عند الزمان والمكان رحاله و، يعشق الأحلام، وطيف جميل يراوده من الابتسام، لا ينسى كما فعلوا بيت القصيد، وله جولات في ذلك وأيما رصيد، نبضه بالأمل متصل، أهلكه وأضناه العمل، معذب شارذ الفكر حيناً، ومداعب باقات الورد والأمل طويلاً، له جولات وجولات من ذي قبل، وبارع طيب ونقي الأصل، مواهبه تفوق ما يتصوره العقل، وكل ما يخطه يمينه له ثقل، فلا مجال يوجد إلا وله به باع، وترق له القلوب وتنصت الأسماع، ولا مملكة إلا وله بساحتها ذراع، ولا يفضلُه إن مضى هذا الوداع، فلاح ومؤلف وكاتب ولاعب وشاعر ورحالة ومغني وقارئ، يشدو والأمل قرينه ورفيقه، يعشق الطيور والنباتات وكل شيء، يحزنه الأمر البسيط، وبالعلوم والأحداث علمه محيط، ويخلق به في سماء الفرح حرف يقال، ومحقة لديه بفضل الله الآمال، وكلمة تمس فؤاده ويعشق نهر النيل، تالله لو وصفنا فهو الرحالة الجميل، بحر يوسف عشقه منذ الطفولة، وملمات تقابله والله مهولة، نصيبه من الدنيا نخيل، وأهدي إليه من روضها إكليل، وله في الرحلة صاحب وزميل، يبكي فلا تحرمه من حنانها الدموع، ومن نهر النيل وبحر يوسف له ينبوع، عزبة عبد الواحد يعشقها وهي النوارة والنسر، بؤرة الرحلة وقلبها النابض وهي الدر. وكلما نمر بعصر نجد الأهوال والمصائب والملمات وكذا نجد الآمال وتحقق أحلامنا ونرى الأمل رأي العين، وها نحن نظير ونخلق والكائنات الفضائية تمزقنا بأدوات قتالية وتبيدنا وتتناثر لحومنا عن طريق أظفار لها ومخالب وأنياب وحوافر من نار، ولكننا مسلحون بالصبر والأمل، نهزم الجمع فيولي الدير، ونبيدهم فلا يتبقى لهم أثر، وها هو الغيث يتنزل ويمطرنا المطر، بين سعادة وحزن نحيا ونعيش، وسعينا في الحياة سعي حثيث، ويظهر الفارس وهو يتجاوز الهوة المتقدة طائرا صوب نهر الموت كي ينقذ فاطمة من بئر الموت وموج العذاب الكائنين في جوفه، ودوامة بحر يوسف تصدر الذهب ويتطاير الذهب والياقوت مع تطاير موجها، ويسافر الموج عبر أنفاق مائية فيصل إلى كهوف ومنازل عزبة عبد الواحد، فيلتقي بكل هذا حمدي ويساعدنا في استخراج الكنوز من وسط ألسنة اللهب، وجزيرة الأمل تدنو منا وتقرب رويدا رويدا، ونسافر نحن صوبها، ونبكي وتبكي الأطفال والنسوة لأن يوم القيامة يزلزلنا، وأحمد عند الفرن يخبز فيترك العيش والخبز ويهرول معنا، ولكن جزيرة الأمل ينمو بها الخير وتخضر الزروع وتطرح الثمار، والبساتين تزدهي وتزهو والحقول تبعث على طمأنينة وراحة بال وأمل. وها نحن نعبر الصراط آمنين سالمين، والشباب فهمي والفتاة ليندا هما الأمل والجمال، وتذب أنفاس السعادة معطرة بأريج الفرح حيث دبا ووجدا وحلا، ونجاة معهم وفتة وكلهم في الجنة ونحن معهم ننعم جميعا بخيراتها وثمرها وشهدها وعسلها، والشيخ داخلي يتلو آيات القرآن بصوت شجي، وكذا يفعل الشيخ نمر ومعهما حمادة في حديقة أخيه ممدوح يقابل ملكة النحل والوصيفات والشغالات وعقلة الإصبع وكل الكائنات، وأحمد يفسر آيات القرآن وماهر معي في الملعب ونحن في الجنة ومعنا طه وإبراهيم وإسماعيل، وها هو سيدنا محمد بوجهه المضيء يشفع لنا، وأبو قردان مع الهدهد وطائر اللقلق وعقلة الإصبع

وسريع والبطريق والغراب وأماني وعمر وأمل يخرجون من كتاب المطالعة ونحن ندخل إلى عالمهم فيلحقوننا، فهذا واقع نحياء والله ينجينا من النيران، وعمر يضحك مرتاحا راضيا وسمير يبتسم فنرى الحياة زاهية جميلة مظلة علينا بالخير، وفتاة البستان سلمى ذات الرداء الأخضر تطل علينا من بستان قصرها الطائر ومعنا جميعا فاطمة تغالب مياه نهر الموت، والفارس المثلث تبر برفقتها وهو يمتطي جواده وفرسه الأجر يلقي الجان درسا لن ينسوه ويقضي على التماسيح، فتاة ترتدي اللباس الحربي واللتام وتحارب الجان والوحوش وتحاول إنقاذ فاطمة ومعاونة الرحالة وهي تفلح دوما، ومعها عنتره وعبله في آلة الزمان والمكان جامعة الأحداث والمبحرة في كل زمن ومكان، وسيد الداهية المقاتل معنا وهو الطير المسافر في كل أوان، الربيع رفيقه وقصته الجميلة، وبرفقتها تتألق الورود وتهب الشذى والعطر الزهور، مع الكائنات أينما ولت وكان اتجاه سيرها، وهو بطل همام ورفيقه الرحالة وسندباد وقبطان، وملكة النحل تهبه الشهد والعسل ويطير معلقا بجناحيها صوب الأسير والكون والعوالم الخفية، صحبة نادرة قلما تجد مثيلها، تتجه الرحلة بآلتها الزمنية والمكانية، وتجد الخير في دروبها، نعم...نحن نلتقي كل الشخصيات والعصور والعهود، نقابل العلماء والأدباء وعوالم الجهل والإنسان البدائي والديناصورات، والرجل المرعب وهو كيان مادي وخيال مخيف ومشهد مزلزل للقلب والوجدان يظهر، يمشي فتيا وكهلا وصبيا وطفلا وشابا ويتحول لكل الهينات ويدخل القبر ويخرج منه وعلى محياه الطيبة في ذات الأوان وكذا يظهر على وجهه اليأس والانتقام والجبروت والسلاسة والصعوبة والتضاريس المادية والأنهار والآبار والعبوس والقنوط والإيمان، وعيونه جاحظة منتفخة ومخالب الكواسر متمثلة به، صوته أجش مرعب مزلزل وله أنياب الكواسر وأطراف الوحوش وحوافر الضواري ويغويه شعر الحيوانات المفترسة، ثم يعود تارة أخرى إلى طبيعة عادية، ولكن الصبية والأطفال والجميع يخشونه ويهيا لهم أنه سوف يقتلهم، ويقابل وحش الوحوش فيتشاجران وتزلزل الأرض لشجارهما ويهتز الشجر وتتساقط الثمار ويبكي الأطفال ويخاف الكبار، كل يغرس أظافره في الآخر ويمتص دمه، نحن مرعوبون منه مروعون ولكننا نثبت في ميدان القتال والعالم الجليل بضغط زرا يغير الأمر برمته فيهدأ الوحشان ويعود وحش الوحوش عبد المتعال لطبيعته فيسكن ويستقر ويهدأ وكذا يفعل الوحش الآدمي الآخر، ولكن المسحور يهرول من الماء صوب الجميع ومعه عائلاته الوحشية فيضرمون نار القتال، هم في نهر الموت يساعدون التماسيح في التهام فاطمة والرحالة وكائنات الرحلة، ولا يعجب الأمر الفتاة تبر وهي الفارس المثلث الشجاع، فتختلط مياه بحيرة التماسيح بمياه نهر الموت وبحر يوسف ونهر النيل والمحيطات والمستنقعات والمصرف العذب والترعة الكبيرة، وتطغى المياه على اليابسة ويدخل الفارس المثلث تبر فيردي الجميع قتلى، وأمل شقيقة فاطمة قادمة تطير على بساط شقيقتها السحري وهي تبحث عن فاطمة ومعها أم الصغار وعقلة الإصبع وأماني والحوث ورفيقه أنور وقبطان وسندباد وأم الرحلة وسندريلا وطائر اللقلق أبو العنز والرجل الكبير أبو الرجال محروس

وحسن والجميع الجميع، ويبدو تارة أخرى الرجل المرعب عملاق الكشح غليظ الملامح رث الثياب وجهير الصوت ذو الملامح التي تشبه ملامح ومكونات الضواري، فهو يسير للأمام وتتأكد أنت من هذا، وهنا فلا ريب أن خط سيره يكون للخلف والعكس صحيح، وهذا ما يحدث الآن، وهو الذي يقتل الناس ويتخلص من جثثهم ويمتص دماءهم امتصاصا، رجل متحول لكل طور وهيئة، مرعب في الظلام كما هو مرعب ورهيب في النور والضياء، يقتل الفتاة رشا في ليلة زفافها بأوامر من الساحر الشرير، والفتاة تقضي وتموت ثم تبعث وهي جنية في صورة تخشاه الوحوش وتفر منها فرار الزحف يوم القيامة، ونحن بالفعل في يوم القيامة والمعمل عن الجانب القبلي من الطريق الوعر المؤدي إلى الكهوف المظلمة وفيه ثعابين وحيات وأفاعي عملاقة ووحوش كاسرة وحيوانات فضائية طائرة وفراشات وربيع وزهور وأهوال، ونحن نقرب من المعمل الذي تنشق الأرض عنه فنخوض في طبقاتها وتحاربنا كائنات من عهود الظلام، والنساء ملازمهن البكاء والأطفال يصرخون لما تتهدم علينا طبقات الأرض، وصبري الطيار الطائر مستمر في قيادة آلة الزمان والمكان، وطبقات الأرض من الطين والرمل والصخور لا تستطيع اعتراض مسار الآلة العظيمة المحاربة المقاتلة، ونحن نشق الأرض شقا ثم نعب صوب الجهة الأخرى من الكون منطلقين صوب الفضاء ونتجاوز حدود المادة فنرى الكرة الأرضية تتقلب في اتزان حول الشمس وبالقرب منا نجوم ومجرات وكرات وعوالم دقيقة، وفي أثناء كل هذا لا تزال أم الصغار ومعها فتة ونجاة يبحثون عن الأطفال، فيروا المارد الأخضر وغيره ومعهم عائلاتهم يسرعون معنا باحثين عن الصبية والبنات أبناء أم الصغار المسكينة، والعم الدسوقي مع العم عبد الصبور عند شادوف الأخير، يديران الشادوف ويسقي كل منهما الزرع ويرويان الآمال الجميلة فتخضر السعادة ويزغرد الفرخ، ويستخرجان الكنوز والأسماك والدرر والمحار والعرائس الجنية والحلل والحلي والثياب المزركشة والأفاعي، ثم يذهبان صوب النخل الكومي الكبير مارين بالنخل الصغير، وسمهانة وعزية وكامل وحسن وعيسى معهم ينقون ويجمعون البلح المتساقط من النخيل في الظلام، يخيفهم الدسوقي إخافة مداعبة لا غير وعبد الصبور الفتى الجميل يضحكهم ويؤنسهم، ومعنا حسين واللؤلؤ وحسن والجميع يتمرغون في حقل القطن والقمح، والإقطاعي الظالم يضربنا بالكرباج ونحن ننقي اللطعة ونزيلها عن نبات القطن كي لا يحترق ويصاب، ونقابل كما ترون الفتى عونيا والشيخ ساميا ومحمودا وغيرهم، وفتاة الصعل رشا العروس المتحولة تحاربنا وتطلق علينا وابلا من القاذفات وتطلق علينا جنودها ووحوشها، مقاتلون ضدنا يرشقوننا بكل ما يرشق ويصوب به، وعجلات حربية تتقلب صوبنا تدهسنا وتأتي على أنفاسنا وأعمارنا، والشيخ نمر يتقدم في وقار وهو يقرأ القرآن ويصطاد السمك ويحرث الأرض ويبيع بضائع، ويدافع عنا ضد العدو ويغلبه ويدحره وكذا يفعل الشيخ داخلي، ويسلم على العالم الجليل وشيخ الرحلة وعقلة الإصبع ومحمد والرجال والعجائز الفتيات والشباب والنساء والصبايا والصبيات، يسلم عليهم سلام احترام وأدب ونصر، وسلامه عليهم هو تحية الإسلام، والشيخ نمر يبدو ملازما

له الشيخ الداخلي ببسمته الجميلة التي تنم عن صفاء نية وبهجة ورضا بقدر الله وحكمه،
ومعهما مصطفى والكائنات جميعها، ومصطفى الباسم الجميل يسير منتقلا ما بين شجرة
وشجرة ووردة وشقيقتها وزهرة وأختها، والفلاحون يروون الزرع ويبعثون الأمل الجميل
في النفس، وبحر يوسف متقلبة مياهه من إثر ثورة دوامته العملاقة مصدره الذهب والفضة
والمعادن والدرر، وحمادة واللؤلؤ وحسين وصيادون آخرون يبحثون عن الكنز مع مصطفى،
وأحمد يدير مدرار الأمل فيدر الخير هنالك عند النخل المرعب ذي الأشباح والموتى والهياكل
العظمية والجثث، وهو النخل الكومي الذي يسكن سعفه الجان وكذلك يسكن الجان سعف
نخل الصعل حيث الفتاة رشا تميت وتقتل كل من تقابل انتقاما من قاتلها ليلة زفافها، ويبدو
كرم مع الكائنات والرحلة وألتها الزمنية والمكانية والعالم الجليل وملكة النحل، والفتى يبدو
كأنه الأسد حين ينقض على فريسته، كرامته وطيب نفسه وحلو طباعه وحسن أدبه جميعها
وأكثر سمات يتصف بها، وآلة الزمان والمكان صديقه وهو المصاحب لها في السفر أينما
تقلب اتجاهها وسافرت وأبحرت في الأزمنة والأمكنة، إن كلماتي لا تنتهي كما الرحلة هذه
وأكثر، والوحوش تلازما وكأنها لا تجد وجبة لها سوانا، حلما هذا يروونه وإنه غير محق
بعون الله، سأفترس الحيوانات المفترسة وأمضغها وأكسر عظامها وأطعم بها فلا أشبع،
وأنت أيها الظالم تذكر أنك نطفة خلقها الله ثم تطورت بفضلها جل وعلا فأصبحت جنينا ثم
طفلا وصبيبا وشابا ورجلا وكهلا، تصرخ وتبكي وتصرح، ونحن نضحك وننشد ونتغنى من
حولك، ومنا من يؤذن لك في أذنك، الآن وقد رزقت المال والسلطة فعليك أن تبقى متواضعا
وتحمد ربك وتنفق في سبيله ولا تبخل، أيها الفتى محمود استمع وافهم وأدي ما يطلب منك
من ذوي الخبرة والتجارب الحياتية، نعلم أنك طيب القلب والفارس معنا بالرحلة، ونحن عند
أشجار توت الفتى حمدي، توت أبيض وآخر أحمر وثالث أسود، وشجرة جميز مسجد الفتى
نمر لذيدة وجميلة، وعفريت الفتاة أفيات يلازمها ويسكن روحها وجسدها، والأرانب
البيضاء تظهر لها في الليل فتجمعهم في أجولة ومقاطف ثم يتحولوا إلى تراب، وها هو معنا
أبو الرجال ذلك الذي له بصمة وأثر في أزمنة الرحلة وأمكنتها اللانهائية، أحبة القلب هم
جميعا حيث أنا من أتية فأنا معهم ولست معهم، أعاني الأمرين من قسوة الحياة وأصبر،
والرياض من حولنا تنمو وتزهر، والشباب رضا مع عوض الأمير ومعهم هاني وخالد
وكائنات الرحلة تتزين بهم الحياة وهم يؤدون الصلاة ويصومون ويقومون بالعبادات على
أتم وأكمل وجه، أرى البسمة على وجوههم والخشوع والورع، يضحكوننا بروحهم الجميلة
ومعهم محمد وفتحي ومحمود وجمال، وفتاة القصر نادية الأميرة في قصرها الطائر والفلاح
وأسرته يرعون الزرع ويسقونه وينظفون الحظيرة والخميلة والروضة الجميلة، ونادية كم
هي من فتاة جميلة ألزمها قصرها الساحر الشرير وريمة والنوارة الظالمة المتغترسة محبة
محمد، كما ترون في هذه الرحلة وألتها الزمنية والمكانية وتسمى الزمكانية، تجمع المكان مع
الزمان في كل وقت من الحاضر والماضي والمستقبل والبعث والنشور وحياة القبور
والأحداث، وآلة الزمان والمكان تتجول في لمح خافت وطرفة عين ساحبة الأحداث كلها

معها ومحدثه تخلخلا وتضاغطا وتختلط لديها الجزيئات الزمنية والمكانية محدثة انفجارا يليها انفجار والقارب الصغير يحمل الفتاتين حيث يتحدث القارب ويقول: فتاتان بالنهر وقد زاد حنيني وفي نخل الصعل تدر الغلال السحر منهن كم يرنو إلي فالיום يا حسن لي منك مثال إني وصديقي عبد الرحمن في موكب سعد والرزق حلال ليس بعد قولي من قول يقال ولا أحبك يا بدر قدر حبي الرجال لي بحبيب العمر ود ووصال ومحقة معه حب عمري الآمال إني وصديقي حيث كنا نسير وكم تسير في رفق معنا التلال قد قالوا ننول كل شيء نريد والله وحده لو ننصف الكمال والرزق إذ نسعى عند رب كريم إن ما نجنيه من الحقول حلال ثم أكمل وأقول ها أنا وهم يلومونني أنني لا أعبأ بالجو ودرجات التجمد والحرارة وأنا المحارب الأسطوري عبر الزمان والدنيا والآخرة، أنا الرحالة مقاتل الضواري والظالمين وسفاكي الدماء والمجرمين، حيث أرتدي اللباس الحربي وأغوص في البحار وأتسلق قمم الجبال وأغني وأبكي وأرقص وأرفض الخنوع ولا أخشى الموت فهو حياة ملؤها جنان وبساتين نتنعم فيها في القبر كلنا بأمر الله، أقول والله موفقي لكل أمر ومخلص إياي من كل عسير مستصعب: أتدثر بالبرد ولا أبرد وتتجمد الكائنات ولا أتجمد علام يحسدونني ولو علموا ما أنا به لتمد اليد لو يدروا حالي لساعدتني اليد أن أقف معتدلا وأن أسند رأيت فاطمة في قاربها الصغير والشيخ الجليل يتعبد وأبا الرجال في حلة عهدها كالزمان متجدد وأبا عوف وهو ساجد من غيره أبو عوف يسجد وأنفاسي في صدري معدودة بين شهيق وزفير تتردد والعالم الجليل كما ترون أن لا إله إلا الله يشهد أضناني الزمان وأرهقني حاله وأقول أيا ليت يحل الغد وقد جاء الغد في حاضر الآن يدور ولا أسعد قد جاء القبر بأن ضمنني بيد جرحي فيه لا يضمّد وأصبحت وحيدا والفكر شريد وحمامة في الأيك هي ترقد نلعب في الملعب ومعني الأحباب والماء في المصرف هو راكد وتحرك المصرف وكأنني به في التو والحال من أولد أقابل الفتاة عند شاطئ له بها جرحي الغائر يضمّد في القارب الصغير ركبنا سويا وتماسيح صوبنا تتردد فاختلفت هناك بين موت أتى عند أنياب لها وأتاني الغد كم إن للجنوع أنياب الدجى وعيونا تتقلب وتتجمد قد قلب القارب على عقبه والطرف معلق ومسهد واختل توازن السابح هذا ورآنا العالم والمشهد، وها أنا أكمل فأنا الراوي المشارك معكم الأحداث في أوان حدوثها والجدول يسري في مائه موج ويسير بها كل عصر ويسافر الفوج آلة زمان ومكان لا تعجبون منها ولا من أمرها، هي واقع وفكر وسفينة وشاحنة ورافعة وكل شيء كل شيء... فلا تعجبوا من تقلب آلة الزمان والمكان وتحولها، فكل تحول قدر من الله سببه وأتم حدوثه، وفي طيران سيد العملاق آية، لأنه ذلك المقاتل المتحول الطائر العملاق، يفوق جسده ما يتصوره العقل، وكفه يعتصر العالم ويضمه، وهو حني رفيق طيب يحمل الكائنات في كفه فيشمل به البساط السحري والجداول والمحطات الفضائية وقاعدات الطائرات والسفن والجبال وكل شيء، هو ملاك مكلف بما أمره الله، وملك الموت يأتي على أرواحنا كما ترون فننتقل إلى الجنان والروضات والبساتين، والمجرمون والظالمون والكافرون في النار يقذفون، وأنا مرعوب وخائف إن يأتي الدور علي ويقذفونني في النار،

ولكني أدخل الجنة وأتعم بثمارها وحوار عينها وغديرها وكوثرها وبحر يوسف ونهر النيل
والحقول والبساتين والأنعام، ومركب وقارب صغير تستقله فاطمة ذات البساط السحري،
حيث يتحول القارب إلى سفينة فضائية وبساط وعجلة حربية ونسيم وبستان وروضة وطير
وشجر وجماد ونهر وبحر وإنسان وحيوان و.....و.....، هو زمني في كل حين، حيث فاطمة
والرحالة يستقلان القارب الصغير، وجذوع نخيل ساكنة متحركة تطفو حولهما، جذوع لها
عيون تتقد شررا، كأنها تنظر إليهما، والهوة المتقدة على مقربة منهما، عجايا رحالة،
الجدوع تقترب منا، إن لها أنيابا حادة...كيف هذا؟! ؟؟ :- برقت عينا الرحالة ودقق النظر
وأمعنه، معك حق فاطمة، يبدو أنها كائنات متحركة، يا للهول، إنها لتمامسيح ستهاجمنا الآن،
فلا تخشين شيئا، سأتعامل معها، وهو يطمئن الفتاة التي تماكنت نفسها وهي تدعو الله.
واقتربت التماسيح كما ترون تهز القارب وتقلبه رأسا على عقب، وفاطمة تغوص إلى أسفل
القاع السحيق، وهي تتقلب وسط الموج، والرحالة يجن جنونه، ثم يكمل الراوي وهو معنا
والحديث متقلب والأمر مستغرب وصبري الطيار الطائر يقود آلة الزمان والمكان بحكمة
وصبر، لي روح وجسد يتنقلان، فإن يتكاسل الجسد فالروح مستمرة في سعي دائم لا تكل
ولا تمل، ها هي تنزع من جسدي لكنني أشعر بها، لأنها في الأخير روحي التي خلقت معي
وربما من قبلي فهي ملازمة لي، ندور العالم والكون ونلفهما، في عزبة عبد الواحد معلقة
روحي، تحبها وتعشقها، أطير كما ترون بكل الطرق، الجان يسكنني ولا يبرح وجودي
ومكاني، يدفعني بقوة هوائية مسلطة صوب الأعلى وفي باطن الأرض ومركز الكون، أرى
الزمن بعيدا بعيدا وأبعد من البعد وبعد البعد، والله كأنني أعيش عمرا أكبر من عمر الكون،
طفولتي في عهود سحيقة سرمدية وهي بعيدة عني بعيدة بعيدة إلى مالا نهاية وما لا نهاية
للنهاية، وأعود مع آلة الزمان والمكان فتطول العودة ولا أصل إلى الماضي، مستحيل أن
يكون هذا عمري، أراني تجاوزت عمر أبي الهول والأهرامات وكل معمر وأكثر، أفوق حتى
عمر الجماد والكائنات والأحياء، لا أعلم لم ينتابني ذلك الشعور، هو حقيقة وليس شعورا
حتى، ولا زلت أحياء، كيف هذا، أنا ميت وقضيت من عهود طويلة سحيقة وغابرة
وأسطورية، وأحيا كل الأزمان، شيء لا يعقل ولكن الغريب أنه يحدث، وهذه هي متعة
الرحلة بلا حدود، ورفاقي يعرفون أنفسهم وحتى من لا أعرفهم يجدون أنفسهم ها هنا، أنا
وسط كواكب ومجرات وعناقيد مجرات، عالم مرعب وجميل في ذات الوقت، ونحن ننشر
الجيالة والجيالا هي الوقود المعمول من روث المواشي والحيوانات ونخيز الآن باستخدامه،
العيش البلدي جميل وهو على بلاطة القرن المتقدمة بالجمال والخير والأنس والمحبة
والصحة الحلوة، والمطرحة هي قطعة خشبية مدورة أو تتخذ شكل الرغيف، يوجد السمن
والجين والخضرة والخضر، جميعنا حول القرن نجلس ونضحك ونلعب ونخيز ونتسلى، ذهب
فتاة شاطرة ذكية ماهرة، ونادية وسمية ولطيفة ولطفية وروحية وأرزاق ونوال وسامية
وسحر وسلوى وأحلام وأم الصغار وأم الرحلة، كلهن ماهرات طبيبات مبتسمات وأنا معهم
أكل العيش الطري اللذيذ، وأذهب مع أمي أساعدها إن احتاجت شيئا، فهي المدرسة وهي

الأمل البهيج السعيد، أجمع لها الحصى كي نخبز عليه، نضعه فوق بلاطة الفرن المحمى تحتها والمشعلة لأجلها النار، ونضع العيش فوق الحصى المتقد ونخبز، نعم نضع العجين فيصير عيشا وخبزا وأرغفة، أنتتهي ومؤلفها كامل هذا والله لا يعقل قضيت وأنا في قبري الآن بيد لي فكر يعقل أغرد كالطير في فسيح السماء وأصبح ورفاقي فيضمنا الجدول ونهر نيل يشرق كشمس الورى إذ تدفنهم بضونها والسماء تهطل دعوني أقول ما تحمله جعبتي فتلك جعبة إن انقطع مدادي تكمل أرسلت جنودك يا خميس يا ساحقا همم الطغاة والأعداء تزلزل في رعب أحيا والأحزان جارتني فإن تدعوني الحياة لفرح أثمل وكل الكائنات من حولي سعيدة تقوم إلى البهجة وأنا أتكاسل دعوته لحوار وقد غاب عن ناظري أين ذهبت يا شريف أنا أسأل ووجدته حزينا وكأن الدنيا قد ضاقت به وهو مقبل نادية يا فتحي فإني متطلع أن أبدأ الحديث وهو يكمل والناس قد التحفت الدفيء برودة ومن فرط البرد هذا يتمايل ويقبل صبحي في هندام عاقل وما بعد الفتى يا ناس عاقل أذهب هنالك عند مصرف لنا ما كان أحسن منه ذاك الجدول يا أبا الرجال هلم وأقبل فحسن في انتظارك وعرشه مزلزل وخميس يخافك فمن دونك تائه ما من سائل عنه فهو مهمل جمعت الأسماك من بحر يوسف ليزاح الدين فالدين مثقل وجمال معه الأسماك قد وضعت بمقطف وهو من الخيرات سعيد وينهل والفتاة شقيقته وأفيات اسمها واسم الفتى أخيها يا قوم نائل وعزمي الهمام من تظله شجرة هذا العنب طرحها والظل مانل فظلال للخميلة قد تهادى نسيمها وفلاح في الأرض يعزق ويعمل تتجه أفيات صوب ذاك الملتقى وشجرة الجميز تلك طرحها مانل بالخير قد أينعت وظهر نتاجها وكان ثمرها هذا مرسل فمرسله الله وباعث خيره ثمر جميل وحلو ومذهل، وفي خضم كل هذا الاضطراب الحادث دوما في مجريات أمور آلة الزمان والمكان والجزء الرئيس في الرحلة بلا حدود تجد الحكماء والفقهاء وأولي العلم والمعلمين والمخترعين والعوالم العجيبة والفضاء الكوني يكتظ بالأشياء، والغريب أن مشهد آلة الزمان والمكان الآلة الزمكانية يكشف لنا كما ترون تقلب فاطمة وسط الأمواج بقاربها الصغير، إن القارب يأبى أن يتركها حتى في الغرق، والمخبأ السري يلتف حولها ويخبئها بطريقة عجيبة ويمدها بالهواء، ثم الخياشيم تعمل عملها وتقوم بمهمتها مع الكائنات الأخرى، أما فاطمة فتعيش في كل وسط مهما كان، نعم.. الفتاة تتنفس طبيعيا وكأن الماء هواء، والأغرب أنها ضاحكة مستبشرة وكأنها في خلاص من شر قد حاق بها، أو قد بعثت الروح فيها من جديد، ومن هنا تتعامل كائنات الرحلة بعقل وحكمة، وهذه هي خبرة أبي الرجال الرجل الكبير محروس وحسن والملك الغضنفر خميس وفتحي ومحمود ووحش الوحوش الداهية عبد المتعال، وقبطان والرحالة والعالم الجليل وصلاح الدين وجمال ومحمد وصبحي الطيب وحسن ووهيدي وعبد الرحمن وخضراوي والرجل العملاق سيد وملكة النحل والفوج الطبي الطائر بقيادة الهدد وأبي قردان وطائر اللقلق والغراب وأبي فصادة والبطريق...و....و...و حيث كل ما يذكر وأكثر لديهم من الدراية والوعي بعد تقدير الله ما يؤهلهم لاجتياز الصعاب، وفاطمة تسمع وترى وهي تتقلب فإذ بها تلتقي عونيا وهو الفتى الجميل الذي يصبر على

18

وعبد الرحمن لا يزال يتحمل من الحياة صعابها ولا يشكو سوى الله ويحكي لصديقه كامل وحسن، وخليل معنا لا يهدأ أبدا لكنه صاحب قلب طيب، وما يلامس قلبه يترجمه لسانه، لا يخبأ شيئا ولا يستتره ولا يحجبه، على أن المحاصيل تظهر في مشهد يسر النفس وقد نضجت وأينعت وأنارت بنور ربها، ورفيقي يقرأ ورقة الدروس التي كتبناها ودونا أهم بنود العلم بها، مواد دراسية سنمتحن بها ونختبر على فهمها وحفظها، ونحن والرفاق وهو وهي نجمع القالوح وهو الجزء الأخضر أعلى عود القصب السكري، وعلينا أن نقص الجزء السفلي في بداية العود القصبى السكري من ناحية الأرض ونقطع إياه اقتطاعا، وكل فتى منا يستخدم قاطعا يسمى قدومة وطورية وفأسا، ثم ها نحن نخلع الجزء الأخضر ونزيل العفش ونسميه العيش، فيصبح العود أملسا لا تشوبه شائبة ولا تلتصق به الحشائش، ونحمله على جانب أو أحد وربما كل جوانب الغيط الحقل، ولا زلنا ورفاقي جميعهم وآلة الزمان والمكان نستذكر دروسنا في خضم كل هذا، ومعى حسن يغني لنا وهو عنصر الفكاهة الممتع الذي ينسينا الهموم من بعد الله، ونصلي ونزور رفاقنا، ونحمل القالوح وهو غذاء البهائم والمواشي فوق أكتافنا وأعناقنا ولا ننن ولا نبكي أو نشكو، فرحين بما آتانا الله من فضله، أجمع أنا ورفاقي ما يتبقى بعد الحصاد من هذه المحاصيل الممتدة شرقا وغربا وشمالا وجنوبا، فلعلهم يتركوننا للقمّة عيشنا وما قدر لنا من رزق، وإن المقدر نافذ لا ريب، وما كتبه الله حاصل وحادث ولو تكالبت كل القوى ضدنا، ومعى رفيق دربي ضرغام نستذكر دروسنا على ضوء اللمبة المصباح الفلاحي، نحن نصبر لأن الرزق والعمر بيد الله، ومعنا الجدة والفتاة والسيدة والطفلة أفيات، وهي توقد مصباحها الفلاحي بالجاز والزيت والوقود الطبيعي ووقود الجان والقوى العجيبة و.....و.....، ويضيء المصباح من دون وقود فتذهل الكائنات وتسر وتفرح، والجدة تبتسم وتتحوّل إلى فتاة في ريعان شبابها وتدافع عن عوني ضد بطش العجوز الساحرة ذات البيضة المتحولة والعصا والشال، بالدبرك الخشبي تهاجمها وتضربها وتسبح خلفها وسط وفي خضم المياه وفي القاع، ويتحول الدبرك إلى عصا عملاقة فيستقلها الجميع وتحلق في الكون وأبعد وتصير آلة زمان وزمن ومكان يقودها القائد المحنك صبري الطيار الطائر المبتسم الجميل، ثم أتجه وأصدقائي صوب الغيط الحقل ونصيف أي نجمع المحصول في الصيف على قدر علمنا، ويتقدم الفلاح غليظ القلب صوبنا فيضربنا بالنشو والنشو هو العصا المخلوعة من نبات القطن، ومع ذلك الرجل أيضا عصا تصنع من جذوع النخل والجريد والسوق والأغصان والأشجار العجيبة، يضربنا ومن تطوله يداه يعتصره اعتصارا ويلدغه كالأفعى، إجرام وخبث وضغينة، يستكثرون على الفقير للقمّة البسيطة، ألا يحق لنا أن نهنا بعض الشيء وأن نحيا في بيوتنا فنكون مستورين فرحين ولو لهنيهة قليلة، أليس من حقنا تلك البسمة لو تداعب عيوننا والخدود، وهذه الضحكة أن نظهرها غير محسودين أو مستكثرة علينا النعمة، دعونا نتنفس وإلا سوف نمنعكم من التنفس حتى تختنقون، حينها سنترككم للموت، ولكن لا، سوف نعذبكم فلا تطولون الموت ولا تنعمون بالحياة، نحن فلاحون مستضعفون لكننا أقوياء نقضي على ضعفنا ونستبدله

بقوة ليست بغاشمة، ولكنها قوة الضمير والحق والقيم النبيلة، وتلك القوة المتولدة عن الكبت والظلم، قوة الانتقام ممن أضعفونا وأهانوا كرامتنا، وما كنا تاركي كرامتنا حتى تدهس، بيد أننا من ندهس الباطل فيظهر عليه الحق، وحتى لو نقينا الفول المتبقي أو القمح أو الشعير والمحاصيل المتنوعة يحسدوننا ويطمعون في قوتنا، ويخافون على البقايا الباقية المتبقية بعد الحصاد، على أنني أنا وضرغام وعبد الرحمن وحسن وأشرف اللول وحمادة والرحالة وقبطان والعالم الجليل وآخرون نريد الرزق الحلال، والآن نسير ومعنا آلة الزمان والمكان ثم نتجه صوب بيت الموت حياة فأننا في القبر الآن وأحيا وأشعر بما حولي، عالم الموت جميل وهو روضة، فهل ترونها تلك الروضة، دقق النظر وأمعن البصيرة، يوما ما سأكون غير موجود في ظن وفكر الناس، ولكنني بالرحلة في أماكن متصلة، الموت ليس النهاية فهو استمرار وبداية، والحلم رحمة من الله، وليس كل الحب عيبا، فالحب المجرد من الشهوات نعمة عظيمة، الخجل هو مهلكي والقاضي علي، وحديث الناس وكلامهم وهمزهم ولمزهم، والاختلاط بهم كارثة بالنسبة لي، أين المفر، الموت مرعب لأنني عاصي وربما لمجرد أنني أخشاه وأخافه، فمتى أواجهه بعزيمة حديدية وإرادة صلبة، لا بد أنني مهزوز غير واثق من نفسي، وتوجد اعتبارات أخرى وأسباب ليس من الممكن أن يتوقعها غيري هي من أسباب خشيتي المنية والموت، لا بد أن أضحي عظاما مهما هربت، وحتى عظامي تختفي، هل تروني، روعي دائرة حولي وملتصقة بفكري، الدود يأكلني فلا رحمة عنده، ولا تطاق رائحة جثتي، اللهم أبدل كل هذا بسكينة وطمأنينة واجعل العطر ملازم لي ونهر الكوثر أسبح به، الجنة الجنة يا رب، لا أقوى على النار ولا الزمهرير، الله أكبر، أنا في الجنة والولدان المخلدون من حولي والأهل والرفاق، لم يفزعونا من الموت وهو الجمال عينه، ينفذني من بعد إرادة الله من المعاناة وعول الهم وفرط الفكر، ما لا تعلمونه أنني محارب قديم وطيب وشريرم ومؤمن ومخون وأمين وخائن وضاحك مستبشر وعبوس قنوط، أحب الربيع فهو فصل الأمل والخير والنبت الجميل والزهر والورد والحياة لا الموت، كلمة تهلكني، بل وإشارة ونظرة وإيماءة، الحمد لله أن آلة الزمان والمكان تعيدنا للماضي وتتوغل في المستقبل وتنتشر به وتكشف وتجلي تفاصيله وأنها تحيي الماضي، وجحا وحمارة بها كما ترون، ورجب وجحشه العجيب الذي يشتريه من السوق والجحش أعمى لا يبصر، ولمبروكة المسكينة أتان عجيب أيضا، ورجب يركب الجحش ظنا منه أنه جحش ماهر سريع شديد التحمل، ويصعدا مرتفعا في الطريق ثم ينزلان ويتدحرجان في منخفض ترابي، ويقلب الجحش رجب المسكين رأسا على عقب، فيدفن مثناهما في الثرى، والتراب يدخل في أنف رجب وفمه لما يقلبه الجحش عليه ويمرغه في الوحل والطين ووسط السوق والأغصان، فالجحش بالأعلى ورجب في الأسفل، ويدخل أنف هذا في أنف ذاك وبهلول يضحك ويضحك لطفي، وأبو العقيص فوق الحسر الترابي يستغرب الوضع ويكركر ضحكا، يعاتب رجب الجحش، أنفعل بي مثلما تفعل بكامل حين تتركه في الحقل وحيدا يحمل الحمل الآن كما ترون، فيتبسم الجحش ويعتذر لرجب ولكامل على سوء تصرفه، ويقول:

_ أنا جحش صغير كفيف، ويقبل الهدهد وأبو قردان وأبو فصادة وطائر اللقلق أبو العنز والغراب وأماني وعقلة الإصبع وملكة النحل ويحضرون العشب الطبي النادر ويضعونه على عين الجحش فيعود بصيرا ويستمر في الضحك من فرط الفرحة، ويقبل الملك الغضنفر خميس وكل ولاته لأبي الرجال الرجل الكبير محروس قائد الجيوش الجرارة، ولا يزال أبو العقيص يقرص الجميع ويلدغهم فيعلمهم العوم في كل المسطحات المائية بمهارة فائقة، حيث تتحول آلة الزمان والمكان غير تاركة الحدث أبدا بل ساحبته معنا وجالبتة إلى أخيه الحدث جنبا إلى جنب حيث أنني الرحالة الذي أحيا زمنها وأذهب للحقل أجمع ما تبقى من المحصول بعد الحصاد وأداعب القطف، وأجني القطن فلا يضرني عبد الرحمن ولا البقوشي وشحاتة ونادر وعاطف وعبد السميع، هم لا يكررون ما حدث منهم من بطش وجبروت، ونحن ننقي اللطعة ونفصلها عن شجرة القطن كي لا تحترق بسببها، اللطعة جميلة ولكنها محرقة قاتلة، اللطعة كما ترون هي دودة في طور الجنين والفقس، ذات مشهد جمالي باهر، كلما نجد واحدة نفرح فرحا شديدا ونقول:

حمراء جريحة.

يا لنا من بسطاء طبيون مثقلون بالهم لكننا سعداء نتجاوزه إلى حيث الفرح، وجميل يرفعني عاليا بساعديه القويين ويديه العملاقتين إلى أعلى فوق الموج وفي خضمه، ثم يلقيني فأنال غطسا، وأتعمق في المياه الغزيرة المهلكة إلى مسافات بعيدة مهلكة ومصيري الموت لا محالة، فأقابل عقلة الإصبع وأنور وأماني ورشا عروس نخل الصعل وفتاته الجميلة، وتعاني الفتاة فتة هناك من المرض وتصرخ وصراخها موجه لله تعالى فهو سامعها ومجيبها والذي يحن عليها تلك الشريدة المعذبة، نعم هي ضريرة ولكن الله راعيها، الجنة أفضل لك ابنة العم، وأنا معك وسوف أنقذك من الموت بالدعاء، حيث الدعاء هو سبب من أسباب الإجابة ورد القضاء، والمرض متمكن منها، وحيدة شريدة تأنه معذبة، من يصبر مثلها، ومن يتحمل عنها آلام الموت، موت بطيء ونهاية عجيبة غير متوقعة ولكنها سعيدة والعشب الطبي النادر يحضره الفوج الطائر فتتناوله وتعود للحياة في الجنة الدائمة المستمرة، فهي فتة التي تخاف من الدودة المتدلية من وسط أوراق العنب في عروش النبات الملتفة والتي تشبه الخميطة، وعيسى يضاحكها ويريد التخفيف عنها، وهي تعدو مرحلة فرحة فرحانة وسعيدة، والمصرف العذب مياهه جميلة صافية نشرب منها ونرتوي، ونسبح جميعنا في جدول وقناة ممدوح شقيق ممدود، هنالك كما ترون عن الموردة التي تحوي المياه المتهادية الهادرة، حيث عوني تلتهمه المياه وتزفه إلى حيث القاع العجيب، والعجوز ذات البيضة البلورية المتحولة تطارده، ولكن عونيا يواجهها هذه المرة ويواجه الموت بعزيمة من يريد الحياة، فيتعلم السباحة بمهارة فائقة ويتغلب على أسماك القرش والحيتان وجميع الأحياء المائية الفتاكة، كما يلتقي عوني كلا من عقلة الإصبع وأماني وملكة النحل والعالم الجليل وسندباد وسندريلا وأم الرحلة وأم الصغار والبطريق والهدهد وطائر اللقلق أبا العنز والملوك والأمراء والرؤساء والأنبياء والمرسلين والأزمنة المختلفة والأمكنة جميعها

و.....و....و...، والمشهد الآن مع فته سندريلا الرحلة وفتاتها التي تتغلب على الصعاب، حيث دودة ورق العنب معلقة وسط الأوراق، والفتى عيسى الجميل يخيفها مداعبة فقط إذ تسقط عليها الدودة، دودة القز تقصد مداعبتها أيضا، وملكة النحل تطمئنهما، ما هذا النعيم، ابنة عمي تحت الظل والشجر تعاني الويل من الآلام والخطر ودودة قز أحلامي ترافقها وصبري الطائر الطيار في صبر يزامل آلة أحلامي وآلامي ويلهم فته كيف الصبر في الضر ولا تزال أم الصغار تبحث عن الزاد والطعام والشراب والملبس لأبنائها الذين لا تعلم وجهتهم، فهل لا يزالون بصحبة المارد الأخضر؟!، أم أن المارد قضى ومات؟!، أو أن الأطفال الصغار أنفسهم قد تفرقوا في الأرض أو قابلتهم المنية فأخذتهم في جبروتها، وهي تسير الآن بالقرب من الهوة المتقدة والغدير العذب في عزبة عبد الواحد، والمصرف العذب يتهادى موجه ويحدثها ويقول أن أبناءها لا يزالون أحياء، ولكن المارد لا ظهور له، حيث تهجم عليه الكائنات الشريرة هناك، وتبكي أم الصغار فلذات أكبادها فتقابلها الفتاة تبر وهي نفسها الفارس المثلث، وتخرج من بحيرة التماسيح ممسكة بسيفها البتار القاطع وخوذتها وهي مرتدية اللباس الحربي وعدة القتال واللثام الخفي، وتفرح أم الصغار أن قابلتها وتسعد، ويظهر العالم الجليل وهو يوجه صبري الطائر لقيادة آلة الزمان، و" أبو الرجال الرجل الكبير محروس" كذا يفعل، وقبطان يقود سفينته وإلى جانبه سندباد يقاتل الأعداء وينقذ سندريلا من الغرق، وفته تدعو الله هي ونجاة وأمل، وأمل شقيقة فاطمة ذات البساط السحري ترى شقيقتها وهي فوق البساط في القارب الصغير المتحول والذي يستقر فوق موج نهر الموت، وأبو العقيص يحاول إنقاذ عوني من بطش الساحرة العجوز ذات البيضة البلورية السحرية والعصا والshal، وعوني يتخلص من قيوده ويهاجم العجوز الساحرة مطاردته، وأم الصغار تنادي ملكة النحل أن تقترب منها وتحملها فوق جناحها إلى جوار سلمى وأماني وعقلة الإصبع ومتناهي الصغر ومتناهية الصغر، والكائنات الأخرى التي تتعلق بجسد وأجنحة ملكة النحل العظيمة العملاقة التي تطير بأمر الله دوما ثم تطيع القائد العالمي" أبا الرجال والرجل الكبير محروس"، ويتقدم الجحش والأتان والحمار صوب دوامة بحر يوسف فتثور مياهها وهم فوق الموج يتطايرون، والفارس المثلث يقفز لإنقاذ الجميع ومصطفى يبحث عن الكنز بل والكنوز التي تظهر للتو في عزبة عبد الواحد حيث تصل إلى الفضاء والسماء وتختلط بالسحب ثم تتساقط من المزن كما ترون محملة بالذهب والزمرد والياقوت وما شابه، وتقابل مصطفى الجميل المبتسم ذات الأنوار الجنية الإنسانية صديقة رشا عروس نخل الصعل المغدور بها، فترحب به وتدله على الكنوز، وأحمد لا يزال يدير المدرار والشفاط المدر للماء والذهب هنالك في النخل الكومي ونخل الصعل والنخل الصغير ونخل نمر وبالقرب من المعمل المرعب الماكثة به الحية ذات الجوهرة، والثعبان صاحب اللؤلؤة، والعجوز الماكرة، وجيوش النواراة والمجموعات المقاتلة للنسر، والجان والكائنات الفضائية التابعون للساحر الشرير، وحفني وناعسة في روضة حفني وابن النواراة لا يزال يهاجمهما ويهاجم الرحلة وآلة الزمان والمكان برمتها، وأم الصغار

تأمل أن تجد صغارها وسط وفي خضم كل تلك الأحداث وما الله بمخبى ظنها أبدا، حيث يظهر المارد المتشكل والمتحول لكل الألوان ويسد فوهة الهوة المتقدة ودوامة بحر يوسف ويقضي على التماسيح مساعدا الفتاة تبر التي هي الفارس المثلث كما تعلمون، ويتقدم الأمير المسحور والفارس النبيل صوب نهر الموت وهو ذاته بحر يوسف، يتقدم ويشق الصفوف ويقاقل النوارة وجنودها والساحر الشرير وريمة، ثم يظهر في مشهد مكمل متحد كما ترون أبو الرجال " الرجل الكبير محروس "، هو كبير قدرا ومكانة وعلما وحكما بالعدل، وحوله التابعون الذين يأتَمرون بأمره وهم، صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان والملك الغضنفر خميس وسيد العملاق وفتحي ومحمود ووحش الوحوش عبد المتعال والرحالة وقبطان وسندباد وأيمن ورجب والطيور والكائنات وسلمى ذات البساط الأخضر والعالم الجليل وشيخ الرحلة ومؤلف حرفها شريف والجان وجمال وإسماعيل وكل ما يخطر ببال، وتابع له أيضا ويعمل تحت إمرته وأمره ذلك الفتى الجميل حسن، وهو فتى طيب يؤدي الصلوات ولا يتخلف عنها، والرحلة به لها متعة ورونق وسحر وجمال، وهو من معي في كل وقت ننقي البلح المتساقط من النخيل فجرا ونجمع القطن وننقي اللطعة وننتزعها بعيدا عن ورقة القطن، وأقطف وإياه الثمار ونزرع الأرض ونحراثها ونعزقها ونطهرها من الحشائش الضارة ومن الشعبيط، وعبد السميع والبقوشي ونياظ وأصحاب الحقول والإقطاعيون يضربوننا فنرد عليهم رد الكبار لا الأطفال فنرسلهم إلى الجحيم ونأخذ حقنا ولو بالطوب والحجارة التي نلقيها عليهم كما ترون، حيث أنتم المشاركون معنا في الرحلة والحاضرون أحداثها، ويظهر الرجل الكبير محروس أبو الرجال وهو يحكم بالعدل ويحكم سيطرته على الجميع، ويقودهم فهو قائد الجيش العالمي الجرار، يخافون منه خوف احترام وتقدير وهيبة، وهو المحارب العظيم المحنك والخبرة والحكيم، وهو الفقيه والعالم ولاعب كرة القدم والطبيب والمستكشف وقائد آلة الزمان والمكان حيث يوجه صبري لقيادتها ويقودها هو في الحالات التي تحمل الخطر في طيات تنفيذها، ثم يقول أبو الرجال " الرجل الكبير ":

تقدم يا أيوب فاجمع الرجال المحاربين وجهاز الجيش، وأنت يا خميس أيها الملك الغضنفر قم بتزويد الجيش بالمعدات القتالية والأسلحة والمؤن والذخائر والترسانات والبراميل والقاذفات وحاملات الطائرات.

فيمثل الجميع لأمره ويحكمون السيطرة على العالم والكون، ويستطرد الرجل الكبير: رحلة أذهب بها في الأماني الحسان، فأحتضنها وتغرد لي الأماني، وتنهأ إذ أحتويها وتسعد بلقائي، فإذا ما الزمان طال أو كتب له القصر، ففرح أنا بقدري شره وخيره وزال الأمر العسر، وعلى قدر الاجتهاد تساق الخيرات، وبالجِد والعمل تهل البسمات، وعلى مقدار الأمنيات تحقق الآمال، وكلما اجتهدت وجدت، وبعد التعب ثمرة التعب، وبعد شروق الشمس يأتي المغيب، وصديقك حسن هو الأمل والحبیب، فانتظم يا حسن واسمع كلام رفيقك ولو كان مجنونا، فالمجنون يحن لصاحبه فلا يدلّه على الشر، بل على الخير يدلّه وينصح،

والورود في البساتين له تفتح، فحينها سيحكم عقله وقلبه ولو كان الخبل قد مسه وأصابه،
وسيتحمل الفتى همه ومصابه، يغلب حنين القلب الجنون، وصديقك الصدوق عليك حنون،
وتغلب العاطفة القوة فتلين القسوة وتروضها، حيث وحش الوحوش محمد يحمي مملكته،
فالفتى عبد المتعال يحارب الملك الغضنفر خميس ولا يخشاه ولم لا وهو وحش الوحوش
وكاسر شوكتهم، وهو مع حربه تلك لا يكره الملك الغضنفر أبدا، لكنه صدام الأبطال،
وتحقيق المراد من تلك الآمال، وجمال رفيقه إلى جواره ضاحك مستبشر ويعجب لأمر سيد
العلاق فيداعبه ويضاحكه، وإنك تشعر مع تلك الصحبة الجميلة أن الحياة كلها خير وحسن
وتألف، وسيد العلاق يهاجمهما وهذا من بعض حاله، يداعب الجميع وقلبه يحمل الطيبة،
وله شخصية لو وصفناها فرهيبة، يقسو ثم يحنو عليهما ويعيشوا في أسرة سعيدة متحابية،
وحسن يذهب إلى الغيط والحقل ومعه رفيقه كامل وعبد الرحمن صاحبهما، ينقوا اللطعة
ويزيلوها عن شجرة القطن، ويجمعوا الفجل والجرجير ويحضروا الكشك والعيش والخبز
البلدي من البيوت ذات الطوب اللبن والتي هي مدفئة في الشتاء وذات نسيمات رقيقة ملطفة
في الصيف، ويمتصوا القصب حيث سكره الجميل ينعشهم، ويعزقوا الأرض هيا يا حسن هذه
الفأس والطورية والقدومة، ويقصد بما سبق الفأس، نحن نعزق الأرض فنقلبها، هيا افعل
مثلنا يا حسن، فيبتسم ويضحك ويقول أنا فلاح ابن فلاح وعامل مجتهد مخضرم أجمع القطن
وألقي اللطعة وأزرع البذور وأحمل الطوب والرمل والحاجات والأشياء فيضحك كامل
ويحضن رفيقه في صورة مضحكة تجلب للنفس المسرة فتضحك الكائنات كما ترون وأيوب
الجميل يضحك مع حسن وكامل ويلعبون ويمرحون، وساقية الفتى عزمي لا تزال تدر الأمل
والشهد، وطاحونة رواش يا لجمالها وذلك الخير المدر منها، وإن صوت تلك الطاحونة
كالجرس الموسيقي والنغم الملهم، حيث ابنة رواش الفتاة ناعسة تساعده، إذن ناعسة الفتاة
الجميلة ليست شقيقة الابن الضال ابن النوارة، والنسر ليس زوج النوارة، هي علاقات
يجمعها حب المال والسيطرة والنفوذ والكذب، ورواش الرجل الحكيم لا يعجبه الأمر، وهم
يحاولون السيطرة عليه وخطف ابنته ناعسة، وتلك الأخيرة تذهب إلى روضة حفني، حيث
حبيبها حفني هو الذي يعطف عليها ويدير طاحونة الجميل رواش، وقيمه والمبادئ الجميلة
تعلن عن تواضعه وأخلاقه الجميلة، وتلك الطاحونة يا لها من جميلة تطحن الحبوب من
القمح، ويعتلي الجميع في مشهد مهيب قمة السفح، وظلمة تامر تخرج الخير ذهابا وتبرا
وياقوت حسن وأملا، ومدرار أحمد يدر الذهب والزمرد تدفعه قوة دوامة بحر يوسف وهنا
يقابلني الفتى مسعد فكم أنا بالحياة ولكم أسعد وحماسة في الأيك تغني لنا وعلى بيضها
الحمامة الآن ترقد والطير لو يراه فالفرح حاله فيغني في الأيكة ويغرد مسعد أحبه فما من
لائم في حب مسعد الذي يسجد لله تعالى وفي حين الفرض يؤذن له لا يتردد في الذهاب
للمسجد فهو طيب لا تفارقه بسمته فالوجه آية وفي حياته مشرق ومجدد، إن بسمه الفتى
فرج أضاعت الدنيا لقلبي، فأبصر أكثر من عيني، فللقب بصيرة، وفرج إطلالة بهية تزيح
الهم عن نفسي، فنحن في الروضة ذات الزهور والأكاليل، وبحر يوسف ينظر إلينا متهاديا

موجه، وفاطمة فوق قاربها تجلس ولا يعلم مخبأها السري أين، وقاربها صغير ويتسع ويشرق ويتألق، وخلف بيده فسيلة يهبنا إياها، نزرعها على ضفاف نهر النيل وبحر الأمل بحر يوسف، وبهلول يضحك ويرعى الزرع والغنم، وسيد العملاق غائب عن الوجدان، والملعب العملاق أعلاه من الخلف هو بمثابة حقل أمل وزرع بهيج للسيدة العجوز التي تمزق الكرة التي نلهو بها فتخطف آمالنا وتجلب أحزاننا، ونكمل اللعب بكرة أخرى، يقذفها خالد إلى أعلى وأعلى فتعاقب شوك النخيل الذي يخترقها، المغرب يؤذن له وأصعد أنا كي أجلب الكرة من وسط الشوك، يقابلني ثعبان ضخم فأقاتله وأقتله، ولكنّه لا يزال حيًّا، يلتف حول جسده ويعنصره، فيمسك بعنقه، ويبدو أنني هو، إلا لو كنت أتخيل وأنا راقد في فراشي بعدما اقتربت المنية من إحكام سيطرتها عليّ، ولكنني لا أعبأ بها، ولا أوليها اهتماما، أعتصر عنقها وهي مذهولة برد فطلي الجبار، أستمر في الصعود وأنا أباغتها بقتال دائر هو الآن بالفعل، وإذ بنمر يتسلق النخلة ويصعد صوبي، أركله فيخر صريعا مرتطما بالأرض، الرفاق يفرون وأكمل أنا رحلة الصعود إلى أعلى النخلة، وأقابل الفتى حسنا وأحضر أعواد الفجل والجرجير ويحضر هو الجبن والمش والخبز الفلاحي، ثم نربط الأكل ونضعه في صرة مدورة من القماش ونعلقه في الأرجوحة، ونكمل الصعود كي نلتقط الكرة، فنجدها وها نحن ننزرها، ونستبدل جلدها الداخلي بجلد آخر يوضع داخل الجلد الخارجي الغليظ للكرة دوما، وننفخها ونزودها بهواء الرئتين، والثعابين تسكن الخوص وجذوع النخل والسعف، فنقاتلها أنا وحسن وتلدغنا فنموت ونسقط من فوق النخلة، في حين يأتي الهدد وأبو قردان وأبو فصادة والبطريق وعقلة الإصبع وأماني والغراب وكانات الرحلة، يأتون جميعا ومعهم العشب الطبي النادر الشافي من بعد أمر الله، فنأكل العشب ونصحو من المنية ونحن نحلم ونستمتع بالجنة التي نحيا فيها وبها في هذه الرحلة بلا حدود، وإسماعيل شيخ الرحلة وفتاها الجميل كأبي عوف، هما يدلان الناس على الخير ويقولان الحق دوما، حيث تنعطف وتموج يمنا ويسرة آلة الزمان الغريبة هذه، وفي دورانها وسعيها تطلق وميضاً وضوء تغير وتتحول لصور عجيبة مريبة، وتختلط بالآزمان والأمكنة، وتدور في فلك ومسار يدفعك إلى الذهول، وملكة النحل لا تبرح تحركها وتغيرها وهي معها أينما ولت وتحولت، وصاحب العقل الراجح المتألق بنداري يديرها في حكمة بالغة، وأسامة يضبط توجهاتها ووجهاتها المتنوعة، ورجب رمانة ميزان الأمور يعقل الأمر ويسويه ويتحمل الأعباء الجسام الكبيرة صابرا وينطلق في مرونة في غابات الرحلة وأخطارها محاربا الضواري وكاسرا شوكتهم، ومحمود يتألق ويطير على جناح تلك الحمامة البيضاء المتحولة لشتى الألوان، وتراه الفتاة أماني وعقلة الإصبع شقيقها، فيشجعانه حيث هو الأمير الباسم الملتزم بكل ما هو جميل وخير، ويسبح الجميع فوق بساط الفتاة فاطمة، حيث يتوهمون أن أملا هي فاطمة، ولكن الأخيرة يجري البحث عنها في كل حذب وصوب ومكان وزمان، نهر الموت لغز كبير، والهوة المتقدة بالقرب منه، كلما اشتد لظاها أطفئه الغدير العذب، على أن الفتى بنداري تجد في شخصه وتصرفه حكمة وفي قلبه تلمس رفقا ونصيحة يود أن يهبك إياها، وهو أمير قلما

۲۶

والمفتش يبحث خلفنا ويدور ويفتش ويوشي ويحصل عليها كثيرة تلك اللطعة، وحلمي لا يرحم فهو يشدنا إلى الفلكة ويعتصرنا رجاله اعتصارا ويعلقوننا وينكب كل منهم علينا بالضرب الموجع، والفلكة تلك كالأرجوحة ولكنها للتعذيب هذه المرة، تشعر أنها يبدن ويتوسط اليدين حبل يصل بينهما، وهنا في الحقيقة ليستا يدين بل عصاه وعصاه يصل بينهما حبل غليظ، ثم يعلقونني بالحبل ويضربون قدمي ووجهي وأنحاء جسدي وأنا مقيد، فأفك القيد كما ترون، أنا عنتره بن شداد في قوته ودهانه، هذا أنا عنتره وأنتم في عصري وعهدي ومعنا الملك النعمان وعبله ومالك وشداد عمي وأبي، كل من رفاقي له نصيب من هذا العذاب، وليتها تلك الفلكة كانت أرجوحة، إذن لارتحنا من العذاب الأليم، نضربهم بالطوب والحجارة، نحن صبية صغار وصبايا وأطفال ونساء وعجائز وفتيات، أهاجمهم وأنا على الناحية الأخرى من المصرف العذب، ليتنا نجد قوت يومنا حتى يتوب الله علينا من الظالمين، هم يتقهقرون إلى الخلف وأبو قردان وأبو فصادة وعقلة الإصبع والطيور كلهم يهاجمون معنا، وحسن يبلي بلاء حسنا وسندباد وسندريلا والفتاة النبيلة وحسنا الخصال وفاطمة والرحالة والفارس المثلث تبر، حيث الأخيرة عند حقلها تروي بالطمبورة الزرع، والطمبورة هي آلة للري بسيطة المكونات واسطوانية الشكل بها تجويف لولبي بسحب المياه حين يتقلب ذلك التجويف حاملا المياه معه كما ترون وتسمى البدالة أيضا وكان وضع اليد بها والماء يتبدل من موضع لموضع كي يرفع الماء للأعلى من المصرف صوب الزرع والحقل والأرض العطشى، وساقية عزمي يديرها حمادة، وبغال وحمير وجاموس وبقر يفعلون هذا، والثعبان ذو الجوهرة المهتدي بنورها يهاجم حمادة في حقل القطن ويلدغه، يقاوم الفتى ويمسك الحية الثعبان الأفعى من ذيلها ويضربها في الشجرة حتى تموت وهي تموت وتلفظ أنفاسها، والجان يهاجمون تبرا فتهاجمهم بحلة الفارس المثلث، وتولي صوب بحيرة التماسيح كي تغرق الجان بها، فيتشكل الجان على هيئة التماسيح ويدخلون بأجسادهم، عملاقة هذه الرحلة وليس منها أحلى أحبها منذ الصبا وهي بعيون كحلى، شاطئ الخلاص قد حار فؤادي وأنا بالرحلة عليك أنادي ورجوت منك شاطئ نظرة فسافرت أنت عبر البلاد تموج بالمياه وتسبح هنالك وأصابنتي من الزمان تالله عثرة، ضللت السعي وتركت صلاتي وما تركت بدنياي أبدا أثرا وأدخل القبر فمن ينجيني من عذاب أليم لا أعلم قدره رباه اغفر لي فإني ضعيف لبت أني أتوب ولو لمرة أمضي هنالك عند الربوة ومعني تمضي تلك الهرة، وأسير في الزمن والمكان وهذا مدحت الجميل يروي زرعه وأحمد أخوه يخبز العيش ويوزعه والرجل الجميل عبد العال شجرته تطرح الخير وهو يمضي في العزبة ويقابله الرجل الجاد صاحب الحق عبد الحفيظ، ذلك المحافظ على الصلوات ولكنه يكره المزاح كي يحترم نفسه، ولا يمنعه كل ذلك من بعض المزحة في حدود الأدب، يحب النظام وهو معنا بآلة الزمان والمكان بالرحلة بلا حدود، والفتى الشاب سعد معنا وهو رجل جاد ماهر مهتم بأرضه ونشيط، وفاروق فتى جميل يحكم بالعدل وهو طيب النفس متواضع، وعزيز كلما يقابلنا يسلم علينا ويصطحبه الشاب رسمي ويصلان إلى النخلة العملاقة والتي

ثمرها وتمرها وبلحها عملاق جميل لذيق، وحمادة عند ساقية أبيه كما ترون يربط البغال والحمير والجاموس والبقر ويعلقهم بالساقية وهم يجرونها فتدر الماء والياقوت والزمرد، وسامي شاب شيخ تالله هو مبتسم دوما رقيق الطباع ويدل على الخير وأداء الصلاة والحث على الخير وتقديم النصيحة، وجرجس فتى جميل يسعى بيننا بالخير ويتم الصلح ولا يرجو سوى رضا الله تعالى في ذلك كله، وعبد المحسن الجميل والله لم أر طيبة مثل التي تسكن قلبه، وشحاتة شاب هو معنا ينير الرحلة بتواضعه وبسمته وروحه المازحة وسريع شاب على شاكلته وكلهم طيبون، وحفظي يحكي للأطفال القصص ويسليهم ويقص النوادر ويعلمهم اللغة العربية ويوزع الحلوى، وضاف الله يحبه الشيخ الداخلي والشيخ نمر، وأشرف اللؤلؤ فاكهة الرحلة هو ولطفي، وعادل الشاب الطيب يعدو سريعا وهو يبحث عن ابنته حيث يقارب في ذلك سعى أم الصغار وهي تبحث عن أبنائها اللذين تتركهم مضطرة كي تحضر لهم الغذاء، رحلة بها كل شيء، أنت بها وأنا ونحن وهم وأولئك وتلك، جمالها في عذب جداولها وتجمع أهلها على الخير، وأدب وعفة بناتها ونسائها، وحكمة عجائزها، وجميل حقولها ورياضها...و... ثم يستطرد روح الرحلة ومن يمليه شيخها وعالمها. قم فتوضأ وأدي صلاتك وعوض يا فتى ما قد فاتك، ما بعد هذا الجمال جمال فبالرحلة المحبة وبها الوصال وبها الطيار واسمه صبري طائر هو ويحبه الخيال وبه الفتاة التي طالما سعدت برفقتها وهي المنال فيا ليت كل الأمانى تحقق ويا ليت ما تمنيناها يطال وهذا ما يسعدني بالدنيا أن تبدو بها أيها الغزال فيتبسّم الغزال ويسير معي وكل ما نقوله في الرحلة يقال، رحلة بها الأمل متصل جمالها البراق لنا يصل ومعنا صابرين عند الحوض هي مثال للعفة وهي المثل ورشا في نخل الصعل وما بلغ رشا هذه الكسل واسمها رضا فتاة أخرى وهي نهر النيل وهي العسل، الرحلة بألة زمانها ومكانها معنا لا تفارقنا وملكة النحل كذا والعالم الجليل والساحر الطيب وأم الصغار والأسد والحصان والهدهد والفتاة تبر المثلثة على هيئة فارس ومحمد وحنا وجرجس وإسحاق والعم فؤاد يدق الجرس في الفسحة وأثناء حصص الدرس، والملعب الكبير لا يزال يحتضننا وملعب الجنيّة الجميل، والجنيّة هي الحديقة البهية الندية، ويقصد بها الجنان، نحن في النخل الصغير والبسمة مرتسمة فوق الشفاه وبالعيون وعلى الجباه، نلعب بكرة القدم ونتقاذفها فيما بيننا بمهارة فائقة، وعبد الدائم في خط الظهر من الملعب يدافع ببراعة عن مرمانا وينطلق كما الفهد في رشاقتة وسرعته وكالأمل الجميل في بسمته المبشرة، وخضراوي يسافر بالكرة بعيدا في الجناح الأيسر تارة والأيمن تارة أخرى وكأن الكرة تحبه وتعشقه، ملتصقة بقدمه وكأنها لا ترجو إلا هو ومستأنسة به، وعبد الرحمن تشعر معه أنك تحلق لدى عنان السماء، ووهيدي تزغرد معه الكرة وتلحن وتغني حين يتركها مهداة متنقلة بين قدميه فيرسم بها الأمل ويصوره، فالأمل معه محقق وإنه الفتى المشرق إن كنت بعيدا عنه ستحار إذا تغرق، ويضحك الفتى من بديع كلماتي وهو معجب بها، وخالد ينطلق بها وكأنه الأسد، والكرة معجبة به، فهو الفتى الهمام والمدافع المقدام، وضرغام يحاورها وتحاوره، واللؤلؤ يرسم دربها بنظرة ثاقبة ويراو غنا

جميعا فيغلبنا، وحمادة يستلمها من اللول فيراوغني ويراوغ وهيدي، نضحك معجبين
بمهارته الفائقة، ويترك هو الكرة ويقهقه، ورمانة الميزان صديقه كامل يغرد ويقصص
القصص، فالكرة رفيقته والدنيا أنيسة وحدته والرفاق روحه وعالمه، والكرة تعقد معه
الصفقات وتترك العالم وتذهب إليه، يحتضنها فتحترضه وتشرق شمسها معه، ويسافران
بعيدا، تلك التي تأسرني بجمالها الفريد هي شمس لا تغيب، وهي الود وهي الحبيب، وقمر
اكتمل بدرا فأضاء الشرفات والبقاع ونور الدنيا ببريق يخطف الألباب، زهرة هي ونعمة
وجمال ارتسم على بساتين القلوب فأثمر شجرها ومس الشغاف فأضاء نورها، هي الأمل
وليس لي سواها، سبحان من صور لنا النعم وأعطانا إياها والأرض رواها، جل وعلا حبيبنا
الله رب العالمين وأنبت تلك الزهرة الدائمة ذكرها والمعطر جوهرها ومضمونها والفواحة
بالأريج، ويجرى نهر النيل على جانبي حقولها وبخضمه ومحتواه وإنني أهواها وأهواه،
احتوت قلبي وأسرتة وهي تأسره دوما، وردة يسقيها الندى وماء نهر النيل العذب، بل هي
النيل وكل جميل، عزبة عبد الواحد أسرة فؤادي، يسير بها الفتى موسى وقد ملأ قلبه
التواضع، يرزقه الله الأمل والخير فيحمده جل وعلا باسم الشجر جميل وطيب القلب وهو
كالنهر في صفائه والزهر في رونقه وحسنه وكالغدير العذب في هدوء موجه، ورفاق لنا
بالعزبة وأهل هم أحببتنا، والعزبة هي آلة الزمان والمكان التي تحوي الدنيا والآخرة والقبور
والعصور والأزمنة والأمكنة والمسطحات المائية...و....و....، ولست أدري على أي حال
من أنا، ربما أكون أنا وربما الرحالة المتحول شكلا ومضمونا مع تحول الأزمنة الجامعة
لها آلة الزمان والمكان بالرحلة العجيبة هذه، ولا زلت أسير وإياها على جانب الكتيب الرملي
والنار تفتح الوجوه، نعدو الآن فنرى كما ترون جلال الدين وصلاح الدين ومحمدا واللؤلؤ
أشرف وعبد الرحمن وأنور رفيق الحوت العملاق و....و....، في ذلك الوادي الفسيح
المسمى عزبة عبد الواحد والقرى المجاورة لها نحن نخط ومعنا آلة الزمان والمكان، والله
كأننا طيور مهاجرة لا يتوقف سعيها ونحن بالفعل طيور مهاجرة تجلبنا الآلة ورحلتها من
أزمان مختلفة متغايرة، ومعنا ملكة النحل العملاقة والمثال الذي نحتذي به في الصبر
والتحمل والإرادة والعزيمة، والغابات على مقربة منا تهاجمنا وحوشها، نسير ومعنا القوافل
والجمال والأحصنة والفوارس والفارسات والنوق والأعلام والسفن والمدركات والزمان
نفسه والقرى والنجوع والمزارع والبساتين، والمون والعتاد التي يجمعها الملك الغضنفر
خميس، والنخل الكومي يعج بالجان والعفاريث والأهوال والقبور والأجداث والجماجم
النارية والحيوانات المفترسة، وعلى مقربة منه نخل الصعل حيث الفتاة رشا الشريرة
الطيبة، والنخل العجيب المتحول الذي تسكن سعفه وجذوعه وأدناه كائنات عجيبة
وأخرى فضائية، وبحر يوسف ملتهبة مياهه من أثر دوامته العملاقة التي يبلغ ارتفاع
موجها عنان السماء وأبعد، حيث بحر يوسف هو نهر النيل والمحيطات والمسطحات المائية
جميعها وهو الآبار والعيون والجداول والغدير العذب والهوة المتقدة وبحيرة التماسيح التي
لا يزال _ الفارس المثلث الفتاة تبر _ يخوض غمار حروبها ويمنع التماسيح والكاننات

المتوحشة من أن تصل لفاطمة والكائنات في نهر الموت الذي هو نفسه بحر يوسف العجيب، ولا يزال خضراوي وعبد الدائم ووهيدي ومحمد وسالم وخالد العملاق وإسماعيل وكامل يلعبون الكرة ويبلغون من المهارة ما لا يبلغه غيرهم ومعهم أحمد ومعتز ومحمود وعبد الرحمن و....و....، وفي الجانب المتصل بالحدث العالم الجليل وشيخ الرحلة وأم الرحلة والفارس الملثم الفتاة تبر، وملكة النحل وعقلة الإصبع والحمامة وأماني وسندريلا وسندباد والأمير المسحور وسيد العملاق وجمال وعبد المتعال وأبو الرجال وأبو عوف والطائر الرانع والفراشة التي اسمها حلل لأمك وكربل لأمك تغرقنا بالدقيق وتطير في الحقول والبساتين وطائر أبي العنز طائر اللقلق يحاول عزمي أن يصطاده فينهاه عن ذلك الجميع و....، الكل يشاهدوننا ونحن نعذب، فتغضب آلة الزمان والمكان، وتطلق وابلا من الهجوم والقاذفات، وصفائح المازوت والعجلات الحربية والبراميل المتفجرة والقاذفات الصاروخية والأسلحة البدائية والمتطورة، تعاقب المجرمين أشد العقاب، يتقلب عبد السميع وحسن وشحاتة وعاطف وجميع المجرمين في الوحل والطين، ويقعون ويتساقطون في الهوة المتقدة، ولكن نهر الموت تجرى أمواجه فيطفأ اللهب، وبحر يوسف يغمر الأرجاء كلها بمائه العذب، ونهر النيل يحنو علينا من بعد رحمة الله بنا، الكل ينجو ويتعظ الظالم ويكف عن إيذائه الغير، وفي مشاهد تجلبها آلة الزمان والمكان في وقتنا الحاضر هذا لا يزال عبد السميع يعذبنا ويضربنا معه حسن ومصطفى ومحروس وعاطف وشحاتة، نحن بالوزارة كما ترون، وزارة ترعى المحاصيل وتزرعها، ها نحن في السيارة العملاقة التي يقودها ويطير بها الشاب رافت، والأخير غليظ القلب ظاهرا وطيب باطنا، وتحط أمام السيارة جمامة بنية، لا يعلم السائق رافت هل هو الذي دهسها وقتلها أم من، وملكة النحل معنا تشاهد وترى، وتهبط وتساعد رافت في التقاط الجمامة المسكينة، والجمامة لا تزال حية وهي تشبه الحمامة. تنضم للرحلة وهي منضمة بالفعل، ثم نصل إلى المزرعة ونسميها الوزارة، فيذهب منا الفتى هاني إلى قسم البساتين، ومنا من يذهب لحرث وعزق وري الأرض، وحسن يضربنا بالكرباج والسوط، عذاب ما بعده عذاب، وعاطف يجعلنا في عجلة من أمرنا، فكل يملئ حجره وجلبابه بالقطن الأبيض، ومن يتأخر يجلد، والنوارة فرحة بعذابنا ونحن صبية صغار وصبيات، أطفال معذبون نذوق الويل، فأهجم على جميع الظلمة: _ وإن ظننتم أنني ضعيف فإنني تالله الفتى الشريف أحمد الله على كل قدر وقوتي من الحياة هذا الرغيف... والله أنا الفتى الواثق وظني بالله محقق ربي ما ظننت بك سوى الخير وأنت علي مشفق كلما تمنيت يوما حلما، فإله له محقق تنتشلني يد العناية الإلهية وأنا أغرق. وهم يتعجبون من قوله هذا الذي يتحقق للتو. فتى جميل وطيب ومحترم، حيث آلة الزمان والمكان كأنها تطوع له، يسعد بالقتل ويحمد الله على الضراء قبل السراء، يجلس إلى الطبلية وهي المائدة، يأكل الجبن والمش والفجل والجرجير والبصل، هذا إن وجدهم، فإن لم يجد فهو يأكل الحشائش، قوته تفوق كل القوى، يصارع الوحوش كما ترون، وهذا الفتى الذي يظهر كما ترون اسمه هاني وهو جميل وأهل للخير والبسمة الطبيعية النقية،

تحيط به الهوة المتقدة وهو على مشارف لظاها المتقدة، وعلى مقربة قريبة يوجد الغدير العذب والذي يهدأ اللظى لما يختلط بمياه البحر العظيم بحر يوسف والمحيطات والبحر الأخرى والأنهار ونهر النيل يرحب بكل المسطحات المائية التي تلتقي في البحر الجامع بحر يوسف، وتتحد المياه في مجرى واحد وتطفأ اللظى التي يشعلها الساحر الشرير وريمة والنسر ونوارة والخونة المجرمون. ينجو هاني من النيران وكذا الرحلة برمتها، ويأسر يشاكس كاملا فيرد عليه الأخير ويلكمه لكمة تطيح بأسنانه وضروسه ويحطم أنفه، ويكيل الكيل أضعافا للفتى ذكريا ذلك المسلط الجبار، ويأتي على رزق بلكمة أخرى، يعادونه وهو الطيب القوي، والذي يغضب فلا يبقى أحدا في مواجهته إلا وغلبه وأذله، ويعود فيصالح الجميع، وعيسى ولطفي في الرحلة أمل ومعهما والله كم يحلو العمل وملكة النحل هي حلم حياتي الآن والتو الملكة تصل تعبر البلاد والدنيا وأخرى ما كان يعرفها أبدا الكسل ومعها الحمامة والجمامة الأخرى كل منهما والله عسل، وعيسى السباح الماهر يعبر مع جلال الدين وسندباد وقبطان وملكة النحل والكاننات والملك الغضنفر وأبو عوف والفارس المثلث وإسماعيل ومحمود والفوج الطبي الطائر الباحث عن العشب الطبي،....و.....و لطفي معهم يضحكننا ومعه يمر الوقت، ولا زلنا نلعب كرة القدم في الساحة والملاعب الذي قد قسم إلى ملعبين وساحتين، والشجرة التي تسقط حبا خشنا لا زال ذاك الحب يتساقط منها، ونحن الصبية الصغار نحدد هدفا هي مرمى يتكون من جذع الشجرة مسقطة الحب الخشن في ناحية، وفي الناحية الأخرى حجر وطوبة قد وضعا فوق بعضهما البعض، وفي خلف الملعب وأعلاه يوجد حقل السيدة العجوز، تخاف على زرعها أن تذهب إليه الكرة فنصعد ونحضرها، حيث هي تسقي وتروي بالماء أرضها، وحتى إن لم تكن تسقي الزرع فهي تلتقط الكرة وتمزقها، فلا تدري أنها تمزقنا نحن وتقضي على آمالنا، فأتقدم ها أنا إليها ومعني راوي الرحلة ليكتب الأحداث في نفس أوان حدوثها، وهي تحدث الآن والآن بالتحديد، أتحدث معها وكلني ذوق وأدب واحترام:

دعينا نلعب واقتفي لنا الكرة ولا تمزقيها سيدتي الراقية، فتجدي مؤدبا ولا أثير غضبها، فتعطني الكرة، وسندباد مذهول وكذا البقية من رفاقي، وآلة الزمان والمكان بها صبري الطيار الطائر قائدها، يحيي السيدة وتحببها الكائنات، وملكة النحل تضع لها العسل في خلايا وتبني لها منحلا جميلا، وسلمى ذات الرداء الأخضر تحيي السيدة صاحبة الحقل أيضا، وأبوها النحال يفعل، تفرح السيدة بالخير الجميل الذي أرسله الله إليها، وتهبط إليها آلة الزمان والمكان، تفرح بالرحلة وتسعد، وفي القسم الآخر من الملعب يلعب الكبار، ويحاط الملعب ككل بحائط مستطيل من الطوب اللبن، والجميع فرحون مسرورون، وأمير الرحلة وشاعرها شريف معنا والبسمة مرسومة على ثغره، والرحالة يقول محبيا أبا عوف: أبا عوف إن بك جمال كيف له أن يصوره الخيال؟! فاق حسنك ما الحلم يصور أو ما تتركه بالنفس الآمال أيا دليل الرحلة إليك تحية بها المنى تبعث وتحنو الظلال وأجمل ما بالحياة أن لي بك صداقة والأخوة ولي وصال ثابت على المبدأ وهذا دأبك فأنت أنت ومهما تغير الحال

لي في الحياة أمثلة وتجارب ويكفيني أن لي بها وحدك مثال الأماني معك ها قد حققت وبلغت
أملتي وجاءني المنال أيا رفيق العمر والصاحب الذي إذا ضاق بي الأمر حل بي الخيال فخيالك
على البال وكم يترجمه ويرسمه حين أذكرك منك السؤال كم تضحكني فمن القلب بسمتي
فأنت شعاع أمل لي وأنت هلال وبدر في السماء بعدما القمر اكتمل وكلامك الجميل تبديه
الفعال. فتطيب لأبي عوف تلك الكلمات من صديقه عبد الرحمن فيقول له:

سلم عمرك عبد الرحمن، حرف جميل. فيتبسم الفتى ويرد عليه:
يا أبا عوف أنت دليلنا والأمل، وكل جمال يصل:

شاكر لك من صميم قلبي حبيبي عبد الرحمن، ويصف راوي الرحلة الأحداث وهو حاضرها
ومشارك بها حيث يقول وتلك الأحداث تقع للتو ونحن وأنتم وهم وهي وهو والكون كله
حاضرها:

أبو عوف دليل الرحلة والأمل الجميل بها، تتزين به الحياة لا ريب، وهو يسير برفقة
الدسوقي، الكائنات لا تفارقه، أينما ولى فهي مسرعة خلفه لاحقة له وسائرة إلى جواره
ومن حوله، هو والشيخ الدسوقي دليلان للخير، فمدل كل منهما عليه وفاعله، هما في بؤرة
الأحداث عند الهوة المتقدة والغدير العذب، بين النار والمياه يذكران الله، وملكة النحل تحب
أبا عوف كثيرا وكذا تحب الدسوقي والشلقامي الكفيف صاحب المتجر، فالأخير يهدي الأمل
ولا ينتظر الثمن، وكامل معهم وحسن وسلطان، ينقون القطن وتلك اللوزة المنورة المضينة
بعد الحصاد، الفلاحون جمعوا ما أفاض الله عليهم من خيرات المحاصيل المرسل إياها رب
العالمين، وتنتظر الأرض إلينا وقد تم الحصاد وهي تنادي الفقراء:

هلموا هلموا، لا زال الخير بي، نذهب جميعا فننضم للجمع الكريم وننقي ونجمع ما تبقى من
محصول وخير، الأرض لا تبخل علينا، ليمون القطن يتعرض للشمس فيخرج ما بداخله من
ذهب أبيض، في حين أننا ننظر إلى الناحية المقابلة فنرى نهر الموت حيث يعتلي موجه ذلك
القارب الصغير قارب فاطمة ذات البساط السحري ومعها ذات الرداء الأخضر سلمى،

وحسين وكامل وحسن والصبية يتمرغون في حقل القمح، ويتقلبون في لعب وضحك، ثم
يقعوا في نهر الموت، ويبتلعهم ذلك النهر، فتقوم قائمة الرحلة ولا تقعد مجريات أحداثها،
وتبحر آلة الزمان والمكان متعمقة تشق المياه صوب قعر النهر وقاعه، وتنتشل الصبية
والأطفال، حيث تلتقي بحفني وناعسة وقد غاصت روضة الفتى معهم في قاع النهر العجيب
بحر يوسف وهو ذاته المحيطات والغدير العذب وبحيرة التماسيح ومستنقع الهلاك، الراوي
يروى الأحداث في زمن وقوعها وهو المشارك معنا للتو في واقعة نهر الموت التي لا تنتهي
فصولها ومغامراتها، والرحلة بها كل زمن وكل مكان، وآلتها هي التي تحول الأحداث وتنتقل
بين الأزمنة والأمكنة جامعة إياها في حاضر نعيشه للتو، لا مقدمة ولا حدود ولا تعريفا وهنا

الشهود أمضي حياتي وأسير بروض وبحقل الحسن وبه العنقود شهود رأوا الخير جميلا
ومعهم تهدي إلينا ورود وحكم العدل يسود طويلا فمن ذا غير الحق يسود. يقول ما سبق
ويبدع، والضوء ملاحق له وساطع، والليل يمضي ونحن به، لله نسجد ونركع، نتسامر

والأنس حبيبنا، ونرفع الأكف ونتضرع، ثم يظهر الأسد تتبعه الأسود، والوحوش تليها وحوش، والجان والجماجم المرعبة وهي تقترب منا دون جسد يقيمها ويحملها، يأتوا جمعنا كي يلتهموننا، لن ندعهم يسدون جوعهم بأجسادنا ولحومنا ودمائنا، لكننا من سنلتهمهم، نحن مصاصو دماء إن لزم الأمر، وقوتهم بأمر الله غير غالبية قوتنا. وغير مسيطرة علينا، تتقهقر الوحوش والكائنات الغريبة العجيبة، فآلة الزمان والمكان بقيادة صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان تهاجمهم بالراجمات والصواريخ والقاذفات والقواعد الحربية وبالأسلحة البدائية، وأدهم يبدع أيما إبداع ويبلي بلاء حسنا، وسندباد هو الأسد الآدمي النبيل، والفارس الشجاع:

بفضل من الله أستطيع محاربتهم جميعا. ينطق بها سندباد أمام مرأى من الحشود العظيمة. والنوارة تكاد تجن، بعدما سخر لها الساحر الشرير كل أدوات القتال، وهي تنظر إلى محمد فيرق قلبها، تتمنى منه نظرة، ومع أنه يحبها من شغاف قلبه، إلا أنه لا يؤيد تصرفها الغادر وجشعها وحبها للمال والنفوذ والقوة الغاشمة والسيطرة، في حين يتقدم الفارس المثلثم الفتاة تبر، يتقدم على جواد يشق البید والغيد، وهو يسبح صوب موج نهر الموت، فيبصر الجواد سمكة وحوت مياه وسابحة وغواصة، والرحالة يصارع التماسيح ويسحبها خلفه ليشئت انتباهها عن فاطمة المسكينة صاحبة البساط السحري، يعوم الفارس المثلثم ويسبح ومعه الجواد المتحول، ثم ينقلب الجواد إلى طائرة عملاقة تبتعد وتقترب من الموج وعنه في تحولات عجيبة، وهذا ضيف معنا:

يكتب منذ الطفولة من وحي فكره ويقول، ويصبر فبعد صبره يجني وينول، فمن زرعه الأمل ينمو وينبت، وإن لزم الأمر عن قول الباطل يصمت، وفي الحق يتحدث فما بعده متحدث، وللطيور لدى أغصانها يتغنى ويهمس، يتيه في عوالم مختلفة، ويتعجب لأمر الحياة، فيترجم ما يجول بخاطره، ويمس وجدانه، ويداعب شغاف قلبه، موهوب في كل المجالات والفنون، وله بكل حذيقة ورود وغصون، وبكل روضة ثمار وعيون، مواليد الجيل الذهبي والفضي والماضي والحاضر والمستقبل ولا يكافئ قدره الذهب، ويشاركه حتى أنفاسه ذلك العجب، مرهف الحس مدرك لما يدور حوله أو لا يدرك، وفي صفحة الحياة وموجها هو قطرات تتألق، مضطرب ومتزن النفس في آن واحد، ويسلك نهج ودرب الحق دون تردد، ضاحك مستبشر وحزين يلم به الوجل، ولا تعرفه وتراه إلا ومسيطر عليه الخجل، حاصل على الأمل وتحبه القيثارة، وله في كل مجال موهبة ومهارة، محب ولا يعلم إن كان محبوبا أم غير محبوب، ولا يؤمن ويعبد إلا علام الغيوب، خيالي وواقعي، يعشق الأحلام، وطيف جميل يراوده من الابتسام، لا ينسى كما فعلوا بيت القصيد، وله جولات في ذلك وأيما رصيد، نبضه متصل بالأمل، أهلكه وأضناه العمل، معذب شارد الفكر حينا، ومداعب باقات الورد والأمل طويلا، له إنجازات من ذي قبل، وفصول وروايات خيال هو الحقيقة وله الفضل، وبارع طيب ونقي الأصل، مواهبه تفوق ما يتصوره العقل، وكل ما يخطه يمينه له ثقل، فلا مجال يوجد إلا وله به باع، وترق له القلوب وتنصت الأسماع، ولا مملكة إلا وله بساحتها ذراع، ولا

يفضله إن مضى هذا الوداع، فلاح ومؤلف وكاتب ولاعب وشاعر ورحالة ومغني وقارئ
وتعشقه المستديرة الساحرة كرة القدم...و.....،.....، ولا تميمت إياه الأحزان من فرط الندم،
إن وقع وسقط قام، وهو عالي المقام، يشدو والأمل قرينه ورفيقه، يعشق الطيور والنباتات
وكل شيء، يحزنه الأمر البسيط، ويخلق به في سماء الفرح حرف يقال له وكلمة تمس
فؤاده وشغاف قلبه، دموعه قريبة وأفكاره مريبة، شرير وطيب ومجرم ومشهور، وتترجم
ما يفيض به فكره والقلب الحروف والسطور، يعشق نهر النيل وبحر يوسف، نصيبه من
الدنيا نخيل، وأهدي إليه من روضها إكليل، يبكي فلا تحرمه من حنانها الدموع، ومن نهر
النيل وبحر يوسف له ينبوع، عزبة عبد الواحد يعشقها وهي النوارة والنسر، بؤرة الرحلة
وقلبها النابض وهي الدر، وهي أمل إن قست عليه الحياة يتحقق، والأمني الحسان في كفه
تشرق، ساحر ومسحور، وتحبه الزهور. وهي رحلة بلا حدود، ما بين بهاء الضوء وإطلالة
الورود، بها كل شيء على البال يخطر، وما يدركه العقل وما لا يتصور، وأي شيء بها
موجود، الطوفان بها وبها الأخدود، والأبناء والولدان والجدود، والبنات والنساء، والله
علينا وجود، فكرتها أن الله تعالى أول بلا بداية وآخر بلا نهاية، إذن فهي بلا حدود، لا نعلم
لها بداية ولا تتركها نهاية، وأنه جل وعلا المرجو وهو الغاية، نولد فلا ندري البدايات
الأول، أحبها ولا أزال وهي لم تزل، حيث لا بداية مع الله لأنه الوجود وموجد الوجود،
وبعناية منه تعالى وقدر مرت وتمر العهود، وخالق الكون من بفضله نطمع، ولآياته وقرآنه
ننصت ونسمع، بها آلة زمان ومكان، وبها الأنعام والجنان والحيوان، وفيها قد خلق في كبد
هذا الإنسان، وكل الأسماء وبها الطيور، والله أنا متلکم بالرحلة مسرور، والحيوانات
والأنعام والجنان ومريم، ومن الدنيا والأخطاء نحن نتعلم، الكائنات الفضائية ومحمد وسلمي،
وأقول فيها ولو أتيت لي الفرصة كلمة، وإسحاق ومريم وهذا وذاك، بالرحلة رأيتم هنا
وهناك، آلة الزمان بها تتخذ كل الهيئات والصور، وبها نتأمل فيرقب الحياة طيف البصر،
وهي تحيي الماضي والمستقبل والحاضر، فتستشرف المستقبل وتتوقعه فيؤكدده الله جل
وعلا، وتجلب الأزمنة جميعها في زمن حاضر، بها ملكة النحل وقبطان وسندباد وسندريلا
وفتة وفاطمة ذات البساط ونجاة وأحلام، وبها أم الرحلة وضرغام وأشرف، والملك الغضنفر
خميس، والفارس المثلثم الفتاة تبر والجواد الطائر والأمير، وأبعد ما يصل الخيال، وبها نخل
الصعل والنخل الكومي وطملبة تامر ومدرار أحمد الذي يدر الذهب والياقوت والمرجان
وشادوف العم عبد الصبور، وبها الفتى بطلها صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان
وحفني والفتاة ناعسة، الجميع يلتقي بها في زمن حاضر يجمع كل الأزمنة والبعث والنشور
وحياة القبور والأحداث، والآخرة والجنة والنار وكل العصور، لا نهاية لها ولا بداية، وهي
الجميلة والقاسية والمضطربة والمتزنة وهي الآية، الأحداث تشرح نفسها، فتابعوها فلن
يصيبكم الندم، ولن يشعركم بقسوته ذلك الألم، حينها ستدركون قصدي من جميل السرد،
فلكم باقات جميلة من الآمال والورد، ثم تبدو خميلة الأسرار فيقول فيها ولها ولأجلها: _
خميلة الأسرار شجرها الملتف في ظلاله الوارفة أتوارى وأقف إن لها ثمار وإني أراها في

جمال تظهر بيد أني وجف خميلة كقلبي تغشاها الحجب بين ظل لها والدجى أختلف إن قلبي
يحار بين نور وعتم وقد أقض منامي دين وسلف ثم نهر النيل جاء يعدو تجاهي منه كفي
الرقيق المنى يغترف فاطمأن فوادي حين روي الظمأ فليس بعد الصدفة هذي صدف حتى بت
سعيدا والأمل جوارى بالهناء وفرح إنى ألتحف هذي رحلة حسن فيها كل بديع بالخطيئة
كأنى فيها المعترف حبي فيها الكرة وإنى أهواها وقالوا عني الساحر لأنى محترف هلم نبض
حياتي فمك فرحة عمري نهر نيل هيا لي بموجك غرف زرع بحرك يوسف كم يزيه ثمر
مثل قطف جنان لم يصبه التلف يا حبيبة عمري ليس لي إلا ها منك لي أفراحي ومس قلبي
الشغف. عزف منفرد منك هذا يا محمد. يتبسم الفتى حين يسمع الصوت ويرى مصدره، إنه
للأمير المسحور الذي يزول للتو عنه السحر، هو جماد متجمد أعلى غصون الشجرة
وفروعها، لا يتحرك وهو يمسك بسيفه، جعله على هذه الهيئة ذلك الساحر الشرير والنورة
والنسر وريمة العجوز اللئيمة الخبيثة ومشكاح المغلوب على أمره،...يضحك الأمير ويفرح
وينتزع رمحه من جذع الشجرة دائمة الإثمار والموجودة في الخميطة الطائرة الكثير شجرها
والملتف: _ أنا سعيد جدا بك أيها الأمير المسحور فأنت الذي لم تعد مسحورا. يضحك الأمير
ويحيي محمدا ويفرح فرحا لو وزع على كائنات الرحلة بل والكون وأشمل لكفى الجميع،
وينطلق الجميع صوب قصر الفتاة نادية شقيقته أميرة القصر، ويدخل قصر أبيه وأمه وتعود
إليه ثرواته وممتلكاته، ويلتقي الفتى مصطفى وذات الأنوار وأهل درة الرحلة وزهرة الحياة
والآخرة، وحبيبة الفواد وملكة القلب عزة عبد الواحد جوهره التاج وسلطانة الزمان وأميرة
المكان. الناس يهللون ويكبرون فهم منتصرون ومستكشفو الكنوز والمقابر والذهب والتبر،
يا الله، يا لها من رحلة لا متعة توجد إلا بها، ثم يتقدم فتى يعكر صفو النصر العظيم، ويبدو
أنه مسلط علينا من قبل أهل الشر بقيادة العجوز مطاردة عوني صاحبة الشال والبيضة
السحرية البلورية والعصا المتحولة ذات الأثر الجبار والشر المدمر، ذلك الفتى يدخن لفافة
التبغ الأسطوانية الشكل بشراسة فيستفزني فألطمه على وجهه فيخر على الأرض كأنما قد
صرع ولقي المنية، وليته يلقاها، ما لي بتدخين سلبي وما ذنب كائنات الرحلة، تصرخ
النساء وترتجف الفتيات ويذهل الصبية وتلطم وجوهها الصبايا ويرتعد العجائز، ليته يلقي
حتفه بدلا عن ذلك التدخين الذي لا تطاق رائحته، تحاول الكائنات إيقاظه، ليته ينام نومته
الأخيرة، قذارة وقذرة تلك اللفافة العجيبة التي تحوي التبغ الذي يحوي بدوره مادة قابلة
للاشتعال، حقل القطن تشعل به النيران بسبب تلك اللفافة العجيبة، النيران تمتد لتطال كل
شيء، تحرق البيوت والمخازن، والذخائر تنفجر، ومستودعات الأسلحة ودور الفقراء
يقضى عليها تماما بمن وما فيها، ماذا جنينا من فعله الأحمق ذلك الغبي عبد الشهوة، ثم
أمضي حيث مياه بحر يوسف:

هلم أسرعوا واملنوا الأواني والحاويات كي نطفأ النيران، ونملأ الأواني وكل الكائنات معنا
تفعل، حرائق تدمرنا وسوء خاتمة نلقاها، يموت من يموت وينجو من كتبت له حياة جديدة:

من أوقد النار إنه قدر وعبد اللغافة وشخص خطر الحقل تموج به النيران ونحن نؤمن بأن حكم القدر والفتاة التي كانت تطبخ ما عاد ينفعها اشتعال القدر إن ما جناه الفتى اللعين وأتى به إلينا الخطر وإن نهر النيل وقت الألام وبحر يوسف لكليهما أثر يا سر الحياة قد سررت بنار فاطمأها الله وإنك لفخر أبو الرجال هناك كالأمل السعيد تطلق من فيه في الخطر النذر. ينظمها ويتأمل مهتم ولا مهمل داهية لو خط ولو كتب يهطل بالحرف والرؤى وإنه المفضل. أمير الرحلة ومؤلف حرفها شريف المبدع الفنان حيث يمدح روح الرحلة سيدنا محمدا فيقول: _ سيدنا محمد هو الأمل أحبه أنا ويحبه الكل إنه الجمال فلا يغيب فالجمال ذاك الآن يهل حين أذكر محمدا يفيض الدمع وعيوني الباكية بالدموع تبتل على النبي الكريم سلموا تسليما على الهادي البشير هلموا فصلوا الظلال الوارفة في يوم اللقاء في الأخرى تجيء وإيانا تظل والعقد العصبية ببركة أحمد وبعطر النبوة ها هي تحل. حسناء الخصال المؤمنة تمدح النبي، وتتبع سنته، تفيض الدموع فتصير سيلا وافرا ونبكي جميعا ونرجو الله أن يغفر لنا ونسأله الهدى والرزق والعق من النار ودخول الجنة، وأم الصغار بصحبة أم الرحلة تدعوان الله بأن تصل إلى أبنائها، حيث تركتهم في المغارة الصحراوية من زمن بعيد، وفي حراستهم المارد الأخضر والمتحول لكل الألوان، ولقد ضلت الطريق، وآلة الزمان والمكان تبحث عن المغارة والكهوف والزمن الذي حدث فيه ما حدث، تتقلب الآلة باحثة عن الطريق المؤدي لذلك، فتبحث في الماضي، وتعثر على أبي عوف فيدلهم بخبرته ودهائه، ويقوم بقيادة آلة الزمان والمكان ويستأذن صبري الطيار الطائر، فيغير وجهتها عن طريق آلية مدروسة صبا إليها فكره النير، وتتحول آلة الزمان أثناء بحثها إلى ما لانهاية من التحولات العجيبة، حتى يصلوا إلى ظل عملاق هو للمارد حارس الصغار، ويوجد الكهف وتلك المغارة والجبال والزرع والشجر والكانات العجيبة والأهوال معنا بالرحلة، فيصل لفكر أم الصغار وقلبه أن الصبية والصبيات أبناءها قد قضوا، لكن فجأة يظهر الأبناء وهم فوق الشجرة العالية الضخمة الكبيرة يتعلقون بأغصانها ويجلسون فوق سوقها وأوراقها ومعهم الفوج الطبي بقيادة الهدهد وأبي القردان وطائر اللقلق والغراب المسكين المضطهد والذي تنتمر عليه المخلوقات وتعيب، فتهبط الرحلة بسلام ومعها ملكة النحل والعالم الجليل وشريف مؤلف حرف الرحلة وعوض الجميل والفتى رضا والمبتسم الفتى هلال، وهنا تظهر الحديقة الجميلة التي تحوي القصر الطائر الذي توجد بها الفتاة نادية أميرة القصر، والفتاتان فتة ونجاة، إنها جنة جميلة في الآخرة والأولى، ورضا باسم وجميل وعوض الأصيل هو الخميل وهلال برفقة أبي عوف وكلاهما للرحلة دليل، وأنت بالرحلة معنا إن كنت تتيه وكل قادم أولا من بعده يليه ومن أحب شخصا لاهتمام يوليه نق قلبك من الحقد يا فتى صفيه، روح الرحلة الذي لا نعلم كونية شخصه من ينطق بما سبق، معنا بالرحلة الفتى مسامح أمسي برفقته أنا وأصبح من القلب يضحكننا ونحن نحبه وكل إناء بما يحويه تالله ينضح إن نحار في أمر فعليه يدلنا مسامح الجميل ها هو الجميع ينصح وكل ذلك والحوت لا يزال يحمل أنور ثم يتحول إلى طائر يحمله فوق جناحه، ويغوص ويتعمق ويطير به في عوالم مظلمة من أزمنة مختلفة،

ويقابلا الديناصورات والمخلوقات العجيبة، يأخذان معهما عقلة الإصبع وأماني وسلمي وذات الرداء الأخضر والكائنات وأصحاب القبور وكل شيء و.....و.....و.....، وأسفل الجميع هنالك عند الأرض يظهر الجسر الذهبي الواصل بين اليابسة وبحر يوسف، ثم يتقدم أحمد نحو مدراره المدر للماء فيشغله ويدوره، فتندفع المياه من فوهته العملاقة، والعم عبد الصبور الفتى الجميل يدير الشادوف وهو يتلو آيات القرآن فيتجمل به العصر ويتحول مع تحول آلة الزمان والمكان في الماضي والحاضر والمستقبل والقيامة والآخرة والبعث والنشور والأحداث ويقابل العم الدسوقي والشلقامي والبقوشي، حيث الجبابرة يتكالبون عليا والوحوش تهجم من كل حذب وصوب، ويتقدم وحش الوحوش عبد المتعال وهو يعتلي صهوة فرسه الأصيل، ويده سيفه وخوذته والنبلة التي تصيب هدفها، ويسير مع عنتره صوب الملك النعمان، يصطادان الوحوش البرية ويجلبان النوق العصافير مهرا لعبلة، لأن عنتره يريد الحرية والزواج من عبلة، والفتى عبد المتعال وشيبوب يبليان بلاء حسنا في الحروب المستعرة الملتهبة، ومجد وكامل يحاولان صيد الأسماك والإمساك بالقرموط العملاق، وحسن يصوب فوهة بندقيته صوب القرموط فيكون الماء حائلا دون وصول الرصاصة صوب رأسه، وظلمة تامر تدر هي الأخرى المياه المسحوبة من بحر ونهر ومحيط يوسف، والغدير العذب تعوم به الطيور، والذهب يخرج ومعه التبر وتنعم عزبة عبد الواحد درة الرحلة وجوهرة قلبي وحبشية فوادي، تنعم بما أتاها الله من خير، وذات الأنوار تتمنى الزواج من مصطفى، لكنها جنية وهو إنسي، كيف يلتقي العالمان، لا نزال نبحت عن الكنز وهو في الطريق إلينا، به الدر والياقوت والزمرد والزبرجد والتمائيل الذهبية والأخلاق الحميدة والمثل العليا ومكارم الأخلاق، وحسن هو الفاكهة لهذه الرحلة والجمال الذي أرسله الله إلينا، بطل لا يتكرر، إلى جواره في الصفوف الأولى من القتال وفي الصدارة وحش الوحوش عبد المتعال وأبو الرجال والملك الغضنفر خميس والفارس المثلث وسندباد وقبطان وسندريلا وذات الأنوار والفتاة فتة هي ونجاة، حسن محارب قديم أصيل يقود آلة الزمان والمكان بعد الاستئذان من صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان الأصلي، ولا زلنا لا نعلم أين فاطمة، نهر الموت يضمها وذلك القارب الصغير المتحول لكل الأشكال والهيئات، وهو أحد هينات آلة الزمان والمكان اللانهائية العدد والكم والكيف. إذن ما العمل سندباد؟!

أنتظر نصيحتك يا قبطان

ويا أيها الرحالة ما رأيك. ما سبق من حديث يوجهه صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان لسندباد والرحالة وقبطان والكائنات كلها وجلها، وملكة النحل تستمع وهي طائفة ولا تتوقف. فييدي كل من القادة الثلاث رأيهم، ولا يصلوا لحل، الفارس المثلث لا يزال يركب جواده ويسبح صوب الماء كي ينقذ الرحالة وفاطمة، المشهد يعيد نفسه، الرحالة حائر يدفع التماسيح ويحاربها ويغوص في المياه نحو الأعماق، يجر التماسيح خلفه نحو العمق المظلم من المياه، ونهر الموت هو بحر يوسف، يصل سندباد والرحالة وقبطان نحو العمق العجيب

من المسطحات المائية التي هي كلها قد مزجت ببحر يوسف، ومعهم نهر النيل كذا، كهوف وغرف مغلقة وأخرى مفتوحة تحت الماء في العمق السحيق، وحمادة وحسين وشداد ووهيدي واللؤلؤ أشرف العملاق الداهية الماهر الصياد معهم ومعهم سيد العملاق والداهية صلاح الدين وجلال الدين حيث لا يزال الجمع المحارب يعبر نهر الموت إلى الشاطئ الآخر وهو شاطئ الخلاص، ومصطفى صاحب الكنوز ومدرار مياه أحمد وفارس الرحلة عزمي البطل مع الجيوش المحاربة، وفاروق الحكيم وإسماعيل، وكائنات بحرية وفضائية وجان، والعجوز المخضرمة الطيبة وريمة ومشكاح، والدنيا والآخرة وكل شيء معنا بالرحلة كل في موقعه ويعلم دوره، وأبو الرجال ومعه ملكة النحل والفوج الطبي الطائر والغائص في الأعماق، الجميع هنا، إن أبا الرجال في هذه الرحلة هو الأمل والبسمة والتحدي، قائد وخبير وإنسان، من المعلمين الأوائل والقادة الخبراء، حكيم وفنان وموهوب في كل المجالات، وخميس الملك الغضنفر يعمل تحت إمرته ومشورته، فهو معلمه الخبير ومدله على الخير، وهو الراسم والمعد له الخطط الحربية، وحسن يعمل أيضا إثر توجيهاته، فحسن يحمل من الخبرة ما يؤهله ليكون أعظم القادة وهو كذلك بالفعل، خبير وداهية وعملاق حرب قلما تجد له مثيلا، أبو الرجال الفتى محروس قصة ورواية نحضرها، فهو الرحلة بلا حدود وآلة الزمان والمكان بها، يتجه في الصحراء حسبا يصور له فكره وعقله، ويستقل متن السفينة الرملية التي تسبح فوق الرمال، وتتبدل الرمال إلى ماء فتعوم السفينة، ثم تتحول إلى محلقة جميلة بجناحين وبدون جناحين، محركه الأمل ومن قبله الإيمان بالله ذلك الرجل الداهية المحنك، يتنقل عبر العصور بها، إذ تتحول للتو كما ترون إلى قطار يمشي على القضبان الحديدية، ثم يطير ويرسو كالطائر فوق بساط فاطمة ذات البساط السحري، وممدوح إلى جانبه يخوض المواقع الحربية في ثبات يحسد عليه، ويخلق في الفضاء الخارجي، فتتحول آلة الزمان والمكان إلى هينات وأشكال عجيبة، والجان يطيطون حولها ويتبعون أثرها وركابها، كائنات عظيمة عملاقة ووحوش يحاولون السيطرة على مجريات الأمور، فيسبب الله تعالى الأسباب، ويجعل أبا الرجال في موقف قوة وهو على ضفاف نهر النيل ينشد من نظمه ويقول: _ نهر النيل حبيب الفؤاد وسر الحياة إليك سلامي غفوت هنالك في شاطئيك فلا كم علي هنا من ملام ونهر الموت إذا ما يجيء كي يلقي موجك غفا كالنيام فعم السلام ربوع المكان فبين سجد نرى وقيام. يضحك نهر النيل ويتبسم لقول أبي الرجال وشعره الجميل وإبداعه المميز فيحييه، ويرد أبو الرجال عليه ببسمة تأسره، ويقول له: سر الحياة كم أحبك والجميع يحبوك، تهبنا بفضل من الله الخصرة والجمال والحياة. فيشكره النهر ويشكر ملكة النحل والكائنات، ويسرع فرحا موجه، ويحمل السفن والأنعام والطائرات والمحلقات الهوائية الفضائية والمعدات القديمة والحديثة والآليات العجيبة والغدير العذب والهوة المتقدة والعصور والشخصيات والعلماء والشيوخ والقلاع والمدن و.....و....، ويحمل القطار والحقل والأرض اليابسة. فيتعجب محروس أبو الرجال من فعل النهر، ويسبح فوق موجه مسرورا، وينظر الجميع فيروا الحمار والجحش والأتان، ومعهم يسير أبو العقيص

وهو كائن أكبر حجما من النملة، في حين يتمنى حسن أن يعوم في بحر يوسف، فيداعب أبا العقيص فيقرصه الأخير، ويتجه الجميع نحو عوني الذي تغرقه العجوز ذات البيضة البلورية والعصا والشال، عجوز لنيمة ساحرة ومعها النواراة الظالمة التي تحب محمدا الطيب، في حين أن النسر يحبها ويوقعها في دائرة شره كي تغرق بها، إن النواراة طيبة بالفطرة لكنها تتبع درب الشيطان فتجمع المال بالقوة والسرقة وتجمع النفوذ وهي متغترسة جبارة، جيوشها عظيمة وتحاول سحق أبا الرجال،،ملكة النحل تشجعه والكاننات يفعلون، والنخل الكومي يشهد الأحداث، ودوامة بحر يوسف تغور وتثور مياهها، فتحمل الأجسام إلى مسافات عالية معها، وتضطرب المحيطات بما تحوي من كائنات مائية، فتطير أسماك القرش والحيتان، وحوث أنور لا يزال يحمل الفتى أنور ويخلق به من إثر موجات دوامة بحر يوسف المتطايرة إلى أعلى، وأبو الرجال يقود آلة الزمان والمكان بدلا عن صبري الطيار الطائر، وصبري فرح سعيد مسرور، شخص غير أناني، يحترم صديقه أبا الرجال محروس البطل، يا لها من رحلة أنعم بها وأسر وأسير فرحا مغتبطا مسرورا، إنها الجنة ونحن نسبح في نهر الكوثر، ونهر النيل هو حينا ونعيمنا المعطى من رب العالمين،،تقلب آلة الزمان والمكان عبر العصر والدهور والدنيا والآخرة والبعث والنشور والماضي والحاضر والمستقبل، وهي أساس الرحلة بلا حدود، ويقودها صبري الطيار الطائر الجميل قائد آلة الزمان والمكان تحت توجيهات من صلاح الدين الفارس المخضرم والقائد الداهية وكذلك تحت إمرة أبي الرجال العملاق، ومعه كل الكائنات والجماد والطيور والحيوانات والفارس المثلث ومحمد ووهيدي وعبد الرحمن و....و....و....و الفارس المثلث الفتاة تبر كما تعلمون وهو يلوح لي ويسلم علي أنا من لا أدري من أنا، والأمير المسحور وأم الصغار وأم الرحلة وملكة النحل وعقلة الإصبع وأماني، وونرجس وجرجس وميخائيل وسحر وعمي حسن والبطريق والبطة السوداء والجمامة البنية والحمامة البيضاء، وتظهر حبيبتي فأشد لها وبها: _حبيبة القلب اسمها مريم من مريم أنا من يتعلم لي طرف إن رآها كأنما سكر وغفا عن الدنيا فهو ساهم وناهد الحلم فما لي دونه من درب أسلكه فأنا مغرم مسيحيا أحبه والله عالم ما يمنع حبه أنني مسلم ديننا المحبة دين محمد سيدنا ورسولنا وهو العالم علمه الله دونما يطلب حبيبنا المصطفى والمتعلم من ربي تعالي قد جاء علمه وقد اهتدى لدربه العاصي المجرم رحلة أواد من جمال بها إن كل ما بالرحلة متناغم حبيبة القلب هي مريم لا منها أبدا قد أسأم دونها أمل الحياة وبها كل الحياة لي مغنم ولي صديق وله بسملة تسر الفؤاد اسمه سالم في الحرب الضروس تراني مجرما وفي السلم طيب ومسالم أخوض المعامع فلا أهرب وبتحقيق الأماني أنا حالم ورشا هنالك في نخل الصعل عروس وفتاة لا تندم تقتل الجميع ولا تهتدي وفي بعض الأحيان هي البلسم والهدهد قاد الجموع هناك في الفوج الطبي وهو يحلم قد جمع الأعشاب من كل وجهة والغراب الجميل به أعلم رب الكون إذا قد بكى وطار بعيدا وهو يسلم جل الأمر لرب الكون تحيطه لو طار الأنجم وصال وسبح هناك ببحرك يوسف ويتأقلم عبد الرحمن حبيب فؤادي قد مر زماني ويتقادم يسكن قلبي حبيب حياتي جميل الطلعة وهو

قادم ننقي القطن بزرع الأمل وربى حبيبي هو الأكرم، تعبت كثيرا وما أذكر من عهدي
 الماضي يتبخر على كل أمر أحمد ربى الله تعالى أنا أشكر أنا لي صديق اسمه أنور وصديق
 أنور هو الطائر واسمه صبري هو القائد يطير يغرد يتبختر طيار وأحبه وإن معه الخير دائما
 فهو خير، أبو عوف والرحالة وجرجس وكامل معهم لا يهمس إلا أن جاءت إليه الحياة أفاق
 فغرد ويتنفس وإني بزمان فيه أتية أنفاسي حتى به تحبس قد سرت بدربي ليلا آه وسرت
 نهارا أتلصص طريقى حتى رأيت الفيل يغني إذا جننا يرقص بتلك الرحلة كل آمالي طيفها في
 ليل ناعس وناعس طرف فتاة النيل ببنت الشفة ألا تهمس أذوب بحب وليت تراني إني إذا
 عرفت مخلص: نطق بما سبق وكل به وثق فقلت له هلم هيا محمد أفق. ويذوب الفتى بحبها
 ويناجيها الغرام فقط في دخيلة نفسه، وهي النواراة الجبارة الظالمة، لكن حبه لها فاق ما
 تفعل، وهي معه ملاك جميل هادئ، لا ترى منها إلا الجمال والود وضبط النفس، يعلم محمد
 أنها شريرة، تتبع النسر وتسير على نهجه، سحروها لا تعلم أم ماذا، في حيرة نحن من
 أمرنا، حتى إذا تبسم الفتى جرجس، تبسمنا له، فنحن نحمل له الود. وأم الصغار تترك
 أبناءها وبناتها مع المارد متحول الألوان والهيئات، وهو يحرسهم في جزيرة الأمل، حيث
 أضحت الصحراء التي هم بها جزيرة أمل وواحة خضراء، بها بحر يوسف هو نهر النيل
 والمحيطات والغدير، والهوة المتقدة يعبر مداها جرجس، وأبو عوف يدل على الدرب
 الصحيح، وصبري الطيار القائد آلة الزمان والمكان. حروف اللغة ومعانيها لا تكفي
 قدره، ذلك القائد المحنك الخبير، يسلم على الملك الغضنفر خميس ووحش الوحوش الطيب
 عبد المتعال، والأخير بسمته تضيء مناطق الوادي الفسيح، وروضات الحسن البهيج، وها
 أنا أسير وتلك الفتاة العفيفة الطاهرة حيث أطوي المخاطر وأقضي على ملك الغابة الأسد كما
 يدعون، وهو معي ليس بأسد، أعتصر عنقه وأخلع مخالفه وأكسرهما وأمزق لحمه، وهو
 يحذرني، يجتمع ومجموعات الأسود والضواري ويهاجموا الفتاة يريدون التهامها وقد خاب
 ظنهم، ألقاهم واحدا تلو الآخر في الهوة المتقدة، وفوق موج الغدير العذب يسبح الفارس
 المثلث الفتاة تبر، وتمزج مياه الغدير بمياه نهر الموت وبحيرة التماسيح، وفاطمة تنادي
 وسندباد يستل حسامه وأبو الرجال الرجل الكبير محروس يلقي الضواري درسا لا ينسوه
 وهم في المعمة للتو وأنا معهم جندي مقاتل، والفارس عبد المتعال ينكب عليهم ضربا
 وطعنا من فوق فرسه، وصلاح الدين معنا برفقة جلال الدين يعبران وجنودهما نهر الموت
 ونهر السند صوب الجهة الأخرى، واللؤلؤ وعبد الرحمن وقبطان معنا محاربون أكفاء أبطال،
 والرياض ترحب بالربيع، وحسن يطوي الأحزان ويبدلها فرحا من بعد أمر الله، ولطفي
 يضحكنا وعيسى يزن الأمور بحكمة، ونادية أميرة القصر تسبح في الهواء على جناح ملكة
 النحل، وعقلة الإصبع يتنقل على أجنحة الطير، وسلمى في البستان
 مع أبيها النحال، وتتحول آلة الزمان والمكان إلى جنة خضراء ثم مركبة فضائية تتجول في
 الكون والدنيا والآخرة والبعث والنشور وقبور وأحداث النخل الكومي، حيث رشا في الجوار
 القريب في نخل الصعل الذي يسكن الجان سعفه وجريده وجذعه، والنخلة الخرساء في

النخل الصغير تطل على حديقة وبستان وروضة ممدود وممدوح، وعوني يحارب العجوز ذات البيضة البلورية والشفال المسحور. يكاد يغرق عوني: _ أنقذني أبا عوف، أكاد أهلك، وهنا يرمي نفسه ليغوص ويخوض المخاطر في مياه بحر يوسف وعند دوامته الشرسة التي تبتلع كل شيء، والبقوشي يذيقنا من العذاب ألوانا، أمسكته من عنقه بيميني، ها أنا ذا ممسك بها رقبتك تلك، يكاد يهلك، إني قاتلك لا محالة. يتخلص من قبضتي ويمسك هو بعنقي ويعتصره،..: _ أكاد أهلك، أدركني ربي، يسخر الله للفتى سندباد وقبطان والرحالة والأمير النبيل والفارس المثلث وأبا قردان والهدهد، ويقترب الغراب فيضربوه.. الغراب في ناحية منعزلة يبكي، لم يسخر القوم وتسخر الكائنات مني؟!.. هنا تبكي عليه ملكة النحل وتوبخ الجميع.. مرحبا بك أيها الغراب الجميل. فيبتسم الغراب ويشكر الملكة، وتأخذه في رحلة في خلايا النحل ومعهم حمادة ومصطفى الذي يبحث عن الأمل معهم وعن الياقوت تصطحبه ذات الأنوار في رحلة الود والورد والأمل السعيد، الغراب يسمع صوت شريف المؤلف فيضحك ويفرح،..ها نحن نتجول في الكون والمجرات والنجوم وعوالم الجان والليل والنهار، وزمن الديناصورات وأيام العلماء وجزيرة الذهب والروضة الخضراء وأبكي وأقول: _، ألم بي من بعد قوتي الألم فأنا وزرع تم حصاده عدم لكن زرعنا من الخيرات قد أعطى وأنا قضيت فما قد ينفع الندم أظن أني أبداع حين أكتبه الشعر هذا فيبكي لخيبتي القلم وهما أظن بأنني مبدع جاء ففضي علي قبل يقظتي الهم لا لي قريب أبكي حين أسمعته آلام قلبي ولا لي غيره عم أحيا وحيدا منذ النشأة الأولى ولا جمعي بمن أهواهم دم صلة الوداد بكل الناس قد قطعت وظننت أني بين جموعهم علم من ذا سيذكر حين الموت أيامي أو بعد موتي تقوى بسيرتي الهم وصديقي حمدي بالأخلاق يتصف ما بعد شيمه إن عددها شيم حين التبسم يبدو البدر في ليل والبدر لما قد يلقاه يتسم بكل حسن حتى كأن طلعه إشراق شمس سار بضوئها النسم، حتى إذا كنت وحيدا أبداع وأجيد، وإن وضعت وسط جمع من الناس ارتبكت وضاق صدري وتوقف نفسي، والإحراج سيطر علي، يبدو أنني أموت حين أواجه الناس ثم أحيا، فمتي أدخل قبوري، تبكي مجموعات الرحلة عليه وهو يعمل حيث في عهد الطفولة يعيش وتتقلب به آلة الزمان والمكان فيضحى صبيا ثم شابا، وها هو يعود للطفولة البريئة في المدرسة والمعهد والتحصيل العلمي في الكتاب، وهو الآن يطير على جناح الحمامة ومعه أخته أماني، هما في واقع وليس حلما، وفاطمة أمام عينهما تغرق في نهر الموت بحر يوسف، والفارس المثلث يصارع التماسيح المهاجمة، والأسود لا ترحم، لكن سندباد والرحالة وصبري الطيار الطائر وسيد وحسن وقبطان وعبد الرحمن وأنور وآخرون وأخريات يتصدون للهجوم، آلة الزمان والمكان تتشكل وتتحول، يا للروعة، هذا سحر وتلك عظمة وذاك جمال، في الاتحاد قوة عظيمة، آلة الزمان والمكان طائرة عملاقة متحولة يقودها صبري الطيار الطائر، ومجد بروحه الخفيفة السلسة المرحية يأخذني من الأحزان منتشلا إياي من ذلك المستنقع الحزين، ويبعدني عن الهموم فأضحك من قلبي، وحسن يترأف بحالي

فأشعر معه بأنس ومودة وصحبة وأخوة، تجاوز كل الحدود في الأدب وسمو الأخلاق والنفس، لا أعلم كيف أعيش بدون أفراد وجماعات الرحلة بلا حدود، وأبو قردان يبكي: ماذا يبكيك أيها الطائر الجميل !؟:

تجاهلونني، أنا معكم. هنا يبتسم الهدد وتضحك سندريلا وتقبل أم الصغار مبتسمة مخففة ضغط الحياة عنه، ويقبل الفلاح فيمسك بفأسه ويقلب الأرض وينقي أبو قردان الدود، ويصافح الفلاح بجناحيه ويقف فوق كتفه ورأسه، يبكي الفلاح كما ترون من فرط الفرح، والماء يجري في قناة ممدوح شقيق ممدود المنبعتة من حديقته الغناء الفيحاء الخضراء، وخيال يعبر حدود النخل الكومي عند القبر الكبير الأبيض، فيحدثه فؤاد بصوت شجي جميل ويبشره بلقاء الله تعالى، وفراج يرقد هناك مستريحا من الهم، يتحدث معهما وأبو العنز طائر اللقلق يغني ويغرد ويشارك الجميع الحوار، وملكة النحل لا يتوقف طيرانها تلك المحلقة أبداً، ويحل عزرائيل فيخطف روعي التي تخرج سهلة سلسة، أنا معهم ويبدو أنني الرحالة، الجماجم من حولنا والهياكل العظمية يكسوها اللحم، والعصفورة الصغيرة نادى عليها ونقول:

ضحكة. وكأننا نقصد تصغير كلمة ضحكة، لا أدري ماذا نقصد، قد نكسر الضاد والحاء ونسكن الياء ونرفع الكاف، صبية وصبايا في عمر الزهور الجميلة وفتيات وشباب، ونسوة ورجال وكهول وعجائز، لا أعتقد أنني أرى أجمل من عزبة عبد الواحد وشقيقتها المجاورة لها، هما وغيرهما الرحلة بلا حدود، أعيش منذ زمن وألتقي عقلة الإصبع منذ المهد والطفولة والأزل، أنا أراه الآن فهل ترونه، وأنتي أيتها الفتاة: لم أنت جميلة هكذا ؟! يلومون علي أنني أحبك. هم لا يعرفون معنى الحب البريء، وعبد الرحمن يستمع لي ويؤيد قلبي وضرغام يلومني، ولا أدري لماذا تفرقتا، وربما لم نتفرق، ولم عقلة الإصبع نحبه كل هذا الحب ؟!، وسلمى هي الجمال. هل ترونها وهي بالحديقة مع أبيها وحمادة وممدوح وحسام، ومعنا أسامة وعزمي وعزت ويحيى، الضحكة العصفورة الصغيرة تداعب أنور في الحقل الذي تم حصاده منذ برهة قليلة، ونحن فقراء نجتمع ما تبقى من المحصول بعد حصاده، حتى يقبل هذا الطاغية المجرم ويحاول أخذ ما جمعنا من بقايا الحصاد، إجرام ليس بعده إجرام، ورحت أكتب الشعر وها أنا أكتب، ونهر الموت يخفي فاطمة ويشتمل على الأحياء المائية الفتاة ويحتضنها ويأوي جمعها وكأنها جنوده، والهوة المتقدة تزداد اشتعالا،،، إن اللذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، هم غيري أحمل وهمي أعول وحمل هم الأمة النبي الرسول وإن ما تحمله رسول الله منه أنت جبال ثم تزول يبكي منه الصخر ثم تولى وكم بدا للصخر منه عويل فما للصعاب بدنيا احتمال زد في العبادة فصبر جميل والشريفة العذراء ابنها نبي ورسول واسمها مريم البتول تهز النخيل فمنه الرطب تساقط كأن حياه النخيل كنت أسعى بزمان وصديقي هناك كم أحبه دوما فهذا زميل عبرنا الزمن فهذا نبي والده نبي واسمه خليل من يعشق شيئا فحتما إليه من فرط العشق هفا ويميل سيدنا محمد حبيبي وعمري وعهد

حبه بقلبي عهد طويل تجاهلونني لأنني لي نفس تحيد عن فعل الحرام وعدلا أكيل فلا كنت
أخسر من عدلي شيئا فلي ليس يوجد أبدا مثيل وفي نخل صعل أراها هناك على جانبي
الغصون الفتاة تميل رشا ما رأيت مثيلا لحسن بدون اللقاء بحسن عليل ففي ناظريها دليل
الجمال وما بعد ذاك الدليل دليل وما قد وجدت سبيل الرشاد إذا ما دموع لليلي تسيل وإن كنت
قيسا فليلاي أنت بدونك حظي بدنيا قليل بنهر النيل إذا ما سبحت فلي عند نهر النيل خليل
تقيد نفسي ذنوب عظام إن محب الذنوب ذليل تركت الصلاة فساعت حياتي وعدت إليها رأي
السبيل بصرت الدرب ونلت الأمانى وعطر روضي بها الإكليل صلاتي صلاتي ثم الحياة
وطهر نفسي غدير ونيل ونهر النيل ابتسامة حالي ولو ما نصيبي ضئيل قليل توضحأت منه
ففرح الكيان سبحت وسبح الليل الطويل رأيت النهار فزاد اشتياقي ومر الزمان فجاء الأصيل
وفرش البدر ضياء الوصال فغادر عمري طيف ثقيل تلالاً نور في كل درب كأن أضاء الربا
القنديل لأحمد ضوى فعم الرياض ضياء تولد منها سليل، ثم ها هو يكمل روح الرحلة ويا
للجمال الذي ينساب من قوله فتتلاً الدنيا ويسعد الكيان وتغرد ملكة النحل وتحببها
سندريلا، حيث الجمال يهطل والطيور تغرد وحمادة يرعي خلايا النحل وملكة النحل
تستضيفه معها الشغالات والوصيفات والجمال، وروضة ممدود ينبع منها الماء ويسير في
القناة الجميلة محملاً بالثمار وعقلة الإصبع يستقل قاربه الجميل ومعه أمانى والكائنات
والقناة تتسع وتتسع، وسلمى مع أبيها وأمانى، وفاطمة تفترش وتفرش بساطها السحري
على وجه وصفحة المياه، وقبطان يقود القارب العجيب، وصبري الطيار الطائر معهم، حيث
القارب هو آلة الزمان والمكان، والذي يتحول ويندمج مع بساط فاطمة، ثم يتحول الجميع
إلى طائرة ونفائة وهيكل عملاق ثم طائر كبير كبير، ثم سفينة فضائية وغواصة وآلة عجيبة
تتخذ كل الصور، والعالم الجليل بها يوجه صبري هو صلاح الدين. ما هذه المتعة يا
سندريلا؟! تضحك سندريلا وتقول:

سبحان الله الذي سخر لنا كل هذا ويسخره يا سلمى، إنك تحملين في كفيك كل الكائنات
ومعهم عقلة الإصبع وأمانى، وأسامة يجلس تحت الشجرة ويحلم ولكن الحلم حقيقة جليلة
واضحة، ويقول روح الرحلة الرحالة العجيب الذي يتخذ كل الشخصيات والصور وسندباد
وقبطان والكائنات يستمعون:

نهر الموت وفيك سندباد على موجك يعلو وتعلو العباد تمر علينا في البلاد خطوب ونمر نحن
وتمضي البلاد قبطان تعال وهلم حبيبي صديق عمرك أنا عماد الرجال معنا والنساء وموسى
والصبية والصبايا ومعنا الأولاد ورشا هنالك في نخل الصعل الموت يظلمها والأعياد والنخل
الكومي ونخل الصعل والفتاة معنا واسمها سهاد وأنور معه الحوت هناك وملكة النحل
أضناها البعاد والفوج الطبي معنا يطير وما فعلناه اليوم يعاد، ويهم الجان بي فيدفعني نحو
موج بحر يوسف وهو ذاته نهر الموت، يبكي البحر وتثور مياهه، يحاول أكلي المسحور
أسفل المياه ويبتلعني، وببد طاعنة مميتة أطعنه بها في أحشائه ومعدته وها هو يقذفني، وإذا
برفاقه وعائلاته تهاجمني، كل هذا في سبيل إنقاذ فاطمة، لعل الفتاة قد قابلت الله في الآخرة

وأنا أبحث عن سراب، لكن ماذا يضير لو لحقت بها، كل أمنياتي تتركز في أنني أريد أن ألقاها ولو في الآخرة، وللآخرة خير وأبقى، تسمعه الآخرة وتنادي عليه، ولا يزال جلال الدين يعبر بجنوده بعد الهزيمة الغير متوقعة والتي مني بها من قبل السحرة وجيوش العالم الجرارة الخائنة، ولكنها هزيمة مؤقتة والويل قادم صوب أعدائه يهلكهم عن بكرة أبيهم، حتى يتقدم الملك الغضنفر خميس ويجمع جيوشه وينظمها، ويخترق حواجز المياه وأهوالها في زحف منظم، والزوارق تحمل الجند، وأبو الرجال يصوب خطأه ويوجهه ويدبر له الخطط بحكم خبراته الحربية العظيمة، وجنود جلال الدين يستقلون الجريد والألواح والدسر وجذوع النخل والأعشاب العائمة وهم يمثلون لأمر أبي الرجال الرجل الكبير محروس البطل، ثم ها هم يعبرون الجانب الآخر ويموت منهم الكثيرون وهم يصارعون الأمواج والأحياء المائية المتوحشة، وصبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان يشارك أهل الخير معركتهم ضد جنود الشر وأعدائهم، وفجأة وبتحول عجيب من آلة الزمان والمكان ومن تلقاء نفسها من بعد تدبير وقدر الله، ها هو نهر الموت يتحدث مع فاطمة ويرق لحالها فيخفيها في ظلاله، أشجار تميل عليه وإليه فتصنع ظلا تتوارى به الفتاة عن عيون الأحياء المائية والبرية المتوحشة الضارية. فتترفق به الفتاة وتحنو عليه وتقول: _ضمني ضمة الموت علي الأقي الله تائبة مطيعة فأدخل جنته. فيبتسم النهر ويقول: _ما كنت لأفعل شيئا إلا بأمر الله أيتها الفتاة فاطمة، إن الرحالة صديقي وهو يبحث عنك آناء الليل وأطراف النهار، وقد أخفى أثرك السحرة عن عيونه، ولو كان بيدي لأبلغته، لكنهم سحروني حتى أنا.. تتعجب الفتاة وهي تتمايل كتمايل الموج، وتنثر الرذاذ من شعرها الحريري فيحتضنه النهر. ثم يظهر في الأفق الرحالة وهو في لباس نظيف متناسق مع جسده الممشوق وإلى جواره يظهر سندباد وهو يقود القارب الصغير محركا مجدافيه يمنة ويسرة، في حين يتحول القارب إلى سفينة عملاقة ثم حاملة طائرات ومعدات قديمة أزلية من العهود السحيقة، في لباس الفارس تبدو تبر وفي السماء معها ظهر القمر ويمر الزمن فيبقى بدرا ومن كل السابق هذا أثر والأثر بزهر في الروضات يفوح إذا ما حل العطر وتلك شقيقة نهر النيل حبيبة قلبي الساھر مصر أرف إليها رقيق القول يحبها دوما ذاك النصر فلا من مهرب من أيام وحق علينا جميعا قدر سيلحق جمعا إن قد كان ضم جموعه تلك القصر أو قد حويت بعض بروج من قد ظهر لديهم شر، "من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا"، يقولها الشيخ فيبكي من حوله من الجمع المبارك المؤمن، وآلة الزمان والمكان تشق الغبار وتحييها الأزهار، زهور تتكلم وورود وكائنات فضائية تسبح في الفضاء وفي بحر يوسف، وكائنات حية تطير، وآلام توجع ذويها فيشفاهم الله جل وعلا ومملكة النحل تغرد كما العصافير وتقود أسرابا، وحاملات الطائرات تشق البحر والبر والسماء، هنا يستدير بجسده ذلك الرحالة كما تشاهدون ويخلق عاليا، ويضرب الأرض بقدميه ويديه، فتدفعه الأرض بدورها إلى الأعلى، ويكرر ذلك حتى تدفعه دفعة يخلق بها بعيدا في جوف السماء فيلحق بالآلة الزمان والمكان، ثم يتهادى هابطا صوب بحر يوسف

وينغمس في المياه ويسبح غائصا متجها صوب القاع، فيجد ملكة النحل تحلق في جوفه وفي وسطه وأعلاه، والحوث يحمل أنور ويشق به الموج والفضاء، وعقلة الإصبع برفقة سلمى وأميرة البحار وسندريلا الزمان ونجاة وفتة وسوسن وإلهام، والفارس المثلث وهو الفتاة تبر التي ترتدي اللثام ولباس الفارس حتى تفرز الجان وتقتلهم وتحاربهم، وعزية وأسمهان فتاتان بلغتا من الطيبة مبلغ الأوفياء الأطهار والنقيات المحترمات، ثم تتحول وتتغير آلة الزمان والمكان غير تاركة الحدث المجموع من الأزمنة الثلاث والآخرة والبعث والنشور وحياتي الجنة والنار، وإذ بالكرة تتقلب بين قدمي الشيخ عبد الدائم المحترف الجميل، فيسلمها للرحالة الذي ينطلق بها من الجناح الأيسر، ويرسلها ببساره للجناح الأيمن في براعة نادرة، ويقول محمد الذي استلمها:

خذ مني هذه عبد الرحمن. فيضحك الأخير وما لبث إلا أن وجد الكرة أمام جبهته تطير وتعاثقه، فيدفعها إلى حيث الشبكة، ولكن الحارس جمال يطير نحوها ويلتقطها كما ترون: مبدع ماهر يا جمال. ينطق بالعبارة إسماعيل الأسمر ذو الوجه السمج والروح الخفيفة. يرسلها له بيده جمال، ويتسلمها إسماعيل كما ترون فيبدع في فنونها ويراوغ أشرف الجميل ثم يسلمها لمحمد الأمير صاحب القدم اليسرى، يلتقطها الأخير كالمغناطيس.....، ويتقلب وجه الرحلة غير تارك الأحداث كلها أبداً ويقول هذا الشخص المجهول ولعله الرحالة:

وأعز ما يملك المرء من الدنيا الأب والأم والأخوة والأخوات والأصدقاء والجيران، كل هؤلاء في الرحلة، يتحمل الأب الكثير وتضحي الأم بالغالي والنفيس، يصعد درجات السلم حاملا الشكاير المليئة بالمواد الثقيلة ويحمل الطوب ومواد البناء المختلفة، من أجل لقمة عيش حلال، ها هو صالح يفعل ذلك، ويضحكنا أيضا وهو في قمة تعبته وحزنه حتى، ووهيدي الشاب الجميل يعاني الأمرين ولا يشكو، يسلم حمله لله أولا ثم إلى صديقه عبد الرحمن فيحمله الأخير ببسمة وقوة وصبر، وخلف الطيب يقوم بتعبئة مواد البناء من الرمل وخلافه، ومعنا فرج يحمل الحمل ولا يشكو تعباً، وعبد الدائم لديه من الصبر ما يوصله الجنة بعد أمر ربي جل وعلا، وأنا معهم ولست أدري من أنا؟!، أفعل مثلهم وأصبر صبرا كصبرهم، وجمال بلغ من الطيبة ما لم يبلغه غيره، نقي النفس ومخلص وموّد للصلوات، وعزوز يسعدنا بكلماته الجميلة، والأمهات في نفس المشهد يدعون لنا، والآباء يفرحون لما وصلنا إليه من مجد، وصاحب العمل يقسو علينا ويمطرنا بالسياب والضرب ففرد ها نحن عليه، عزبة جميلة وهي الرحلة بلا حدود، نخل الصعل بها ونخل نمر والمعمل الذي يحتوي الوحوش والشعابين والجان، ثم يلتقي محمد صديقه محسنا فيقول:

أنا لي صديق اسمه محسن وحسني اسمه وهو مؤمن الناس تحبه وفي أخلاقه بالخير تتحدث عنه الألسن السعادة معه فهو طيب والأمل المحقق معه ممكن بالصبر يتحلى وهو خاشع وحبه في قلبي تالله ساكن. يسمعه صديقه وهو ينظم الأبيات ويحسن الكلام فيفرح ويتعافى مما يلم به، ويسعد فيرى الآمال مقبلة والجنة آتية، فالحياة الدنيا ها هي قريبة من

الآخرة في آلة زمان ومكان لا تتوقف، والجسر الذهبي الترابي نسير عليه فيزداد جمالا، والعمار والجحش والأتان الأم وأبو العقيص ونحن والكائنات نسير جميعا فرحين، نتأمل نخل الصعل من بعيد وننظر بأمل وخوف للنخل الكومي، الحياة مرعبة هنا وجميلة أيضا، البسمات فوق الشفاه، وهياكل عظمية ودماء ولحوم متناثرة تتهدى منهالة علينا، القبور تفتح وتخرج الهياكل ويهجم علينا الجان، فيقرأ محسن القرآن للتو، فيزول الخطر بعون الله، وتعاود رشا فتاة نخل الصعل وعروسه الجميلة المتحولة، تعاود الهجوم علينا ومعها العجوز المسنة المجرمة التي تتوسط الدرب المرعب ما بين النخل الكومي ونخل الصعل، غابات تزلزل الكيان تزحف نحونا ومعها الوحوش والغفاريت والأشباح، والعجوز تلك ذات البيضة البلورية المتحولة والعصا والشال لا تزال تحاول إقناع أنور أنها والدته الطيبة، لكنه يدرك مكرها، ويعود الرحالة لرواية الأحداث وهي تحدث الآن والرحالة هو الراوي وكل شخص وكل شيء، وآلة الزمان والمكان تفاجئنا بجمع الأحداث من كل مكان وزمن في وقت حاضر الآن، وما إن يتحدث يلتقي صديقه محسنا حتى يحس بأن الدنيا مليئة بالخير والأمل، فتدرك بصيرته الكثير وينعم بصره بجمال الحياة وسحر النشأة الأولى أيام الطفولة والصبا، فمحسن هو حسني ومعهم أسامة وعامر وحزين ومصطفى ورشاد ومنصور وخليل ورضا ومداخ وضرغام وسحر وسلوى وجيهان ونادية ومصطفى وإبراهيم، ويستطرد فيلسوف الرحلة:

كيف للموت أن يفرق الجموع، هو جامعنا في الجنان وعند الحوض، الموت شيء جميل، والمرحلة الابتدائية تملك القلب والوجدان، وعامر يعارك شدادا، وشداد يواجه عامرا، صبية أطفال وصبايا صغار وصغيرات، لكنهن كبيرات عقل وفهم. دعنا نلهو في الملعب يا محسن، فيقول محسن:

أجمل الأوقات أقضيها معك يا رحالة الزمان والمكان، حبيب العمر، يا من تهون من بعد الله تعالى علي المشقات والمتاعب، وتجعل الأحزان أفراحا. يتهلل وجهه ويتسم لصديقه وللجيل كله، الجميع فرحون، وعمر وأمل معنا في كتاب المطالعة، نفقز جميعا داخل الكتاب والأحداث واقعة جليلة، هيا يا أمل، هيا نذهب لحقل خالي. هيا عمر، إنها حياة جميلة وهي الجنة، وهذه الكرنية علينا بخلعها من الأرض، عمي عثمان يحاول فلا تخرج ولا تريد أن تترك الأرض، نجتمع جميعا ونسحب الكرنية فنقع كما ترون على الأرض، الجميع يضحك والجنة تقترب منا، هذا القبر جميل لأنه بمثابة جنة تجمعنا وبها الكوثر. يتبسم سندباد ويأخذ بيد عجوز الرحلة وأمها المتفانية، ويعبر بها بعيدا عن الهوة المتقدة، ثم يتقدم حسني محسن، ويجني القطن ويصيف الزرع يجمعه بعد الحصاد، يجمع ما تبقى وما يتفتح من لوز القطن الذي يشبه قبل أن يتفتح الليمون، ونحن في زرع الفول والقطن يا زينب. نعم يا عمر، كم هي رحلة جميلة نصعد عن طريقها إلى درب الجنان ونعيم البساتين. فيضحك الصبي ويستكمل حصد المحاصيل ويذهب للعم الشلقامي الضرير، ذلك الرجل الطيب يجلس في متجره ودكانه ويسلم أمره لله مستغفرا وحامدا إياه، منتظرا للرزق والموت واللقمة الحلال،

الصبية والصبيات يحتالون عليه ويستغلون أنه كفيف، ويسرقون البضاعة، ويعطونه القطن ويخسرون الميزان، فيعطيه هو النقود، ويرى بعض الناس الواقعة فينبهونه ويعلمونه بالأمر، فيقول العم الشلقامي:

حسبي الله ونعم الوكيل. وتبكي لبيكانه أم الرحلة والعالم الجليل كذا يبكي، وشيخ الرحلة ينصح الجميع بالأمانة والعطف على الناس ومراعاة الفقير والمريض والمبتلى، وهنا يقترب الفوج الطبي الطائر بقيادة أبي فصادة والهدهد والبطريق وملكة النحل ومجموعات من الكائنات، يتقدموا محضرين العشب الطبي النادر، ويعطوه للعم حسن الضرير الشلقامي، فيرتد بصره بأمر الله، ملكة النحل سعيدة تطير هنا وهناك محتفلة بما يجري، وتغرد الطيور وتغني، ويقرأ القرآن ويتلى، ثم يقول هذا الحكيم في حدثه المكمل للجمع:

يظنون أنفسهم أحسن منا، لم ذلك الاعتقاد؟!، جميعنا عند الغدير العذب، والكنز على مقربة من واحة الأمل، ونحن نستقل القارب الصغير، والذي يتسع ويزداد اتساعا، فيشمل الكون وأبعد، وبحر يوسف هو كل مسطح مائي، مساحته لا تدرکہا الأبصار، وعلى شاطئه النخل الكومي ونخل الصعل وبستان ممدود وروضة حفني وحقل ممدود ونخل نمر، القارب الصغير بلغ المدى وتجاوز الخيال طولا واتساعا، كل الكائنات على متنه، يصير جوادا محلقا ويصير ملكة النحل العملاقة، هو الرحلة بلا حدود، ولا يزال يحتوي المخبأ السري الذي يخفي فاطمة عن عيون الوحوش والتماسيح والجان، لا زلنا في دربنا المائي والهوائي والبري والبحري صوب جزيرة الأمل وهي الفردوس وفي الأساس عزبة عبد الواحد الرحلة بلا حدود آلة الزمان والمكان. ومعنا الشاعر والمؤلف والأديب والكاتب شريف وها هو يقول:

جمعتنا الخضرة والماء المتلاطم المسيحي معنا واليهودي والمسلم كل منا لا يعلم وجهة له وقد تساوى من يعلم ومن لا يعلم في بحر يوسف من تسبح هي قلوبنا وفي نهر النيل من يذنب من يندم عدنا إليك ربي يا قابل التوب وديننا لك رب العالمين متراكم صوب جزيرة الأمل والذهب كلنا نتجه في اليم فمن يا ترى يسلم بلغنا الجزيرة الآن فمن يرى جمعنا السعيد والله بنا أعلم، ويكمل أبو قردان الحكاية وهو يحياها مع أبي فصادة والهدهد وسلمى ذات الرداء الأخضر وسوسن ونرجس وسحر وأحلام وأميرة، وفتيات أخريات كثر، والهوة المتقدة تتقلب نارها وتشتعل ويشتد لظاها، ونحن مجموعات في منطقة أعلاها تتوسطها أمم من الناس، وصخرة على أطرافها عملاقة تغلي من فرط وهج وحر الشمس، والله يرأف بنا فينزل الغيث ليطفأ لهيبها المتقد الثائر شديد العنفوان والبطش والغليان، ويصنع الشيخ الطيب حبلا ممتدا يربط بأحد طرفيه سهم عملاق تطلقه منصة دافعة فيحلق في الهواء، تمسك مجموعة منا بالحبل معلقين بروافع وحبال صغيرة تتدلى من الحبل العملاق.

والوحوش حول الصخرة تتربص بنا وتهجم وتأكل منا وتمزق الكثير، والهوة المتقدة تنتظر من يتساقط منا كي تلتهمه وتحرقه وتذيبه، وملكة النحل على ارتفاع لا نهائي في الهواء الطلق تحملني ومجموعات من الطيور والكائنات، يتمدد حجمها ويتسع فتصبح عملاقة تمثل

آلة الزمان والمكان، ومنصات إطلاق القاذفات تعمل بزر يضغظه صبري الطيار الطائر قائد
آلة الزمان والمكان، وبتوجيه من العالم الجليل وجلال الدين وصلاح الدين، وفي نفس
المشهد يسبح جلال الدين في نهر الموت ويقود جنوده في رحلة الكفاح وعدم اليأس
لاسترجاع الملك الزائل والذي سلب عن طريق الساحر الشرير والنسر وريمة والنوارة
وجنود فرعون والتتار والهكسوس وقوى الشر الغاشمة والجان والحيوانات المفترسة
والمجرمين وقطاع الطرق والخونة، ويتحول المشهد غير تارك الأحداث أبداً، فكل يسبح
ويدور في فلك الرحلة ذات آلة الزمان والمكان، حيث أمر من هنالك في غفوة من الزمان
فيتحقق حلمي. أطيّر مغرداً تارة، وتارة أخرى مكتوم الأنفاس مثقلاً صدري، لكن ملكة النحل
تطير معي تؤنس وحدتي، أستريح على جناحها فتسبح برفق طائفة، الجان يلاحقني وإني
والله لست أهرب منه، بل لأنني الفارس المثلث الذي يحاربونه وينوون النيل منه والقضاء
على فاطمة في حادثة نهر الموت التي لا تنتهي فصولها ومجريات أمورها والتي تحدث الآن
بمجرد التفكير فيها، ملكة النحل تحمل على الجناح الآخر أمني وعقلة الإصبع، والحمامة
البيضاء لا تزال تسقط تجاه نهر الموت والقارب الصغير ينادي عليها واضعاً وسادة مريحة
وأريكة سعيدة كي يستقبلها فلا تمس بأذى يذكر بأمر الله، وعبد الرحمن يدنو مني ويحاول
إنقاذي، بطل ومغوار وفارس لا يوجد بمثله زمان ولا تعرف المواقع سواه، ولا تعلم الحروب
إلا هو، ولا تدري المعارك غيره، يقاتل في ساحتها ومحيطها، يدحر العدو، وهكذا تقول
الفتاة تبر وتستطرد وهي في ملحمة الرحلة المستمرة:

أنا الفارس المثلث الذي يراوغ الأعداء، حيث الجان على عتبة وشاطئ بحيرة التماسيح التي
تختلط للتو مياهها بمياه نهر الموت، على أن القاسم المشترك لكل هذا هو بحر يوسف
الجميل، والذي يتحول لكل الأشكال والهيئات والصور، لا زلت أدير الطمبورة المائية التي
تستخرج المياه من المصرف العذب، أروي حقلي أنا الفتاة التي لا تكل ولا تمل، بستانتي
وزرعي يحتاج إلى الماء كي يروي ظمأه، وإذ بالجان كما ترون يلتف حولي، أشباح منه
وجماجم متحركة وطائفة، وهياكل عظمية تنوي التهامي، مشاهد مرعبة وأشكال تमित
الوجدان وترعب النفس، ظنوا واهمين أنني أخاف منهم، وهذا لم يحدث ولن يحدث بأمر الله،
العالم الجليل يظهر في مقر القيادة للآلة الزمكانية ومعه صبري وصلاح الدين وقبطان
وسندباد، وملكة النحل تحلق كما ترون، يرون مشهد الفتاة المثلثة وهي الفارس المثلث تبر،
ويشاركونها الحدث حيث تصارع الجان وتغلبه وتوجهه صوب بحيرة التماسيح لأن الجان
يجذب صوب اللثام الذي ترتدي إياه الفتاة تبر، فيحول العالم الجليل المشهد صوب الفارس
المثلث ويساعده في ذلك كما تشاهدون المخضرم صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان
والمكان، ونهر الموت تنور مياهه بعنف على إثر المعارك الدامية في قاعه المرعب،
وحسين واللؤلؤ وحمامة في الحجرات المظلمة ومعهم مصطفى، يستخرجون الذهب واللؤلؤ
والدر والتبر وومعهم الفارس المثلث يتخلص من التماسيح التي يتمثل بهيئتها الجان، ثم
يكمل الفارس المثلث ويستطرد:

أحداثها تدور باستمرار فكيف لا أصورها وأنا بها وقت حدوثها الآن والآن بالتحديد، فمرتبة أحداثها في قلبي، والواقع يصورها، تلك التي تمس الشغاف، بؤرة الرحلة وقلبها النابض بالخير والجمال، الليل يسكنها وقلبي لها سكن، جاوزت بها آلامي وجاوزتني المحن، عزبة يرقى بها فكري فيصل عنان السماء ويتدبر ويستكشف كل جمال وود، حبيبتي ومالي من بعد الله سواها، فالأجواء مظلمة في " عزبة عبد الواحد " مهد الخير وأميرة الزمان ودرته، لكنها منيرة بأهلها الطيبين، فالفلاح يسعى نشيطا إلى عمله وحقله، والفلاحة تربي أولادها وتزرع زرعها وتسقي بستانها، والنخل الكومي يرحب بنا بما فيه من أشجار وزهور وقبور وأحداث، ونخل الصعل يموج به الهواء موجا فيتمايل نخيله والسعف، كل سعفة يسكنها الجان، وظلمة تامر تدر الأمل والخير، ومدرار أحمد يدر الذهب والياقوت ومنبعه دوامة بحر يوسف، والنخل الصغير جميل وبه النخلة الخرساء الناطقة، تنطق بالأمل والجمال، حيث يتساقط ثمرها ورطبها في قناة حديقة ممدوح وبستان ممدود، وحمادة في البستان يرعى النحل ويربيه، والنحل لا يلدغه، وملكة النحل تداعبه وتطير به، حجمها عملاق وهي تطير بحمادة وعقلة الإصبع وكل الكائنات، وأنا معهم ومعهم ناهد وفتيات وصبايا وصبية الرحلة، ومعنا الأطفال، يا لهذا الجمال النادر، نحن في الجنة وأمانى وعقلة الإصبع يتعلقان بريشة جناح ملكة النحل، عزبة عبد الواحد سعيدة وهي مركز الكون حيث تحولت آلت إلى ذلك وأضحت جنات وأنهار وبساتين وقفارا وصحاري وفلوات، هي كل شيء وهي الحياة والأمل، حيث الموت حياة والنعم خالدة جميلة و، ولم لا ونحن بجنة ربي، لا شقاء ولا عذاب ولا نصب ولا برد ولا حر، ثم إن تحولات هذه الرحلة بلا حدود خاطفة مؤثرة مفاجئة، فالرحالة مذهول من كون فاطمة على مقربة منه ولا يستطيع الوصول إليها، فقد تحول القارب الصغير إلى سفينة مائية متهالكة تسكنها الكائنات المائية المتنوعة والأشباح والديناصورات والكائنات الدقيقة والجماجم والجثث والهياكل العظمية والكائنات الفضائية والوحوش والحيوانات العشبية المسكينة والغراب وأبو قردان وعقلة الإصبع وأمانى وسندريلا والإنسان البدائي، وكائنات هي ليست كأى كائنات، فهي متوحشة ملتزمة لأي شيء حتى الجماد نفسه، يزحف الرحالة ويعوم ويخترق الأخشاب والحواجز والقوائم ويمر من بينها ويحارب القرش والحوت والكائنات المرعبة والجان، ومعه حمادة وحسين وأشرف اللول وقبطان والفارس المثلثم، صراع دموي في قاع بحر يوسف، وآلة الزمان تسير بنا في منعطف آخر مفاجئ، حيث نأكل الذرة المشوية والمسلوقة بعدما نقطفها من أعوادها، ونقطف الزهور من أغصانها ثم نيكى، إلى أن تعاود آلة الزمان والمكان اتزانها المعيشي والزمني والمكاني، وتبكي قائلة للزهور وللناس:

حرمانها من الحياة كي نشتمها أو نتزين بها أو نهديها للحبيب، كان من الممكن أن نتركها في أفنانها تنعم بالحياة والشمس والظلال، أي جرم هذا نقترفه، الزهور مختصمة معنا ورغم ذلك لا تبخل برائحتها ولا بجمالها الأخاذ، لم أر عطاء كهذا، وسها الجميلة تضحك وتجري وتعدو فرحة ثم هي كما ترون لا تلبث إلا أن تعيد ابتسامتها وضحكتها إلى كهف الحزن

القابع في أعماق نهر الموت بحر يوسف، وفاطمة تواسيها وهي في مخبأ قارب نهر الموت المتحول، وعبد الرحمن يقول:

هيا سندباد، دعنا نستخرج الدر من تلك السفينة الغارقة، والتماسيح تسكن تلك السفينة متأهبة لالتهامنا جميعا ومنعنا من الحصول على الدرر والياقوت والمرجان وسبائك الذهب والتبر والكنوز المتنوعة الأخرى، ثم إن التبر يذوب في المياه ثم يتجمع ويجتمع وكأنه كان حي، والشعاب المرجانية تشاركنا الحدث، العالم الجليل يقود آلة الزمان والمكان ومعه صلاح الدين وصبري الطيار الطائر، والرحالة يمثل كل الشخصيات ويتقمصها، بل هو كل شيء وهو الرحلة بلا حدود، وفكره هنا هو آلة الزمان والمكان، وفائزة فتاة كلها أدب وكمال، تسير في واد آخر عني ولم تقصد البعد، بدونها الحياة لا تطاق وغربتها توجعني، بيد أنني أطمئن بروحها الملازمة لي والملتصقة بكياتي، والممتزجة بشغاف قلبي، تونس روحي ولا تفارقها، هي في الوادي الآخر المخضر الربيعي الجميل، تنادينني روحها فأنادي بدوري وأقول:

فائزة فائزة، وهي بالفعل فائزة بجنات ربي.

هل لك أن تأخذيني معك. تداعيني بكلمات ذات أدب وعفاف، ها أنا أمشي نحوها يسبقني قلبي، أموت وأحيا ثم أموت فألتقي روحها، عالم من الجمال أرسله الله لي، لا الزمان يفرق بيننا ولا المكان. رحالة عجيب تذهب روحه وتساقر في كل زمان ومكان، يجد محمدا وفريدا، ويلتقي بالقيثارة، ويحدثونه عن الموت، وناعسة وفائزة وكل الكائنات يستمعون، ينطق الرحالة وقد ألهمه فكره الكثير من حروف البوح الجميلة ويقول:

_ لا ريب أن الموت آت وإنني مهما بعدت عن المخاطر ميت بكوا هنالك عند كل مصيبة وعند النوازل يأتي صبري فأصمت قلبي يزلزل بيد أنني حينها دقات قلبي رجع لحنها خافت تلك الأسود إذا أتاني نزالها أدعو الإله أنا لربي أسجد فإذا التقيتها فمن صليل حساميا فرت ولذت بالعرين لترقد ما كنت أمدح حين بوحى نفسيا لكن أكرر ما بنفسي أردد يوما سأقضي فما بكاء لميئة من ذاق طعمها في نعيم راقد وذاك حلمي والتمني فليته كل التمني والمراد مؤكد وعند ربي كل حلم نلته يبدو بأني في حياتي مسعد وفي الجنان وهذا آخر مطلب لي عند ربي:

ليت أني مخلد. تبكي الكائنات للحنه الممتع المضيء بنور الجمال، وناعسة من روض حبيبها حفني هي الأخرى تبكي، والعالم الجليل يبدو متأثرا وهو يرشد صبري الطيار الطائر ويدله على الطريقة الصحيحة لقيادة آلة الزمان والمكان، والفارس الملثم، الفتاة تبر: لا يزال يصارع تماسيح نهر الموت الممتزجة بمياهه بحيرة التماسيح، وهو يدفع الخطر عن فاطمة وعن الرحالة المجاهد، ويحوم ويسبح حول القارب الصغير الكبير العملاق، قارب متحول لشتى الصور والألوان والأشكال، حيث لا يعلم درب فاطمة ولا مكانها، فهل هي في مخبئه السري، فلا أحد يعلم كيف يصل للمخبأ السري هذا سوى الأمير المسحور القابع هنالك عند فروع وأفنان الشجرة دائمة الإثمار، وقد سحرته وجعلته جامدا

لا يتحرك تلك العجوز الساحرة الماكثة بين نخل الصعل والنخل الكومي، تلك العجوز التي تحاول إقناع أنور أنها أمه، ولا يهتمها أو يشغل بالها ذلك الحوت الذي لا يترك أنور برا ولا بحرا ولا حتى فضاء وأرضا، ورشا على مقربة منهم جميعا تمكث في نخل الصعل، يصحو قلبها وضميرها وتتخلص من السحر ثم تتقدم صوب أنور والحوت والعجوز، وتحاول إنقاذه، وأنور هو الوحيد الذي لا تهاجمه رشا عروس نخل الصعل وفتاته الجميلة، والتي تقتل كل مار ولو عن طريق الخطأ في تلك المنطقة المسحورة المظلمة ولو في وضح النهار، وهي تبوح وتقول:

كيف التبسم وقلب المرء موجوع؟! والماء يجري وما قد فاض ينبوع والزاد حولي والخيرات والثمر وبعد ذلك شرح حالي الجوع الله ربي اقبل توبتي إن هذا الدعاء إذا من قلبي مسموع والله يعلم كل النبض في صدري ولي دبيب في أنفاسي وخشوع ولئن فرحت فذاك الضوء في وجهي له بريق إن تلقاني وسطوع ورياض حفني فيها آمالنا تبدو أفنان فيها وزهر الحسن وفروع للناس دوما ما يرجون من خير وعني فيها كل الخير ممنوع والظلم يوما ما قد حاد عن دربي لكن دعائي إلى الرحمن مرفوع قم قل لياسر لا والله لم أقصد لي حين أذنب عود الضوء ورجوع إن غاب بدر عن أنظارنا عاد للبدر بعد إذا أن عاد مشروع قد عم ضوؤه على الأرجاء قاطبة والله ربي مني الحمد وركوع. هكذا تحدث آلة الزمان والمكان بصوت رشا التي تبعد عن غفلتها وتصحو وهي تحب أنور فهو روحها والحلم الذي طالما تحلم به كل لحظة يقظة ونائمة، وعقلة الإصبع في مدينة الشمع برفقة ملكة النحل وحمادة هنالك في حديقة عزن وعزمي وممدوح، وخلايا النحل تنتج العسل فيعطيه حمادة لذات الرداء الأخضر سلمى، تلك الفتاة رائعة الجمال، والله هي الغصن الرشيق الذي يضوي ويرسم الأمل. تنظر الفتاة إلي حين تسمع كلامي وتقول هل أنت فارس أحلامي والله أنت هو، فأحس بأنني في الجنة وتفهم هي قصدي وتسمع نداء قلبي وتقول نعم أنت بالجنة يا حبيبي فتاة طاهرة نظيفة شريفة رائحتها العطر ومسلم لها الأمر وبسمتها دواني وقولها شفاني وأمضي أنا وهي فتبتسم لي وتقول منذ الطفولة والمهد وأنا أبحث عنك فأقول وأنا أبحث عنك سلمى فهل لي أن أتأمل سحرك وأشتم عبيرك وزهرك أيتها القيثار الطروب والوردة المتفتحة الهادئة أسرة الفؤاد فتضحك ويكركر صوتها ويغرد الناي في حضرتها وتغني الطيور لها وهي فرحة بغناء تلك الطيور تمسك يدي فأفرح ونعدو في الرياض والبساتين ونلتقي ناعسة ويقابلنا الفتى حفني هنالك وهنا في روضة حفني المطلة على المصرف العذب، والمصرف العذب مياهه عذبة ترحب بنا، وسلمى لا تكاد تصدق ما هي فيه من سعادة وخير فحديثها أدبا وشعرا وهمسها ودا وأملا، ومحمد يقضي وما قد قضا، ويموت ونحتسبه شهيدا، إننا معه في الجنة، قد أتى الوعد الحق، يغسلونني وأتمنى العودة كي أستغفر وأصلي وأتوب، مضت الغرغرة وأنا جثة هامدة، لكن روحي يقظة تعذب، اللهم اغفر لي وأبعد عني شرور الناس، وأبعد عني غضبي وثورتي وتجريحي للناس والبشر، كل هذا وأرو فصادة كما ترون يقف على كتفي ويحدثني، ثم يقف في كفي ولا يخشاني، يطمئن

بي ولي، صديق مخلص لي، وعقلة الإصبع وأماني، وأنا في عرض البحر، الأمواج تلتهمني، لم هي قاسية علي، أريد أن أحيا وأعيش، أبو قردان هو الآخر يدنو مني، والهدهد وملكة النحل، أيها الشاطئ البعيد ادن مني، هذا الشراع يكاد يحملني ويخفض جناحه، شاطئ الخلاص إني أحبك، فكيف الوصول إليك قل لي، أهديك عمري وما لدي، وإليك وردي وزهري وفلي، فأنا الرياض والعطر مني، وبحر يوسف وهذا فلكي، شاطئ الخلاص أكاد أغرق، ألسنت تسمع يا نهر همسي، فأنت نهر في الليل يمضي، وفي النهار تكشفه شمسي، والفارس المثلث تبر _ يتعجب مما يرى ويسمع، ويكشف عن لثامه فإذا بفتاة غاية في الجمال قد انكشف وجهها عنه، هي الحسن والأمل، وملكة النحل مذهولة من تحولات الرحلة متمثلة في آلة زمانها ومكانها، وأبو الرجال محبوب والجميع يحترمونه، وهو القائد الجميل الذي يؤدي الخير ويفعله، وخميس الملك الغضنفر كم يحبه ويبجله، ثم ها نحن نذهب وجميع الرفاق صوب الفضاء الخارجي الكوني. لا أجنحة نظير بها ولا معدات وأجهزة، الهواء بساطنا وبساط فاطمة، والفتاة نراها تتأملنا باستغراب وتعجب، لكنها تبحث في عيوننا عن الرحالة عليها تجده، والرحالة في ناحية متصلة لكنها بعيدة بعض الشيء، عند نهر الموت بالتحديد ولا يزال يبحث عنها بين الأمواج المتلاطمة حيناً والقاع العميق حيناً آخر، وهو يحدث الأمواج أن تهديها إليه من بعد توفيق الله، وملكة النحل معنا لا تفارقنا في سباحتها الحرة في كل الأوساط والوسائط، لا تنعم بنوم أبداً وإلا تنام وهي تسبح وترشدها أحلامها ويقظة فؤادها وقلبها، وتقرأ علينا آلة الزمان والمكان آيات من الذكر الحكيم، والعصفورة فوق الغصن تحيينا، ووحوش الغاب تتعاطف معنا، والفارس المثلث الفتاة تبر _ لا يزال يصارع التماسيح التي تخطت حاجز بحيرتها حين اختلطت مياه البحيرة تلك بمياه نهر الموت المهلك المغرق ذاك، وكل يشمله بحر يوسف ويشمل كل المسطحات المائية وأنهر الجنة والمحيطات والغدران والجداول والقفار والفيافي والفلوات والصحاري والحقول وكل شيء وما أبعد وما أشمل وما لا يتصور ويدرك. والكاننات الفضائية معنا وعقلة الإصبع وأماني وصبري الطيار الطائر والعملاق سيد والهدهد وأبو قردان، لا أمتع من القرآن أبداً، به تسمو الروح وينهض العقل ويفكر ويطيب جرح القلب، وترقى المشاعر وينعم الخاطر وينضبط ويحس النبض، طابت نفسي ومعها القرآن وطلبت المغفرة إذ أسمعني الأذان نداء ربي فالأماني ها قد أتت وتحققت فما بعد الإيمان إيمان ورأيت العصفورة قد قدمت إلي وتشدو كانت فتحملها الأفنان ادن من ربك فما لك غير إله الكون أيها الإنسان فتاة الصعل قد طال أنيني أشقيت الكون فخافك الثقلان أراكي هنالك في نخل الصعل والجنان حولك ويرقبك الجان وفي النخل الكومي جماجم تشدو فبريق لها ولها ألوان أبيض أن تشدو والطيور تولي؟! وعنصرة يحبه الملك النعمان وعيلة في الرحلة فما بعد جمال لعيلة البهية يشير البنان أثقلتني الدنيا ودمعي يسيل وقد سالت دموع حملها الكيان كياني سيشقي إذا لم يكن لي بروض هنالك معك مكان حبيبي تعال رأيت العذاب صنوفاً ودهراً فبكى الزمان وما قد بكيت وذل الطغاة وداوت جراحي الفتاة روان، فالقبور والأحداث في نخل الصعل لا زالت تشتعل،

والعجوز الماكرة تبلغ الفتى أنور النخل الكومي، وتمتد الحرائق من القبور سارية من نخل الصعل صوب النخل الكومي، والفرع يصيب الكثيرين، والحوث يدافع عن أنور بشراسة ويحاول قتل العجوز ذات البيضة البلورية الذهبية المتشكلة وصاحبة الشال والعصا والتعويذة المهلكة، " مهلا رفيقي، لا تقتلها " يقولها أنور للحوث فيمتثل لأمره حبا له، ولأنه يعلم أن الفتى له عقل راجح يزن به الأمور جيدا، يتبسم أنور ويحيي الحوث وملكة النحل والكائنات، في حين أن سندباد يهاجم الكائنات المفترسة ويساعده الفارس المثلث، وتدور عجلة آلة الزمان والمكان، ويأتي يوم القيامة، فنحن نزرع ما بأيدينا ونغرسه في الأرض، وعزرائيل يحصد الأرواح، ويحصد أرواحنا فنجد أنفسنا نعيش في الجنة ومعنا الحور عين والجنيات والروضات والحدائق والبساتين، ونهر النيل هو الكوثر المعسول وهو بحر يوسف شامل كل المسطحات المائية، أقول ولا أعلم هل أنا أم هو أم تلك السيدة وهذه الفتاه، الرحالة يتمثل بكل هؤلاء وشريف ينشد وهو مؤلف حرف الرحلة ويقول:

ها قد أتى يوم الهول يوم القيامة فلا من قول أصمت وهذا كتابي يمر بحول الله وليس بحول وطير يضحك ثم يغرد وكم يذهلني هذا المشهد رسول الله أتانا محمد وأشكر رب تعالى وأحمد، أمر بنخل الصعل وأعدو وقلبي يغني بفرح يشدو اكفني ربي شر النار وأبقى قريبا من أزهارى لعلني أفوز بجنة ربي وموج يسري لدى الأنهار ونهر النيل يمر بطيئا ويرسو سعيدا عند الدار. هكذا تغني الرحلة وتفرح وتسعد، وكل ما بها من كائنات يغرد، والفوج الطبي يحصل على العشب النادر الشافي من الأمراض من بعد عون الله، ثم ها نحن نلعب ونلهو تحت شجرة الجميز وتلك الشجرة الأخرى العجيبة التي يتساقط منها ثمر غريب يجعل الأرض خشنة، وفوق هذا الثمر العجيب كأننا نتدحرج، ونضع حجرا في ناحية وفي الناحية الأخرى يقف جذع الشجرة، فيصير هدفا لو مرت الكرة بين الناحيتين يحتسب هدفا، وفي الجوار ملعب كرة قدم متسع للكبار وآخر ملاصق له للصبية والأطفال، والخالة هي سيدة لو ذهبت الكرة إليها لا تعيدها بسهولة إلينا، وها أنا أذف الكرة وأركلها فتعلو وتعلو وترتفع ثم تستقر في حقل السيدة العجوز، تغضب وتثور وكأنني قد طعنتها بخنجر، فأتعامل معها وكلي أدب واحترام، وهي معجبة بطريقة حديثي معها، وكأنني ابنها، تعطيني الكرة فنلعب ونلهو، ثم يدق جرس الفسحة فيخرج التلاميذ، ها أنا ورفاقي ورفيقاتي نلهو في الملعب ونتسامر ونذهب إلى الفتى إسماعيل فنأكل ونفرح، والمعلم منصور يشجعنا والمعلم رشاد والجميع، تعاون وألفة ومحبة غامرة، ثم أخطب فيهم ها أنا بما فتح الله علي به وأقول فيسمعون وأنتم كذا تستمعون:

مشتت فكيف أكتب ومن على المنبر أخطب وكلما استجمعت قواي خارت فهي تنضب وإنني لمستمد قوتي من إلهي وله أنسب قوي به تعالى وجل فلا أرسب وأنجح بعد الكد فربي لي المكسب.

أشعر بمتعة ما بعدها متعة وأنا بهذه الرحلة المباركة الطيبة العطرة، لا معاناة ولا يأس، لا يعرفني سوى الأمل، أترك همومي لله مستعينا به ثم بالأسباب من بعد حوله وقوته، وها هي

الفتاة الصالحة تسير معي فوق الجسر الذهبي، تأمرني بعمل المعروف وتقومني، ونحن نمر بالنخل الكومي، فيهجم الموتى علينا، يصحون من رقدتهم، وجوههم مرعبة، ومعهم الوحوش والهياكل العظمية والجان، والحيوانات المفترسة تستيقظ من رقتها، إنه يوم الحشر، والدسوقي ينقي البلح ومعه كامل وعزية وسمهانة وحسن وتبر الفارس المثلث، ويوم الهول يأتي من بعيد، نيران تزحف صوبنا وهي السنة ولهب، تعلو وتعلو في السماء وتتوغل وتنتشر، وحفني لا يخشاها وكذا السيدة العجوز التي تجلس أمام دارها، ولكني أخاف هذا الهول المنتشر، العجوز تدلني وتقول:

اصعد بني إلى الأدوار العليا.

نعم، حاضر سيدتي، سأصعد للتو. تبتسم مطمئنة لي، وها أنا أصعد على حافة البيوت ثم أصل للسطح وها أنا أطير فوق الأراضي الزراعية، الجان والوحوش يدنون من قدمي ويدي، يكادون يمسون بي، أقرأ القرآن، ثم أستمع في التحليق بدون جناحين. والله أنا معذب في حياتي ودموعي قريبة وهي مسكوبة سكبا، آه آه، ثم أشد وأقول:

اسمه هاني وهو قائد وفي مجاله الجميل الفتى راند متبسم حتى أنني مما أرى من جمال به له أشهد يتخذ القرار ثم يمضي به نحو مجد عظيم فيولد من عزيمة لديه ما المرء يأمل ففكره المولود فكر متجدد والحمامة لديه على غصن له في سعادة تغني هي وترقد على بيض من جماله كأنه المنى ومن رأى الأماني حتما يسعد كنت أمر هنالك فرأيت الحمامة يجمعها وإياي المشهد المتفرد فرحت أغني وهي تسمع غنائي وشدوي والله يشهد أنني أحبها والود يجمع قلوب أناس له تسجد. ما يأتي به الله مقدر وفي الرحلة الطائر صبري وكلكم يعلم من هو قائد آلة زمن ومكان تؤثر أن تظل وحيدة وما هي بوحيدة بل هي الحسن الذي إليه أنظر معها يحيا الناس سعداء وإنهم يختارون الصعاب ويسعدهم الأيسر وهاني بها وكم أعجب له قطعا هو ما لا يتصور ضاحك وإن أملت النازلات به وإن أتت الملمات مستبشر ورشا أميرة رغم شر بها وهادئة وإن جن جنونها الثائر جميلة حتى أنني من حسننها وفرط جمال بها متأثر والرحلة من عجبها لا أكاد أصدق أن البريق بها كعطر ينثر سائل أكتب وإن قطار الموت داهم عمري ونفسي فصرت من يقبر فعشمتي في الله أن أدخل جنته وأملني بعفوه قريب وأكبر مما أراه من حلم حين يقظتي أنا أظل أحلم بلقائها وأسهر تلك الحبيبة هي أيام فرحتي في ركابها أمشي ولو السماء تمطر معذب فيك يا حياتي وغايتي ومن يؤنس وحدتي النيل الأسمر والموكب الطبي هو طائر وبرفته إن حل أو سافر العشب الأخضر وعوني تطارده العجوز الساحرة وكأنه من سحرها يرتوي فيسكر، كفانا الله شر الظلم والظالمين، والحكم على الأمور من ظاهرها وليس باطنها، فالعالم بالنية الله تعالى، كن معه جل وعلا وستذهل من عطائه وجبره، ودعك من حكم الناس عليك، سيظهر الله الحقيقة جلية وواضحة للناس كي يفتنوا إلى خطئهم، اعلم أنك ستكون في القبر وحيدا فاعمل لهذه اللحظة التي حتما ستأتي، هي الشيء المضمون الحدوث والمقدر والمكتوب على كل حي له قلب ينبض، وحينما يكون المرء في ضائقة يلجأ لله، وهو ذاته لما يكون في فسحة من أمره وسعة يتبع

هواه، وكذلك هو حال ذاتي ونفسي، حينما يحاصرني الموت أخشاه، لكنني للتو أواجهه لأن عملي صالح وأتمنى لقاء رب العالمين، مالي أخشى الموت فإن آمنت بالله لا أخشاه. هكذا يتحدث الرحالة وتوسوس له نفسه، وحسنا الخصال تشعر به وبمعاناته فتخفف عنه، وهما يسيران على جانب من الكتيب الرملي، وينتهي إلى وادي الموت فيرون الأشلاء، ثم تدب الروح بها كما ترون فتبعث أمم من القبور، اليوم يوم الحساب وها هو النشور، نخرج من الأحداث كأننا جراد منتشر مهطعين إلى الداعي، الحدايق حولنا والبساتين تظهر فجأة لأننا من أهل الجنة، ما رأينا شقاء في الدنيا قط، أبكي وأتضرع إلى الله أن أكون من أهل الجنة، وها هي توزن أعمالنا ويا للمسرة التي تتبادر إلى نفسي، نعب الصراط جميعا ونرى مقاعدنا من الجنة، حسناء الخصال مذهولة، الرحلة بلا حدود تزور الجنة والنعيم والفردوس، ثم تعود بنا آلة الزمان والمكان، تعود للحياة الدنيا ونرى الأتان والحمار والجحش وأبا العقيص يسرون على الجسر الذهبي الترابي الواصل بين عزبة عبد الواحد ونخل الصعل والنخل الكومي، وتهجم علينا جماجم الموتى وهيكلها العظمية، في حين لا يزال أحمد يسقي زرعه وحقول الناس بالماء من مدرار جميل يستخرج الماء من بحر ونهر ومحيط وجدول يوسف، والدر والذهب والياقوت والمرجان مع الماء في حالة من التناثر الذهبي، ثم نتجه عائدين صوب الجسر الذهبي بعد الفرار من الهلاك والعذاب، والحمار يلوم علينا ومعه ابنه الجحش وزوجته الأتان، ثم يعلمنا أبو العقيص العوم والسباحة، يلوم علينا ذلك الحمار يا حسناء الخصال لأننا لم نهتم به ولم نضع له الغذاء والشرب ولا الطعام والزاد، فتقول حسناء الخصال بعدما تؤيد رأى الرحالة:

أيا ليت يسامحنا الحمار جبارون ما هو جبار نحمل القليل فنشكو ونبكي ومحمولة عليه الأسفار فلنا منه أن يحتمل وليس له منا خيار نعيب عليه وها نحن نلهو وما له من الآلام واللوم فرار نضربه حتى يئن وحيدا والمنتقم منا الله الجبار ها هم رفاقي يغرسون شوكا في جسد المسكين والدمع مدرار لكنه دمع لا يظهر أبدا ما منعه لو علم تلك الأسوار والله لكأن اجتاز مداها إن هذا الفعل منا لعار، ثم إنني أحمل أثقالا لا قبل لأحد بحملها، ولست بحمار، ولا أعيب الحمار أو أقلل منه بالطبع، هو يحمل الأسفار ولا يشتكي، وينسى صاحبه أن يطعمه ويسقيه فلا يتكلم، ومن الناس من يعيب عليه، وهو خلق من خلق الله فاطر السماوات والأرض، إنه أمامي ها هو يأكل ويشرب، فألقي عليه التحية فيرد صامتا أو بإيماءات وإشارات ويتحدث معي أيضا ويحاورني، حيوان مسكين، واجبنا العطف عليه، رفاقي يضربونه ألا ترون؟! نعم نرى كل شيء.

هل يعجبكم هذا ؟

لا بالطبع. حرف لطالما أود أن أراه فأشعر به، وحتى إن لم أراه فساكن وجداني، ومبهج كياني، هو نور بصيرتي وضياء نفسي، ذاك الحرف الذي يصدر منك ولو بالهمس توأم روحي، لا أصبر حتى يتركني الشعر لأنه يغضب من هجري السطر والكلمة تبكي على

أحوالي ويعزيني لو قضيت هذا الحرف سأكتب حتى يتوقف نبضي فيعود من جديد يلمحه
البصر وبصيرة قلبي هي من تخبريني قبلما يعلمني هذا الخبر ويهب ضميري من بعد رقاد
ويوقظني للصلاة ذلك الفجر أنور شقيقي وحبيب الروح وهذا لي والله فخر وأنت حبيبي من
معي الآن والله معي ويفدك العمر والروح كذلك هي ملك يمين لك يا أيامي وتحبك مصر، ثم
إنه لا يتركني الجان وهو يمتص دمي تساعده الوحوش والهياكل العظمية في النخل الكومي
ونخل الصعل المتقد من لهيب جهنم المستعرة المتمثلة في الهوة المتقدة، والنخل يتمايل
بسعفه وخوصه وجريده حاملا الجان، والمسيطرة على الموقف هي رشا، والتي تنفث النار
من فمها المعطر الجميل، كيف يحدث هذا، لا نجد تفسيراً ولا رداً، فالفتاة في قمة الجمال وما
تفعله على النقيض من رقتها وجمالها، الكائنات مذهولة مندهشة، وصبري الطيار الطائر
قائد آلة الزمان والمكان _ يوجه دفة الآلة الزمكانية العجيبة صوب الخير فلا تجمع سوى
الشر، جيوش من كل زمان ومكان تصرعنا، ثم ها هو يتقدم الفارس البطل والملك الغضنفر
بجيوشه كي يصد اعتدائها، وما يحدث ها هنا تشيب له الولدان وغيرها، وسيارة وجرار
القصب يعبر الدرب على القضبان الحديدية، ولا نجد ما نأكله من الأساس، لكن لو فرنا
بأعواد من القصب يا محمد، اللهم حقق حلمنا، فيتمنى محمد تحقيق هذا ويقول:

هذا حلمي يا رحالة، يوجد بعض الطعام متمثلاً في خير الأرض، لكننا لو أكلنا وطعمنا منه
دون إذن صاحبه لأصبح ذلك حراماً ولأضحى ذنباً،... صاحب الحقل الطيب يسمعهما ويشفق
عليهما، ويظهر فجأة ويلقي عليهما السلام فيطمئنان له، وفي الناحية الأخرى يظهر الفلاح
غليظ القلب جاف الطباع مغتافاً مقهوراً من معاملة الرجل الطيب لهما، حيث يعطيها من
خيرات الأرض، وفي نفس المشهد يظهر الجحش الصغير وهو يعدو سريعاً كأنه يفر من
الزحف تاركاً كاملاً المسكين ومحمداً في القالوح في بلدة الأشباح، وبرفته أبوه الحمار وأمه
الأتان، ولا يعلم لماذا تركاهما في المعمة والنار هنالك، فيرد الحمار أنهم لا قبل لهم ببطش
صاحب حقل القصب، والقمر لا يعجبه الحديث ومع ذلك يكتمل بدراً لعله ينير الدرب لكامل
ورفيقه، فقد نجيا من بطش الظالمين، والحدث الملاصق يدير نفسه بتصرف من آلة الزمان
والمكان العجيبة، حيث الرحالة عبد الرحمن هو القاسم المشترك لاتصال الأحداث، وهممت
أنا عبد الرحمن الرحالة أعدو حتى بلغت أعلى الربوة، والطيار صبري وعبد الرحمن الآخر
ها هما هنا أعلاها، أقيت عليهما السلام فردا كما تسمعون، فاصطحبت كليهما حيث الكهف
المهجور ومعنا الكائنات، ورحت أعانق الأسد معانقة المنية، إما يغلبني أو أقهره، وإني
لمنتصر عليه بأمر الله، حيث يقول لي:

أنا من كنت تحملي حين كنت مصاباً. فضحكت وتركت مبارزته والشجار والعراك معه،
وقلت له:

هل لك أن تنضم إلينا. فتبسم الأسد مرحباً، ثم دعاني لأن أمتطيه كالخيل ففعلت، وعائلته
الوحشية ترى ما يحدث وعيونهم تتقد شرراً، والملك الغضنفر خميس يجر جيوشه ويسوقها
ملتحماً معنا في الجيش الكوني الجرار بقيادة أبي الرجال الرجل الكبير محروس، فرحنا

نقاتل الأعداء وها نحن نفعل كما ترون، قتال ضار ومتقد ذا شرر ولهب، ولا يزال عبد الرحمن يدافع عن صديقه الرحالة ويحميه من بعد الله، والغابة مشتعلة بالقتال الدامي، والأرض مزلزلة تنتفض، والزبد يقطر من أشداق الوحوش المتأهبة لالتهامنا، ومحمد يبهره الله من التهم والقول الفاحش ويظهر حقيقة الأمر، والفارس المثلث الفتاة تبر. لا يزال يقاتل الوحوش والتماسيح في نهر الموت المختلط موجه بموج بحيرة التماسيح، ورحلت أنا وشرعت أهدأ من روع محمد فيما قيل عنه من افتراء وكذب، فبدت البسمة على محياه وقد رسا على شاطئ الخلاص، فأمواج بلا شاطئ أين المرسى، وعين تدمع وقلب يخشى، وأمل يضيع وأحلام تترأ، وأحيا أنا على هذه الفطرة، شاطئ الخلاص أعياني الفراق، ومنك أرجو شاطئي نظرة ما همك محمد من الخلق افتراء فانت الوفاء وأنت النقاء إن جنوا عليك فالله رحيم يرأف بحالك فهو المعطاء ما فعلت العيب وكلهم عيوب فمك الجمال ومنك الوفاء يسترك الله في الدنيا وأني أحمل لك المودة والأصدقاء أحسبك النقي وهذا يقيني ويرنو إليك ذاك النقاء فانت الرياض وحقل النسيم ونهر النيل وهذا اللقاء يتم الآن برحلة سعد ما بعد خوضها أبدا شقاء بل في رحابها نيل الأمان ومن يدنو منها شفاه الشفاء. يسر الفتى أيما سرور بعدما أظهر الله الحق ونصره، وجميع الكائنات تهنئه وتسعد له وتغمرها الفرحة، ثم لا تترك الرحلة بألة زمانها ومكانها الحدث، بل تجره معها وتتقلب في الأزمنة والأمكنة فتجعلها متحدة في حاضر نحياه الآن، وملكة النحل نستأنس بها وبتحليقها الأبدى السرمدي، تتخطى كل حدود الأزمنة والأمكنة والدنيا والآخرة والكون، وتدور آلة الزمان والمكان معها، بل هي آلة الزمان والمكان في هذه اللحظة، وترانا ومعها الكائنات ونحن نهرب من العمل القاسي الصعب والمميت، وكلما نظر ضرغام إلى رفيقيه أثناء الهروب من العمل ضحك وأضحكهما، فرييس الأنفار " الخولي " " عبد السميع"، تهرب منه حتى الوحوش الضارية، وعصاه لا ترحم أحدا، هنا آلة الزمان والمكان تستكشف الأمر وتحضر الواقعة، محمد مسالم وكذا ضرغام وكامل، رفقاء ثلاثة لم يحتملوا قسوة المجرم الطاغية، وهم يلقون عليه الحجارة والطوب، وهو يوجعهم ضربا وسبا، والسب والقذف واللعن ولعن الدين أكثر أثرا من القتل نفسه، يلهب أجسادهم ويكويهم ويلهبهم بالنار، ويكوي جنوبهم حتى، والشمس تأكل من أجسادهم ووجوههم وقلوبهم، العذاب من كل جهة ووجهة، طفح الكيل ونفذ الصبر، ها هم يشبعون عبد السميع رميا بالحجارة وطوب وطين الأرض، وأسماك القرموط لا تزال _ كما ترون وتشاهدون _ تسبح في القناة المانية العجيبة، وهم يهرولون عكس اتجاهها، يسلكون طريق البستان وهم يطلقون عليها البساتين، يأكلون من ثمار عين البقر المتساقطة تحت الأشجار، ويلتقون الجان فينالون منهم اللعنة والمطاردة، فيردون على الجان هؤلاء بتلاوة آيات من القرآن الكريم، ويلمحون الرجل الطيب الذي يأتي بالصبية والصبيات والأطفال للعمل في المزرعة، ويطلق على المزرعة كلمة الوزارة، ونحن نقصد وزارة الزراعة، نسير بين الحقول والبساتين ويرانا بهلول وعاطف، فنلقي السلام عليهما، فيردان السلام ويتمنيان الذهاب معنا، نحن نسير بلا

وجهة ولا هدف، لكننا ننوي الآن أن نبحث عن عمل، فنعبّر نهر الموت ومحيط الهلاك طائرين محلقين، فنلتقي رجلا يريد أن يصعد بعض الرمل والطوب إلى الأدوار السكنية العليا، فيرحب بنا حين نطلب منه في البداية العمل، ضرغام وكامل ومحمد صبية صغار، الحياة ثقيلة عليهم، وما يروونه من عذاب في مكان العمل في الوزارة أثقل كاهلهم وجعل دموعهم مدرار حزن ووجل كما ترون، لكن الآن يتبدل الحزن إلى مسرة، وتتبعهم في دروبهم تلك الهرة، ويبغون العيش في أمان وفرح، تالله في حياتهم ولو مرة، ولكن فتى الرحلة الجميل وهو الرحالة يحاول التخفيف عنهم فيقول:

من يستنصر بالله فالله ناصر والثمر على أفئاته جميل وناصر ستلقون الهناء فالصبر طيب والمرء لو صبر ثرى وموسر ماذا بعدكم يا رفاق حياتي من هذه الحياة أفقد وأخسر أعيتني الحياة والهموم الكواسر وأعلم أنني لا ريب خاسر طالما أتبع شهوات جلها قد مشيت بدربها فلا أبصر وجمعت المعاصي من كل وجهة فالكثير أجمعه ويلحقتي النادر لكن في دربي كم أبصر أنور وإن لم أبصره يبصرني أنور كم قلت أنني الغريب وإنه قد صدق قلبي وما أنذر شقيق هداني به رب كون أصلي لربي ولربي أشكر وفي ناظري إذا ما ارتحلت صبري المسافرين والطائر قائد آلة زمن وكون وما حار خلي وأنا الحائر رضا من أحب وفي كل وقت إذا ما يمر أنا أنظر فيلقي السلام وفي موطنه من الخير كل يستكثر وفي نخل الصعل رشا تلتقيه فأيات ربي لها أنهر لعل تتوب إذا تغتسل في ذات موجهها أو تبحر وأشرف يسبح في مقتلته فيوسف بحر له يسهر على شاطئيه طوال الزمان ولو ما أسود الفلاة تزار.

لا أعلم ما سر جمال حرفك وما هذه المتعة التي نشعر بها ونحن معك بالرحلة، ثم ها هو يتلو مجود الرحلة وقارئ آيات قرآنها:

" يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ". صدق رب العالمين جل وعلا، آية كريمة جميلة ككل الآيات المذكورة في كتابه سبحانه وتعالى، تقول لنا وترشدنا أن نكتب الدين، وأن يكتبه كاتب بالعدل وكما علمه الله تعالى، والشيخ من يشرح ويقص وينبأ ويفسر ويبسط، كاتب جميل يشترك معنا في الرحلة المباركة بلا حدود، وتتحول آلة الزمان والمكان لتضحى قرآنا كريما " لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد " صدق الله العظيم. وتتحول الآلة وتتشكل لتصبح ربيعا وجمالا وخضرة وحسنا، الفتى صديقي " عبد الرحمن " ..هيا انطلق ولا تخف، واحك لنا ما ترى وتشاهد ولا تنصرف، أو لا تقص فنحن معك نرى ونشارك ونسمع، وبالربيع والحياة نسر ونتمتع، هكذا كل الكائنات تحدث. فيضحك الفتى ويبتسم ويغني ويغفو ويلعب ويسهر ويزور الأزمنة برفقة " صبري الطيار الطائر " و" الملك الغضنفر خميس "، و" العملاق سيد " و" رئيس الأنفار والعمال " و" العالم الجليل " و" أم الرحلة " و" أم الصغار " وتلك الأخيرة تبحث عن طعام لبنيتها، و" ملكة النحل " هي عروس الرحلة الطائرة و" فاطمة هي ذات البساط " و" سلمى هي ذات الرداء الأخضر "، رحلة بلا حدود بدونها لست أحياء، وهي حبي وحياتي، إن تهتموا بها فأنتم تائهون، إذن أنتم موجودون، وحلم " أسامة " واقع وعقلة له أصبع و" عقلة الإصبع "

فرحة الله لها صانع و " أماني " هي أخته في جنة ترتع بنفوس جل حلمها قمر والشمس تسطع فأمر الله قد أتى وليس له دافع الله على دنيته ما منها أبدا أروع، حلم الصبي والطفل الجميل، والذي يحلم أسامة به وهو يغفو تحت ظل الشجرة واقع محقق، وأماني مسرورة بأن الحلم حقيقة والحقيقة حلم، وعبد الرحمن يسكن القلب ويتربع على عرش الفؤاد وهو يجلس إلى جوار صبري كي يتعلم فن قيادة آلة الزمان والمكان، حيث " صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان " يبهنا بمهاراته، عبد الرحمن يجاهد ويفدي صديقه الرحالة حيث الأخير يعتلي فروع وجذوع وأفنان وأغصان الشجرة دائمة الإثمار التي تحتوي على جميع الخضروات والفواكه. كل هذا في وسط الغابة المشتعلة، ورغم ما تقدم يمهد الربيع لحياة جميلة ونسائم رقيقة وعيشة هنيئة، و " سندباد " يلتقي بالحسناء " سندريلا " ويطوف بها العوالم بحثا عن " فاطمة " " ذات البساط السحري ".... و " فتة " و " نجا " فتاتان وصبيتان وبدران هما زهرتا الرحلة تظهران في ثياب العرس المرصع المزركش و " عبلة " تظهر ومعها " عنتره " والفتيات والنسوة، وتتقدم كل الشخصيات والعصور والأماكن، الفوج الطبي الطائر يحمل الحوت في مشهد لا يصدق وعلى ظهر الحوت يجلس القائد الفتى والصبي الطفل " أنور " " صديق الحوت "، وحفني لا يزال فاكهة الرحلة وروحها الخفيفة وبطلها الهمام وهو يزين روضته وإلى جواره ناعسة الطرف أميرة الروض والبستان الفتاة _ الرقيقة والطفلة البريئة والصبية المتألقة جمالا وحسنا _ " ناعسة "، وهي ناعسة الطرف التي تأسر الفؤاد وتملك الوجدان وشغاف القلب، و " ملكة النحل " تطير وتحلق حول الجميع في السماوات ومع الطيور ووسط الحقائق والحقول والرياض، وهذه " فاطمة " تنازع سكرات الموت والسكرات تنازعها، تتعافى بأمر الله بموت ينقلها للخلود، وها أنا أصحو من النوم فأجد الأحداث تدور والحلم أضحي حقيقة فهو مستمر حقا كما تشعرون وتحيون معي، و " فاطمة " لا تزال حية ما بين " كهوف الظلمات والأعماق " و " حجرات الموت " والجان و " الغابات المائية " وكيد " الساحرة الشريرة " و " الساحرة العجوز ذات البيضة البلورية " مطاردة " الفتى عوني " و " الأفعى ذات الجوهرة " و " المرأة المسحورة " والغوريلا والأشباح أشباح النخل الكومي و " رشا " " فتاة وعروس نخل الصعل " لا تزال كما ترون تقتل المارة انتقاما ممن قتلها في ليلة عرسها والجان الخفي أو هو بالفعل حقيقة جليلة واضحة، يهتز " المركب والقارب الصغير " ويتحول إلى سفينة وفلك وطائرة ومركبة فضائية، " الفارس المثلث " له دور القيادة وهو نفسه " الفتاة تبر " " سيدة الرحلة وفتاتها المجتهدة البطلة " التي لا تزال تدير " الطمبورة " " ساقية أسطوانية الشكل " تدار يدويا وبها تجويف لولبي يقلب المياه ويسحبها إلى قناة ومجرى الزراعة التي تنقل المياه إلى الحقول، وهي أيضا مدرة المياه والذهب وأرواح الجان، حيث الأرواح تلك تبغي قتلها والسيطرة على الطمبورة بما تدره من خيرات وسر الحياة، وتريد أيضا السيطرة على " ساقية عزمي " البطل المغوار و " كنوز مصطفى " وأموال الجنية محبة مصطفى المسماة بذات الأنوار، والسيطرة كذا على " مدرار أحمد " و " ظلمبة تامر

"و" نهر الموت" و" مستنقع الهلاك" و" بحيرة التماسيح" و" البيت المسحور" و" الأمير المسحور" و" كنوز الرحلة و" نخل الصعل" و" النخل الكومي" و" نخل نمر" و" واحة الأسود" و" غابة التنين" و" عزبتي النواراة والنسر" وهما " عزبة عبد الواحد" و" جارتها العزبة الجميلة"، ها هو " نهر الموت " يهتز ويثور، و" القارب الصغير" مشرع على موجه المضطرب ذاك، وفاطمة ذات البساط في عالم آخر فلا يعلم هل هي ب " مخبئه السري" أم ب " كهف الظلمات" أم عند حجرات " الصياد الماهر" " حمادة" ورفيقه " حسين الصياد" و" أشرف اللؤلؤ الصياد " والجميل " عبد الرحمن الرحالة" عند " النخل الكومي" ذي الجان والهيكل العظمية المنبعثة من قبوره وأجدائه، ويعجب الرحالة لما يرى ولكنه يشعر بالسعادة في خضم المغامرات هذه فيقول:

كم أود أن تدوم سعادتي تلك التي أحيا فيها للتو، الله معي من قبل الرفاق، ثم الرفاق معي فلا متعة بعد هذا، إن ارتحت من عناء العمل برهة وهنيهة قليلة ونادرة وبسيطة أحسست بسعادة قصوى، وإن عدت للعمل تارة أخرى فلا تحزن، رجاء لا تحزن، فهكذا الدنيا، تحمل العناء كي تشعر بالسعادة، احمد الله واستغفره وصل وتب عن جرائمك في حق نفسك وحق الله عليك، والمعلوم أن " الرحالة" لا يزال يبحث عن " فاطمة " ومعه صديقه " ملكة النحل " " دليل الرحلة والرائعة المتحولة لشتى الألوان والأشكال والثابتة على هيئة واحدة إن لزم الأمر" والكثير الكثير من صفات تلك الملكة الجميلة، و" يقول سندباد ":

...و هو في المعمة تلك راجيا أن يخفف عن الكائنات

هيا سندريلا " ومعنا بالطبع كل الكائنات " نريد أن ننال بعض الراحة النفسية حيث نخطر على ضفاف بحر ونهر ومحيط وجدول وقناة وغدير و...و... بحر يوسف، فتفرح الفتاة وتسرع وتسير معي ومعنا الجميع وكل زمان ومكان... نشتم رائحة الجمال وننعم بقتاة " روضة ممدوح " و" بستان ممدود" و"روضة حفني" التي هي في غاية الجمال، حيث تسكنها السندريلا" ناعسة الطرف "، وأنا أكاد أطير فرحا أن أراها، ساحرة جميلة وزاهية بديعة، غصن أمل وفرح وجدول حسن وبريق، تتمايل كالفنن الذي تداعبه الرياح ثم يغني الفتى ويقول بعد سرده السابق هذا:

هنالك في العزبة البحر أسمر والحببية مشرقة والروض أخضر كم ظللت أعيش حتى عمري انقضى عن ساعدي والهمة مشمر البحر هو نهر والنيل أنهر وعلى شاطئ يوسف والنيل أسهر في يوم ما سيلقاني الموت إنني وإن طالت للمغادر وإن جاوزت به حدود المدى لانصاع لأمرها المعمر تلك الحياة هي من أقصد لا أطيل فيها ولا أقصر هي كلمة تقال حين فكر أتى ووهم كبطني وأنا مبصر ألجمتني الهموم والنواب الكواسر وما أنا بالفائز ولا الخاسر ما يحمل باطني هو غير ظاهري وإلى اللؤلؤ أشرف في البحر ناظر لا أعلم نفسي إن كنت شاعرا وهل يمثل صفاتي يتسم الشاعر؟! لي في الزمان حكايات وجلها مما يعجب له وهي النوادر أتية فلا أعلم عن ماذا أبحث وقد لدغني كالأفعى المجرم الغادر فعادت الكرة إلى حيث موطن هو له بالغابة والله ناصر يا صديقي أشرف كم أنا أحبك أتمنى لك الخير ولو

حظي عاثر تصطاد في بحر هو ليوسف كما نهر النيل والسمك ظاهر في يديك كالأمل
والرياض سعيدة والرفاق ها هنا والكل حاضر، يا لروعتها من رحلة بها كل شيء وبها
الأماني والمنى والنوادر وبها الحب والخير والأمل والرضا وبها أنا وهي والوجد ساهر
وظلمة تامر ومدرار أحمد وساقية عزمي والزرع الأخضر، حيث تدور بي آلة الزمان
والمكان التابعة للرحلة بلا حدود، فلا أعلم إن كنت في الماضي أو في الحاضر أو في
المستقبل، لكن صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان ينبني بالحقة التي نحيا بها،
فأتشكّل على هيتها فمن الممتع أن تتعرف على شخص مثله، خبير بكل أمر، يتلمذ على يد
كبار العلماء، ويستقي علمه من مشكاة نورهم الوضاعة، فتى لو جلست معه لأحسست
بالأنس، وطفل هو جميل وديع طيب، وكهل تجاوز العصر والأيام، يتحول مع كل زمان
ومكان لهينة تشبه كليهما، فهو الزمان وهو المكان والروح الجميلة الذكية العطرة، وأنا لا
أدري ماهيتي، وأظن نفسي شاعرا وأديبا ومؤلفا ولا عب كرة قدم ومغنيا ومطربا و...و...
وكل هذا وهم ومرض نفسي يطبق علي، وكل ما أعلمه _ وأحس به وألمسه ويتبادر إلى
شعوري ويتصل بواقعي وكياني _ أن الجان يطاردني ليلا ونهارا، في الكابوس وفي اليقظة،
والنيران ترحف من الناحية البحرية صوب عزبة عبد الواحد، وهي مرتفعة ذات لهب
وأسننها تصل قمة السماء، وحفني هو التقي الورع الذي يظهر أمامي فأجده على هذه
الشاكلة الطيبة، وتلك السيدة _ التي تجلس على عتبة دارها في أمان ولا تخشى النار ولا
تدنو منها النار أصلا _ تنصحنني أن أصعد على بروز ممتد من البيت في كل طابق مبني
بالطوب اللبن، فامضي مهرولا وها أنا ذا أفعل، ثم أطير في السماء وأغطس في المياه
فأنجو، ها أنا أسبح في موج مياه بحر يوسف وأقابل الأنبياء فور خروجي من بين الأمواج
المتلاطمة هذه، ولا أدكي نفسي وأميزها وهي لا تستحق التمييز، فقد ساء عمل الشيطان
وساء عملي، ربما الشيطان أفضل مني، قد قال سأفعل وأفعل وفعل، لكنني أعمل الخبائث
والمنكرات سرا، هو مذنب وواضح وصريح، وأنا عم السواد قلبي وكحله وأدعي أنني ملاك
منزل من السماء، إذن الشيطان أحسن مني وأفضل، قد ففته إجراما وفعلت للسينات، لكن الله
تعالى يأمرنا أن نتخذة عدوا، وسأتخذة عدوا، انفضوا عني واتركوني فلست بالفقيه ولا
بالعالم ولا الطيب المسكين كما تتخيلون وتظنون، خاب ظنكم واستفحل خبثي وتعاضم وعظم،
ثم إنني ناصحكم بأن أقول لكل فرد منكم: _ لا تجعل الكشح لديك ممتدا وبارزا، بل احرص
على جعله دقيقا رقيقا، فالقد لو كان متناسقا أراح نفسك وجعل المعيشة لديك جميلة،
ولأصبح شكلك وأضحت هينتك مريحة للناظرين، ولتنفست بارتياح، فأجعل ثلثا لأكلك وثلثا
لطعامك وثلثا لشرابك، وهذا ما لا أتبعه أنا، رغم ذلك جسدي متناسق لأنني أمارس الرياضة
وأكل ما أشاء، حقا عجيب أمري، أنصح الناس وأنا أسوأهم على الإطلاق، يظن بي الناس
الخير وما أنا كذلك، الله من يحاسبني، فلا أداري عيوبي وأحجبها عنكم وأنافق، لا أحب أن
أكون منافقا، وربما أنا منافق بالفعل لكنني أحب أن أبرز نفسي كتقي ورع، ولا أمت لكل هذا
بأنملة بسيطة وهنية قليلة دقيقة، ربما أكون معجبا بنفسي مزهوا بها مفتخرا وأنا في

الأساس لا أساوي شيئا، قد زين لي الشيطان أنني موهوب وما أنا كذلك، وأوهمني بالوسامة ولا تمت لي الوسامة بصلة تذكر، ويقول وهمي أن النساء والفتيات مغرمة بك، وفي الواقع لم تغرم إحداهن بي أو حتى تنظر إليّ، لكن جمال النفس والطيبة قد يكونان مسلكا لي ودربا يسلكه الناس كي يصلوا إلى قلبي المتعب، لا شك أن كل فتى يتمنى أن يعجب الناس به وأن يقال عنه الخير وأن يجبر بخاطره وكذا الفتاة، والشباب اندفاع عاطفي يصدر من قلب أبيض صفي نقي، خلقنا الله على الفطرة لكننا مررنا بظروف قاسية وممتعة في ذات الآن، في بيئة زراعية جبلية حقلية، فالحقل والغيط هنا مترادفان، يوجد الجمال بما نزرعه ونجده يكبر أمام أعيننا، وهو حافز لنا على الفرح والسرور وتكوين الحلم في العقل الباطن، ثم يتمنى القلب تحقيق الحلم، وما هو يتحقق في هذه الرحلة بلا حدود، ومحمد معلوم أنه طاهر قلبه ولا يفعل الشر أبدا ولا يغدر، أمين وصادق وخجول ومحترم ونظيف وعلى الفطرة، إن يتهم بشيء فذلك لأنه لا يجيد الدفاع عن نفسه، لكن الله ناصره، إن عذبة عبد الواحد هي العالم والكون وكل جميل مر بي أو لم يمر، ناسها طيبون ولا أحب أن يتحدث عنهم كائن من كان إلا وذكرهم بالخير، لكن الشائعة وما تحدثه من ضجيج قد تكون من طفل صغير وتكبر وتكبر، ونحن نصل للحقيقة بترتيب وقدر الله ولطفه، كم أخاف من القدر لأنني لم أعد نفسي لوقوعه، ما أعددت العدة وأحسنيت العمل، وإن المرء الذي يأتي لك بالشر تكرهه، فإن أنباك بأمر غير حسن تشاءمت منه، مع أنه لا دخل له في حكم القدر، النفس مضطربة وضعيفة وتتأثر بطفولتها وما نشأ بها، فإن أخافك أهلك من شيء، ظللت طوال عمرك جباناً ومرتعدا ومرتعشا، وإن أنشأك هؤلاء الأهل على الجراءة بقيت مقداما لا تخشى شيئا، وقبل كل ما تقدم إن أحسنيت العمل والإيمان بالله وبحلو ومر وشر وخير القدر نجوت من الخوف ولو قابلتك المنية ذاتها وأحكم الموت عليك الوثاق وضيق الخناق، بلا حدود وما أنا القوام بدجى الليالي أو بذاتي صيام ولا أصلي فرض ربي الآن وجل رزقي من الطعام حرام لكن قلبي رغم ذاك رقيق وببحر يوسف إنني العوام إن يمضي خلي تعتريني هموم ولخلي مني قبل الرحيل سلام كم كبلوه محمدا بكلام وجنوا عليه ولا عليه ملام إن يظلموه له الإله معين فلا يضر من الجناة كلام أو ينصروه فرب كون شاء وأضحت حقيقة واقع أحلام. ثم يكمل هذا الأسطورة صبري الطيار الطائر ويقول:

أكب الظالم على منخره وأرنو كثيرا إلى منظره فيقع على الأرض الجرداء ويزحف فيها إلى أخضره من الحقل المتسع هناك يزف البشرى إلى ناصرته تعال فذنب من أرسلني ونذر تظهر في حافره جواد آه من قوته وهذي اللعنة إلى أسرته. فأنا أدفعه مطبقا يميني ومرسلها صوبه فينكب على وجهه متمرغا بالثرى والتراب، وهو يقع على أرض جرداء أيضا وأخرى تنبت بالجمال وبها الزرع والحسن والأمل، وحقل متسع شاسع يظهر، يا للروعة، فيزف ما هو فيه من بشرى، ولا أقصد البشرى حرفيا، فهي طامة ومصيبة بالنسبة إليهم، ويستجد به ويقول:

أدركني..وحش وذنب وقل ما تقول...يحاربني ويثأر مني. تعجب الناصر المعين له والمؤيد هذا، لأنه يقصد بالذنب هذا جوادا تبين على حافره نذر تحذر المعتدي، وكم أنا أريد أن أسامح من أساء إلي، وهو من يقول قولاً مسيئاً ويكيل لي الشتائم والسباب، لكنني بشر لا أتحمّل التجريح على طول الزمان ومدى العمر، تعال هنا كي أعطيك درساً مفاده أنني لست ضعيفاً، قوتي تفوق قوتك لأنني مسلح بالإيمان:

لظمته وألطمه على وجهه ثم أكبه على أنفه ومنخره، التراب يتسلل بداخلها فيعطس، يقوم للثأر مني فلا أمكنه كما ترون، أنا بالرحلة أشتري وأحكي وأسرد وأقود آلة الزمان والمكان " الآلة الزمكانية "، فأنا صبري الطيار الطائر، ولن أتركه ينال من كرامتي، وها هو قد علم مدى جرمه وخطئه، يتقدم ليصافحني فأبكي عليه وأطيب خاطره، رغم أنه من بدأ بالهجوم، وأصطحبه إلى منزلنا ونجلس حول الطبلية منضدة الطعام المستديرة، في البيت الفلاحي القديم والمنزل الصعيدي العتيق الأصيل، ورغم أننا لا نملك سوى القليل من الجبن، إلا أننا نمرح ونضحك ونتحدث، نعم.. رغم الفقر، إلا أنه أنيسنا ذلك الفقر، فليس بكل الثراء كل السعادة تتوفر وتوجد، نعبد الله ونحسن الظن به وله جل وعلا نسجد، يعتبر الناس الفقر هما وحزنا، لكنه والله ليس فقراً بما تعني الكلمة، إنه غنى نفس وثراء وجدان وسعادة، هي تلك السعادة التي تعم قلوبنا وتشمل وجداننا وتلك المتعة التي رزقنا بها الله تعالى، نعمة ما بعدها نعمة، الأم تخاف علينا وهي عادلة حيث تقول:

اجعل لقمتك صغيرة والتقط بها القليل من الطعام، لك أخوة وأخوات يريدون الأكل مثلك.:
حاضر يا أمي، لا بد لي أن أفكر في غيري، وها أنا أنظر حولي وألتفت إلى أسرتي وأقول:
اطعم أخي، مدي يدك أختي. ثم إن أختي الطيبة التي تراني وتشفق علي وتطعمني لقمتها تقول وهي تبسم راضية بقدرها الجميل:

لا تنسوا الجيران فهم جائعون. والأم تقول وهي أم الرحلة المعطاءة الحنونة:
هات الطبق الدوار بني، لنا جيران لا نعلم إن كانوا يجدون الجبن وحتى الملح أم ماذا. فتقوم الوفية الكريمة بإرسال قطعة جبن لجيراننا رغم أننا في احتياج إليها، الجيران مسرورون، لا يوجد لديهم طعام ولا زيت للإنارة ولا سائل يضيء المصباح الفلاحي، وأبي يسعى ويكد ويجد... فأنتهي من الأكل دونما أشبع وأتجه صوب ناحية من الرحلة لدى الساقية " ساقية عزمي "، فيجري ماؤها في القناة الجميلة، وثمره بلح تعوم وتسبح وثمرات من الجوافة والبرتقال أيضاً، فأرحب بصديقي عبد الرحمن وألتقط الثمرة من أجله، ثمرة جميلة أعطيها له الآن، فيأبى أخذها فآلح عليه، وفي نهاية المطاف نقسم إياها وكذلك يفعل الصبية والصبيات أصدقائنا وصديقاتنا:

هيا نصطاد يا عبد الرحمن، هيا يا ضرغام، فلتقدم حسين وليأتي معك أشرف اللول، وهيا يا رفاق نصيف ونجمع القطن المتروك بعد الحصاد، وننقي الفول والخضروات، ونجمع الحشائش الخضراء من وسط حقل القمح والذرة والفول، فنحن نقصد بكلمة نصيف كأننا نقول أن جمع الخير يكون في الصيف، أو نقصد معان أخرى، أو نقولها ولا نعلم ماهيتها،

والعم " الشلقامي " هو رجل أعمى كفيف البصر لكنه جميل البصيرة نقيها واضحا، يسرقونه الشباب والرجال والصبية والصبيات ولا يستوفون الكيل والميزان ولا يوفونه حين يبيعون له ما جمع من بقايا القطن والمحاصيل الأخرى بعد حصادها، ويسرقون النقود والدنانير والدرهم، فيهجم _ على عزبتنا عزبة عبد الواحد الجميلة بؤرة الرحلة ومركزها وكونها وسمائها وأرضها وآخرتها وأولاهـا _ ذئاب ووحوش من كل نوع، والذئب هذا هيا نهاجمه لأنه ينوي أكلنا وأن يطعم من لحمنا ويشرب من دمنا، هجوم كاسح من شباب الرحلة ومعهم آلة الزمان والمكان، يجمعون البلح من نخلة الشاب رسمي، وتتحول الرحلة مصطحبة إيانا معها ومصطحبة الأحداث حيث: _ تأسرني مذ نشأت فتاة كأنها والله الغدير فبدونها فتى كم تاه وفي قريبا أنا الأمير وكأنها الرياض تغني ومن فوق الرياض أطير أسير لو عني تناءت كم تاه وكم ضل الأسير في طرفها الحنان مطل ولا يوجد في الدنيا عسير، ويكمل الرحالة:

فتاة يأسرني جمالها ولا أستطيع العيش بدونها، هي لي كالماء والهواء، إن تحدثت عن مكنون نفسي يقولون لي:

ضللت الدرب واتبعت الهوى، وإن أصمت أكاد أنفجر، ليس كل من يحب مجرم آثم، ربما يحبها وينوي الارتباط بها والزواج منها، ربما يحبها كروح ولا ينظر من الأساس لجسدها، نعم الغريزة موجودة، لكنها وأقسم بالله _ وأقصد تلك الغريزة _ ليس لها أثر مع عاشق الروح، أحبها وكأنها ملاك وخيال جميل، لكان هي عندي الربيع الباسم والوردة المتفتحة. كل ما تقدم من حديث وأكثر تستمع إليه الكائنات، وكذا الفارس المثلث الفتاة تبر، حيث لا يزال ذلك الفارس مصارعا ماهرا لوحوش الغاب والجان والعفاريت وتماسيح " نهر الموت " و" بحر الجحيم " و" كهف الظلمات " و" مستنقع وبحيرة التماسيح " و" ينبوع السحر "، على أن الغدير العذب لا يزال يطفئ لهيب نهر الموت والهوة المتقدة، وساقية الشاب عزمي تروي الحقول، وقناة الأمير ممدوح تروي ظمأ الأطفال في النخل الصغير، والنخل الصغير مساحات لا نهاية لها من حيث الاتساع، هي نقطة في نهر عزبة عبد الواحد أسرة قلبي ومبهجة كياني، حيث أقف أمامه _ المدير الطاغية _ بثبات أصحاب الحق، وهو يزهو بنفسه متبخترا متكبرا، يتحدث من أنفه ومن عنفوان تكبره، فلا يشغلني ولا أهتم به، أظهر حجلي عليه فالحق معي، يتكبر على الناس بمنصبه، ولا أجده إلا ضعيفا مهتزا غير واثق في نفسه، هذا هو حديثي الآن.

إني أسمعك، كيف لك مجادلتني وأنا رئيسك ؟!

الرئيس من المفترض أن يكون محترما متواضعا غير متكبر، وأن يكون متعاوناً مع مرؤوسيه صديقا لهم إن كانوا أهلا لذلك، فإن لم يكن، فالشدة والحزم في حدود الأدب وضمان استمرارية العمل وزيادة الإنتاج وحفظ الكرامة وأن نتبع المنهج القويم السليم، فلقد كرم الله سبحانه وتعالى ابن آدم. يصمت قليلا كما تتابعون وترون وتشاهدون، هيا تحدث

دافع عن نفسك. يبتسم المدير لما لقي من قوة الحجة والبرهان والثقة والثبات على المبدأ
ويسلم عليه ثم يكمل الرحالة:

أحمد الله تعالى أنني لا زلت أحياء في هذا المجتمع العجيب، ولا زلت أنتفس وينبض قلبي بما
يشعر، وأن تلك الحورية من السماء قد أخطر على بالها، لا بد لك من أن تكون أعصابك من
حديد كي تتحمل ما يلقي عليك من هموم، وقد أثقلتني الأيام وأتعبنى الدهر وحين رأيتك
تفتحت لي زهور الحياة وأشرق الياسمين وغردت الطيور. فابتسمت لي وغنت من فرط
فرحتها وقالت وها هي تقول:

للحياة جمال منقطع النظير مذ عرفتك، فالحدايق غناء والرياض فيحاء والغصن منور
والبستان مزهر والفن طائر والنيل أسمر والفتى أنور. فتظهر على قسماته فرحة لو
وزعت على العالمين وها هي توزع فتكفيهم وتفيض، قلبها البسيط المنير ينثر الأمل وينشر
النور والبهجة. ومجد على عهده من المرور وسط المزارع وغيط الخير، يتأمل بديع خلق
الله، وجميل نبته البهي المظل، وأشرف عند شاطئ بحر يوسف يخوض به ويسبح
ويستخرج السمك القابع وسط الحجارة والخباء المائي والسرديب والأنفاق والكهوف
والبيوت الأثرية والذهب والدر والتبر، وإذ باللول أشرف يأتي برزق بعثه الله إياه، يصطاد
بيده وبصانته الجميلة، وحسين معه وإلى جواره وسط الأمواج يمسك السمك السابح في
المياه بمهارة الكبار، وحمادة الجميل يدور ويبحث هنالك في الممرات المائية والأعمدة
الأثرية والحجرات القديمة، نفسه الطويل العميق يمكنه من الاستمرار في قاع بحر يوسف
نهر الموت، بحيرة التماسيح، المحيطات، فبحر يوسف كل ما سبق وأكثر وأكثر، والسفينة
تشق عرض الماء وهي ذاتها قارب فاطمة والرحالة المارة عليه العصر والعصور، وفاطمة
تضحك لنا ووجهها مرسوم على صفحة الموج وهي تقول:

أنا لا زلت حية. فغمرت الفرحة الرحالة وها هي تغمره مستمرة لا تختفي ولا تنتهي، وهو
يقول ولا يتمالك نفسه من الفرحة:

فاطمة الجميلة، هذه صفحة وجهك منعكسة فوق الموج كالبدن، لكن أين أنت. لا تجيب الفتاة
ويختفي بصيص وجهها وبديع ملامحها وقسماتها، ثم تصرخ:

أدركني يا رحالة، خطب عظيم يلهم بي، ووحوش تكاد تفترسني، ومنظمة الموت تكاد تفتك
بي، أنا في الأسر فهل تسمع ندائي؟! والجميل في الأمر أن آلة الزمان والمكان التي يقودها
صبري الطيار الطائر تعكس الوجوه وترسل النبضات والأشعة المجمعة، وتستجمع الأصوات
في بؤرة نابضة واضحة جليلة، وها هي تترجم جميع اللغات واللهجات، وتبعث كل هذا
وترسم على آلة مترجمة للحدث، هنا وبكل الوسائل والأدوات المذكورة وأكثر يتمكن الطيار
صبري والعالم الجليل والدرويش والساحر الطيب والشيخ الجميل من تفسير الأمر، وهم
يتحققون للتو للتو ويستيقنون أن فاطمة تم اختطافها من قبل ريمة والساحر الشرير
والنؤرة والنسر، وأنها تقبع في قاربها الصغير الذي قد تم اتخاذه كسجن وأداة اعتقال،
والكهوف حولها مسخرة بالنار والماء يمر بها فلا يطفأ النار، ودرجات الحرارة محيرة

يتكيف بها كل كائن على حسب حرارة جسده، وهنا يدرك الرحالة ومجموعات الكائنات مدى الخطورة المكبلة هذه، ويقف سندباد على حافة نهر الموت بحر يوسف وكل المسطحات المائية، ومعهم الفارس المثلث الذي يخرج من بحيرة التماسيح المختلطة مع كل ما سبق، ويقفزون ومعهم الكائنات والأحياء والحوت صديق أنور في المياه، وتختلط الأمور والأشياء حين تتحول آلة الزمان والمكان التابعة للرحلة من عهد لآخر ومن عصر لمثيله ومشابهه، ويحدث تضاعف وتخلخل وانتفاخ وانكماش وزلازل وبراكين وثورات وتغيرات في الجزيئات الزمنية والمكانية، على أن كل الأحداث لا تزال مترابطة مترابطة منظمة ومنمقة ومرتبطة في حكم ومقدرة رب البشر، وعشوائية ولا تعلم ماهيتها في حسابات أولئك البشر وتلك الكائنات، حيث بالسفينة ثقب كبير والأمر جد خطير والملك الغضنفر بطل وإن علمت فهو أمير حسين قد غاص وماج واللؤلؤ في البحار يطير وحسن في الزرع تمرغ وبصحبة حسن سمير والفارس المثلث علم معلوم وبالأمر بصير وكامل كم يتوه وتاه ما له في الشباب نظير قد مات ودخل القبر لكنه الفتى الشهير مشهور وقد فاق الوصف وفي ساحة اللعب ظهير الكرة يلصق بيمين والخصم من لديه أسير أنا هو أو أنت وغيري كم نهجم على الأعداء نغير. وكم تعجب سلمى بما أخط وتقول لي ها هي:

فارس أحلام أنت وأمير، أيا ليتك كنت تشاركني حياتي..

الخجل يمسنى وأدير وجهي من فرط الاضطراب الذي حل بي، ما كنت أحلم أن تقول لي حرفا واحدا مما تقدم، كم للنساء سحر، سبحان الله العظيم، كنت أنوي طلب يدها للزواج منذ برهة وهنيهة، ففرحت للتو وها أنا أقول:

منذ هنيهة ليست بالطويلة كنت من حبك عليلا وتمنيت أن أطلب يدك وأقدم لك إكليلا اليوم هو حلم حياتي ما حسبت اليوم جميلا أبدلني الله من بعد حزن مسني قليلا بفرح لو وزع دهرنا على الناس لأضحى كفيلا أن يسعد من فقد الأمل ويشفي من المرض عليلا. الفتاة لا تصدق ما ينساب على مسامعها كالحبر من درر وصف، تلتقط أنفاسها المتلاحقة والمترجمة لدقات قلبها المتواصلة وهي مذهولة مضطربة، ها هو الرحالة يعترف بفيض حبه فيغدقه عليها إغداقا، ونهر النيل فرح مسرور، يصب مياهه في بحر يوسف، وهنا يلتقي الجميلان، والقمر يستدير ليصير بدرا، في عينيها يظهر ويتجمل، وفي طرفها الأمانى يحمل، ذلك كله حين همت بالقول وهي تهم وتبعد الأزهار عن كيانها ثم تضم وطائر اللقلق مذهول ويغرد والطيور في الأيكة تغني وتشد:

لا بد يوم عيدي حل والبدر في كبد السماء ظهر وأطل.

انظروا.. يظهر ثقب كبير وخرق بالسفينة وهي تغرق، سأعطس كي أسده بدلا عن غرقنا هنا في هذا البحر " بحر يوسف "، إنه محيط هائل الاتساع والعمق، السفينة لا تتحمل، " نهر الموت " يعج بالكائنات المفترسة، لا أظننا سننجو هذه المرة، الأمواج تتعالى وتتفاقم الأزمة، وبرودة الطقس تهلكنا. صبري الطيار الطائر يمكس بعجلة قيادة " آلة الزمان والمكان " تلك الأداة الرئيسية للرحلة بلا حدود، تتحول الآلة الزمنية والمكانية من " نهر

الموت " إلى السماء الشاسعة والسموات الهائلة ثم إلى الطائر الجميل ثم إلى المدن والدول والحضارات والأزمنة. نكاد نجن من تحولاتها العشوائية في حساباتنا كبشر، والتحولات الغاية في الدقة والإحكام بحكمة وقدر الله رب كل شيء والبشر، صبري يحسن القيادة وهو يتعلم من صلاح الدين ذلك البطل العملاق، الثقب يزداد اتساعا، نحن نهوي إلى الغرق، نسقط إلى الأعماق، في قعر وقاع السفينة ونعلو مع ازدياد تدفق المياه عبر الخرق المتسع والثقب المتنامي، حسين واللؤلؤ يحاولان سد الثغر العجيب، ودوامة بحر يوسف ونهر الموت تضخ المياه الثائرة فتزداد الثقوب كثرة وتهوي السفينة إلى عمق الأعماق، الكوخ السحري وكهف الظلمات يعانقان نهر الموت، الأحياء المائية تثار فتثور، وجهنم مشتعلة في الأسفل، خاصية الماء لا تعمل، عقلة الإصبع وأماني يتشبثان بريشة من الحمامة ويتعلقان في المياه ويتنفسان، وملكة النحل تطير في الماء، إذن المياه كأنها سماء، المجرات تهوي إلينا، وموتى يهبوننا الذهب، إنهم أجدادنا صحوا من رقدة العدم، نسمع مناد منهم يقول: لم نمت كي نحيا، أقصد أننا أحياء عند الله نرزق، في معنى تفسير آيات الله تعالى، السفينة تتقلب في المياه وتصطدم بالقارب الصغير، يبدو أن فاطمة ها هنا في المخبأ السري ووبحيرة التماسيح على مقربة منا، ومياه مستنقع الهلاك تتسرب صوبنا، أنور يمتطي صهوة الحوت وصهوة الجواد، فالجواد حوت والحوت جواد وينقذنا مما نحن فيه من تعبه العباد لنا من الدنيا ما نتمنى والله ربي ما أراد، ولا يزال الابن الضال ابن النوراة يحارب حفني من خارج روضة الأخير المثمرة المحصنة، وناعسة طرفها ناعس وحفني لناعسة يهمس والله النصر حليفنا ومن أسفل المياه نتنفس والابن الضال إلى مهلك وإرادة الله فينا تنفس، ظل ينشد الفتى ويتغنى هنالك عند بحر يوسف ونقطة اتصاله بالنخل الكومي، وننعطف يمينا صوب نخل الصعل لتطل علينا رشا بطرفها الساحر، وقد أحببت أنور لا تحب سواه إن تغفو تتمنى أن تلقاه فارس حلم في الليالي يكون قمرا بهيا فيا محلاه، الحوت يتعجب من هذا كله ولا يكاد يصدق نفسه، والثقب في الفلك يزداد توسعا واتساعا، وحسين واللؤلؤ ينضم إليهما الصياد الماهر حمادة، فاق كل الحدود هذا الفذ الماهر المتمرس الداهية، وهو يغطس ها هنا عند الحجرات الحجرية والتي بداخلها سراديب مائية وامتداد دوامة بحر يوسف، والعملاق سيد يسد بكفه فتحة السفينة، ومصطفى يبحث عن الذهب ويقابل ذات الأنوار، وعبد الرحمن رمانة الميزان ورفيق أبي قردان، وأبو اليمين يلتقي لطفي عند الغدير العذب فيصب كل منهما الماء عبر جدول مياه وقناة الفتى ممدوح، وحمادة شقيق الأخير لا يزال يصارع الثعبان ويلتقط الجوهرة منه، فيعمى الثعبان ولا يرى، ويصير طوع أمر حمادة طيب القلب، وينصاع لأمره، ويقبل " الهدهد " مع " الفوج الطبي الطائر " ومعه " الحمامة " و " عقلة الإصبع " و " سلمى " و " أبوها النحال " الماهر الشجاع مستخرج العسل من أقراص العسل بمساعدة أميرة الرحلة " ملكة النحل "، و " بدون الفراشة البيضاء والبنية " وكل الفراشات لا أستطيع أن أحياء في جمال يأخذني لعالم آخر ملؤه الأمل والسعادة، و " العصفورة الصغيرة " معهم و " الطائر العملاق " و " أبو العنز " طائر

القلق"، وعزمي الفتى يطوي الطريق والدرب ويسابق الرياح فيسبقها ويسبقنا، و" المرأة ذات قدم المعزة " تخيف الجمع وتحاول النيل من عزيمة " الفارس المثلث تبر"، لكن الفارس يخوض ويغطس في البحار والمحيطات والأنهار التي يحويها بحر يوسف ويشملها، تجر _ " تبر " " الفارس المثلث " _ الجان خلفها في محاولة تمويه جميلة، وتغطس فيتبعونها حيث مثواهم الأخير، ويستمر الفارس الفتاة في مساعدة الجميع في سد ثقب وخرق السفينة الغارقة، وصبري الطيار الطائر ينزل المعدات المائية لشطف المياه، ومعدات أخرى لسحب السفينة، ويتضح كما ترون أن السفينة مدينة فاضلة يحيا بها الناس، يتأقلمون على الوضع الحالي، ينجح المجهود المشترك من الكائنات جميعها في إزالة أسباب الخطر، وسد الثقوب وتفرغ " الفلك " من المياه، وانتشال " القارب الصغير " من عمق " نهر الموت "، يبدو أن " المخبأ السري " يزود بوسائل نجاة وحياة وآلات تنفس، العجيب في الأمر أن الجميع يتنفسون بدون خياشيم تنفسا طبيعيا متصلا ومريحا، و" ملكة النحل " المزركشة والعادية والمتحولة والمتجملة هي قلب الرحلة الجميل النابض، وهي الأمل والود والورد، وهي الدليل الذي نهتدي للدروب بواسطته من بعد الله، ما أجمل تحليقها وطيرانها وفكرها النير، تصحب إياها هالات من نور وتير وتبرق وتضوي لها السحب والآمال الحلوة، حبيبة القلب والعين، سلطنة الفؤاد، أحجل أمام سحرها ويعمني ويشملني منها بريق ساحر وتخطفني من مقلتيها وبديها ضياء متألقة، تحليقها المستمر دليل قوة وأمل وعنوان استمرار وأبدية مطلقة، تصل بين الماضي والحاضر والدنيا والآخرة، وأجمل ما بها ابتسامتها المشرقة المتفائلة، أم الرحلة تحلق إلى جوارها وسندريلا البحار والأنهار والملك الغضنفر خميس، وقائد آلة الزمان والمكان صبري الطيار الطائر، والفوج الطبي الطائر بقيادة الهدهد وأبو العنز طائر القلق، وكائنات وأمم نكاد ننتيه ونحن ننظر إليها، يا للجمال والروعة، وذلك الخجل الذي يمسنني يجعلني في حيرة من أمري، هل أنا محب عاشق أم أدوب شوقا وهياما، التفاصيل تهمني، وأحيانا لا تشغلني، ألوح للملكة حيث أنا ورفاقي في حبس وسجن ومعتقل طويل، وضعوا السياج والعوازل والأسلاك الشائكة ومعتقات الموت والحيوانات المفترسة والكهوف حولنا كي لا نتمكن من الهرب، الرحلة تنظر إلينا ونحن نحاول الخروج وتكسير القيود، نحفر في الأرض ونحطم القيود والجدران، ونهر الموت على ما يبدو قد ابتلع فاطمة ذات البساط، ولطفي فتى الرحلة المضحك لا يزال يزيل الهم والغم عن الناس، أنا في مغارة ومعى حسن ومحمد وشداد وميخائيل وفهمي وسحر ونرجس وأمل وعمر والملك الغضنفر وأنور وسراج والكائنات والنباتات والطيور، مقيدون نحن بعراقيل وأثقال، والكهوف المهجورة في قاع مياه بحر يوسف نهر الموت ونهر النيل وكل المحيطات، الكهوف المهجورة تعج بكائنات مخيفة وجان وعزبة عبد الواحد وشقيقتها تطلان على البحر اليوسفي، ويطل عليهما قلبي وبصيرتي قبل بصري، من دونهما لا أعي ولا أدري، الخمانل بهما والحدائق والبساتين والحقول والدنيا والآخرة والبعث والنشور، بعث قلبي ونشور نفسي، والله حبيبي رزقي الحياة بهما، هما الآمال المطلة والرياض

المظلة والشمس والقمر والنجوم والكواكب والمجرات والسموات، هما ظلال قلبي المشتاق، أسير في الحر والقيظ والحرور، ثم ها أنا أجدهما نهرا وكوثر أمل وعبيرا وساحة حلم عانقه الليل، والآن أنا ورفاقي هنالك عند ساقية الشاب عزمي، وبينما الساقية تدور تظهر كائنات عجيبة تنبش في الأرض وتحفر وتدب وتزلزل الدور والقصور، والمسحور وعائلاته يمتصون الدماء وينشبون الأظافر في جثث الضحايا، ويأكلون اللحوم بل يلتهمونها كما ترون، الرحلة تعيش الحدث وتصوره، وآلة الزمان والمكان هي كل شيء، ومياه الساقية تصب وتجري في القناة الجميلة، ومعني حسن وشداد وسحر وسلوى وأم هاشم ونوال والرحالة وسندريلا وأم الرحلة والفارس المثلث والأمير المسحور وأم الصغار والهدد وأبو قردان وأبو فصادة والبطريق والحمل والجمل و....و....و كل ما يتصوره عقله من جماد ونبات وحيوان وطيور وأسماك....و....، هنا تتصدع الأرض لتكشف لنا عن درر ومغارات وكهوف، وأناس يحيون في باطن الأرض، محبوسون منذ الأزل، ومنهم الجان وابن آدم ووحوش وكائنات قديمة بدائية وها هي حولنا القطوف وأنا بالجنة أطوف عمري الذي تولى ظننت أنه مصروف فوجدته في جنة ربي ما الجنة حالها معروف ننعم فما بعد ذلك نعيم ولا موصوف قد فاق الوصف خيالي وما بعد الظروف ظروف قد نلنا الأمان هناك مقاعدنا في الخلد نشوف، ثم نمشي الآن على الجسر الترابي، نحضر القالوح من حقل القصب، والجحش يسير معنا وكذا الاتان والحمار، تظهر للحمير أجنحة فيحلقون في السماء، ويتركوننا فنعاتبهم:

معشر الحمير، كيف السبيل إليكم؟! فينادوننا أن استقلوا الموجات الهوائية الحاملة. فتصدر آلة الزمان والمكان ذبذبات وأصوات مصاحبة لها ونجد أنفسنا نحلق بدون أجنحة، ثم تنبت لنا أجنحة فنعلو ونعلو طائرين، ونجد الدواب والطيور والديناصورات والأسود والتماسيح والنباتات وكل شيء يحلق ويطيير، ثم تستقر الرحلة بلا حدود وتستوي على الماء، فنلقى صروحا للشياطين ومستعمرات وأبنية ونفاجئ بالأجداث والقبور وهي تتحرك بالموتى، وتثور دوامة بحر يوسف، ثم تلقنا التماسيح فتتفجر الدماء منا وتتناثر الأشلاء، وتهاجمني الكائنات الفتاكة وتحاول قتلي فأقتلها، وأنا أسير في حالي ولا أحب الاختلاط، ها أنا ذا لا بي شيء ولا على كاهلي شيء، فأجد من يجرح مشاعري، فأحلق وأطير وأغوص مع الكائنات بصحبة آلة الزمان والمكان، موتي معهم أفضل من هذه الحياة، نموت جميعا فنجد أنفسنا أحياء تارة أخرى، إذن نحن لم نموت من الأساس، لا...بل مررنا بالموت، فوجدنا أنه ليس سوى استمرار للحياة في رحلة لا تبدأ ولا تنتهي، مخلدون في الجنة يا رب، القطوف حولنا دانية في كل مكان، فأتغنى وأقول:

تفوح بالعبير الزهور وبالرحلة ألف وأدور أضناني ما أجد من وجل وصديقي هو الفتى نور وما كان ليخيفني هذا المدعو والمسمى المسحور نتقلب في موج النيل وليوسف موج يثور أغني ومعني يشدو في الروضة الفيحاء العصفور، فتى الرحلة المسالم كامل هذا مغلوب على أمره وهو ليس بكامل فالكمال لله، رب إني محتاج إليك فأنقذني، ما كل هذا الضيق؟!، رغم

أن الزهور متفتحة تفوح بالعبير وتعبق الأمل والشذى العطر، ألا أن الحياة ضيقة أمام ناظري لا تتضح معالمها، الطيور تغرد وتغني وتزقزق والبلابل تترنم وتشدو، وحديقة حفني وروضته تسر الناظرين، وساقية الفتى عزمي تدر الشهد، رغم كل مصادر السعادة بيد أنني غير سعيد، ربما يتبادر إلى نفسي الفرح ويعم الأمل، ربما ترسو الطيور فوق رأسي وكنتي، وها هم يفعلون، وحمامة عقلة الإصبع وأماني تحييني، وعزبة عبد الواحد تتزين للناظرين، والفضاء الكوني يبعد ويدنو منا، ونحن الآن في رحلة إليه وفيه، تقطعني الوحوش إربا وتنهش من لحمي وتمتص دمائي، أموت بالبطيء رويدا رويدا، أتجرع كأس الموت، لقد لقيت الموت لكنني أحيا معكم، ففي الموت حياة، هذه رحلة مستمرة لا بداية لها ولا نهاية، تأخذ صفتها وطابعها من كون الله أول بلا بداية وآخر بلا نهاية، وذلك الشخص يتحكم فينا ويظن نفسه إلها، ستموت وتقبر فلا تغتر، فسمع حديثي ورأى اعتراضي وأرسل جنوده، وها هو يفعل، والنوارة معه تتشكل وتتحوّل إلى كل ألوان الظلم في شتى العصور والحقب، وكامل يشرف على الموت لكن ابتسامته لا تفارق وجهه، أي جمال هذا، يحمد الله ويصبر ولا ينفعل ولا يبدأ بالقول السيئ، يشكو إلى الله همه، غير أن طباعي خشنة وأنا غير سوى، أغضب بسرعة ولا أحسن النية في فهم قصد الناس، ولا أصبر على أحد ولا ألتمس العذر، كلي ذنوب وآثام، وأخشى الموت ولا أخشاه، وأريد أن أحيا أبد الدهر، والله الجنة أجمل، تب علي رب العالمين فلقد ضللت كثيرا، لم لا أهرع إلى الصلاة وأفر حتى زاحفا وأكر راضيا، أفر من الذنب وأكر إلى الله لجوءا إليه واعتصاما بحبله، جعل الله تعالى لكل منا مهمة ودورا، ولكل رزقه وعمره، وهياك وسواك كما هو مقدر لك، ولم يقدر لك سوى الخير وإن ظننت غير ذلك، لكننا من نستعجل الأمر، فلقد خلقنا من عجل لا تريث، وإن نظرة العطف من أبيك وأمك لهي المنى والحلم عند من يقدرها، ورحمة الله بك أجمل ما يعطى للإنسان في هذه الحياة وفي الآخرة أيضا، وإن الزواج هبة وعطية من الله لمن يحمدّه جل وعلا، والزوجة مأمورة بطاعة زوجها على أن لا يظلمها ذلك الزوج ويفتري عليها، إنها مخلوق رقيق ليتنا نحسن معاملتها، هي الأم والزوجة والأخت والابنة والحفيدة، وعليك لو دعوت شخصا للصلاة ألا تجعل ذلك جهرا لما تقصده هو بالتحديد أمام الناس، ولكن اجعل الدعوة عامة للمقصر ولا تسم شخصا باسمه، وإن حدثته فبينك وبينه، ربما ملابسه متسخة ولا يريد أن يضايق الناس في المسجد وهو يصلي في مكانه مع جمع في الهواء الطلق، وربما وربما، لا تعلم أنت النية ولا علاقة أخيك بربه، فربما علاقته بالله أفضل منك، ومكانته لديه جل وعلا تفوق مكانتك، ولا تتأفق في ذهابك إلى المسجد واجعل ذلك محملا بالصدق، ليت ما على لسانك يطابق ما بقلبك، إن ما ينطق به لساني لو لم يكن صادرا من القلب كذب وجريمة، أنا أشعر الناس أنني شيخ وما أنا سوى شيطان رجيم، إن اعترافي بهذا ربما هو بداية توبة ترغب بها نفسي، أصلي بوما أو بعض يوم، وها هو يحل شيطاني فأبارزه وأقتله ثم يحيي من حديد، ضعيف أنا وجبان والذنب يكلني، إن تعري النساء والفتيات أو ظهور مفاتهن وإن كن محجبات منقبات حتى ولا يلتزم بشروط النقاب والحجاب، وتلك المكتظ جسدها

والبارز عليها أن تلبس الفضفاض، أقول الكثير عن العفة والحجاب ويا ليتني أغض بصري، سرعان ما يغلبني الشيطان ويكيد لي، أقاتله وأظن أنني قتلته فيعود من جديد ليدب في صدري كنبضاتي ودقاتي وهو أنفاسي، فإن لم تتحكم في شهوتك فانتظر الهلاك والنار، موجه حديثي للجميع وأنا أول من يخطئ، لا أجد نفسي ملاكا، ولربما أنا فتنة كبيرة، ليتك تواجه نفسك مثلي، أنا من يدعى أنا، ولربما الرحالة الأمير، وأنا لا أفقه شيئا في هذه الحياة وأدعي العلم وما كان العلم سوى لغيري، ربما أكون شجاعا وفارسا، وربما ينتفض قلبي رجفة ورهبة، ولربما أنا عنتر بن شداد. تستمع الفتاة إليه والكائنات، فيتوهون في عالم عجيب، ولا يفقهون من كلامه شيئا، هو شخص متحول متقلب أتت عليه الدنيا ولربما هو من أتى عليها، الموت قادم فليقدم، أخشاه ولا أخشاه، أخشاه إن ضل سعيي، ولا أخشاه إن اهتديت، أخاف ألا تكتب لي النجاة بعصيانتي هذا، وعشمتي في الله كبير، أريد الجنة لا النار، أخشى أن ألقى في جهنم، أذوب بالنار ويتبدل جلدي، ثم يرحمني الله فيخرجني من الجحيم، جان من نار يلتهمني ثم يقذفني فيتجمع لحمي وتتماسك ملتصقة عظامي، يهبطون نحوي من خلال نافذة الغرفة المظلة، ينشب جمعهم أظافرهم في جسدي، ثم لا أجد إلا بحر يوسف من بعد الله، أخوض فيه وأغوص، فأنا أظير الآن كما ترون هربا من الجان والموت، فأندفع بقوة وأسقط صوب بحر يوسف، أنتفس أسفل المياه، وأشعر بالأمان، فلا يصل إلي الجان، نعم لا يصلون إلا، طوق نجاة مياه البحر وهو النهر والمحيط، فأجد أنور وهو يركب على ظهر الحوت ويستقل متنه، وأقابل سندريلا وعقلة الإصبع وأماني، وأرى الرحالة وقبطان وسندباد ونخل الصعل والنخل الكومي والنخل الصغير ونخل نمر قد هبطوا معي في قاع نهر الموت والنجاة، والكهف المظلم العجيب يعج بالكائنات المرعبة، والفضاء الخارجي أتى إلينا، إن احتياجك للراحة مطلب يرجى ويتمناه المرء، ولبدنك عليك حق.

قول صحيح وهذا ما أتمناه، بيد أن العمل يهلكني فلا تغمض لي عين إلا قليلا. والآن تغرد العصافير والبلابل تشدو وتترنم، فيتخللها صوت هذا الكائن العجيب دائم الصغير المستمر المزعج، هو يشبه ذلك الفكر المتسلط على الذهن والعقل، والذي لا يبرحني، وكم أحاول التخلص منه فلا أنال تلك الفرصة، ولو جنحت إلى نوم فلا يخليني مع النوم برهة ضئيلة ولا هنيهة قصيرة، يعتصرني الفكر أيتها الغادة الحسناء. تضحك الغادة فتظهر قسماتها كالنور الذي تخلل الظلام، تنير من حولي بها الدنيا، وفاطمة لا تعلم لها وجهة، حين تدبر آلة الزمان والمكان دفتها ووجهتها كي تبحث عنها، والأمير المسحور بعدما نجا من ويل السحر يفتش معنا عنها، تقف العصافير على كفيه وكتفيه، يقاتل التماسيح والأحياء المائية جنب إلى جنب بجوار الفارس المثلث والرحالة، وأنور تنير له الدنيا وهو يستقل متن الحوت وظهره، ومعه عقلة الإصبع وأماني، والعالم الجليل يقود آلة الزمان والمكان ويعلم صبري الطيار الطائر كيفية القيادة الصحيحة لها، ومع الجمع صلاح الدين المعلم الأول، ومع الكل سيدنا محمد معلم البشرية وسيدنا عيسى معنا وكل الأنبياء، ولو كان ما نحياه للتو حلما لما كان يمثل هذه المتعة،، نجوت من القوم الظالمين الكافرين الفاسقين، وهي ليست نجاة فرار من خوف

وذعر مسني، لكنها نجاة راحة بال وفرحة من نصر أتى وحل، فمن يتصور أن الجبن والخوف هو سبب البعد لا ريب أنه موجوع نفسيا ومريض، وما حل بي وجاء سوى حبك أيتها الساحرة، يقول الجملة حين يراها، وهي أمام ناظريه في كل حين ولحظة، بل ساكنة فؤاده وحببية لوجدانه وشقيقة لروحه المتعبة، الآن لا وجع ولا ألم ولا ظمأ ولا عطش، نهر ودك سقاني الشهد، والماء خير من الشهد، الآن أنا أموت عطشا ويقدمون لي الشهد والماء فأستقي الماء وأتجرعه حياة وأملا، ما شأني بالذهب وعسل النحل وما لذ وطاب وقطرة مياه تشقي نفسي وقلبي ووجداني، إنني محارب من طغي وتجبر وما لشخص مثلي سوى أن يصبر عهد الطفولة إنني في ذلك وظلالك الوارفة فكيف لا أصبر أحببت فتاة حين كانت طفولتي تهمس لي فأغني وأنشد الآن أحياءها ولو مر العمر بي وأستمع بعهدا فلا أتردد كم كنت أتمنى أن أجلس وحيدا وأعيش هنالك والزمان يتورد فلا أجد منفصا والحياة مريرة بل أجد السعادة وأنا أسجد.

يا ليتك كنت تسجد وتصلي يا من تلهيك الحياة وتغرك. كلماتك تقطع القلب وتمزقه إربا وتطحن الفؤاد وتأتي على بقيته الباقية، للتو هو يبكي كما ترين، هل هان عليك ودادنا، إن ما أخشاه يحدث حرفيا، عذاب ينتابني ليلا ونهارا، وكذا لو غفوت، إن منامي قليل ونومي متقطع يحمل العذاب. رقت لحاله الفتاة وهي تبكي للتو وتتألم، وتتمنى أن لو لم تكن قد قالت تلك الكلمات الجارحة، لكنها تقومه كي يصلي، وتجرحه حتى يتقي غضب الله وناره. هكذا يتحدث روح الرحلة، وتبكي لتوها رشا فتاة وعروس نخل الصعل، بكاء حار ينبعث منها كما تنبعث الضياء من التور والوهج من لهب النار، وأم الرحلة تتحمل الكثير من الهموم، تطهو ونخبز وتطحن وتعجن، وتتحمل ويلات الزوج الأناني والأبناء العاقين، وسندريلا تربت على كتفها وتخفف عنها ومحسن يصب على ما ألم به ويتحمل الآلام، ابتسامته لا تغادر تقاسيمه الطيبة العفوية، كم أصابته ملومات ولحقته نواب، صابر إلى حد الدهشة، وكذا فهمي دائم الضحكات والابتسامات، ما رأيت له مثيلا، ومحمد يمشي ويمر على الجسر الترابي والذي يحد مساحات الأراضي الخاصة بالنوارة، إنها فتاة جميلة جمعت ما بين التكبر والتواضع، لا تعلم كيف، وهي ظالمة وجبارة و، لكنها ترى محمدا للتو فيميل قلبها، تحييه وتلقي عليه السلام وتدعوه للنزول إلى حقولها ونيل ما يشاء، فيقول لها:

ليتك لا تسيرين في درب الشيطان وأن تعطي كل ذي حق حقه. تغضب وتثور وتأمر رجالها وحرسها بضربه، يتقدمون إليه حاملين أدوات القتال، فتنهاهم بشدة وبدفعة حب يسيطر على قلبها، يتراجع الرجال والحرس، ثم تصعد هي إليه من خلال منحدر ومرتفع الجسر الترابي الذهبي، والحمار والجحش والأتان يسرون في تواصل صوب نخل الصعل، ثم يتوقفوا فجأة ليحضرهم الحدث، فتذكرهم النوارة أنهم تركوا كاملا هنالك في البلدة البعيدة القريبة وهو ذاهب للإتيان بأحمال القالوح من عشب القصب الذي يعتلي أعواده السكرية، ثم تحاول أن تصالح محمدا فيبتسم لها ابتسامة أخ في الإسلام والدين، وهنا يتقدم إسحاق فيحيي

الجميع وهو يجمع البيض والجبن والذهب والياقوت، ومصطفى يحصل على كنزه بعد صبر طويل، لقد كان قد انفض الناس عنه حين يأسوا من الحصول على الكنز، إلا القليل الذين ظلوا يحبونه ويحترمونه، والناس في أراضي القصب يجمعون المحصول، ومعتز يعاملهم معاملة حسنة، أبناء عزة عبد الواحد بؤرة الرحلة وجوهرتها المكنون المصون في رباط وحب وونام واتحاد ورباط ومحبة، ثم ها أنا أشعر أن شيطاننا وسواسا لا يخليني أبدا وشأني، يريد أن يلتهمني، يسير مع ظلي في العتمة.

لا تخف حبيبي، أنا بجوارك، ومن قبلي الله رب العالمين. فابتسمت لها وتبدل حزني فرحا، وصدقته فانقلبت إلى أفعى، لا توجد حقيقة تسعدني في هذه الحياة، فتاة جميلة تسير إلى جانبي، تتحول إلى وحش كاسر وأفعى وما يشابه ذلك وشابهه.

هذه أوهام تدب في صدرك، أنا حلوة الخصال والصفات، ناهد التي أحببتها ولا تزال، سندريلا حلمك وخيالك وواقعك، أنا كل النساء. هنا زلزل كياني واهتز قلبي وسرقت مني روحي لما رأيته تارة أخرى تضحي وحشا كاسرا يقود الوحوش بعزيمة لا تلين وقوة مفرطة، تحولت إلى وحش كاسر ثم روضة ونهر، ثم حديقة وبستان. ما بالقلب باق طالما دبت الأنفاس بالصدر، وها هو حبك يملك الشغاف ويعانق الروح. تبسمت لي وتبعني ثم صرنا نعدو على جانب الكثيب الرملي، وتحولت الرمال لتربة طينية ثم بساتين وقصور، وهي تهمس لي:

أحبك أحبك. كدت أطيّر بل ها أنا ذا أخلق كما ترون من فرط فرحتي والذهول، لقد كانت لا تنظر لي حتى، كيف تبدل الأمر؟!

إنها إرادة الله، نطير سويا برفقة العصافير والطيور، الكائنات جميعها معنا تزغرد وتغني وتنشد، بل الكون كله ينشد، فهل تقدرين بثمن يا فرحتي، فابتسمت الفرحة وزاد فرحها وسارت معي واختلطت بوجداني، لكن الشر لم يتركني والمعارك لم تخليني والحروب تدق ناقوس الخطر فوق رأسي، ما تتركني الدنيا لأهنا، لا بد لدموعي أن تتساقط، يقولون تساقطها ضعف بيد أنهم هم الضعفاء والجبنا، الدموع قوة وهيمنة وسيطرة، لا زلت أدمع يا ناهد القلب وعمري وابتسامتي، وهم يأكلون من لحمي ويكسرون عظامي ويدغدغون لحمي ثم يبتلعونه معتقدين أنني قضيت، فيحييني الله من بعد موتي، فالله محيي الموتى، الآخرة أتت، جمعت عظامي وتآلف واتحد واستجمع لحمي وبعثت روحي، وقلت تالله لأكيل لهم الكيل أضعاف ولأرد الصاع صاعين، وعبد الرحمن لا يزال يحمي ظهري من بطش ألم بنا، فتناولت الذنب بفي وسحقته وابتلعتة، يرون فعلتي فيفر جميعهم وجمعهم، أطيّر وأخلق وأصل إلى حقل الغريب كامل وهو يحاور أخاه أنور أنه غريب عن العالم وضيع حل به، وأنه ليس بأخيه فيبكي أنور، ثم يرسل الكرة عرضية له فيستلمها بمهارة فائقة ويراوغ هذا وذاك ويقترب من المرمى فيحرز هدفا، حالات متناقضة وأوجه مختلطة عجيبة للرحلة، ويتقدم الفهد صوبي وأنا الرحالة، فيحاول أكلي حيا كما ترون، تهتف سندريلا:

حذار يا رحالة، يكاد الفهد أن يلتهمك، فأدنو من الوحش وأمسك قدميه الأماميتين وقائمتيه، ثم أمزقه وأعل نفس الشيء بالأسود والذئاب ثم أقول شعرا، فهل يحق لي أن أقول شعر في موقف الحروب: نعم أستطيع.

فر مني حيث التقيته الضبع فما للضبع حديث معي ولا سمع وماله بعدما قضى من أي منفعة ولا مكان يستقر به ولا وضع ولا صوتا نسمعه بعدما الآن ولا ضرا منه نلقى ولا له نفع، والجحش بعدما يسمع الشعر يصبح كالطائرة ويبعث وميضاً وضوءاً، يتحول لهينات لا نهاية لصورها، وقد زاد عرضه وطوله، وأضحى كالبساط الممهد العريض، فاستقلته الجميع، يطير كما ترون ويزور الكواكب والنجوم ويقترب من الشمس، وهو آلة زمان ومكان تتكيف مع كل الهينات والأوضاع، ثم يهبط من أعلى الكون لأدناه فيهبط في بحر يوسف بعزبة عبد الواحد ويخوض ويسبح ويصل الأعماق، وسندباد يتعجب مما نحن فيه، فيسبح ويستقر فوق ظهر الحوت مع أنور وعرابي ومجموعات الصبية والكاننات الحية، وعقلة الإصبع يطير على جناح اليمامة ومعه شقيقته أمانى، ويسلم الجحش على الحوت ويركب فوق ظهره العريض، يتبسم فيكررك والنباتات تترعرع وتنمو أسفل المياه في الأعماق، ويتحول بحر يوسف لنهر الموت، وفاطمة لا تزال لا نجدها، الرحالة لا ينساها ولن يفعل ذلك، والقارب الصغير يهبط نحونا، وفي مخابئه أسود وتماسيح وأسماك، وسلمى في بستانها مع أبيها النحال يغذون النحل ويرعون بصحبة الكائنات، الكل يحيي أسفل الماء في الأعماق، وكهف الأعماق تصدر منه أصوات مرعبة، الرحالة يعبر فتحة الكهف وهي بابه الأول وخلفه التماسيح تعدو سابحة بقوة تريد التهامه، ويخرج من الفتحة والباب الآخر ثم يغلق الكهف نفسه ويميت التماسيح، لا زلنا لا نعرف أين فاطمة، صوتها أسمع من بعيد، تعلمون جيدا أنني الرحالة، هيا اتبعوني لقد نجونا من كهف نهر الموت المظلم، وهم يحاربوننا لا زالوا، جيوش عملاقة ومعهم الساحر الشرير وريمة، كيف لهم النيل مني وأنا الداهية الماكر الماهر، فمكري مشروع كي أحارب الضباع وأنزل الأسود وأكسر شوكة الذئاب وأنهى معاناتنا في نهر الموت وأجد فاطمة بحول الله وقوته، وإنني لأعود وأقول لكم أنني لا شيء في الرحلة وكلنا الرحالة، وبدونكم من بعد الله جل وعلا لا أستطيع فعل شيء، وسندريلا تقترب مني رويدا رويدا، وتقول:

بطل منذ أن عرفتك وداهية ومقاتل ومتواضع. فأبتسم وأراجع قليلا من فرط الخجل، فلو رأيتم ابتسامتها لظننتم أنها البدر وزهر الرياض وعطر الورود، ، ثم أتميل تارة أخرى وأميل على فرع وغصن وفنن بديع، فأقطف لها من ثمر الشجرة دائمة الإثمار، فالיום عيدي لا ريب في ذلك، والآن يوم فرحتي ولحظات سعادتى، ثم تهجم علي الوحوش فأشعر بقلبها يخفق لأجلي، هل علمتم من أنا؟! يبتسم الحضور ويقولون في نفس متصل واحد:

سندباد أنت لا ريب، سندباد البحار والأنهار والمحيطات والبر والدنيا والأزمنة والأمكنة وأنت صبري الطائر والرحالة وقبطان وكل الشخصيات. فأضحك وأفرح وكأن الدنيا

ملكته، والسماء تبعث لي بالخير بإذن الله، وتسقط الغيث متهاديا، ثم تظهر جيهان كما ترون، وهم يطلبونها للزواج وهي في عمر الزهور، طفلة صغيرة، نصرخ جميعا: لا توافقي جيهان، أنت طفلة. فتفرح كثيرا وهي تقول:

أنا أرفض أنا أرفض. والحكم من بعد الله كما تعلمون للنوارة والنسر والساحر الشرير والظالمون والمجرمون والقتلة والساحرة العجوز ذات البيضة البلورية المتحولة والشال والعصا والابن الضال، فتعوي جموعهم علينا بالقتال ووايل اللعنات، ونصدهم ونحدرهم بكل ما أوتينا من قوة وعتاد وسلاح، يساعدنا في ذلك من بعد الله الملك الغضنفر البطل خميس، وأنا الآخر أجمع قواي بالاستعانة بالله وقراءة القرآن الكريم، وتهاجمني الوحوش فأقسمها وأقطعها إربا، فلا تجد مناصا من الهروب، أولى بها أن تهرب من أن تلقى الموت، ويعاودون مهاجمتي بعدما عادوا للحياة، فيدنو مني رفاقي وأصحابي، وأجد حسنا حبيبي في مقدمة الصفوف ومعه عبد الرحمن والرحالة وسندباد وقبطان والفارس النبيل والفارس المثلث، وأم الصغار تدعو لي ومع الجميع تدعو لي أمي، هي أم الرحلة جلها وجميعها، وعبد الرحمن في الرحلة حقيقة وإن عمي بصري فلي بصيرة حبيب وصديق جل هدفي أن تضمن الروضة النضيرة لنا في الحياة طموح وهدف وله حبيبة ولي حبيبة وما رأيته إلا ووجدته في المسجد الجميل إماما وخطيبا لا أظنها الحياة ستمضي دونما نترك أثرا في ساحها وطيبا يستمع الفتى لكلمات الناظم الجميل فيكاد يجن سحرا من عمق الأحرف وانسيابها ورونقها، والنخل الكومي يتزين في أجمل حلة والزهر والورد في الرياض يتجلى ونحن نسير ومعنا الكائنات فوق الجسر الترابي المتحول لذهب ودر وياقوت، ودوامة بحر يوسف تناديننا، أتريد أن تغرقنا، موجها غزير عال متحول ثائر متقلب ساخن تارة وتارة أخرى دافئ، لا يؤمن مكرها أبدا، والفلاح خشن الطباع غليظ القلب هو في الأصل إقطاعي ظالم وطاغية جبار، يتخفى في لباس الفلاح الشريف أم ماذا، يهلك الفتى الصغير، فأنصب عليه انصبابا وأهاجمه بشراسة كي يترك الفتى، يتقهقر قليلا ويذوب في خوفه ويخلي الطفل ويتركه، وينضم إلينا العم عبد الصبور فيدافع عن الفتى أيضا، ونكمل مسيرنا وتحليقنا فوق الجسر الترابي المرعب الملهب، فنلتقي أبا العقيص وهو أكبر من النملة حجما، يتضاعف حجما ويتضخم ويصل إلى ما لا نهاية من الضخامة، فتعتليه الرحلة ويصير هو آلة زمانها ومكانها ويقرضنا جميعا ويقرصنا ويلسعنا ويلدغنا، فنتعلم العوم، ويتعلم الحمار وزوجه الأتان وابنهما الجحش فن السباحة وكذا الأنعام والأطفال والكبار والصغار، فنسبح في الموردة، والمورد مكان عبارة عن مياه وشاطئ مملوء بالمياه وتتخلله الأمواج، يأتي من كلمة مورد وربما ورد يرد موردا، كلنا يسبح ومعنا الأسماك والطيور والحوث الذي يستقله الفتى الجميل أنور والفتى الطفل حسن وعماد وصالحين ونزهي، والمياه في فحل وقناة المياه وهو المجرى أو المصب والمنبع الخارج من روضة ممدوح وبستان ممدود وروضة حفني، حيث الفتاة ناعسة تلقي الشعر وتؤلفه فيصبح متألفا كما تألف قلوبنا، و"عبد الرحمن"، صديقي الحبيب معنا وأنا أقول له، هيا بنا إلى حقل القصب كي نحضر "القالوح" _ وهو الجزء

الأخضر العلوي من نبات أعواد القصب، حيث الماشية تأكله فتتمو وتدر اللبن كي نستخرج الجبن والسمن وخيرات الله التي لا تنتهي، ولينتنا نحمده جل وعلا. ففرح عبد الرحمن وحمد الله وعزم على الذهاب مع رفيق عمره رغم صعوبة ومشقة الحصول على ما يطمح إليه من جمع الأجزاء الخضراء التي تزين قصب السكر، وابتسم وسلم على الرحالة مرحبا، وشقا طريقهما، وكان الليل ينتظر انقضاء النهار، وكأن النهار يبتسم له محيا إياه، والقمر يريد أن يظهر فيرتسم بدرا، وما كان البدر يكتمل إلا إذا احتوته عيناك، والفتاة تستمع إلى نبضه وتنصت مذهولة مأخوذة وهي تتمنى في قرار نفسها أن تكون الكلمات لها وهذا ما يكون الآن وما هو حاصل، وأنا من يتعجب من أمره الصبر ويخاف مني لو ما يغدر الغدر يخشى حسامي ذاك الغدر ويعود بالأيدي صفرا إني أعود أنتصر فالصبر مل وحار بأمر دنيانا وصبرت دهرا حتى صفق الدهر لي ثم حيا من بالله كم يثق والطير غنى حين تبسم الزهر ورد الحديقة كم يعبق ومنه شذي وغلب عسري ثم تنهد اليسر، من يسرد الكلمات وينظمها ويكحل طرفها؟! لست أدي... لكن ربما هو روح الرحلة المشارك بها دوما وهو الرحالة، وكل منا " رحلة " .. فضحكت " سندريلا " وابتسمت تحيي الفتى الذي ملك منها الشغاف وراحت تضيف لحرفه ثم تبكي فتضحك فتبكي، وقد ظننا الجميع أن ذلك مجنونة فواصلت وقالت:

تظنوني مجنونة وعقلي راجح والعمل ينجي لأنه صالح والله ضحكتي من فهم أتى لعقل سليم والفكر سارح من كانت معضلة قد ألمت به من بين أيديكم لها تشرح كم يضيء البدر في فلك كوكبي وزناد عبقرיתי إياه أقدح،. فيصفق الجميع والليل كأنه كوكب دري انبعث منه الجمال ويحييها، والغصون مظلة على الحياة حيث الشذى منها انبعث، والأريج اختلط بالنسيم. تبدو " عزبة عبد الواحد " " النوارة والنسر " مستيقظة، بل إنها دائمة الاستيقاظ، يا لروعته، هي أم الرحلة التي تحوي تفاصيلها، وهي الدنيا والآخرة، وخلق الجميع رب العالمين، و" صبري الطيار " يقود الآلة كما ترون، ولا تزال " ملكة النحل " تواصل تحليقها الأبدى السرمدى في أحد الأوجه والهيئات اللانهائية التي تتخذها الرحلة ممثلة في آلة زمانها ومكانها العجيبة... وظل الرفيقان في سير طويل حتى التقيا " الجحش " ابن " الأتان " و" الحمار "، والأول وهو " الجحش " قد ترك صديق عمره " كاملا " في البلدة البعيدة التي تحويهما " عزبة عبد الواحد " درة الرحلة وقلبها، زهرة الزمان وحبّة الرمان وعنقود الحسن ووردة الأفنان ونشيد الأمل وواحة النسيان، حبيبة العمر والقلب، وأنا في خضم كل هذا تائه لا أعلم من أنا... فتقدم عبد الرحمن والفتى حسن نحو الجحش وسألاه: أين كامل؟! فبدا الأسف على وجهه ودمعت عيناه وقال:

تركته هناك في حقل القصب يعاني، وقد فقدت الأدوات المرافقة لي والتي توضع على ظهري كالأريكة، وفقدت الحبل الذي تضم به كومة القالوح الخضراء المجموعة من أعلى ساق القصب. فبدا القلق على الصبيين واستقلا الجحش والحمار، والأتان تتبع الجمع، وآلة الزمان والمكان تبعث وميضاً وضوء تحذير، فالساحر الشرير وزبائيته على مقربة منا، ولا

أزال أنا من لا يدري من هو. ولا كيف تدور الأحداث... انطلقنا جميعا صوب حقل القطن
نواجه المجرمين والسحرة وقطاع الطرق، حتى جن علينا الليل، كل هذا الطيار الطائر
صبري قائد آلة الزمان والمكان يبهنا بمواهبه المتعددة، " عبد الرحمن " ينظر إلى "
صبري الطيار الطائر " " قائد آلة الزمان والمكان " وهو يضحك مبتسما ويغرد منشدا وها
هو يقول:

الطيار الطائر صبري معنا في الرحلة، الفتى الجميل قائد آلة الزمان والمكان، هل أنا أحلم.
ينظر إليه صبري مداعبا بروحه الخفيفة الطيبة وهو يقول:
حبيبنا عبد الرحمن، هذا شرف لي حبيبي " عبد الرحمن ".
وأنت صديق عمري ورفيق حياتي، وفقنا الله جميعا للخير.
شكرا من القلب " عبد الرحمن ". وهنا تتقلب آلة الزمان والمكان متخذة أشكالا وهينات لا
نهائية، والطيور معنا والحيوانات والأنعام والكانات والدنيا والآخرة والجنة والنار، و "
الملك الغضنفر خميس " " قائد الجيوش والبطل المخضرم الداهية " يقود الحروب ويضيء
شعلتها ويحملها في عزم وثبات الأبطال، وأنا روح الرحلة ومن أسمى أنا أخطب الفتى
الجميل وأقول:

" عبد الرحمن " .. حبيبي، هذه عزبة وبلدة " عبد الواحد " الجميلة بؤرة الرحلة وقلبها
النابض تتمدد وتبسط أجنحتها وتهدينا الأمل ونحن ننعم بما فيها من خيرات وآمال، فما رأيك
في أن نذهب إلى نزهة فنمر بروضة حفني ومدرار أحمد و " رافعة المياه الخاص بالفتى
تامر ظلمبة تامر " و شاطئ بحر يوسف والنخل الصغير والنخل الكومي و " نخلي الصعل
ونمر " و " الترعة الكبيرة " و " الترعة الصغيرة " و " المصرف العذب " والفضاء الكوني
والدنيا والآخرة و...و.....

أنا مذهول متعجب من أمر هذه الرحالة أيها " الرحالة "، بالطبع أوافقك الرأي: هيا بنا...
وانطلق الرفيقان والشمس مظلة وتنوي الرحيل وإفساح المجال للقمر، وها هو القمر يحدثنا
أنه سوف يصير بدرا... _ كيف ذلك أيها القمر؟! يضحك القمر ويبتسم ويكركر فيتحول إلى
بدر مكتمل رانع الجمال حلو الطلعة حسن القسمات... يضحك كل الرفاق وكذا العصافير
تضحك وتبتسم وتغني وتغرد، " عبد الرحمن " أنا، عبد فقير أسعى لرضا الله عني، ها أنا
أولد وأحيى لحظاتي الأولى وما قدر لي من زمن، لا أعني ما حولي ولا أدركه البتة، لكنني
أكبر وتتغير من حولي الأحداث، وأبصر " آلة للزمان والمكان " تتخذ كل الهينات والصور
التي تخطر ببال أو تلك التي لا يستطيع العقل البشري تخيلها، وفي معنى أدق فأنا من ضمن
محتويات هذه " الآلية الزمنية والمكانية اللانهائية المكونات والتفاصيل " .

نعم " عبد الرحمن "، فالآلة تابعة للرحلة وهي مكونها الرئيس، والآن هي رفيقي عبارة عن
نخل جميل وعجيب حوله الجان والقبور والأجداد وبه الخمان واللبساتين والقفار ويسمى "
النخل الكومي"، الذي حوله " بحر ونهر وجدول ومحيط يوسف "، فبحر يوسف هو كل ما

يرى من مياه على وجه البسيطة وكل ما يدرك أو لا يدرك من مسطحات مائية في الكون وما أبعد.

بالفعل يا "رحالة الزمان والمكان"، و"عزبة عبد الواحد" هي بؤرة الرحلة ومركزها والمسماة أيضا ب"النوارة والنسر"، حبيبة الفؤاد ومالكة الشغاف وآسرة القلب ودرة الوجدان وكل الكيان. يظل الصديقات يتبادلان أطراف الحديث ويتجاذبان في هدوء وطمأنينة، ثم يعبران أحد دروب العزبة حتى يصلا للتو للدار المهجور، وأنا معهما، رفيقهما في الحياة، ومعنا "الفارس المثلث تبر"، والأخيرة هي تلك الفتاة صاحبة الطمبورة، و"الطمبورة" هي مدارر مياه اسطوانتي بداخله تجويف لولبي يسحب ويقلب المياه، وشادوف الفتى عبد الصبور يظهر وهو يميل ويعتدل، يحمل ثقله دلوه، ويرفع دلوه حجره، وها نحن نصل جميعا للدار المهجورة، ونجد به شابة فتاة غاية في الجمال، تنادي على أحدها وهي في قلب البيت تارة وفي طرفه البعيد تارة أخرى، جمالها جذاب يأسر النفس ويملك القلب ويسر الطرف، تنادي علي بالتحديد، فيجذبني جمالها، بل يملك كياني، أسير نحوها فيغلق الباب خلفي، يغلق بسرعة خاطفة ليصبح حصنا حصينا لا يخترق، ويتحول شكلها وتتغير هينتها، فهي للتو عجوز بلغت أرذل العمر، لها أظافر نارية وعيون تتقد شررا، تغرس أظفارها في لحمي وتحطم عظامي، فيحاول الملك الغضنفر خميس أن يحطم الباب من الخارج، وتحاول آلة الزمان والمكان ذلك، فلا شيء يفيد، تظهر عائلات ل"لجنية الشابة العجوز"، تدور آلة الزمان والمكان في المحيط الخارجي، وتحاول آلياتها استكشاف الأمر، مجهرها يضع الحاضرين والمشاهدين في صورة ما يحدث، وعدساتها ترقب الحدث وتصوره، وأنا أرى كل ذلك، كأني آلة الزمان والمكان تلك، الكل يحاربني، والفوج الطبي الطائر _ بقيادة "الهدهد" و"أبو فصادة" و"أبو القردان" والبطريق" والغراب" وعقلة الإصبع وأماني وآخرون وأخريات _ على مقربة مني، وأبو قردان يبكي، وعقلة الإصبع وأماني لا يزالان في كفي "سلمى" ذات الرداء الأخضر"، و"فاطمة" لا يزال الرحالة يبحث عنها، ونهر الموت تثور أمواجه حيث الصراع الدائر بين التماسيح والأحياء المانية لفتاكة من جهة، والرحالة ورفاقه وآلة الزمان والمكان والكائنات من جهة أخرى، والعجوز في الدار المهجور تشعل الحرب وهي تستشيط غضبا وثورة، تعتصرني بقبضتها، فأثور عليها وأعتصر عنقها، لم يفلح سحرها معي، أنا في موقف السيطرة على الأمر، وهي تتلوى، فروحها تسلم أمرها للخالق العظيم، تزهق مضطرة لرد فعل عنيف مني، بيد أن الجان لم يمهلوني كي أكمل ما بدأت فيه من أمر وفعل، وزاد موج نهر الموت من ثورته، وتفجر ساكبا مياهه في البيت القديم المهجور، والذي صار قصرا طائرا، وها أنا ذا أجد نفسي في قصر "فتاة القصر" "نادية"، ومعنا الضريرة الطيبة فتة، والمخلصة نجاة، والحمامة حاملة عقلة الإصبع وأماني على جناحيها، و"ملكة النحل" بجوارنا تحلق ثم ترتفع وتسمو صوب السماوات، وتتواصل مشاهد الرحلة المجموعة من كل الأزمنة والأمكنة، حيث أنظر صوب حبيبي عبد الرحمن وأقول:

"عبد الرحمن" صديقي الحبيب، مواقف حياتية تعترضني فتكاد تأتي على البقية مني وتهلكني، ولا أستطيع تجاوزها. ويبدو عبد الرحمن متأثرا بحديثه وعينه تدمعان وهو يبكي قائلا:

ماذا بك حبيبي الرحالة؟!...للتو ينطق بها وهو متأثر بحال رفيقه "الرحالة"، والفراشة تحلق بجواريهما وتشاركهما الحديث، والليل يطل من بعيد ثم يقترب رويدا رويدا. وقد تدارك عبد الرحمن كم الشجن والوجل الذي ألم برفيقه، يعلم جيدا أنه مرهف الشعور رقيق القلب، وهذه الحياة لا ترحم فيقول له مستطردا:

عليك بالصبر رفيقي الرحالة، لا بد من التحمل وتجاوز العقبات بالاستغفار. ثم أظهر أنا ويطل وجهي على الحياة وهو واجم وجل، وأسأل والكل يستمع وينظر:

هل هذه حياة أم ذلك رعب يدب في نفوسنا ويأكل أرواحنا فتتلاشى متجهة صوب الموت، وكل رعب بيوم يمر وتجاويز تظهر وآلام تتقاطر وتكابدنا وتنخر فينا وتنحر أجسادنا والنفوس، لقد أفقدني الدهر صوابي ودب الخوف في أوصالي، فإن سعدت فتلك ذرة بسيطة نادرة، وإن وجلت لاستمر وجلي وهو لا ينوي الرحيل، وإن بلغت قمة فرحي جاء الحزن ليحصد روعي جزاء على ما اقترفت من إثم، علي إذن ألا أفرح أبدا، أو أفرح وأتحمل العواقب، تالله لأفرحن ولو كان الموت قرب حرف مني أو خطوة أو أنملة. في تلك العزبة الحبيبة شقيقة النفس أحياء، ورود وزهور وحقول، وأماني جميلة وشمس وقمر وصحبة خير، وجيران متعاونون وأناس طيبون وأهل خير ورفاق درب، لوحة طبيعية نادرة الوجود، وراحة نفسية منقطعة النظير، على الحزن أن يولي ويتبدل بمسرة نهواها. هنا تبكي "سندريلا" حال "الرحالة"، وتنعيه لنفسها، فهو شقيق روحها ونفسها، ولربما "الرحالة" هو "سندباد" وكل شخص، ولربما "سندريلا" هي كل فتاة روحها جميلة حلوة، ولا توجد ها هنا كلمة ربما، فكل شيء مؤكد، وكل الأشخاص موجودون. هذا ويطل حقل القطن بجماله وحوله الحقول الأخرى، فالآن "عبد الرحمن" والرحالة في حقل القطن ومعهما "كامل" و"محمد" و"أحمد" و"أبو اليمين" و"عزبة" الفتاة و"سمهانة" و"أسمهان"، و"تبر الفارس المثلث" و"حسن" و"حمادة" وآخرون، هم من أبطال الرحلة، و"الخولي" ورئيس الأنفار والعمال و"الإقطاعي" و"صاحب الحقل" و"الفلاح المجرم" والفلاح الطيب و"فوج أبي الهدد الطبي الطائر" و"سندباد" و"سندريلا" و"عبد الباسط" و"المدير المتسلط والنمام والواشي" و"المفتش ناقل الأفعال والكلام" و"أم الرحلة" و"أم الصغار" والكاننات جميعها، حقل قطن طويل التيلة تحدث به الجرائم من سب وضرب بالسياط وحتى المعارك الحربية والطبيعية، يتقدم "الخولي" بشراسة ممسكا بكرباجه وصولجانه وعصاه ويضرب الأطفال والصبية، وأنا مع الصبية والصبويات نعاني الأمرين، كفاكم ظلما وقهرا، نحن نعمل بالسخرة لديكم. أما من رحمة. لا تحسبوننا ضعفاء...كما تسمعون وترون فأننا أقول ما سبق ورئيس العمال يزداد غطرسة، فأمسك بعصاه وأجذبها نحوي ثم أكيل له بها من ألوان الوجع والضرب، فتقوم القيامة علينا، نشتبك بالأيدي فلا يفيد

ما نفعه، فنقدفهم بالحجارة والطوب، هذا استعباد، من المفترض أننا ننقي شجرة القطن ونخلصها من الدودة المسماة باللطعة، نتحمل حرارة الشمس وقسوة المسؤولين عن العمل، تشتد المعركة ونكيل لهم من الطوب والحجارة، ويكيلون لنا من ضربات سياطهم وتنتقل آلة الزمان والمكان غير مخفية الحدث خلفها، بل تجره معنا، كل قد جاء إلى حاضر حدوث الحدث، تدور الآلة دورتها الزمنية والمكانية، و"عبد الرحمن" كذا تحتويه "آلة الزمان والمكان التابعة للرحلة بلا حدود، فهو أمير الرحلة ومن يهب الود والورد ويمنح الجود والجزء الذي لا يتجزأ عنها وقلبها النابض، هو تلك آلة الزمان المشار إليها فخيرها فانض"، ويحتويه ويشمله قلبي فهو يسكن الفؤاد، بنيت معه أحلامي وحققته وبنينا العماد، وبرفقة صديقي لا يوما من الأيام أخاف، حبيب العمر من تحن إليه وتسعد الشغاف، فهو وغيره القاسم المشترك ها هنا، فكلنا عباد الرحمن، وإنه للجمال والحسن والمعنى الحقيقي للصداقة. ذلك الفتى هو المخلص النبيل، فإلى حبيبي وعمري كم القلب يميل، بطل الرحلة وفارسها المغوار وبروضته الأماني تطل ويتفتح الزهر ويعبق البهار، حيث لا يزال يراوغ الوحوش كي يحمي صديقه "الرحالة"، وهنا ينقل الأخير قبضتيه الممسكتين بالفروع أعلى الأشجار والتي تحوي "الشجرة دائمة الإثمار" متنوعة الفواكه والخضر وشتى الخيرات، حيث حبيب عمر البطل "عبد الرحمن" يتدثر بالأوراق اليابسة والخضراء في عملية خداع للوحوش المتمثلة في ذئاب وأسود وفهود وضباع وكلاب برية ومجموعات من عنلات التنين، ثم يقوم بهجوم مباغت خاطف وكذا يفعل "الرحالة"، فالأخير جامع كل الشخصيات والمتمثل بها، وهما يحييان كائنات الرحلة حين يقول الهاتف والراوي والجميع يرددون:

نحن نحى الشباب فكيف أنى يعود؟! وقد نشأتم كهولا ما لكن وجود لا تظنوا المشيب من ربانا سيدنو فعنا ذاك المشيب بعيد بعيد وسط جمع الناس لست أبقي سعيدا إلا بعض الناس فمعهم سعيد إلى حيث البراءة بي حبيبي تعود فالأماني الحسان تظلهن الورود والليالي بهن بدر حسن أضاء والرضا والمنال والورى والسجود كم يضمن الجميع فليس فيهم كريم وأنت بالخيرات حيث كانت تجود فانت نهر النيل في سخاء تكون والشجاع الحبيب والمنى والجواد، كيف يشقى القوم وأنت فيهم أمير وتعريهم هموم ومن فيهم عماد، لنن أظعن بخنجر في صلب الأساس لهو أهون لدي من كلام الناس وقد التقيتك رشا عند نخل الصعل وقابلت الشيطان ذا الوسواس كل يوم يمر علي أذوق من كأسهم المر أشد المآسي إن خوضي تجربة الحياة مرير وتحليقي في سمانها صعب المراس يرقبني الناس حيث كنت وكانوا ليت أنى ما عرفت أولى الأنفاس عماد الحبيب يا عصام الدين من بدونك عمري صعب وقاسي، في تلك العزبة الطاهرة النقية "عزبة عبد الواحد والنوارة والنسر أبعادية سيف الدين"، والمتسعة لتشمل الكون بأسره وأبعد، والتي تحوي الموت والحياة والآخرة والدنيا والبعث والنشور و"نهر الموت" و"مستنقع الهلاك" و"الهوة المتقدمة" و"روضة حفني" و"بستان ممدوح" و"ساقية الفتى عزمي" و"مدرار مياه وظلمة الشاب تامر" و"الغدير العذب" والترعة الكبيرة و"المصرف العذب" وبحر يوسف و"النخل

الكومي" و" نخل الصعل" و" النخل الصغير" و" منطقة الأربعة عشر فدانا" وكثير وأكثر وأكثر وأكثر، في تلك الروضة الخالدة المعطرة بالشذى والياسمين والورود والزهور، وفي الكون وما احتوى وما لا تدركه الأبصار، في كل ما تقدم وأكثر وأبعد، تدور آلة الزمان والمكان وهي قلب الرحلة بلا حدود، تدور وتتقلب الآلة المشار إليها لتحيا الماضي والحاضر وتستشرف المستقبل، ولا يستشرفه سوى الله، مدبر الأمر ومسير الكون، وخالق الجن والإنس، فالآن يظهر الرحالة "عبد الرحمن" و" كامل" و" عماد"، وصحبة جميلة أخرى، وكنائس متنوعة و" بساط سحري" وموج" بحر يوسف"، و" المصرف العذب" و" سبيل الماء"، و: " ظلمة ومدرار مياه الفتى تامر" والجميل" أحمد"، و" الساقية" "ساقية فارس الرحلة عزمي" لا تزال تدور يجرها الحمار والجاموسة والبقرة والثور والبهانم والأنعام، حتى همس لها الفتى وهو يقول حيث أغرقته الهموم في لجة منها ومستنقع، والفتى هنا هو أنت أو هو واختصارا ذلك الرحالة قائد الرحلة المتشكل والمتلون في كل الصور والشخصيات والهيئات عبر الأزمنة والحقب والدنيا والآخرة والبعث والنشور والجدث والقبر، يقول ذلك الفتى:

كفتني الهموم ثم أغرقنتي حتى سبحت في نهر عينيك نعم قال الفتى سندباد والرحالة وأي فتى ما سبق واستطرد:

والزهرة متألقة في أغصانها تحويها الحقول، و" عزبة عبد الواحد" "بؤرة الرحلة" و" النواراة والنسر" وهي ذاتها "أبعادية سيف الدين" فرحة مسرورة وبالرحلة فخورة، بها "نهر النيل" و"البحر اليوسفي" و" نخل الصعل" و" النخل الكومي" وأماكن أخرى ترونها معي، اسمحوا لي أن أكون معكم...فضحك الجميع وتهللت أساريرهم واستبشروا بالخير وما زالوا مستبشرين. وفرحت سندريلا حيث هي كما ترون بجواره، وملكة النحل تحلق كعادتها ولا يهدأ لها بال، ولا تزال الفتاة تفرح وتغني وتشدو ومعها ناعسة والأميرة، وقالت له وهي متبسمة لسندباد فتى الرحلة الأول:

أكمل سندباد. فابتسم رغم الوجع الذي يضره وهو يقول وها هو يفعل:

كفتني الهموم ثم أغرقنتي حتى سبحت في بحر عينيك فإني كم رويت بسحر طرف وما أحلى الحياة بناظريك وأمرى بعد شوق راق قلبي إذ الأيام تمضي في يديك ونهر النيل أنت فكيف أحيا بدون ضياء روضة مقلتيك يحط الحزن حتى إذا تجلى بريق النور منك رنا إليك فبدده بريق من جمال وصار بصفو جنة شاطئك وتاب عن الخطايا والذنوب ليسكن فوق ساحة راحتك يغني مثل طير في السماء فما تبقى الجنان سوى لديك، فصفق الجميع بلا استثناء وعلا الهتاف في الأرض وفي السماء، وملكة النحل فرحة مسرورة تحمل أمانى وعقلة الإصبع، وناعسة برفقة حفني في روضته العطرة تشدو والطيور تشدو معها، متصلة تمام الاتصال، ومبتهجة بمقومات الحياة وما وهبنا الله من فطرة طبيعية.

بالفعل يا سندباد، انظر جمال الورود والزهور وتأمل الشجر والزرع. وهنا التفت الفتى تارة صوب الحقول والبساتين، وتارة أخرى تجاه عينيها. وكانت عيناها بدرين وقمرين وشمسين

وقل ما تقول وأضف ما تضيف، فها بدران وقمران وناظران وطرфан تخجل العين لو ما نظرت إليهما، وتخفت الضياء احتراماً لها وتبجيلاً، وتغني الطيور. ثم تحدث فتى الرحلة قائلاً وهو يوجه حديثه للملاك:

إذا ما صبرت على كل هم فهذا لأنك حامل همي ودونك أطوي سبيل المنيا وألقى النهاية فيها بسم ولا كنت أعلم من ذا تكون تعال فعلك طيبة أم وظلة أُمي زهور الربيع وجنة ربي وقول مهم وتجلو الحبيبة عني الهموم وتمسح دمعي المسال بكم فبعد رحيلك زاد النحيب وصار نصيبي حصاد الذم وأُمي أراها توا وحالا فمنجاتي أُمي ومذهب غمي وعمي حبيبي ظلمتك عمرا وأنت الحبيب وأطيب عم تحمل في كل حين وزاد بعمر وجهه ووقت ولم فلم المنافع كي نحى نحن ومات وحيدا ببحر ويم فما نحن نصنع بعد الفراق؟! وفينا تضيع صلات الدم. وها هو عمي يموت غريقاً أمام عيني فلا أستطيع إنقاذه. تفوه بالعبارة السابقة وهو يبكي، وعمه يصارع الأمواج، وهو الذي لا يقدر على السباحة، مواقف محزنة في الرحلة التي تحوي وتحتوي كل شيء، حيث سندباد قد وصل متأخراً وكذا الرحالة، ودخل وقت الليل بحزنه الشديد على الأنفس، ولكن زهور الحديقة تتفتح ويقبل الصبح ويسفر، فنجد أن شينا ما قد حدث، وروضة حفني منيرة، والنوارة مجرمة تظلم الناس، وقارون يمشي متبختراً، وسيدنا موسى يركز ذاك ويطعنه فيقتله، وسيدنا عيسى يتكلم في المهد، والسيدة مريم تستند إلى جذع النخلة وتهزه فيتساقط الرطب، وسيدنا ذكريا يكفلها بعدما يقع عليه السهم وتستقر القرعة ثم تستقر القرعة ثم تستقر، وعلامات القيامة تظهر، نتخبط في الأحداث جميعنا، لا نعلم لنا وجهة وقد نعلمها، لم نؤت العلم الكامل ولن نحصل عليه لأنه الله فقط، وفتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر. الله أكبر....، هذا فعل الله استجابة لدعاء سيدنا نوح، ونحن معه بالرحلة حين دعا الرحمن: رب إني مغلوب فانتصر، والرحلة في السفينة في عهد النبي الكريم وزمنه، ومر علينا ويمر كل عهد، عهد سيدنا "آدم" وسيدنا "شيث" وسيدنا "إدريس"، وعهد النبي الكريم سيدنا "محمد". وقد نزل نبي الله "نوح" بالتوحيد، ورسالته عامة لأن قومه كانوا هم كل الناس وكل العالمين، وسيدنا "محمد" قد بعث للناس كافة، للعالمين في كل زمان ومكان، وإذا أخذنا ميثاق النبيين، ميثاق قد أخذ تأييداً لسيدنا محمد رسول آخر الزمان والدنيا، من بعث للناس كافة، للعرب والعجم، ثم ها نحن أولاء عند ظلال أجمة نستريح ويظهر معنا الفتى المليح وها نحن أولاء نعبر الصراط ويظهر معنا النبي المسيح يرشدنا للهادي سيدنا محمد فيشفع لنا والمهجة تستريح اشفع تشفع قالها الله والقول اليوم والله صريح ثم أستريح عند ظلال الأجمة والجنة قريبة مني، والنار كذا تدنو من وجهي ولكن بيني وبينها حاجز جعله الله، وطمعت في عفو الرحمن فابتهلت ودعوت، وها أنا ذا أستمر في دعائي، عبد لحوح أنا ولا أياس من رحمة الله، ثم وجدت "عوني" _ المكبل بقيود "الساحرة العجوز" ذات البيضة البلورية المتحولة والعصا السحرية وهو يستغيث فذكرته أن يدعو فدعا، فنجانا الله سويا ونجي وهدي وخضراوي وأشرف ومصطفى، وسبح أشرف وهو يصطاد سمكا ويلهو ومعه

صديق حياته "حسين"، وحسين يمسك بمصيدته المستطيلة وهو يتجه صوب "النخل الصغير" عند "الجرف المتحرك الثائر"، و"عبد الصبور الفتى الجميل" يدير "الشادوف"، ظللنا ندعو الله بالنجاة من النار ودخول الجنة حتى أقبلت "نرجس" و"هدى" و"أمل" و"عمر" وآخرون وأخريات من أطفال وشباب وفتيات وصبية وصبايا الرحلة، جاءوا جميعا وهم يتمنون دخول الجنة، فيعفو الله عنا ونتجاوز الصراط فرحين مهللين و، والنار تشهق لكن في منأى عنا، نهتف جميعا ونقول:

الله أكبر، وتغرد الطيور ويأتينا "الهدهد" من سبأ بالنبا اليقين، ومعنا سيدنا سليمان بن داود وجميع الأنبياء، نحن في يوم الزينة والناس يجمعون ويجمعون، ولا يمر هذا اليوم هكذا من دون أحداث يتعجب منها الناس، هيا بنا يا رفاق إلى الحديقة الجميلة، حيث الحيوانات مصطفة ومجمعة، والغابة ليست ببعيدة. نعم يا سندباد، إنها جنة الله، لكننا نريد التخلص من الحيوانات المفترسة، وبمعنى أوضح، نريد إبعاد المفترس عن الفريسة، وعلينا فعل ما يمكن فعله لعمل ذلك. صدقتي سندريلا وأصبتي، سنحاول جهدنا تخلص الحيوانات المفترسة من تلك المفترسة، والله إنني أبكي على الغزال مثلا يقع فريسة بين يدي الأسد أو الضبع. وفجأة يتقدم ضبع ويسرع الخطى بقانمته الأماميتين المرتفعتين عن تلكما الخلفيتين، يتقدم ويقبض على غزال مسكين، فيعدو تجاههما سندباد، ويمسك برقبة الضبع ويخضعه لإرادته، فتنقض عليه بقية الضباع، ويصبح الفتى في حيرة، يدور شبح الموت حوله ويحوم ويحط ها هنا، وسندريلا لا تدري ما العمل؟ تتساءل هكذا هي وتبكي سندباد بكاءً حاراً، فالوحوش تنكب عليه انكبابا وتتسلط عليه بوحشية في مشهد محزن، إلى أن يتقدم حفني ومعه ناعسة، فتعدو ناعسة صوب سندريلا، وحفني يطير مندفعاً صوب سندباد، وهو ممسك بسيفه البتار ورمحه الصائد وخوذته المرنة الفولاذية، ويطيح برؤوس الضباع والفهود والكلاب البرية والوحوش الأخرى، ويفر من فر، وتكر الرحلة عن بكرة أبيها، ثم نصعد جميعاً إلى مقري الجنة والنار، ويكون الحاجز المانع عن الجنة هو تلك النار، فيبسط الصراط ويمد على متن النار، ونحن له عابرون عن بكرة أبينا، والرسول سيدنا محمد يسجد تحت العرش ة والله جل وعلا يقول له:

انهض رسول الله فسل تعطى واشفع تشفع. محمد اشفع يا نبي تشفع يكون غيرك من يصد ويمنع لكم الجنان وكل ذات مليحة ما كان يشقى من يصلي ويركع يا أمة الهادي الحبيب كما لكم جنات ربي لكم تقاد الإصبع لو كنت أقدر أن أضيء طريقكم لأضئت ذاته ثم الجميلة أقرع ولكم قرعت لجنة أبوابها فلا تفتح بل لأحمد تفتح والزهر فيها مثل حلم ناعس على قدومنا بعد ذلك ينضح مثل الإناء تعطر ماؤه عما احتواه من المنافع يفصح كل العقائد بعد سوء سلوكها من بعد خطأ كان فيها تصحح فيها المجد ومن تفاقم ذنبه وبها البريء وفيها أيضاً صالح وبها المسافر عند كل صبيحة وبها الجميل على الهدى والطالح سائل فيها رغم ذلك طامحا ومن مثلي يا سميرة طامح تلك الفتاة تقض أحسن مضجعي وإن قلبي للحبيبة شارح وجدي وحبّي والأمور جميعها غصن المحبة إذ رآها طارح وشروق حلمي وليت حلمي

يحقق ودلال زهر في الرياض مسبح هزت كياني منذ أول وهلة فإناء غسل من جمالها
ينضح ومنى الجميلة حين ألمح رسمها أشواق نفسي بالملاح تفضح، هكذا تبعثر أفكاري
في كل جهة، فيتشتت كياني، هذا يترجم اضطراب نفسي وأعصابي، متى أكون إنسانا متزنا
يضع الأمور في موضعها والمسائل عند نصابها، ويحكم عقله لا قلبه، لا يحزن من قول هذا
ولا ذاك ولا تلك ولا هؤلاء، لكن الكلام يذبحني ويعلي فوق همي هما ويضيف لجرحي جراحا
ثقالا، وعول هم الغد دمرني، وفكري المستمر في الناحية السلبية وتوقع الحزن وعيشه قبل
أوانه أشاب شعري وحنا ظهري وحطم قواي وشل حركتي وأبعدني عن العبادة، كيف لا
أسجد لله وهو من خلقتني من طين ومن ماء مهين، والله تعالى لا يصغرنا أو يقلل من شأننا،
حاشا لله، لكنه تبارك وتعالى وجل وعلا حفظ لنا كرامتنا وخلقتنا في أحسن صورة وكرمنا،
ولقد كرمنا بني آدم، والسابق قول الله الذي يعتني بعباده ويرفق بهم ويحنو عليهم ويهتم
بهم أكثر من والديهم وآبائهم، أبكي حتى يفيض دمعي وأطلب الخلاص ليدفع الله تعالى عني
الشرور وأوهام الفكر المنصب المكبل للإنسان. كان وهدي يستمع إليه وعينه دامعتان، كل
هذا يكمن في نفسك. جملة قالها الفتى وهو يرى حال صديقه المنغم في الحزن والوجل
وعول الهم، وسلطان يتجه إلى المزرعة ومعه الرفاق والفتيان السابقان معهم جميعا، فهذه
مجموعة تذهب إليها آلة الزمان والمكان حيث العمل الشاق وقتل الطفولة بالعمل المبكر،
وليس عملا يطاق أو يتحملة حتى القادر على العمل، صاحب القوة والهيمنة والعزيمة
الجبارة، حتى ذاك الأخير لا يقوى على حرارة الشمس وجني القطن وانتزاع اللطعة من نبات
القطن طويل النيلة، ويؤذن للتو للصلاة فلا نصلي، إلا القليل منا، لكننا ننتبه لحجم الجرم
والإثم والذنب الذي اقترفناه، ونتجه صوب الجدول القادمة مياهه من المصرف العذب
ومدرار أحمد المدر للذهب والياقوت والمرجان، نعم ننتبه ونقوم مسرعين للصلاة، وبعد
الانتهاء منها يحضر كل منا صرته المشتملة على الخيرات من الغذاء، والخيرات بالنسبة لنا
هي الجبن والعيش، والخضر الجميلة من الجرجير والبصل الأخضر والمش، والمش هذا هو
الجبن بعدما يوضع في البلاص ووالبلاص إناء فخاري يخلل به الجبن حتى يصبح مشا،
والمش بكسر الميم هذا لذيق جدا، لاذع لكننا نحبه حبا جما، وحماسة معنا ومعها رداء لفت
به الأكل، وسماح أتت بالخيرات من بيت والدها، قد أعدت لها أمها الطعام حين كانوا
يخبزون العيش ويطهونه، وهو عيش فلاحي طازج كان قد خرج من فرن العيش لذيق الطعم
واسعا متسعا، تداعبه النيران المتوقدة عن طريق الوقود والجدة أفيات تمسك بمصباحها
الفلاحي، وتطهو معنا ما لذ وطاب من صنوف الطعام، والنوارة تكيد لنا وتستكثر علينا
العيش والأكل عموما، كل همها أن نعمل ونعمل ليلا ونهارا وبالسخرة دون أجر، ظلم وتجبر
وفجور، وكيل حسن الضبع وملك الفتى الروع وها قد هجم علينا يلهب قوته الجوع ثم
همست في أذن حسن:

احذر.. ضبع متوحش خلفك. فلاحظ الضبع حين كان يركض على قائمتيه الأماميتين
العملاقتين ما حدث مني، في الوقت الذي كان يتهاى فيه للضرب بحوافره ومخالبه ظهر حسن

البريء الجميل، والأخير لا يعد العدة ويحسب الحساب لهجوم مباغت من وحوش الغابة المرعبة. فكلبت حركته بحبل كان يوجد في يميني تحسبا للظروف، فألقيته عليه بطريقة تحمل المهارة في طيات تنفيذها، فاغتاظ الوحش وعض على أنيابه، وأحدث صوته المزلزل والمرعب فلم ينل من عزيمتي وعدم خوفي، ولكمته في أنفه فكتمت أنفاسه، ثم أطلقت حرا كي لا يقال أنني أخشاه، وكي لا أشعر بالدونية أمام نفسي. وكان حسن منبهرا متعجبا ومذهولا مما يرى، فأنته الشجاعة حيث وجدني مقداما، وتحرر من خوفه وانطلق واثبا صوب الضبع العنيد، وقد التف حول الأخير من القطيع المساندين من ضباع لهم السطوة والغلبة، فك كل منهم من القوة بمكان، بحيث يمكنه قضم وهضم وافتراس كل شيء، فقلت:

مرحبا

مرحبا بالقطيع المهاجم، يا من تأكلون اللحم نينا طازجا، هل تحلمون بالتهامي؟!، لم لا أكون أنا ملتهمكم؟!، وها أنا مستمر في الركض في الصحراء والغابات دون توقف وحولي الجان والعفاريث والأشباح، والزمن يتغير معي كلما وصلت لحقبة من الحقب، أعود أدراجي إلى الوراء والخلف فأحيى عصرا بعينه، ثم يلتقطني المستقبل فأحيى به وأتمتع بما فيه من مفاجآت، ثم يجمع الحاضر كل شيء عن طريق آلة الزمان والمكان، فأصل لقمة المتعة الفكرية والذهنية والراحة النفسية، ولا بد أن يأتي معكر لصفوي ومغير لمسرى سيري واتجاهي، كنت أتمنى أن تستمر السعادة ويحقق الله حلمي، وها هو الله جل وعلا يحقق أمني وتستعد لي الآمال فأجدها حقيقة، إذن فالحلم واقع، وأنا ورفاقي في الجنة، نتمنى وقبل التفكير في الأمر يحدث كما تصورناه تماما، بل وأمتع من الخيال، والملك الغضنفر خميس يضحكنا وهو يخوض المغامرات والحروب، روح خفيفة ظاهرة له وإقدام وشجاعة قلما ترى لهم مثيلا، والذنب لا يزال يصارع عبد الرحمن والرحالة، وهما يخافان علي، وأنا للتو طفل الرحلة المدلل، ثم أضحي عجوزها الذي خاض غمارها واستقبل خطوبها بنفس راضية، تدنو مني ملكة النحل وهي تنتج العسل وتسلم على سلمى وأماني، تسلم بجناحيها وبصوتها الجميل الذي تطرب له الأذان، وهي تدعونا لرحلة بمملكته، وها نحن نطير معها، ومعنا عبد الرحمن وأشرف ومحمود وموسى ومعز وثروت وأبو اليمين وابن يمين، والطائر المسافر في فوج الطير المحلق بلا حدود، حيث مررنا محلقيين وطرنا مغردين بموازة ومحاذة جزيرة الأمل، حيث الصبايا الحسان والجدول الحريري والسعادة، والنبات يظهر فوق الأرض معانقا إياها، والشمس تهمس لنا بدفيء يحيي القلب ويونس الوجدان، وفاطمة فوق بساطها والجان يطاردها ويحاول السيطرة عليه وملكه، فيرفض البساط وتنشأ له أشواك تحارب وأظافر تقطع كل مهاجم، ثم يبتعد بالفتاتين والجموع إلى كبد السماء ويغوص ويخوض إلى الأرض السابعة وكذا السماوات، والهوة هي الأخرى تهاجم بنيرانها المتقدة، ودوامة بحر يوسف تثور وتقتلع الأرض وتطير جزيئاتها وتنثر الرمال بوجه المعتدين، ويثور بحر يوسف حاويها ويخرج التوربيدات من باطنه والصواريخ من قاعه، وتصل قمة الموج ثعابين تلدغ بلا رحمة وأسماك متحولة ذات زعانف نارية عجيبة،

و"الكائنات البحرية" برمتها تشاركنا الدفاع عن الرحلة بلا حدود،، هذا وإن معنا الله رب العالمين هاديننا إلى الصراط المستقيم، والجمل العملاق ومعه الفيل يهاجمان في قوة منقطعة النظير، و"الجحش" و"معه" أبو العقيص لا يدخران جهدا في دفاع مستميت لا مثيل له، و"المسحور" يحاول دفع الفتى "مسامحا" صوب الماء ليكون برفقة "عوني"، و"العجوز ذات البيضة البلورية والعصا والشال السحري" تصطادنا واحدا يلي الآخر، في مشهد تشيب له الولدان، والنار مسعرة مستعرة عليها "مالك" لا يرحم، والجنة عليها "رضوان وهذا الأخير كله رحمة وهو مبتسم يبعث على طمأنينة قلب، ثم تظهر الفتاة "سحر" فتزين الرحلة حيث جمالها خاطف للقلب والعقل أسر للمهجة مالك للفؤاد، والله هي الضوء حيث تغلب علينا الظلمة، وهي بصيص الأمل بل كله، وذلك حين يفقد الأمل ويذهب الصواب ويحل الضلال، ففي مقلتيها آيات من الحسن البارِع،،ولا يزال الأمل مستمرا وممتدا وكاننا وممكنا بأن "نور" بيده شعلة من أضواء متقدة بالأمل ومفعمة بالحياة، وأن "جلال الدين" عابر نهر الموت بمشيئة من الله رب العالمين، وأن "فاطمة" عائدة وهي مبصرة ومعها "فتة" الجميلة، وإذ ب"لطفي" يظهر ممدا يده صوبي ليسلم علي قائلا أنه يريد اصطحابي إلى الجنة حيث البساتين الجميلة ونهر الكوثر وثمار الأمل المتدلية من غصون الود وأفنان السعادة، ثم يدفعني قلبي لقول الشعر فأكتبه في سطر من رحم سطر ولولا الكتابة لكان غرقني ساعدني رب في جل أمر فحسن يمضي في حقل أمل ونمشي سويا لعميق بئر والدر يبحث الجميل عنه وهل السعادة في فيض در؟! "مصطفى" هنالك في حقل الصعل وقلبي تحييه ابتسامة "تبر" وأبوه "أحمد" في كل حسن بدا بزرع لفيض عطر ومن الآمال كم يسقي زرعاً من سحر بحر وفيض نهر. فلا يزال "أحمد" يدير المدرار ويشغله يدويا فينسب الماء من فوهته الجميلة ويمر خلال الزروع والحقول، و"دومة بحر ونهر ومحيط وجدول يوسف" تساعد في هذا عن طريق دفعها الطبيعي أثناء تقلبها وثورتها، فتغني ظلمته بالذهب والدر والياقوت والمرجان والتبر، وتظهر السعادة فوق ثغره المبتسم دوماً، ثم يشرق الفتى "نور" بالنور، ويظهر عبد "الستار" والطيبة مرتسمة على محياه فيجني معنا رزق الله، ونجني نحن القطن من الحقل الجميل ونضعه في أجولة، فرحين كثيراً بما أوتينا من خير لا ينقطع بالدعاء المستمر، ونحن صبية وأطفال لا نفقه شيئا سوى أننا سعداء برزق يرسله الله إلينا، نعم لا نأخذ سوى أجرة يومنا، لكننا فرحون بالرزق عموماً، وكأنه لنا، ولكن من يراقب عملنا ويقف وراءنا هو رجل قاس قلبه لا يعرف الرحمة، يصفعنا ويضربنا ويدفعنا دفعا للعمل، فمن لا يملأ جلبابه حجره بالقطن يلقي الويلات، من شتم وسب ولعن ووجه قبيح يتملقه وعيون نارية لا تحمل سوى البغض والإجرام والقسوة والنظرات المميتة، لا زلنا في نعومة أظفارنا ماكثين قابعين، لا نزال هكذا وبراعتنا تسبقنا، لا نفهم شيئا عن وعورة الحياة، لكننا نعيشها، هي قاسية ميتة مهلكة، علينا أن نحتاط للخيانة وأهلها، رب العمل ذلك يسفك دمنا ولا يبالي، والشمس لا ترحمنا، هي تأكلنا أكلا وتشعل بنا اللهب، والمفتش ينبأ عنا ويدس الأخبار ويوشي لرب العمل، ذلك كله لو وجد

ورقة عليها لطعة من الدود الذي يصيب القطن طويل التيلة، والله لا يرحموننا ولو بكينا دما بدل الدموع، قلوبهم نزعت منها الرحمة فلا يعرفون للهدى سبيلا ولا لطريق النجاح دربا، كل ما يشغلهم هو التفنن في معاقبتنا بأشد أنواع العقاب، والنوارة تساعدهم بما أوتيت من بطش وقوة، وكذا هذا الملازم لها والمدعو النسر، ومعهم الساحر الشرير وريما ومشكاح، مع أن الأخير مغلوب على أمره، اللهم نجاة من هذا فقد هلكت ولا أعلم كيف الفرار، وصديقي عبد الرحمن ومعه سيد ومحمد وسلطان وإدريس وصابر وآخرون يعانون مثلنا، والفتيات حمامة وسمهانة أسمهان وعزية وتبر وأخريات يعانون مثلنا وأكثر، لا تغيبني أيتها الشمس المدهشة الحنونة، ولا تدعي للعواصف تأثيرا علينا ولا سطوة، أرايت، أنت تبديدين آمال كل مغتصب وتقضين عليه، وتزيحين عن كاهلنا عول الهم بلطفك ودفك، هلا تكونين صديقتي والمرافقة لي دوما، ستجدين مني كل خير، أنا أسبح مثلك في فضاء، لكن تسبح من حولك النجوم والمجرات والكواكب والنيازك والأجرام عموما، أعلم أنك تحبينني وكذا أنا أحبك، ليل قاس يكاد يمزقنا أشلاء، هلا تبديدين عتمته وتزيلين قسوته، حينما يكون الليل حنيا فاتخذة صديقا، وتارة يتجاهلني ويتركني لقسوة الزمان، وتارة أخرى أحلق على جناحه وأسير في كنفه ورعايته، وطورا يحمل لي الجن والجان والشياطين، يزوروني في الطرقات والكهوف والغابات، لا رحمة لديهم، أحاربهم بكل قوتي وفي ذلك الله معيني، ولولا الله لهلكت معذبا مقاسيا كل ألوان العذاب والحرمان، ثم إنني أعجب لآلة الزمان والمكان التابعة للرحلة تلك، في التي تقودني لتغيير مجرى الحديث ويغير الله الحدث، فكل بأمر الله، وعن سيد فهو الصديق الذي تشعر معه أن الحياة بخير والأيام جميلة والأمانى محققة، ظللنا نسير ونسير، حتى بدا لنا النخيل حاملا ثماره من البلح والتمر، فتسلقناه بعزيمة وقوة وحب للخير، ظللنا نقطف ونلقي الثمار والكاننات تأكل، لم تخف العصافير منا، بل جاورتنا ورست فوق كتفينا تأكل وتلعب وتهنأ وتضحك معنا وتلاعبنا وتداعبنا، والكروان يدنو منا ومعه الموكب الطائر الذي يجمع الخير للرحلة ويأتي بالعشب الطبي النادر، ثم حلقت أنا ورفيقي مع الموكب السعيد بدون أجنحة وزرنا القمر فرحب بنا، وانعكست الشمس عليه وعلينا، فصرنا مضيئين جميعا يضيء ويبرق ويضوي منا الجمال، ودنا "عبد الرحمن" منا والفتى "وهيدي" اسم جاء من الوهدة وهي المنخفض من الأرض، و"أشرف اللول" الجميل والكثيرون، و"أمل" فوق بساط شقيقتها والكاننات من حولها، لكنها حزينة على فراق "فاطمة" شقيقتها و"فتة" الضريرتين، ومع الجمع دوما الساحرة "نجاة"، وروح الرحلة يتساءل:

أين هما تلك الفتاتان الجميلتان الساحرتان؟!، ربما أنا الرحالة. روح الرحلة، ألا تحسون وتشعرون بي، أنا روح فاضت حنينا والتقت المنية، لا زال الرحالة يبحث عنهما _ فتة وفاطمة _ منذ اختفيا في "واقعة نهر الموت" الذي لا يزال يثور ويتأرجح قارب فاطمة الصغير فوقه، والتماسيح تحيط به وتحاول إغراقه للبحث عن فاطمة، والمركب متزن يتسع ويتسع فيتوسع معه نهر الموت ويبلغ الكون، والقارب يكون أكثر رسوخا، حيث تحتوي كل

شيء حينئذ عربة عبد الواحد النواره والنسر، تتشكل في صورة عجيبة وواقع لا يصدق، والهوة المتقدة لا زالت ملتهبة نعبر مداها عن طريق التحليق والطيران متشبثين بحبل هوائي عظيم وقوة دفع هائلة من القوس العملاق والسهم المسافر السريع، سهم في مقدمته أريكة لينة تسبح مدفوعة منه، ونحن في ناحية من طرفي الهوة المتقدة حيث نستقر فوق منحدر صخري هائل له قبة مستوية نسكنها، ذلك بعدما طاردنا الأسود والذئاب وكانت برفقتنا حينئذ ولا يزال دب هائل الحجم وفيل، ومعنا كذا الرجل العملاق والرجل الوطواط وقبطان والعالم الجليل والغراب وأبو فصادة وأبو قردان، حتى يحييني من رقدة الموت رب العالمين، وقد كنت بالموت حيا بروحي، أدرك حركة الأحياء من حولي، فهذه ابنتي وذاك ابني والواقف ذلك صديقي، حزني يظهر علي وأرى الحزن في قسماتهم، ويسعدني وجودهم في جو ربيعي تبتسم فيه الشمس، انظروا، ها أنا ميت أمامكم وإن كان يؤويني الكفن، وليتك يا كفن تترفق بي، لم تكتم أنفاسي وقد مروا بك المخيط، وليتك أيها المخيط لا تجرحني وتقسو علي، ولكن الكفن بلا جيوب ولا تخترقه إبرة الخياطة والحياكة، أرى نظراتك صديق العمر وألمح الدموع في عينيك. هيا نذهب إلى المصرف العذب يا عبد الرحمن، قل للشمس لا تغيب، وللبدن القى ضوعك علينا وانشره وانثره، ولا تبخلي يا روضة الحسن في نشر أريجك وعبيرك، ودعي زهورك وورودك تؤنسنا، كنت أسمع همساته من داخل قبره، أنا الوحيد الذي أسمع له لأنني هو وهو أنا. وكان عبد الرحمن يسمع صديقه بالتقاء الأرواح حين يمر للتو في دروب وطرقات بؤرة الرحلة وشغاف القلب عربة عبد الواحد، الدرة الكامنة والجوهرة المتأللة المصون، وفتاة كالبدر تمر من خلال الحقول، وبها تالله الحقول تزينت، تطبع الشمس قبلة فوق خدها، وطالما أن جسدي ينتج الحرارة من الرياضة أو من تلقاء نفسه في وضع السكون كذا، فلا يشغله الشتاء، إذن أرتدي الملابس الخفيفة وأنا سعيد فرح منبسط غير وجل ولا يمسنني حزن. — ولكن الشتاء قاسية تقد الجسد وتهلكه طالما لم يكن متدثرا. — ليست تلك قاعدتي ولا تمت لي بصلة، ها أنا ذا أمامك. فيضحك الفتى حيث يرى رفيقه مرتديا حلة خفيفة ولباسا واحدا غير سميك فيعجب أشد العجب، فمن المفترض أن فصل الشتاء وعر، وهما يقاتلان في غابات مفتوحة وأحراش مرعبة وساحات حرب مكانها البراح والجواء والخلاء والصحراء الجرداء، وفي خضم حديثهما تهب رياح عاتية محملة بالثلوج، فلا يغير رأيه أو يتقل على نفسه فيسترها من البرد المميت، بل يتقدم صوب الأسود لا يخافها ويستل حسامه ويعمل فيها طعنا وضربا، ويستخدم قوسه وسهمه فيطارده الوحوش، ثم ينتهي إلى بحيرة التماسيح، "سامي"، "خضراوي"، لدى الصعل نتوصل فيه إلى الحل "محمود"، "محمد"، مع "أحمد" و"أماني" جمالها في الظل والحل كما كنا نشير أن يصل الخير إلى الكل نتعاون في هذي الرحلة فالخل محب من خل، في ظل احتياجي الذي يفوق الوصف للنوم، لا زلت في حيرة من أمري، هل أغفو أقل القليل تحت أشعة الشمس المريحة، أم أواصل كتاباتي كمشارك في الرحلة وأحد واصفي أحداثها المتفردة؟!.

نم قليلا يا "سندباد"، كفاك سهرا وإرهاقا. التفت لمصدر الصوت وهو لا يزال لا يصدق نفسه، هل أنا أحلم، أهذه سندريلا قد حلت من دهر بعيد، فأنشد في ابتسامتها النشيد، وقال: سندباد رحالة والرحالة سندباد، كلنا شخص واحد، تحمل أرواحنا كل الأحداث، كما تحمل الهموم والأوجاع والآلام النفسية، لم تمهلنا الأفاعي والكاننات المتوحشة حتى مجرد الحديث، وكانت تلك الأفاعي تتلوى حيث تبغي وجبتها ولا تزال إلى الآن، شراسة حد الدهشة، تصارع حمادة في الناحية الأخرى من وادي عزبة عبد الواحد الممتد. حيث انبسطت المساحات وتوسعت، وصارت ملئ الأرض والكون وكل شيء، ورآني الفتى الشيخ "سامي"، وشاهد الأحداث برمتها فانعطف صوبي، وسبقني منه ابتسامته لتملاً قلبي سعادة فاقت الوصف، وأضفت على المكان جمالا لا يصل لمثله زهر الرياض، وتقدمت صوبه أسرع الخطى فسلمت عليه، وكان يرتدي جلبابا جميلا قد تزين به للصلاة، وراح ينشد أناشيد دينية ثم يترنم قارنا آيات من الذكر الحكيم، واصطحبني صوب "نخل الصعل" حيث الأحداث المروعة هنالك من انتقام الجان من الناس، وصراع الإنس والجن، ولكن الحقول كانت جميلة والشمس مطلة، فإذ بنا نصادف الفتى "وهيدي"، وكان الأخير بمثابة الحلم لي، فتى من الجمال الروحي قد بلغ الذروة، فروحه خفيفة وطيبته متناهية، وهو كالبدن ينير الطرقات والدروب، بل وينير كل ما حوله بجمال وبريق ساطع وضوء يقدم من سراج وهاج، واجتمع ثلاثتنا وانضم إلينا "سندباد" و"الرحالة" و"شداد" و"خضراوي"، فأكملنا جميعا المسير، وشرعنا نقطف الثمار والأزهار وبرفقتنا "نرجس" و"أمل" و"عمر" و"إسحاق" حيث الأخير له ابتسامة لو ما رأيتها ولى عنك الهم وشعرت أن الكون كله في خير وونام، لا يراك إلا وجبر خاطرك وأنساك حزنك ووجلّك، ومعنا أيضا بالجمع المبارك هذا كما ترون فتية وفتيات جمعتنا بهم صلة الود والاحترام، ثم مررنا بدار الفتى سعد، حيث كان ذلك الدار أساسه من الجنة الجميلة بروضة حفني، وعمدنا سويا إلى سير متواصل حتى بلغنا بستان ممدوح وروضة ممدود، فرحنا ننقي البلح ونجمعه من السباط، والعصافير تلتقط لنا الرطب وترسله إلينا متهاديا، وهذه عصفورة تحمل أمانى وعقلة الإصبع وتطير بهما، فيحملان هما بدورهما بلحة صغيرة من العسل الطبيعي، ويزيد حمل الثقل فيغلبها ويميل بها، وتتأرجح أمانى وكذا أخوها ويسقطان والعصفورة تبكي، فتبسط فاطمة بساطها وعليه الأريكة تلي الأريكة، فالبساط ناعم لين مريح، يقع الجميع عليه فلا يشعرون سوى بالراحة، ويتسلق الجان النخيل ويطير في الهواء ويسقط فوق ساحة البساط لعة في نفسه، والعة هي إفساد فرحة الناجين وإهلاكهم بشتى الطرق، وهنا تتدخل آلة الزمان والمكان وتهبط بالجميع وتطرد الجان، ولقد هبطنا للتو عند شادوف الفتى الجميل عبد الصبور، حيث علق بطرفه ثقلا وبالطرف الآخر دلوا، والسابق بعض وصف الشادوف، ثم أمال الدلو حاملا الحجر على طريق مرتكز بقوة إلى الأسفل صوب نهر يوسف، وتم ملأ الدلو وتركه حرا يسبح في الفضاء إلى أعلى، فأوقع الحجر ثقله ولكن عن طريق الطائر

السباح في الهواء، وتغير آلة الزمان والمكان عجلتها واتجاهها، وتتعمق في الزمان والمكان، ثم يطرأ هذا بفاصل بديع عذب من الأحرف الراقية حيث يقول:

لقد تخيلتك قبلما رؤيتك، وكنت أحياء في حلم جميل، والحياة ربيعية وردية، لم يمسنى منها السوء، فما مرت إلا لحظات بسيطة حتى انقلبت الدنيا علي، وبت في عذاب مقيم، مقيم معي لا يبرحني بأي حال، شقيت ولا زلت، أنا أصف حالي ولا أعترض على قضاء الله، لكن حين التقيتك تبدل أمري من سوء لحسن ومن حزن لسعادة. فكانت الفتاة تستمع إليه منتبهة بكل حواسها، يدق قلبها وتعيش إحساسه، لم لا؟! وهي الربيع وجمال الكون، وذات الحس المرهف والغصن النادي البهيج، بستان أمل مورق مثل "بستان ممدوح" و"روضة ممدود"، حيث لا يزال الفتى "حفني" يجابه الظالمين ويواجه "ابن النوراة وأباه"، ظلم مستفحل في طبقة من الناس يركد ويرقد فيكاد يصيبه العفن وليت يمسه الوهن، أهل سطوة ومكر ونفوذ، أما يكفيهم ما جنوا من السرقة والاحتيال والنصب؟!، لا بد من محاربتهم وإبادتهم عن بكرة أبيهم، متى الخلاص من ذلك الموت البطيء؟!، نبحت عن الحرية يا "فاطمة". دق قلب "فاطمة" لمجرد سماعها اسمها ينطق منه، فاهتز قلبها وزاد نبضها وعلا وجدها وأنيبها وحنيها، وكانت لا تصدق أن "الرحالة" هو من يحدثها، إذن فالرحالة كل شيء وأي شيء، وظلت الفتاة تجدف بالمجدافين وتطوي الألم وتعاقد الموج، والتماسيح من حولها تنهياً للانقضاض عليها، و"الفارس المثلث" تبر "لا يزال يقاتلهم بشراسة ودهاء ومكر. ثم ظهر مسن لا يعرف اليأس ولا الكبر ولا تقدم "العمر"، و"حسانين" الفتى الجميل العطوف، وزهرة من زهور رياض لأمل سقيت من نهر النيل ورويت من نهر وبحر ومحيط وجدول يوسف، لا يأس يرى معه أو يلاحظ، على متن جواده يشق الفيافي والفلات والصحراوات، صبور حد الدهشة ويخوض معترك الحياة باقتدار ومثابرة، يطوي الصعاب بعزيمة لا تلين، الكتابة والقراءة لحظات لا تعوض من المتعة، تجد نفسك فيهما، أشعر أنني أخلق وأطير بجناحين وبدونهما، متعة روحية لا تضاهيها متعة ولا تكافؤها سعادة ولا تدانيها بهجة أو تنازعها فرحة، وها أنا ذا في الرحلة أكتب وأقرأ، وهي نفسها تلك الرواية الحادثة للتو أحداثها والجارية مواضيعها، رحلة تؤلف ورواية تحدث ونحن نحياها، فنكتب تفاصيلها في ذات وقت قراءتها في ذات وقت حدوثها، هل تخيلت يوماً أن يحدث لك هذا؟، وعنك أيتها الفتاة الجميلة:

سلوى التقيتك حين كنت صغيراً فكنت بدراً ملاً الوجود سميراً أو تذكرين يا ذات حسن نير وتذكريني إن تمعني التفكير. ضحكت سلوى وهي تموج بشعرها فيداعب النسائم والنسائم تداعبه وهي تقول:

لا زلت "سلوى" التي تعلمها وتعرفها، أنا لا يمسنى تقدم العمر. قال:

نعم، نحن في الجنة والعمر لا يمر، هنا الزهر والورد وما لذ وطاب، والأمانى محققة، تغرد العصافير كما ترين وتشدو الطيور والعنادل، والعنادل تترنم والكروان يغني، ونهر الكوثر يجري ماؤه، ونهر النيل هو الود والحب، وغاية ما يأمل قلبي، وهو شراعي للنجاة من

كبات الحياة وعثراتها، أحبه كما أحببت ناهد ووهبتها عمري وقلبي وكياني، ومهما الزمن مر والدهر كر، فلن أجد لها مثيلاً، تلك التي أبصرت الحياة على ضياء روحها وازدهت لي الحدائق وازدانت وتزينت على بريق ابتسامتها، حوتها الشغاف واعتصرني الأنين بدونها، والفتاة ناهد تستمع إليه، كما ترون وتشاهدون فأنتم معنا الآن والآن بالتحديد، وهنا ابتسمت الفتاة فكانت تالله البدر والأمل والحسن والخجل إني مما أرى والويلات أتحطم ورغم ذلك وما تقدم مغرم. وبمن تغرم يا ترى، قالتها سلوى وهي تجلس على المقعد الدراسي بحجرة التعليم في الزمن الابتدائي، حيث جمال الدنيا والحوش وملعب المباراة، ووجدنا أنفسنا بصحبة عمي رمضان وعمي عثمان والثعلب المكار، وهو يحاول أكل الدجاج وافتراسها، وكنت أتسلق السور والفاصل والحاجز الطيني البسيط، ثم أهبط على سطح بيت عمي، فأنا جوعان، هم يسمعون دبب خطواتي، لكنهم يتركونني أأكل، والبلح فوق النخيل قي نخل الصعل والنخل الكومي، بلح يتلأأ ويظهر وهو بين أحمر وأصفر وليموني، ونخلة الحاج رسمي ذات ثمر وبلح وتمر كبير، نرميها بالطوب فتلقي لنا أحسن الثمر، ونشعر بالذنب فهي نخلة جميلة وكلما مس سباط نخيلها حجر أو طوبة ذبلت ويبس ثمرها، ورسمي شاب كريم وكان يعلم بما يحدث فيتركنا أو ينهانا وينهرنا على حسب الأحوال، فهو يقومنا ويصلح حالنا ويوجهنا، ومع الآباء والأبناء لا يعجبهم ما نقوم به، وماذا يحدث لو تركنا العصافير تأتي لنا بالرطب وتسقطه علينا، يساقط علينا رطباً جنياً وبلحاً شهياً نجعله الآن ونحن في وقت الفجر حيث الظلام الدامس، اللهم إلا لو حن علينا القمر فأرسل بصيص ضوء من حسنه البديع، وربما يتحول القمر إلى بدر مكتمل الجمال والضوء، وكنت أفعل ذلك حين أتسلق السور الطيني ذا الخوص والجريد إلى قمة منزل عمي فراج الذي يدعني بدوره لأن ألتقط الثمر والتمر وأنعم بمذاقه الجميل، فأنا أستذكر دروسي وأشعر بالجوع، وما من أحد يقاوم لذة البلح وجماله، ونقول عليه البلح البسر وهو بكر ناضج يانع خضر لين وأصفر لذيق وأحمر، فيقول عمي فراج: اتركوه يأكل من البلح ما لذ له، فليست عنده نخلة. فيفرح الفتى ويسعد لأن عمه يعتبره ابنه والمال ماله، وقبل ذلك كان يظن أنه سارق ولا يحل له ما يفعل، فبعدما كان يجمع الثمر والتمر من فوق سطح عمه في الخفاء أعلن ذلك بكل فخر، هي حياة بريئة جميلة ملؤها الخير والود وباقات الورد والاحترام المتبادل، وكانت أمل ومعها عمر ونرجسة الثعلب المكار والبطّة السوداء وصابر الكسلان يخرجون من كتاب المطالعة فيصيرون حقيقة ويسلمون على كامل ومحمد وعبد الرحمن وضرغام وأسامة وعامر وشداد وسلوى وسحر وذوات ونادية وجيهان، نحن والله في الجنة فلا نصب ولا تعب ولا حزن، بل هو فرح مقيم أعلن ذلك بفكاهة وروح خفيفة، وصار يلهو ويفتخر بأن عمه لا يحرم الناس الخيرات والرزق، الفتاة ناهد وبالي المشغول شينان يلازماني وأنا أقول أنها حياتي والأمل المراد وبلوغي قلبها هو المأمول بها أحلم دوماً فالفتاة حياتي وقصتي معها شرحها يطول أنا صاحب صبر ما منه مللت ومن يصبر زمناً أملة ينول الآن أعيش في حلم جميل فيا ليت حلمي أمرك معقول. واستمر الفتى في النظم ولا يزال ويضحك ويطل من الروضة الغزال،

فلما صحبني الفتى عرابي وهو يسمع قولي تبسم وزاد وقع خطوه وهو يجرنى جرا حيث
النخل الصغير، فرأيت الرفاق من بعيد يلعبون مباراة بين النخيل الممتد والمظلل
للمكان، ومعهم خضراوي صاحب المهارات الرائعة، ووهيدي المراوغ الجيد والمدافع النابغة
في فن حياته، والأسطورة عبد الرحمن بمهاراته منقطعة النظير وشخصه الطيب وبسمته
المرتسمة على ثغره، ومحمود ويوسف وقبطان والرحالة، نزلت أرض الملعب مرحبا
بالجميع ومرحب بي أنا وعرابي، والغريب في كل هذا أن العزبة تتحول لمساحات ممتدة لا
نهاية لها، فتشمل الكون والبسيطة والفضاء لا نهائي الحدود، وتشمل النار والجنة والقبور
والبحور والأنهار، والشمس والقمر والنجوم وما أبعد وما أبعد، فهي تتجاوز حيزها
وكينونتها ومكوناتها، وأرى الطيبة ممثلة بعمي فهمي، وهو رجل تظهر عليه علامات
الفخامة والجلد، وكذا البساطة وعدم التكلف، يساء إليه من الناس ويتحمل حيث يظنوه
مثلا فعالة عكس ما يضر من نية وقول، وأناس آخرون يحترمونه ويحبونه ويرون أن
أعماله مطابقة لحديثه وقوله وكلامه وفعاله، والنية يعلمها الله، فلم لا نقدم النية الحسنة
أحباب القلب؟! ومن يسيء إليه على أي حال يجهل قدره، وزوجه ليندا تتعايش مع الجميع
في حياة اجتماعية ملؤها الاحترام والتقدير، يشعران أنهما غريبان عن عزبة عبد الواحد
ونعدهما من أهلنا، ويؤذن الفجر فتجد أول من لحق بالصلاة هو الرائع فهمي، دائم
الاستيقاظ لإقامة فرض الرحمن، أما ليندا فقابعة في دارها كأي سيدة من العزبة تلزم بيتها
وتعيش به حامدة الله على السراء قبل الضراء، وفي المساء حين يسدل الليل أستار ظلامه
ينير عمي الضوء والنور عن طريق مصباح كبير يسمى، "كلوب" بضم الكاف واللام
كما ننطقه، له وعاء يوضع به الوقود وله فتيل سميك يشتعل ويشعل داخل تجويف زجاجي
شفاف، ونحن ننير اللبة والمصباح الفلاحي عن طريق الجاز والكيروسين الأحمر، كما
يوجد الموقد الرأسي الذي يلف بزجاجة جميلة شفافة توضح الضوء وتظهره بداخلها،
والمصباح الفلاحي مع ستي أفيات ونقول ستي وجدتي، والأخيرة نطق بها قليلا، والجدة لنا
جميعا اسمها أفيات، فالعزبة متحاب أهلها متعاونون محبون بعضهم البعض ولا يحمل كل
منهم سوى الخير لأخيه، على أنني وكلما رأيت عبد السلام فمصحوبة البسمة معه وهي
تداعب ثغره، والجميل في الأمر أنه يهديها لي، يعيرون عليه براءته وهو من جمل الدنيا في
ناظري وعيني، وكما مر بالنخيل عند المصرف العذب وواحة الجمال والخير وجده يابسا
تحطمه الرياح وتزيح عنه ثمره، فيدعو الله فيحل الربيع وتعلوه الخضرة وتكسوه ليتألق
الثمر والتمر، ويتساقط الرطب فنجنه ونجمعه ثم نذهب للدراسة الابتدائية فترى العم فؤاد
وهو يرحب بنا مسرورين به ومسرور بنا، يدق الجرس وكأنه يصنع نغمات السعادة
ويرسلها إلينا، هذا ليس دق جرس، إنها أنشودة جميلة يعزف العم فؤاد على وترها،
والمدرسون والمعلمون والمعلمات هنا نماذج خير، بلغوا درجات نيرة من العلم والتحصيل،
والهدد فوق شجرة الجميز ينادي علينا، وأشرف وفولي يضحكانا ويرفهان عنا، وياسر
يراوغ الكرة قبلما يراوغ بها، وعامر في شجار مع شداد ثم لا يلبس أن يصطلحا ويتصالحا،

ونحن نلعب الكرة في فرح وسرور، والعجوز في الزاوية العليا عند حقلها تنوي تقطيع وتمزيق الساحرة المستديرة، فترجوها وترجأها فتصرف النظر عن تلحم الفعلة التي تحزننا، وتطير الكرة تارة أخرى فتقع في حقلها اللين بعدما تم سقيه وغمره بالماء، وهنا الصعوبة البالغة في الحصول عليها، ولكن سلطان يطير للتو ويحصل عليها وكذا نميري وحافظ، ثم يظهر الطائر الرنان الطنان فيساعدنا، قمة الفرحة حلت علينا وأنت تصالحنا على الحياة وتدنيا من تحقيق الآمال، والأمل قد تحقق بحصولنا على الكرة تارة أخرى، فيطير الطائر الرنان ويلتقطها لنا في مرات متتالية، وأنشد أنا له وأقول: كم بلغ الأماني الطائر الطنان وبدا في الأفق ذلك البستان وعقلة على جناحه ومعه أماني يحدوهما إذ حلقا الأمل والأمان ولي من الدنيا أبو اليمين صديقي أخلاقه جميلة فهو إنسان يحمل من الصفات ما يعجز قلبي أن يصف جمالها ويعجز البيان هنالك نمر من درب عجيب من بعيد فيه يظهر الرمان فلو ما دنونا وجدنا الغريب من الجان يقبل فأين الأمان؟! ومعني أبو اليمين حيث نمر من هنالك عند الطريق العجيب والدرب الرهيب، وهو طريق زراعي على كل شجرة أو نخلة أو غصن على طول خط امتداد السير فيه يسكن جني أو جنية على هيئة طيور مرعبة مفزعة حقا، يبسطون لنا أجنحتهم ونطير غصبا عليها محمولين بموجات تندفع صوب الأعلى وهو مركزة قوية تتبع من نبع ثائر دافع بقوة طردية مذهلة، وكلما مسسنا الأجنحة أطبقت علينا قوى عجيبة سحرية تؤذينا أذى بين شديد متسلط، ويصرخ صديقي بكل قوة وأفعل أنا، لكنني أجاهد يأسى وأطرده وأجابه، وأطمئن صديقي، ثم نستل الشوك من النخيل ونغرسه في أجنحة الجان الطائر فيتلوي ويتعرج ذات اليمين وذات اليسار وإلى الأعلى وإلى الأسفل، ويزاد إذاؤهم لنا أكثر وأكثر فنصمد صمودا بالغالا هواده فيه ولا لين، ونرى أثناء ذلك كلا من عبد الرحمن ومحمد وقبطان والعالم يقبلون علينا دافعين صوب الجان كتلا عظيمة من الصخر من أعلى المنحدر الصخري، وكلما أسقطت صخرة سحقنا جانا منهم أو أكثر واستمرت في السقوط إلى كهوفهم ومستعمراتهم، فالتقطنا أنفاسنا وتنفسنا الصعداء وأزيج من كاهلنا كابوس عظيم كان قد أطبق علينا، وفر الجان كما ترون وانتشر في الأجواء متحولا إلى بخار وشظايا ونيران عظيمة تخمد مع مرور الوقت وكلما كانت الغلبة لنا، وظهر طائر عجيب يغير مجرى الرحلة والأحداث ويحاول تغيير المسار برمته حيث يطير عكس اتجاهنا، ثم استقر عقلة الإصبع وشقيقته أماني فوق جناحي ذلك الطائر وهو طائر الطنان، فإذ به يعود بهما طائرا صوب الخلف، فظن الصغيران أنهما يحلمان، فضحك الطائر قائلا: خلقتني الله تعالى على هذه الهيئة، وانخرطت الحمامة أيضا في ضحك، فطائر الطنان لا يخجل من كونه يطير للخلف، بل على النقيض فهو يرى أن هذه ميزة جميلة اختص بها، وكانت الرحلة تنطلق صوب الأمام والطائر صوب الوراء يصف جناحية اللذان أمسك بهما كل من أماني وعقلة الإصبع، فاستدار الطائر وأصبح يحلق مع آلة الزمان والمكان، ثم طرأت فكرة على خاطر وبال ملكة النحل، وهي جعل طائر الطنان يطير للخلف على طبيعته ليأتي لنا بما سلف من قديم الزمان وليحيا العصور، وهكذا أصبح الطائر العجيب هو عينه آلة الزمان

والمكان، وبدوت أنا بينهم أفكر وأتحدث وأحيا معهم وأضاحك هذا وأخفف عن ذاك، ثم قلت لهم ولا زلت مستمرا في قلبي:- تظهر علي زينة أهل الجنة، ولقد أخذت قسطا من النوم جعل حياتي ربيعية جميلة، وتولى الشتاء بقسوته المتناهية المفرطة، كما وقد أطل الصيف بحسنه البديع، والتقيت مداحا هنالك عند المصرف العذب وكنا ننوي الذهاب إلى المدرسة ومعنا عماد الدين وعصام الدين مر العمر وضعف بصري وقلت قوتي، فلم أعد كسابق عهدي، وفجأة تدب الحيوية بي ويحل النشاط، ذهبت إلى ماء غدير لأرى وجهي فإذا بي أكاد أصعق، لقد أصبحت طفلا صغيرا، أذكر ملامحي في هذه المرحلة جيدا، يقابلني الناس فيكاد يصيبهم الجنون، هم يعرفونني حين كنت طفلا، لقد عدت لسابق عهدي وهم لا يزالون على حالهم، أهل البلدة جميعهم يهرولون راكضين إلى الحقل عند نخل الصعل المرعب ليرى المعجزة، أنا سعيد جدا أنني قد عدت طفلا، فانا طفل في كتاب المطالعة مع عمر وأمل ونرجس وخالي وعمي عثمان وعمي رمضان، وها أنا برفقة لطفي الذي عاد شابا وأقبل من القبر في حلة خضراء ورداء من سندس وإستبرق، نخرج من كتاب المطالعة فيحدث ما كنا نقرأه ويتجسد على أرض الواقع، وها هو عقلة الإصبع وأماني وقد أصبحت واقعا، وعادت أُمي للحياة وكل الموتى، لا بد أننا في الآخرة، تالله هي الجنة وجمالها. فانا بشر ويشدني جمال النساء ويجذبني سحرهن، ولو كن منقبات ويظهرن جمال عيونهن أو يرتدين جلبابا ضيقا يظهر جمال الجسد، فإنهن يثرن الانتباه أكثر، ولئن أنكر ذلك فلعله أتحدث باسم كل واحد فيكم، وكل يجد صورته وأفعاله ها هنا، ويرى نسخة منه ومن كل الناس قاطبة، والله إنني لا أشد الود من أحد لكنني أتمناه، وأتمنى أن تروني وكأني مجسد أمامكم، تروني لا طمعا في مال ولا شهرة أرجوها منكم، لكن الدعم المعنوي يحفزني ويدفع بي حيث تحقيق الآمال والود، أشعر بأنس وفرح وسعادة بالغة بمعاونة الناس لي ومعاونتي لهم، إنه شعور أن يكون الإنسان اجتماعيا مشاركا للناس حتى لو كان خجولا، والمواقف الحياتية من عزاء وأفراح ومناسبات تكاد تهلكني بسبب فرط الخجل، ومن لا يسلم عليه الناس أو بعض الناس من قد يكون بسبب الخجل الزائد من فرط قسوة النشأة والتربية، وربما الخلق لا يقصدون ذلك، وربما يشغلهم شاغل، فالحياة مليئة بالمشكلات والمفاجآت، ونحن نأكل الجبن ونفرح إن وجدناه، ونخجل أن نكمل وجبتنا فينفذ الطعام وإلى جوارنا جانع من جيراننا وإخواننا، رابطة تعاون واتحاد عجيبة تفوق الخيال، وتشعل أُمي المصباح الفلاحي فنريد أن يملأ العزبة نورا، ويشعل الرفاق مصابيحهم فتضيء الحياة برمتها، وهذا تلفاز في أوان لا توجد به وسيلة اتصال، نذهب جميعا عنده ونشاهد المباريات والمسلسلات الجميلة، وهي تعرض على شاشات آلة الزمان والمكان، والتلفاز يعمل بالشاحنة العجيبة، وهذا الذي يدعى المصباح المتطور به فتيل عجيب يشعل عن طريق الزيت والكيروسين، والبنزين والوقود الحفري، يا لها من متعة، وعن كنوز عزبة عبد الواحد فهي موجودة لا ريب، يحرسها الجان ومن يعاونهم على مر العصور، والرحلة تعود وتذهب وتنقب وتتشكل وتتحوّل، وتذهب العصر إليها في زمن حاضر، وتعيش المستقبل وتحياه مفكرة معي ومتوقعة ما يحدث، لا

عن علم ولكن عن تمنى وتمسك بالله وثقة به جل وعلا، والله لا يخيب الآمال، فالذهب والدر والياقوت يظهر الآن متقلبا في دوامة بحر ونهر ومحيط وجدول وغدير يوسف، والذهب الحقيقي والكنوز موجودة في طباع أهلها وأخلاقهم الحسنة، ومهما يحدث من خلاف فالأصل الطيب غالب ومنتصر، لا يهون على فرد من أفرادها أن يرى ضرا بآخر ولا أذى، وفي المواقف العصبية تجد أهلها في رباط واتحاد، و خليل فيها فتى ضاحك ساخر له طباع غريبة، لكنه طيب وبرئ لا يعرف الخبث، يحب أنور كل الحب حيث الأول في مزرعة البطيخ والتفاح وكل الخضروات والفاكهة، يستقبله فرحا مسرورا، والله ألمح السعادة في عينيه، هذه طباع خليل الجميلة رغم ما يرى من الناس من لوم يرتسم في وجوههم عليه، وما يسمع منهم من نقد، لا أعرف إن كنت أريد أن أموت حقا، أم هذا مجرد كلام، وعند التنفيذ ربما سأكون جبانا خائفا، فالموت ليس بالأمر السهل والهيلن، ربما خروج الروح سهل وربما صعب، قد أمر بلحظات عذاب، وأتمنى أن تخرج الروح لينة سلسلة سهلة علي هينة، أو يخفف الله عني لما ألاقيه من ألوان العذاب بالحياة الدنيا، تلك التي تجمع بين السعادة والأحزان، والفرح والسرور، والآلام والوجع ومتجسد بها الأمل هكذا، ومع كل ما تقدم ربما سيرحمني الله من سكرات الموت وعذاب النار، بل إن عشمي في الله وظني أنني سيغفر لي وأدخل الجنة وأعبر الصراط بسلام وأمان، وأن النار لن تلتفح وجهي. ثم نظر إلى خليل وهو يقول وقد تغير حاله: ما عرفت درب اليأس أبدا أيها الفتى الصديق الحبيب خليل. _ نعم، أعرفك منذ القدم وأيام الطفولة وأعي شخصك جيدا، فليس ما تقول ينم عن ضعفك، ولكنه فكر متقلب مصاحب لك من هول ما ترى من أحداث الرحلة وتقلباتها، وأحب أن أبنبك صديقي أنني لا زلت حيا في جنات جميلة تجري بها الأنهار ومزينة بالثمار والولدان المخلدين والطعام الشراب والقطوف الدانية، وأنت بها معي وكل الكائنات فنظر إليه الرحالة بعين كلها رحمة ومودة، وكان يستقلان شاحنة بدائية على الطريق الزراعي، ثم ينعطفان في دروب صحراوية وعرة، حتى جن عليهم الليل ودارت عليهما الدوائر، وإذ بأنور يلحق بهما، وإذ بالشاحنة العجيبة تنقلب إلى طائر عملاق مخيف، يطير بهما في جميع الأرجاء معانقا الفضاء، يحط على الأشجار والبيوت القديمة والكهوف، ثم يعود طائرا إلى مركز وبؤرة الرحلة ومكمن أحداثها، والعزبة تتوسع فتصير بلادا ومناطق شاسعة وجنة رحيبة شاسعة واسعة ومقرها جنة عرضها السموات والأرض، ثم تصير أنهارا ومحيطات هذه العزبة حبيبة القلب + عزبة عبد الواحد، وهي للتو جزيرة أمل خضراء وواحة سعد ورقاء، وظهر الفتى الجميل الذي أخبرته أنني لا ذنب لي فيما حدث، فلا أؤخذ بجرم غيري، وأنه لا بد أن نفصل بين خطيئة أحدثها غيرنا، وذنب نحن محدثوه وفاعلوه، ولكن لا يزال عالقا بفكره الظن وتصور الحدث الخطأ، فهو مرسوم بمخيلته، لكنه على أي حال فتى طيب جميل يصفح ويسامح من ظلمه، ويعلم أن الإنسان ربما يعمل من الأخطاء ما لم يقدر نتيجتها، ورحنا ننادي عليه أن انضم إلينا واستمتع بالرحلة بلا حدود وبطور من أطوارها التي لا تحسب عدا ولا تنتهي حدثا، فانضم إلينا عن طيب خاطر، حيث للتو نقابل ذات الأنوار وهي برفقة حبيبها

مصطفى يجنيان الأمل والذهب، وهو في رحلة معها لاكتشاف الحجرات الذهبية وعرقلة الشياطين، ومن الجان من هو مؤمن ومنها الكافر، بيد أن الشياطين جلهم مردة يهرولون في دروب اللذة والجشع والمتعة والضميم، ومضى الفتى حسن في نظمه وهو يحمل حمل القالوح الأخضر ويتحدث مع حمدي وكامل، ويجمعون القالوح وهو نبت جميل يعتلي عود القصب ويزين مقدمه ويسكن عند أطرافه مثلما هو الحال بالنسبة لعود الذرة، وأنا معهم نقتطف الأعواد من فوق الأرض مباشرة عن طريق الفؤوس والمقاطع، ثم ننزع الجزء الأخضر عن عوده السكري، والجزء الأخضر ذاك له ملمس خشن حيث يحدث بنا جروحا، ومعنا محمد الجميل، وهو صبي في مثل عمرنا، بسيط وطيب ومسالم، والفلاح المجرم هو صاحب الحقل وهو في الأساس إقطاعي وسفاح في زي ولباس وهندام فلاح متنكر، نحن أنه فلاحا، فهكذا هي حدود علمنا، لكن يبدو أنه جبار وصاحب أراض شاسعة ممتدة، وها هو يركب متن الجواد الضخم، وجواده ذلك والله يشبهه من حيث غلظة الطباع والقسوة وحتى التسلط والغطرسة والكبر، يضربنا ذلك الرجل بوحشية لأننا نتنفس حتى أو ننظر إليه بطريقة طبيعية بريئة من دون قصد، نجتمع أعواد القصب موقعين إياها أرضا بعد ضربها بالفأس، ونقوم بنزع الجزء الأخضر من كل عود كي نجتمع واحدة على الأخرى ونضعهم في كومة أملين في أخذها لإطعام المواشي والأبقار والحمير، وننتهي من العمل الشاق حيث نحمل أعواد القصب ونخرجها على جانب الحقل البعيد الواسع تمهيدا لتحميلها من قبل رجال الجبار الطاغية صاحب الأملاك في جرارات وشاحنات للذهاب بها إلى معصرة قصب السكر، ومحمد صديقنا يضع بعض الأعواد في كومته الخضراء من أطراف أعواد القصب الجميلة فيجدها الجبار الطاغية، فينكب على الفتى ضربا وطعنا وسبابا، ونحن ضعفاء البنية لا نقدر على شيء، ولديه من الرجال الأقوياء ما يفلون الحديد ويحطمون الإرادة، والحمار يختفي ولا نرى له أثرا، فقد خاف من العقاب هو الآخر، ونتكلم نحن ونواجهه لكن مع كل الأسف نواجه بقوى جبارة، والدم يسيل من محمد فلا يرحمه صاحب الحقول، فنهرب ضاربين الجميع بالطوب ومصطحبين محمدا معنا، والحمار يسبقنا إلى البيت ومعه الجحش ابنه وزوجته الأتان، وحسن صديقنا يأسف ويبكي على ما يحدث، ومحمد ينزف دما، عالم متوحش يحياه، ورغم ذلك نحن الفقراء يحب بعضنا بعضنا، وننوي الانتقام من الرجل الخشن الغليظ حاد الطباع ذلك الطاغية المجرم، ستكون لنا جولة معه والزمان يمر والآلة الزمكانية لا تبرحنا أو نبرحها في هذه الرحلة بلا حدود، ها هو حسن يحاول التخفيف عنا فيقول: دع ما يريبك في الحياة وواجه تلك الصعاب إذا تحل وأقدم وتنفس الأمل البهيج رواية بلا حدود فذاك فيض المنعم واسبق زمانك كل يوم وانشد الأمل البهيج وطيب فيض المطعم فلکم أحر إذا مضيت بروضة ورأيت زهرها والورود على الفم فهي الفتاة ومن تزين دنيتي ما من جميل بعد ذاك المبسم ومضيت أعدو في البلاد مرافقا ظلي وكلي وخطو هذا المعلم فوجدت أثرا في طريق حبيبتي لو ما تطال حبيب عمرك فاندم ولقد تبعت عن اشتياق خطوها فهي المياه وخطو تلك الأنجم تركت بريقا سرت أمشي بضوئه حتى اهتديت إلى جمال العالم. إني أخاف

وأعول الهم وأسير في الصحراء وأركض وأعدو ويخيفني ظلي، وأرى الجان من حولي وأحمل الهموم فهي مطبقة علي، وأنا شجاع وبطل وأخيف العدو والجان، وأنا خفيف الظل وثقيله وأكره نفسي وأحبها، أنا كل الحالات النفسية. كانت الفتاة تحار من كلماته، فهو إنسان متقلب وطيب وشرير وخير، ووسيم وقبيح وحلو الروح وقبيحها، هي تحار مع أنها الأزهار، جميلة إلى حد خاطف مذهل، هي الشمس والقمر والنجوم والطير حولها تحوم، هي سندريلا وحسناء الخصال وهناء ودلال، وهي فاطمة وسلمى ذات الرداء الأخضر وفاطمة ذات البساط وفتة وتبر الفارس المثلث، وهو أحمد ومحمد ومحمود وسامي وإبراهيم وإسماعيل ونوح وأسامة وزيد، بالرحلة كل الأشياء، وأنا بها أحر ولا أفقه شيئا، وحيناً أفقه كل شيء إلا بلوغ كل العلم فهو لا يجوز لأحد ولن يدركه أحد، وما حصدنا من العلم إلا القليل، فالعلم كله لله، ونحن عباده، وإنني لا أؤدي الصلوات وحيناً ألتزم بتأديتها، وأخاف أن أقبض وأنا تارك للصلاة. كانت تستمع إليه وهي لا تعلم إن كان يهذي أم ماذا؟!، والفتى حسن يعود من الحقل محملاً وحاملاً كومة وربطة من الأجزاء الخضراء المقتطفة من أعلي أعواد القصب، والبقوشي لا يزال يضرب الصبية ويوجعهم، والشمس حارقة محرقة تكوي جنوبنا وجباهنا، والبرد يقصمنا ويقضمنا، والذئاب منتشرة وهي تقول: نحن أوفياء لزوجاتنا. فأقول لهم: وخائنون لنا تريدون التهامنا عن بكرة أبينا، فهل هذه ليست خيانة.؟! تعجب الذئب لقولي وهجم علي غاضباً فطوقته في يميني وقبضته في قبضتي، حاول الإفلات وها هو يعاند ويجادل قائلاً: أنا الذئب القائد فقلت له: وأنا الفتى الضرغام الأسد وتالله لقد ظهر الخوف في عينيه وأنا أرى تراجعاً والرعب الذي يكمن به وتظهره عيناه الناريتان، وإذا بمخالبه تعيقني وأظافره تدخل في جسدي وهو يقول: أنا من يهرب مني الجان ويخاف. فلم يزدني تهديده وفعاله إلا إصراراً، فها أنا أنكب عليه وأخنقه بأظفاري وقبضتي مدنيا يميني بشمالي وقوتي تميل عليه فتكاد تهلكه وهو يواجه الموت المرير، لسوف أقتلك أيها الذئب. وفي أثناء حديثي يتقدم القطيع صوبي ويظهرون أنيابهم مكشرين عنها ويحيطون بي من كل حذب وصوب، فإذا بعبد الرحمن يشاركني الهجوم عليهم، ثم ها هو يأتي الرحالة ومعه سندباد والرجل العملاق وعنترة والفارس النبيل والأمير المسحور، والعالم الجليل يشاركنا والشيخ وضرغام وسلطان ومداح، نميل على جميع الذئاب ميلة واحدة فيهربون، أين تهديدكم اختفى وتولى، نحن بنو البشر لنا القوة والهيمنة عليكم بأمر الله، ثم إن منكم الذئاب الطيبة والمساعدة لنا، لم لا تكونوا مثلهم، فإذا بالغابة كلها وبكل وحوشها يتقدمون نحونا ويحاولون أسرنا وقتلنا والتهامنا، فيخرج الفارس المثلث من بحيرة التماسيح، وتزداد الهوة المتقدمة اتقاداً، ويتقدم قبطان وهو يقود سفينته البحرية الجوية، ويقبل الجان الطيب طائرين صوبنا، محلقيين في شراسة تتجه صوب العدو من الذئاب والفهود والضباع والجان الشرير، ونوارة تقود الرحلة المعادية الشرسة، فهي شرسة بحالها وبطبيعتها نوارة تلك، والبقوشي يساعدها وعبد السميع والضباع المتوحشة والجراد والطيور النارية الرهيبة، ودوامة بحر يوسف تخرج ما بداخلها من أسلحة فتاكة فتساعدنا إذ هي للتو آلة الزمان

والمكان الجبارة المدافعة المهاجمة، وهذا الجميل يتأمل السماء ويقول: أيتها الشمس البديعة الجميلة، أراكي من خلف الحجب والعتمة تطلين وتشرفين وتشرقين علينا وكأنك خجلة مكسوفة، لا خجل الآن يرجى، أشريقي وتجاوزي العتمة وحد البرد والصقيع، هنا نحن وهناك من يشناق إليك، دفأك لا يستغنى عنه ونورك بأمر الله يضيء العالمين. كان عبد الرحمن يستمع إلى كلمات الرحالة فإذ بالشمس تشرق في دفيء جميل، والنور يعم الفضاء الكوني بأسره ويلقي ببريقه على الكون ويعانق الأرض والبحار، فيلهو الأطفال ويصفقون ويتميلون ويسعد الكبار، وتتفتح في روضها سعيدة الأزهار، حيث ابتسم لصديقه " الرحالة " وهو يقول له: جميلة بك الدنيا، شخصك كريم رائع يا " رحالة "، ألا ترى البساتين كيف هي جميلة والطيور تغني وتغرد، وبك بهي وساطع هذا المشهد؟! فابتسم له " الرحالة " وربت على كتفه وعانقه، ثم انطلقا وقبضته في قبضته، وراحا يعدوان في جانب الخصب ثم يتوقفان فيعدوان تارة أخرى وهكذا دواليك، وعوني ينظر إليهما والعجوز الساحرة تلاحقه، تسبح في إثره وتحاول تطويقه، والرائعة " أفيات " _ سر جمال وبركة الرحلة " _ تلاحقها وتمنعها من النيل من عوني المذهب الجميل، فألقى الرحالة وعبد الرحمن نفسيهما في غمار الأمواج سابحين مسبحين، وحاولا تخليص الفتى المسكين من قبضتها، والقرش إلى جوارهما يستمر في سباحة لا نهاية لها ودون توقف، والحوث يركبهما على ظهره ليستقلان متنه، وعقلة الإصبع يمسك بيد شقيقته وهما على كف سلمى ذات الرداء الأخضر، وملكة النحل لا تزال في تحليق مواز للرحلة في السماء الشاسعة والفضاء اللانهائي الامتداد، والشمس تدفئ الأجواء والبحار والمحيطات، وحمادة لا يزال يصارع الثعبان ويساعد الفارس المثلث في مصارعة التماسيح، إلى أن يهمس عبد الرحمن لصديقه ويخبره عن خطة لتقييد خطر العجوز ذات البيضة الذهبية والبلورة المتوهجة والعصا والشال، والفتى عبد الصبور يسمع حديثهما وكذا أبو عوف والعالم الجليل، وكل يقترح اقتراحا، فتفرح أفيات وتقوم بتنفيذ ما اتفقوا عليه، لتنتهي الجولة إلى نصر عظيم، ثم تواصل الرحلة سعيها في أطراف الكون ووسطه في تلك العزبة حاوية كل شيء والمتسعة لتبلغ مدى يفوق كل مدى، وها هو عبد الرحمن وأشرف اللول ومحمود وسويلم وشداد وضرغام وموكب الهدهد الطائر ورفاقه يصلون النخل الكومي حيث العفاريت والجان والشياطين، فيرون إبليس وهو يبيض ويفقس بيضه ليخرج شياطين وشياطين يملنون الأرض بما رحبت والكواكب والنجوم والأماكن الخالية في القفار والصحراوات والجبال والكهوف، نعم يرون العجائب وتكاثر الشر، فيقرأ شيخ الرحلة القرآن بصوته العذب، ويبدأ بالقراءة أيضا الشاب نمر ومعه الشاب داخلي، فيتبعثر الجان ويحترق ويتقهقر، وتستمر الرحلة في السعي والتقلب حتى ترى سيدنا نوحا وتحبى معه وهو يدعو قومه للإيمان فيؤمن القليل، فيساعدونه في بناء سفينته، وتستمتع إلى كلمات السخرية التي يسمعه قومه إياها، فيستمر النبي في إكمال السفينة وإتمام صنعها معتمدا على الله ثم الألواح والدرس، والطوفان يعمننا جميعا، لكن السفينة تعوم على وجه الطوفان السائر وتعتلي موجاته الجبارة

وتسبح دون خطر يذكر، جميعنا نركب مع النبي، فالسفينة طوق نجاة جميل. صدقت يا رحالة، هذه لحظة فارقة. كلمات نطق بها عبد الرحمن وهو برفقة الرحالة والنبي الكريم حيث السباحة فوق الموجات التي هدأت، ويأمر رب العزة الأرض لتبلع ماءها، الله أكبر، إنه مشهد رائع، ينادي سيدنا نوح ابنه أن يركب معه ومعنا، ولكن الابن يظن أن الجبل سيعصمه من أمر، وما فعل الجودي ذلك، ثم ها نحن نستمر في الرحلة بلا حدود وآلة الزمان والمكان ترينا العجائب والمفاجآت، وتتقلب في الأزمان والأمكنة والجنة والنار والبعث والنشور، نرى جميع الأنبياء والرسل والمواقع الحربية ولحظات السلام والأمن والأمان، ثم أستمر مع صديقي عبد الرحمن متجهين صوب النخل الكومي ونخل الصعل ونخل نمر والنخل الصغير، نمسك بمصيدتين جميلتين كي نصطاد سمكا بديعا جميلا، ونصطاد أم عبيدة، وهي سمكة بيضاء لها شوارب جميلة تزينها، منها العملاق ومنها الصغير، وهي تحدثنا وتتكلم معنا وتهمس، فلما قد علقت بالمصيدة أخذنا في حزن دائم وحاولنا مداواته وهي تضحك، إني رزق ساقه الله إليكما، فخذاني وكلاني واطهواني ولا تحزننا، لكننا أبينا وتركناها تسبح في الماء فعدت إلينا وهي تقول: سأصطحبكما في رحلتكم الجميلة، وكانت الكائنات معنا تستمع بما تسمع تشاهد، وملكة النحل مستمرة في التحليق، وسلمى ذات الرداء الأخضر تكاد تطير فرحا وهي تشاهد م يحدث، في حين أن الحمامة البيضاء في الجو الجميل تطير وهي تحمل عقلة الإصبع وأمانى على جناحيها، فأصابها الإعياء وأسلمت نفسها للموت مضطرة، وسقط من عليها الطفلان الصغيران، ولكنها أبت أن تتركهما لموت محقق، فدمعت عيناها وتقوت بالله واعتمدت عليه واستجمعت قواها وزودت من سرعة الهبوط فسبقتهما إلى الأرض ثم صفت جناحيها بمهارة مذهلة، إلى أن سقطت أمانى وعقبة معها فوق الجناحين اللذين يمثلان وسائد هوائية مريحة لينة، وشداد يصفق فرحا ومعه الصبية والأطفال، والصبايا تصفقن والنسوة في مشهد أسطوري، وإذ بالهدد وأبو فصادة والبطريق والغراب وأبو قردان، ذلك الموكب الهوائي الطائر يأتي بالعشب الأخضر الشافي من بعد أمر الله، والحمامة سعيدة وقد قويت على طيران مستمر وهي هابطة نحو بحر ونهر ومحيط وجدول يوسف، ذلك المشرف على عزبة عبد الواحد البديعة الجميلة الخضراء الورقاء ومعانقة الربيع والأمل، ألا ترى يا عبد الرحمن. – نعم أرى حبيبي الرحالة، لا أصدق أننا مشاركان بالرحلة. تبسم الرحالة وهو يقول: بل الجميع مشاركون يا عبد الرحمن. وكان ضرغام يستمع ويشاهد ويشترك وهو معجب بصديقيه، يحبهما حبا جما، وكذا هو حال الفتى نزهي وسليمان وعبد القادر، حيث انطلقت الرحلة في صحبة الأخير صوب النخل الكومي، فدخلوا جميعا إلى كهوف ذلك الأخير وحقوقه ومستعمراته المأهولة بالجان والعفاريت والأشباح، فوجدوا أحمد لا يبالي بكل هذا، ويدير الطمبورة وهو يضحك، ثم يشغل مدرار المياه فيدر الذهب والدر والياقوت والمرجان، فيندفع ما تقدم عبر دوامة بحر يوسف في مجرى مائي مذهب جميل، ويعوم مصطفى عليه وهو يستقل القارب الصغير، إذ يتحول بحر يوسف إلى نهر ثم محيط ثم نرى قارب فاطمة خاليا، فيركب على متنه مصطفى ويجدف وينغمس في الدوامة العملاقة ببحر يوسف

المتحول، ثم يهبط بالفقار إلى الحجرات العجيبة السحرية والكهوف والسراديب،
والمجوهرات والذهب والزئبق الجميل والدر يعومون معه ويسبحون تحته ومن حوله،
والفتى لا يكاد يصدق أن دوامة بحر يوسف تقلب الدر والذهب والتمائيل بهذه الكيفية، وأن
أحمد بمدرار مائه وتلك الظلمة يفعل كل هذا، وساقية الفتى عزمي تشاركنا الحدث حيث
يقوم بتشغيلها حمادة الجميل مساعدا الحمار والجاموسة والبقرة في ذلك، والمصرف العذب
المتصل ببحر يوسف يحمل فوق موجه الذهب المرصع والأمل الظاهر كربيع حسن وأمل،
والنخل ينقلب ثمره إلى ذهب ولؤلؤ والجنان يفر لا يكر علينا، ورشا عروس نخل الصعل
تساعدنا على غير العادة وتجلب الخير المسبب من قبل الله إلينا، والنخلة الخرساء بالنخل
الصغير تعوم في وضعها الرأسي إلينا ثم تحلق في السماء وقد قلبت وتحولت إلى بساط
فاطمة التي لا يعلم الرحالة مكانها، وتظهر فاطمة فجأة وهي تحيي الجميع، تتجلى إشراقتها
الأسرة، الرحالة لا يصدق نفسه، ثم تختفي فجأة، والموكب الطبي الطائر المسافر يحط عند
نخل الصعل ومعه أبو العنز طائر اللقلق، وسمكة القرش لا تزال في سعي مستمر دؤوب
وهي تحمل الكائنات فوق متنها الممتد وسراتها الفسيحة، وسندباد يغازل سندريلا وهو
يقول: تستمع لي وأنا المغازل وتبتسم مليا وتتمايل تالله إنها حقل المنى وغصنها ناد يتكحل
وفي أيكته طير الربا وفي بستانها كم أكرم، ثم يهدأ الرحالة من وقع جرسه الموسيقي،
وهي تهدهة العاشق المطمئن المستكين الهادئ، ونغماته تتلو نشيد الحب وتدفي برد القلب،
حيث يكمل ويستطرد وللحبيبة يتودد، وأنفاسه تعلو وكم تهبط، وبصدر الحسن تتردد: _
عزبة عبد الواحد أنا الملهم في ساحتك أتكلم ولست أسيرا للمعتدي ومع الحرية من أبرم
عقد جمال في روضك وروضك حلو متبسم لبثت بها من عمري سنينا وفي سكناتها لم أظلم
وفي حركاتها نلت المنى وفي أجوانها أتأقلم وكيف نقول كانت "عزبة عبد الواحد"، وهي
حاضرة دوما بكيانها ومكوناتها وشمسها وقمرها وشخوصها وخوصها وسعفها وجريدها
وعيدان القصب بها وسنابل أعواد قمحها، حاضرة بمصرفها العذب و"نخل الصعل"
و"النخل الكومي"، وكأن نخلها أنشئ ونبت على كومة عالية من التراب والهمة والأمل،
وسقاه بحر يوسف من عذب مائه وجميل روحه وبريء محتواه وثمره الطيب، وشدت
الطيور وترنمت حول زرعه النضر الأخضر، وقامت لرشا قائمة مدعومة بجور من أهل
الظلم وخاصته المجرمين، مملكة جور شاهقة حتى السقوط، حيث يرى قصرها وهو يهوي،
ويرى كوخ البخيل وهو ثابت البنيان عظيم البنية راسخ المكونات، لا ريح يهزه ولا حتى
زلازل تزلزله وتهده، أكواخ الفقراء كما ترون تنير في عظمة وكبرياء، والبدر يحط رحاله
هنالك فيطبع قبلة على جبين عزبة عبد الواحد، وتقوم القيامة وأهلها في رباط، طاهرة هي
ومتشكلة ومتحولة، فهي تعني الكون والجمال وكل أمل مطل في بريق وسحر وإيمان، لم أر
مثيلا لها ما عشت وما حييت، هي فكري وليلي ونهاري ونبضي، ولست أنا من أكتب إذ هي
التي تكتبني، وليتها تكتبني بحروف من نور، لأن ذلك هو ما يليق بها، وليتها تكن درة
وجوهرة وزيتونة، وهي تالله كذلك، هلا تقبلينا من أبنائك الكرام ونسوتك العفيفات وصبيتك

الكرام وصبياتك الطاهرات النقيات؟!، وهنا ابتسمت العزبة تحييني وتحيي عرابيا وضرغاماً وحسناً وشداداً وعامراً ومدحت ووانلاً والبطريق والفوج الطبي الطائر بقيادة الهدد، وشرعت تحيي العالم الجليل وتحيي صبري الطيار الطائر وسيدا والملك الغضنفر وملكة النحل وعقلة الإصبع وسندباد وسندريلا وفاطمة ذات البساط، وكانت العزبة تتجمل وكان زفافها للتو حل وعرسها بالتمام هل، ذهبت الأوهام واستبدلت بحقائق وتحقيق حلم، ومضى الشاب "رضا" حيث المسجد وهو باسم يطرد الشيطان بعزيمته التي لا تلين، يؤذن بصوت جميل رقيق ويقيم الصلاة ويؤدي الفروض، صديقه "عوض" الصبور الباسم إلى جواره الآن ويتوسط الاثنين الفتى "هلال"، وفي نظرة "هلال" يشع أمل وضوء إيمان يهل في وجهه، وهو اسم على مسمى، و"العربي" بخفة ظله يضحك الجميع، حيث الفتى الأخير هذا يحمل بين جنبيه قلباً طيباً نقياً، و"حمدي" لا يرى منه سوى الخير، قائد جميل ومحارب بارع، يخوض الحرب الضروس من أجل نصرة الحق، يلتقي كل ذلك الموكب والفوج بأهل العزبة الكرام عزبة عبد الواحد، ويتجهون صوب الحقل وقد نقلوا من عهود سحيقة وأخرى قريبة، يجوبون الكون والفضاء العريض، والزهر والرمال والعنب يطل من فوق فروعه وغصونه، وعنترة يحارب من أجل نيل حريته، تطلع الشمس عليها حالاً تلك العزبة مالكة الوجدان وورد الزمان، فتزيل تلك الدافئة العتمة وتبدد الغيم وتزيح ستار السواد وظلمة القلب، وتلمع الكنوز من أسفل المياه، وقد حميت المقابر بطبقات مختلفة من شتى أنواع ومواد الحماية، فحفر الرحالة مستخدماً فأسه ومعوله، وأصاب اليأس الجميع إلا هو، يساعد مصطفى في استخراج الكنوز وهما صديقان صدوقان، وأثناء الحفر تهجم الذئاب والفهود وكأنينات تخرج من قبورها وأجدائها، تظهر عليها أطياف وعلامات الموت، والمستنقع يعج بالكائنات الدقيقة والجان في مشهد تقشعر منه الأبدان، الشمس كأنها أتت للتدفئة من فرط البرد القارص الشديد، والعوامل الطبيعية من زلازل وبراكين وحمم وبركانية ورياح وأتربة تساعد جميعها في استكشاف عهود مضت وأخرى قادمة، وآلة الزمان والمكان الآن كون فسيح ممتد ومرعب، ثم ربيع وأمل واستقرار ونصر ومعدات وحقول وورود وبساتين ورياض، وهي ضحكة وبسمة وعهد من عهود الرحلة وهي في بؤرتها الطيبة المتسعة عزبة عبد الواحد، وهناك تنظر هالة الفتاة ونظرتها تالله للعالم من دونك قلبي فتاتي الجميلة مثقل بالهموم ويتألم أطالت وترنو إلي مقلتيه فرنا دون فمه يتكلم على ثغر هالة الجمال الجميل كعنقود أمل رسم الفم وإن بروضة تلك الفتاة كروان الفنن يترنم. فذهلت الفتاة من كلماته ووقع حروفه الساحرة على قلبها، وكانت تحبه ولا تصرح بذلك الحب، فقد ملك وتينها والفؤاد منذ الوهلة الأولى وربما قبل لقائهما، وآلة الزمان والمكان تحتفل بهما وتحفل، والعالم الجليل يحول دفة الرحلة، أنا في "عزبة عبد الواحد" يضمني العالم بأسره ويحتويني الجمال، فهي جنتي وناري ومساري، وهي العالم وأبعد وكل جميل يغير مجرى الحياة، وهي النشور وبعث النفس حيث تحقيق أملها والعودة من درب اليأس حيث الأمل والربيع الباسم، هي الفضاء الكوني ونعيم الجنة، هي عمر وسحر وأمل وجيهان، وهي

بهلول خفيف الظل ولطفي ومعتز وخالد، هي كل اسم بالعالم والكون وهي كل الأسماء والأنواء، وأثناء حديثي تقبل الفتاة ليلى فيسعد الفؤاد ويبكي خاطر من فرحته ويرق القلب من أثر الفرح الهادر الذي حل علي، أنا قيس وغير قيس، وهي ليلى وكل ليلى وكل اسم وصفة وروح، وها هو فتى الرحلة الجسور الشاعر المقدم يقول: فليلى البدر وهي الكواكب وهالة النور لا تغرب ولطفي في الرحلة بدر الدجى في نعيم بالجنة يتقلب جنة بالحياة وبالأخرة من وعد الله لا مهرّب قدر الله بنا نافذ وقدر الله هو المطلب وغمار الحرب خاضها عامر ورمحه من الطعان مخضب ورشا بنخل للصلع بدت وحلت هنالك النوايب تقتل من مر في وحشية وهي في الإجمام مثل يضرب وحمار تبعني في مشيتي حاضر في قلبي ولا غائب وإن مر الزمان فحبي هو يتنفس الجمال وكم يغلب من عادى الرحلة أو هاجم والنصر إليه كم ينسب والجحش برفقة جمع لنا لا هول الزمان يتهيب يحمل الأحمال على ظهره ومتمته الجميل هو المركب. كم تبعث في نفوسنا الأمل أيها الرحالة بأشعارك البسيطة تلك وأناشيدك الجميلة،حقا أنت موهوب. نطقت بها حسناء الخصال وهي ترسل ابتسامتها إليه معطرة بأريج الزهور ومتبوعة بثغر فواح بالشذى، حيث تجلى مبسمها كورود الخميل وشمس الأصيل، فلما سمع تحيتها أشرق وجهه، وعلى الوجه تظهر علامات الفرح، والعين لا تكذب، فابتسامة تسبقها نظرة عين غيرت مجرى الحياة، وحولت الحزن إلى فرح تناسى معه الفتى كل وجل ألم به، ودنا منها يحييها تحية الأدب والإجلال والوقار، والعالم الجليل يلاحظ اهتمامه بها واهتمامها به، لتتجسد أمام ناظريه قصة جميلة للوفاء، ولا يزال موسى ورفاقه يواجهون الأخطار ويتحدون المهاجمين من كل زمن ومكان، وفتحي مستمر في صنع الابتسامة وتخفيف هموم العمال، والفتى فرج مسالم ضاحك يريد أن يمر يومه، كلما تراه تجده بسيطاً سهل المعاملة جميل الخلق سلس منقاد للخير مؤد له، أنيس وخير جليس، حيث يجلس معنا الفتى مصطفى وهو لبق وحلو اللسان والفعال، نذهب سوياً إلى مكان الإفطار وتناول الطعام، والفوج المسافر يمر بنا، وقارب فاطمة ذات البساط ومركبها الصغير لا يزال يشق صفحة نهر الموت ويقاتل التماسيح والأشباح والجان والعماريات، ثم ها هو يجلس "عامر" و"موسى" و"فتحي" و"الرحالة" و"قبطان" و"سندباد" و"محسن" و"فرج" و"سامي" و"أشرف اللول" و"حسين" و"إدريس" و"عرايبي" و"ضرغام" و"سلطان" و"الدسوقي" و"عبد الرحمن" و"العالم الجليل" و"قائد آلة الزمان" والمكان صبري الطيار الطائر" و"الفارس النبيل" و"الأمير المسحور" و"الفارس المثلث" وآخرون..يجلسون هنالك في مكان يرسل منه الناس للعمل، فيأتي بعض ممن يستأجرون العمال كي يحملوا الأثقال من مواد البناء، أو يفلحوا في الأرض فيعزقونها ويقلبونها، فيعرضوا عليهم نوعية العمل الذي يريدون أن يتموا تأديته، فيتزاحمون عليهم ازدحام الجحفل المكتظ يوم العراك والنزال، وفتحي جميل الروح خفيف الدم يعد المشروبات المتنوعة لأفراد الرحلة بلا حدود وجماعاتها، فيرى كما ترون وهو يشعل النار ويضع الإناء فوقه، ويطل على المشهد جزار قد ملأت قلبه الفتوة وبدا عليه الغرور والسلطة والسطوة،

وفي الناحية المقابلة خلف الحاجز الترابي يجلس "حربي" وهو فتى مفتول العضلات عزيز النفس مبتسم حين يستدعي الأمر الابتسام، مقدام وجسور وداهية إذ دقت الحرب طبولها، وهو يرش الماء وينثره على العمال قاصدا إبعادهم من أمام مكانه وتلك الجزيرة التي لا يملكها من الأساس، فالمكان عام وملك للجميع، يرش الجزار الماء فيغرق المارة والجالسين، ويصيب حربي منه مكروه وماء يتناثر عليه، يهم فيدافع عن نفسه بالنهر واسترجاع الكرامة وصون النفس، فيسبه الجزار ويرد حربي عليه سبا بسبب وشتيمة بشتيمة، فيقدم الجزار عليه ويحاول صفعه ودفعه، بيد أن حربي جريء ولا تهمة سوى كرامته، يدفع الجزار فيكاد يوقعه، فيشتبك معه الأخير، لكن قوة حربي تفوقه فيطوقه بين ذراعيه ويكيل له اللكمات والركلات، وتنشأ واقعة حربية متكاملة باستخدام جميع الأسلحة الزمنية والمكانية، ولا تكاد هذه أن تهدأ إلا ويشتبك عامر مع المارة الذين يزاحمونهم ورفاقه ويسخرون منهم، وأنور يجد مادة عجيبة فبرميتها وإذ بها تشتعل، فيهاجمه الناس، ولكن أخيه يتربص بهم الدوائر ويعددهم وعدا نافذا بأن يحاربهم جميعا لو دنوا من شقيقه، ورزق يحاول الاستحواذ على غنائم الحرب لنفسه، ولو حلت نعمة من المفترض أن تكون مقتصمة بين الجميع خص بها نفسه، وهو شقيق النسر وإقطاعي جبار مثل الرجل الفلاح المجرم مانع الأطفال من اكتساب قوتهم وجني المحاصيل بعد حصادها، أي جني القليل المتبقي بعد الحصاد، حتى ظهرت في وجه الرحلة وملاحها ومرآتها فتاة هي البدر، وشرعت تعدد محاسنها منشدة ونحن نستمع، ومن فرط حسنها خيلنا المشاكل والعراك جانبا، تقول الفتاة ساحرة الجمال: أنا فتاة بها الجمال كزهر الربا بي الحسن والدلال قد نما وربا فمن عشق الزهر يشتم ما فاح به وهذا حالي كأنتى في عهد الصبا لا يهم اسمي بل تهتم شمائلي ويحبني شاب كم أراه معصبا حين يوضع الشال فوق طرف يزينه أرى بصيص نظرة منه فهو من أبى كلما أزاح الهوى عن نفسي محبتي شط بي غرام إليه وأنسبا قد صفا غديري إلا من بعض شوائب وكم أبغي أن أزيح عنه الشوائب تمنيت ولو لم يبق بحياتي إلا ربيعها وأظن أن هذا ما أجده مناسبا هذا حلم كم سعيت لأن أرى تحقيقه ملازما لي ونائبا، ويتحول الفتى الرحالة الجميل إلى فن شعر آخر من بصمة قلبه وشغافه وحنين فؤاده وتغريده، والفراشة تغني معه وسط الحقل المورق بالأمل والمزهر بالجمال والبريق والنور وبصيص ضوء الفجر اللامع حيث يقول: _ حل بي المشيب قبل الموعد فجددت عهد الهوى دون تردد وعلمت أنني قد أضعت سعادتني فنحيت التراب عن خدي المتورد ورأيت الجمال بعد إزاحة غصتي فإن تزح ما يثقل كاهلك تسعد مر بي العمر قبلما أرى بهجة وكل ما حولي في بهجة المسعد وجنيت الشوك من ورد وتركته ذاك الورد ذاته دون تودد ولو كنت أفلح لكنت أجمع الزهر من غصون الجمال على ملأ ومشهد ماذا جنيت من هم يحيق بي وهل أصاب الهم أهل المرقد في غمرة المنية ينعمون لبيتهم وكانوا يحيون يومهم لا هم الغد يدنو منهم أو يجول بخاطر أو ببال لهم إن كانوا بمقعد أو يدب بأنفس تعلم أن الذي كان مقدورا يحدث وغناء المنشد ها هو يطرب القلوب والنفس معا ولا شيء يسعد كترتيل عابد مررت برشا في نخل

صعل هامس يرى الجان به على سرير منضد وأبو عوف كلما مر شخص ينصح وكل مار يدنو كالمتباعد وتبر هنالك فارس يدير طمبورة ملتو تجويفها تجمع من كل ندي وكامل يتيه بين وهم وحقيقة وعند كشف الحقيقة خير مؤكد، منغمس في حالك وشأنك، وتظن أن الدنيا ابتسمت لك، فإذ بأحدهم ينغص عليك حياتك، فالأجمل أن تعيش لحظتك ولا تفكر فيما هو قادم من أمر وقدر، افرح ما أتيح الفرح لك وما لم يتح، اخلق الفرص والمواقف لابتسامتك، لا تحمل هم الغد ولا هم لحظة ولا برهة تمر من الآن، الآن بالتحديد، في وقت قراءتك تلك ومعاشيتك أي موقف، كم حملنا الهم ولم يأتي سوى الفرح، لقد وجدت نفسك مولودا لا تفقه شيئا، وأول من تعلقت به كانت أمك، وربما الحيوان المولود يتعلق ببشري أو حيوان آخر غير أمه لأنه لم يجد أمه التي ولدته، إذن فرب من رعتني وربتني وهي غير أمي أصبحت أمي، دنيا عجيبة وأسوأ وأقسى ما بها هو عول الهم قبلما تحل النازلة، والله لو لم تفكر بالنازلة ولا تعطها اهتماما لما حدثت من الأساس، وربما لو حدثت وأنت لا تحسب لها حسابا حلت لينة سهلة هينة، اسمع كلام الرحالة الذي عض في الحياة كما عضت فيه، ونفث بها السم قبلما تنفث هي، كن كحمادة الذي يصارع الشبان للتو، وكن كهذا الذي يتحدى الأسد فيطعنه حتى الموت، وهو أسد عملاق كما ترون، ينقض عليه الفتى فيعتلي صهوته وممنه بحكمة واقتدار وفن ومراوغة وإقدام وجسارة، وحمادة إلى جانبه يقاتل الأفعى، وتلك الأخيرة تلدغه ويلدغها، والزرافة الجميلة هذه تطرد الأسد وتطعنه وتركله بقائمتيها، فيهرب الجبان، لا تظنوا أن الأسد جسور، هو جائع فقط، وجوعه وغريزته يقودانه بل ويدفعانه نحو إرضاء معدته وإشباع نفسه من بعد الجوع، لكن انظر معي، الجاموس الوحشي يقاتله فيهرب الأسد الجبان، رحلة غريبة عجيبة مريبة، والجان بها مرعب لمن يخاف ويخشي وو لا يفعل شيئا لمن يواجه ويتحدى، وتبر كما ترون هي الملثم الذي يدير الطمبورة البدالة، وتلك الأخيرة آلة بدائية لري الأرض، أسطوانية الشكل وملتوية قطعها الداخلية المقلبة للماء والساحبة له، والجان يمر من بين الأنفاس وفي أجزاء الآلة الداخلية ويتخلل الماء والفروع والأغصان، ويسكن الأحياء المائية ويتخذ مظهرها وجوهرها متخفيا بها، نعم، الفتاة تبر هي الفارس الملثم المدافع عن كائنات ومقدرات الرحلة، فتاة شجاعة كان للثامها ولا يزال السبق، فهو لثام سحري يطرد ويخيف الجان فيهرولون لو رأوه، وهي تطاردهم صوب كهوفهم والقبور الكائنة بالنخل الكومي، ويرون سامي وهو يستعيز بالله منهم فيحرقهم بالنار من وقع كلمات ربي عليهم، والجماجم تخرج من القبور فنلتقي القدماء ونقابل أهل المستقبل، هذا رعب حقيقي لمن لا يثق بقدرة الله والمزلزل الواجف الخائف وغير المصلي والمتبع أوامر ونواهي الرحمن، من لا يقرأ القرآن ولا يتخذ صديقا وخليلا يستحق ما يحدث له، ومن لا يضع جبهته على الأرض مبتهلا ومتبتلا لمن خلقه ولا يخر ساجدا لعظمته جل وعلا يجد جزاء فعلته فقرا وهما وغما، ها هو "الرحالة" بصحبة "عبد الرحمن" و"مصطفى" و"وهيدي" و"خضراوي" و"الفارس الملثم" و"الأمير المسحور" و"ضرغام" و"سلطان" وما لا يعد من البشر ولا يحصى،

ومعهم "قبطان" الأمير الجميل والفارس الشجاع، و"عرابي" يتقدمهم وهو يحاور الجنية والجميع يعجبون، حيث تلك الجنية تتجلى وتظهر وتحمله فوق جناحها لتقلبه إلى الجناح الآخر مع المحافظة عليه ألا يسقط. - انتبهي أيتها الجنية الطيبة، أكاد أسقط. تضحك الجنية وتستمر في تقلبيه بجناحيها وهي تكرر وتضحك وتقول: لا تخشى شيئا أيها الفتى المحبوب عرابي، سوف أهبط الآن لأضع بقية الرفاق فوق جناحي. فيضحك الرفاق ويفسقون ويعرضون عليها أن تحملهم في رحلة بحرية عبر بحر يوسف الجميل، فتقبل الجنية الطائرة، ثم ها هي تهبط، ألا ترون، نعم أنتم تشاهدون لأن كل منكم معنا بالرحلة ويحيا متعتها المشوقة المفرحة، روح الرحلة هي التي تقص وتحكي على نحو ممتع نحيا جميعا للثو، وتطير الجنية بعدما استقل جناحيها الجميع، وتمر بالمجرم الفلاح صاحب الحقول التي يمتنع عن تأدية زكاة الزروع بها، ذلك الإقطاعي الذي يتمنى قبض أرواح الأطفال الفقراء الذي يلتقطون ويجمعون الخير من الحقول عقب انتهاء موسم الحصاد، فتسقط الجنية على ذلك الفلاح لهبا ووابلا من غضبها ونارا تتقد، فيعدو الجبان ويترك الطفل الذي كان في قبضته منذ برهة قليلة، والله كاد يقتله والطفل في حيرة من أمره لعظم قبضة المجرم الفلاح عليه، يلسعه المجرم ويلدغه ويطعنه بآلة حادة ويضربه بالعصا لمجرد أن الطفل يجمع بعض ما بقي من الحصاد كما يجري في البلدة كلها، وهنا هبطت الجنية الطائرة وبسطت جناحها معانقة الأرض الخضراء فهبط من على متنها الحريري وريشها الكبير الرقيق كل الأصدقاء والناس والنسوة والفتيات والصبية والأطفال، وفاطمة ذات البساط على بساطها، جموع وحشود لا حصر لها، وفتة الفتاة الضريرة تتمنى أن تبصر حتى ترى المشهد الذي يراه قلبها، فاطمة وفتة ضريرتان لا تبصران، ونجاة المظلومة راضية بالمقدر النافذ بأمرها وحالها، في قمة الجمال وتحب أن تحيا وجيدة بين حقولها وروضاتها وزهورها وورودها، الطيور تحبها والكانات والأسماك والحيوانات، تستقل البساط السحري برفقة فاطمة وأمل وسندريلا، والرحالة يرعاهم ويحميهم بفضل الله، وينطلق مع الهدهد والموكب الطائر في رحلة البحث عن الأعشاب النادرة لمداداة الجرحى وإسعاف المصابين، فحرب دائرة بين أنصار الفلاح البخيل المجرم- معادي الأطفال والصبية ومن يؤيده من أهل الشر المتمثلين في النورة والنسر والساحر الشرير وريمة والمجرمين من جهة، وفي الجهة الأخرى وعلى الجبهة المقابلة الرحالة وسندباد وقبطان وآلة الزمان والمكان وحسين وعبد الرحمن واللول وأسامة وعقلة الإصبع وأماني وأهل الخير والكانات جميعها، ويتقلب كف الرحلة وتحل أقدارها ويأتي الماضي إليها من مكان سحيق وتذهب هي إليه، ويعانقها المستقبل ويزاملها الحاضر، وتجتمع كل الأزمنة في ذلك الحاضر الذي تحيي ونحيا ويحيون إياه أنت وأنا وهم ونحن، حيث تلك الروح تتحدث وتشارك وتنبض وهي تشاهد وتشارك وتحيي معنا للثو وهي تقول: تستقبلني الحمام استقبال ترحاب، تطير من حولنا وترسو فوق أكتافنا، وأنا شخص في الرحلة هو أنت وأنتم، نستمتع بما وهبنا الله من الجمال، فإذا كشرت الشتاء عن أنيابها وغضب الخريف، حل الربيع ضيفا كريما مزهرا، وجاء الصيف لنا دافئا يلطف

الأجواء، وإذا قسا علينا الأخير فقسوته لطيفة حتى ولو اشتدت الحرارة، فهنا تأتي النسائم فتصالح الحر والشمس، ويقدم المغرب ويسدل ستار الليل المختبئ خلف القسوة فيظهر ويلينها ويتعاقد معها تعاقد اللين والود والملاطفة، الربيع والصيف متقاربان لا يحزن أحدهما الآخر، والفتاة هالة تجمع كل ما هو حسن وفيه أمل في محيط حياتها الربيعية، وهي من تلتقي الحمايم فترحب بها لدى شاطئ بحر ومحيط وجدول وغدير ومصب ومنبع يوسف، كل ذلك في الفضاء الكوني الرحيب بـ "عزبة عبد الواحد" مالكة اللب أسرة الكيان، والمليئة بالدر والذهب، حيث تظهر ذات الأنوار لمصطفى فقط، وهو أسر قلبها الرقيق، وهي من تعلم الطريق والدرب للكنوز الجميلة من القيم والمعاني وكذا الذهب والياقوت والمرجان والدر، و"ذات البساط فاطمة" لا تزال في أمر مستتر ومكان غير معلوم، بيد أن روحها حول الرحالة تحوم وتقرب، إنها تحدثه من دون سماعه إياها، وتنتظر إليه فلا يرى طرفها، لكن بصيرة قلبه رأته، ونبض فواده يلامس نبضها ويشعر بوقعه الخفيف الرقيق، حسناء حلو طرفها وغضيب ونهر نيل مشرق ويفيض مررت بهما عند ذات مساء وبالحمام إذ أراها تبيض من حسن مشهد ما رأيت أذوب لأنني حين أرى الجمال مريض من دون داء يعتريني أسير ومكبل في حبه، ونضيد طلع الجمال لدى الحقول جميل صوم وحج والصلاة فروض وفي المناسك والزكاة جلال وكل الجميل من ربنا مفروض هو الطهارة في الحياة أراها وكل قول يعيبه مرفوض لا عيب فيه فإنه الأزهار والزهر طرح من الأماني عريض هو السماحة والهدى والنور ولكل وصف قد يسوء نقيض، ثم إن هذه الفتاة في تقلبات الرحلة والأيام ثابتة على مبدئها وحالها لا تتغير، دوما هي ربيع باسم عطر مزهر أسر، يملك القلب والوجدان، إنها امرأة مرآة وفتاة حسناء ورقاء زهراء، يا للجمال هذا المتمثل بها، هالة هي ونور وشعاع أمل يحنو علينا ثم يأتي بظلاله المصاحبة لخياله كي تقينا خر الأيام وهجير الشمس وقسوة وتقلبات الدهر الذي لا أعيبه، لكنه قدر يقع علينا، ونحن مستسلمون راضون بالقدر، فربما الشر أريد به الخير، ومع الصبر النجاة والفلاح، ذابت روحي وبلى جسدي واضمحلت قوتي، وظنوا أنني انتهيت، يشفقون علي مما أصابني، وفجأة أعدو وأعدو وأسابق الرياح وأنا سابح في منعطفات الحياة ومياه الكون، ومتسلق الأشجار ومعتاد للغابات ومرتاد، ومواجه للموت بنفس راضية، وفي الوعر من الجبال والغابات أسابق الرياح وأخلق في جوها، ويحاول الجان صدي وهزيمتي فلا أصد ولا أهزم، حيث الاستعانة بالله تقي من كل مكروه وسوء، يواجهني خصمي فيندم أن واجهني، ويبيكي أن اتخذ القرار في مباراة من لا يقهر، علمتني الأيام الكثير. كان الرحالة المحارب القديم شديد التأثر وهو يتحدث، ساهم الطرف سارح الفكر، قد حنا الزمان ظهره وأوقعته برائن الوحوش في كبوة لا يقوم منها من وقع، فقالوا له: أكمل لنا قصتك. قال الفارس: هي رحلة بلا حدود لا تنتهي. فتبسمت سندريلا له وناولته كوبا من الماء، وتقدم الهدهد حاملا العشب الطبي النادر، فحمل المحارب القديم الهدهد فوق كفه وداعب جناحه ومس منقاره وهو يكمل الحكاية، وفجأة يعود البطل طفلا وصبيا وشابا، وتتقلب آلة الزمان والمكان حتى تصل إلى تلك البناية

العجيبة التي يصممها المهندسون بقيادة العالم الجليل، والعمالقة من العمال يرفعون الحجارة الذهبية على أيديهم وسواعدهم وأكتافهم، هم يعثرون على كنوز عزبة عبد الواحد والزمان يعود بهم ويذهب إلى المستقبل، والفتى نور كلما مشى يضيء له الدرب وتناديه المغارة، والكهوف تنادي عبد الستار أن انزل معنا واهبط فنحن ها هنا ننتظرك، كهوف نحن منذ القدم ونحيا الماضي والحاضر والمستقبل، كانت للكهوف أفواه عملاقة وأذان عجيبة وأقدام تصل إلى السماء ارتفاعا وتتجاوز الفضاء، وجزيئات الهواء تخالطها الأعاصير والزلازل والبراكين، والرياح لا تهدأ، وفجأة وعلى غير توقع يأتي الربيع بحلته البديعة وهندامه السندس الأخضر، والنخلة الخرساء تميل وتدنو من نخل الصعل فتصعد عليها رشا، وسامي الفتى الرائع عند النخل الكومي يسبح ربه ويدعو للموتى ويقرأ الفاتحة والدموع تنسكب فتملاً جفونه، شاب ورع جميل وبرفته يس طيب القلب باسم الوجه والمحافظ على الصلوات الخمس، في حين تشعل جذوة وتليها نيران ملتبهة، وعنصرة يشق الزمان ويطوي المكان ويأتي من زمن قريب بعيد، ومن حقب نراها رأي العين، من المستقبل يأتي فلا نعلم في أي عهد وأي مرحلة نحن نكون، ورشا عروس نخل الصعل تنادي: عبد الرحمن اقبل. فينظر إليها عبد الرحمن وهو يتعجب ويقول: هل تريدني قتلي؟! فتبكي متأثرة: وهل أقتل من لم أجد منه سوى البراءة؟! هنا تنثور الهوة تارة أخرى، ولكن النهر العذب وبحيرة التماسيح وبحر يوسف ونهر النيل يسكبون المياه عليها فتهدأ، وعبد الرحمن يتجه صوب رشا وهو يقرأ آيات الذكر الحكيم، فتثور الفتاة لأن جاناً يخرج من جسدها وهو عملاق إلى حد مرعب، فالعين المجردة لا تصل رؤيتها إلى ارتفاعه الشاهق، و"أفيات" تنثور هي الأخرى، فهو ذاته الجان الذي يلتقي بها للتو عند جميزة ومسجد "نمر" في ناحية من بلدة ومحيط وكون وكوكب وفضاء "عزبة عبد الواحد" أسرة القلب وحبيبة الفؤاد وسندريلا الزمان وزهرة الربيع وحلم العاشق وقيثارة الأيام وصفو الربيع وحلم الكيان وعنقود الشهد المدلى، عزبة أحببتها منذ نعومة أظفاري وقبل أن أدرك الحياة وألمس نبضها عجيب أمر تلك الهوة فالرعب هي وهي القوة بها الأماني مع الأحلام وثعبان بها مضى يتلوى بين شاطنين تراها العين وهزمت المفترس وغلبت عدوا ففي ساحتها نزال الزمان وكم بها الزمان وبنا سوى، واستمر الرحالة في الوصف وهو مشارك، للجميع من حوله على الإنجاز مبارك، حتى غابت الشمس في كبد السماء وابتلعها الفضاء، عن العين غابت ليس إلا، والعناقيد في السماء ظاهرة تتدلى، وملكة النحل مستمرة في تحليق، ودونها من الكائنات اختفى وولى، الهوة المتقدة بين مرتفعين كأنها نهر بشاطنين النار بها ضرام تشعل وها أنا أراها رأي العين وذئاب هنالك على صخرة يقطعون الدرب إلى نصفين وفي لباس الفارس قد تقدم الرحالة يمسك بالسيفين. نعم تقدم الرحالة يمسك بالسيفين ولا تزال الهوة المتقدة تتأجج النار بها وتشعل، تظهر كأنها بين مرتفعين صخريين ممتدين بلا حدود، بها أفاعي النار التي لا تتأثر بدرجة الحرارة، وبها التنين والوحوش الكاسرة وملكة النار وعالم الجان، وكانات دقيقة عجيبة مختلفة وأخرى عملاقة، وهي تحوي في طياتها عجائب كثيرة، بها كنوز لا تأكلها

النار وغرف ومباني وأنهار عجيبة مريبة تسبح بها أسماك تتكيف مع درجات الحرارة،
ويسبح في نهرها الدافئ في الأعماق حسين واللؤلؤ أشرف والسباح الماهر حمادة بعد أن
نجا من سم الأفعى، فالأفعى تأتي له بالترياق والدواء، والكائنات والطيور المحلقة يقودها
الهدهد إلى حقل الأمل المليء بالأعشاب الطبية النادرة، والملك الطائر يعبر نهر المستحيل
ويصل لجزيرة الأمل، يحمل على جناحيه الكائنات، وملكة النحل تلازمه وتطير بمحاذاته
وعلى جناحيها أمانى وعقلة الإصبع، يصب الماء المغلي من مجرى نهر الضرام بالهوة
المشتعلة ومصدر كل المياه دوامة بحر يوسف الثائرة دوما، مجتهد وصبور حمدي وقد قبل
حمدي التحدي يصارعه الليث الأسد فيصرعه في الحال ويمضي كالزهر في روض جميل
وله قدر عندي قدر بلغ الأعالي وبلغ الشمس ويمضي، كالحمام الجميل يحوم وتطل عليه
الغيوم ويغرد فيغني قلبي وتبتعد عنه الهموم والغيمة أضحت بريقا وأنا من علي ملوم وعلي
ملوم لأنني مستني من الحياة السموم لا أعلم إن كنت "حمادة" أو أنا الفتى المحروم وفكري
فتى جميل اتصالي به يدوم تالله له ابتسامة يطلبها القلب السقيم فتذوب همومه لما فكري
الفتى يروم قالتها الفتاة وولت والخجل لديها مرسوم في نهر الموت فاطمة وهذي الأمواج
المتلاطمة وسندريلا البحار معنا لمملكتها حاكمة أيها الفتى الرحالة كم بك أنا حاملة أستطيع
هزم الجيوش لكنني مسالمة. ففرح لقولها، وبدأت على محياها تباشير السعادة والفرح
والصبح الجديد، وحسين وأشرف اللؤلؤ يسبحان في المياه بمهارة فائقة، ويحولان تخلص
فاطمة من الشقيود التي كبلت بها، ونوارة تحقد وتغل وترسل جيوشها، و"الساحر الشرير"
يكيد ويبعث زبانيته، وأنا في خضم كل ذلك حائر تائه ولا أعلم نفسي ولا أعرف مقصدي ولا
وجهتي، المهم أن الأحداث مستمرة ولا نعلم لها بداية ولا نهاية، وبالفعل هي رحلة بلا بداية
ولا نهاية، فهل لله بداية أو نهاية حتى تكون للرحلة التي خلقها بداية ونهاية، حاشا لله فاطر
السموات والأرض ورب كل شيء ومليكه: أكتب الشعر ولا أكتب وبني عندكم مرحب وفي
الحياة أسير بها أخطر وأمشي وأقلب أحببت فيها حسناء بدت كالبدن المنير ولي ترقب إن
كنت أصلى خير لي صلاتي تلك ولي أنسب وتركي لها ذنوب أنت وحلت بي ولا تغرب. كانت
كلماته لحنا مميذا بديعا عذبا ولا تزال، الخير بها والحب والجمال، وسيدة القصر بجوار
نادية أميرة القصر والمحبوسة به، رغم أنها تعشق كل ركن فيه وكل زاوية، عبيره لا
يفارقها، قصر مزروع بالأمل والورود والنباتات، يحوى الشجرة دائمة الإثمار، مظلل
بالسحب والغيوم وبفروع وأوراق الشجرة الطائرة، وهي شجرة عند مسجد الشاب نمر على
شاطئ بحر يوسف، تنتج الجميز والعنب والرمان والتفاح وكل الفواكه، وتعطي ثمرة
البرتقال والنبق والخيار والطماطم والفلفل، وتنتج القصب والبلح، وتتحوّل لمركبة فضائية
وكوكب وبحر، رحلة مذهلة، ذلك أن شجرة نمر هي في الأساس شجرة جميز أحمر جميل
حسن المذاق وحلو كالشهد، تتحوّل لكل الصور، تمر من أمامها الطفلة أقيات وهي لا تزال
حديثة العهد بالحياة، والأرانب تلعب وتلهو حولها، وما الأرانب إلا مجموعات ل تنتهي من
الجان، تظهر رؤوسها الممتدة تعانق كل آدمي وتمتص دمه، ثم تتحوّل إلى قطط وزرافات

وفهود وأسود وذئاب، ويظهر معنا "نور" و"عبد الستار" و"مصطفى" و"حسين" و"وهيدي" و"اللؤلؤ أشرف" والكثيرون، و"نهر الموت" كما ترون صفحته ملتهبة وعليها "القارب الصغير" يعمل على اعتدال درجات الحرارة واتزانها بما يسمح أن تكون مناسبة لمعيشة الكائنات، وحتى يتم التكيف مع البيئة الحاوية لها، فنهر الموت متصل بالهوة المتقدة، التي غلبت حرارتها حرارته المعتدلة، والرحالة على متنه لا يزال يصارع التماسيح كي ينجي فاطمة ذات البساط السحري منها، والفارس المثلث يترك بحيرة التماسيح، وقبل مغادرة البحيرة تنشق الشواطئ وتتصل بمياه "نهر الموت" وعن نهر الموت فهو ذاته بحر يوسف في العزبة الجميلة بؤرة الرحلة ومركزها وسر سعادتها، عزبة عبد الواحد تلك التي تتسع وتمتد لتصل إلى كل ما يتخيله الخيال، حتى أن الخيال نفسه يحبها، وتصير قصة حب وود وعشق بينهما، تزول الحواجز المائية، وتسبح التماسيح فتختلط بالتماسيح الأخرى والكائنات المتنوعة، والحوث يصحب أنور أينما سبح في الأعماق، ويطفو به صوب صفحة نهر الموت بحر يوسف، والمجريان المائيان امتزجا اتحدا، وأصبح الكهف في أعماق نهر الموت يستقبل أعدادا لا نهاية لها من التماسيح والوحوش المائية، وفاطمة ها هي في الكهف، وقد سمع الرحالة صوتها قادم من الأعماق فنادى: أين أنت يا فاطمة؟!، ذات البساط هل أنت بالكهف؟! سمعته فاطمة فرنت من خلال الماء إليه وأطلت في سعادة وأطالت ببصرها نظرا وخفق فؤادها بنبضات لينة مناسبة كموج الأمل حين عانق ورد الحياة، وبدت عيناها تلمعان بخضم الماء والتماسيح تدنو منها، ورأوا معها خيال سيدة ملثمة، والعجيب أن السيدة تلك كانت الفتاة تبر الفارس المثلث. تدافع عنها باستماتة ممسكة برمح وسيف ونبلة وأدوات قتالية جمعت القديم والجديد، وكل ما تقدم من أدوات قتال تخترق كل الحواجز والأوساط المادية والخيالية حتى. — أأ هنا رحالة عمري ومنقذي من بعد الله، وتبر الفارس المثلث إلى جانبي تقاتل الكائنات المائية، والحوث صديق أنور صديقنا يشق - مياه نهر الموت بحر يوسف - شقا وإني أقول لكم أن السعادة في رفقة "نور" و"عبد الستار"، والأمل محقق من بعد الله بصحبتهما المباركة النفية الخالية من أي قصد يهدف لتحقيق مكسب مادي، كذا مع "مصطفى" نغم الرحلة ولحنها الباسم، ذلك المجتهد الوقور، معه كل الجمال يتجلى ويظهر ويتحقق ما يصبو له المرء من حلم، الجميع لهم لدي مكانة لا يعلمها سوى الله، أما أنا فلا أدري من أنا، وربما أنا شخص في الرحلة يدعى أنا، أ وخيال عجيب وكيان طيب نقي. فضحك عبد الستار من حديثه وقال: أنت روح طيبة طاهرة، وجميعنا الآن في الحياة الأخرى والناس تترحم علينا. ففرحت آلة الزمان لما أرادت العودة بنا إلى أزمان غريبة ومختلفة، نعم عدنا جميعا أطفالا صغارا وعشنا عهد الشباب، ثم بلغنا المشيب فجأة فحزن المشيب وتلاشى عنا فعدنا صغارا تارة أخرى، معلوم أن آلة الزمان والمكان هي الأخرى رحالة، مرتحلة عبر العصور والحقب والأزمنة والأمكنة ومجاورة كل ما تقدم وأبعد حيث حياة النشور والبعث والآخرة والجنة والنار و، بلغت تلك الآلة من الجمال ما يسر النفس ويبهج خاطر والكيان، وحسن فيها فتى جميل يذهب برفقة

الخجول كامل لجمع الأوراق الخضراء التي تعطي أعواد القصب، ولتنقية وقطف الحشائش الخضراء، وقد أتوا بها إلى البهائم والأنعام والإبل كي يطعمونها بها، وقد فقد كامل حماره ولا يعلم أين ذهب، ومجد هو الآخر يعانده حماره فيركله في أنفه وأجزاء أخرى من جسده، ثم يعتاده بعد ذلك فلا يصيبه بأذى، والثلاثة تحت ضوء البدر ومن تحت غصون شجرة عملاقة ينامون، قد بلغ بهم الإعياء مبلغا وعرا صعبا، والجان يدنو منهم ومعه عائلاته المجرمة وقد تحولوا إلى مصاصي دماء، لما وجدوا الثلاثة نائمين انقضوا عليهم ومعهم الوحوش البرية، ولمح عبد الرحمن وصبري الموقعة والنزال و، وكذا انتبهت آلة الزمان والمكان، وأميرة القصر تلاحظ ما يحدث وهي فوق قصرها الطائر وفي شرفتها العجيبة، ومعها فتيات الرحلة، فلما بلغ عرابي البحر بصحبة عوني دارت آلة الزمان دورها وجلبت ما جلبت واستحضرت ما استحضر وأطبقت على أنفاس العجوز الساحرة محاولة إهلاكها، حاولت آلة الزمان والمكان النيل منها، وإذ بالسحر العجوز يبطل عملها وينجي العجوز ذات البيضة البلورية الذهبية والحجر المرصع والعصا والshal، ففرحت العجوز وكادت لعوني فألقت الشال في الماء وطلبت منه الإتيان به، وتفهم عرابي الموقف وحاول تحذير عوني بيد أن الوقت لم يمهله، ونفذ سحر العجوز ومضى بعوني المسكين فانقلب إلى مسحور مخيف مرعب، وكانت "أفيات" حاضرة الموقف، فعدت خلف العجوز الساحرة وخلف الساحر، فاخترق الساحر بكيدة وقوة سحره، وألقت العجوز بنفسها في عرض بحر يوسف، وهي تنوي مطاردة عوني وإهلاكه والقضاء عليه، وصارت رحلة بحرية في الأعماق يشارك فيها الجميع، والفتاة "أفيات" تلاحق العجوز والعجوز تلاحق الصبور "عوني"، إلى أن قفز "عرابي" هو الآخر في صفحة نهر ومحيط وجدول وبحر يوسف، والبحر غضبان مما يحدث حيث تتور أمواجه وتهب الرياح عليه مقلبة الدوامة ومستحثة لها على ثورة عارمة تأتي بكنوز عظيمة مذهلة، وأمواجه تبلغ قمة الأعالي وذروة ما تصل إليه مياه تعانق السحاب، وقامت الثورة المائية و"المركب الصغير" وهو "قارب نهر الموت" يتسع ويتسع ثم يتحول إلى غواصة عملاقة، ولا يزال الرحالة يبحث عن فاطمة في خضم الأمواج المتلاطمة والدماء التي خضبت صفحة المياه، حيث تم قتل مجموعات من التماسيح، وقتلت التماسيح الأخرى كائنات وبشر، والفارس المثلث قد جاء للنجدة حين اختلطت مياه بحيرة التماسيح والهلاك بماء بحر يوسف والأنهار والمحيطات، والحوث صديق أنور يشق الأمواج ويبعثرها فتروي الحقول، في هذه البقعة كل الجمال والأمل، حيث البساتين الخضراء والحقول المورقة المخضرة، تبنى الأماني في المخيلة فأذ بها حقيقة جليلة تتجسد أمامنا، وسلمى في بستانه الوردي ناحية بحر يوسف تثق مع أبيها النحال، وعقلة الإصبع يدنو منها، والطيور تحلق برفقة ملكة النحل العجيبة الجميلة، فلا يمر حدث أو تجلب آلة الزمان والمكان زمنا بعينه إلا كانت "الملكة" حاضرة فيه، ملكة تتسم بالجمال والحسن والبصيرة النيرة المتفحصة كل شيء والمدققة في كل أمر، لا تترك الرحلة بأي حال، وما من أحد يتركها لأنها رحلة بلا حدود تشمل كل شيء وأي شيء، وعرابي فيها عند المنعطف

المسمى "بالكوعة" وكان اسم الكوعة جاء من الكوع وسمي واتخذ معناه ومقصده، يتجه الفتى صوب النخل الصغير حيث الوحوش الضارية والأفاعي والنخلة الخرساء، حيث يلتقي "عوني" وهو في دربه صوب "بحر يوسف" كي يسقي ويروي المواشي والحيوانات التي يتخذها للتربية من أجل اللحوم واللبن والعيش عموماً، وعراقي صاحبه صوب البحر حيث يمران ببستان ممدود أخي حمادة، والأخير بدوره عند ساقية أبيه عزمي يروي حقل القطن، فتظهر الأفعى وهي تحاول مطاردته، فيدافع عن نفسه بمهاجمتها، وإن الأفعى لو علمت أنه حمادة طيب القلب شديد البراءة ما حاولت لدغته ولا مهاجمته، العتب عليها وهو لم يمسسها بسوء أن تهجم عليه، وكيف لها الهجوم وهي لا تعلم أنه مغوار بطل شجاع يحيا على السجية والفطرة، ومصطفى هنالك إلى جوار عمه يساعده في أمور الحقل ويستخرج الكنوز بمعاونة أبيه أحمد، حيث الأخير عند مدرار المياه بالنخل الكومي، لو ما نظرت إلى أحمد رأيت الابتسامة مرتسمة على محياه كأنها الربيع المقبل في حلة جميلة بهية، فأحمد شاب وطفل وشيخ، يتحول لشتى الصور مع تحول العصور والأزمنة، ما كنت أقصد لغيرك ربي أن أشكو لكن خلقك فيهم من يواسيني فإن أملت بي في اليوم نازلة أيكي فمنهم لو أبكي سيكييني وإنني أعلم أن المرء ذا يوم يمضي ويدفن ثم الله يحييني لأنني معهم يوم الحشر في جمع والقلب أيد ما أحكيه ويقيني من كان عبد نفس أذلها الهوى عاش كل العمر يتبع سلطانها ومن جاهد النفس الخبيثة فغلبها كان لزاما الحقيقة منجاة لا ريب والكذب مهلكة وعيب والموت كم يعدو إلينا ويركض فيخفيه الغيب وسواه لم أر حبيبي ولو مس حبيبي الشيب صبري الطيار الطائر معلوم أنه أشهر من رأت العين من الناس بيمينه سيف مشهر قد بلغ المجد وخلاه والمجد دروبه يعبر أو يركض من أمل فيه والعطر لأجله ينثر أن وافق صبري بأن أبقى بجوارك أو أستكثر من خير تجنيه يداك لي أنت الخير وأكثر فتبسم صبري وحياه وازدان الزرع الأخضر وكأن المجد وإياه هما نهر عذب أسمر أو نهري نيل قد شقا البید فحقلها يثمر، ويكمل هذا الماهر بكل فن والمتقن كل مهارة يتسم بها أحدهم، يكمل والأمل يرتسم في عينيه، رغم ما يشوبه من حزن ويخالطه من وجل، فهو يرى الحياة ربعية باسمه، تتحطم آمال غيره على صخرة اليأس، لكنه يهشم هذه الصخرة ويسحقها ويحطمها، حين يساوره الحزن ويعاوده ينظر إلى الفتاة سوزان فينسى همه ويزول من كيانه غمه، ففي عينها الباسمتين ربيع وبستان ورد، وفي ضحكتها تغريد الطيور وجمال لحن العصفور، يعبر نهر الموت ويقا تل التماسيح والأحياء المائية بحثاً عن "ذات البساط فاطمة" ويمر الدهر عليه فيشيب ويعود شاباً، ثم يضحي طفلاً ويعود لأفل من عمر الطفولة، يحبا في عالم غريب، مذهول بما حوله من عجائب تدهش النفس وتملكها فكراً واهتماماً وذهولاً، يقول وعقلة الإصبع فوق كفه تارة ويصعد على كتفيه ورأسه تارة أخرى، وملكة النحل ها هي تتبسم لما ترى من مواقف عجيبة جميلة منهما، نعم يقول الرحالة: _ شيبني الزمان فهو المشيب ومالي في هذي الحياة حبيب كل من أحببته لو ما أحضر لروضة، عني هو يغيب ألوم الناس وأنا المعيب وهم أهل الدار وأنا الغريب والحزن لو ما

أبعد عنه لا يخليني فهو النسيب. يصفق الجميع ويتحول وجه الرحلة بتغير آلة الزمان
والمكان المتقلبة المتحولة العجيبة، حيث يظهر الفتى شريف، مؤلف حرف الرحلة
والمشارك بها، برفقته إيهاب وفتحي، والأخيران شابان جميلان خلقا وأدبا، يمازحهما الفتى
وهو يقول وملكة النحل تستمع والرحالة وعقلة الإصبع والكائنات: أداعب سطري ولا يسطر
وأسطر حرفي ولا أقدر وها قد أثقل الحمل الحمار فوثب الحمار علي وثار ومن ركلتيه
وجدت العذاب كأنه أجج في النار فلا مني تغضب عزيزي الحمار إليك الفواكه والأزهار، فلام
محدا قائلا: ولأنني حمار تفعل بي كل هذا ؟ فابتسم محمد وخفف من ثقل الحمل واحتمل بعضه
فوق كتفه وهو لا يزال على متن المسكين، هنا ابتسم الحمار ونعق محدثا صوته المعهود
وهو يقول: وتقولون أنني حمار غبي: ماذا فعلت يا محمد، أنت لا زلت على ظهري، ولم تحمل
عني شيئا، حيث أحملك أنت والحمل. ابتسم محمد وركن إلى الأمر وفهم حجة الحمار ودفاعه
وتبريره موقفه، ونزل من فوق ظهره ومعه حملة، فكرر الحمار قائلا: أخيرا حمار يعفى
عنه. فضحك الجميع واشتد الضحك حين رأوا محدا يحمل الحمار ويحاول، وقد وضعه فوق
ظهره وكتفه بالفعل، فضحك المارة وأغشي عليهم من فرط ما يرون من ألوان المرح
والتسلية، عمل شاق تشققت له قدمي ويدي، وحرب ضروس مستمرة كل لحظة وحتى
هذه اللحظة التي ترون فيها حروفي، أنا الرحالة المشارك في هذه الرحلة العجيبة والمتجول
لشتى شخصياتها ووحوشها وصورها، معكم في كل زمن ومكان وأوان، حقا لقد شيبني
الزمان لكنني أعود طفلا وصبيا وشابا، لا حلم مستحيل هنا، كل الأماني تتحقق، حتى أن
عوني ينجو من بطش العجوز الساحرة ذات البيضة البلورية والعصا العجيبة المتحولة وذات
الshal الذهبي الحريري، لم يكن أمام الحيوانات المفترسة سوى التفهقر، حيث أستخدم معهم
كل أنواع الأسلحة عبر الأزمنة كلها، لا قبل لهم بقوتنا نحن السابحون في الفترات الزمنية
كلها والدنيا والآخرة، نعبر محيط وحيز الأزمنة وجميع المواقع والصولات والجولات
والحروب، نصل الديار ونحط فيها في مشارق الأرض ومغاربها، رحلة لم تترك شيئا خلفها
ولا أمامها، ولم لا وهي من صنع الله، جل وعلا والذي لم يترك كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها
علمه وترجمتها أقداره، علاوة على اختلاف ملامح البشر وطباعهم وطباع لهم، هذا شيء
مخيف مزلل للنفس، والغدر آه منه، والخيانة والخسة والوضاعة، عالم عجيب مشيب
موجع، دنيا متقلبة وآخرة ننتظرها، وموت نخشاه، والقبر يقبع في فكرنا لا يبرحه، صورته
وهو مظلم، وها هو يضيء فيصير روضة، ومنكر ونكير معنا، نجيب على أسئلتهم، ونجد
ذوينا في الأجداث والقبور، نقابهم ونتحدث معهم، ونحيا لحظات موتهم، ونموت ونعيش
معهم، فكر لا محدود يداعب مخيلتنا، أكاد أجن من فكر مصبوب صوبي يملأ وجداني
وكياتي، يفيض علي ويكاد يدمرني ووعول هم، ثم تأتي السعادة فأحس أنني لن أشقى تارة
أخرى، ويحل الحزن فأظن أنني لن أرى الفرح مرة واحدة حتى بعد ذلك، فكر مختلط مسلط
بشدة، تأثيره كما النار والله ما ألقاه تثن منه الجبال وتبكي، في الخلاء والعراء والغابات
أعدو والليل مظلم بهيم، والوحوش من حولي كما ترون. نظروا جميعا فوجدوا وحوشا

جبارة تعدو صوبهم وتلتهم كل ما ومن تواجهه، وقد صدق الرحالة إذ صور لهم واقعا مريرا يحيونه في شتاء قارص لا يقوى عليه سوى متمرس، ارتدوا الصوف والوبر والكتان وفروع الأشجار والألياف والليف، يشعلون النار كي يحصلوا على الدفيء ويخوفون الحيوانات المفترسة والجان، لكن الجان يدنو مني ويزرع أظافره في جسدي، وما أنا بمستسلم لحيوان يفترسني، تالله لا فترسته قبلما يفترسني، هل أتركه كي يمزقني إربا، تالله لأمزقه أنا وأكل لحمه ولو كان مرا أو سما. خافت الوحوش والله من إقدامي وأفسحت الطريق لنا عنوة وغصبا، يجدون بنا إرادة لا تواجهه ولا تصد، ويسألونني: لم ترتدي ملابس الصيف والربيع الخفيفة طوال العام ولا تع تعترف بفصلي الشتاء والخريف؟! فابتسم قائلا: منذ نعومة أظفاري أنا هكذا، نشأت في الغاب واعتدت الحياة البرية، ولا أشعر ببرودة الشتاء وقسوة الخريف، ثم إنني لا أعتبر الخريف قاسيا، لكنما اعتبره بقية من أمل، أمل متجدد جميل لا ينتهي، والصيف والربيع الأمل كله، حتى أجد هواء الشتاء نسائم لطيفة رقيقة، والشجر أراه مثمرا مورقا، وجميع المحاصيل والثمار والقطوف حاضرة على الدوام، والله هذه جنة. فنظرت إليه سندريلا الزمان بدهشة وهي معجبة به أشد الإعجاب وهي تقول: إنك أنت الأمل ذاته يا رحالة. فابتسم سندباد ثم ضحك فكركر، وهو يبدي طيبة متناهية ويقول: هذا فارس أحلامك. ضحكت الفتاة وهي تلوح لسندباد قائلة: أنت أميري وفارس أحلامي، وحسناء الخصال هي أميرة أحلام الرحالة. هنا نظر عبد الرحمن حيث كان برفقة الرحالة أعلى الشجرة دائمة الإثمار التي يجلس على أحد فروعها "الأمير المسحور" وهو يقول: صحبة طيبة جميلة معنا بها كل هؤلاء الطيبين والطيبات، ولو كنت أحلم ما استمتعت بمثل ما أستمتع به للتو، هذا فضل كبير من رب العالمين. ثم ظهر البطل صدام، الأسد الهمام، فالتفت إليه وكلي عزة وفخر بذلك المحارب المخضرم القائد، وأطلقت فكري يحلق وخيالي يبدع وأنا أقول والجميع ينصت: صدام بطل همام قد جاءنا صدام يدك عرش طغاة له الرضا وسلام طيف له بسام وإنه لإمام لم يخش حتى النار الباسم المقدام، وتقدم بصفحة الرحلة وحقوقها وودياتها فتى جميل اسمه صدام، وقاد الجيوش في حكمة وصبر وخبرة، وها هي صولاته وجولاته تتجسد أمامنا، وهو بطل لا ريب رغم كيد الكاندين، يعاونه صبري الطيار الطائر وسندباد والملك الغضنفر خميس والعالم الجليل وأدهم صاحب المغامرات ومحطم آمال الطغاة ومعرقل تحركاتهم، حيث معهم أيضا الفارس المثلث الفتاة تير الفلاحة ذات الطمبورة والنعامة ولبطريق والبطة والصقر يسبحون في الأجواء خلف الهدهد القائد، والهدهد وهم والكاننات تسبح خلف ملكة النحل ذات العسل والخير، وصاحبة الانجازات في الطيران والتحليق المستمر والسرمدي، وحفني من روضته بنظر إلى الأفواج الطائرة ثم يطير ويحلق معهم وبرفقة ناعسة الطرف الجميل قد حملتها النعامة وطارت بها، وعوني لا يزال يسبح غانصا ويغرق حينا ويطفو حينا، تدفعه دفعا لذلك تلك العجوز صاحبة البيضة البلورية المختلفة الألوان والशल والحية المساعدة لها، فالأخيرة بأمر من العجوز الساحرة تلدغ كل من يدنو ويقترب منها، وهي تلدغ حمادة للتو والذي تظهره آلة الزمان والمكان بعدستها

الجبارة العملاقة وتحولاتها الجبارة، والرجل الفلاح المجرم يتوسط حقله ويتربص للرحالة، حيث الأخير يجمع ما تبقى من المحصول بعد حصاده وانتقاء الخير منه، وطائرة رش محصول القطن توزع المبيد المنظف لورق القطن طويل التيلة على العيدان الخضراء والأوراق المصابة بدودة القطن، واسخرون يدفع الخولي والمهندس نادر لضرب وطعن العمال والصبية، وعبد الرحمن يسعهم بالعصا ويعذبهم، والمفتش خلف الأولاد يتحين لهم الفرصة لإيجاد خطأ، فإن يترك أحدهم خلفه ورقة يرسم عليها مشهد الدودة في بداية إصابتها لها، يسرعون حيث القائد الكبير للزراعة وشؤونها " حلمي " والمدعو اسخرون، فيوشون بما رأوا ويأخذون دليلا من الورق المصاب، وأبو عوف ينصحهم بعدم الوشاية ونقل الكلام وإيذاء الغير، فيميلون عليه ضربا وسبا، لكن أبا عوف قوي، يهجم عليهم بشراسة عكس ما يظن البعض أنه ضعيف، ويساعده محمد، والنوارة تذوب شوقا وحبا وتميل لمحمد وتتمنى نظرة منه، لكنه يعرفها جيدا ويعلم بطشها وجبروتها، مع أنه في دخيلة نفسه يحبها حبا جما، ومع أنها شريرة، لكن بها بعض السمات والطبائع الحميدة، والنسر لا تعرف علاقتها به، فهو رجل عجيب ظالم متعنت كاره حتى لنفسه، مجرم ومتسلط. ومحمد لا يخشاه ويحاربه هو وابنه الضال، ولا يعلم إن كان هذا الابن الضال ابنه وابن النوارة أم ماذا، وعن ناعسة فهي ابن نوارة وشقيقة الابن الضال كما يقولون وهي تنفي هذا، وهذا ما يبدو من الأمر، فقد كانت ناعسة تعيش في كنف أبيها، أو م من المفترض أنه أبوها، وها هو الرحالة يجدف صوب الشاطئ وهو يجتهد ويأخذ بالأسباب، وصبري الطيار الطائر يقود آلة الزمان والمكان وهي الآن مركب وقارب صغير يتحول ويتشكل ويطيح ويحلق، استمر صبري في التجديف وهو يعاون الرحالة، وصلاح الدين يدلها على طريقة القيادة الصحيحة والتعامل مع المشاكل والأزمات وتجاوزها، والقصر الطائر للأميرة نادية فتاة القصر يحلق بموازاة القارب، ثم بدت ذات الأنوار وهي تخرج من دوامة بحر يوسف على زورقها السحري ومعها مصطفى صاحب الأموال والكنوز، والكنز العلمي والمعرفي لديه فاق الكنوز المادية بمراحل هائلة وخطوات شاسعة، ورشا في حقل نخل الصعل لا تزال تमित المارة وتقبض أرواحهم بأظافر من نار وأنياب جان ووحوش، والضرام مشتتة في درة الرحلة ومركزها وصميم أحداثها، وحفني في روضته آمن لا يمسه خطر ولا أدنى شيء، ظل الرحالة يجدف حتى جن عليه الليل وأرسل أستار ظلامه تحف الكون والعالمين بالظلام الدامس المكتحل بكحل المعاناة، وسبح أشرف ومعه حسين وعوني في خضم الأمواج الهادرة، ونظرت العجوز الماكرة المسنة من موقعها بين نخلي الصعل والكومي، والشراسة طابعها وسفك الدماء، وأنور في قبضتها تمسك به وتكاد تعتصره لولا صبره وخبرته، تناول عودا من الخشب لشجر قديم وضربها به، ففكت قبضتها وتلوت والتوت، ففاجئها بسكين من الفروع القديمة في شجرة عبد الرحمن والرحالة، وساعدته ملكة النحل والرجل العملاق والحوث صديقه، وتقدم أبو عوف ينصح المارين ويحارب مخلوقات الشريرة من الجان والإنس والوحوش الفتاكة، وجاء الذئب الطيب فنظر في عيون الجان فحرقهم وبدد جمعهم، وكان الذئب صديقا

لأنور وحمدان، إني أجدها عابرا للشاطئ الثاني وها قد وصلت مرحبا بقطفها الداني تلك
الرياض وما بها من حسن أثمار وطلوع عذب محبة من نبض بستان حتى التقيت بهم هنا
يمشون في صبر ويركبون ذرا الأمل أفواج ركبان أهلا وسهلا مرحبا قد قلت للجمع فردوا
علي تحية من كل ألوان ونزلت فيهم إنني وأنا الذي منهم وكان فيهم قد بدا وكمثل قبطان
فتى عشقته كلما عيني إلى وجه كالبدور قل أو كالقمر نظرت بإمعان قبطان تذكر صبحك أما
باعد الزمن بيني وبينك إنه لكيد أزمان للتو يضحك راقه مني الفتى قولي وقال: يا رحالة هل
لي بنسيان؟! من روعي يلزم والمنى ونبضه نبضي من للسماحة والخلق خير إنسان
وسندريلا تمايلت حتى اهتدى الغصن لطلع حسن مودة وخير أوطان وسندباد إذا بدا قد بدد
الظلم ودجى الليالي قد انقشع بنور إنسان بسندريلا متيم وهي التي خطرت ببال فكره والذي
من شوق ولهان وها قد تلاً مثلما صبح المنى أسفر وقاد السفينة فما نرى إبداع ريان نهر
المودة إنني قد ذبت في وجه تحمله صفحة حسنك بجميل ألحان يا نيل تهت فدلني لقد طفا
جسدي وغفا كياني بموجه وجفاف وديان هل لي حبيبي أرتوي من جدول منك خذ مني بعضا
من ضنا وبعض أحران ولقد عشقتك يا هوى فما به طيفك؟! إن رمت يوما ألقه ليس يلقاني
ثم يظهر القارب فأبته شوقي وحبي وأقول: _ القارب ينطف فيميل يمينا فيميل القلب ويزوب
حنانا ويداعب موج الشوق الحزين فيبكي على ما يصير كلانا وإن تنظران فبدري أمل وإن
تأملان فليس سوانا وإن يعبق الزهر عطر الحنين فلا يبدي ذاك إلا ربانا يسرن بنهر النيل
الجميل وفي بحر يوسف حلو الظلال ويبلغن شاطئ أمل هناك فليس الحلم عصيب المنال...و
يلتقي الفتى نورا الجميل ويقول فيه ويحسن التعبير: _ في وجهه يظهر النور والسعادة الفتى
نور الأماني تشناق إليه ومشتاقه له الدور بنور ومثل الذي كنور أنا فخور إن صفا فالفتى
مصطفى وهو كموج البحر صفا قيل أن نهر النيل لما عاتقه اكتفى ولقد أحببته صديقا هو
ذاته في الدنيا وكفى سامح ذو قلب رحيم وعند المقدرة عفا ودموع العين لما نزلت لها
كفكف أما الفتى عبد الستار كمثل الماء بنيل جار ومثل الزهر بروض حياة وفيض الجدول
والأنهار صبري الطائر معروف أنه أسمر إذ يروى من نهر النيل من حوله زرع
أخضر ويطل عليه من الدنيا الروض الحلو المزهر من كل الخير ومن حسن صبري كم يعطي
ويكثر وفتاة في الحقل رآها كم ترنو إليه وتنظر قل إنها بدر أو شمس لها طرف حلو يأسر
أو قل كالقمر إذا لاح ضوء بجبينه نادر وبرفقة ذات الأنوار يتحدث من خلف بحار مصطفى
قد جن به الليل ما بين الحقل وأزهار والدنيا تجمل واديها من فرحة عبد الستار وبصحبة
أحمد لا ريب الخير يدر بمدار النور يحل إذا نور قد أضحى يطل من الدار مصطفى مع ذات
الأضواء في ذات طريق ومسار كم أحمد في نخل الكومي ساحبة مياهه من نار كم تسحب
ماء الأنهار من نهر النيل وآبار من بحرك يوسف كي يجري الماء بحقل النوار في العزبة
كنز من خلق من دون القيد وأسوار يا حياة ما بك مشيب وما فيك سعي مخيب رسمت الآمال
والقلب بها معينه متدفق لا ينضب وقد زارني الواقع وحلمي بدد وسرابا أضحى ما كنت
أحسب ظننت أنني أفيدك يا فتى ولكني المتاعب لك مسبب عمل بلا انقطاع وسعي واجتهاد،

الخلود إلى النوم ضئيل بسيط، أجهد الجسد وأنت الروح، الشباب قد محي فلم تعد تظهر
سوى تجاعيد الزمان وهموم الأيام، وفجأة يحل الربيع فيزهر ويورق، ومعه يزهر قلبي
ويحييني شبابي، النضرة تكسو الحقول، والورد يعبق الأمل والسعادة. كانت تستمع إليه
كأنما تنصت للحن قيثارة تعزف من تلقاء نفسها، تداعب وتر ذاتها، قلبها يغني ويتراقص
طربا وفرحا، للتو هي تنظر إليه، فإذا هو الربيع الباسم والعهد الجميل، تدنو منه وهي باسمه
كما الزهرة الندية أو أن الفجر السعيد، ثم تقول: كوني إلى جنبك، فهذا داعي سروري وبهجة
روحي، أرى الحياة كأنما لم أرها من قبل، وكأنما لم أعشها طيلة حياتي، ثم أي حياة تلك
التي يتجاوب نبضي معها إن لم تكن جوارى بها، أيها البسم المبتسم اليانع والغصن
الرطيب، ورد الأمل وعنقود الشهد المصفي. ابتسم عبد الرحمن وأحس أنه ملك الدنيا، فلم
يتوقع منها ذلك الفيض الوفير الرقيق، يكاد لا يصدق نفسه، إنها تغالزه، مجتهد وعلي ملوم
ومخلص وأنا المظلوم ومن حزن بكى فؤادي وجلبت إلي الهموم قد مر شبابي وولى أتمنى
شبابي يدوم إنه حبيب الفؤاد أقعد عنده وأقوم فأضحيت اليوم صبيا وعادني العهد القديم
زارني من بعد الذهاب كم كنت إياه ألوم في الرحلة آلة زمن ما رسم بها الوجوم وآلة المكان
كذلك المكان بها مرسوم في نخل الصعل فتاة إنها شيطان رجيم ما كان الأمر بيدها السحر
بها القديم الساحر من يهواها تواق لها نديم يحتسي الغدر ويهذي ولقد سبقه الظليم وظليم
ذكر النعام وإنني بالأحبة أهيم النورة فيها الطبع طبع شقي لنيم أسكرني كأس الحياة إنني به
سقيم من ينفق دون حساب مرء نقي كريم في نخل الكومي الجان كم إن الجان لنيم في النخل
الصغير حياتي وجدول به كريم هناك توجد المياه والله بحالي عليم بستان ممدوح هناك
وجدول به يعوم عليه ثمر الرمان والليل الفتى يقوم وحمادة مع الثعبان كأنه به يهيم قد خان
عهد الوفاء ولدغه وهو يحوم وممدوح يبكي أخاه وكأن حمادة سليم، ثم استطردت أقول
حيث تطل الحقول وسلمى في ناحية من البستان تطل علي فأرى الحياة باسمه، واللقمة بيننا
متقاسمة، والشمس تبعث بدفنها المونس للروح في ترنيمة مسلية، نعم بت أقول ولم أزل،
والفتاتان في بحر يوسف يعانقهما الأمل وسلمى إلى جوارنا تقطف ثمار البلح من نخلة غير
مرتفعة ولا شاهقة ومعها حمادة طيب القلب يقطف ويعطيها بمنتهى البراءة، نظرت إليهما
وصديقي كذا نظر والحب والأمل والسعادة على الجميع بدوا: فتاتان بالنهر وقد فاض حنيني
وفي نخل الصعل تدر الغلال الحسن منهن كم يرنو إلي فالיום يا حسن لي منك مثال إنني
وصديقي عبد الرحمن في فرحة عمر فالرزق حلال بين صدق وكذب يحار البال وكل شك لا
ريب تمحوه الفعال والليل يمر علي رفيقا إذا لي منك فيه اتصال إن كنت غفوت فيقظ فؤادي
ويهواني المقام ويعشقتي الرحال عالية القدر قد طال زماني بي حيث أسافر ولحقتني الزوال
وقلبي الحزين كم تمنى ويرجو وكم من حلم يرجى يطال والملك الغضنفر لديه سيوف غراء
كالنهار ولهل استلال اكتمل العتاد بجيش يقوده خميس البطل ومعه النبال ليس فيك من قول
بعد قولِي يقال ولا أحبك يا بدر قدر حبي الرجال حين أنت تنير كم تنير حياتي هي حبال الود
وموصولة الحبال معلمي منك إلي الجميل وشهد الجنوب وشهد الشمال ويشهد ربي بأنني

أحبك ولا قلولي هذا أستاذي افتعال بلا حدود الرحلة وبها جمال وبها الذهب أكنز وبها المال
في عزبة عبد الواحد ما قلبي يريد وفي النخل الكومي الهدى تنسال أنا اسمي كامل وكم
عابوا عليا ومعهم الحق فله الكمال فضحك محمد أن قلت هذا وخيم علينا في الرحلة الخيال
وأبي حسانين الجمال بروض ومعنا بالروض يسبح الغزال ومعني عبد الرحمن على شاطئ
بحر ليوسف نمضي كلينا يختال -و المركب بخضم للنهر يعوم وعليه فتاتان إليهما الوصال
يدنوان منا والقمر مبين ويجدفان إلينا فيتغير الحال وشجرة الأعناب بجوارنا نحن والسعد
نقطف وانسكب المنال ظللتا نتظران إلينا مليا علينا وع عليهن تحنو الظلال إلى الله فقير
وأحببت فتاة وعشقتني إذ توليت المنى والمحال فابتسم عبد الرحمن وقد مال إلي وكم محب
لشخص له ميال قد دنت الزهرتان إلينا رويدا والنيل غنى والماء زلال وفراج الفتى وله
نخلتان بهما الفرح وبهما الآمال وأماني وعقلة في كفي سلمى ذات الرداء الأخضر إليك
سؤال أنا فارس أحلامك فهلا تميلي وهل منك سلمى ودا أكتال فاستبشرت الفتاة وقدما يميل
وكم المرء في اللهو له آمال لهن ناظران من الجمال انسابا وهن يجدفان والهوى أهوال في
صفحة بحرك يا يوسف عمري ونهر النيل عشقته أجيال ويا بحر يوسف أنت نهر النيل
ففرحت الصبيتان لقول بقال تملن السباحة في صفح الجميل والقلوب يغني وللسعد إقبال أنا
من ألفت الحروف جميعا وأحبنى محمد وأفني جمال وفي مقتلتي فاطمة رأيت الحنين إلى جنة
فاطمة ما عاقني التلال في الفتاتين فتاة كالبدر المنير والأخرى قد غار منها الكمال ليتها
يرسوان فالشاطئ بعيد ليتها يدنوان فالحلم يطال كم أقطف الود من شجر الحسان ويبدو
أنني أحلم وأخال فتمايلتا ضحكا وأقبلن سراعا ورسون بالشاطئ فصفق العيال تمر الأيام
علي جبالا تالله الأيام علي ثقال تحط النوازل فأبقى قويا وحين تحل تنن الجبال معلمي سيد
حلم الحياة وليت يدوم إليه اتصال يقول بأن العقل السليم لجسم سليم وفيه اكتمال مباراة
عمري وكنت صغيرا دفعني إليها وفيها احتمال فوز ونصر وبالفعل كان نصر عظيم وفيه
القنال عبرنا الأخيرة ولننا الجمال وما بعد ذاك الجمال جمال أراوغ خصما بفن الكبار وياسر
ماج، أسامة يقال بأنه جاوز حد الخيال وما كان مثله أبدا خيال والرحلة بها ياسمين وسلمى
وهدى الجميلة وبها دلال وسلمى وسحر ونادية ونجوى وأميرة ومنى والفتاة إقبال انتظرت
عالية وما جفت دموعي وانكساري تشهده الليالي الطوال معتز حبيبي أسعدك الله إلى كل
خير سيبقى المآل صديق العمر إليك التحايا نبض قلبي لك فهو جوال يهوى التنقل كي يلتقيك
فالخيل في ركبه والترحال أسافر بعزم الجبال وإني معي الدواب ومعني الرحال معي الجواد
ومعني الحمار ومعني المرافق والمرسال وآه منك زماني البعيد منك البسمة والموال رشا
بالنخل الجميل الأصيل ما كافئ حسنهما أبدا مال ومعنا الأحبة في كل واد قلوب الحيارى إليهم
مالوا. تصفق الرحلة والكائنات وآلة الزمان، فالكل منبهر مغمور بفرحة ودهشة، والنخل
يتمايل ويسقط رطبه ويبعث بنسيم سعه وحلو مذاقه من الثمر والتمر، ثم تظهر روضة
حفني وهي تتحول إلى مساحات من الصحاري الجرداء تتوسطها الهوة المتقدة، ثم يظهر
نهر الأمل فجأة ونحن نعوم به ونسبح، وتري المياه في الصحاري تلك فتخضر ويشقها بحر

ونهر ومحيط يوسف، وتنتبت النباتات وتلتف حولنا الطيور تغني وتغرد، ومجموعات أبي قردان بالقرب منا نحن الفلاحين، نسقي الأرض وتكبر وتنمو ونحصدها ونزرعها تارة أخرى، والابن الضال لا يزال يهاجمنا، وظلمة تامر تغمر أرضنا بالمياه، وعراقي عند الكوعة والمنعطف المؤدي إلى النخل الصغير لا يزال هنالك مع ضرغام وواعر وسلطان وكامل ووهيدي وإسماعيل وحماة، العزة جنة الله في الأرض، وعبد الواحد المسماة على اسمه رجل بسيط جميل مغامر، وفلاح نشيط ومعلم ورياضي ولا عب كرة قدم، وهو كابتن فريق الأحلام والقائد المخضرم له، لا يهمه العمر وتقدم السن، مهاجم ومدافع وصانع لعب، والأرض تخضر من حوله، وروضة حفني تصبح العالم بأسره والدنيا والفضاء والآخرة، وكنز أحمد وابنه مصطفى يظهر للعيان، فلا يصدق الناس أنفسهم، وهم اللذين كانوا يلومون من يبحث عن الكنوز، ها هو اللؤلؤ والمرجان والزربرج والتمائيل الذهبية والمخطوطات والخرائط الفرعونية تظهر، والخيرات والثروات، ما ضاع حلم وراؤه ساع له، ونحن نسعى منذ ما لا يعد ولا يحصى من الزمن والوقت، يا لجمال الجواهر والحلي والذهب والتبر والمرمر والجرانيت، آثار بهية ندية، والفارس الملثم الفتاة تبر، اسم على مسمى، ثم يتبدل الحال فجأة، آلة زمان ومكان متشكلة عجيبة وأين ذهبت الخضرة، وما للنبات أصبح هشيمًا تهشه الرياح وتطير به وتذروه وهو على أعنتها، تملكني الرعب وأنا نائم بالرعب كبرت وكم أهرم إنني من حزن ذبت بها هذي الحياة وأنا مغرم الجان لدي ولا يرحل وبوصف الجان لكم أنظم تراعى إلي فحين بدا أشواق أراه ولا أسأم لأني أحارب جنا إذا كم يبدو عظيما أنا الأعظم من فوق الباب لقد كم بدوا وهم النظرات هم الأنجم يسكنني الرعب ومن حالهم تغير حالي ولهم معلم الخوف ينادي النفس التي تخضع للرعب ولا تلهم، فما بين الحائط وأعلى الباب فتحة يصطف في إطارها الجان، يقفون فوق نهاية الباب العلوية وينظرون علي، ويبعثون بموجات سحر مكبلة، ثم يقفزون صوبي ويضعون أظفارهم في أحشائي ويدغدغون عظامي ويكسرونها وينتزعونها من بين اللحم ويكونون جنبي، فأحاول صدهم ولا أستطيع، ثم تقترب وحوش برية فيمزقونني ويقطعونني ويمضغونني، ولا تزال الروح تدب بي، لا أريد مفارقة الحياة إلى حيث الموت، أحب الحياة حبا جما ولا أعرف لم، أستعيد توازني وترجع إلي الحياة بأمر الله فأهاجم الجان بلكمات وضربات وركلات، بيدي وقدمي، أصارعهم حتى الموت. نعم هو لا يستسلم ويروي لنا الرواية والحكاية في نفس وقت حدوثها الآن، أنظر حولك ستري كل ما يوجد هنا وما قرأته للتو، فلتندثر بغطائك ولربما يبعدون، وإن لم يكن فعليك بالمواجهة، يدب الرعب بي، حيث كل كلمة بل وكل حرف بكل كلمة يحدث الآن، الخوف شيء رهيب وهو يقضي على الإرادة ويذهب التفكير ويبعد سيطرة العقل، ها قد جن علي الليل ولفني الرعب وامتلكني، عيون تسبح في الفضاء والظلام، أعدو هربا منها فتلاحقتي، وهي بلا أجساد، واسعة تبرق وتأتلق، والله أكاد أجن منها، الموت رحمة في هذه اللحظة، اللهم ارزقني الموت كي أنجو من هذا العذاب. فدننت منه ذات الأنوار وبدت كالبدن، عيناها لها واسعتان فيهما من الحور ما يجذب ويطمئن ويبعث على بهجة وسرور وراحة

نفسية، بيضاء مثل صفحة القمر الذي يؤول إلى بدر لتوه، مراحل البدر والقمر تتشكل للتو، يا لك من حسناء تأسرين قلبي. فظهر الفرح في مقلتيها، تلك التي أضاعت حياته، انفتحت إليه والوجد يملأ عينيها والشوق كذا، واستدارت فجأة وحلقت دونما جناحين، فبكى مصطفى على فراقها حين ذابت في الفضاء البعيد، وكان سحر الليل بكحل مقلتيها، والغرام يداعبهما، فابتسمت له وهبطت متهادية برفق صوبه، والفتى قلبه يخفق ويدق على وتيرة متزايدة، فصفت جناحين لها قد ظهرا للتو، وقالت: هيا مصطفى. أصابه الذهول ولم يتمالك نفسه من الدهشة المخلوطة بالفرح، والممزوجة بالأمل والسحر والسعادة، فاستقل جناحها، وعقلة الإصبع وأماني ركبا على الجناح الآخر، وتضخم حجمها فافتشرت السماء طائرة، وأصبحت كالبساط السحري، هنا تدرجت الكائنات من فوق بساط فاطمة وفتة وأمل ونجاة المسالمة الوديعة، واستقلوا جناح البساط، والفارس المثلث لا يزال يحارب تماسيح بحيرة التماسيح، والهوة المتقدة تزداد اشتعالا، لكنه اشتعال الدفيء، والوقيد هما حطب الحصاد وجلة الروث وعيدان النباتات المحصودة الهشة اليابسة، "الملك الغضنفر خميس" في كل هذا ثابت، قوي العزيمة، يقود جيوشه بصبر وخبرة ودراية، فكلما اقتربت الجيوش المعادية لاقاها بخطة حربية مولودة ومتولدة من صميم فكره وبراعة تحركه، متمرس داهية، لا يخطو خطوة واحدة إلا بعد التخطيط لها وحساب أبعادها ورؤيتها من منظور عينه الثاقبة وفكره النير وقلبه العامر بالإيمان، وللتو هو يلتقي جيوش العدو عند الكهف العملاق والمغارة ذات السباع والضباع، وعلى رأس بحيرة التماسيح، وكم هو الفارس المثلث صديقه والمعين له من بعد الله، لديه دراية بالأمور وتوقعها وحساب أبعادها وجوانبها، حكيم وفيلسوف، والكهف كما ترون معي يومض ويشتعل ويبعث بإشارات ضوئية ونارية وكهربائية، ثم يحلق في الفضاء الكوني، وخضراوي وعلي والرفاق يحلقون على مقربة منه، ويستقل عقلة الإصبع جناح أبي قردان وأماني تطير فوق الجناح الآخر، وتجتمع أعداد لا حصر لها تغطي السماء باللون الأبيض، وتحلق كما الطائرة حين تصف أقدامها في عرض السماء ومحيط الفضاء الكوني، وملكة النحل تحلق بالقرب منهم، وحفني في روضته قد وقفت إلى جانبه ناعسة الطرف وطرفها الجميل يحقق الحلم ويبعث على بهجة وحنين، يقفان للتو وهما يصدان هجوم ابن النواراة والنسر الضال الباغي، والغيث يهطل بالخير والثمر، فأكهة تنزل من السماء مدلاة في غصون وفروع وأفنان، حين كان يستعد للخروج من أجل لقمة عيشه، استيقظ بعد أن جاهد نفسه على الاستيقاظ، كلما فتح عينه أغلقها النعاس، ظل على هذا كثيرا ومرارا وتكرارا، حتى أغض عينيه ذات مرة فأمسكهما الجان، وطبق على أنفاسه وجثم على صدره، فحاول الرحالة التخلص منه ولم يفلح، وبدأ يقرأ آيات من الذكر الحكيم بثقة بالغة، فهزم الشيطان والجان، وصحا من نومه يصارعهما، واستل سيفه وحسامه، وظل يتشبث بفروع الأشجار ويتنقل من غصن لآخر، إلى أن هزمه ثقله وأنهكت قواه، فسقط في المصرف ذي الكهف، وسبح متلمسا حجراته العجيبة وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، حيث ضاق صدره وهرمت عزيمته، فذكر الله ونطق الشهادتين، وإذ بقوة تدب به

فجأة ويستعيد توازنه ويتمالك نفسه سابحا نحو سطح المياه في قوة عجيبة غريبة، حتى وصل سطح مياه بحر يوسف، والدوامة تدفعه بقوة، فالتقط أنفاسه ونبض قلبه بانتظام من جديد، ووجد نفسه وسط مجموعة من الرجال الأقوياء، فلما رآوه حيوة تحية تعظيم وإجلال، والتقى الجميع من عصور مختلفة وأزمنة متباينة وأمكنة متباعدة، فآلة الزمان والمكان للتو مسطح مائي، وكهوف ذهبية صاحبها الشاب مصطفى، وكان مصطفى منذ برهة يدفع الرحالة صوب سطح المياه، وكانت برفقته آنذاك الجميلة الساحرة ذات الأنوار، ومعها حورية البحار، وعاود الرحالة التشبث بفروع وأغصان الغابة الموحشة، وسافر في الزمن صوب المكان والزمان الذي يجمع صبري الطيار الطائر ورفيق دربه عبد الرحمن، فحياهما وتجاوز معهما الهوة المتقدة والمنحدر الصخري، وزحفوا جميعا صوب الكهف العجيب في أعماق بحر ونهر ومحيط وجدول يوسف، ثم ظهر فجأة في لقطة ومشهد من مشاهد الآلة العجيبة المسافرة عبر الزمان والمكان، والمسافر إليها أيضا الزمان والمكان حيث الالتقاء في بؤرة الرحلة وقلبها النابض عزبة عبد الواحد، نعم فجأة يظهر عبد الرحمن لا يزال يفكر ونفسه تهمس له ونبضه يرتب الأفكار وينظمها في عقد جميل وهو يقول: ما سكن فؤادي لا يقدر حرفي تصويره يوما فالوصف ضئيل منك نهر النيل النبض وعمرى في مدى ضفتيك طفقت أصول وهذا حالي كما قد قالوا أنني تالله الفتى الخجول أخجل من نفسي من قبل الناس بي صحاري مرت ومرت سهول وفي نخل الصعل الجان يغني عند سعف النخيل وتهتز الحقول والجماجم تترى قد زحفت فيه وترأست الأجساد وأنا المقتول ا هو مسك الختام وقد ذاع عطر من روض حبيب والنفس تنول ما تحلم يوما وتعيش حياة في الجنة فيها شهد وهطول من غيث الله من عذب الماء ولي في الجنات روح وزميل هو خير إمام وخير الأنام والله بدونه إني لذليل في الله الأمل ورأيت الحسن في مستقبل زمن وإني أقول للجميلة سلمى أحلم بلقاء إن نبضي لسلمى حتما منقول أنا من بالروض أمضي وأسير ورأيت حبيبي هذا معقول أم إني بحلم وهدى بالأمل قد بدأت تشدو فرأها الغول وسمير ظهر كي ينفذ أملا وشوقه لحبيب حينها موصول، هم غيري أحمل، من همي يعول وحمل هم الدهر النبي الرسول وأبو عوف ينصح من مر هناك فيطمئن القلب والخوف يزول يا نبي الله بين يدي الله قد طلب المراد وتم القبول، لم الضرب والسب، سنضربكم ونسبكم مثلما تفعلون معنا.. استشاط رئيس العمال غضبا وهول إلى الظالم النسر وتلك الطاغية النواراة فحكى لهم الحكاية ونقل حديث الرحالة فجاءا مهرولين إلى الحقل، مع أنهما يمتطيان ظهري فرسين قويين، لكن أنفاسهما تضيق غضبا وحنقا، حولهم الرجال يمسون بالمظلات فيحميانهما من حر يتقد وحرور تشتعل وتغلي، ونحن تحت وطأة الشمس والحر نغلي لا يرأف بنا أحد سوى الله، هجما على الرحالة ورفاقه بالسياط والعصي والجنازير والأدوات الموجهة والفلكة، والفلكة تلك أداة مصنوعة من الخشب والحديد وما شابه من المواد، متصلة بها حبال وأربطة يعلق بها المعاقب ويجلد ويضرب ويلعن، ولها أشكال عدة في هذه الرحلة بلا حدود، يجعلوننا نعمل بالسخرة ويمنعون عنا الطعام والشراب. — من هذا الرحالة الذي

يعصي أوامرنا ؟ فتقدم كل من العاملون والعمال فقال كل منهم في ذات الوقت: أنا أنا.
يسخر النسر منهم ويقول باستهزاء مخلوط بالحنق، ويتمتم على وتيرة سريعة مضطربة:
كلكم رحالة، ستعاقبون أشد العقاب، ثم أوماً لرجاله وأشار إليهم بعلامة البدء بالضرب
والعقاب، فتقدم الرحالة والصحبة والرفقة معه، يواجهونهم بعزم لا يلين. فتقدم النسر
بجيوشه ومعه النورة والساحر الشرير والظالمون، تقدموا جميعاً بوسائلهم القتالية حين
رأوا من عزيمة أهل الرحالة بلا حدود وتكاتفهم، وكانت آلة الزمان المكان قد تدخلت فجمعت
الجنود من كل زمن ومكان، والواقع أن الله تعالى أمدهم بملانكة محاربين وجند صامدين،
الآلات الحربية والمعدات والأسلحة البدائية من نبال وخوذات ومنجنيق وحجارة وعجلات
حربية تقوم بدورها، وتستخدم النار كقوة دافعة في الحرب الآن، وصواريخ الدفع السريع
ومنصات إطلاق القاذفات والوحوش الطيبة والكاننات والجان، وهنا اختلف الزمن ووجد
المكان واصطحبت الآلة الأحداث معها حين ظهر يجلس عبد الرحمن فجأة وهو على ضفة
بحر ونهر ومحيط يوسف وجدوله والحزن مخيم عليه، وحيدا لا يعلم شيئا عن قدره
المخبوء كحال كل ابن آدم، فجاءت آلة لزمان والمكان تحاول تسليته وزف البشرى إليه،
وكان مشغولا بماضيه وحاضره، فاستكشفت له المستقبل عن طريق عجلتها الباحثة المنقبة،
وأجهزتها البدائية والحديثة، والفتى مذهول من هذه الآلة التي لا تتخذ شكلا معيناً ولا هيئة
بعينها، هي للتو ذلك الشاطئ الجالس هو عليه وتلك الضفة الملامس ساحتها، والأسماك في
النهر تحاول التخفيف عليه وتقول له: قم باصطيادنا وأشعل النار واشونا وحرنا وقم بأكلنا،
نحن مستعدون لخدمتك، ومن بين الأسماك تظهر حورية البحار بملابسها البحرية النهرية،
وشعرها المنساب والمعانق موجات المياه، ولامحها الدقيقة العذبة، وصبري يحييه هو
والفراشات والطيور، وكذا تحييه الفتاة نادية أميرة القصر، محبوب هو عبد الرحمن،
مطمئن القلب للتو لما لقي كل هذا الترحيب، اصطحب صديقه المسكين الخجول وأمسك كل
منهما بعضاً علق بها أحد طرفي السلك الصائد ومصيدة في طرفه الآخر، ولكنهما لم يردا أن
يصطادا السمك الذي يرحب بهما، والفتاتان في القارب تضحكان وتبتسمان، وتموجان كما
الأمـل حينما يداعب نسـمات الربيع، تبدوان في حلة مزركشة وثياب لامعة، لكن ليس
كلمعانهما وبريقهما، وكل تمسك بمجداف، وليتهن يمسكن بمجداف القلب ويهدأن نبضه،
فهما البسمة حين يخيم الحزن على الأفئدة، والنسمة الرقيقة وقت تشتعل حرور الهجير،
والود حين يطغى الحقد والحسد كيان المرء المريض فيبثه في أنفسنا، وهما الذوق الرفيع
الذي يملك كيان رسام موهوب حين يتم رسمه ويبدع في إتقانه، لا يعرفهن الخريف ولا هن
تعرفنه، لكنه على أي حال رفيق رقيق، لا في غلظة الشتاء، هو أب حنون وقوي في ذات
الآن، وهو صيف مشمس قاس شمسـه تكوي الجنوب، لكنه يرسل نسـماتـه اللطيفة في بعض
من وقت اليوم، والأكيد أنهن الربيع ببسـمته الساحرة وعبيره ونرجسه وشذاه الرطيب
الحبيب، إن الفتى عبد الرحمن وهو جالس هكذا على ذلك الشاطئ الجميل، يحيا حاضره
فيعاني ويلاقي الأمرين، ويواجه الويلات، صابر منذ الصغر جلد ومتحمل كل الصعاب

والمشقات، يزرع ويقلع ويحصد ويعزق ويروي، يحمل فأسه ومعو له ومصيدته السمكية الشبكية، فشبكته تصطاد الأمل، وسندريلا نهر وبحر يوسف ومحيطه تحبه وتتمنى الارتباط به، وهو يبادلها المحبة والود، لكن ملك البحار الجني يمنع عنهما اللقاء والزواج، فهي من عالم آخر يحكمه ملك الجان، لديها من الثروات في الكهوف المائية والسراديب إرث ضخم، وهي ابنة ذلك الملك ولها أخ طيب يود أن تحقق حلمها، صديق عبد الرحمن منذ الصغر، ويعلم أنه يريد الزواج من شقيقته الجنية، هم يحيون أسفل الماء ويتنفسون كما الأسماك، وتنتقل آلة الزمان والمكان أو لا تنتقل، في الأخير تزحف الأحداث إليها من كل مكان وزمن، فتحيى اللحظة والحاضر، وعبد الرحمن مع صبري في كل خطوة يخطوها، وهما صاحبا مغامرات وصولات وجولات، للتو على شاطئ بحر يوسف يصطادان السمك ويجمعان الثمار، والرحالة ينضم إليهما، ثم يشق عرض النهر قارب جميل عليه فتاتان جميلتان، تطل البهجة منهما ويرتسم الربيع، وسعف النخل وخصه لا يزال يسكنه الجان، وعلي يسقي زرعه ومعه أمين، والنخلتان التي تحمل كل منهما ثمرا أصفرا تلقيان البلح والتمر، والسمك في نهر ومحيط وجدول يوسف يتبسم من أسفل وتحت الأمواج، وسمك البوري والبلطي الأحمر لا يخشى الصياد، بل يتشاجر مع سنارته ومصيدته ويعاركها، و"صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان" يسير والعصفور يحلق فوقه ويطير، والفراشة تلهو حوله وتبتسم له، العصفور يرسل له النسمات الرقيقة وبيعث الشذى والعبير، والفراشة تمتعه بألوانها المتشكلة المتحولة الجميلة، وتجمعت الطيور والفراشات الأخرى ومالت غصون الزهر والورد تحييه وتمتعه بعبيرها وشذاها وهو يبتسم كالطفل السعيد، وقد سار بالحقل وكلما تنقل خطوة كثرت أعداد الطيور والحيوانات والكائنات المصاحبة له، وأطل عليه الفلاحون وهم يحرثون ويزرعون أراضيهم، وطار صوبه أبو قردان مرحبا به، وفعل الهدهد نفس الشيء، وها هو أبو فصادة يحييه بجناحيه ويبتسم له، ثم أقبل طائر اللقلق محذرا إياه من ذناب يتربصون به، فشكره صبري وسأله عن مكاتهم، فطار "القلق طائر أبو العنز"، وصف جناحيه على أسير الهواء ثم هبط صوب "صبري" وحمله على جناحه بمساعدة الطيور الأخرى، وذهبوا به صوب "الفارس المثلث الفتاة تبر الفلاحة التي تدير الطمبورة مدرة المياه" عند بحيرة التماسيح، فوجدوا آلة الزمان والمكان هي تلك الكرة الأرضية التي تدور بهم حول الشمس، ورأوا الذناب متحفزين لهجوم بات قريبا، فتقدم الذئب القائد صوبه وهو ينوي التهامه، فصد هجومه "سندباد" بعزم الأبطال، وخرج "الفارس المثلث" من بحيرة التماسيح وأرجأ قتالهم حتى يواجه الذناب مع رفاقه "عبد الرحمن" و"خضراوي" و"قبطان" و"الفارس النبيل" الفتى سعيد، كل هذا و"الرحالة المتحول لشتى الشخصيات والأزمنة والأمكنة" معهم، وكل من في الرحلة رحالة، وإذ بهم ينقضون على الذناب والوحوش البرية والبحرية، لا الوحوش هي التي تنقض عليهم، ودار قتال عنيف تشارك فيه للتو كل الكائنات، وتأجج لهيب الحرب الضروس، وثارت الثائرة ودارت الدائرة والتهبت الثورة بحطب العزيمة وسطوة القوة، وتطلق آلة الزمان والمكان

المتحولة وفي هذه اللحظة وابلا من دفاعاتها المتنوعة وقاذفاتها الحارقة وأسلحتها البدائية صوب المقاتلين والوحوش، وكان في الجبهة المعادية يترأسها الساحر الشرير ونوارة والنسر والابن الضال والمهاجمون الجنود والحيوانات المفترسة الفتاكة والأعداء، فلما انتهى القتال وتم تأييد ونصرة الحق، نظروا جميعا فوجدوا حمادة عند الحقل والساقية تدور مدرة المياه المسحوبة من مصرف عزبة عبد الواحد العذب، والجان يقاتلون الفارس المثلث الفتاة تبر، والفارس النبيل يحاول إنقاذ الأمير المسحور أعلى الشجرة التي يقاتل عليها الأعداء كل من الرحالة وعبد الرحمن، فرأى الفارس النبيل الأمير المسحور وهو متجمد كالتمثال لا حراك ولا نبض فيه، والأسهم مغروسة في غصون الشجرة ذات كل الثمار والخضروات. والسيوف الذهبية كذا مغروس في فنن غليظ، وجد أيضا مخطوطا عجيبا يشير إلى مكان أم الأمير المسحور وأبيه، وهو عبارة عن خريطة ذهبية مرصعة ظهرت حين لمس الفارس النبيل السيوف الذهبية مصادفة، وقرأ على الخريطة أن الشخص الذي يجد هذا، يلمس الجوهرة في سترة الأمير المسحور فيصير النبض به ويسير ويتحرك ويتخلص من السحر والجمود إلى حركة وحيوية، وكان صبري الطيار الطائر حاضرا هذا كله، والفراشات والطيور والكائنات لا تزال برفقته، فصعد الشجرة وتسلقها بمهارة، ثم طار وعاد مرة أخرى، وساعد الفارس النبيل في مهمته، ولمس صبري والفارس النبيل الجوهرة، فذب النبض بأمر الله في جسد الأمير المسحور، وفتح عينيه ورحب بصبري قائلا: مرحبا قائد آلة الزمان والمكان. فدهش صبري وابتسم في نفس اللحظة، وكأنه يعرف الأمير المسحور من ذي قبل وقال متعجبا مذهولا: هل تعرفني؟! وقبل أن يرد عليه الأمير رحب بالفارس النبيل وشكر جواده الطائر والهدهد ومجموعته الطيبة المحلقة، ورحب بأمر الرحلة وسندريلا وقبطان وسندباد، ثم حول بصره صوب صبري مبتسما له وقال: ألا تذكر صديق الطفولة؟! فازداد دهول صبري واستغرابه، ووجم ثم ابتسم وفكر مليا وهو يعتصر ذاكرته وجحظت عيناه وغرق في دوامة بحث عبر الأحداث والأزمان، ومط شفثيه ونفخ خصره وكرشه ومد أنفه صوب النسيم ضاحكا وقفز يعمل حركات بهلوانية وتلوى على الأرض وتقلب متدحرجا فاكها، لقد عادت بهم آلة الزمان والمكان حيث كانوا أطفالا، والعجيب أن الفراشات والعصافير والطيور والكائنات لا تزال معهم بهيئتها، ويرافقون صبري في تحوله إلى طفولته حيث يدور به جسده والزمان والمكان مع دوران ويحث وتنقيب آلة الزمان والمكان، ولا يستغربون أو يتعجبون للأمر، فذهل صبري أكثر فأكثر حين أدارت عجلة الزمان والمكان وجهتها، وجمعت الأزمنة واستحضرتها، هنا عرف صبري صديقه وتيقن من ملامحه، وتفاجئ الجميع بوجود حسن وكامل ومعزز وهدي وخضراوي وشداد وعرابي وسامي وعبد الباسط ولطفي وبهلول، وشباب عزبة عبد الواحد بؤرة الرحلة وقلبها النابض، وأوهم وهم في رحلة في الحقل والشمس ساطعة والخريف يسلم نفسه للربيع وكذا الشتاء، هم يرضون بالربيع حكما وطقسا ناعما هنيئا مناسبا ملائما، فضحك الربيع وهو يستلم راية المناخ، ونثر عبير وروده وجميل نسائمه على العالمين، واستمر ضرغام مع رفاقه وكذا

سلطان، وهم يجمعون خيرات الأرض ويزرعون ويصيدون، ثم اتجهوا صوب بحر ونهر ومحيط وجدول يوسف قاصدين الصيد والتنزه، ومروا بالنخل الكومي عند الموتى والقبور، فخرج الجان من أجدانهم وقبورهم وقامت الجماجم تضع نفسها على العظام وتزحف في مشهد مرعب مهيب، وتناثرت الدماء ثم تجمعت تستقر تحت الجلود وكسا اللحم العظم، ثم تناثرت الأشلاء متفرقة تارة أخرى وزحفت رشا من نخل الصعل مسرعة وهيئتها المرعبة تخيف الجميع، وشرعت تلتهم كل حي وميت وتقتل الجميع بوحشية ونهم، والعجوز المسنة بين نخل الصعل والنخل الكومي تساعدها في إجرامها وكذا ريما اللنيمة، ومشكاح المغلوب على أمره يقتاد بهلول اقتيادا ويوجهه صوب القتال وسفك الدماء، وكلاهما مجبوران على ذلك، كل ما تقدم وأكثر وصبري حاضر في المشهد وهو رحالة مغامر وقائد آلة الزمان والمكان، موهوب وضحك ومبتسم دوما، وهو يسير للتو كعادته ويحلق ويطير ويغوص ويخوض ويقود الآلة ثم ينتهي إلى ربوة جميلة فيصلها الآن، فيرى بها الزهور والطيور المرحبة به، ويلاحظ أن الطيور مقيدة أجنحتها وقد كبلها الساحر الشرير بتوصية من ريما والنسر وأهل الشر، فاستل حسامه وواجه الجموع المهاجرة وحاول إنقاذ الطيور وإطلاق أجنحتها وفكها من القيد والأسر. والأميرة نادية أميرة القصر تشجعه وتحبيه ومعها سلمى وفتة ونجاة وتبر وهالة والغادة الحسناء وفاطمة ذات البساط السحري، والقصر الطائر يحلق بهم، يرون المشهد ويشجعون صبري ورفاقه والرحالة وسندباد والفارس المثلث على إتمام المهمة وتحرير الأسرى والمحتجزين من الطيور الجميلة مزركشة الألوان مختلفة الأنواع، ثم هتف صبري وهو ينشد متحمسا والكانات تردد وقع صوته وهتافه: رأيت بربوة الروض الزهورا وفي أيك بها خلت الطيورا مقيدة الجناح فلا تطير فلمت شذى زهورها والعبيرا وقلت أنا الذي هزم الذناب أنا السيف الذي دحر المغيرا فحق علي بل وجب الجهاد وأن أردى الظلوم وأن أثورا أيعقل أن ترى في كل ساح ذناب الجور تقتاد الأميرا إلى المجهول عينه والضياح أنا من قد بكى الروض المطيرا حسام العدل يلمع في يميني وأهديت العدا الدرع المنيرا أبارز من يخون العهد دوما لقيت بساحها القدرا المصيرا بساح للقتال وللنزال أقاتل ذنبها النذل الخطيرا بربوة روضة كم جنت أبكي وأحسن في ذرى الشر المسيرا فما دمعي وإن سال انفعالا سوى أني افتقدتك يا سميرا أطاول في سبيل الله مجدا وأبدو في رعايته الظهيرا مقيدة الجناحين الطيور نسوق لمن يكبلها النذيرا وأما اليوم قد حطمت قيدي وأطلقت المعامع والأثيرا فمعمعة الحروب تراها جندي وأرسلت المقاتل والقديرا جنودا في غمار الحرب أسدا قليل جموعهم يبدو كثيرا سنصعد ربوة الأمل المراد فيسهل ما حسبناه العسيرا بعون الله لا أحد سواه طوينا طول درب أو قصيرا فما خاب الذي يوما رجاه أدون الله نتخذ النصيرا، فهتفت الكائنات تحبيه، وجاءت الفتاة هالة تزف البشرى للجميع بنصر مبين تم في مختلف الجبهات وهي تقول وتردد ويصف ما تقوله شاعر الرحلة والفيلسوف والأديب المخضرم قائلا: بشرتني بالخير الفتاة هالة فحققت الحلم وثلت المنالا والمبشرون بالجنة قد لاقوا المسرة حين بشرهم بالجنة الله تعالى وهكذا الأحداث على قلبي توالى وعلى

قلبي النوازل كم تتوالى بين خير وشر أعيش وأحيا وأعشق السلم وأواجه النزالا ولي في الحياة من التجارب الكثير وضربت لحزني من تجاربي مثالا أنا دائم الحزن رغم ثغر تبسم فطيف السعد تولى عن فؤادي ومالا ما سرني مال أو ذهب بغمي وقد جمعت الذهب وكنزت المال حين ضعف البصر وذهب جمالي فليس فيض المال يعيد جمالا قد عشت حياتي بؤهم كبير فبدل الوهم علي حالا ودفنت بقبري والناس نسوني وألقى الملكان علي سوالا وانطلق يغني ويغرد ويشدو، والطيور سعيدة حوله تحلق في فرح وأمل، تهبط فترتشف من عين الماء، وتنتثر الماء على أجنحتها وكيانها الرقيق، وباح بما يحتوي قلبه من مشاعر وكلمات، فبدت أحرفه الذهبية كشعاع الشمس تدفأ نفس قارئها، وسوسن تنظر إليه هائمة تكاد تحلق فرحا مثل تلك العصافير المسرورة المنتشية الموشح كيانها بألوان السعادة من حولها، والفرحة بجمال الطبيعة، فتقدمت صوبه في خطى ثابتة وهي كغصن داعبه النسيم، وشعرها يموج مداعبا نساءم العطر والشذى، ولا يعلم من منهما يقول الكلام، فالعيون تحكي وتروي دونما ينطق الفم:- وما لي في الدنا من بعد ربي إلا وفي العهد والصديق الصدوق أحببته عبد الرحمن منذ نشأتي وهو الفتى الجميل البهي الخلق وإني لحبيبتى ومن بعد فراق مشتاق ولكم إليها أتوق لما بدت كالزهر الحسناء إيمان غمرني الأمل ومسني الإيمان من الدنيا حرمت ومن كل حنان إلى أن فاض علي من حبيبي الحنان أنا لست بقيس ولا دون فعله فكذلك أنا قد مسني الجنان أعشق الطير حين طاف السماء وتعشقتي والطير في السماء الحور ومصطفى حبيبي حين أرى طلعه من رؤياه يضيء ويزدهي النور لن أحيا الخنوع تحت ظل الهوى ولو حرقنتي الشموس بلهيب الحرور وقد نعتوني بعدما صنت عهد كرامتي ولجمت هواي بالفتى الصبور في عزبتنا فتى ما رأيت مثيله في كرم وجود هو عبد الصبور ما أنن لكون النوازل حطت ولاقيت المنايا بكل سرور فلن تنال المنايا من عزم الفوارس وقد أوقفت الأحزان فربي معيني حين كيد الظالم من ربي النجاة فما كنت بغيره بالمستعين يرديني طرف من ردائها أخضر ورغم هذا أقيم فيه وأسهر وأظن أنني في بحارها غارق فوجدت أنني على شراع أعثر، فيثارة اسمها زينب الجمال إياها يخطب أحببتها ولا تبالي وإني لمتعجب قد صنتها منذ صباي ولو ما رأنتي تهرب ليس لك فيها نصيب ربما بعدها أنسب تالله كم كنت أتمنى أن زينب لي تنسب قدر الله نافذ فلا منه المهرب ليتني من كيد الأيام يا طير الربا هارب ولو أنني بجناحين ونادى علي المغرب وكنت في المشرق لهاجرت كما أرغب، الفتنة شرها مقيم ومشعلها شيطان رجيم نيرانها لو أخدمت شمل الأطراف نعيم من أجاج نار الهوى من فرط هواه سقيم قد سكنت قلبي هدى وتشهد قطرات الندى والماء إذا ما ترقرق والعاصي إذا ما اهتدى في طرفها سحر الروض وفي روضها طير شدا والطير إذا يلقاها مشتاقا كم غردا سئمت حياتي بدون تلك المدعوة هدى كيف تسعد قلبي إن تبعد عني يا صديق العمر حتى الجنان أو أجد الود في زمن رهيب مس عقلي فيه من عجب جنان وبعد أمني تراني بجنب الحبيب فهي كل الأحبة وهي الحنان، وظلت تلك الروح تكمل فتطربنا وتشدو فتمتعنا وهي تقول وتستطرد وأنا متعب أتردد:- رأيت في فنن من جمعهم عشرة

وكننت من خير كم أبتغي ثمرة فرحت أجمعه وكننت أقصدهم فماجوا في سرب وغادروا
الشجرة فجاء عصفور في اليد قد مكث أهداني آمالا خيرا من الكثرة عصفوري يا نبعا من
فيض أحلامي أرأيت أطيارا إذ فارقوا تترى يا ناعس الطرف ما رمت إلا كما من سحر عينيك
أرجو ولو عبرة أهديك من قلبي يا بدر أشواقا أهديك من نهري وفيضه قطرة القلب يرجوك
يا بسمه العمر والروض يعطيك من حسنه زهرة يا نهري الساري ودمعنا الجاري وموكب
الغيد ونجاتي من عثرة أنا جل ما أرجو إذ تمضي في روضي والروض مشتاقا يا خاطرا
خطرة يا بدر آمالي وشمس أيامي الجرح في كبدي هو تارك أثره قد جنت تمحوه فكنت لي
أملا والمرء كم يبكي مواجهها قدره الآن قد جنت والليل أضواء والجرح قد ولى وحديقتي
نضرة فشذاها أفراح وزهورها عطر وورودها أمل وغصونها درة وسمائها بصر ونعيمها
قدر وتداعب الغصن هنالك الهرة والغصن بسام والسعد أيام والحقل آجام الطرف قد بصره
والطير قد غنى وأنشد الفن والصفو في قلبي طرح من الجنة يا مهجة العمر في القلب سكنك
للحسن إذ يبدو القلب قد حن أنت الهدى دوما والصبح إذ أسفر والبدر إذ ضوى والليل إذ جن
والعين إذ تدمع والنيل إذ يمضي والزهر في روض ونعيدها الكرة عصفوري كم ضحي
والخير أعطاني وتراني من إثمي أعطيته الشر في القلب آلام ومهجتي تدمى والغدر من غدر
في ساحه كر والصدق قد ولى والعهد لم أصن قد فارق الجمع من غصنه فر أعطاني مرات
من جوده جودا لم أعطه أبدا خيرا ولو مرة للحلم أوقات والليل آهات للنيل أمواج ولشهرنا
غرة زماننا يمضي بكل ما فيه وطيفك الساري في مهجتي مر فاليوم قد جنت أعاهد النفس
أني سأرويك وأحفظ السر أرويك من نهري من نبعي الصافي والعين ترويك م فيضها عبرة
يا نهر أحلامي من نبعه العشق يسري بأعطافي بالحب ومسرة. ونهر النيل يستمع إليه
ويجري متهاديا مسرورا من جميل ما سمع، وينادي عليه: هلم إلى حضني، الق نفسك بي،
أنا وسادة جميلة لك. فألقى نفسه فوق الموج وغاص برفقة عوني، يشد من أزر الأخير،
وعلى صفحته يظهر "جلال الدين" وهو يسبح برفقة رجاله ومعه أسرته تبدي آيات
البطولة والصبر، و" عصام الدين" معه والجنود والمحاربون، والمناوي يهتف أن استمروا
حتى بلوغ الضفة الأخرى من النهر، فلا يأس مع الحياة أبدا، استمروا حتى الرمق الأخير،
وهنا يواصل الجميع تقدمهم، فلا يستسلم أحد للموج، ومن بصيبه الإعياء يتقد الفارس
الملثم وقبطان والربان وسندباد والرحالة وعراقي وضرغام وحسين واللؤلؤ وآخرون
لإنقاذهم، ويطفو الحوت على وجه الماء وسطحها فيرسو عليه من أصابه الإنهاك، والهدد
ومجموعته الطائرة ها هم يحضرون العشب الطبي النادر، فتتم مداواة المرضى وتمريضهم
ومساعدتهم بشتى السبل، وفاطمة تظهر فوق بساطها ومعها فتة وتبر وعزية وسمهانة
أسمهان، وحماسة وهدى وسماح وسعاد ومريم، وذات البساط سلمى معهم قد رست
بحديقته طائرة فوق مستوى سطح النهر الجميل وبر ومحيط وجدول يوسف في عزبة عبد
الواحد النواراة والنسر وأبعادية سيف الدين، والمعلوم أن عزبة عبد الواحد تتمدد وتتسع
لتشمل كل شيء من أنهار ومحيطات ويابسة وجو وسماء وفضاء ودنيا وآخرة وكل ما

يخطر أو لا يخطر ببال وهي بؤرة الرحلة أسرة الفؤاد ومالكة الوجدان، وتتحول العزبة وهي آلة الزمان والمكان، نعم تتحول وتتشكل وتزور العصور وبرفقتها ملكة النحل المحلقة في طيران أبدي سرمدى دون توقف، حتى وصلت إلى هذا المعاني من تقلبات الحياة والدهر، وهو رحالة عجيب التكوين والملاح والسماط، قد أكل الدهر عليه وشرب، نراه للتو وهو يقول رافعا أكف الضراعة إلى الله وباكيا أشد البكاء: كم حاولت قدر الإمكان أن أكون سعيدا، فلبأت إلى الاستغفار والحمد والصلاة على وقتها وإقامة الليل في عبادة وتقرب إلى المولى عز وجل، وبكيت وهطلت دموعي ولا تزال تهطل بغزارة، والقدر مكتوب ونافذ لا مهرب منه، أبحث عن السعادة وتالله لا أجدها سوى في التقرب إلى الله والرضا بالنصيب، وكلما حلت بي نازلة أو حطت مصيبة علمت أن الله يحبني ويصطفيني بالابتلاء، وتيقنت أن بعد العسر يسرا، ثم ها هو يجيء اليسر فلا يدوم، فالحياة متقلبة بطبعها، والله إن ما أراه يترك بصمة حزن رهيب ثقيل على جدار قلبي وشغاف فؤادي، حتى الدموع المنهمرة لا تخفف وطأة أنيني ووقع ألمي وفيض وجلي وحزني، إن الهم جاثم على صدري، فأسير في الدرب خائفا من المجهول وأعول هم العالم بأسره قبلما يحدث الحدث، والجنان يتشبثون بي، فهم من أمامي وخلفي وعن يميني وعن يساري، ومنة فوقى ومن تحتي، الظلام يرسلهم لي منتشرين حولي مكبلين أيامي وحياتي، فيفيض بي ما أنا به، فأتحول إلى جسور مقدم مقبل على الحياة ومواجه كل التحديات وعوامل وأسباب ومسببات الخوف. كانت تستمع له بكل حواسها ووجدانها وكيانها وهي تبكيه أحر البكاء وتنعيه إلى نفسها، وتتمنى لو أن الله تعالى يريحه مما هو فيه، ويزيح عن نفسه وكاهله هذا الهرم والجبل من الهموم والمتاعب، وهو الآن ينظر إلى عينيها والدموع تترقرق في مقلتيه وتداعب خديه مداعبة طاغية بفيض الحنين والوجل وممزوجة بضرام الأمانى والشوق ولهيب الوجد والحنين والحرمان، فكانت له في ابتسامتها تحقيق الأمانى ونيل المنى، ذلك حين نظرت إليه والابتساماة مليء وجهها وكيانها، ابتساماة صادقة بها كل المعاني، من مواساة ومواسرة وحب وهيام وصدق، والربيع الباسم في كل هذا لا ينقطع مداه وأثره، ربيع دائم مهما تقلبت الفصول وتوالت فهو موجود، نسيمات به مترقرقة لا تخلينا أو تتركنا، ملازمة لنا دوما وتبعث على أمل مبهج وحلم محقق لا ريب بمشيئة الله تعالى، وكان الفتى رغم ما حط به من ألم ووجل يبتسم بين الفينة والفينة، ولا يملك وهو يرى ابتسامتها أن يردها لها ابتساماة موازية رقيقة تليق بها، فهي الربيع والزهر والأمل، نعم.. أنت الحسن والجمال وبهجة الحياة وبلوغ المراد. الفتاة لا تصدق نفسها وتشير إلى صديقتها فتة إشارة من عينيها، والعين لا تكذب أبدا، فترد عليها فتة بابتساماة وإيماءة توحى بأنها تفهمها وتهنئها، والفتى يلاحظ ما يتم وتكاد السعادة تحلق به بجناحين جميلين، وينظر الجميع فيرون عوني وهو يسبح في نهر وبحر ومحيط وجدول يوسف، وفي نهر النيل والمحيط الأطلسي والأطلنطي والهندي وفي نهر الأمازون ودجلة والفرات، والعجوز تتبعه وهي ذات البيضة البلورية الذهبية والعصا السحرية والشال العجيب، تريد قتله، وعن أفيات فمهرولة خلفها وسابحة وطائرة ومحلقة، تريد إنقاذ عوني

من براثنها، والرجل الجبار في حقله وغيظه يضرب الصبي الطفل الصغير، ويأخذ منه ما جمع من باقي الحصاد المصرح به للمحتاج كي يسد رمقه ويقيم أوده، هنا ما تدعى الوسية والجبروت من كل مالك للخيرات لا يزكي أو ينفق في سبيل الله، وهذه النوارة الجبارة تسيطر بجبروتها على أراضي الخلق وممتلكاتهم البسيطة، تبغي ضمها لممتلكاتها، طمع وجشع يساعدها في تطبيقه النسر الجارح الجبار، فالنوارة والنسر هما رمزا الجبروت والهيمنة، يستولون هم وتابعوهم على العمال ويجعلونهم يعملون بالسخرة في أراضيهم دون مال أو زاد، حتى تتقلب آلة الزمان والمكان بعض الشيء وصيري الطيار الطائر يقودها للتلو بما أتيح له من إمكانيات البشر، والعالم الجليل يوجهه وكذا صلاح الدين والمهندسون الأكفاء، وفي هذا التقلب والتحول يحضر معنا الشاب رضا محب رسول الله والمستن بسننه والسائر على نهجه، وهو الذي يصف سيدنا محمد بمسك الختام ويعلم أنه خاتم المرسلين والأنبياء، لو ما نظرت للفتى، هلم انظر وقل رأيك. فنظر محمد إلى الشاب فوجده وقورا محترما مهندما جميلا، نقي الوجه وجميله وصافي السريرة، تهل الآمال الجميلة من قسمات هي له، عذوبة ابتسامته فاقت عذوبة وحلاوة قسماته، ونور قلبك يا رضا غلب ضوء وجهك وأرسل لنا البشرى مرتسمة على ثغرك. والطيار صبري يحبك وملكة النحل تهواك وتفضلك ولا تلدغك، بل هي تحنو عليك وتتخذك صديقا لها على متن رحلاتها المتنقلة المتنوعة الطائفة الأزمان والأمكنة. يضحك رضا ويبتسم للملكة ويقول: ملكة النحل رحلة بلا حدود، وهي للتلو آلة الزمان والمكان، بل هي النبض الذي يحيي القلوب. شكرته الملكة وضحك له عقلة الإصبع وهو يسبح في كف سلمى ذات الرداء الأخضر، ثم هم قائلًا لرضا: أليس لي بعضا من هذا المديح. فابتسمت أماني وهي تتعلق بريشة الحمامة البيضاء وتتنقل من طائر إلى آخر سابحة في الفضاء الذي يبعد عن مركز الجاذبية الأرضية، ثم قالت: كلكم أحبة وأهل، وهذه رحلة شيقة ممتعة، إن كنتم تتيهون بها فأنتم من روادها وأهلها، أنا وأنتم في نعيم مقيم، لأن ذلك النتيه تيه أمل ولذة وممتعة ونقاء سريرة. فسمعها الشاب محمود وهو بالرحلة باحث وعالم ومشارك وخفيف الظل ورجل دين، هو رحالة يحمل سمات كل الشخصيات ويحيا كل العصور، حيث يقول الفتى: في معاني آيات القرآن الكريم أن الذين كفروا بالله أولئك هم أولياء الطاغوت ومن يعبدونه من دون الله، وهو يضلهم ويخرجهم من نور الله إلى ظلمات جهلهم وشركهم، فاز من كفر بالطاغوت وآمن بالمولى تبارك وتعالى، الطاغوت ليس هو فقط الشيطان، لكنه كل إنسان ووثن وأي شيء يضل ويلهي الناس فيتخذونه إلها من دون الله. - يا لك من جميل أيها الفتى محمود. فتهلل وجه الأخير وشكر الرحالة وظل يتحدث ويشرح معنى كلمة طاغوت، ويستشهد بآيات من الذكر الحكيم، والرحالة يعجب من علمه الغزير وحفظه كتاب الله، وقد لاحظ محمود انتباه الرحالة فراد من البوح والشرح، حيث تعمقه بالدين واضح جلي، وخصاله طيبة عطرة سمحة هادئة، حين استمر ذلك الفتى وهو يصف ويصور ويذكر ويتلو وجود الآيات الجميلة من القرآن الكريم، والفتاة التي تحيي كل العصور والمسماة " فتة "، تلك الضريرة الجميلة تنظر من شرفتها

فيرى قلبها كل شيء، بلغت منتهى الجمال، بل إن منتهى الجمال ما استطاع أن يبلغ درجتها، فهي القمر المنير، بل أكثر، قل هي البدر في الليلة الصافية التي تحتويه. سمعت الفتاة استرسال الرحالة وشدوه بالنغمات والحروف والكلمات، وكانت تجلس إلى جوار فاطمة على البساط السحري، وها هي نادية أميرة القصر وفتاته تستدعي رشا من نخل الصعل بصوتها المغرد كمثّل طائر جميل، ورشا تتحول من حالتها الثائرة إلى تلك الهادئة حين تسمع صوت نادية، وكأن صوت الأخيرة تغريد جميل يحمل فن الموسيقى بين طيات موجاته الحريرية ونبراته الدقيقة الهادئة، والفتيات للتو يتوسطن البساط وهو سابح في الأجواء وفوقه بمسافات هائلة صوب الفضاء تسبح ملكة النحل بين النسائم والأمواج الهوائية والكواكب والنجوم السدم والمجرات والأجرام، مشهد يدق له القلب وتحن النبضات ويستمتع الفؤاد بتلك المعزوفة الراقية من الجمال الإلهي، وفي نفس الوقت تمتد اليد الطولى لآلة الزمان وتستكشف طائرتها الاستطلاعية والمسيرة كل الأماكن عن طريق أجهزة رصد تعمل بالقوى البشرية والعوامل الطبيعية، وتظهر طائرات بدون طيار ولا ركاب ولا طاقم، والعالم الجليل يطورها هو ومجموعات المهندسين المهرة وطواقم الأمل والجمال، كانت الشمس دافئة إلى حد جميل لذيد، والرقعة سمتنا فلا طبع غليظ، والسعادة تغمرنا وأفندتنا تفرح، وتسعد قلوبنا فالقلوب تشرح، والطيور تلهو وتغرد وكذا الأطفال، ونزلوا عندنا ضيوفا، المنى والجمال، حيث تجمعنا جميعا عند سبيل الماء المواجه لحقل الشباب نائل شقيق الفتاة أفيات، ومر من هنالك الشاب خلف فألقى السلام علينا وهو يحمل قناديل الذرة، وبالفعل هي تستدعي المسمى والتسمية وتستحقه تماما، فهي مضيئة كالقناديل، مشرقة كما الأمل الجميل، والنخل الصغير يظهر في حلة جميلة، والفتاة هدى عيونها كحيلّة، وآية في الرقة كغصن رطيب، وإنها للحبيبة وأنا الحبيب، يذكر أن النخل يتمايل سعفه ذات اليمين وذات الشمال، وتشملنا السعادة على أي حال، ونخل الصعل يعج بالجان والعفاريت التي تسكن سعفه وخصه وقلبه، وبفعل سحر تلك المجموعات يتمايل النخل ويستطيل حتى يلامس ويغمر دوامة بحر ونهر ومحيط يوسف، وحمادة عند الأعماق المظلمة السحيقة يمر بالحجرات الذهبية عند مقبرة الملوك والملكات، فيجد التماثيل والحلي والمعادن النفيسة والدر والمرمر، ويلتقي عوني الذي غاص فبلغ عمق العمق أيضا، حيث تطارد الأخير الساحرة العجوز، وكانت الفتاة المتحولة لكل الأعمار فته تسير مع شبيهتها أفيات، يخطران على شاطئ نهر بحر يوسف عذب المياه، وقد مرا بحقل الجميل فراج، فألقيا عليه تحية الإسلام، ثم ظهر ضوء للنبي سيدنا ورسولنا محمد فأضاء الشرق والغرب. وكان يمر من هنالك الشاب الوسيم الجميل رضا، فرأى خاتم الأنبياء فعمه منه نور، وسلم عليه وعانقه فاطمن قلبه، وسيدنا محمد يبلغ الرسالة ويعاني الأمرين في سبيل نشرها، شمل ضوء النبي رضا وكل الكائنات، فلم يتمالك رضا نفسه من الفرح وشرع منشدا:- حييت منا مسك الختام هادي الأناس وهادي الأنام بلغت معك مرادي وهدفي ونلت بحبك جل المرام قد كنت أحليا بلا أي هدف وحين رأيتك طيف ابتسام غشاني وإني بضوء الحبيب رأيت السعادة بوقت المنام رأيت الأمانة فيك حبيبي

قلبي إليك وكل السلام، هو قد تحمل ما لا يحمل أنور ولكم ينوء بحمل حمله قسور وله صديق كم أحبه واسمه صبري وإنه في البلاد الطائر وأنا الغريب وكم بهمي أثقل شقيقي أنور وإن أنور يصبر وذات الرداء إذ تهل كنسمة فرداء سلمى في الحديقة أخضر لم أنس ناهد رغم عمر قد مضى لا زال قلبي للحبيبة ذاكر ولقد فهمت دروس عمري جلها كتبي الجميلة كم بها أستذكر جيهان حلم حطموه بفعلته لكن حالها رغم وجل شاكر قد زوجها رغم أنها طفلة كم يا ابن آدم أنت وله ماكر دعوا الفتاة فلا تزال الزهرة تعلو الغصون وعطرها متناثر ليست فتاة حتى يقصف عمرها يا ليت كان بها الرحيم الناظر، وتواترت عليه الأفكار وحلت الخواطر وهو يسعى بين الجداول عند بستان ممدود وروضة ممدوح، وراح يسلم على حمادة والأخير بحقل القطن يواجه الأفعى الماكرة ذات الجوهرة القاندة، حيث يرسل الضوء من عينيه وفمه على هيئة جوهرة تضيء له الدرب وترقب العدو وتصطاد الفريسة، ولقد كانت فريسة الأفعى حينها هي حمادة المسكين، الأحداث تصل أمام أعيننا، فكيف مر الزمان ونحن نحيا الحدث الآن، إذن كل هذا واقع مرير وحلو، روضة وأمل ومعهما شوك ووجل ونوازل، والخريف يحاول تبرئة نفسه والرحالة يؤيده قائلًا: لا زلت أعشكك أيها الخريف بك إن الله وبي لطيف ما تركت الصيف والربيع هناك وكم قالوا عنك أنك مخيف كم يموت من مرء بفصلك أنت وأنت الجميل القوي العفيف قد قالوا تخون وما كنت كذلك أيها الأمين النزيه الشريف يتساقط ورق من شجر فيك لكنه التجديد والعهد النظيف. فيبيتسم لي الخريف ويقول:- دعك من الملابس والثياب الثقيلة المكتظة بضيق النفس، وارقد الملابس الخفيفة، ألا تعلم أنني والربيع شقيقان ؟ فضحكت بدوري، ليس ضحك تكذيب، لكنها بشارة وأمل، الخريف يطمئنني ويشد من أزري، ويدفعني لأحیی في ربيع دائم، ولقد ألقيت نفسي في بحر يوسف فلم أجد الماء مثلجا، بل ألفيته دافئا، ولمحت وأنا في صفحته أسبح الطيار صبري الطائر ومعه عبد الرحمن وهم يتسلقان المنحدر الصخري، ورأيت المركبات الفضائية وهي تعوم وسط الأجرام وعند عناقيد المجرات، ورواد الفضاء يلوحون لي أن اصعد هيا إلينا، ورأيت رشا وهي في نخل الصعل تنهي حياة المارة وتشرب من دمانهم، ثم تعود لهيئتها من الهدوء والسكينة، ثم تجلى لي ولد جميل لديه مقبرة من الذهب، فرحت أغني له:- لي ولد عنده مقبرة عفريت الروضة أخبره والنيل عروسه من ذهب تعلم قصته وتنذره وعليك حكايات الأول وحديث يجري وثرثرة ذات الأنوار إذا يمضي طيفه في قلبها يأسره رشا إنني أحبك من زمن من يعشق غصنا جاوره وتراك الغصن لدى شجر الله تعالى نوره. - صدقت يا سندباد، كم هي مقبرة جميلة تعلم قصتها سندريلا البحار والأنهار. فسمعت سندريلا حديثهما، وكانت تفتersh صفحة النهر الجميل وهي تخيم عليه بظلالها ذات الأنوار، والروضة على صفحة الجمال مطلة بهية تنعم بالخضرة والبهاء، بها العناقيد تتدلى بالأمل زاخرة بالحسن واللذة، ويا لها من درة مضيئة، وجنتاها تأتلقان، وعيناها تنيران، وأنوثتها تطغى فتفوق وصف الشعراء، ورقتها تملك القلب وتمس الشغاف وتسكن أعماق القلب الهائم في دنيا الجمال والسحر المضيء، وكان حسن لا يزال يتحامل على نفسه ويداوي

جراحه بعدما تركه الجحش وأمه الأتان وأبوه الحمار. نعم تركوه يواجه مصيره مع الإقطاعي الطاغية، والمعروف أن آلة الزمان والمكان وصلت للتو هناك، واستدعت الحدث وهي تعيشه حتما كما ترون، ثم تتحول لزمن آخر وهي تجر معها الأزمان والأحداث الأخرى ليختلط الجميع ها هنا في بوتقة واحدة ويذوبون في نفس نهر وبحر ومحيط يوسف، فعبد الرحمن وصديقه الرحالة يمران ومعهما حسن، يمران ويتخللان زرع وحقل الشاب الطيب فرج على الجرف، والجرف هو حافة وشاطئ بحر ونهر ومحيط وجدول يوسف، حيث الخضرة الجميلة وشدة الطير وغناء الغندليب وتغريد الزرزور، والزرزور طير جميل صغير يطلق عليه أيضا الضحكة، وكأنا نريد أن نقول أن هذا الطائر الضعيف الجميل الصغير يضحكنا بهينته هذه ويجعلنا في سعادة كبيرة ومن الإضحاك جاءت كلمة الضحكة بضم وكسر الضاد والحاء على الترتيب، حيث أنور لا يزال يبكي ضحكته التي تشرف على الموت الآن، والهدهد يحضر العشب الشافي بأمر الله، العصفورة الصغيرة الهزيلة الضحكة تمرح وتلعب وتلهو وتتحدث معنا، وسيدنا سليمان يفهم لغتها، وها هو سيدنا نوح يبني ذات الألواح والدرس، ويثبتها بالدرس تثبيتا محكما، القوم ها هم يضحكون عليه ويسخر جمعهم منه، هم وحاشيتهم والتابعون لهم هنا يضحك محمد من طريقة الرحالة خفيف الظل الجميلة فب الحوار والسرد، والذي لا يعرف قلبه اليأس أبدا. ثم وفي جزء من الثانية يتم سرقة مبالغ وأموال لا حصر لها من أناس طيبين، كانوا لا يعلمون أن هناك مجرمين لا يفوتون الفرصة للخيانة، سرقوا الأموال وهربوا وتركوا المعاناة لأهلها تنخر في أجسادهم وأرواحهم وأفندتهم، عمليات نصب واحتيال تتعرض لها الرحلة عن طريق التحايل على القانون أو اختراق مواده وسفره الطويل، هيا يا حسن، قد تأخر الوقت بنا، وضاع الجحش وتركنا هو وأمه الأتان وأبوه الحمار. _ نعمل لقد فقدنا أغراضنا أيضا والأدوات التي توضع برفقة الحمار والأتان والجحش والحمار. أصابتهم الحيرة، حيث كان برفقة حسن وكامل الفتى ضرغام، وضرغام يمتطي متن حماره، إن صح التعبير، وفي الرحلة يصح، فهي رحلة الخيال والأمل والواقع والجمال، والمغامرات والأبطال، يلوم كامل على الحمار وأمه وابنهما الجحش، كيف تتركونا في القالوح؟! تحس الأم الأتان بالذنب، فتعتذر للفتى، لكن الرجل صاحب حقل القصب ذو قلب قاس، يضرب بلا هوادة ولا رحمة، فانتفض كامل في وجهه كما ترون وضربه ضربا مبرحا كي يأخذ حق محمد المضروب المذموم، وبهلول يساعد الجميع بهتاف وصراخ، وحقل القصب يشتعل لا من نار، ولكن من وقع القتال والشجار والمشاجرة، قامت القيامة في هذا الحقل وانضم المهاجمون من كل حذب وصوب، وتدخلت آلة الزمان والمكان، في تلك البقعة التي يجمع بها الجزء الأخضر من عيدان القصب وكذا الأجزاء اليابسة، كي يتم تنظيف العود ليذهب إلى عسارة القصب وينقل من خلال جرار القطر، والقطر عبارة عن عربات وشاحنات متصل بعضها ببعض، يتم رص وتكوين القصب بها وجعله كومة كبيرة تسكن وتقع وتستقر وتندف داخل الشاحنة، والصبية يتعلقون بالقطار وهو يعدون ونيدا بطينا، يسرقون القصب ليستمتعوا بمذاقه الحلو، بل إنه والله شهد جميل،

الله، طعمه حلو جميل. – صحيح، خذ هذا العود يا كامل الأوصاف. فضحك كامل وهو يقول: هل أنا كامل الأوصاف، ما الكمال إلا لله رب العالمين. فيضحك معه عبد الرحمن وهو يقول: ما رأيك أن نذهب اليوم في رحلة صيد ونزهة وننطلق من عزبة عبد الواحد صوب الجرف والنخل الصغير وزرع وحقل فرج ونمر بمدرار ماء خلف ثم بالشادوف حيث الفتى الطيب عبد الصبور الجميل يديره ويشغله بحكمة وصبر. ففرح كامل وقبل الاقتراح، وهما يمران الآن بالطريق البحري عند بحر يوسف.. _ مرحبا بكما. فيبتسمان وهما يقولان _ مرحبا بحبيبتنا عبد الصبور. والشاب عبد الصبور الآن يقوم بربط حجر كبير في ناحية حامل خشبي عملاق، وربط دلو في ناحيته الأخرى، ثم صناعة نقطة ارتكاز قوية تحمل منتصف العود الخشبي الضخم، ويساعده في ذلك عبد الرحمن وكامل وبعد الصبية الآخرين، ثم يوضع الدلو في الماء، وها هو يمتلأ، فيرفعه الثقيل في الجانب الأخرى من خلال عملية توازن ممتعة، وخلف يزرع الشجرة ويروي الزرع بمدرار المياه الجميل، وهو شفاط وساحبة مياه جميلة، تسحب عذب المياه من نهر ومحيط وبحر وجدول يوسف، وها هو الذهب يظهر من مقبرة في البحر أسفل الدوامة الرهيبة، فيقفز عبد الصبور وعزمي وأحمد وكامل ومصطفى، وآخرون كثر، يقفزون جميعا داخل الدوامة وقد نسوا أنها مهلكة تبتلع كل من دنا منها، فتنتقل آلة الزمان والمكان إلى حيث هنا، وهذا العجيب في حال غريبة وهو يقول: لقد تبت الآن من بعد الضلال وأصبحت للتو في أحسن حال ويردف ويستطرد، والطيور تغرد:..، في كل الحالات أشتت وأتوه إلا حينما القرآن أتلوه وما أجد الزهر زهرا ولا الورد ألا بعد طيفي طيفك يتلوه قلبي المعنى بالغرام لكم شقي يا حبيبة القلب ويا أحبتي أعينوه هذه الدنيا جميلة حينا وحينا عناؤها له وجوه وأوجه معاناتي جمّة إلا حينا أذكر الله وأستغفر فأذكروه وحينما أستغفر أشعر براحة ولتكونوا مثلي واستغفروه هذه هي موهبتي إن كانت تحسب موهبة وهذه عطايا ربي وهي من ربي هبة وفي الرحلة حسناء أسرت فؤادي واسمها هبة ونهر النيل كما هو معلوم من الله هبة وهل تعجبكم كلماتي التي هي من الله موهبة رزقيها سبحانه ولا يضيع عملنا سدى ويكفي أن بالرحلة شيء اسمه الهدى وفتاة هي البدر وتدعى هدى وبها الحسن والجمال ويتساقط الندى وبها حسناء هيفاء اسمها ندى وبها اليوم والغد وأنا مع الغد مدى فما مداي سوى الشيء البسيط ومعه قلبي اغتدى رحلة لا أستطيع كبح جماحها هي فرس وجواد وهذا ساحها ونهر وجمال وذلكم باحها بها دموع القلب قبل العين وبها أتراحها وبها الدين يرسم خط الأمل ولها وشاحها، إن كنت تتيه بها فأنت معنا، وإن كنت لا توجد بها فأدركنا، هيا انضم ولن تندم لا نريد فيها أن نريق الدماء فكل منا ما قدم وعنه سيجزى في الآخرة والفنان بفنه ها قد سما وليت حبيبي بعد الصبر يحبني مثلي أو مثلما، تنتظرنا نعمة من الله كبيرة لو صبرنا، لكننا على الدوم مستعجلون، ثم إنك أيها الرحالة تتعبنا وترهقنا وتهكنا كثيرا في رحلة البحث والسعي هذه. – هل تتحدث عن الصبر، ثم تلومني لأننا نسعى ونبحث ونعمل ونكد. فضحك الهمهد وقال: فقط أنا أداعبك. وفي نفس الزاوية من الحديث والمشهد يبتسم عقلة الإصبع من موضعه وهو فوق كف

وراحة سلمى ذات الرداء الأخضر. – لماذا تصطاد "أبا العنز" طائر اللقلق أيها الشاب عزمي. فنظر عزمي من تحت النظارة نظرة ثاقبة مدققة، متجها بها صوب مصدر الصوت، وكان هو الغراب الجميل صديق أبي العنز. فوجه الشاب بندقيته صوبه وأطلق ما بها من قاذفات، وهنا بالتحديد طار سندباد وحلق مرتفعا بهمة عالية وقدمين ثابتين متحركين، واعتلى غصون الشجر وجذوع الأمل، ودفع جسده في الهواء بطريقة انسيابية جميلة، ووضع المضادات المعدنية والخوذة أمام الرصاص المتفجر، وأنقذ الغراب من موت محقق، - لماذا بني، لم تقدم على هذه الخطوة، الغراب له الحق أن يعترض ويحي كما نحيا. فتبسم لها الغراب وندم عزمي على فعلته وتأسف للغراب، فطار به الأخير بعيدا يعبر المحيطات والأنهار ويقابل سندريلا البحار الضاحكة المستبشرة وباعثة الرعب في قلب رشا والعجوز الماكرة وريمة، ها هو كما ترون، يهل نور بابتسامته الجميلة، والتي تطبع على شغاف القلب راحة وسكينة، وعبد الستار برفقته يضحك كلما رأى نور الأمل يهل، صحبة جميلة في الرحلة لوجه الله تعالى، وهما يقربان ويدنوان من نخل الصعل، حيث لا تزال رشا تطارد كل مار يعبر أرضها. وكانت الشمس تتكبد السماء وقت الظهيرة، وأبو فصادة يستظل بظلال أجمة وسعف النخيل، كلما نظر إلى الرحلة الطائرة تمنى لو انضم إليها، وسندريلا تنتظر إليه ضاحكة مستبشرة، فما رآها على تلك الحال استبشر هو الآخر وحلق قاصدا إياها، وهنا نلاحظ عدم وجود الهدد والبطريق وعقلة الإصبع وأماني، يبدو أن هؤلاء وكل الكائنات قد فقدت الدرب وضلت عنه في مثلث الرعب جاذب الأشياء، وفي عيني حبيبتي حضن وطن وأشرد في بحورهما انشغالا ونبضها قد تسامى لي وهل لدى نبضي وقد ألقت سؤالا أحقا كم تودني مثل زهر؟! بروض العاشقين طغى جمالا فقلت بأن طيفك نور بصري رأيت به المودة والخيالا فطفق في فؤادها لحن ود وصول لقد سمعته أن جالا وقالت هل لمست حنين قلبي؟! وأن خضع الوتين لك امتثالا وما قد أمهلتي لألقي ردا وأكدت الترابط والوصالا وزادت أن عمرها ملك أمري أقلبه يمينا أو شمالا فذبنا بالربا ندعو سويا وما نرجو ننال والمحال. وقد ذاب بها وبه ذابت وآهات المحبة كم تعالت فإنها لي فيوض من غرام وفي نهر الحنين اليوم عامت عبد الرحمن وطاقير صبري وصابر هم معنا برحلة عاشق والجمع لدينا مسافر والطير يحلق حولنا وليوسف بحر ساهر قد ملك القلب ووجداني والنيل حبيبي الأسمر والعالم منا إذا يبدو نبضنا والأمل يصور ضرغام أحبه مذ كنت أستذكر درسي أحضر وعماد حبيبي كم إنني أحمد الله وأشكر رزقني بصديقي وحبيبي وإلينا أشرف ينظر صياد أعرف صيده لو غطس إلينا سيحضر أسماك الأمل وأفراحا ولا زال عوني يفكر أن كيف تخلص من شر عجوز البحر ويبصر سلبته النظر مع الفكر الآن عوني يفكر ويرى الأحلام مع الأمل شكرا لك صبري الطائر من قاد الآلة من زمن لا زال يقود ويؤثر الجمع ويفرح إذ هم قد نالوا الأمل ويصبر وحبيبي صبري وقصة نحيائها الآن نذاكر موجود حبه في قلبي كم أسهر معه أسامر القمر بصحبة أيام بها بدر الكون النير، وتتحول آلة الزمان والمكان حين يكمل الرحالة - عبد الرحمن، إنها بقعة جميلة رزقنا الله إياها، فعزبة عبد الواحد بؤرة الرحلة

وقلبها النابض، وهي المتحولة المتشكلة لتشمل كل الأزمنة والأمكنة وحياة البرزخ والنشور والبعث والقيامة والجنة والنار وكل شيء ثم تحدث صديقه وهو يبدع، وكان الرحالة يبتسم لصديقه وهو يتحدث ويتمنى لو يهبه عمره كله، وعبد الرحمن يبادلُه نفس شعور التضحية والصدقة المثالية، فلما انتهى الرحالة من قوله قال عبد الرحمن:- بالفعل صديقي الحبيب، هذا شيء رائع حقاً، أجد نفسي وكياني وسعادتي ها هنا، فإذا ما أردت السفر أو النزهة أو التغيير وكنت هنا، فأنا أنتقل إلى كل زمان ومكان معكم في سهولة ومتعة ويسر. يبتسم " صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان "، نعم يبتسم ويغني ويغرد كما الطير ويشارك أصدقائه وكل الكائنات لحظات الجمال وتغير الزمن والمكان والعودة إلى الماضي واستجلاب واستحضار المستقبل وعيش الحاضر، أو جلب كل ما تقدم في زمن حاضر جميل، وشرع يقود آلة الزمان والمكان في ضوء المتاح له كبشر، والله تعالى مقدر الأمور وصاحب القدر وتسيير الحياة والحكم فيها، جل وعلا يقدر لنا الخير دوماً ولو بدا لنا شراً، وفي هذه اللحظة يمر صبري بآلة الزمان والمكان فتضحى بستانا جميلا ونخلة وسمكة وحيوتا وكل شيء وكل كل شيء، ثم تتحول إلى حقل به كل الثمرات والأنعام والزرع، وفي كل الحالات فإن آلة الزمان والمكان هي عزبة عبد الواحد في أطوار تحولها اللانهائية، وها هي عزبة عبد الواحد تتحول إلى قصر هائل الحجم يطير ويحلق وفي شرفته الحسناء والجميلة والغادة ونادية وسمية وسندريلا وأم الرحلة والكائنات جميعا، ثم يتحول كل هذا إلى بساط فاطمة وشقيقتها فتة وشقيقتها الأخرى أمل، وصبري مذهول لا يعلم كيف يحدث هذا، وعلامات التعجب تظهر كذا على العالم الجليل، ثم يخرج صبري عن صمته قائلا: لا أستطيع تحمل كل هذه الفرحة التي تعمني، تقدم صلاح الدين أستاذي وقم بقيادة هذه الآلة العجيبة، أنت من علمتني ومن تتلمذت على يدك، وأنت القائد محرر القدس وأمير الفتوحات وسيد الانتصارات. فشكره صلاح الدين وتقدم ليأخذ موضع القيادة ويسافر بنا في الأزمان والأمكنة والأماكن، وبدأ الليل شيئا فشيئا ورويدا رويدا يتحول بنها من عهد الضوء والإبصار إلى حيث الظلام، والمشهد يظهر للتلو، حيث الكائنات على شاطئ بحر يوسف اللانهائي الامتداد، وعليه الحوت يفتش مساحة هائلة، ومع الحوت الرحالة وأنور وكل الكائنات تصعد فوق جسده طائفة ثم ترسو متفرقة على كل جزء منه، وفي الخلف تظهر الأراضي الزراعية والحقول والزهور وبستان ممدوح وروضة حفني وظلمة تامر ومدرار أحمد، ومدرار أحمد المائي هو شفاط يسحب ويشفط مياه بحر يوسف من أعماق الأعماق فيجلب الأسماك والجواهر والحلي والذهب والياقوت، ويشفط ما بدوامة بحر يوسف من خيرات وتمائيل وآثار خير وسعادة وتوابيت، وتمر آلة وقناة سحبه بعمق السرايب والكهوف والمغارات، وهنالك حمادة يغرف من الخير من الكهوف في الأعماق المخيفة، فيسحبه شفاط أحمد ومدراره، حيث يعود تارة أخرى بالزمن وهو في حقل الفتى عزمي والذي توجد على ناصيته الساقية السحرية بجرها خيول وأنعام وأبقار وجاموس، ساقية تعجب لها إذ أضحت هي الرحلة بلا حدود وألته الزمانية والمكانية، وعوني لا يزال يغطس

في أعماق بحر يوسف الممتد والذي يتحول بدوره لكل المسطحات المائية والجداول والعيون ونهر النيل والمحيطات والبحار الأخرى، نعم، عوني تطارده العجوز ذات البيضة البلورية الذهبية والعصا والشفال السحري، وتطارده الأخيرة الفتاة أفيات وهي تحمل مصباحها الفلاحي والدبرك العجيب المصنوع من جذوع الأشجار القديمة العتيقة، رحلة عجيبة التضاريس والجغرافيا والتاريخ، فها هي تتحول إلى محلقة فضائية في كامل عتادها وعدتها، تحلق مع ملكة النحل دليل الرحلة، كلما اتجهت الملكة نحو درب معين سلكته هي الأخرى، نعم.. فلا تزال ملكة النحل وهي آلة زمان ومكان الرحلة في هذه الأثناء، لا تزال تحلق بعفوية وبريق وحسن ومهارة، ترسم خط المسير، وهودج الحسنة يطير وهو يلامس بساط فاطمة وفتة ونجاة، ويداعب الجميع، حين تطل منه الآن سندريلا الحسن والجمال، والنسائم تفرق شعرها ثم تجمعها في حنين واتساق وانسجام، وسندباد يسقيها من غزله وعذب حديثه وطلاوة قوله ووصفه، ونخل الصعل يتهيأ لقتال دام على ما يبدو، لما شق الفتى المغوار عزمي الصفوف، وتقدم بجواده الأبحر صوب محمد وأمين وكامل، ومعهم عبد الرحمن وأنور، عند الطريق الذهبي الناري والريعي الواصل بين نخل الصعل والنخل الصغير، وفي النخل الصغير تلك النخلة الخرساء الجميلة وهي تتمايل وتمتد حتى تصل نخل الصعل نفسه على بعد زمن طويل من النخل الصغير موطنها، أحقية مت أم لا زلت أعيش؟! أم علي سيطر هامسا إبليس هل سكنت القبر من بعد الفراق؟! أم باعني بالتراب النذل الخسيس هل أجيد النظم أم إني ضعيف؟! أم دفنوني حيا وثنني رخيص!؟. وبنا الرحالة على هذا النظم نظما، ثم شيد وشيد حتى أضحى البناء هرما، ودموعه تسبقه ونبض قلبه يسبقها، والحزن عليه مخيم، تركوه بساحة المعركة وحيدا فلم يفر، بل كر ونازل الأعداء بثبات منقطع النظر، وكانت نسيمات الصباح قد هلت رقيقة وكأنها تحييه، ودنا منه أبو قردان يواسيه ويأكل الدود من الأرض ويلتقطه وملكة النحل ها هي ترفرف وتحلق وتجلب له النسائم وشهد العسل، والوصيفات يقمن بخدمته، ونادية أميرة القصر تتحرر من قيودها وتهبط من شرفة قصرها الطائر، لتزداد جمالا على جمالها، وتنير ما حوله ببهجة وسعادة وبريق، وهو لا يزال يكررها ويقول: ها قد اختفيت عن العيون وصرت ميتا لا يراني أحد، لم تبحثون عني، هذا جنون منكم، روجي خرجت وطلعت وصعدت وهبطت، لا أريد لها العذاب، كانت أمامي الدنيا، فلم لم أصل ولا أذكي، تالله كان هنالك متسع من الوقت، لكن الغرغرة تزحف نحوي، احتلت كياني وملكأت أنفاسي، أريد أن أفر وأقوم من مقامي، لا أريد الدخول إلى القبر ولا إلى المسجد، ليتني كنت حيا لأدخل المسجد تائبا. يقولها الرحالة وهو ملقى في القبر والجذث، تبتلعه الماء ويلتقمه الحوت وتأكّل سمكة القرش منه، بل تبتلعه كما ترون، ماذا كان يحدث سوى الخير لو دخل الإسلام وآمن بالله، فبدلا عن كفره هذا، كان أمامه درب الخير والعدل، نعم،،، يسير الرحالة بالغابة وقد تكالبت عليه الوحوش بشتى أنواعها والدنيا ببرائتها والمنية بجبروتها، وأظلمت الكهوف، فهي من الأساس مظلمة إلا من بريق ضوء ذهب هو الآخر وتلاشى، ومع الرحالة صديقه عبد الرحمن. إنه كظل له، وهما يتسلقان الأشجار

بمهارة فائقة ثم يهجمون على الوحوش بكيفية حرفية متقنة، فيتم التشتيت وبعثرة صفوفهم، ويصعدون الأشجار مرة أخرى متسلقين إياها في براعة وفن، ومن بعيد وقريب يرون الكهوف تضوي والسراديب تحدث أصوات رعب وزلزلة، وترسل بريقا من الذهب ولونه المميز صوب الرائي، بعد الشتاء ربيع وتلا الصيوف خريف تالله إن الدنيا حالها لمخيف لا ترسو بالمرساة ولا الجبال وإني على الذي قد حزت من حظها ملهوف إن الذي قد نال من خبرة لحكيم بعض النصائح حتما يهدى له المعروف وإني جوعان وأين الطعام أراه ولي بعد كل الصبر مطاعم ورغيف والله إن الحزن عن كاهلي مرفوع بك يا منال العمر وذاهب مصروف تبر التي أهواها مست شغاف حنيني كياني من تيار لحبها مجروف يا من سكنت البال كم إنني المشتاق بك يا حبيبة عمري حالم وشغوف والفارس المجهول لو ما رأيت لثاما به قد تخفى لأنه حريف ذات اللثام لزمت من بعدك الأحلام كم قد تفرق جند من رهبة وصفوف فإذا نزلت عراكا تزلزل الأبطال ومن العدا لم تبقى ملامح وطيوف سلمى أتوق للحظ من طرفك الفتان ملك الكيان هيام ومس الغصون حفيف كم زلزلت أركاني من حادث وخطوب ومسني إذا أمضي بدنيتي التخويف أنا كم تحل بنفسي نوازل ومنايا ويحيط بي إذ أمضي جماعة ولغيف ما نال مني لصوص أو يظفر الأعداء أو أردى مني العزم مجاهر وسخيف ونهر نيل يبدو في دنيتي الآمال يعلمه كل الناس فإنه معروف وبحر يوسف حبي مذ دب نبض الأمل وسرت تنبه سمعي مآذن ودفوف وإن طبعي الخجل ولقد دأبت عليه حين العيون تراني إنني مكسوف. لا يكاد ينتهي من قوله الجميل، حتى تتوالى عليه الهجمات، خونة يقبلون عليه مسرعين ومعهم الآليات البدائية والمعدات الحربية والجان والشجر الزاحف والطوفان والزلازل والبراكين، ويتقدم قائدهم وهو ذئب قائد ملامحه مرعبة ووجهه كجهنم، جهير الصوت له أذراع لا نهاية لعددها، ومخالب سامة لا حصر لها، وعيون فاقت الخيال في تعدادها، تنتشر على جميع أنحاء جسده وكذا في الفضاء والماء انصرف من هنا أيها الرحالة. - بل لن أتحرك قيد أنملة واحدة. - لكنك وحيد. _ معي الله. جيوشنا ستقضي عليك ومجموعات الجان والحيوانات المفترسة. أنت بمثابة ضحية ووجبة جميلة وفريسة شهية. - لن تنالوا من عزيمتي بمشيئة الله تعالى، لحمي مر وعظمي لا ينكسر وعزيمتي لا تلين. اغتاز القائد المجرم، وأمر جنوده بالتقدم والجان بالزحف صوبه، ومد يده يريد لكمه، ولوح بقدمه يبغي ركله، فصد هجومه الرحالة وأمسكه من قدمه وأوقعه أرضا، وحسنا الخصال برفقة ونادية أميرة القصر وتبر الفارس الملثم وفاطمة ذات البساط، نظرن جميعهن صوبه وصفقن له، وعزبة عبد الواحد تتزين في حلتها الأصلية التي تضوي برفقة الشمس، وكان الزرع يبتسم ويتنفس العبير ويشهق العطر والشذى، وعرابي في دربه صوب الحقل وهو يجر جاموسته وبقرته وحماره، وحمادة لا يزال يغوص ويخوض هنالك عند المبيضة في قاعها المظلم العميق، وأبو عوف يرشد الناس ويدعو رشا لعدم قتل المارة والناس وشرب دمائهم، ونخل الصعل يتمايل، كل نخلة يرتسم بها عفريت وجان، يميل بها ويأكل من ثمارها ثم يقذف النار واللهب من فمه العجيب، فيحرق كل من حوله - أنا لن أبرح

ساحة القتال. قالها الرحالة والتصميم يظهر على وجهه والإرادة ترتسم على قسماته، حتى خاف الجميع منه، لدرجة أن الوحوش المفترسة ابتعدت، فالرحالة قوي البنيان عيونه من نار وقت الغضب، يطير ويحلق ويغوص ويبحر ويضرب ويركل ويتحول إلى مقاتلة جبارة، وكانت الشمس تميل إلى مغيب، وضوء النهار يودعنا، والمغرب يضع بصمته ليحيل النور إلى عتمة وظلام، وفاروق روحه جميلة، يستوعب كل الناس ويحل المشاكل، طيب ويظلمه الناس ويحكمون عليه دون معرفة طبيته وأصالته، وهو صبي ويتحول إلى شاب ولقد كان طفلاً ويصير كهلاً شيخاً، كل هذا بسرعة فائقة، والناس يتعجبون من أمر الآلة الزمنية والمكانية التابعة للرحلة بلا حدود، والشاعر يريد أن يقول قولاً وشعراً ونثراً وأدباً، غير قادر أن يعبر الموقف هكذا، ولا أن يخليه ويتركه دون مشاركة فعالة بالرحلة فيقول متحمساً والجميع ينصت منبهراً مشدوداً مأخوذاً: بها رشا وأبو عوف وفيها الأمان بعد خوف والطيار الطائر صبري سلمته قلبي وكل أمري ومحسن بها المكافح ذاك والله به جل الصبر على البلاء وكل مصيبة يدعو الله ويؤمن بالقدر بسمته أمل قد حل بداري وهو فؤادي وكل نظري واللول حبيب كم اشتقت إليه وحسنا الخصال بين الشجر وسلمى بصحبة أبي عوف ذات الرداء من سندس خضر وخضراوي هل فبدر ظهر وهو والله سند ظهري في الملعب يجري كالأمل الساري ليحقق حلماً أن الفجر. فاستمعت إليه وهي تذوب شوقاً، ولم تستطع أن تخفي مشاعرها، فعدت صوبه وهي تجمع يديها وتفرقهما وتحضن النسيم وتداعب الزهور، ونظراتها وحركاتها وسكناتها لا تنادي إلا اسمه، لا مفر اليوم من الاعتراف بحبها له، ويتحول المشهد ولا يتحول إنه الحظ المتفائل أحبها والله وهي تملك قلبه الدافئ وتحاول شد انتباه جميل أتى يحضنه إذا هل الجدول وبستان ممدوح كحام بدا إن كان لا بد هو الأول والكنز يداعب من يرغب نيل الأمل وكم يهطل سعد الدنيا وفرح أتى وأنا للفرح المتناول ثم يمسك يدها ويخطر ويطل الزرع الأخضر قبطان أحب الحسنا ونبضه والقلب يصور ما يبدو عليه ويتضح هو ذاك النيل الأسمر أنا معي بالرحلة وأحبه صبري الطيار الطائر القائد في زمن عز به من يشناق ويصبر والشمس بدفيء تنطلق وإياي حبيبي يؤثر رشا إني أحبك من زمن والوجد بقلبي مسعر وأنيني دمع من روعي وعلينا يطل الطائر قد صف جناحاً من أمل وبجناحي الجرح الغائر وإليك سأرنو يا حبيبي ولعطر الفرحة أنثر ولعلي الورد في الحقل أو إني الماضي الناظر. لا أعلم من سطر هذا فرق لكلماته فؤادي، لا بد أنه معنا بالرحلة، لكنه جندي مجهول وبطل، ضحى بعمره كي يعيش الآخرون، ولكني أراه بقلبي، وربما هو نبضي ونفسي وإحساسي وتكويني، وربما وجدي وأنيني، لا يزال الفتى يبكي وهي تحس به وتشعر وتبكي معه وتسير برفقته، رحلة كم تأسرنى وتملك كياني ووجداني، إن كنت تتيه بها، فأنت إذن معنا لا ريب بها، وكلنا تائهون راحلون، لكن مستكملين دروبنا في جنة ونار وبعث وخلود، آه من العثرات التي تعيق تقدمي، كلما اقتنعت أنني قد طويت العصيب وأشعلت اللهب، لجمت من حوادث الزمن وخطوب الدهر وملمت الأحداث، ثم لم يتمالك نفسه وخر بين يديها باكياً وهو يقول:- ألا ترين أنني أتيه بها حسنا الخصال؟! تنظر الفتاة

إليه باكية وتحاول مساعدته ولا تقدر، تذرف الدموع من عينيها الجميلتين، فيشفق عليها
ويغير مجرى الحديث وهو يقول:- اليوم أنت مشرقة ومضيئة، في عينيك الملاذ والأمل
والمبتغى، أنت الربيع والحسن الورد والزهر. تبتسم لعلها لا تكسر خاطره ولا تجرح قلبه،
والدموع لا تزال مترققة على خدودها والثغر الباسم، وكأنما الشهد والعسل يجريان للتو،
ثم تنظر إليه وهي ترنو وتتيه في عالمه وتداعبه بعبارات جميلة... كان الرحالة قد بلغ
الحزن منه مبلغا، وحط بقلبه هم ثقيل، وأقض مضجعه وجل بالغ، لا يعلم ماذا يفعل وقد
حكمت عليه الحياة حكمها وأنشبت به أظفارها... تحس به الفتاة وتشعر بالآلمه، وهي ترسم
له درب الأمل والحسن وبريق السعادة، وفي خضم هذا يظهر حسن صديقه وعبد الرحمن
وواعر وعرابي وضرغام، ويرفرف البلبل ويصف جناحيه، وملكة النحل تدنو وهي طائفة
منه وتبتسم له، ولطفي يقوي عزيمته ويريح قلبه بفكاهة وروح خفيفة مرحة له، وأنور
يعطي له الأمل في مستقبل أفضل مع الاستغفار والتوبة، والآلة يطورها العالم الجليل ومع
العالم الجليل خليل وصبري الطيار الطائر والله فتى أصيل هي قطعا من صنع الله ولكل فيها
زميل والزمن يطول بنا إن هذا الزمن طويل بها رشا وريم ومنى والهواء بها العليل وحفني
وله روضة وفتة والزمن الأصيل كم تزور كل حقبة لي معها وفيها سميح هي آلة زمان
ومكان ومعطر بها الإكليل وتالله كم شقيت بها ومنى فيها العويل أحببت الجمال فيها وكل
شيء بها جميل لكنني كم قاسيت وقلبي بها دليل ونبضي طالما يئن ولجوادي بها سهيل
وحصاني سابق الزمان وفوادي لها يميل سندريلا كم أحببتك حظي معك قليل. هكذا هي
كلماته تحلي الرحلة وتجميلها، وناعسة الطرف تذوب به، وهي ضيفة في روضته، فحفني
فتى أحبه كثيرا وربما أكون أنا محدثكم ومن يسطر تلك الكلمات، ربما أنا ولست أنا، وأنا
أتيه للتو، فمن ذا يتيه معي ويشعر أنه في دوامة يقبع ويلزله كيانه، ومن موجوع مثلي
ومسه الألم والمرض، طال أمله ولم يتحقق، من مثلي أبها الرفاق؟! لا تقل أن الأحداث ها
هنا غير متصلة ونحن نحياها جميعها. تبسم العالم الجليل وهو يري الفتى - " صبري الطيار
الطائر قائد آلة الزمان والمكان " - كيفية قيادة تلك الآلة العجيبة بكل المقاييس، ويربت على
كتفه وهو يوجهه ثم يقول ردا على تساؤل قبطان:- بل الأحداث متصلة في حاضر نحياه للتو
قد تولد من كل العصر والأزمنة والآخرة والبعث والنشور. فنظر صبري إلى قبطان نظرة
إعجاب وكأنه يسانده ويشجعه، ونقل بصره صوب " العالم الجليل " وهو يشكره قائلا:- يا
لك من عالم بارع، مخترع آلة الزمان والمكان ومطورها. أعجب العالم الجليل بقوله ثم قال:-
آلة الزمان والمكان تتحول وتتقلب وتتشكل قدرا من لدن رب العالمين، وما أنا إلا سبب من
الأسباب، وقد رزقني الله المهارة والفهم، أساعد في تصليح بعض التلف وتطوير الآلة فيما
هو متاح للبشر ومواز لمقدورهم وحدود قدرتهم المحدودة، وهذا من توفيق ربي لي
وللعلماء والمهندسين. ويظهر المشهد أحد المهندسين البارعين وهو يصلح تلفا بأحد أجزاء
الآلة المتحولة، وكم هو بارع مثل أستاذه العالم الجليل، وكان هذا المهندس ينظر من إحدى
نوافذ الآلة العجيبة فرأى ملكة النحل تدنو من المركبة الفضائية الطائرة وهي تحيي الجميع

ولا أحد يسمعها، جناحها يرفرفان فيزيحان الزمن ويجمعانه ويجذبانه، ويحركان الجزيئات الهوائية فتقلب العصر أمام الأعين في مشهد نادر، ويرى فيما يرى "الفتى عزمي" - مغوار الرحلة وبطلها وفارسها - وهو يصطاد أبا العنز طائر اللقلق، والطائر حزين أن ليس له نصيب في الحياة برفقتهم، وقد لاحظ عزمي هذا في عيني الطائر فحول اتجاه تسديده ورميه صوب الفضاء الفسيح، ودنت منه ملكة النحل فحملته على جناحيها، ولما وصل عزمي للطائر تركته الملكة يحلق معه، فكاد يتساقط من الارتفاع الشاهق، وهنا صف - أبو العنز طائر اللقلق - جناحيه، وحمل عزمي قبل السقوط وعلمه الطيران، سر عزمي كثيرا وفرح فرحا شديدا حين ألقى نفسه يطير كما أبي العنز طائر اللقلق تماما، وملكة النحل تضحك مغتبطة مسرورة، وظهر الأب والمرض مسيطر عليه في نفس دائرة الأحداث التي استجمعتها آلة الزمان والمكان، حيث يقول الأب: - لا أسكنه الله في أجسادكم أبنائي. يقولها ذلك الموجوع المتعب، وأبناؤه أمامه وهو في أشد حالات المرض وأحلكها مرورا على نفسه وذاته. تضيق ابنته المصباح له وتحاول تمريره، لكنه يأبى ويقول لها: تكلم النهاية، أشعر بدنو الأجل. فيبكي الطفل الرضيع وكأنه يحس آلام جده. والجد ينظر إليه مودعا، عزبة عبد الواحد تعيش في غم وتحب في وجل، قد دنا العجوز من موت بات وشيكا، يخرج الرحالة للتو كما ترون هائما على وجهه يقصد الحقول والظلام، دموعه تذرف بشدة وهي منهمة منسابة مترققة كموج بحر وهطل نهر تحكي حاله، فالتقته رشا عند نخل الصعل وعيونها تبرق متقدة وهي تنوي التهامه، وكيف يتسنى لها هذا وهي حبيبة قلبه وأمله في الحياة من بعد الله، ثم إن حزنه على والده أعماه وطمس بصيرته، فأسلم نفسه لعروس الحقل الجنية، لكن الغريب بالأمر هو أن رشا تتحول الآن من صورتها الوحشية إلى هيئتها الإنسانية الرقيقة - سامحني رحالة عمري. - ليتك تريحينني فتاة الحقل وعروسه الجميلة. - سلامتك، أعلم أن والدك مريض. فتعجب الرحالة كيف علمت هذا، لعله نبأ وصلها من عالم الجن الخفي، ورسالة من الفتاة ذات الأنوار حبيبة مصطفى وحلم حياته، وتلك الأخيرة حاكمة الجان والمطاع أمرها، - نعم و، ما تفكر به صحيح. فازداد عجبه وكاد يجن وقال مذهولا باندهاف ورجفة سرت في أعماقه. - كيف تعلمين ما يدور بنفسي ويداعب مخيلتي. فضحكت الفتاة رشا عروس نخل الصعل التي قتلت على يد المجرم عابر الطريق وتحولت إلى جنية شرسة، وسمع صوت قهقهتها مدويا، وهي تتحول مع القهقهة وبالتزامن الوقتي إلى صور مرعبة لا يقدر على تحمل هولها وفرط البشاعة بها بشر. وخطرت ونيذا وبطيئا ثم سريعا وهي تركض، في أبشع المناظر والمشاهد تظهر وهي تقبض روحه وكأنها ملك الموت جاء لتنفيذ أمر ربه. وفي الناحية الأخرى التي تصورها آلة الزمان والمكان والتي يقودها بحكمة وأناة صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان، نعم في هذه الناحية المذكورة يظهر الأب وقد تجلت عليه علامات الحزن لما حدثه قلبه بدنو الخطر من ابنه، والأبناء حوله يعجبون له حين قال: أنقذوا الرحالة أخيكم وشرع يكررها في لهفة ورعب وخوف، دنا الأبناء منه وعيونهم تبكي وتذرف الدموع، حين ظهر للتو الفتى كريم وهو

يهدئ من روعهم جميعا، وتجلى في المشهد معه الرحالة وفاطمة ذات البساط والفتاة
الضريرة فتة، والفارس المثلث وهو السيدة ذاتها التي تشغل الطمبورة وتديرها عند جدول
عزبة عبد الواحد العذب النواره والنسر، وتجلت فتاة أخرى وهي النسائم الربيعية وهواء
الصيف المنعش وهي ترحب بكريم بعدما زال الألم عن الأب، وخرجت معه بالقرب من
بستان ممدوح وروضة ممدود وحديقة حفني المثمرة من دونه إني سقيم يصطحبني الآن
كريم وبغيره كيف أعيش؟! بكريم إني أهيم ذو عقل مثل حكيم ما بلغ الحظ الحكيم والورد
لدى الأغصان مسه للتو نسيم والزهر على الأفنان من رب الكون نعيم كم فعل السر أناس
شيطان القوم رجيـم والنفس بسوء جاءت وامتنص الغضب حلـيم هي رحلة من يشناق
للماضي وفيها سليم بها كامل مع ضرغام من يقوى وفيها سقيم والطير بعش حل والفتى
يمضي ويقيم وسماح فيها تغني ورشا بالحقل تقيم أنا لست بناظم شعر فرت من حرفي الميم
يمشي بالدرب حمار يرعى بالحقل ظليم وأتان في الظلمات شمل الفرحة إقـليم بالرحلة إني
أتية لي الفول ولي البرسيم بهلول على الطرقات وعلى الطرقات نعيم ومجد كالأيام ويراه الآن
فهيم أنا لست بفاهم شيء نافسني اليوم غريم والكنز يحل بداري قد نظر إلي الريم. وبالفعل
ينظر الريم علي وأنا مغرم به، شـدني وأسـرني وطواني طيا وكاد يجعلني مطية أمل له ومتن
سفينة أمل، نعم.. طرفه حلق بي عاليا ووصل شاهق الأماني وصفي الأماني، حيث غمرني
غيث الأمل بالياقوت والمرجان والزبرجد والنحاس كما ترون، هي رحلة عجيبة بكل
تفاصيلها. - صدقت سندباد. - والأعجب فيها أنت يا عقلـة الإصبع حيث حجمك الجميل هذا
وتحليقك بصحبة ملكة النحل. فابتسمت الملكة وهي تنظر إليهما وسندباد يلوح لها، ذلك لما
فرحت سندريلا وارتسم الأمل على محياها، وشرعت تروح وتجيء والسماء ملبدة بالغيوم،
ثم صحا الجو كما يصحو الربيع وبترعـر وينمو نباته ويغني طيره، هذه متعة لا حد لها.
وصبري ينظر للجميع بنظرته الباسمة ويقود آلة الزمان والمكان فكريا وفعليا، حيث الآلة
تلك تتحول وتتقلب وتتخذ كل الصور والهيئات، ويركز العالم الجليل فكره ويوجهه صوب
تطوير الآلة العجيبة، تتخذ تلك الأخيرة هيئة الكرة الأرضية. وتصوب تركيزها ووميضها
وضوءها صوب الكهف المهجور، هنالك أشباح به وعفاريت وجان، والمسكين سابح به،
تتعلق الأشباح بعنقه ويغرسون به أظفارهم وأنيابهم، والدم يسيل منه كمجرى النهر
ومسيرة شهر وعبور دهر، ويتقدم وحش عملاق ويحاول التهامه، في ذات الوقت الذي فيه
ها هما عبد الرحمن وصبري عند المنحدر الصخري يشاهدان ما يحدث، فيتقدمان بسرعة
هائلة لإنقاذ فتى الكهف، ويخرج الفارس المثلث من بحيرة التماسيح، ويثور نهر الموت بحر
يوسف يدير - صبري الطيار الطائر- المعركة بفن وإتقان، فهو قائد محنك وعابر تلك الأيام
وبالغ بعون الله الأحلام ومحقق الأماني ومنشد الأغاني، ضحوكها أنا أرى ابتسامته تبرق
وهي جميلة وتتناغم وهي خميلة، تالله يا صبري كأنني أسمع عزفا حتى لابتسامتك ونظرتك
وتلك الفهقهة المنبعثة من شغاف قلبك قبلما فمك ولسانك، وشعبان إلى جوارك ضاحك
مستبشر لا يعلم له وجهة سوى أنه يمر في هذا الزمان مرورا هادئا منسجما. فضحك إيهاب

وشدا وغرد كالطير وراح يداعب صبري بعبارات تشجعه وتقوي من عزيمته أثناء قيادته آلة الزمان والمكان، وحسن وكامل يستكملان دربهما وهما يتجهان صوب نخل الصعل، لما هل وحل بهما الجان العجيب وحملهما فوق جناحيه وعبر نهر السند ونهر النيل ولم يبتل، وكان صبري معهما يستمتع بالمناظر الطبيعية ويتناول قطوف الثمار والتمر اللذيذ، ونخلة الفتى رسمي تطرح البلح العملاق والتمر عظيم الحجم، وها هي التمرة الواحدة تشبع الرحلة برمتها، والفضاء الكوني يتقلب حولنا، ونادية أميرة القصر تستأنس بسندريلا وفاطمة ذات البساط وسلمى الوثيقة الخطى ذات الرداء الأخضر. — أما زلت أيها الرحالة تبحث عن فاطمة من وقت أن كنت معها تعتلان صفحة نهر الموت على متن القارب الصغير المتحول. — نعم يا نرجس، أيتها الفتاة الموجودة بكتاب عمر وأمل. وها هي صفحات الكتاب تتحول إلى واقع فتتطرق وتتحرك أحداثها ويتحدث ويخطر أشخاصها، والجميع يدلفون إلى ساحتها الخضراء الجميلة. فتنظر أمل وهي تتعجب حيث تقف فوق الكرسي المزركش وتقول لأبيها: — انظر أبي، أنا أكبر من عمر، وينتبه عمر وكأنه قد ولد للتو، ويضحك ويقول لأبيه: — أنا أكبر من أمل يا أبي، هي رحلة جميلة تجمعنا عند روضة حفني وفناء المدرسة، وفي الجنة ونعيمها وفي الحياة الدنيا، لا فواصل هنا تذكر أو توجد من الأساس بين الدنيا والآخرة ولا بين الأزمنة والأمكنة. فتنبسم نرجس وهي معجبة وتتعجب: — كنت أحس أننا سنتلاقى حتما ويحاسبنا والله ونحيا في الجنة والنعيم. فتقدم عبد الرحمن صوب الجميع وهو ينقل قبضتيه ويصعد ويتسلق فروع الأشجار وغصونها وسوقها، ثم ها هو يتقدم نحوي بسرعة كسرعة البرق فأصفه وأقول، وعني أنا فلست أعلم من أنا، أقول أنا الذي لا أعلم من أنا: — لم أدر إلا وهو مخيم علي حين كنت أرسم الموت وما كنت أسلم منه إن أصمت أو أتكلم ضاقت بي الأنفاس ووجدتني فجأة ودون إنذار أهرم ما اعتدت شيئا يردي عزيمتي لكن ذلك اليوم لي هازم عبير أحبتك رغم البعد والجوى إنني ما تفكرين به فاهم ضعيف فلا أقوى أن أكتب سطرا من الفنون أو أتعلم ولي أم هي أم الرحلة وإنها أم الجميع ولا بد تكرم والعالم الجليل في كل خطوة نرى المعضلة فيها يترنم فهو البلبل حين شدوه تارة وهو الكروان أخرى ويتمتع عبد الرحمن وصديقه الرحالة لا يزالان عند تلکم الشجرة منتجة كل أنواع الخضروات والفواكه والتفاح الذهبي والأمل والخير والحسن والنيق والسدر المخضود والطلح المنضود الآتي من الجنة وقطوف اللذة والمتعة، والكوش المعسول يغمرهما، وسفينة الآمال تبجر صوب جزيرة الأمل، يريان الفارس المثلث تبرا وهو يصارع التماسيح المتحولة في بحيرة التماسيح المظلمة المضيئة، وهما يصارعان كذا الوحوش ويتقدمان في الغابة ذات المغارات والدور القديمة والجان الخفي والظاهر والمعمل ذي الأفعى والحنش والثعبان، والحمار بجوار ابنه الجحش ومعهما الأم الأتان، وحسن لا يزال في المنطقة البعيدة القريبة وبرفقتة كامل الخجول وو هما يجلسان تحت ضوء القمر، حين كان الأخير يرسل بصيص أمل كي يتحسسا دربهما صوب حبيبة القلب ودرة الزمان عذبة عبد الواحد النواره والنسر أبعدية سيف الدين وهلال الإسلام، وهذا الجميل رفيقه يتغنى راسما لوحة من السعادة كي يهبها

حبيبته، وينظر إلى تفاصيلها المرسومة من وحي خياله وفن نبض قلبه ومشاعره وهو يقول: _ عبد الرحمن طال وقع الحنين نبع الأمان أيا حب السنين شمس الشموس يا نور الوداد كل الآمال يا همس الأئين ولقد سكنت في روعي وقلبي عظيم حبي من فيض وتين. همسات الرحالة ما سبقت، وقد قالها ولا يزال يقول في رحلة حاضرة بماضيها ومستقبلها، لا تتوقف على زمن بعينه، كل الأزمان هي. كان لا بد أن تأتي الشتاء طالما نحن أحياء، متى رأيتهما تخلف ميعادهما، وكان لابد للعمر أن يتقدم صوب القبر وعكس آمالنا، وبرغم جل هذا، أنال قسطا من الأمل والنعاس وبعض السنة، ثم ها أنا أنتبه فأجدك صديقي، وما أجملها هدية الزمان تلك، وجدتك رفيق العمر، وإنني طوال العمر أبحث عنك. سكنت مخيلتي وخيالي وقلبي وآمالي، وتكبر تلك الآمال كلما التقيت وجهك. فينظر أشرف إلى الرحالة ويقول: _ انتبه... أنا رفيقك أيضا؟! !! بيتسم الرحالة ويمسك أشرف من معصمه ويداعبه بعبارات وكلمات تضحكه وتضفي على نفسه سرورا، وينتبه لعينيه وينظر بهما، يرى البراعة تمثلت بابن البلد، ويأتي بألة الزمان والمكان، تلك المتحولة العجيبة، فتتحول إلى طائرة نفاثة، يطيرون على جناحها، وتختطفهم سرعتها، وترحب بهم الموجات العاملة بها، وهي الفكر التائه والأمل القريب، هي الحب والأمل والشوق والزهر والربيع، وهي المتحولة المتقلبة، تدنو مني أنا، ولست أدري من أنا، لربما أكون أما أنت أيها المؤلف المسكين، أختك وأمك وحبيبتيك، ألا ترون ذات الأنوار وهي بصحبة الفتى الذهبي ذي العقل النير والدرب المستقيم. وهو ذاته المفكر المبدع، تهمس روحه وتنشد مؤلفة، وتؤلف منشدة ذات الأنوار يا بدر البدور يا همس الحنين في قاع ودور في دنيا الحياة أهواك وإنني قد أبقى أهيم في ظلم ونور في كهف لديك ما أرجو وأبغي والعرش المدلى موفور القبور والروض البهيج كم طير يغني ما بين الورود أو فوق الزهور. تستمع لنظمه وهي سعيدة يعم كياتها الفرح ويحوي وجدانها الأمل، وتراه من حيث لا يراها، ترد عليه فيعرفها، ولم لا وفي صوتها المميز ترنم البلبل وغناء الغندليب... - أين أنت ذات الأنوار؟! - ها أنا ذا مصطفى، دقق النظر تراني. فيقول مصطفى وهو ينقل بصره فلا يرى شيئا: والله لا يراك سوى قلبي. فتبكي بكاء مكتوما ثم تعلن البكاء ذلك في أنين وتظهر له كالبدور بل أكثر جمالا، فيقول مصطفى: والله كانت تلك هينتك المرسومة في مخيلتي، كم أذوب هياما بك وعشقا. تضحك الجنية ذات الأنوار وتقول وضحكتها كهمس الطير وهطول غيث الخير: كنت أعلم أنك تتخيلني فتصدق مخيلتك ويقول الحق قلبك حين يرسم بشغافه صورة لي، إنما تشكلت أنا في صورة من تتخيلها. اندهش الفتى وتعجب وتلون وجهه بحمرة الخجل والصدمة، وقال وهو يصر على قوله: - وهل حدثي يكذب وخيالي قد شطح بي؟ فبادرته بالرد: بل أنت صادق، ولكني أريد أن أحيرك بعض الشيء على سبيل المداعبة. فتغير وجه الفتى رويدا وأشرقت قسماته، وها هي تحمله فوق جناحها وتحضنه بدفيء كيانها وطيبة قلبها وهي تردف وتستطرد: - أنا قوية جدا وأحكم عالمي وأسيطر عليه، لكنني حين أراك أستسلم وأرفع راية الود وأذوب في نهر الأمل والهيام. وكان مصطفى يستمتع لكلماتها ويرى قسماتها المضيئة وهو لا يقاوم سحرها، فقد

ملكته وجدانه، وهو يتقدم نحوها وإلى جواره سلمى، كل ذلك يحدث للتو عند روضة حفني، حيث الابن الضال لا يزال يهاجم الأخير عند بئر سلمى، وناعسة تطل كما الورود حين يعانقها نسيم الصباح وقطرت الندى، إن ذات الأنوار تكاد تنتيه مع إنها تلك الملكة المتوجة على عرش الجان والحاكمة دولتهم ومستعمراتهم، ينبض قلبها بالأمل والحنين رغم أنها تبدو قاسية شديدة الطباع حادة الفكر وسيدة القرار وأميرة الرحلة المدللة لدى أبيها الساحر الشرير، غير أنها لا تنتهج سلوكه ولا تسير على دربه، فقد غير مصطفى طباعها للين والرفق وها هي تقبل ذات لأنوار في ثوبها الذي لا يظهر ولا يتجلى، وهي الأخرى مختلفة عن العيون مستورة محجوبة... فيتقدم مصطفى باسم في خضم عالم أخروي غريب تسكنه هي من الجان السفلي والعلوي، تغرد كالطير وتشدو وتغني، كالفراشة ذات الوميض، ذلك لما تريد أن تظهر، وفي غير ذلك هي مختلفة محجوبة عن الأعين، ترحب بالفتى والجميع، وهي كالشمس في الدفيء وشدة الحرارة، وكالقمر والبدر في الوضوح وجمال الضوء حين يراها، وقد أحبته حبا جما ووجدته مرادا ومنالا لها، كم تحبه أن يتغزل بها ويصفها بعبارات جميلة وأوصاف حسنة، إنها ملكة الجن السفلي في طبقات الأرض، وها هي تمر طائفة في عالم الجان العلوي، عرشها يستوي فوق المياه الجوفية ومياه بحر يوسف في مشهد عظيم يعمه الابتهاج وتكتنفه السعادة، وعوني كما ترون مستمر في غوصه وسباحته صوب الأعماق، حيث الكهوف المائية والسراريب والمغارات المعمورة المأهولة بالجان والعماريات والأشباح، هنالك قبور مليئة بالذهب ونحن نستخرجها للتو، ومصطفى العقل المفكر والباحث عن الأمل ها نحن نراه أميرا بالفعل، فتى باسم الطرف جميل الطلعة غير طامع في شيء، يرسى قواعد العدل لا الضيم، يستخدم آلياته في الحفر والتنقيب بمساعدة مهندسين متخصصين، يسبح مع الأمواج وضدها، لا يدنو اليأس منه، بل إن الربيع الباسم يستأنس به، صبور حد الدهشة، هو عصفور جميل رشيق جاوز المدى تحليقه، وبلغت العنان آماله، يستوي على حافله ويركب صهوة الحلم ويعلو مجد الزمان، أمير وتلك الفتاة تحبه وتفضل البقاء معه طالما كان في الحياة نبض وأمل، يحار قلبي أن يكتب عنها وفكري يحار، ولا أخفيكم قولا أنها الورد والأزهار، تسير فيمشي معها قلبي ويحضن إحساسها ويستأنس بقلبها، ولم لا وهي النبض حين تضن علينا الحياة بنبضها ورقتها، وهي الجمال حين يخفت رنين الجمال وصوت الأحلام، نعم للحلم صوت جميل رنان، وله بالقلب والوجدان أثر لذيذ ممتع، وهي في كل ما تقدم الربيع وقت اشتداد الشتاء وعنفوان الخريف، غير أنني أراها أيضا الخريف وهو يحنو علي ويقول بأنه يترك الحبل قليلا وهو متدل خفيف الظل بعض الشيء، خريف تتساقط أوراقه كي تتجدد وتشعر بالحياة أكثر وإن تصور البعض أنها انتهت، أوراق تغذي الأرض من عطفها وخضرتها وأصالتها، وتشارك في ميلاد نبت جديد وإنشاء أمل بهيج. تستمع ناظرة إليه ولا تصدق نفسها ولا سمعها وبصرها، وتتساعل في دخيلة نفسها:- هل هذا هو؟! ثم تعلي صوتها وترفعه فيضحك هو قائلا:- ومن تقصدين؟! ترتسم على مبسمها ضحكة كالعصفورة الرشيفة وبسمة كورود الحديقة، وتمرح وتفرح وتركض

وشعرها المتهادي كشعر الخيل تغني له النسائم وتشدو حتى البهائم، ولا تعيبون تشبهي
وقولي، فالبهائم خلق الله، وهي من فرط إعجابها مع أنها ليست بعاقلة، تغني وتشدو معها
وترسم الأمل الجميل، وكل أملها نيل وجبة من النبت الأخضر المثل في الحقول يداعب
ذائقها وتذوقها، نعم، للأنعام والماشى ذائقة ها هنا في الرحلة، أقول القول والقول معيب
وألوم الناس وكلي عيوب وأطير بفرح على الأغصان وأستغفر ربي لعلي أتوب وأمشي بكبر
وإن التراب ينادي علي فما لي حبيب وأبكي طويلا وأطوي الدروب وليت تحس أنيني
الدروب وإن بات قلبي المعنى وحيدا تعانق نفسي المنى والخطوب وإني أقولها عند الصباح
وقد حاط ظلي الصفا والغروب بأني عشقت الحبيب وإني بذاك الحبيب أتيه أدوب. - كل هذا
لي؟! فتبسم رغم جراحه وقال:- نعم، لك روحي وعمرى. فانفجرت أساريرها ومضت تغني
والهودج الذي تسكنه يداعب المسير والهواء العليل، وقد أزاحت عنها الستار فتجلى وجهها
كبدر عانق ليلة الرابع عشر، بل أقل أمام حسننها وخجل وأصابه الكسوف وانزوى وهو
يتخبط في أفكاره، ولا يعلم له وجهة، فعقله وفكره يأخذانه في رحلة بلا حدود، يبحث عن
المعاني الجميلة السامية، وعن المال والثروة والجاه أيضا، يقتسم إياه كل شيء، يريد منه
جزءا، يحب تلك وهذه، ويعشق الربيع والربيع عاشقه، وسندريلا بجواره تخطر كما الضياء
المنتشرة بالأريج والنور، وهي تلك العفيفة الشريفة، التي لا تسلم قلبها وروحها ومشاعرها
سوى لمن تحل له ويحل لها، والربيع الباسم ها هو يغني ويمرح ويرمي نفسه في الجداول
وقلوب الناس، بل الأفئدة هي التي تبحث عنه... عمت صباحا أخي. سمعها منها هاوية على
قلبه كالصاعقة، متدلّية تعانق مشاعره كما تعانق الأفعى فريستها، راسمة على محياه وجلا
جمع العبوس من أقطار الأرض ومناحيها، ومللمة الخيبة من كل حذب وصوب، فتاه فكره
واضطرب وجدانه وأسلم نفسه لموت محقق، واستسلم مع من استسلم في نهر الأمل لليأس
التام، ورمى بذاته في أحضان المنية، حتى سمع صوت بهلول يشق الفضاء:- لا يستسلم
أحد، النصر على بعد شبه خطوات، شعرة تفصلنا عنه، كل ما تقدم تشرحه قسماته العابسة
ثم المقبلة على حياة لما لمح بعض بصيص الأمل يلعب في محيا الفتاة وعلى ثغرها الباسم،
وكانت هي بدورها قد أشفقت عليه، لما رأت الوجوم مرتسما فوق قسمات ذلك الأمير
والفارس النبيل، فأدركت الأمر، وعادت تقول من جديد:- مرحبا سندباد. وهو يسمعها هذه
المرة فيهتز قلبه لمجرد أنها ذكرت اسمه، كاد يغيب عن الوجدان، ألا ترون... فرد عليها
والنبض منه يدق على وتيرة تتسارع وتعدو بلحن مطرب، واللهفة تكاد تحلق وتطير به،
وهو ينظر للتو صوب عش طير جميل تطل منه الصغار، يحاولن التحليق، والأبوان يأتيا
لهما بطعام وحبوب وسنابل قمح... ثم يهمس قائل:- كم أتمنى أن يكون لي عش كهذا.
تبسمت سندريلا لما فهمت مقصده، وتمايلت مع النسائم دون قصد، فهي كما ترون عصفورة
شادية جميلة، ونادية أميرة القصر الطائر تطل عليهما من شرفتها المرصعة الجميلة
مبتسمة، وتبر وهي الفارس المثلّم تبسم هي الأخرى حين كانت بجوار نادبة وفتة وفاطمة،
واستقل الجميع البساط الطائر، وحك علاء الدين مصباحه ليغدو الجميع في حلم باسم بهي،

هذه روعة الروعة، من سوء فعالى مسني الذنب كم أخشى يصب من ربي الغضب من فرط حنيني لدروب الشر قد صب علي من ذنبي النصب اعوج طريقي عن درب الخير وسلكت سبيلا يملؤه العطب يا ليت أصلي وأقيم الفرض أو أوتي زكاة ويتساقط رطب لكني أجنبي شوكا من غصن ما كان يجاب للعاص طلب لا بركة عندي في مال حل بل حل وجاء لحياتي الكرب لو كنت أصلي لتساقط ذنبي أو كنت أزكي لتدلل عنب من فنن الحسن ورياض الأمل وليجري بحقلي النيل العذب في بحرك يوسف أمضيت حياتي وفي نخل النمر قد ظهر الأدب فكتبت هنالك والآن سيبدو ما إني أسطر وعلي العتب شعرا أكتبه نثرا أنظمه يعرفني العجم يؤنسني العرب ومضيئنا هنالك في نخل الصعل وبالنخل الكومي رواني الشرب مدرار حبيبي أنا من أعشقه أحمد قد ظهر هو ابن العم من لحمي يكون هو أو من دم مصطفى كالبدن في ليل تمام من دون حبيبي كم أحيا بغم أنا كلي عيوب جاوزت الحد من ذنب أفعل وكثير ذنبي أحيا بحياتي وكأني غريب والله كأني مثل المغترب لا أعلم كيف نظمي يعجبهم كوني من نظم هذا من عجبني أنا لست أديبا أو أكتب شعرا لكني حبيب وكم يعشق شعري هو ليس بشعر كم عابوا عليه من عابوا علي هم أهل العيب إحساسي سينظم ودموع القلب ما سبق ذكرت لأساس الصدق نبضي من صور وتجارب عمري وإليك أزف أشواق العمر إنني أحببت حسناء بروض كم منها يغار البدر وروض والقمر يغار ونسيم الصباح وزروع الحقل وغصون الشجر من بسمه فيها كل الإشراق من خفة ظل فيها تأتلق أتحدى بأنك مثلي تسطرها أفراح حياة يرسمها القدر أو ترسم حسنا ألقاه ببدر أو حتى يوافق أن تكتب بدر أو تصف الحسن إذ كان بليل ضوى أو يرسل آلاء الفجر وكيف أظهر أنني لا أحب المال وأنا البخيل به والممسك عليه، لا أنفقه في أوجهه، ولا أقوم بالزكاة والإنفاق في سبيل الله. وأدعي أنني ذو خلق وما أنا كذلك، أخلو إلى نفسي بذنوب وآثام، بنس المرء أنا. يظل يلوم نفسه ويعيبها على إكثارها من الذنب وشحها وبخلها، وانغماسها في الذنوب والملاذات من حب الأفعال المحرمة وعدم ضبط النفس، به كل العيوب، وبه مميزات أيضا وصفات حميدة، هو الشيء ونقيضه وعكسه وضده هو الخير والشر ؟؟؟!! - لم تعيب نفسك أيها الرحالة ؟! - وهل أنا فقط الذي يدعى الرحالة، سندباد رحالة ومحمد وأمل وفتة وتبر ومحمود وقبطان وأنت وهو وهي وكل الناس، حتى الطيور والأسماك والدواب والمواشي والكائنات برمتها هي رحالة. فتعجب بهلول من قوله وعلامات الدهشة ها هي تظهر جلية وتتضح كما الشمس في كبد السماء على قسماته، رحالة متشكل متلون يحار له الفكر، ويحبه الوجدان ويفضله القلب، ثم إن التماسيح تشق المشهد والملثم يحاربها في بحيرتها الملتهبة، ملتهبة بالأحداث وموجة بنيران الشمس المتوقدة المنصبة عليها، لا بد للفارس الملثم أن يستعين بمدد من الناس كي يواجه الأحياء المائية المرعبة، ويساعده الرحالة وهو يقول في ذات الوقت الآن: - لا أنكر أنني أحب الذهب وقلبي وعقلي إليه ذهباً وكنت أقول لا المال يشغلني لكن الله من أعطى ووهب لا بد ما أظهر يتسم بالصدق فيساوي ما أبطن وأتمناه حقبا كم أحلم برغد للعيش أملكه وكم أسعى للمال حثيثا وطلبا، يسير الرحالة بالحقول والبساتين، والطيور حوله

مغردة شادية، والنسائم معطرة بالزهور والأريج ورائحة الورد، تعبق الأكاليل الشذى
والحسن، والربيع يتنسم الجمال ويوحى بأمل حل للتوليزين الحياة والكون بمشهد تروق
وترق له القلوب، والمساء يقبل وهو محمل بالسعادة الأبدية، وتطل جنة الخلد بثمارها
وغصونها المثقلة بالنتاج الجميل، والتمر طعمنا، حيث نمر أيضا ومعنا الرحالة والكائنات
في جنة نخل الصعل الذي تشقه الجداول العذبة الآتية من نبعها المدرار بحر ونهر ومحيط
يوسف، ونهر النيل يطل علينا ونطل عليه، فيمتع أرواحنا، ونستخرج الكنوز من سراديب
وكهوف ومغارات عذبة عبد الواحد النورة والنسر، ومدرار المياه وظلمة الشاب تامر لا
تزال تسقي الأنفس والزرور والحقول، وأبو قردان ينقي الدود ويتبادل الحديث مع الفلاح
وعقلة الإصبع، وأم الرحلة تشد الأناشيد الجميلة، و"أبو العنز طائر اللقلق" يتحدث مع
"الهدد" وينضم للمجموعة الباحثة عن العشب الطبي النادر، والحوث تلتئم جراحه وهو
يداعب أنور مازحا بعدما شفي، ويدعوه بأن يمتطي صهوته ومنتته الهائل الاتساع، فيتحول
لأشكال وهينات، حيث أن الآن آلة الزمان والمكان، وينزل الله الغيث، ويظهر الشاي عبد
العال عند شجرته المثمرة المورقة، وجه مضيء مشرق وحوله أبنائه في جمال وبركة
يظهرون، وبينهم محمد الباسم جميل الوجه وخلف الشاب الهادي، وخليل يعبر الدرب ويلقي
السلام، وكذا يفعل فهمي ومحسن ووهيدي وعبد العال وعبد المتعال، حيث الأخير متمرس
في فن تربية وقيادة الخيل، يجعل الأمل مطيته والجمال صهوته، يدبر الأمر الله ويقضيه يا
أبتاه كم بعد قوم عنه وقد أضلوا وتاهوا سبحان من سوانا جل الذي بعلاه تقدست أسماء له
فتم رضاه هو ربنا المعبود فلا إله سواه، أستصعب الآمال حتى ينال مناه قلبي ويبقى سعيدا
حلمي البعيد أراه في الواقع الملموس فرحا به ألقاه، الخجل بي والكسوف يمنعني وأنا
الملهوف من نيل حقي وزادي وذلك بي معروف ودون ذلك لكانت تونس وحدتي الدفوف
ونفسي التي تسكنني يمنع عنها الرغيف والله لو تعلمون إنني الفتى الشريف بالرحلة كل
الجمال والجواهر بها نظيف كالظاهر يبقى تماما والباطن حلور عوف، أنسلق الصخر ولا
أهزم وقلبي ينن وينطق الفم فيقول: هلم إلى غايتي أنا من حاربت فلا أندم قد حل الصعب
ومني دنا فلقيت الويل به أقسم ولمحت على غصن للندى كروانا يشدو ويترنم وتولد فني إذا
أقبلت أضواء البدر بها الأنجم تتراءى وتلمع في بهجة وحبيبي الطرف به ساهم قد طال
حنيني لمن غادر إنه من غادر لي ملهم، كم طال ليلي البعاد وأرقني فيه السهاد أضناني
طيف الأنين من وقعه هب الرقاد وملكني سحر الأنين وصديقي في الدنيا عماد قل ماذا جنيت
فألقى من شوقي إليه العناد قد طال ليلي وزاد في ليل الربا الإنشاد، يكاد يصيبي الجنون أو
حتما أنا المجنون من دنيا وفيها أتية تملكني فيها الظنون يأسرني منها جمال تسحرني فيها
عيون قل عشقا أنا الولهان أو حقا أنا المفتون والموت الذي أخشاه لا أعلم متى يكون، لن
أرضخ أبدا وأستسلم أنا عبد الله أنا المسلم أنا من سافرت بنهر المنى في كل رجيم من أضرم
نيران العدل لكي أحرق شيطان النفس وكم أرجم لاقيت الويل فلا مهرب من موت جاء لمن
يحكم والعدل سبيلي وإنني به قاض بالحق فلا أظلم، تبلغ السعادة مني مداها والأمل يغني

على ذكرها حيث تخبو هي والقلب جريح والقلب تالله كم ناداها للنيل نهر هو الآمال وهيئات
البشر من سواها إله الكون هو الرحمن ونرسو جميعا في مرساها، أرى الحوت في الأعماق
والجمال في عينيه باق وأفيات من تنقذ عوني وعوني هو سحر الوفاق أنور هلم قد طال
البعد متى يأتي طيف التلاق ظللنا نسبح في بحر يوسف فلا يعرف كلنا خبث النفاق الساحرة
العجوز كلما مر الوقت بنا تبدو في انتلاق وعوني الجميل من يصبر كثيرا ويفوز بالجنة ذات
الأراك وينشد الفتى من حسن نظم ويمر القوم بفناء الرواق، يقول عوني وهو مستمر في
الغوص:- نعمة جميلة من الله أن أشارك في المشهد وأنا أغوص في الأعماق والعجوز
تطاردني وتنوي قتلي. - لا تقلق يا عوني، أنا أطاردها بالدبرك الخشبي ولن أتركها. - نعم
أفيات، وهذا ظني بك فناتي الجميلة. هذا ولا يزال عوني كما ترون ينحدر صوب الأعماق
الملينة بالكائنات الفتاكة، عوالم عجيبة مرعبة ها هي تتضح، يزداد ضغط المياه علينا وتظلم
الأعماق أكثر، والحوت في الأسفل يدافع عن الرحلة حيث يمتطي صهوته أنور الجميل
المغامر، والذي يصعد رويدا رويدا صوب عوني ويصعد الحوت به أو من غيره أيضا،
يحاول كل منهما إنقاذ عوني المغلوب على أمره... - ها أنا ذا يا عوني ومعني الحوت
المقاتل، سوف نطارد ذات البيضة البلورية والعصا والشال. فتطلق العجوز صرخة عميقة
هائلة، تخرق حجب الماء وتصعد مدوية صوب السطح الثائر عند نقطة رؤية بحر يوسف،
فينتبه الجميع، وهنا تتحول السفينة العملاقة إلى غواصة وطوربيد هائل يشق المياه شقا،
ويتجه الجميع صوب النقطة الثائرة، وتقلب دوامة بحر يوسف الأمواج وتحدث الرعب
والبراكين والزلازل والطوفان، ويتقلب الحال في داخل المشهد جامعا الأماكن والأزمنة، حيث
يظهر كما ترون الفتى يانع الشباب والنصرة " قبطان"، وهو يقود السفينة العملاقة حيث
آلة الزمان والمكان بالرحلة بلا حدود قد تحولت إلى هيئتها، شاب معتدل القوام قوي البنية
رقيق الملامح مبتسم الوجه ونقي السريرة، وقد ارتسمت على مبسمه علامات الرضا، يقود
السفينة بإذن من القائد العام المخضرم قائد آلة الزمان والمكان صبري الطيار الطائر، أمير
الرحلة وموجه عجلة قيادتها في تحولاتها اللانهائية، وتظهر أم الرحلة في وقارها وهندامها
الفضفاض، وهي تبسم للحياة وتدفع الأمل صوب الكائنات وتوجه وتشارك الرأي
والمشورة، وفي الناحية المقابلة وفي جهة من السفينة حاملة المون والعتاد والأراضي
والحدائق تظهر الغادة الحسنة وهي جالسة على مقعد مزركش طائر يحلق صوب نادية
أميرة القصر والمحبوسة فيه بواسطة الساحر الشرير والعجوز الساحرة ريما وكذلك السيدة
العجوز صاحبة البلورة الذهبية والبيضة السحرية والعصا العجيبة المتحولة والشال، وفي
المقابل يلعب الأطفال في جدول بستان ممدوح ونهر روضة ممدود عند البحر اليوسفي نهر
النيل والجدول العذب والمصرف الرقيق الجميل العذب أيضا والمحيط والبحر، وكل ما تقدم
هو بحر ونهر ومحيط و جدول يوسف، فبحر يوسف هو وجه من أوجه الرحلة اللانهائية،
أنت بطل عظيم بالفعل. - أنت يا سندباد البطل. فتبسمت سندريلا وهي تقول: كلا كما بطل
ومغوار. فضحكا بدورهما، وكان الرحالة يقدم الغير على نفسه، وسندباد يعلم قدره، وعقله

الإصبع ينتقل بين كف ذات الرداء الأخضر والغصن القريب في الحديقة المورقة. — نحن في الجنة لا ريب. — نعم يا أبا فصادة، نحن بها بالفعل، ألا ترى الكوثر وماءه الجميل، وهذا هو سيدنا محمد نشرب من يده الكريمة الطاهرة. كادت سندريلا يغشى عليها من الفرحة ونحن نتنقل بين الدنيا والآخرة والبعث والنشور والحياة والموت، نعم أقسم بالله أنني بطل من بعد اليأس يأتيني الأمل ومن سماتي إذا التقيت أي شخص والمرء الخجل وأزود عنها في كل حين نعم بلادي واليوم أصل إلى مرادي وأظل حيناً هدفي أحقق وكلي أمل أمسك حسامي لدى يميني ما يعتريني في الدرب كسل أظل أعدو على الطريق نهجي الجمال ودليلي مثل ولما التقيت طيف الجميلة كياني يملأ في الحين غزل وأراها تبدو رشا الغريبة في حقل قطن ويطل صعل والصعل نخل والجنان فيه وقد زان حقلاً للتو بصل ولي صديقي منذ الطفولة شهد وورد زهر وعسل. يرى الرحالة نفسه بطلاً وهو والله كذلك، يخوض غمار الحروب، لا يكل ولا يمل، يقوم بعمل فتوحات إسلامية عدة ويسقط عرش الظالم، ويعدو في الغابة مطارداً الوحوش، ثم يطير على ضفاف نهر النيل والبحر الأحمر والبحر الميت، ويغوص في المحيط الهادئ والأطلنطي والأطلسي، ويتعمق في الكهوف متجولاً، ويزور أهل الكهف، بل هو فرد منهم، والكلب يتقلب ذات اليمين وذات الشمال وهم في فجوة من الكهف، ويصرع الجان ويتحداهم بالقرآن فيحرقهم ثم يعودون بعد تركه الذكر والتلاوة والانشغال بالدنيا، والجنان يقطعونه إرباً على حواف السلم المصنوع من الطوب اللبن، والغفاريات يطلون عليه من فتحات النوافذ ومن حظيرة المواشي والبهايم وجرن القمح والمحاصيل الزراعية، حيث الجرن مليء بالأشباح والغفاريات والجنان، وهم يحيطون به الآن في الظلام كما ترون تتراءى لي أشباح قد كادوا لي وناحوا وظلام بي قد حل ويبين هناك وشاح والذهب تجلى بكنز بالمنى ترقص أفراح أصبحت اليوم ثريا أرسلني للهاوية سوء الفهم وأوقعني في الموت بألف سهم ليتني أتبين قبل الحكم وإنه لإجرام كل حكم يسبق التأكد من الأشياء وإنه حقاً جل ضيم ظلمت الحبيب دونما أدري وظننت المحيط ضئيل يم والقارب غاص بنهر موت وخسرت الناس ببعض ذم ما يقرب مني النعاس ولست يرديني الحين تأثير السم وصبري الطيار رقيق نفس طيب القلب خفيف الدم. هنا ضحك الطيار الطائر صبري وتبسم، وتراقص وهو يطارد الفراشة مداعبا إياها، والفراشة تداعبه، ومحمود الفتى الباسم يضحك ويلعب، وفتحي يعني ويغرد وينادي: صبري ماذا.. صبري ماذا؟! ويرد صبري: صبري الطيار الطائر، هو واحد فقط. وهكذا هم أسرة جميلة تعمل في جد واجتهاد، والرحلة تظهر آلتها الزمنية والمكانية، وهي تستكشف المواقع والأحداث، وتنقب وتبحث في غمرة الأزمان والأماكن، تجلب الماضي والمستقبل لتضعهما في بوتقة الحاضر وزمنه، أي في وقتنا هذا، هذا بالتحديد الآن الآن، والبلبل يشدو ويغرد ويترنم هو والكروان، يفعل هذا وهو فرحان ولهان ساهر، لا يزعه ظلام الليل، بل هو بلبل مضىء يبرق بالأمل والحنين، قنديل متوهج وسراج بديع عذب يومض بالأمل، حتى تظهر الأم في صفحة الرحلة بلا حدود وآلتها الزمانية والمكانية، والمعروف أنه لا تضاهي طيبة الأم طيبة ولا يضاهي حنانها حنان، إنها

بمثابة الرحمة من الرحمن الرحيم أنقب يهبها للعبد. قال ما سبق ويقول رحالة هو رسول، حيث الأم تعمل وتجتهد وتضحى ونحن حتى في ساحة القتال نجابه العدو ونكسر شوكرته، وهو يحاول التوغل والتقدم في كبد الأمة وقلبها، عنوة يريد الاحتلال أن يستولي على مقدرات الرحلة والكائنات، لكننا نقوم بتصنيع أسلحة من الإرادة والإيمان، وكذلك من الأدوات البسيطة والمعدات البدائية والمواد الخام الطبيعية والبتروول وأشياء أخرى، والساحر الطيب يساعدنا والرحالة يقول:- عن الذهب وأبحث أنا في المجال مؤسس يظهر أنني استغنيت لكني به أعبت أنام وأصحو وأحلم فإذا وجدته أرقص قد قالوا عني زاهدا وأنا خلفه ألهث وقالوا الأخلاق زينتي وإنني الراقص والله كلي ذنوب والصلاة لي منقذ الآن إنني أصلي ولربي أنا أهمس ففعل يقبل توبتي وثوب الرضا ألبس صبري معي الطيار وشعبان يستأنس بكلينا لو ما مضى وفي حقلنا ينهس. - مرتبة كلماتك أو هي تميل إلى فن الشعر. - شكرا من قلبي صبري، هذه موهبة أعطاني إياها الله رب العالمين، أحمده جل وعلا عليها. وهنا يضحك شعبان ويطلق الأبواب والنوافذ والحديد كنوع من الدعاية المثيرة للغضب حيناً وللمرح حيناً آخر، ويمر ضاحك الوجه مرحاً، ساكن هادئ لا تشغله الحياة، مرح حلو الروح، كأنه الفراشة حين تصف جناحيها على أثير الأمل ونسائم الربيع الحانية، وإنه والله للخريف يحاول حفظ الاتزان ما بين الصيف والربيع من جهة، والشتاء وقسوتها من جهة أخرى، وهو بين الفينة والفينة يعبر من أماننا محملاً بشتى أنواع الأسلحة والمؤن الذخائر، يدافع بها عن مقدرات الرحلة، ويفني حياته دفاعاً عن عرض الوطن وبراعة الأطفال من أن تغتصب، وعفة النساء من أن تهان وتجرح، وكرامة الرجال من أن يداس لها على طرف أو تكسر إرادتها، مع المجاهدين في كل تحرك وخطة، يحارب ويشارك ويضحى بنفسه، حتى إذا نظرت إليه وكنت لا تعرفه، قلت أن هذا رجل على هامش الحياة لا دور له. فتبسم العالم الجليل من قول حكيم الرحلة الرحالة، وفاضت عيونه من دمع مدرار، وأطل النيل علينا بموجه الهادر المتدفق، وهو ذاته بحر يوسف في عزبة عبد الواحد النورة والنسر، حتى عاب ذلك الرحالة الجميل وانتقده، والرحالة بدوره يرد عليه ولا يرد، ويصده عن المغالاة في قوله ولا يصد:- صمتي عن جرحك لي ليس ضعفاً مني، وقولك البذيء هو خسة منك ونقص، اعلم بأنني كان بمقدوري أن أرد لك الصاع صاعين، وبمقدوري الآن، والآن بالتحديد، لكن قل عن سبب ردي عليك ما نقل، وليقل القائلون كذلك، لكن لصمتي أسباب كثيرة، لا ترقى أنت لمعرفة، في ساحة المعركة سأريك الرد عملياً وليس بالكلام، أخلاقي وتربيتي ونشأتي ومن قبلهم الدين والعرف، ومن قبل كل هذا خشيتي من الله، كل ما تقدم كانت حواجز تنزهنني عن الخطأ والانجراف خلف الأخلاق البذينة الدينية الفاجرة، ستعلم غداً وربما للتو مدى صعوبة وقسوة رد إنسان مجروح ومهموم. كان المذنب وها هو يستمع وينصت ويتحسر أن كيف فعل هذا بالرحالة طيب القلب قوي الإرادة مغوار الرحلة وغضنفرها الأسود، بل إنه فاق الغضنفر والأسد والوحش في الجرأة وعدم التقهقر في ساحة القتال. - سامحني أيها الرحالة الجميل، لقد قمت باستغلال سلطتي في أعمال القهر والتعذيب

والتنكيل، وما أنت ومثيلك إلا أحسن منا، بل على النقيض، أنتم أقوياء ونحن ضعفاء، نحن
نؤسس للشر ونؤيده ونعطي صرحه، وأنتم تؤسسون للحق والعدل والفضيلة والقيم السامية.
— عفوا أخي، لا تحمل نفسك فوق طاقتها، لك ما تشاء في حدود المتاح والشرعي
والأخلاقي، وكل ما يرتبط بالقيم والمبادئ والقواعد والضوابط، وطالما ما تقترحونه في
حدود الشرع والدين والأعراف المتداولة، وتتحول الرحلة منقبة باحثة غائصة خاطرة
مدورة وعائدة للوراء ومستكشفة للمستقبل وجامعة كل الأحداث في زمننا هذا الحاضر الذي
نحياه للتو، والرحالة وعبد الرحمن وبهلول في مشهدنا الحاضر المجموع من مفترق
الأزمنة والعصر، في طريقهم إلى المزرعة حيث الآلام والآمال، والسائق رأفت ينتظره
الجميع، واليوم هو لم يأت، سعداء نحن أن الله سيرحمنا من بطش رؤساء العمل، نعود
أدراجنا على شاطئ المصرف العذب، الطيور تغرد وتغني كأنها فرحة لفرحنا، والعنادل
تشدو. دفى الشمس يحتضننا والطبيعة باسمة والشجر تداعبه النسائم. نود أن لا ينتهي
الدرب بنا حيث عزبة عبد الواحد النوارة والنسر، سنلقى توبيخا من أهلنا على الرغم من
أن لا يد لنا في القدر، لكن حاجة الأسرة تدفع أبنائها وبناتها إلى تلك المنطقة الموحشة،
وبالرغم من أن المزرعة ذات خضرة وبها البساتين والزروع والثمار، إلا أن العاملين بها
قلوبهم فظة غليظة، أسير أنا معهم ولا تسلمي من أنا، لأنني لست أدري من أنا، وربما أكون
أنا أنا، أسير معهم سعيدا تكاد الأرض لا تقوى على حملي، كلي ثقة وتفاول، أخيرا جاء
اليوم الذي أفر فيه ورفاقي من المنية، ففي المزرعة الوزارة. الجحيم ذاته، محروس
وحسن وعبد السميع وعاطف وشحاتة، والله هم يعذبوننا، حتى القرموط السحري في
الجدول العذب الغريب هنالك لم يسلم من بطشهم، يضربوننا بالعصي والكرابيج والسياط،
ويشتموننا ويهينوننا ويسبوننا بأقبح وأفجر العبارات والكلمات، ونرد عليهم بكيل من
الشتائم وإلقاء الحجارة والطوب، ويصل الأمر أننا نضربهم وموجعهم بمهارة الصغار
والأطفال، نرد الصاع صاعين ولا نترك حقنا، والزمن يزحف نحوي، فلا أدري يا عبد
الرحمن هل أنا في الماضي أم الحاضر أم المستقبل، لكننا نعود لعهد الصبا والشباب
والطفولة، وكلما اقترب الكبر منا واشتعل الرأس شيبا، عدنا شبابا وأطفالا، كلنا نشاط
وحيوية. — نعم أيها الرحالة حبيبي، المهم والأهم أننا نعود أدراجنا صوب العزبة الأم، حيث
آلة الزمان والمكان. كان الرحالة يستمع إليه وهو ينقل خطواته ببطيء آملا أن لا ينتهي به
الطريق ليلاقي الويل من توبيخ ولوم، لكنه قدر الله الذي كتب عليهم العودة دون عمل هذا
اليوم، ولكن الرحالة لم يشأ أن يعود صوب البلد الجميل، لكن يذهب للتو مع عبد الرحمن
والصبية والصبيات كي يلتقطون القطن الذي تفتح من اللوزة في العيدان الجافة المحصودة
من نبات القطن طويل التيلة، والعم الشلقامي وابنه حسن ينتظران ما تجود به يد القدر
ويشأ به رب العالمين من قطن ذهبي أبيض وخير مجموع على أيدي الصبية والصبيات من
ذلك الذهب الأبيض، هجم الجميع على الحقول وزرعها المحصود، لكن الجبار صاحب الحقل
يظهر للتو وكان مختفيا، فيمسك بالرحالة ويوسعه ضربا ولدغا كما الأفعى الشريرة الجنية،

فألدغه كما لدغني وأقاوم مع أنني أكاد أموت من ضرباته الخبيثة، أقطعه إربا وأكل من لحمه، أفترسه وأمضغه وأشبع منه أو لا أشبع، أريد التهام كل شرير ظالم في هذا الزمن الجبار، وإني أعيب الزمن فسامحني يا الله، أقصد فقط الظالمين والمجرمين وقاطعي الطريق، والأفعى الأخرى تسير خلف الجوهرة مهتدية بضوئها وومضاتها، يحاول الرحالة مبادلتها الضرب والطعن، لكن الرجل كان قويا، فقهرت قوته وأوقعته أرضا وشرعت أعض وأقضم وهو يصرخ، ثم ضربته بالعصا فسالت دماؤه فشربت منها ولم أرتو، هكذا أعامل المجرمين، وإني للأسد حين أصارهم فاقتلهم، وكما ترون الآن فأنا أبدهم وأسحقهم وأمحو أسماءهم وكيانهم، وها هو كما ترون وقد جمعت حدثه آلة الزمان والمكان، وهو تابع للسيدة الساحرة الشريرة الماكثة في منتصف الطريق بين النخل الكومي ونخل الصعل، لا يزال الرجل العملاق صاحب الحقل يطعن ويلدغ ويقرض الرحالة ويلكمه ويركله، لكن الرحالة ركله بقدمه فأبعده قليلا، ثم انهال عليه ضربا والرجل لا يصدق ما يحدث له، طفل صغير في كل تلك القوة والجبروت، وكان منذ قليل قد حدث شيء، وهو أن الصبية والصبيات والأطفال قد تركوا الرحالة خوفا، وعبروا الجسر المصنوع من جذوع النخل إلى الجانب الآخر، وهم يشاهدون الآن الصراع الدائر بين الرحالة والفلاح المجرم ذاك، فلما رأوا الرحالة قد تغلب على الوحش وكسر إرادته وحطم عزمته تشجعوا وشحنوا بشحنة الأمل والإيجابية وهولوا راكضين لتخليص رفيقهم، أو بالأحرى القتال إلى جانبه، حيث يجتمع أهل الشر والفسق والفجور والإقطاعيون والمجرمون، كل ذلك لم تكن له إرادتنا ولم تخضع، وتتحول الآلة عن المشهد دونما تخليه حتى قيد أنملة، وذلك مثلما المجهر حين يتحول ليكشف ما رصده وما يرصده للتو، والرحالة يصف ويصور متعة التواصل مع رفيق عمره عبد الرحمن فيقول: - عبد الرحمن في صحبتك الزهر يعبق العطر وما أجمل العطر إني معك في بحر يوسف وليت كل الدنيا معنا بحر نمشي سويا والأمانى تحفنا والدنا والآمال والدهر صديق العمر معك في جنة لو كنت رفيقي يظلنا الشجر كم توجهنا صوب كل خميلة وكل خميلة لو وصلناها سحر أمضي عمري معك دونما أمل يوما أو يصيبني ضجر في الفجر نصحو كي نجمع التمر وفي أحضان الطبيعة يجمعنا السمر رفيق عمري كم تهت بالحياة وأنت بعيد عني وأغرقني المطر مطر سوء جاء فما لقيت فرحتي إلا والغيث ينزل ويطل النهر نحن في الجمال نحيا وكل نبضة من قلبك تصلني يرسلها الفجر لسنا نحيا الذكريات بل نحن بها والذكريات واقع وما تستتر وآلة الزمان كلما سرنا معا هي آلة مكان به البئر بحثنا عن الكنز وقد كنا معا فبان بالكنز حين وجدناه التبر ها نحن نسير عند كل روضة والبستان حولنا لنا قدر ورأينا حمادة والأفعى تدس له سمها الملعون ومنها الغدر يطل علينا من عيون ومقلة وترأف بنا على حالنا مصر وعند نخل الصعل قد أطلت رشا والعجوز في المنتصف يصافحها البئر وتقول زمزم ثم زمزم فنزداد المياه ويظهر الأثر وأنور يعبر عند تلك السيدة صراطا قد تبين وأظهره العصر وتقول أنور يا بني أنت ابني ألا تعرفني ومنها الشرر يتقد عليه وهي ليست بأمه بل العجوز ريماء ومعها المهر يخطبها الساحر كيما تضحي زوجها

والساحر طبعه الغدر بين تلك وهذا يحار أنور وعبد الرحمن يحذره وشيمته الحذر. وهكذا تنساب الكلمات في صورة حكاية تحدث للتو وقد جلبت وتجلب من كل العصور لتتلاقى جميعها في رحلة ممتعة، وفي صحبة عبد الرحمن يلقي الرحالة الهناء والأنس وكذا الفتى الباسم المغوار أنور، ويحس بالصدقة الحقيقية دونما المصلحة والفائدة الدنيوية الدنيئة، يخطران على شاطئ بحر يوسف كما ترون، والبحر يتحول بدوره إلى نهر وغدير وجدول، إذن هو للتو آلة زمان ومكان، ثم يضحى البحر كذلك محيطا وبرزخا وحقلا وبستانا، ثم يعود بحرا ليرى الفتى جميلا وهو يغرق الرحالة عن غير قصد، وإلى الشاب رسمي وهو يغوص في المياه في أصل البرد والصقيع، قدرات خارقة له، وتعامل بذكاء مع السلطات المتسلطة على العزبة الثائرة، عزبة عبد الواحد حبيبة وأميرة القلب، ظل الرحالة وعبد الرحمن يمشون ويسبحون صوب القارب الصغير المقل لفتاتي أحلامهما، وعبد الرحمن بساعديه المفتولين يجدف ويشق المياه بصبر وحكمة، شاب ترى في عينيه البسمة فتعشق الحياة وتعشق الأخرى...تقدم صديقي الرحالة، ها هما المجدافان يناديان عليك. يضحك الرحالة ويمسك بيد رفيقه عبد الرحمن الجميل ويدفعه دفع مداعبة الرفاق لبعضهما البعض، ويقول مبادلا إياه البسمة بضحكة من القلب. فيتسلم عبد الرحمن المجدافين ويجدف بهما، ثم يريا جلال الدين وعماد الدين وصلاح الدين وحسن والقائد الصغير والهدد والعالم الجليل وشيخ الرحلة والفارس المثلث وملكة النحل والكائنات كلها، يرحب الفتى بالجميع وكذلك يرحب الرحالة بكل من يراه، وفي قارب آخر تظهر فتاتان جميلتان، يغار منهما البدر للتو، هما قمران وبدران وزهرتان وغصنان وفننان، هما الأمل والحياة وزهر الربيع وورد البساتين وهما النرجس والياسمين، والفتاتان تجدفان في قارب آخر يتحول إلى غواصة وتوربید وسفينة فضائية وبساط سحري على شاكلة بساط فاطمة، وتتحول آلة الزمان والمكان لتصبح نفسا بشرية لروح الرحلة، لما تقول تلك الروح للتو. انظروا إليها:- يتم القبض علي، كما ترون فانا لص خطير حيرت العدالة، وأي عدالة تلك التي تظلمني ولا تهبني حقي بل وتمنعني عن نيل حقوقي المشروعة جلها، اخل إلى نفسك واسألها: هل هذا لص سارق، أم هم السارقون الطماعون، أنا في شريعتهم وحكمهم لص داهية استطاع سرقة كحل العين دونما العين تدري، أولا يحق لي أنا أعيش وأحيا في كرامة؟! هل كتب علي العذاب من قبلكم، أنا راض بحكم الله، لكن الله منتقم ممن تسبب في أذى لغيره وألحق به الضرر. كانت الأفكار تتوالى وتتواتر على مخيلة الرحالة، فيكتبها وينظمها وو هي ليست بأفكار فحسب، بل هي واقع وخيال، والواقع ها هنا ساوى الخيال: ساوى الخيال واقع وليس في حبك مانع نح ظلمك جانبا فانا عن حقي مدافع والله الحكم العدل العمل إليه يرفع قوي أنا بالرغم طرفي بكى ويدمع ودموعي مصدر قوة والنجم فوق ساطع والبدر يؤنس وحدتي وللظالم لا أخضع. وهي تستمع إليه مذهولة من قوة حجته وترتيب أفكاره وكلماته ووصفه الواقع والخيال، تحبه بل تعشقه وتتمنى الارتباط به، حل أبو فصادة بصحبة أبي قردان والهدد، ومعهم العشب الأخضر شافي الأمراض بأمر الله، وبهلول يطير فوق النهر ثم

يغوص به ومعه الرحالة الجميل، ومعهما الشاب جميل وهو يدفع الطفل للغوص في الأعماق، لكن ليس بنية إغراقه، والطفل يتحول إلى شاب قوي يصارع الأمواج ويسبح بصحبة سندريلا البحار والأنهار، مشاهد تحدث وتتحول من تلقاء نفسها، فألة الزمان والمكان للتو هي المفاجأة، والمفاجأة لا تخبرنا بما تعمل وتتوي، حيث يقول البطل المغامر رو عملاق الرحلة: لم تحكنا أيها الساحر الشرير وتفرض هيمنتك وسيطرتك على العالم بأسره، سأواجهك بيدي فقط وأنا أعزل وسأغلبك، سوف أجر إليك العار لأنك أهله، وأمنحك الهزيمة وألصق بك النكبة والخزي والعار لأن كل ذلك هو أنت لا ريب، كان الساحر الشرير يستمتع مذهولا من هول ما يرى وفظاعة ما يشاهد،،واني أرى العرائس الذهبية والكنوز والتمائيل المصنوعة من المرمر والبازلت، والجان يظهرون في التوابيت ويملكون أمرها، جان حارس لا يترك تابوته ومقبرته، كلف منذ الأزل بحماية الملك من السرقة بعد تحنيطه، وها هي سراديب ومغارات وكهوف وأنفاق وعوالم خفية وجلية، من يدخل معي إلى هذا العالم لا بد أن ينزع الخوف من قلبه وينحيه ويضبط نفسه ويتحصن بالقرآن الكريم، لأن هذا هول ما بعده هول في الدنيا، فما بالكم بأهوال يوم القيامة والبعث والنشور، وها نحن نبعث وننشر وننبت من الأرض في مرقدنا وجدثنا، تلم رفات المحروق والغريق والمقتول والمتناثر جسده، ينفخ في الصور فيصعق الجميع، وملك الموت يؤمر من قبل الله أن انزع روحك، ما بقيت إلا أنت، والباقي الدائم هو الله، وما عبد السميع ورفاقه إلا بشر جان وجان بشر، يتحولون بين هذا وذاك، بيدهم جميع الأسلحة الفتاكة وقوى السحر ومعشر السحرة والجان والأشباح والعفاريت، يوسعوننا ضربا وسبا، فلا حول لنا ولا قوة للرد ورد الردع، لم تضربونا أيها العم عبد السميع ١؟ فيستشيط غضبا ويمسك بعصاه ويلوح بها عاليا ويسقطها فوق رأس الرحالة، فيغمى على الأخير. ثم تقبل تبر وهي ذاتها كما تعلمون الفارس المثلث، تضع اللثام على وجهها، وهي لا تزال تدير الطمبورة رافعة المياه ن المصرف العذب، ترد كيد عبد السميع، وتقاتل التماسيح في بحيرة الرعب التابعة للساحر الشرير، وتقابل الفارس المثلث كائنات مائية غريبة وعملقة، فتدنو منه حاملة الطائرات والمعدات الحربية، وقصر أميرة القصر نادية يحلق فوق صفحة المياه، ويقترب موكب ملكة النحل وعيلة الجميلة في هودجها ويجره من اللجام عنتره، أحداث متداخلة نفهمها ونعيشها ونحياها في متعة تامة، نستغفر الله العظيم ونحمده، فالاستغفار رزق مكتوب وكله بركة متناهية، يطعنوننا ويضعون أظافرهم في أجسادنا، نقاوم نحن بإلقاء الطوب والحجارة، ونقول: بسم الله، اللهم سدد رمينا، فننتصر بأمر الله تعالى، ها نحن أولاء نحقق النصر في معية الله وتأييده لنا، القرآن الكريم كله بركة وخير، وسورة يس بنية القراءة، من يقرأها ينل المراد، رأيت إذا عبد السميع في غمرة السد المنيع كرباجه قد صال فينا وجال في أمر شنيع عن اليمين وبالشمال كادت تشل يدا سريع وسريع لاقى ما ألقى من صهوة الأمر المريع إنا تقلبنا هنالك بين الحرارة والصقيع. ما نلاقيه للتو لا يتحملة بشر، لا أدري إن كانت هذه رواية أم قصة أم شيء لا ينتهي لأنه لم يبدأ، أم شيء لم يبدأ فكيف تكون له

نهاية، وهل أنا أنا، أم أنا شخص آخر، هل أحيأ أم بين عداد الأموات، ولو أنا بين عداد الأموات فلماذا ينبض قلبي، ونحن على أي حال نحمل المتاعب والأحمال، ما لا يقدر الجحش ولا الحمار ولا الأتان الأم على حمله، إن الحمير تقوم بثورة للتو ونحن لا نفعل، ما خشيت تلك الحمير ضراوة وقوة وجبروت الظالم، هو لا يقدم لهم العلف، ويحرمهم من الارتواء من ماء نهر النيل، الحمير ترفض حمل الروث والسباخ وسماد الأرض الطبيعي، يقومون بإضراب ضد منتجات المحتل، ولا يحدثون صوت الحمير المشهور، فالشياطين لا تقرب منهم، هذه توبتهم الخالصة لوجه الله تعالى، قد قام بالثورة الحمير ومع الحمير ثار الخفير أسقطوا الظلم فكيف نحن على عدونا لا نغير قالوا الغباء لدى الحمير ويقود جمعهم الأمير حماري فر فلا أراه ومن فرط حزني أنا أطير أثقلني حمل من ذنوب وبين الذنوب أنا أسير وقف الجميع لدى الرياض وتراني أركض أو أسير حر الهجير لكم كواني فاليوم نال مني الهجير وعن الصغار أراها تبحث وبكى عليها طفل صغير والمارد الحر الشجاع رغم الذكاء به ضرير وتراها فته مثل حال لدى الكثير ومن يشير على الجنان لكي يراها والآن تبدو معنا سهير ومن المقابر جاء يدنو كم زان دنيانا الخبير، يظهر عبد السميع وقد استقطبته آلة الزمان والمكان، نعم يظهر وهو ممسك بيمينه عصا م قد صنعت من الشجر وهي ذات ضراوة وخشونة، وفي يساره السوط والكرباج، باسم ساخر كما ترون، يهين الأطفال الصغار والصبية والصبيات، ويتمر عليهم بأقبح العبارات والألفاظ والشتائم والسباب، والرحالة في خضم كل هذا حزين كثيب محروم من طفولته يبكي، ويتمنى لو أن الوقت مر، أو حتى مات في توه كي لا يرى هذا العذاب، ونبات الشعبيط السام من حوله يمد رؤوسه كأنها رؤوس الشياطين، نبات عجيب خشن الملمس به أسواك تقطع الجلد واللحم، والشمس مسلطة ضوءها لتصب اللهب على رأسه ورؤوس الجميع، والخولي هذا يضع الشمسية فوق رأسه لتحميه من حرارة الشمس، وما فكر لحظة في وضع تلك المظلة والشمسية فوق رأس طفل ليحميه من العذاب المقيم، وضرغام وسلطان في كل هذا يضحكان الجميع بخفة دم منقطعة النظر، ويعملان في ذات الوقت، والرحالة يتجرع الألم ولا يتحمل الشتائم والسباب والضرب، وأخته تبر مثل حاله تماما، تبحث عن الكنوز لعلها تنقذهم من ويلات ومشقة العمل، وفجأة بلطم عبد السميع أحد الصبية وإحدى الصبيات، وشحاتة وعاطف يؤيدانه تأييدنا يدل على أنهم مرضى لا ريب، في الحقل تبدو سحر ويبدو بالحقل القمر والبدر الواضح حولي داعبه اليم السهر عمر في الحقل وأمل ورأى الأحباب البصر في الحقل الحب الأول ويجري بالروض النهر وفي الكنز رأيت الذهب والذهب أساسه تير، ويا لحسن النظم حين يكتب الرحالة بالفطرة وعلى السجية، وسندريلا تستمع إليه وحسناء الخصال كذا والنسوة والفتيات والرجال، والكتب تخرج منها الشخصيات والصور فتتحقق على أرض الواقع، والواقع كما ترون حلم والحلم واقع، وكل عن وطنه ومقدساته مدافع، وحسن وكامل لا يزالان يحملان الأحمال من القالوح المستخلص من القصب، وهو الجزء العلوي الأخضر من كل عود قصب، يحملان حمولتيهما ويسافران عبر البلاد والأزمان، وها هما ومعهم

ضرغام وسُلطان وأشرف اللول والفتى وهيدي ومحسن والطيب عبد الصالحين وسامي وفهمي والرحالة وقبطان وسندباد وسندريلا وآلة الزمان والمكان وصبري وآخرون وأخريات والكواكب والنجوم والمجرات وعناقيد المجرات والكون، يسيرون وهم محملين بالأحمال التي تعجز الجبال عن حملها، والحمار والجحش والأتان قد تركوهم من بعد ما تعرضوا لهجوم من الذئاب والإقطاعيين والسحرة والجيوش المعادية، ما أرى هؤلاء الناس إلا أنهم قد سلطوا علي، لكن من قبل من؟! لست أدري، فأنا شغلهم الشاغل، فهل أنا الوحيد قاطن الكرة الأرضية، أخلق الآن وأبتعد عنهم وها هم يطيطرون خلفي وصوبي في الفضاء الفسيح، يطلقون وحوشهم الضالة وهي تحلق على ارتفاعات متغيرة مختلفة، وأرى يوم الهول والفرع الأكبر، والعجوز تجلس على عتبة دارها لا تهتم بالأمر، والنيران تزحف صوب عزبة عبد الواحد فتلتهم الدور والأبنية والنبات والأخضر واليابس، وأنا أستأذن السيدة أن أفر من الزحف صوب منزلها فتأذن لي، فأصعد درجات سلمها الكائن في منزل بني من الطوب اللبن، أتنقل على حافة الدور ومقصدي بلوغ الطابق الأعلى حيث السماء والفضاء، فلما انتهيت إلى الطابق العلوي وها أنا ذا أصل، رأيت السماء صافية على مدار البصر، والأرض ممتدة لأبعد الحدود في حقل مفتوح تقسم مساحاته إلى أحواض تسقى بالماء المنعمر القادم من مصدر عذب، على عتبة السطح العلوي وحافته أستعد للطيران، وها أنا أخلق، وما زلت أخلق كما ترون، ثم انتهيت ولم أنته إلى جدول ماء يسير به نبي من أنبياء الله وقد عرفته جيدا، وهو أيوب عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وظل النبي داود معي وأنا أسير فرحا مغتبطا مسرورا معه، وظللنا نخطر حتى أوصلني إلى دار علم فسيح به كل الأنبياء، وأنا أستكشفهم واحدا تلو الآخر وأتحقق منهم، وهاتف يقول لي: هذا نبي الله فلان وذلك رسول الله فلان، فرأيت وها أنا أرى جميع الأنبياء، وأنا أرى كذلك سيدنا محمد، وأسلم عليه وعلى الجميع، ثم ها أنا أخرج من باب صرح العلم هذا إلى حيث الفراغ والفضاء وامتداد هو حقل عظيم الاتساع، لا يبين أوله من آخره ولا يظهر متجليا، أبكي وأوجه وجهي للسماء، وأراها صافية الأديم، وكأني أرى بعين قلبي الله رب العالمين، أدعو وأبتهل وأستغفر في خضم دموع منهمرات متقاطرات من المقل وسيل البكاء، وتوبة نصوح لا رجعة من بعدها للإثم أبدا، ثم تتحول آلة الزمان والمكان فلا تخلي خلفها حدثا، بل تحمل الأحداث وتجلبها وتجمعها وتجلبها، إلى أن جاءني كابوس بل ها هو يأتيني للتو فأقول موجها حديثي صوبه: أنتظر الموت في قدومك يا من تلقين إلي همومك يا من أود أبتعد عنها كيف لي أنجو من سمومك وددت الحياة طالما أنت عني في منأى ولا أرومك. هي تشعر بثقل ظلها وتسلطها عليه، وهو يود أن يفر منها كما يفر العاص حتى من التهلكة والزحف، هي ذنب قد اقترفته في حياتي وإثم ينتقم الله مني لفعله، وانتقام الله مني في الدنيا أهون من تعذيبه لي في الآخرة، راض أنا بقدر الله، لا أعلم لماذا يؤثر الطقس على الحالة المزاجية والنفسية، فالربيع مدعاة أمل ومسبب فرح، والصيف لا غبار عليه، والخريف لا يريد أن يحزن أحدا، أما قسوة الشتاء فلا متناهية سرمدية متسلطة مزعجة، لا هوادة في تأثيره

المحبط ذلك الشتاء، ولا أحب أن أرتدي الملابس به، بل أن أكون على حريتي وعهدي
بالربيع الباسم والتفاؤل لا الاختباء خلف أطنان الملابس وداخلها، وأنا لا أهرب من
مواجهته، لكنني أريد أن أغلبه، وها أنا ذا أنجح، لا أشعر ببرد وصقيع ينتابني أبداً، أنا في
الربيع أسبح وبالصيف، ولدي خريف يحل ضيفا جميلا، لا أريد أن أجلب الحزن له ولا هو
كذلك، نتفق أيها الخريف برغم تساقط سنوات العمر والاوراق بك، بل إن حالات الوفاة بك
تتزايد، أن يذهب شخص ويولي ويتركك دون رد وكنت تنتظر منه الكثير فهذا شعور مخيب
للآمال، وكرامتك لا تسمح لك أن تسألهم لم الفراق، ولكن لا بد لك أن تتبين لعك ظالم لهم،
الله تعالى هو المضطلع على القلوب والعالم بالظروف، ربما محنة ألمت به أو سقطت على
قلبه نازلة أو حلت مصيبة، فتقلبات الحياة لا هودة فيها، وواقعها صادم مهلك، التمس
لأخيك العذر وألف عذر، رب أبعدني عما يحزنني ويقلب علي المواجه والآلام، والغريب أنني
حين أكون سعيدا أحس أن لا حزن سيدنو مني تارة أخرى، وأن التعاسة ولت عني إلى غير
ذات رجعة، ثم في أقرب فرصة يمسنني فيها سوء، اعترض على حكم الله، كان الأولى بي أن
أستغفر وأدوام على الاستغفار، وها أنا ذا أفعل للتو، ويأتي الفرج، يا الله، لقد حلت كل
مشاكلي وأضحيت بلا حزن ولا هجر وغم ولا ألم، إن في مجرد سماع صوتها أحساس أن
الحياة مظلمة، قد كنت أنتظر أملا فلم أجد إلاها تنغص علي حياتي، ليبتها لم تتحدث ولم تأت
إلي، هناك أناس يجرون إليك الخيبة ويأتون محملين بالتعاسة يلصقونها بك، وأنت تريد في
دخيلة نفسك أن يبتعدوا عنك ولو أنفقت مليء الأرض والسموات ذهباً ثمنا لذلك، ومعهم
أنت لا تستطيع نيل مرادك، هم كالموت وأشد، بل إن الموت مريح في حال حسن خاتمتك
وعملك الجميل، ولكنهم يمثلون خروج الروح التي لا تريد أن تخرج، وهي معلقة بين الموت
والحياة، لقد كدت أفقد بصري في هذه الحياة المريرة، وما أصفها كذلك اعتراضا، لكن والله
هي كذلك بالفعل، ولكن بعض الأوقات ألتمس بها السعادة فأجدها، قطعا أنا مخطئ طالما
أتصور دوما وأتخيل الوجه القبيح منها، فلتنتظر يا فتى إليها نظرة تفاؤل، والله ربما تجدها
ربيعية في آن الخريف والشتاء، وما الخريف إلا ذلك المحافظ على بصيص أمل يطل من
الربيع والصيف، والشتاء هي الموت الذي يحل بلا رحمة ليمحو جمال ما سبقه من عهود
وأيام، لا يمنع كل هذا من أنني أحب الحياة رغم صدماتها المتتالية، وأنتظر الأمل أن يتحقق،
وكم أحس بأنه سيضحى حقيقة يوما ما، وها قد تحقق قلبي ووجدت الكنز، وكنت أتصور
أنني بعد إيجاده قد أضحي سعيدا، اكتنزت المال ولم أنفق لوجه الله، وها أنا ذا حزين كنيب
معتم النفس يلفني الظلام، انفق يا فتى. — نعم سأنفق، خذ...مد يدك...قم بتوزيع كل هذا،
،فلتغطي الناس ذهباً ونقودا ودرا وتبرا...قم بتوزيع الغلال ولمحاصيل والزهور
والورود...لا تبخل أبدا...خذ بنصيحتي. — ها أنا ذا أفعل أيها الناصح الأمين...سبحان الله،
،الآن والآن بالتحديد أشعر بالسعادة، فالزكاة سعادة كبرى ومشاركة للفقير كي يزيح عنه
كاهل الأيام وثقلها، وكي يجد ما ينفق على عياله وإخوته وأخواته وأولي القربى واليتامى
والمساكين، والله لقد قوي بصري وتحسنت صحتي وهذا بالي واستقرت نفسي، قد كنت

بخيلا ولا زلت، وكنت كريما ولا زلت، وأجد الناس لا يحبونني، ثم ألمح الحب بدون مصلحة ولا غاية يرتجونها مني،، محتاج لك على الدوم رب العالمين، معانة يتخللها الحمد وبعقبها ويتوسطها، والاستغفار وذكر الله يكون اللسان رطبا مع المداومة عليهما، أحمل الهم ومواد البناء والأشياء الثقيلة والعبوات الممتلئة، وأكد ليلا ونهارا، ويا ليت كل هذا يعتمد على المجهود البدني، والله لو كان لهانت، ولكن الألم النفسي يقصم روحي ويأتي على بقيتي، أتوجه للتو لله رب العالمين فأبكي وأتضرع وأبتهل مناجيا إياه، ويستجيب الرحمن الرحيم الغفور، فهذا أنا ذا قد تبدل حالي، أسير إلى جانب المزرعة التي يعمل بها أبي، يا لك يا أبي من صابر مجاهد صبور نزيه، والفتى عبد الحميد يحصد القمح ومعه العمال ونحن في شهر رمضان نصومه ونصلي ونتعب، والشمس حارقة محرقة، والبحيرة غارقة مغرقة، وكان لزاما علي أن أصوم وأنا صبي وأميل إلى الطفولة، ويتعجب لي ويعجب الفتى عبد الحميد.: كيف لك أن تصوم في هذا العهد المبكر، نحن في صهوة الحر وجبروته، وحصاد القمح تحت أشعة الشمس المباشرة، الرجال يفطرون ولا يستطيعون الصوم. فأنظر إليه باسماء رغم المشقة والهلاك، والخجل ينتابني ويكاد يوقعني أرضا: - الله جل وعلا من يقويني ويمنحني القدرة للاستمرار في الصوم، والله إنه إحساس إيماني جميل. فلا يملك عبد الحميد إلا أن يضحك ويبتسم معجبا ويدعو لي. ثم أتجه صوب المقبرة وأحاول استخراج البازلت منها والمرمر والياقوت والذهب، فتقابلني أشباح من الجان ويواجهني حراس من العفاريت يدافعون عنها، هي مقبرتهم منذ العهود السحيقة، بل هي مقبرة متجددة بها من الجمال ما يخطف الأبصار، أقول الشعر وطبعي هذا ولما أحر أقول لماذا وسردي وقولي مثلي يحار وقد أنجزت هنا إنجازا ولست أدري ماذا أقول ومثلي من بالنوم تناسى وطلعت شمس في أيامي وفي الأزمان لبست لباسا ثم طواني الموت سريعا وخلفت ذكورا وخلفت إنانا وقد نعتوني بالرحالة وفي أرضي أنشأت غراسا، ثم يكمل الراوي ونحن نرى العزبة المتقلبة الأحوال والثابتة من حيث المبادئ والقيم:- في تلك العزبة الجميلة عزبة عبد الواحد مرت أجيال وحقب وأزمنة وهي تمر لحظة قولي، كما أنها مظلة كما ترون بوجهها الملانكي على بحر يوسف، بحر الخيال والحب والأمل، والذي يتحول لشتى الصور وهو ذاته نهر النيل والمحيط الهادئ والأطلنطي والأطلسي، وهو بنر زمزم وجدول سلمى وجدول ممدوح الخارج من بستانه متنوع الثمار والمحتوي لخلايا عسل النحل التي يرعاها الفتى حمادة، وحمادة بحقله للتو يروي تلك الأرض والساقية تدفع المياه نحوه في الجدول، وتبر الفلاحة المفكرة المثقفة الفارس الملثم، تدير طمبورتها على نحو من الروعة، لا يشغلها أن الجو برد والطقس قاس، تتحمل كل الظروف والعوامل الطبيعية وقسوة الشتاء في سبيل تضحياتها بخدمة أبيها وأمها، وهي تحب الزرع والورد والخضر والأزهار والورود، تهاجم الذئب حتى إذا دنا منها تركت له المجال حين مالت بجنبها وهو يقفز صوبها، ويتهدى الذئب في المصرف الصغير لتعيد الأحداث نفسها وتذهب آلة الزمان والمكان إليها، لما يحضر أنور لإنقاذ شقيقته ويحضر فريد عمها مسلحا بالأمل قبل البندقية، مغوارا يطل عليها بعين

تطمئننا ويساعد أنور في الإمساك بالذئب ويبرحونه ضربا وطعنا، وأنت الرحالة وكذا أنا وهي وهن وهؤلاء،، بها الأناس الطيبون والزرع والطير، تشمل كل شيء وهي كل شيء، كنوزها في فكر أهلها وضوء عقولهم، أنت بها معي في جنة حقيقية، حيث تتمدد وتتسع كما ترى رفيق الزمان، والزمان معنا لا يتوه بها ولا نتوه نحن به، بها أبو قردان وأبو فصادة في رحلة جميلة مع الهدهد ومعهم البطريق المزركش الجميل وملكة النحل العملاقة الراسية كما الجبال في فضاء فسيح طائر، تخلق تخليقها الأبدي السرمدى وتطوي الحقب والمسافات وتتشكل وتتحول، والنخل الصعل مطل بها مع الأزهار والغصون، والملاحظ كما ترون أن لنور الفتى الجميل بسمة تأسر الفؤاد، والطيبة طابعه وطبعه المعهود، يقود آلة الزمان والمكان نيابة عن صبري وتحت توجيه من القائد العظيم صلاح الدين، في حين تكشف الرحلة بآلتها الزمنية زاوية فيها، وبتلك الزاوية يظهر نور الدين مع رفاقه الأمناء وذويه وأهل داره وبلدته، والسفينة محملة بالذخائر والمؤن والسلاح والعقاد والمال والذهب والمجوهرات، سفينة ذهبية تتلألأ في عرض البحر، وهي إحدى صور آلة الزمان والمكان التابعة للرحلة، ثم تحمل بمحتوياتها بيد آلية عملاقة فوق متن الحاملة العملاقة، نعم...الحمولة ضخمة للغالية وفي منتهى الثقل...و عماد الدين يسبح ومعه جلال الدين ومجموعات من الجنود والمتطوعين صوب الحاملة الرهيبة العملاقة، يا له من مشهد، أنا وأنت وهو وهي وهم وكل الناس به، وأسفل هذه العملاقة يكمن الحوت الصديق وهو يحملها وكل الأشياء والحاجيات الموجودة على متنها، في حين ينطلق جواد الأمير المسحور والفراس النبيل كذا يسابق الريح بفروسه الأجر، وعبد الرحمن وصبري يصرعان الوحوش بقوة وصبر ودهاء، ومن واقعها تتحول الرحلة صوب خيال هو أيضا بمثابة واقع، وأنت تتيه معي الآن، ولذلك أنت بالرحلة، ستستطيع أن تمسك بأحداثها الممثلة بطائر يشق عنان السماء، لا تعجب من سطري المضطرب، فهذا ما أملاه علي نبض قلبي لأكتبه، والعجيب أن الرحلة هي التي تكتبني، بل يا ليتها تذكرني حتى، والعقل يتدخل ويفكر ويفطن ويتوه فيقول بعدما اهتدى:- لو كان يدري لعلم أن الرحالة يكن له كل خير، فالعالم بما في النفوس رب العالمين، لم لا يصدق الناس أن الخير لا يزال موجودا، إنها روح المحبة والتآخي، والرحالة يحب الخير لكل الناس، فما بالك لو كان هؤلاء الناس من ذويه، كما إنه يتمنى أن يريح قلب أقرب الناس إليه، وهم الآن يتذوقون المرارة والذل ويتجرعون الحرمان، وكان مصطفى يستمع لكلمات الرحالة وهو مقتنع بقوة حجته وصدق قوله، لا يمسك العجب أن هناك بشرا يفضلون غيرهم على أنفسهم، لأن غيرهم هؤلاء في أشد الحاجة لما هو متاح عن غيرهم، ثم إن القيم والمبادئ لا تتجزأ، والله لقد خلقت وولدت معه، رحالة جاب العصر وو الأمكنة بصبر وأناة، ولاقى الأمرين فما طفح كي له وما اشتكى، الرواية مستمرة دون توقف، لا تحتاج من يوقفها أو ينهيها أو يبدأها، إنها الزمن والبعث والنشور والحياة والموت والمنية والجنة والنار. دهشت فتة من قوله ومما رأت من تصرف جميل وهو يلقي الطفل الصبي في أعماق بحر يوسف عند هذه النقطة الزمنية التي تحضرها آلة الزمان والمكان، وتتحول آلة

الزمان والمكان لتجد تلك الطفلة العجيبة سمية ومعها آيات، والأخيرة طفلة صغيرة هي البدر والأمل، تدنو من الرحالة وتلهو أمامه وتلعب، ثم تكبر شيئا فشيئا وتصير عجوزا وتعود شابة وطفلة على حسب تقلب آلة الزمان والمكان، أما الرحالة فلا تفهم كينونته، ولا يعلم من هو، هو ظل وشخص وخيال وواقع وحلم، وهو أمل وبريق وحسن وجمال وابتسام ومنال، وهو روح الرحلة المعجبة بالطفلة الرقيقة المنساب حرير شعرها والمتهادي مع الرياح والنسائم يعانقها، ثم إن جلال الدين لا يزال يعبر النهر بعزم الأبطال وإصرار الجسور المغوار، والشمس دافئة... ثم ها هي تبعد وتبعد نحو المغيب، ل تلف حولها الكواكب وهي تلف حول مركز المجرة، وإني لو لم أكن مضطربا لوددت أن أكون مضطربا، فبعد الاضطراب هدوء وسكينة وفرح، وله سبب ومسببات كثيرة، القلق والسهر والنشأة القاسية والضرب عند الصغر بحيث يفاجئ الطفل بويلات تليها ويلات وعقد من قبل الأهل والأقارب والغرباء والمجتمع ككل متكامل، والشذوذ بهذا المجتمع ظاهر في أشياء كثيرة وتصرفات مريبة، ربما مر فلان بقسوة في التعامل من أهله والغرباء، وتعرض للأذى بأنواعه المختلفة، وهذا يمر بظروف قاسية كما ترون، لا يجد طعام يومه ولا القوت الذي يؤهله للعيش من الأساس، ثم تقبل رحمة ربي، فيشبع الجائع ويرتوي الظمآن، وخل خلقنا الله عبثا ١؟ حاشا لله، إنما خلقنا بقدر مصحوب برزق قدر قبل الميلاد والولادة والمولد، وحسن لا يزال يستظل بظلال أجمة ومعه كامل وضرغام وشداد ومحمد، ثم يزحف الليل كما ترون فيكسو الفضاء ظلاما وعتمة، ولكن البدر يأبى ذلك فيطلع في حلته الجديدة الزاهية، ونصعد للتو سطح القمر عند البدر، فنجد جسما معتما يعكس ضوء الشمس، نضحك معه ويكركر هو في انسجام وتوافق روحي بيننا، وتدور الأرض بنا حول الشمس ويدور القمر حول الأرض وتدور الشمس حول مركز مجرة درب التبانة، ودرب التبانة تلهو معنا وتعبس وتضحك وتعمل الهم، وهي تدور بنا وبكواكب المجموعة الشمسية حول مركز الكون، ومركز الكون ينادينا عند الأقصى بوابة الأرض إلى السماء وبوابة السماء إلى الأرض، عند القدس الجميلة المقدسة المعطرة مهبط الرسل والأنبياء ومقرهم ومستقرهم ومثواهم ومأواهم، وتبر في حقلها كأنها تدور مع الجميع وهي الآن كما ترون تجني القطن وتنقي اللطعة في أزمنة متداخلة تجمعها آلة الزمان والمكان، ومحسن صامد رغم آلامه، وخلف لا يزال باسم الشجر طيب عطر مثل الزهور والشذى الجميل، وهو زهر وورد وفرح وبريق، وعرابي عند النخل الصغير ينظر في مجهر الرحلة ليرى تقلب الزمان والمكان، والكوعة تناديه حين يسير للتو كما تشاهدون على جانب المصرف العذب، والدبور يطير مع النحلة وكانات أخرى عجيبة، وملكة النحل تحييه وتحيي الجميع، والهدهد ورفاقه في رحلة البحث عن الأمل المنشود آيات إني بدونك معذب وجل لي في الحياة حكاية كما لي الأجل تمشي كأنها من سنا والنور قد خلقت دون التريث خطوها لا مسها العجل وأنا المعذب بالهوى والنفس طامعة تبغي الخلاص وفرحة وحالها الخجل. وفي ناحية مرتبطة بالأحداث، لا يزال جميل يلعب الأطفال فيحملهم على يديه ويرفعهم إلى أعلى ثم يلقيهم في النهر ويلقفهم بسرعة

رهيبة، وقد أمسك بطفل خجول حزين ورفعته إلى أعلى ثم ألقاه في الوضع غائصا برأسه في الأعماق وكانت فتة قد رأت المشهد مع أنها ضريرة، سبحان الله لماذا تتطلع هكذا إلي؟! - فقط أستعجب وأستغرب كيف تستقر في كف سلمى، لم أنت صغير الحجم هكذا، ومن تلك مثيلتك التي تقطن جوارك في راحة الحساء ذات الرداء الأخضر. فسمع صوتا كأنه يأتي من بعيد، ولا يعلم مصدره، فلما نصت ودقق السمع وربطه بالنظر، وجد فتاة في حجم عقلة الإصبع، يدها الدقيقة تشير إليه، فذهل وكاد يغشى عليه، وكان قد تلقى أول صدمة برويا عقلة الإصبع مغامر الرحلة منذ برهة ضئيلة، فضحك عقلة وهو ينظر للرحالة المذهول المأخوذ بهول ما يرى، وتبسمت سلمى وأسبلت عينيها وهي ترنو للرحالة وتتمايل كغصن ملاء الربيع بهجة وخضرة، وتقدم صوب الجمع العالم الجليل فحياهما وهو يقول: عتم مساء وصباحا وليلا ونهارا، نعم فالرحلة تتحول وتتقلب في الأزمنة والأماكن وحتى في اليوم نفسه، تغوص وتخوض وتدقق وتنقب وتبحث وتطير وتحلق، وتأتي بكل جميل وقيح وملح وسار ومحزن...و عوني يتعجب من هذا اللفيف والجمع المتزايد من الكائنات وهم على شاطئ بحر يوسف وينزلون إلى مياهه التي اضمحلت وندرت وجفت بعض الشيء لتترك مساحات من اليابسة معانقة المياه، وها هو الحوت منبطح جالس إلى جوار الرحالة على مساحة عملاقة قريبة من الموج الحائر بين المستقبل والماضي والحاضر، إن الخريف جميل إلى حد أنه لا يريد ترك الصيف والربيع خلفه، فهو ربيع وخريف وصيف وشتاء، كحالنا مع الزمان ومتطلبات الحياة وطبيعتها الوعرة الجميلة القاسية اللذيذة، إن بالحياة كل ما نريد وما لا نريد، تباغتنا بسلسلة مفاجآت عجيبة وأحداث جسام وأحداث عجيبة مريبة، يموت هذا ويولد ذك، وتصيب هؤلاء مصيبة حين يحاصرون للتو، فلا ماء ولا غذاء ولا دواء، وإني لمحاصر العدو بسيل ووابل من الدفعات والصواريخ وسيل من الهجوم دون خوف ولا حساب، أزلزل أركانهم وأدك الحصون، لا يطمعون في أكثر مما حصلوا، عليهم بإيقاف القتال عنوة، نعم.. قسرا.. سنجعلهم يتوقفون، نصنع الآليات والمؤن الذاتية اليدوية، ومعنا العتاد والجند والذخيرة وأدوات القتال، ها هي تصحو الجيوش، هياكل عظمية تبعث من القبور، يكسوها اللحم أو لا يكسوها، كل هيكل لديه خوذته ودرعه وسيفه والحسام، نقتلع الشجر ونحارب به، ونعوم في المحيطات والأنهار، ومعنا عوني الشاب البطل، يسبح معنا صوب دوامة بحر يوسف فلا يخشاها، قد بلغ مصطفى من الذكاء مبلغا كبيرا، وهو أمير بالرحلة، شاب مهذب واع تمام الوعي، جندي مقاتل وقائد ورياضي باهر لامع ماهر، لديه من الحكمة ما يسبق عمره بمراحل. - أنا لا أستحق كل هذه الإشادة. قالها الفتى وهو باسم فرح يستمع وينصت لنقش الرحالة الرسام، نقشه بالكلمات والحروف وكذا بالرسم والجمال والعبارات، وكان المساء يريد أن يرحل والبدر يرسل سنا بريقه ولمعانه صوبنا، والسماء ملبدة بالغيوم ومقدمات الغيث لا المطر... وهنا قال الرحالة وهو يقول للتو بالفعل: أنت مميز أيها الفتى مصطفى ولك في قلبي معزة ومكانة عظيمة. وهنا تبسمت فضحكت الفتاة سامية وهي تحمل عقلة الإصبع وأماني على كفها وفي قلبها وفوق راحتها ثم قالت: ومن يسعد له

سوى صديقه. فضحك بدوره مصطفى، ثم نظر ودقق ورناء، ملتفتا إليها، وكل نبضة منه تميل صوبها وتعشق حسنهما، وكان الخجل يكسو وجهه ووجهها، وعاود النظرة وهي طرفها به معلق وتحدث قلبها وهي تقول بك نبضي يا حبيبي معاق وصوب غيرك إن قلبي مغلق أنا قد عشقتك منذ أول وهلة ودون أدري كيف لي أتحقق وما عرفت متى وأين سأشفق فوجدت نفسي على حبيبي أشفق في كل نهر أنا أعوم وأسبح وبنهر عينك مذ رأيته أغرق قد عابوا شعري والعيوب تلفهم وهم الأسود كل الفرائس تلقف والله إنني رغم ذلك واقف كما الرواسي إنني عليها واقف ما زعزعوني عن مبادئ تبدو لي ما كنت أزني أو أخون وأسرق، قد تعبت من عول الهم، انتفض فآلعب الرياضة وأحدث التمارين وأؤديها بقوة وعنف، أركض وأثب وثبا عاليا وطويلا، وألعب لعبة الضغط باليدين على الأرض في وضع موازي لسطحها مواجهها إياه بوجهي، وألعب كرة القدم وأغني وأنشد وأتلو وأجود القرآن وأبكي، وأقابل أسامة وهو تحت الشجرة يجلس ويتحول من خلال حلم لعقطة الإصبع، ولكنه ليس حلما، بل واقعا، لكن الزمن يسبقني وأنا طفل صغير، فأرى المستقبل، وأرى الطلاب والطالبات قد انصرفوا وانحرفوا، والألفاظ القذرة ظهرت مع سب ولعن الدين، وأرى العرى قد انتشرت والرذيلة، أعود أدراجي مع الآلة بسرعة، منطلقا من زمن المستقبل صوب الماضي، أدخل بداخل الصور القديمة فأجدها واقعا، وأزور حسن ونعيمة وعنترة وعبلة وفيس وليلى، وبي من تجسس اليوم محيط وطواني وابتلغني هذا المحيط وفي بحر يوسف قد عشت حياتي وأعطاني الإله ما كنت أريد وقد وجدت الكنز والقلب دليلى وطويت الدرب والهدف بعيد والتقيت حبيبي من بعد غياب ومسني بضرامه من حبيبي لهيب وما زال عوني في اليم جريحا وقد وهبني الدموع الحبيب الجريح وأسرنى بطرف ما أمنت سهامه وقد مس شغافى والقلب مليح ورحت أجنى القطن وينن فؤادي وأنقى اللطعة والجو لهيب ويصطاد الذنب من حولي الآن والذي الحبيب والشمس تغيب شلقامي تعال من زمن الماضي إن المشتاق إليك طريد وسبحت بنهر هو نهر النيل ويطل علي من البر حبيب. وتدور الأفكار في خلدته وهو يقابل أدهم مغامر الرحلة وبطلها، يحييه في زمنه، ويجلبه معه في آلية الزمان والمكان للتلو، وقد ظن الرحالة أن فاطمة تحبه وقد أتت إليه فوق بساطها الطائر، والواقع أنها تحب آخر، إنه وهم التعلق والظن أن فتاة تحبك، وهي لا توليك أدنى اهتمام، فكر يجول في خاطري هو مرض نفسي بأنني محبوب، ولم تحبني تلك وهذه، ما سر تميزي وتفردى ليحبنى الجميع ويحملون الوداد لى؟!، وكيف يحدث هذا وأنا صاحب علاقة بالله لا ترقى لمستوى العبودية الخالصة، ظاهري غير باطني، ثم إنها تلك الفتاة التي أحببتها تنتقدني وتقول أن شعري غير موزون، وعلي بدراسة علم العروض. - لن أدرس علم العروض، وهو ليس بالقرآن المنزل، أنظم الشعر بالفطرة، وشعري موزون مقفى. - أنت واهم وشعرك معيب مخلخل ومتوتر وغير منضبط. _ وهل أنت صاحبة الكلام الطيب المقفى والموزون؟! - لكنني ماهرة بفنه ونظمه وأنا دارسة. - على كل حال: لا ليس العروض بالكتاب المنزل ولا قد لمحته في حديث مرسل وهذا قلبي قد صدق بقوله وهمومي بصدقه

تزاح وتنجلي تلومونني إذ أكتب وما أنتم سوى اضطراب الفؤاد من فكر مزلزل أصدقوني
القول هل أنتم بشر أم سخط الله قد تنزل من عل وقد أرسله بنفوس هي دوما لكم وقد تلاكم
فيه من يجيء ويلي قد نسجت الحسن من فكر لي وخيوط ثيابي لدى المغزل، ثم بكى وبكى،
حيث أنا هو، وهو أنا، قد أكون كل الشخصيات والأحداث، وهل يعقل أن تكون الرحلة ذهن
بشري وبؤرة فكر متأججة، أكاد أموت فكرا، وسواس قهري يقضي علي، والفتاة عالية
ترسم لي درب الأمل، حيث تزين بها الربيع، أو ها هو يتزين ويبتهج، وابتسام لا زالت تملأ
الحياة بهجة، طيبة حد الدهشة ومسالمة ومجتهدة، تنظر للكائنات من حولها ويصيبها
الذهول من فرط العجائب التي تراها، ولا زال الزلزال الفكري يدنو مني ويحجم ويقيد عقلي،
ويذهب بي أدراج الرياح، فأطير في الفضاء وأخلق، بين الضعف والقوة أتهادي وأحتار، لا
أعلم ما سر كل هذا الكم من التزاحم الفكري الذي يقتلع جذوري، وأنا نبات طيب يؤتي الأكل
ومن الخيرات يستكثر، حين أقول الآن: أيا نسيم الربيع حلت بساحه تخطر ففاض خيال منك
يعانق صفحة الكوثر مني إليك سلام الشوق أرسله ويبعث شوق الدنا إليك روضه الأخضر،
تعيد الرحلة نفسها وتعيد الأحداث وتجلبها، ولا شك أنك تائه معي الآن في هذه الدوامة
العائدة الثائرة، نفسي يضيق ويختنق، وأشعر أنني أغرق، وبالفعل أنا أغرق الآن، كأن
جسدي يكاد ينفجر، وشيء ما يجعلني مشدودا تكاد أشلائي تتطاير، كأنني إبطار يكاد ينفجر،
أحتاج إليك رب العالمين، تائه أنا طالما ظللت في هذا البعد البعيد والأبعد عنك، لا صلاة
أؤديها ولا زكاة ولا حجا، كل ما أملكه أنني أسير الشيطان يحركني كيف يشاء. وهنا يضحك
الشيطان ويكركر، فينتفض الرحالة ويفيق من غيبوبته، ويستل حسامه بعدما ارتقى صهوة
الجواد ذاك، وعدا خلف الشيطان الرجيم فاجتث عنقه واقطعه وقطعه، وجسد الشيطان كما
ترون يعدو ويركض بدون رأس، والدم يتفجر من عنقه ورقبته، أما أن له أن يسقط، إنه
يتبعني ويراني، لكن كيف؟! أكاد أجن، لا عين له الآن و، قد اقتطعت رأسه منذ برهة، لا
عصب إبصار لديه، الجماجم تعدو صوبي وخلفي، كلها بلا رؤوس، ويا ويلي، الرؤوس هي
الأخرى تتقلب صوب الرقاب التي تنزف دما والأعناق المضخة لهذا السيل الفيض من اللون
الأحمر، عند نخل الكومي أنا الآن، ويحملني الجان صوب نخل الصعل والنخل الصغير،
والنخلة الخرساء تنادي علي، الآن نطقتي أيتها النخلة، قضيت عمري أنتظر منك كلمة،
ظللت صامتا حتى نطقت الآن، الرعب يملكني، والرياح القاسية تدك أشجار وغصون غابة
الموت، ونور يقبل من بعيد كحلم جميل، ينير تالله لي الدرب، وتضطرب الرحلة وتزلزل آلة
الزمان والمكان، فيما يقول روح الرحلة بصوت جهير: لم اللوم والتجريح بالكلام والهمز
واللمز، بالفعل أنا لم أدرس علم العروض، أنظم بالفطرة، انتقدني الكثيرون فادموا قلبي
واقتلعوا شغافه، وكان العروض قرآن منزل أو حديث مطهر، سيل عذب مدرار ينساب من
بين شفتيه، ذلك الرحالة تتجمل الرحلة به، وتتجمل بتلك الغادة التي أنت هي، عذراء ربيع
ووردة غصن وفنن، وأميرة حسن وزمن، لا يهدأ للرحالة بال إلا لو رآها، فهكذا هي: قال
خير له وحسن وجمال، هي عذراء الربيع بالفعل وتاج الرأس، وهي التفاؤل والأمل والحسن

والغزل، وهو لا يعرف كيف تتهدأ الكلمات والأحرف صوب فكره فتثريه وتغنيه بأرق
وأعذب الألحان المغنى على وقعها الرنان، ولا يعلم أن الزمان ومع طول صبره يحن عليه
بعطف ومدد من الله، وما كان يدري أن الحال سيتغير والأمور ستجري على ما يرام، إنها
رحمة الله، وذلك لطفه وعفوه، وهذا هو لطفي أمير الرحلة ومضحكها ومسليها وباعث
البهجة بقلوب قاطنيها، تالله هذه رحمة وذاك أمل بهيج يحل علينا، وسريع لا يزال على
عهد من البسمة الجميلة والطيبة، يعود الزمان بنا ونحن على شاطئ بحر يوسف حيث
المتعة والخيال والأمل، طيور تغرد كما ترون وعنادل تشدو ودور تأتلق، وسماوات
وأراضين وبساتين ورياحين، رحلة تأخذك من الدنيا لنعيم الجنة، ألا تشعر مثلي بلذتها
ومتعتها؟!، ابن عمي لا تخف قلبي معذب وجف يحمل همك إن نبض ويحمل عنك لو اختلف
وهذي الدنيا كما تعلم دين هي وهي سلف لا زلت على عتبي يا أحمد ها أنا أقف سينصرنا
الله تعالى ويرد عنا التلف أتمنى لكم الخير وبهذا أنا أعترف، علي الذئاب تتكالب ولخطرها لا
أحسب وإنني أريها بلمحة وبعدها عني أنسب تترك المعركة مولية كالشمس إذا تغرب قد
ظنوا بأنني ضعيف وأنا من بي مرحب أعشق العلم وطلبه وأنا في الساحة طالب أصطف
بطابور صباح لي الخير الله واهب ما بال الزمان قد مر وأنا في الجامع أخطب ليتني ألقى
منيته ولو دمي حتى مخضب في سبيل الله مجاهد أواجه ولا أهرب، وفي المنطقة وبالتوريد
تسري بقلبي مسرى الوريد أحزان عمري فلا من مفر ولا تبدو دنيا للمستعيد تولت قواي
ووجلي ينادي والآن يبدو عبد الحميد ألف وأسعى وأمشي هناك ومني قريب سغف الجريد
فتاة الحقل بنخل الصعل تमित المار بصبر أكيد وروحها مثل الطيور الحيارى وإن صمودي
صمود العنيد وفي نخل نمر تمر السنون ونجني القطن بحجر وجيد وإن اللطعة حين يراها
مفتش حقل يرى من جديد وحين الوشاية مثل الذئاب تقطع خصمها حتى الوريد، أنا لست
بشاعر ولا أديب لكن مناي رؤيا الحبيب وأنور أخي عند الحقل أمثل عليه دور الغريب سأظل
أحبه طيلة عمري وإن زال عني طيف المغيب ننقي الدود لنطعم سمكا ونأكل سمكا في حسن
وطيب وكل الكون غريب عني وأنور أخي نعم القريب ويضحك أنور مما أقول ولي إن أقول
قول مريب وما أدري ماذا عساني سأفعل وكوني أمثل دور الرقيب وفي حقل قطن جنيت
الآلام وما يشقي جرحي دواء الطبيب وجدت اضطهادا من الغاصبين وعيشي ونبضي عيش
عصيب وما لي إذا كاد يصفو خيالي يأتي الزمان بفعل مهيب وما قلوي هذا بقول اعتراض
على حكم ربي ووقع الدبيب ولكن لأنني رقيق الطباع وقلبي المسافر قلب منيب كابوس يليه
كابوس وأنا على الأرض أدوس ونحن بالفصل الجميل قيام فيه وجلوس إن غبت عنكم
رفاقي ما لي في الدنيا فلوس. وها هي حجرة الدراسة الطائرة ومعها بقية الحجرات، جنة
علمية وتآلف روحي، عمر وأمل في صفحات كتاب جميل عملاق يتحركون ونحن معهم،
نذهب لحقل خالي ومنزله ونرى نرجس وأحمد وسلمى، وعقلة الإصبع وشقيقته أمانى كذا
معنا، متعة ما بعدها متعة، ولدان مخلدون معنا يروننا ويسقوننا من شهد عذب نهر النيل
وبحر يوسف الجميل والمحيطات والأنهار،، والعجيب أن الجان يضايقني الآن وأنا أتحدث

إليك كما ترون، يهتز جسدي وأدفعه دفعا بيدي وقدماي، يتقهقر قليلا ثم يعاود الاتزان، بمفردي والمفترض أنكم تحاربون معي هؤلاء الأوغاد، وهم يخرجون من قبور النخل الكومي العجيب، نخل يبلغ عنان السماء ويميل مثل نخل الصعل ليتلاقيا في نقطة من النار والجبروت، ورشا تشعل الغابة بينهما بجحيم متقد وو النوارة تنفث السم والذهب في غضب مزلزل وثورة شديدة، جسدها متناسق وجميل تغري الناس بحسنها، وعن ملامحها فمضية منيرة من فرط الجمال، وأنا أطير فوق الحقول والمساحات الخضراء، على طول الخط الموازي للمصرف العجيب المليء بالكائنات المائية الفتاكة، أما أن الأوان لتشتتي وضعفي واضطرابي وهزالي وخوفي أن يذهبوا أدراج الرياح، هل سأظل جل حياتي وأنا هكذا لا دور لي ولا هدفا ولا اتخاذ قرار وتقرير مصير، أركض في الطرقات والغابات، وأتحول لذنب بشري وحقيقي، في ركضي جمال روح ورياضة تصنع الجسد وترسم تفاصيله متناسقة قوية، والشمس تدفأ كيائي وتبعث على نشوة ولذة، والبرد يفت في عضدي ويدق عظامي ويذهب بنفسه إلى التهلكة، انتظر ذلك الشاب الطيب مصطفى، ففي قدومه إلينا أمل وسعادة، طيب النفس جميل مذهب، تشعر معه بالطيبة تتدفق كموج يداعب الأزهار، وها نحن عند حصون العدو ولدى خطوطه الدفاعية لا نخشى المنية، نصنع الأسلحة ونروي الزرع وننشد مع الطيور والعصافير ونضحك ونلعب ونبكي، أحاسيس مختلطة عجيبة، وعلاء مع حسين وحسن والخجول كامل وضرغام وسلطان وآخرون، الجميع يتمرغ فوق الحشائش الخضراء، والصبية يلهون ويلعبون، والصبيات كذا تلعبن ويتناثر شعرهن مصحوب برذاذ ماء علق بشعرهن الجميل المتهادي على جناح أمل وود، ولقد رأيتهما الآن كما تشاهدون، فلا تقل لي أيها البدر أنك جميل، جمالك تضاعل أمام جمالها، لا تحزن من كلماتي، فآلة الزمان والمكان تجمعكما وكل شيء، وها هي الكائنات تشهد، حتى الطير والعصافير وكل شيء بالكون، غلب ضوءك ضوء القمر عالية القدر يا باقة زهر الطير يغني ويشدو حينا ويطير يحلق فوق الشجر، ثم يظهر أحمد الجميل وهو ابن عم الرحالة، والأخير معجب بشخصه، حيث صلة الدم ورابط الود، ويقول الرحالة وهو مبتسم:- إليك أحمد ابن عم قلبي يمدحك قبل فم قد زال ألمي حين سمعت صوتك الرفيق مذهب هم لم ينبج مثلك الزمن هذا وبينني وبينك صلة دم عالي القدر في ليلة قدر كم لدغ حمادة بقاسي سم ممدوح حزين والوجل يطل من مقلة رجل قد سبح بيم بستانه دوما بالعطر يفوح والوالد عنده هو أصلا عمي، عالية المقام وإن طال همي فانت بالدنيا بمثابة أُمي مع أنها رحلت من بضع سنين فإني لي كصلة دم ولي عند الله في الدنيا رجاء أن يذهب عني حزني وغمي كم كنت أود في دنيا الناس يحميني الأمل من وطأة سم وألؤذ برب لي خير معين ويطعنني الناس بغزارة ذم انتقد الخلق من عاش وحيدا ما تبدر منه ترنيمة فم. يشدو ولا يعلم شدوه ولا يسمع، غير أن الكائنات تسمعه وتستمتع إليه، بل وتنصت، شدوه كتغريد البلايل، وطهارته مثل القرنفل، وإن يمشي للغيط فشباب واثق، ويسير الهوينا كمترجل، والدنيا عجيبة لا أدري ما هي، ولا أدري لم الجان مرافق لي لا يبرحني ولا يخليني، تعبت ولو أتعب، ومرضت فما رأيت السقم

والداء، وهلك فما نفعتني الدواء. ولا يزال عوني يغوص في المياه ويستمتع لذلك المنادي
والمؤلف الفقير إلى الله، ويعجب من أمره، وعمر يمر ويكر ويركض ويراقب الرعية والخلق
متخفيا، طويل فاره الطول، مستقيم الجسد ممشوق القوام، خلقه نبيل وباله واسع وعقله ذو
حكمة وحنكة، وصبري الطيار الطائر يهون علي متاعب الأيام والدهر، يقود آلة الزمان
والمكان بحنكته الفريدة وخبراته الطويلة، يتغير عمره ويختلط ويعود ويجيء، طفلا أو
كهلا، نعم... هو الآن طفل، ويتحول في لمح خاطف كما ترونه فيصبح كهلا، ويعود للتلو
فيصير شابا، يحيا كل العصر ويذهب إليها تارة، وتارة أخرى تجذب له الآلة العصور القديمة
والحالية والمستقبلية، وهو يعجب من الأمر، لكن الحال هكذا في هذه الجنة اللذيذة، قل إنك
ملتت من الرحلة فأقول لك بل أنت مستمتع بها، ستشعر بحقيقة حديثي وقولي فيما بعد، أنت
بها... ألا ترى؟!، دقق النظر. استوعب الدرس والقراءة وتمهل، لا تكن عجولا مثلي، ثم
تعال ومت كما مت أنا، في الواقع لم أفعل أنا شيئا، جاءتني الغرغرة فقضيت ووفيت أجلى،
أو وفي إلي أجلى، أتمنى العودة للدنيا كي أقيم الصلاة و، وآتي الزكاة وأصوم رمضان وأحج
البيت إن استطعت له سبيلا، لا تتعجبون الأمر، فالرحلة دائمة ومتواترة ومنظمة
وعشوائية، لكل حساباته ومستوى إدراكه، فلا تعجب يا فتى، ودع كاملا يتيه فيها ولا يفقه
شيئا، وكامل هذا ليس بالشاعر والمؤلف ولا بالمتميز في فن كرة القدم، وصوته ليس
جميلا، ويقول ما لا يفعل، إنه فتى مهزوز مضطرب، دعك منه وتجاوز به إلى أبد الأبد، أنا
عند الكوعة عرابي أنظر إلى ذاك السراب معي أنت وأحبابي وكم هم روعي أحبائي أحببتكم
من كل وجداني ولا يوجد أدنى عتاب بلغت الهدى برفقتكم وجنيت نعم الثواب وجنيت القطن
معكم واللطعة عند الذهاب ضربوني بالسوط كثيرا فعدت بكسرة الإياب والحقول أنيسي
وحبي والجميزة بجنب الغراب ما كان يرسو عليها أو يطرق على الأبواب قد بكى الغراب
طويلا فبكيت بكل اكتئاب ألسنت كالطير يقول بل تسبح بكل انسياب فتبسم وغنى وغرد
وضحك مترفقا عرابي. وبالفعل ها هو عرابي يضحك والطيور تغني مرحبة بالغراب ومعدة
له حفل عيد ميلاد، وأبو فصادة يقدمه على نفسه في رحلة العجائب وجبر الخاطر وكل
الزمان والمكان، وأسير في الطريق المظلم فيحيطونني من كل صوب وحذب، ويعودون بي
حيث الطفولة، ويعذبون روعي وجسدي، فأجد نفس الحمار الذي كان معي منذ الطفولة، يا
للعجب، إنه لا يزال حيا، ويتأسف لي عن تركي في المعمة والقتال وذهابه صوب البيت
القديم، والغريب أن البيت القديم بطوبه اللبن وصومعته التي تحوي الكشك، نعم ذلك البيت
يظهر لي، يا للهول...؟! لقد أضحيت طفلا، أو بالأدق لقد عدت طفلا وصبيا وشابا في ريعان
شبابه، والجحش الذي كان يلازمني وقت الطفولة ها هو معي، وأذهب وهو معي وكذلك
حسن، نذهب الآن للقالوح ولجني القطن وحصد المحاصيل وجمع اللطعة مصيبة شجيرات
القطن طويل التيلة، وتبر شقيقتي إلى جوارى وسمهانة وعزية وحمامة وجمامة وسلطان
وضرغام وخضراوي واللؤلؤ ووهيدي وعبد الرحمن، وعرابي عند الكوعة المنعطف
المؤدي إلى النخل الصغير، وأبو الجحش الحمار، والأتان أمه..و كل ما تقدم وأكثر وأكثر

بالرحلة العجيبة هذه، نحيا كل العصور، ونجلب بداية حضارة فلسطين العربية وهي أقدم الحضارات، بالأحرى آلة الزمان والمكان تجمعها مع كل العصور لنحياها نحن للتو، إن كنت تتيه الآن مثلي فأنت بهذه الرحلة العجيبة شاملة كل شيء وأي شيء، والجان وهم يحملونني حملا مدفوعا لأعلى، وكأنني صاروخ مدفوع بقوة دفع من وقود حامل طارد، أطيروا وأخلق وأستمر في التحليق، ثم سرعان ما يكبلونني، وأهرب لبنايات مظلمة فأصعد طوابقها، وأصل للتو طابقها الأعلى فأجده مسدودا، ولا فتحة للخروج، يقتربون مني ويغرسون أظفارهم في جسدي، وها أنا أتألم، وأتألم بشدة،،، يضعونني في المقبرة ذات الكنوز، فتتحرك الهياكل من حولي والتماثيل، ويضيق الخناق علي رويدا رويدا وو يلعب ضوء وبريق من سبائك الذهب باهظة الثمن رائعة المنظر، والذهب لتوه لن يغني عني شيئا، وكم يصور لي الشيطان دربه على أنه جنة ونعيم، وأنا في الجنة تلك والنعيم ذاك مقيم، ثم ها هم الجان يحملونني كأنهم هواء مدفوع صوب آلية كي يصعد بها إلى السماء، وأجد نفسي للتو مكبل من عفاريت وأشباح تنفث الهواء نفثا وتصعدني وترفعني كي أخلق وأطيروا وأنا أحاول للتو أن أهرب منهم، فلا تجدي هذه الطريقة، وها أنا ذا أحدث شجارا معهم وأقرأ القرآن، يبتعدون كما موجات المياه وكما الرياح والظلال الملتهبة، ولا يلبث كل منهم إلا أن يعود، وإذ بي قد عبرت المسافات ومعني حسن يجاهد هو الآخر ويحمل حمولة القالوح، عزيمة قوية لكلينا، رغم ما نتعرض له من ظلم بين، نحمل الحمولة لكل واحد منا واحدة لا يقوى الحمار على حملها، ذلك لأن الإقطاعي للتو يضرب محمدا ضربا مبرحا، لأنه وضع الكثير من عيدان القصب داخل العشب الأخضر لمحصول القصب، وكان المسموح به عودان فقط، والجبار صاحب الأرض يراه وهو يدس القصب فيمكر له، ويتركه حتى ينتهي من مجمل العمل، ويحين للتو وقت مغادرتنا الحقل، يتقدم الرجل صوبنا، ويأمرنا بتفتيش الحمولة، ويجد ها هو عدة أعواد من القصب لدى محمد، بل أعداد غريبة من القصب، وانهار عليه ضربا بالسوط والتجريح كذا بالسباب واللعن، نحن صبية صغار وأطفال، لكن لن نسكت، هيا رفاقي فلننقذه بالحجارة والطوب، وها هم يفعلون، تقهقر الإقطاعي وركض وأسرع بعيدا، وتوعد الرحالة أن جزاءه غدا سيكون عسيرا، فاصل من عنقود مهارات وعزف قيثاره يبيديه ويدلي به الرحالة، وكل الكائنات تستمع وتشاهد، وعرابي في الغيط الحقل، عند زرع وحقل الفتى الوسيم تامر، وهو يدق ويحفر الأرض لإنشاء مدرار ماء مسحوب من أسفل الأرض عند القاع، ونحن في أثناء الحفر للتو نجد كنزا يموج فوق سطح الماء، وتنادينا دوامة بحر ونهر ومحيط وجدول يوسف، فنسمعها ونحن إليها، فهي أم حنون رغم ثورتها، يستمر موجها المحمل بالدر والمعادن النفيسة في الاندفاع نحونا، وفي الناحية الأخرى القريبة بئر حفني وسلمى يدر الياقوت والتبر، وتبر الفتاة الفارس المثلث " _ ترى نفسها في الجدول الساري صوبنا، ينتقل الزمن والمكان بسلاسة عجيبة، ونشارك كل الأحداث، ثم نقوم بتصنيع قاذفات تطلق رشقات صوب جيوش الساحر الشرير وزبانيته، والعجيب أن الفارس المثلث يأتي متهاديا مع الأمواج الهادرة ومعه التماسيح تطبق عليه،

فيتخلص منها، ويقفز سندباد ليساعده ويعينه بعد مدد الله وعونه، نواجه المقاتلات من كل صوب بمضادات دبابات ودروع واقية وأسلحة بدائية ومتطورة، ثم يقدم إلينا البطل أدهم ومعه الرحالة والرجل العملاق وعائلته، والرجل الوطواط كذا، ومملكة النحل تأتي في زخرفها وزينتها، تلدغ وجيوشها كل المعتدين، ويهمس ذلك صاحب الروح المرححة الطيبة فيقول:- اليوم سعيد أنا يا سلوى رغم أن ضمتني بالحياة الكروب فحالي سعيد وأنعم بحياتي لو علي يطل من خدره المحبوب قد عبرت الزمن بألة زمان ومكان تزحف ولست أتوب وحققت الحلم وأظن كذلك حققت الهدف ويحل مشيب ثم عدت شبابا والشيب تولى وما همني منها الحياة خطوب الآن بروض في الحلم أسير وحلو الطرف أعشق وأدوب، لي كما الموج ثورة واضطراب وكم لي على شاكلته من الدنا أحباب ونظمي من الحرف ليس دقيقا ومن الناس علي في ذلك عتاب وأتية بالدنيا وأكون غريبا رغم كوني بها وتطاردني الكلاب وتجهلني حبيبتي رغم كوني أدوب في حبها سنينا وهذا عذاب لم أدرس الشعر ولا العروض لكنني إحساسي تستشعره الذناب وقد أتوا لالتهامي فما منهم فررت وعلموا طيبتني فضمهم الإياب والله تركوني فما لهم بحاجة إلي الآن ولا حتى الذهاب وقد مت الآن هل ترون قبري وأظنني في جدث شملني اغتراب، شيء يراني ولا أراه أو اه من حالي آه أو اه وهو ساكن قلبي ويا ليت يرضي عني وهذا إنه أبتاه معتوه شعري لا تلمح فيه رسما أو نحتا كلي ينساه موشوم أدبي لا تلاحظ فيه ضوء بالرغم الشمس تراه، مختص بحالي واختصني الوجوم وعلى نفسي أحيانا من الدهر ألوم وإنني في الحياة كم ابتليت كثيرا وانتشرت بكياني والروض السموم وتزعجني ورقة في الخريف تهادت جرتها الرياح وضممتها العلوم وظننت أنني نحيث همومي فرأيتها تتهادى علي الهموم، غير مرتب هو وفوضوي، وأكاد أجن وأنا أجلس معه، لا أعرف أضحك أم أبكي أم ألعب الكرة وأجيد فناها، والله معه أنا أقوم بكل التصرفات فأبديها، وأحتاج للركض لأن حياته خطرة وعلى كف العفريت ترقد بل تنثور، والموت يدنو ويطاردني، فمتى سأموت، ومتى ستموت أنت، ستلحقني حتما لأنني قضيت قبلك، انظر انتبه، لقد أدخلتك في الرحلة عنوة، وهذا ظني المريض...فأنا بالرحلة غير كل المخلوقات والكاننات والجماد والجان والحن والبن والبور والنبات والحشرات والأسماك والمحيطات وبني البشر أظل مستيقظا ولا أنام فيراودني طيفها البسام وإن حل بي تعب فلا أبالي مع الحبيبة تزول الآلام ولا أرى النوم وقد ولى عني وأتنتني من طرفها واللحظ الأحلام أنا لست بشاعر وإن تنعتوني بالصفة هذه ويملكني الغرام ولست بكاتب ومؤلف حرف لكنني تالله على ما يرام وكثيرا أحزن فيشقينني الوجوم وضعيف الحفظ وتجرحني السهام وسهام عيون وأصابت قلبي فزال ألمها وضحك العوام مجنونا يروني ولست بقيس وبطلا هماما ويعرفني المنام لا علي عتب فدعوني وشائي ولا علي لو أدركنم من اللوم ملام، ، إن كنت تائها فأنت بها ورد الحياة وزهرها شمس وقمر والذرى والخير أنت بدارها. وأنت دوامة بحر يوسف مخرجة الذهب والدر والمرمر والأمل،،وأنا بالرحلة هذه تائه وشيطاني الذي أغراني أواجه وكنت أشعر أنني عانيت فيها هذه الحياة لكنني مرفه لا تسألوني من أنا فلست

بمدرك بيد أني أستشعر خطرهما وأنا منبه، ويصور لي الشيطان أنني سوف لا أموت الآن، كل هذا كي يوقعني في الذنب أكثر، عد إلى الله أيها الفتى، أما رأيت عينيك وأذنك والفكر بك والروح، والمشى والركض والإحساس والنعم الجمّة الكثيرة، من أعطاك هذه النعم، ولو سلب الله منك إياها تعترض وتتذمر، ولو رزقك الخير ما حمدت، وبالطبع منكم الحامدون كثر، تالله لا أعيب أحدا، ولكن ربما أنا شخص مضطرب كموج البحر حين يقلبه الخريف ويشد عليه الحر وتربكه الشتاء، قد أكون أنا الطبيعة، آه... يا ليتني الطبيعة والطير والشمس، ليتني لم أكن حيا، ثم إنني سعيد كوني حيا أرزق ولا تزال لدي الفرصة للتوبة، ها هو محور الحديث يذهب للوضوء فلا يجد ماء، يتيمم من الصحراء ورمالها المحرقة، العطش يتعطش منه فأكاد أظمأ أنا هنا والماء بين يدي، وما بالك به هو، حيث السراب يغلفه ويحتوي كيانه، ويظنه ماء وقد وصل للتو فلم يجد ذلك السراب، أنا أموت وأغرغر فهل من منقذ، والله ما من منقذ لي التو، وهم يغسلونني تغسila دقيقا ويدعون لي، وابني يبنني سبيلا وصدقة جارية ومثلج ماء وقارورة خير فوق قبري وإلى جانبي، والصبار ذو الشوك يزحف نحوه ويجلب لي الماء، ما بالك أيها الصبار، إنك مر، فيضحك الصبار ويسقيني ماء عذبا فراتا سائغا، ثم يتحول لوردة وزهرة، تأكد تماما أنك هنا معنا بالرحلة..... نعم أنت ؟! لا تندهش ولا تتعجب... تجد نفسك هنا والله، أنا متأكد من هذا ولدي يقيني الثابت المتيقن من نفسه والواثق بها، وأنت موهوب في كل المجالات والألعاب والوظائف حتى، لكن تالله ما هي إلا الجراءة تنقصك، جرب وادع لي، ومن العجب أنني لا أدري بنفسي وأن أكتب، هذا إن كنت أنا الكاتب، أنا أقلكم مهارة... نعم لا تتعجب، فلتضحك وتكركر من هكذا شخص لا يعلم نفسه ولا ماهيتها، وإن تنعتوني مجنونا وتصفوني بالخبيل فقولكم صحيح، ومن منا غير مجنون بناحية من نواحي الحياة ونواصيها، ومن لا يحب النوم وهو سبيل للراحة، ومن لا يعشق الجمال، ومن منا لم يوسوس الشيطان له، ولم يوقعه في الرذيلة رهن الذنب وحبس الإثم والفجور حتى، ثم من منا لم يغضب فيلازمه الشيطان في ثورة غضبه، فتى يحدث نفسه مثلي، كان يجب عليها حيننا تنظر إلي وتلاحظ تصرفاتي العجيبة المريبة أن تبتعد عني، ولكنها دنت ودنت، لم أكن أتوقع قربها هذا رغم ما بي من نقص وعيوب، هي معي بالرحلة لا تتركني، مع العلم أنني لا أعرف نفسي، تعبت ولم أتعب وحزنت ولم أحزن، أنا لا أعلم إن كنت حزينا أم سعيدا، ظننت نفسي أنني سأجمع كل شيء فما جمعت شيئا، ماذا كان يحدث لو أَرْضى بنصيبى وأقنع به، والله لو فعلت لكنت سعيدا، وقد بلغ مني الهوى والزيف مبلغا وعرا خطرا، وتمكن الشيطان من إرادتي فأرداها، لا أعرف إن كنت أستحق العيش أم لا، ولكنني قطعا أستحق لأنني أمانة الله يملكها، وما بيدي أن أميت نفسي، أو هو بيدي لكنني حينها أكون قد ارتكبت جرما لا يغتفر، ولو فعلت لكنت كافرا جاحدا، ما بالك بي أيها الرجيم الملعون. يوما ما سأقتلك داخل نفسي وأنتصر عليك، حقا إنه رجيم، وجد سبيله إلى نفسي فتوغل بها وملكها لأنني ضعيف ولا أقوى على إغرائه، ولقد جربت أن أكون قويا ضد الأقوياء وضد نفسي، فها أنا أنجح لبرهة ضئيلة قليلة، وبعض شطر من ليل أو نهار،

ونجحت مؤقتا وما هذه العجوز اللئيمة سوى ريمة، تتشكل وتتحول، فتارة تكون أما وأخرى شابا، وحينما آخر عجوزا مسنا وشيخا هرما، وبين الفينة والفينة تضحي فتاة في ريعان شبابها، وقد تتمثل في هيئة الرحالة أو الفتاة أفيات، وقد تضحي مركبة فضائية وحقلا وبؤرة شر وبحر يوسف وعزبة عبد الواحد، إن فالعجوز كل شيء يمكن تصوره أو لا يمكن، وهي حاملة طائرات وحصن عدو وربيع مئمر مورك مبهج، وخريف عمر وشتاء وصيف، يخاف الجميع منها عدا المسلحون بالإيمان والمحصنون بالقرآن والذكر الحكيم، والمشمولون برعاية الله والمنتشلون بيده جل وعلا، ثم تضحي الآلة وتومض وتتحول غير تاركة المشاهد خلفها وغير مخليتها خلفها، كل الأحداث في كل الأزمنة والأماكن تحدث توا، والديناصورات تكاد تجن من المشاهد حولها، لقد نقلت نقلة زمنية ومكانية غير مسبوقة ولا تزال كلما دنا منها تبعد، ولو حاول مصارحتها بحبه تتردد، عصفورة رشيقة تغتر بجمالها، وهو جمال ليس له يسجد. حر أبي النفس يدوس على فؤاده ولا يضعف أبدا، هو بدخيلة نفسه يحبها، وتكاد تمثل له الماء والهواء، لكن الكرامة أهم، وأحق أن تصان. الغريب أن الفتاة تقرأ أفكاره، وتبادل له الحب لكنها لا تنطق بذلك ولا تعترف، زهرة من الربيع هي، والله إن الربيع مرحب بها، وهذا ما يصيبني بالذهول، حتى الربيع يحبها، قد أكون أنا ذلك الفتى وقد تكون أنت، المهم أن الجميع يحبها ويتمناها زوجة له، هنالك من هن أجمل منها، لكن مقدار الحب لا يقاس كلية بالجمال فقط، بل توجد مميزات أخرى تفوق الجمال تقدما. والجميع للتو يستمعون إلى هذا الحكيم وينصتون ويعجبون، والعالم الجليل يحاول إيقاف آلة الزمان والمكان بزر ذهبي فلا تتوقف، ومن ذا يوقف زحف الزمان والمكان، ولكن الآلة تتدخل في الحديث وتقول: أنا آلة عجيبة لا أكاد أدري ما أنا، لكن كل ما أعلمه أنني أستحضر الأزمان والأماكن... ثم شرعت تنشد وتقول: أنا آلة الزمان في كل زمان ومكان أستجلب الحدث وأحضره وما شئت قبل الأوان أنا عروس في نخل الصعل والشجرة ذات الرمان وسفينة حب وحنان ونشأت بكنف الرحمن أنا روضة حفني الفرخان ناعسة الطرف لدى الجان أنا شمس قمر ونجوم وحبوبة روح الإنسان أنا ما لا خيالك قد يصل والعطر بروض الأفنان. وتستمر في الشدو هذه الآلة الجميلة، والغريب أخو أنور لا يزال يشقي أخاه بحزن وهم، ويقول له: أنا لست أخاك. فيبكي أنور ويألم ويتألم. ويستمر الغريب في قوله مصمما عليه، وهما على شفا جرف هار من شاطئ بحر يوسف، حيث تزقزق العصافير... ألا تستمعون؟! هنا يرد الجميع وتهتف الكائنات:- تالله نستمع ونسمع ونرى وننصت. الآلة الغريبة جذبتنا إلى هنا واستحضرت أرواحنا من غياهب وماض ومستقبل وبقع وأزمنة وأمكنة. وللتو تصرخ العجوز ذات البيضة وتضغط رأس عوني دافعة إياه بأعماق محيط يوسف وجدوله، وأفيات تضغط بدورها رأس العجوز اللئيمة، وتمنعها من تعذيب عوني، ثم ها هو يقفز الفارس المثلث ويترك بحيرة التماسيح، بل تمتزج البحيرة بنهر وبحر ومحيط يوسف، نعم يقفز الفارس المثلث ويحارب العجوز ذات البيضة البلورية والعصا السحرية والشال والتعويذة، ويصارع المسحور وعائلاته والكائنات المائية الفتاكة، وتندفع الوحوش

من الغابة، فتقفز هي الأخرى في عرض المسطح المائي العملاق، في مشهد أسطوري قلما يتكرر، وها نحن نحياه بكل تفاصيله الآن والآن بالتحديد، وأنت معنا بذلك المشهد الجبار، فيما ظهر الشيطان المارد وأنا في الحديقة أغرد وأنا في الحقيقة غاضب أهدي الجمال وأسعد فشرعت أتلو القرآن والناس علي تشهد. روح عجيبة من الرحلة تلقي كلمات وتنشأ أحرفا، وتغني وتغرد:- هذه رحلة عجيبة يا رحالة:- نعم حسناء الخصال، أنا تائه بها لا أدري من أنا، يطلع علي الصباح ويغرب، وأنام وأصحو وألعب، وأحمل الهم قبلما يجيء، وربما إن لم أعل الهم لما جاء من الأساس. فابتسمت الفتاة لقوله، وقد لمست به الحكمة والنضج الجميل والصدق، وطفقت تعدو وتركض على جانب جدول الماء، وقد التقيا عرابيا الجميل، والمعروف أن الفتى عرابي هو روح الرحلة الجميلة، وهو الياسم الحسن والزهر الذي يعبق العطر ويخلف العبير، أخلاقه سمحة ووجهه منير، فلما التقيا به فرحا فرحا شديدا، وها هو يرحب بهما وهو متجه إلى مغارة النخل الصغير وروضاته الفسيحة، هنالك عند روضة ممدوح وبستان ممدود، لدى الجدول الرقيق منساب المياه والأمل، خارج سور بستان ممدوح، حيث هنالك في البستان الفواكه والخضروات والعصافير والطيور وخلايا النحل الفائضة بالعسل والممتلئة بالخير، وحمادة إلى جواره سلمى وعقلة الإصبع وأماني، يبحثون عن الترياق المضمد لجراح حمادة، حيث للتلو تلدغه الحية ويلسعه الثعبان، وهو عند ساقية الشاب عزمي مغامر الرحلة وبطلها، ولا يزال حمادة يتألم وممدوح أخوه يتألم لتألمه، والحمار والأتان وابنهما الجحش يتطوعون لإنقاذ حمادة، وبستان ممدوح يطير بالجمع، إذ أضحى هو آلة الزمان والمكان بالرحلة الطائرة الغائصة العجيبة، حيث يغضب للتلو ذلك الجني المارد ويتلوى ويتلون، ويشهق ويزفر بشدة وجبروت، أنفاسه من نار، وثورة الغضب تتملكه، ينفث قي دوامة بحر يوسف فتشتعل المياه وتموج غليانا واضطرابا. نعم..كما ترون يا رفاق، فيتقدم عبد الباسط صوبه ولا يخشاه أبدا، ويقرأ القرآن ويستغفر الله، فيهزم كيده، إنه مارد جبار يخرج عن سيطرة من لا إيمان له، لكن المسلح بالإيمان يهزم شيطانه ويردي هواه، والغريب أن من يتحدث فيما يلي هذه الكلمات في الرحلة هو الفرس المثلث نفسه، تلك الفتاة تبر لأميرة الرحلة طيبة الفؤاد والقلب، تعرف بنفسها وهي أغنى عن التعريف، بطلة مغامرة وسلطانة وأميرة، تكافح أيما كفاح وهي تجني القطن وتجمعه وتنقى اللطعة، الزمن يعود لها وبها، ويحضرها، وبالأحرى تحضرها آلة الزمان والمكان، العجيب في هذه الرحلة المباركة هو اختلاط الأزمان واتحادها وثبوت ووحدتها وقتها وتوقيتها، لا تنسوا أن الفارس المثلث هو ذاته الفلاحة الجميلة التي تدير الطمبورة الآن وتدر عن طريقها المياه التي تنساب في الجدول البهي حيث تترزق العصافير على جانبيه وتداعب المياه به طائفة وتنثرها حول جناحيها وأجنحتها، فيتناثر الماء مداعبا الرياح والنسيم والنسائم، ثم تهبط أرضا بعدما كانت قد ارتفعت قليلا، وتنغمس الطيور تارة أخرى في المياه وتلامس صفحة الجدول بكيفية عجيبة حتى لا تغرق وتغوص كما يغوص عوني الآن كما ترونه، والفارس المثلث هو الفلاحة الجميلة الطيبة تبر، وهي الدر والذهب والياقوت

بأخلاقها وصفاتها، تالله لقد ازدادت بالنقاب جمالا روحيا لا يستشعره إلا من سكن الإيمان قلبه، هو صائن لها وعفة وطهارة لنفسها، يلزم المرء بخوض الدرب الصحيح وإتباع تعاليم الدين، ناهيك عن المتعة الروحية التي يشعر بها من ارتداه عن قناعة وإيمان، ولا نقول كما يقول الغير، أن النقاب مقيد للحرية المرأة، كيف يكون مقيدا لحريتها وهو الذي رسم لها الدرب الصحيح كي تبعد عن الفتنة، ولا بد أن يكون النقاب فضاء ملائما لتعاليم الدين السمح، ومطابقا للمواصفات المطلوبة به، وأن لا تزين المرأة عينيها لتكونا جذابتين، فالعيون تشد الانتباه وتبعث على إغراء وفتنة، وإن كانت عيونها جميلة فهذا خلق الله وتلك طبيعتها، ومن الممكن أن تضع شالاً به ثقب لا تظهر جمال العينين، وفي ذات الوقت ترى العيون من خلاله كل شيء وتبصره جيدا، ومن المهم والأهم ألا تظهر مفاتنها الجسدية من خلال نقاب قد يكون ضيقا، والأولى ارتداء النوع الفضفاض واللباس الإسلامي، وغير المنقبة ترتدي الرداء الإسلامي الفضفاض، وظهور الوجه واليدين أباحه الكثيرون أيضا طالما لا تتفنن المرأة في تجميله بالمجملات والأدوات والأشياء المعروفة، وتنقل الرحلة وآلتها الزمنية إلى حقب ومناطق وأزمنة ملاصقة للحدث لا تتجزأ عنه، فتقول سندريلا مغنية شادية: لا أكاد يا عقله أطيّر وتطير حولي العصفير حتى يبدو لي في أحلامي قال خير، الأمير: هذا شدو "سندريلا" محدثة عقله الإصبع وقاصدة سندباد حبيبها المغامر الذي يطوي الدروب ويمر بالغابات والأحراش كما ترون، ويدمر خطوط العدو ويفتحم الأغلال، ويحارب الوحوش، وهي تخشى عليه الخطوب والنوازل الجسام، حيث لا يزال "عوني" كذا في صفحة الرحلة المصورة يغوص ويخوض في المسطحات المائية التي امتزجت للتو، ولم تترك بينها وبين اليابسة مجالا، والكنوز تطفو على السطح وتظهر بالغابات والآبار والعيون، و"مصطفى" صاحب الكنوز "سعيد فرح بما أرسل الله له من خير، و" أحمد المبتسم طيب القلب نقي السريرة " وصديق لطفي " في غاية الفرح بسبب رزق الله الذي يعم على الجميع بالخير، و"ساقية الفتى عزمي" تقلب الدر هي و"شادوف الشاب عبد الصبور" وظلمة ومدرار مياه الفتى تامر الجميل هنالك عند "منطقة الأربعة عشر فدانا" العجيبة، تختلط الأحداث وتمتزج زمانيا ومكانيا حتى نصل للتو بمركبة سحرية أرضية بحرية فضائية، نصل الفضاء وعهد الفراعنة والرومان وعهود ما قبل التاريخ، وحياة البرزخ والموت وقبور النخل الكومي، ونخيل نخل الصعل المائل المتمثل به الجان، ذلك النخيل الملتوي العجيب، والذي يمس ويسحر كل مار هناك، وأبو عفو يرشد الناس للدروب الصحيحة ويداعبهم ويضحكهم، ونخلة الفتى رشدي تطير في السماء، ونخلة رسمي الجميل تلقي ثمارها عملاقة في عرض البحر وساحة البر، يحملون الثمرة الواحدة من النخلة فوق ظهر الحمار والجمال، والحمار والجش والأتان لا يزالوا مارين بالجسر الذهبي في "عزبة عبد الواحد وهو الجسر الواصل البر بمستوى سطح البحر" و"دوامة بحر يوسف" الثائرة مقلبة الذهب والدر والمعادن النفيسة والمتصلة بكنوز العزبة الجميلة، أنشد وأنا في ساحة المعركة الفتى المغوار، والذئاب متشبثة بي، أنيابها كالنيران والفك لكل

منها كاللظى، وكانت تتلوى كالجان، بل هي بالفعل جان، ألا ترون؟! فنظر العالم الجليل وهو يستغرب الأمر ويتعجب، الرحالة يقص ويحكي والأحداث تدور. ينظر بدهشة وهو يقول: يا لك من جندي مقاتل ماهر يا "أيها الفارس". فنظر إليه الرحالة مبتسما والسيف يلمع في يمينه، في ذات الوقت الذي يدك فيه حصون العدو ويصول ويجول محاربا مشهرا حسامه، وسندريلا وسندباد إلى جواره يقاتلان، وعقلة الإصبع يعتلي متن الحمامة، والحمامة سفينة ترقق وتغني وتنشد وتداعب المياه وتلاطف الأجواء وتلطف الجو، تنظر إلى عقلة وهي تحمله فوق جناحها وتبتسم وهي تمد عنقها كم تبتوا هنالك إنهم أبطال وزلزلوا العدو فالمنى آمال في الحروب أنا معهم والمجد طريقي وقد أطلت من الضروس والغابة الأهوال يهواهم الخوف ويلحقهم فرار ونحن ما زلنا يهوانا النزال الكلام والوعود ما دأبوا عليه وترىهم فعلنا والنصر فعال محمد قد صال في الحروب وجال وقد هزم الأوغاد الفتى جمال كم ستشهد عليهم أسراب الآمال علينا ستشهد الليالي الطوال لي فيك يا دنيا تحقيق آمال وكم يطل علي من الحلم المنال قد مللت الحياة ولم أمل وكللت الدنيا ولم أكل وطففت بها شرقا وغربا حتى رأيي بها الحل وشبعت منها وشربت ماء وأطل علي منها الفل قد تجد اسمك وملامحك وصفاتك في شخص آخر يقطن آلة الزمان والمكان، تأكد أنك الرحالة المتشكل متعدد المواهب، وتأكد أننا سنتجاوز الهموم، وما رأيك بالموت، وهل تتيه معي أم أنت مدرك لما أقول وهل لا زلت حيا أم قضيت وو إن كنت قضيت فهل دفنت. قال ما تقدم عاطف وهو يجلس بجوار المصرف، ثم يهدد المارة بالإلقاء في المصرف كي تأكلهم الكائنات المائية، ونحن نعبر بالقرب العملاق بحر يوسف، وعبد المجيد يسوقنا إلى حيث حقول القطن، والياس متملك منا، حاضنا ومسيطر علينا، ثم ها أنا ذا ألقى نفسي في عرض النهر، ثم في الهوة المتقدة، ثم أحذر الفلاحة من الجان، ثم التقي جدتي أفيات فأجدها فتاة جميلة عاد بها الزمن، ربما آلة الزمان والمكان استحضرتها للتو، أكاد أجن مما أنا فيه، هذه رحلة دوامة كدوامة بحر يوسف المتلاطم موجها، ويقولون كاملا وما أنا بكامل، ويقولون الرحالة، ومن أنا حتى أصير في براعة الرحالة ومهارته الخارقة، وعن هاني، فهو فتى محير عجيب، لكنه في النهاية طيب القلب، ساخر مضحك، لا يجلب له الهم شيء، يبين أكبر من عمره، وكأنه هو العمر ذاته بعدما مر به العمر، إلا أنه حديث العهد بالحياة، ولكن تضاريس الدنيا حطت في وجهه وامتلكت قسماته، وأحمد يحسبه طاعنا في العمر، ثم يكتشف أنه صغير السن، وإذا قلت في قرار نفسي أو أعلنت جهرا أنني سأتوقف عن الكتابة، جاءني دافع وبلغني أمل أن أكتب وأكتب، ولم لا وأنا مشارك بالرحلة المباركة، وقد توفيت وقضيت كما تعلمون، ونبضي ما زال حيا، وقلمي يكتب بشغف. هنا صحا العفريت من رقاده خائفا من الرحالة، وتولى عنه وركض بعيدا، وكان يعدو خلف الفلاحة المثلثة الفارس المثلث الفتاة المحاربة الفارسة تبر، وهي تدوير الطمبورة البدالة آلة يدوية أسطوانية بتجويف ملتف يدفع المياه بعد تحريك الآلة بمقبض، نعم،، ترفع الطمبورة المياه في تجويفها الملتوي، وأنا في ساعة السحر مع أبي أروي الزرع ومن المفترض أن الشتاء يقتلني والبرد القارص يلدغي ويدغني

ويخطف كياني وعلى عكس ما تقدم أبدوا أنا، لا برد يؤثر في ولا يترك بصمته، أرتدي ملابس الربيع والصيف أبد العمر ولا يشغلني البتة الطقس، ثم أذهب لجمع القالوح..- تقدم يا حسن علنا نلحق وندرك صاحب الحقل ونستأذنه في جمع القصب وأخذ الأجزاء الخضراء من عيدانه، والبقوشي وشحاتة يتربصان لنا وبنا، فإن أخذنا قصباً كثيراً ثم خبأنا إياه، استشاط غضباً ولوح بسوطه وضربنا به، وها هو يفعل..- ابتعد يا حسن، انتبه محمد، حذار ضرب غام، والحمار ها هو يتركني وهو جحش أيضاً صغير، ويركل محمداً فيوقعه أرضاً، لكنه ينقاد لأمر عيسى ويطيعه، ونحن في الطريق بين الزروع والحقول، أسير ومعى "حسن"، و"عيسى" يركب "الحمار" ويغني، نلتقط له عيدان وأعواد القصب من الزرع المحروقة المشعل والمشتعل أو القصب العادي الذي لم تطوله النار، غسل نحل طعم هذا القصب، في الحقل "الرجل الظالم" وعند الله ترد المظالم وأنا بالرحلة تانه شريد طامع في الخير وحالم ومنال بها الذكاء تمثل يدري خبرتها العالم والعالم الجليل له قصة وهو المستبشر المسالم. والجان يتقلب على الأرض ويغطي جو السماء، مسخر من قبل "الساحر الشرير" و"العجوز ريمة"، و"مشكاح" على أمره مغلوب لكنه والله محبوب ربما يتبع ولا يتكلم ولا يعترض وهو الكتوم، وينتظر الفرصة كي تأتي وهو الفتى المظلوم و، ومحسن الرفيق والحبیب، الصابر والمحتسى والباسم الجمیل، رفيق العمر وكل الأهل والصحب، مداوم على صلواته وجميل صفاته، ثم ها هو عصام يقود السفن البحرية ومراكز القوة ويهيمن عليها، وعلى متن حاملات الطائرات ترسو الكائنات والأسماك وتحط الرحلة رحالها، وهو فتى باسم ذكي، ففي الرحلة الفتى عصام ثغره جميل بسام، جميل إلى حد أن كم تهيم به أحلام وذكي ويظهر الذكاء في أفكاره ويعم الوئام. يستمتع للحرف الجميل ويلمع وجهه بنور متدفق له سنا وبريق، وهو يتبادل قيادة آلة الزمان والمكان مع صبري الطيار الطائر، ويستمدان الجمال وحسن القيادة والنجاح من خبرات صلاح الدين القائد الكبير المحنك، وأدهم معنا بالرحلة يستكمل مغامراته، وهو داهية أسطورة، والشمس تطل خجولة محجوبة بعض الشيء، مع أن سمتها الاتقاد، كأن لم يكن به مرض وليس لي معه غرض حامد الجميل حكاية أمل وهو الأمانى الجدد وهو البهاء إذا ما حل والجميع لله هنا سجدوا على مسمى اسمه وسكن القلب وما لي عليه بعد المحبة عتب وكم وهب الله العباد خيراً فماذا العباد لله وهبوا أعطيه الابتسامة فيهبني ضحكة ويهدى لكلينا من الجنة العنب قد قالوا نظمك من نوع فريد وقد أصابه القدم ومسه العطب فقلت انتوني بنظم مثيل ويشعل لكم من العيدان الحطب. قال ما سبق ويقول للفتى حامد، وكلنا نستمتع إليه، يغالب مرضه ويطاوله، لا ييأس أبداً، وهو راض بحكم الله، ثم يحل الهدهد كما ترون ومن خلفه يبكي الغراب ويجعل جناحيه يغطيان ويحجبان عيني، فيترفق الفتى بجناحيه ويبعدهما قليلاً عن عيني ويقول:- ابتسم ولا تحزن، أنت فال خير لا فال شر، خلقتك الله ككل الكائنات. يضحك الغراب ويستبشر ويسر، ويخلق بجناحيه الجميلين ويحدث صوته المعهود وكأنه نشيد مليء بالأمل، أو قل كروانا شدا وهدى وغدا واغتندى، والكون كله يزغرد ويفرح ويموج ويمرح، حين ظهر سندباد

وهو يطير بيديه وقدميه ويتزن في الفضاء الخارجي، وسندريلا خلفه تفعل مثلما يفعل، وأنا وأنت وكلنا نحلق خلف ملكة النحل العملاقة المزركشة والمتحولة لكل الألوان والهيئات والصور، تنتج العسل فتنغذى عليه، والذكور والإناث في الرحلة الطائرة من عوالم النحل والكاننات... وتكمل الآلة مشوارها وتزور الأزمنة وتستحضرها وتستدعيها، ويهل من زمنه عبد الرحمن الفتى، فتنجمل البساتين والطيور تنشد، ويتقدم حامد ولا يتردد، ويأتي الهدهد بالعشب الطبي النادر فيلقيه على وجوه الكائنات فتتعافى وتسلم من الأمراض وتشفى منها، ثم نلتقي الفتى حنا وهو يسير بالدرب منتصب القامة مستبشر ضاحك، لا يحمل سوى بسملة دائمة تنفرج في إثرها أساريه وتبتسم الحياة برمتها له، لم أر منك يا حنا سوى كل خير، وتلك الابتسامة الملازمة لك. وهل عدت من رحلة الأمانى وحلت معك العصر والأمانى. - نعم حبيب العمر، ورأيتك ها أنا الآن وتجددت الأمانى وعاد الزمن. - أشعر يا رحالة أننى اجتلبت واستحضرت لهذا الزمن، شيء غريب يصيبني، آلة متقلبة متشكلة أنت بي إلى هنا. - وما بالك يا حنا إن كنا نحن هنا في جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين. كان بهلول ينظر إليهما وما هو يفعل، بسمته الجميلة البريئة وهو يقتاد إلى المزرعة والوسية ينم عن صفاء نية، وضرغام في جواره وإلى جواره يضحك الناس ويرفه عنهم ويروح عن قلوبهم المعانية إثر العمل الشاق وهموم ومتاعب وويلات الحياة العجيبة، ثم ينشد ويقول: - أتى حنا والرحالة جاء وإسحاق حل وجددنا الرجاء والله تعالى يرسل الغيث كما يرسل جل وعلا الأنواء، ويكمل الإنشاد في نسق آخر ذلك الأنا المسمى أنا وهو روح الرحلة حيث يقول وهو يرى الأخوان ميهوب ومهيب: - أحمد الفتى إنه ميهوب ومهيب أخوه عن الذنب يتوب ويحل بنا في نخل الأمانى ليل يوم أتى ويحل الغروب وحسن الجميل يوجه جمعا وسيد الطبيب تعلمه الغيوب وفتحي تألق عند ذات صباح ومحمود النشيط في عمله دعوب والفراس النبيل إليه التحية تالله إنه الفتى المحبوب وحلمي يقود وكرم الجميل عنا في الأزمنة الفتى المندوب والله سنعبّر رغم كل الصعاب بحر المحبة وتولي عنا الكروب. روح الرحلة لحنت وغنت وشدت بما سبق ولا نعلمها أي روح، ستجد نفسك هنا، ألم أقل لك. كان الناس ينظرون حولهم فيرونه على هذا الحال فيعجبون، إنه يحدث نفسه، لكن حديثه جميل، والآلة تتقلب بشكل عجيب، وتنتقل من حدث إلى حدث دون أن تخلي الأول أو تتركه، نحن في بؤرة أحداث واحدة ولو اختلف الزمن والمكان، ثم كيف يختلف الزمان والمكان وآلة الزمان والمكان تجلبهما من كل وقت وأوان، في حاضر هو الآن، ، أمر عجيب حقا، رحلة تذهب العقل وتأتي بالخبل والجنون حتما، لكن من يفهمها ويتدبرها يظل عاقلا حكيما، كيف الفرار من هذا القدر سوى الاستسلام له، قد حل بي الموت بلا رحمة، فهو مأمور من قبل الله بالتنفيذ، وعزرائيل ها هو يقبل فتقبل معه الغرغرة، وقضيت للتو وأدخلت قبوري، فمن ذا ينفعني. ينطق بكل هذا وهي تستعجب وتستغرب الأمر، روحه تنساب ها هي ولا ترى، تترك جسده مخلى إياه جثة هامدة. صرخت الفتاة صرخة مدوية وراحت تجري وتعدو في الحقل، فقابلتها رشا عروس نخل الصعل، وأمسكتها من عنقها وذهبت تطبق عليه وتزيد الضغط،

حتى سلمت الروح هي الأخرى، كلنا للتو أشباح تخرج من قبور وأحداث النخل الكومي، كلنا جثث هامدة وأخرى متحركة نابضة، والذئاب تعوي واللصوص يسرقون الناس وينهبون ممتلكاتهم، وشعبان على حاله من الضحك وعدم المبالاة بشيء يذكر، نظراته باسمة وهو لا يعول هما أو يحسب حسابا، كلما رآك أخذ يدق ويحدث صوتا بأصابعه حين تدب شيئا، تدب حائطا أو كرة أو جوالا أو أي شيء، ثم يخطب على كشحه وبطنه أو جبهته أو على الشخص المقابل، وسيد يداعب محمدا دعابة الأصدقاء حين يمرحون، والفراشة تتلون وتطير وتتغير أشكالها وهي تلازم الهدد في رحلته الطبية الطائرة، فإذا ما رأوا ميهوبا أو شعبان فرحوا وزادوا من التحليق ليلحقوا به، أو يبطنون من الطيران كي يلحقهم هو، والحوث الطائر الغائص المبحر الخاطر برفقة أنور لا يفارقه أبدا، وفاطمة ذات البساط ترسو على ظهره الممتد بلا حدود، بل وتحط الرحلة برمتها فوق متنه العريض الطويل، وهذا يعني أن الحوث هو آلة الزمان والمكان، بل والرحلة المتشكلة بها، فآلة الزمان والمكان للتو والمتمثلة بالحوث تتحول إلى قطار يطير ثم يرسو على الخطوط الحديدية المعدة له، ثم يتحول إلى سماء وأنهار وروضات وبحار، ويتحول إلى القدس وغزة والخليل وبيت لحم، ثم يصبح مصر العربية الجميلة، وميهوب ومهيب قد ظهر عليهما الإعياء، لكنهما أخوان جميلان، الترابط شديد بينهما والعلاقة الإنسانية وعلاقة رابطة الدم متوطدة، وعن شعبان فهو المحطة التي لا بد أن نتوقف عندها، لنأمل منها العجب ونعرف المعنى الحقيقي للحياة الدنيا، ومنصور يقود فرقا وجيوشا في ساحة الحرب، يبتسم وبيتسم له حسن، ويكركر إبراهيم، والرحلة على أي حال عجيبة غريبة، لم أر مثلها طيلة حياتي، لكنني فهمتها بعدما قضيت. ظل المجنون يتحدث والحكمة تتهاذى من بين شفتيه، ومال ميلة نحو المنعطف وصوب ربيع، فوجده على جانب المصرف يصطاد الطيور بالمصيصة الحديدية التي يصنعها سعد وكذا يصممها خلف الجميل، وخلف باسم الثغر وهو معنا بالرحلة شيء جميل وكيان مهذب، طيب القلب ونقي الريرة، وأخوه عبد الدائم يحبه عزف منفرد من قبل آلة الزمان والمكان وهي تومض وتبرق قائلة في نغمة شجية ندية إلى عيون ذات الرداء الأخضر أهدي حياتي ونهر نيل أسمر فالنيل نهر منذ بدء خليقتي عن طيب نفس قد أتاني وخاطر وظللت أسبح فوق موجه برهة ببريق سيف في يميني مشهر فوجدت سلمى عند قارب فاطمة تمضي بطيف مستنير نير قد زال ألمي واضمحلت غصتي ذات الرداء صعدت أعلى منبر وخطبت فيهم والبلاغة منهجي وبعثت حرفي في بديع تصور سلمى عشقتك منذ أول وهلة وأماني تشهد عند بحر أحمر وهي وعقلة في الهواء تساقطا وترى الحمامة في بكاء نادر وغدونا توا في رقيق مياهه ذاك المسافر في غدير الكوثر موج تلالا حتى أضحي كما السنا في عذب يوسف وازدهار الأبحر، هذا ولا يزال الشلقامي حسن يبيع البضائع مقابل القطن، وهو ضرير لكن يؤمن الناس ولا يخون أحدا، وأبوه يعلمه كيف يبيع ويشترى، حتى إذا أقبل الصبية من الحقل بعد جمع القطن، لا يوجد في محل البيع سواه، عالية المقام أضناني المسير ها هو يطل علينا الأمير على الشجرة هنالك عبد الرحمن والرحالة فوقها كأنه أسير

والأمير المسحور قد كبل فيها والبدر علينا تالله ينير وتبر الفتاة كم عانت كثيرا تجمع القطن وولدها منير والروضة بالحسن في عهد الربيع من وردها النادي فاح العبير. رحالة جمع كل الشخصيات بمختلف العصور والأماكن والأعمار هو من يتحدث ويكتب ويلمح ويصور ويحل ويقرر، وهذا أحب الفتاة وذاب في عشقها فيقول الآن: _ عالية القدر كم طال السهاد حين أرق عيني والقلب البعاد أراك في نفسي مرآة حياتي والله لكأن يشملني المهاد قد عدت للمهد من بعد عذاب لا أذهب إليها بل تأتي البلاد. كانت الفتاة تنصت إليه وتستمع وهو يشدو كالطير ويتغنى، فينبض له قلبها، تتأمل ما حولها فتجد صورته بها، وتود لو تفتديه بروحها، على عكس ما كان يظن بأنها لا تبادله نفس الشعور، وظلا يسبحان في الأحلام كل في عالمه، وكل منهما هو عالم الآخر ودنيته وجنته، هو ود من نوع فريد، فنظرت إليه وأطالت وهي ترنو، لا يكاد طرفها يتحرك إلا قليلا، تعلقت روحها به وهو يحمل الوحش حيث مكان الهدهد وفوجه الطبي الطائر، وكان الهدهد يبحث عن العشب النادر برفقة أبي قردان والبطريق وأبي فصادة وملكة النحل وعقلة الإصبع والكائنات بما تحويه من طيور وأسماك ودواب وأنعام و.....و.....، فلما وجدته يسبح في حزن بالغ اعترفت بحبه على الملأ، وأم الرحلة تضحك مبتسمة، لأنها تعرف حقيقة مشاعر الفتاة صوبه، والجدة أفيات لا تزال تسبح خلف العجوز الماكرة ذات البيضة البلورية الذهبية والحجر والعصا والشال، وعوني في المشهد يظهر وهو مطارده من قبل العجوز الساحرة، ولطفي يتبع الركب والفوج المائي السابح، وبهلول وسلطان وضرغام ومسامح، كلهم يحاولون التخفيف على الجميع من ويل ما يلقون، حتى ظهر روح الرحلة في صور وعدسات المجهر العملاق وهو يسبح في الكون ويقوم بتصوير الأحداث، وجاليليو وبطرس وابن يمين وإسحاق ويعقوب وإدريس، والكنوز تظهر وتتجلى في عزبة عبد الواحد درة الرحلة وبورتها المتأججة المتوهجة، حيث تقول الروح المتمثلة بكل شخص في الرحلة: - حزن زاحف يقرب مني ويكسر إرادتي، وها أنا أقوم تارة أخرى بعدما سقطت. قالها وهو ين من الحياة ويحمد الله في ذات الآن، وها أنا ذا إلى جواره في آلة الزمان والمكان أجلس، حين التفت إلي بنظرة ثاقبة حزينة، وسحبت آلة الزمان والمكان بالرحلة بلا حدود، نعم...سحبت الآلة الأحداث واستجلبتها من الأزمنة والأمكنة والحاضر والماضي والمستقبل، فأضحت متداخلة في حسابات البشر، وغاية في الدقة والإحكام بحسابات رب الخليقة والبشر، وقال الحكيم وهو يعظ، ويتعجب له الشيطان الذي يعظ، وشتان بين حكيم وشيطان، يقول الحكيم: - على الأبناء طاعة آبائهم وأمهاتهم، فطاعتهم من طاعة الله، وطاعة الله كما هو معلوم في معية طاعة الوالدين، هما يشفعان لك شفاعة الرضا، وسيدنا محمد يشفع لك شفاعة دخول الجنة والخروج حتى من النار،، على أنه في تسلطه هذا على أبنائه وبناته، يمارس عليهم ضغطا متواصلا منقطع النظير، وعلى الأب أن يكون سلسا لنا وقت اللين، وقاسيا في أوقات تحتاج القسوة ليصلح شأنهم ويقومهم، ولكن كونه فظا غليظ القلب، فهم سينفضون من حوله ولا يطيقون رؤيا ذاته البتة من من الأساس، وربما تمنوا له الموت لما فاض بهم الكيلة كن رفيقا وقت الرفق وحكيما إن

يحتاجوا الحكمة، وقاسيا وقت إنقاذ أبنائك من مهلك قد يقعون فيه، ولا تجعلهم يكرهون تواجدك، كن خفيف الظل لترسم على وجوههم بسمه، وكن صديقا وقت المشورة، وحكيما أن تقرير المصير، كن كما أنت بطبيعتك، إلا لو كانت طبيعتك فظة، فلا تقل أن الطبع يغلب التطبع حينها، بل اجعل التطبع منتصرا في هذه الحالة، الجأ إلى الله عله بصلح شأنكم، آيات منغمسة في العمل مندمجة منهمكة، تواصل ليلها بنهارها، تضبط لوحات التحكم للآلية العجيبة، وتخترع وتبدع وتصمم أشياء ومعدات تساعدنا في خوض غمار الرحلة المباركة، مهندسة بارعة وباحثة متميزة، فكرها نير حد الدهشة وهي تتعاون مع أم الرحلة وسندريلا والغادة الحسناء وسلمى وفاطمة وأمل، وكلهن حسناوات مكتحلات بالجمال والأمل وو الربيع يطل كما ترون لو أطلت واحدة منهن منهن أو أشرق طرفها وأضاء، وصبري الطيار الطائر يقود آلة الزمان والمكان ومعه صلاح الدين القائد الأعلى ومحرر بيت المقدس من بطش وكيد الظالمين، وحسن يسير في الحقول ليلا ومعه صديق كامل يجمعان البلح المتساقط أسفل النخيل حتى يحل ضوء الصباح فيعودان بعده ببرهة ليست بالبعيدة، يعودان أدراجهما صوب عربة عبد الواحد، والغريب أن آلة الزمان والمكان قد عادت بهما صوب الماضي ثم جلبتهما لأرض الحاضر، والأعجب أنها طاولت المستقبل فقدمت بتوقعاتها وأحداثها التالية صوب الحاضر الراهن أيضا، إذن فالحاضر نقطة التقاء أمل وتحقيق هدف، ونقوم توا بتصنيع معدات حربية وقنابل وذخائر ومعدات أولية تعمل بالوقود الشمسي والطاقة الطبيعية وطاقة الرياح والجاذبية، فلأرض جاذبية جبارة تحفظ توازن الأشياء، وهي بمقتنيات ومبانيها وبحارها وأنهارها وجداولها وعيونها وصحرائها وبرها وشجرها وبقليها وفومها وعدسها وبصلها وربيعها وخريفها...وو...و هي بكل ما تقدم وأكثر تدور ككرة في السماء تطير، لكن دورانه بحكمة إلهية معجزة لكن من يتصورها ويراه، فلا شيء يسقط في السماء، ولا السموات يسقطن على الأرض، ولا تتغير جاذبيتها، فهي بمقدار محكم معين مقدر من قبل الله تعالى، وفي الحقل الأحداث الجسام تحدث، ويظهر نخل الصعل وهو مستعر بالنيران التي سببها وأشعل جذوتها الجان في النخيل، والنخيل ها هنا مانل مخيف ملتف ملتو، ترتسم على خوص ذاته وجذوعه عفاريت، ويبين بطول النخلة يتخللها مثل الريح والضوء، ورشا زعيمة نخل الصعل تطارد المارة وتقتلهم وتنشب أظفارها في أجسادهم، إلى أن يمر أنور فتهدأ ثائرتها، كم تحبه وتهيم به، بيد أن من قتلها في ليلة زفافها كان عاملا مساعدا في أن يتمكن منها الجان ويسخرون روحها لفعل الشر وقتل كل من تواجهه، تشيب رشا ثم تعود عروسا جميلة فاتنة و ثم تهرم فتعود طفلة صبية، تستحضر حياتها آلة الزمان والمكان، والعجوز عند العين ما بين نخل الصعل والنخل الكومي ما زالت توهم أنور أنها والدته، تتشكل بهيئتها وتمثل وتدعي الطيبة، ثم تتحول لكل الأشكال التي يتشكل عليها الجان وتمثلها الوحوش، وما تلبث العين إلا ان تجف وتختفي، ثم تظهر ها هي الصحراء الجرداء وتتقد حرور الهجير، ويقدم ويتقدم الشتاء مصطحبا الخريف، فتحاربنا الطبيعة بويلاتها حين تلقينا ويتقد الجواد والحصان الأبيض الطائر ليرسو ويحط عند

أنور، يركب الفتى ويعتلي متنه برشاقة عجيبة وو يحلق الجواد للتو، ورشا تطير وتحلق صوبه وخلفه، هي تريد أنور لنفسها، فقد ملك عليها كيائها وشغل فكرها، إن مداها رفيق العمر وعصام الدين كذا والفتى الضرغام ومصطفى وعبد السلام، وعبد الرحمن هو اللمحة الساطعة في هذه الرحلة، حيث يصطحب هذا الأخير القائد العظيم صبري الطيار الطائر، وهما في رحلة تمويه الوحوش وإبعادهم عن مسار الرحلة، ولأن الرحلة كلها مسارات لأنها تشمل كل شيء، فيأتي التمويه معهما شاملا الوجود والقبور والحياة الأخرى، وعاشور كما تعلمون كمشاركين بالرحلة، عاشور فتى جميل ضاحك مستبشر يأخذ الأمور على محمل البساطة ويذهب معنا إلى الحقل ويضحك أملا وعمر، ويجعل الصبية والصبيات والأطفال والرجال والنساء والجميع في هناء يحيون، وعلى شاكلته لطفي وحفي وبهلول ومسامح وآخرون، هم النعمة التي أرسلها الله إلينا، بسطاء حد الدهشة وتتجمل آلة الزمان والمكان بهم والرحلة يشملها العطف والتسامح، والمغامرات تترا تتوالى ومتتابعة تتلاحق، فيلحقنا السعد والهناء وحتى يغمرني الموت بأمواجه فأغرق به ولا يغرقني وإنه تكملة للأحداث، وها أنا أنعم بروضة في الجدد والقبر، ولا زلت بالرحلة، فالرحلة تصل الأزمان حاضرها وماضيتها ومستقبلها ولاخرتها وأخراها وأولها وعاقبتها، وهي لا نهائية الأحداث، ولا بداية لها، فلا تعجب، وإن كنت حاشا حاشا....إن كنت ترى أن الله له بداية ونهاية، فقل حينها كاذبا أنها رحلة بحدود، تالله هي بلا حدود، على أن آلة الزمن والمكان تتحدث دونما انقطاع وتستطرد متواصلة دوما مخترفة كل الجدر والغياب والغيب، مقدرها الله وجاعلها سببا، مطموسة مبهمة في علمنا، دقيقة مرتبة مقدرة بحكمة وعناية بحسابات الله رب العالمين وهي تقول للتو:- كتابة الشعر تكون جميلة حين تضحي مصقولة بدراسة وترتيب فكري ينبع من موهبة متجلية واضحة، والشعر يعتمد على النبض والإحساس والتجارب وخوض المعاناة والحرمان والتمتع بملذات الحياة، ويبنى نظم الشعر كذا على العلم والتعلم والتفقه في كل شيء، فكونك مغمرور في شهد وعسل التحصيل العلمي والثقافي، فذاك يوهلك أن تكون علامة وعالما، ثم تحولت لآلة الزمان والمكان في لمح خاطف تجمع الأحداث وتختار أحدها للعرض مع جلب البقية للحاضر، كل ما تقدم في آن واحد وسن من النعاس، فتقول الآلة مضيفة:- إن لي إن طال عيشي غاية وأرى الحياة من أجلها محفوفة بك يا مخاطر كل نفس تطمح تصل المراد المستباح وساعة بها يرضى قلبي عن جمال راقه قد كان كل ما أصابني نعمة فما رضيت وكنت دوما ساخطا ومر وقت فوجدت فيها فرحة ولأصبرن من بعد ذلك طاعة حتى أذيع على العوالم هالة من اليقين بأن ربي رازقي وفيحاء روض قد ظننتها غابة ووصلت توا عند أقرب روضة فعدت حياتي في ظلالها جنة، حق أببك وأمك عليك فما أحن عليك من والديك قد ربياني صغيرا فما قد شكا أي منها بل علي بكى هيا تعال نح يأسا جانبنا وكن للحبيب طوع أمر معربا إن قولي رغم بعض بساطة من جمال نال أعلى غاية، كنت أنقيك من الشوائب حين الصبح ووقت المغرب وأنت من صنت عهد الهوا ولا مثيلك لي بعد الهجر بمرحب،إني ودونما التعمق متسرع ويا ليت التسرع هذا أمنع ورب شخص ذي

خلق أظنه سيء الطباع ثم بعدها أرجع يا ليت أتمهل قبلما العجلة تأتي على نبضي وقلبي
تفجع يا من ظلمتك في حكم تمادى وكم سرى التمس لي العذر فإني خاضع لشيطان كلما
همس لي ناصحا ظننته النبي وله أخضع يدس السم في قول يروق له فأنساق خلف وهم منه
وأشبع رغبة النفس في فعل كل دنينة فأنا لشيطان الهوى والكيد راعع تمهل أخي قبل قول
تقوله فضوء الحق حين التمهّل ساطع ورب فتى نال من الدنيا النوازل ثم أضحي نجمه بعد
الفجيعة يلمع ومن يصبر على بلوبان تكن تحل به تمنعه من نيل المهلكات موانع فكونك قد
رضيت من الإله بما قضى فعنك تبعد وقد رضيت الفواجع وثمار صبر هي من دموعك قد
ارتوت وقد ظلموك بحر يوسف وأنت من النيل تنبع دوامة بحر يوسف أن لا أعرفها فمن
المؤسف أما بك هذه الحياة مسرة ولا أقول أن الدهر غير منصف في حال قلبي فإما
معترض أنا أو عن جل العلم غير كاشف. كلماته تتقاطر كالأمل، وتزل غيثا على القلوب
وتحل جميلة على الأفئدة، صنعته وموهبته توظيف الكلمات والحروف كي تتناسق وتتسق
وتبحر وتغوص هذه رحلة دوامة، وتشبه دوامة بحر يوسف مخلخلة الأحداث ومفرقة الأحبة
ودافعة الدر والتبر والياقوت صوب السراييد في الممر الأرضي المار بالكوخ المظلم
المسحور أسفل نهر الموت، رحلة تعجب لها أشد العجب، حيث الفتى إيهاب مثال الأدب
والخلق والاستقامة في فصولها المتغيرة، وهو الناصح الأمين ذو الحكم الجميلة وصديق
أبي عوف دليل الرحلة وعقلها الفطن، الاثنان هديتان من لدن الرحمن، وهما معنا بالأحداث،
فتأكد يا صديقي أنك معنا بها، وأنت الرحالة وأنا لا أعلم من أنا، وأنا شخص اسمه هكذا
"أنا" وهو مشترك معنا في الرحلة الجميلة ولا تبرحه وتغادره آلة الزمان والمكان، اللهم لا
مفاجآت تأتي على بقيتي الباقية، وأصلح شائي، ولا تكنني إلى نفسي طرفة عين، اللهم
ارزقني التوبة قبل الغرغرة، والمسرة قبل الحزن والوجل، وعند المصيبة والنازلة والفاجعة
ألهمني الصبر والسلوان، كلما ينادي أحد ظننت أنه ينادي علي، أشغل نفسي بكل شيء
حولي، فمتى أشغل نفسي فقط فأهذبها وأتقيها من الخبائث وأظهرها كما أمرنا الله، والله لقد
حار عقلي وقلبي وفكري. كان سلطان يسمعه وكذا الآخرون وحتى الطير والجماد والنبات
والشجر، والنعاس سبب في حرمانني ممن أحب، فتاة غيرت حياتي وهي الأمل والحسن
والدلال والجمال، وسلطان يعجب من قلبي ويكاد يجن حين تختلط أفكاره وتتزاحم، يضحك
ويسخر ويلوم عاطفا على تصرفاته عند المصرف ومطاردة الناس، ويتحدث إلى السائق
رأفت حيث الأخير يجلس بجوار صبري الطيار الطائر وها نحن بالجنة ومعنا خضراوي وهو
يقرأ القرآن وسيدنا محمد يشفع لنا، ثم تبين الأحداث في عمق كل بحر أو داخل نيران أو في
حوادث لا تخلي من الجسد شيئا، والقبور تظهر في النخل الكومي المجاور لنخل الصعل وو
نخلة محمد يرسم فوقها البلح كبيرا عجيبا أصفرا ويتحول للأحمر، وبجوارها قليلا نخلة الفتى
رسمي أبيض القلب والوجه، والثمرة نقية مثله ومشرقة، حجمها عملاق عجيب، والأعجب
أن النخلة تلك تطير وتحلق مع الرحلة وأماني وملكة النحل وأبي قردان وأبي فصادة وأبي
عوف ناصح الرحلة ودليلها للخير والمسار الصحيح، والجميل فاروق يتسم بضحكته الجميلة

وهو طيب القلب، نعم بما أتانا الله من خيرات، ثم تأتيني الغررة وسط الجمع وأنا لا أستطيع التوبة، فيوقظني أنور لأرى أمي وإخوتي وأخواتي وأقاربي، يا للدهشة، نحن لا زلنا بالحياة الدنيا، فتحدث آلة الزمان والمكان تحولاتها العجيبة اللانهائية لنجد أنفسنا عند الصراط وو يعبر هذا الصراط بسرعة ورشاقة، وذاك يتعثر ويهوي إلى النار، وهذا كما ترون لا يلحق النيران ولا الجنة، وذاك وقع في قعر النار ثم يعفو الله عنه وهذا يرجو رحمة ربه ويطمع في الجنة بعفو ورحمة الله، فيحقق الله تعالى له أمنيته، ويخرج من النار صوب النعيم والجنة، وأنا حائر بين هؤلاء آ عملي ضبابي غير واضح أو جلي، نعم، ، والله فعلت خيرات كثيرة، لكن ذنوبي كثرى أيضا، كم أتمنى رب أن تخرجني من هذا العذاب، لا أقوى على تحمل النيران، يبكي الصحاب علي وتعمل الهم الرفقة الجميلة، اللهم نسألك الجنة، وها هو سيدنا محمد يشفع لنا ة وأبي أراه يخطر في جنات النعيم، يأكل من ثمارها ويصيني بعض دعائه لي قي يوم ينفع فيه العمل، والوالدان هما الأساس، رضاهما ورضائهما من رضا الله، والله ها هي أمي وجهها منير وأبي يضحك وأخي يسلم علي وأختي قلبها رحيم بي وكل هذه الوجوه مختلفة إلا في بعض التشابه البسيط، بيد أن البصمة لا يتفق فيها اثنان أبدا، وكرامتي تجرح من أدنى شيء، ربما من جرحها لم يقصد إيذائي، أود الفرار من هذا العذاب الأليم المطبق، الرحلة تدور في خلدي، تسعدني أحيانا وتتمكن من إرسال الوجل إلى قلبي أحيانا وأحيانا أخرى، مع أنها الجنة اللذيذة ذات الثمار والأكل والنعيم، أتمنى أن تسامحني يا من جرحتك ذا يوم، طبعي غير جميل، لدي اندفاع عجيب مريب وثورة غضب تتملكني وتمسك بزمام أمري، أنا لست بالمؤمن الذي يكظم غيظه كما أمرنا سيدنا محمد، بل أنا شخص مندفع غاضب، أنور لأقل شيء، وتجرح كرامتي لأدني ولأقل حرف أو إشارة أو ضحكة تحمل السخرية أو بسمة تلومني وتوبخني، والفتى محيي جميل بالرحلة يسافر معنا عبر الأيام وهو حكيم كإيهاب، معي أنا وجلال الدين وقمر الدين والرحالة والمغامرون والبحارة الثلاثة ونور الدين، لا زلنا نخوض الأخطار ونطوي الصعاب، يتخلل أجسادنا الموج، والسفينة المحملة بالذهب تشق نهر ومحيط وبحر يوسف، وتختلط المسطحات المائية وتتطاير عبر السماء مكونة السحب الجميلة، نسبح داخل السحب وفي الفضاء العريض، حولنا الجزيئات المادية المتناثرة في الفضاء، والذي هو ليس بالفضاء من الأساس، فغبار كوني ونيوترونات وشهب وكواكب وكويكبات ونجوم ومجرات وعناقيد مجرات وأشياء أخرى لا نهائية ها هي تسبح معنا، وأجرام عجيبة وأشياء كثيرة، ثم ها نحن أولاء نهبط مع السحب كغيث يملأ الأنهار والبحار المختلطة أجزاؤها، يا للروعة، والغابة تطل علينا من بعيد، وعبد الباسط لا يزال على عهده من الحكمة والطيبة وقوة الرأي والثبات على الحق، وعلى عهده كذا من الجراءة منقطعة النظير، وإبراهيم المبتسم الطيب يزين رحلتنا بجمال وبساطة وتعاون مع الناس، وهو برفقة سندباد في مغامراته، وصديقه الرحالة وحبيبه قبطان، ومجدي هو رمز من رموز الأمل المحقق بالصبر والإيمان، والقدس بطل علينا بروحانياته وعطوره الإيمانية وهو محرر ونحن نصلي فيه جميعا، ثم نتوجه لنخل

الصعل فنجد رشا كما ترون وقد ابيضت عيناها وحملت فينا بهينة مرعبة، ثم مدت يديها فأملت وتميل النخيل المحمل بالجنان في خوصه وسعفه، وحمدان عند حافة المصرف يهينه كي يجري في الجداول ليسقي الحقول والزررع، والفتى سامي يتوجه للمسجد كي يؤذن للصلاة وبصحبتة الشاب عبد القادر، حيث الأخير موهوب في فن كرة القدم، مراوغ قلما تجد له مثيلا، وها هو عرابي يرانا من مكانه الجميل عند الكوعة، وكأن اسمها أخذ من الكوع لدى الإنسان، فهب تنعطف يسارا وأنت تمر وظهرك صوب العزبة الجميلة عند مبانيها ودورها، وإذ انعطفت يسارا فأنت متجه صوب النخل الصغير، حيث في ساحته الفتى خضراوي الذي يرسل الكرة عرضية إلى كامل والذي يراوغ ويبعثها لأحمد، وتصل من أحمد صوب عبد الرحمن ومجد، اللذان ينطلقان بها، فهما ماهران عملاقان، وجمال كذا معهم وهو أسطورة كرة قدم، وينضم الرحالة وسندباد في مشهد أسطوري لفريق الأحلام، ومعنا مجد ومعتر ومحمود وهاني رمانة ميزان الملعب، وعن معتر فله قدم يسرى تسحر الكرة وتجلها ملتصقة بها، وعن تصويباته فلا تخطيء أبدا بأمر الله، ومحمود متألق في فن الساحرة المستديرة حد الدهشة، ومجد لاعب قلما يوجد نظيره ولو نقبنا عن الدرر في كهوف وسرايب الكنوز ودرة هو وموهبة نشأت فوق ضفاف نهر النيل وبحر ومحيط وجدول نهر يوسف البديع عذب المياه، وفي جانب من الرحلة غير منفصل أو بعيد، بل متصل بالأحداث تمام الاتصال تظهر روح الرحلة فلا تعلمها هل هي للرحالة أو الفارس المثلث أو شخص غير معلوم مؤقتا أو أبدا، حيث بقول والجميع ينظر، وينشد والأمني تخطر: يا ليت أتجاوز آلام الظهر في الصباح إن كنت أو بعد الظهر في الليل إذ يضني أيامي بالهم أو بعد الفجر وقبل العصر في الكنز أحلام وتحقق الحلم ككم فيه من ذهب وخالص التبر كم فيه ثروات وموكب الحسن وكهف ياقوت ومواكب الدر ليتني همومي ألمم وليت أبوح وأتكلم إن النوازل ها هي كآني بها مغرم حطت علي كطائر وجوادي الطائر يحمم وأنت يا ناهد قصتي بك يا حبيبتي ملهم أكتب الرواية وأنطق وأغني وأنشد وأحلم أنا الصبي الذي راقت له الأنجم، ويستكمل ما يمليه فكره عليه: لم أخاف وأعول هم المستقبل قبلما يحدث، ولم حديث الناس وكلامهم يؤثر علي كل هذا التأثير، والله الموت أرحم مما أنا فيه، ثم ها هو يمر الوقت وأنا كلي هواجس ومخاوف، فلا أنام ولا أهنأ بعيش، حتى جاءت الرحلة بآلتها الزمنية فاستبقت الأحداث واستحضرتها من المستقبل وها هي تفعل، ولملت الماضي واستحضرتة أيضا في لمح خاطف الآن، وأرى نفسي للتو طفلا صغيرا محروما من كل مقومات الحياة والمعيشة، لكنني أستاذ وأتمتع بهذا الحرمان، لأن الرضا يملؤني، ولم أبعد عن الصلاة وفروض الله، وأتجه صوب درب الشيطان، ثم أحسد هذا وأكره ذاك، وأخشى النوازل والمنايا، أي معيشة تلك المضطربة المزلة التي أحيها، ثم ها أنا أستعجل الموت، فإن أتت بشائره كنت جباناً لا أريد أن أفارق الحياة. تفوه بما مضى وهو يبكي، وقلبه متقطع ضائع، دقاته غير منتظمة، وأنفاسه مخنوقة صعودا وهبوطا، صدر ضيق كأنما يصعد في السماء، وهو يتوجه لله بالدعاء للتو ويقول: اللهم أدركني برحمتك وطمأنينة من عندك، أستغفرك

ربي وأتوب إليك، اللهم إني عبدك الضعيف، كم أريد أن أؤدي الصلوات الخمس والسنن وأن أكون طاهرا، رب إني أخشى المنية وأن تحل بي الغرغرة قبل التوبة، اللهم إني أحر ولا أجد ربا وملاذا إلا دربك وطريقك. هنا تبكي سندريلا عليه وعبراتها تداعب الوجنتين وتسيل مستكملة درب المعاناة فوق قسمات لينة متناسقة ملؤها الأمل، رغم كل شيء، ويستكمل الفتى حديث نفسه إلى نفسه وإليها: رحلة بها العجائب وبها اللبن الرائب أنتم بها مكسبي وأنتم كذا المطلب بها كم ألعب الكرة والحكم بيننا الملعب إن كنت ماهرا بها فمن قبل ولادتي ألعب خضراوي موهوب إذا قابل الفريق يغلب ووهيدي بها متحكم والفن الجميل ينسب لمعتز فهو مخضرم وعن فن الكرة معرب ومجد بالكرة راكض واللؤلؤ الجميل مطرب يطرب الفؤاد بلعبه والفوز عليه يترتب ماهر قد بلغ الربا وهو لقلبي مقرب نشأت في الحياة معه وعبد الرحمن منا يقرب فتى قد جاوز المدى أدبه ولا يتعب فالساحرة إن كانت معه ظاهر فلا يغرب كالشمس في كبد سماء والبدر علينا يعتب ولقد أحبيت الربا وكم سيفي لا يسلب أستله من غمده وإني المحارب عنترة هلم تعال في مجدنا نرغب، نعم... لا تسألوني من أنا، ولا تسألوا أنا، نحن أرواح بهذه الرحلة، موتى كما تعلمون، وإنكم لمدركون، فكل داخل القبر والجذث، والرحلة بها الحدث، تجمع الأزمان والأمكنة، والاحتمالات بها ممكنة، ارتديت لباس الجراءة وقدمت وتقدمت إليه ألومه وأنهره، فتقدم صوبي وأمسك بي وراح يلدغني كما العقرب والأفعى ويضربني ويلكمني ويركلني، وهو غليظ القلب قوي البنية صوته جهير، تخلصت منه ولكمته في أنفه فهشمته، ثم لويت ذراعه خلف ظهره وركلته من الخلف فاندفع وجهه في التراب والوحل والطين منكبا مدرجاً، والصبية يضحكون ويسخرون، فهب والطين يملأ وجهه ويداري أنفه وعينيته، وعدى وهو لا يرى شيئا، فوقع في المصرف ولحق وجهه الماء وغمر به، فأبصر من بعد أن طمس الله عينيته الجاحظتين، وتسلق حافة المصرف وهو يستشيط غضبا، فركلته أثناء صعوده فوق تارة أخرى، ثم تقدمت النوارة على جوادها ومعها النسر، ولا نعلم ما علاقتها به، لكن الظلم جمعهما على الانتقام من الخلق والناس،، والواقع في المصرف ذاك رجل بلغ من الغلظة والقسوة ما لم تملكه قلوب الحجارة، هذا إن كانت للحجارة قلوبا، وإن من الحجارة لما يشقق من خشية الله، في زرعته المعهودة عند الحد المسمى " المحاذة "، يضرب الصبية ويغتصب إراداتهم، يسعى أولئك لكسب العيش من بعض لوزات القطن التي يقطفونها من بعد موسم الحصاد مباشرة، وبعض حبات الفول والمحاصيل الأخرى كل في أوانه، والرحلة ليس بها أوان، بل هي كل المحاصيل التي تنتج في آن واحد، والشلقامي وابن حسن وضرغام وسلطان ينتظرون ما تجود به يد الله لهما، فيستقبلون الصبية عند الدكان ومعهم مشترون آخرون _ والدكان هو " متجر البيع للسلع بمختلف أنواعها " _ ويأخذون القطن مقابل الحلوى والسكر والأغراض الأخرى والمنتجات الجميلة والبضائع المباعة والمشتري خيرها، فكما ترون ذلك الرجل المخرم يمسك بالأطفال والصبية ويعاقبهم ويمنع الزكاة عن محصوله وأرضه، والله لا بركة بما جمع ولا خير، فيذهب كل شيء هباء دون الزكاة وحق

اليتيم والمحتاج وابن السبيل والسائل، ونحن لا نسأل إلا الله، ومعى ضرغام وسلطان وأحمد
وعبد الرحمن والرحالة وأنا وسها ومنى وعزية وخديجة وزينب وسمهانة وحمامة وتبر،
وقبطان والفارس المثلث والفارس النبيل والهدهد وأبو قردان وعقلة الإصبع والحمامة
وأمانى ونرجس وجيهان ز....و....و....حسن يعد نعمة من قبل الله خالقه وخالقنا، يسير معنا
في الطريق الوعر صوب نخل الصعل والمبيضة حاملة الأسرار والخوف، والظلام يطمس
أبصارنا لا بصائرنا، وحسانين الفتى الجميل يحارب الوحوش برا، والفارس المثلث يصارع
التماسيح والأحياء المائة ماء وبحرا ونهرا، وحمادة الماهر في فن السباحة لا يزال في
الحجرات الذهبية ذات الأموات والجثث والهياكل الذهبية، الساحر الشرير يهاجمه ومعه
النسر ونوارة والابن الضال والجيشو الجبارة المعادية، والحوث يواجه الطغاة ومعه أنور
والرحالة والفتاة تبر وأسطورة الرحلة الضريرة فتة، ومع الجمع فاطمة ذات البساط
السحري والتي لا يزال الرحالة يبحث عنها، حيث ملكت وجدانه واستأثرت من حبه بنصيب
الأسد، وملك من قلبه شغاف الروح ومن لسانه عذب البوح، وحسن يتزعم كل هذا عن
طريق خفة روحه ودمه، بسمته هي الربيع حين يطل بجماله، وضحكته تضحك وتبعث على
فرحة عامرة، الطيور تحبه والكاننات، وهو صديق كامل الصدوق والأمل الذي بعث ليجدد
النشاط ويحيي الفؤاد ويملك الوجدان، ولا يزال عوني في خضم كل هذا يهبط إلى القاع، هذا
إن وجد قاعا أصلا ومن الأساس، فبحر يوسف يتشكل الآن ويتحول إلى محيط أطلسي
وهندي ومحيط هادئ ومسطحات مائية أخرى، ويتحول أيضا إلى بساط فاطمة، ثم يعو بحر
يوسف من جديد، عمقه لا نهاية له، وعوني يملك من الأنفاس ما يؤهله للسباحة إلى ما لا
نهاية، أو في للغوص والإبحار والنزول والهبوط، وما يدفع لذلك سوى كيد العجوز ذات
البيضة الذهبية البلورية والعصا والشفال المتحول، والفتاة والصبية والعجوز والطفلة أفيات
لا تزال تمسك بالدبرك المصقول السحري المتحول، والذي هو يتحول الآن فيصبح جذع
نخلة وعودا ونفقا وسماء وأرضا، وشجرة ذات ثمار، لكن أساس هينته عصا غليظة من
الأشجار العتيقة الغريبة المريبة، خشن قوي لو يدفع به ويضرب شخص ربما يخلق ويطير
في السماء، وإسماعيل زوجها معها، فهو منذ برهة ضئيلة ينقذها من قبضة الجان بالقرب
من مسجد نمر عند شجرة الجميز حيث سامي وأشرف وأبو الجود ورئيس وخليل هنا
يمكنثون ويرون ونرى المشهد بل ونحياه، وأهل عربة عبد الواحد النوارة والنسر، ويعود
الحدث ويستجلب ويستحضر ليحدث في الوقت الراهن الآن، حيث حسن لا زال يقود الجمع
بصبر وحب وفضيلة، يضحكهم ويهون عليهم، ومعه على شاكلته لطفي وبهلول ومسامح،
فواكه الرحلة وشجرها المثمر وربيعة المزدان، والشاب " حسانين " يدفع الذنب بالعصا،
فينقلب الذنب أسدا فوحشا فمدمرة وضبعا وأفعى، ويتلون فيصبح طائرة ومحلقة، والذنب
ذلك الذي يهاجمه حسانين هو ذاته الذي يهاجم الحمار والجاموسة وأهل عربة عبد الواحد،
والمشهد الآن كما ترون يبين ويظهر به " حسانين " و " حماد " وشباب آخرون ونساء
وأطفال، عض عصا الفتى الجريء حسانين ويحاول التهامه، ولكن هيهات له، يطلب

حسانين النجدة من الرفاق ومن قبلهم الله، لقد تكاثرت الذناب والوحوش عليه والكثرة تغلب الشجاعة، يستعين الفتى بآيات من الذكر الحكيم، فالفاصل بينه وبين الرفاق هو الهوة المتقدة بالنيران، ومسطح نهر ومحيط وبحر يوسف، وكذا الدوامة الثائرة التي تقلب الذهب للتو وتبعثه وتدفعه حيث كنوز مصطفى وأحمد التي ينعم بها الجميع من أهل العزبة بؤرة الرحلة تلك ورمانة الميزان بها، والجوافة تتهدى فوق الموج منسابة، تركها ممدوح تسافر بصحبة البلح وأقراص العسل المحمولة على المركب الورقي الصغير والقارب الدقيق الذي صنعه حمادة كي يعبر الفتحة النافذة في سور البستان، هذه الفواكه وأكثر تخرج خارج سور الروضة والبستان حيث الأطفال يمرحون ويلعبون بالمياه في جدول جنة الطفولة والذي منبعه بحر يوسف وكنوز دوامته العجيبة ذات الأسرار، ونحن هنالك للتو قد ظننا أننا أحراراً، لكن العدو حدد إقامتنا حتى في التعبير المسموح عن رأينا، ونحن نهتف برمة أبنينا: يسقط الظلم...يسقط الاحتلال، لقد احتلوا إرادتنا وكبلوا أيدينا الناعمة الناشئة على البراءة، وحددوا خطواتنا المقيدة بهموم الحياة ووجل النفوس الحائرة التي تبحث عن الحرية، وكنت أغفو مع الرفاق في حلم وواقع، ولا تسألونني من أنا، والله ما أنا إلا روح لا تفضل العذاب وو لا تحب النار إلا بقدر التدفئة والإنارة، وصبري الطيار الطائر صديقي الصدوق، تالله إن البراءة في عينيه تنطق، وهو بكل ذي مهجة يترفق، وإن أحب الزرع والهواء أحبه، ولكم أحب ناهد الجميلة إياها أعشق، وحسن هو عمر نحياء، فما زال حسن كنيل يتدفق، وبحر يوسف من فرط هيامي به، أنا الصامت الذي لا أتحدث أنطق، وإن لم أقل رأيي صراحة في شخص واجه الظلم وكبل الضيم ولم يخش المواجهة وكان أسداً وغضنفراً، فإن لم أعترف بما هو كائن منه فأنا جبان وأنا، الحق أقول أنه انطلق مغرداً وصدح شادياً بكلمة الحق، وهو أخي في الإنسانية، فدعك يا فتى من الغيرة والحقد وصف نفسك من شوائب المرض، واحتس كأس الشراب اللذيذ المصنوع من العشي الذي أتى به الهدهد ورفاقه الطيور ومجموعات البشر الطائرين المحلقين بموكبه الهوائي مارين بالحدائق والمتنزعات والزروع والبساتين، مسلمين مرحبين ملوحين، وهم يبعثون الأمل لرفاق ورفيقات جدول بحر يوسف المار بحديقة وبستان وروضة ممدود وممدوح وحفني، وبجنة النخل الكومي ذي الأشباح والعفاريت والموتى والقبور والهياكل العظمية آكلة كل ما تواجهه، والمشتعلة بالنيران المتقدة القادمة من أصل الجحيم، وفي عينيك جحيم أحبه، فالجحيم في مقتلتيك نعيم، وقد هام الناس بالدنيا، وأنا بالحبيب أهيم، حاول زعزعة إيماني، ففشل الشيطان الرجيم، ورشاً في الصعل تغني، والله بحالها رحيم، سحرها الساحر الشرير، ويطل علينا الأديم، ويقرأ القرآن سامي، والطاغية كيده أليم، والأقصى لنا وفيه، من دون الأقصى سقيم، رحلة بها أتيه والعفن بها كربه والجنان طوقنا وطار والابن هو ابن أبيه والمسحور قد ظهر وبان والساحر من فنه يريه فالساحر الطيب رهيب لا شيء عنده يواريه، ها هو الوقود الوقاد والجلة توقده والعباد والساحر الشرير يركض على البلاطة وعماد يتعجب من أمر الجان والتنور له عماد وركائز يستند إليها وكامل يراه الأشهاد فالجان قد سكن به وأظافره نار

ورماد يقرأ القرآن ويحارب وأنور تحبه البلاد رحلة الرعب فيها والزرع يحييه السماد فالزرع شاركنا القتال والطفل أظهره المهادر والنار ملتهب لظاها وبها الوقود الوقاد. وكان روح الرحلة يتغنى بهذا النظم وينشد رغم عذاب روحه الحائرة، ومصطفى إلى جاتبا يستخرج الكنوز بصحبة أحمد وكمال وعبد الباسط ولطفي ومدحت ومعتز وموسى، والأنبياء ها هم معنا نراهم ونحبهم ونتبع تعاليمهم ورسالاتهم برضا وقناعة، وكان الموقد الفرن البلدي التنور، نعم... كان متوقدا ويزيد توقدا بوجود مجموعات الجان التي تزيده لهيبا ولهبا وتوهجا، والعجين معد عن طريق الفتاة لطيفة الطيبة، وكل قطعة توضع على المطرحة، والمطرحة مصنوعة من ألياف النخيل والجريد وجذوع النخل، وهي دائرة لها يد تمسك منها، ثم تهز بطريقة دائرية كي تتسع رقعة قطعة العجين باتساعها لتصبح رغيفا من الخبز دائري الشكل كما المطرحة تماما، ثم يقذف القرص الدائري المستقل متن المطرحة ليستقر فوق بلاطة الفرن الدائرية الساخنة المتقدة، ويقلب الرغيف على البلاطة بعصا رفيعة وبعد ثوان يتم استخراج ذلك الرغيف عن طريق العصا الرفيعة ويوضع مع بقية الأربعة واحدا إلى الآخر حتى يعلو ويصير مثل الاسطوانة، والجان يأكلون الرغيف وهو يتقلب فوق قرص الفرن والموقد والتنور الدائري، وتتركهم الجدة أفيات يأكلون وتعتبرهم ضيوفاً، فإذا ما تعجب كامل للأمر نزل هابطا على السلم الخشبي ثم السلم المصنوع من الطوب اللبن والمكون للبيت المصنوع من نفس الطوب، ويعترض المسكين جان يدخل في جسده ويمسه بعذاب من أظافره النارية، فيستمر كامل في النزول ولكن بظهره لا بوجهه، ويلكمهم ويركلهم، ولكنهم يستمرون في تعذيبه المهلك المرعب ويجرونه على درجات السلم ويمثلون به تمثيلا ويقطعون لحمه ويكسرون ويحطمون عظامه ويدفنون روحه ويذيقونه العذاب الأليم، ولو كان الفتى في قعر جهنم المصطلي ما واجه مثل تلك المعاناة، ويقول جدتي جدتي وقرأ القرآن وينادي على أخيه أنور الذي يساعده وينقذه من الهلاك من يعد الله، ثم تنزل فتاة الشابة الصبية والعجوز الطيبة ومعها مصباحها الفلاحي وموقدها وتنورها، فتشتت جمع الجان، ويحاول كامل أن يخرج من حيز البيت المسحور بيد أن الجان يمنعون، ويطلق الساحر الشرير قهقهة مرعبة ويغرس أظافره بالمسكين، والنوارة كذا تفعل والنسر والابن الضال، ثم يتحرك الموقد والفرن البلدي بمن فيه ويهبط على درجات السلم بمن فيه ويقا تل بصف الجان بما حمل من عفاريت ملتهبة بالنار والجلة والوقود والوقيد الوقاد، وتشعل الجدة أفيات الفرن البلدي وهي تضع مصباحها إلى جانبها، والمصباح يتحدث معها ويحدث دفنا هو والموقد والتنور، وبجانها أرزاق الفتاة الباسمة ابنتها وليلي ومدينة ولطفية ولطفية ومحمد وأحمد وروحية الفتاة الراقية، كلهم وكلهن أبناءها وبناتها، وتتابع الجدة والفتاة التي تعيش كل الأطوار، فهب فتاة وصبية وطفلة وكهل عجوز، نعم تتابع وتتألق والجان من حولهم جميعا يتقلب على بلاطة الفرن، والبلاطة متقدة بالنار التي أضرمت من الوقود الوقاد، والأخير هذا هو الجلة المجموعة من روث الحيوانات المقطع قطعاً ثم المجفف والمنشف في الشمس كي ييبس فيصلح كوقود بعدما يتم تخزينه،

نعم تقول الرائعة أفيات وآلة الزمان والمكان تشملها والجميع: علينا أن نرضى بالقدر مره وحلوه، والله إن مره وحلوه في صالحنا، ولكننا من نعترض ونستعجل أمر الله، وكل ما يحكم به الله ويقدره مهما بدا لنا سيئا وأعدناه شرا مستطيرا لنا، فو الله ما هو إلا خير، والصابر سيرى الحكمة من قدر الله، وأنه خير له مهما كان. كانوا يستمعون لها وأنا معهم يستمع أيضا، وأنا شخصية في الرحلة اسمه أنا، كانوا يستمعون منبهرين معجبين بأسلوب أفيات الشيق وهي تخبز ومعها الفتاة ذهب والفتاة تبر والفتيات عزية وسمهان وصابحة صبحا وناعسة وفتيات أخريات وكبار وعجائز وشباب وشابات ورجل كهل وسيدة عجوز، والساحر الشرير بجنده يلتف ويقف من بعيد في الجزيرة النائية والغابة الموحشة، يتغذى وجنده وحاشيته ومعهم النورة والنسر ومشكاح المغلوب على أمره والابن الضال، نعم يتغذون ويأكلون ويلتهمون عظام الحيوانات والجيف والقاذورات، وكذا اللحوم الطازجة ومعهم الفهود تفعل مثلما يفعلون، والفتى الماهر عزمي مغامر الرحلة يصوب بندقيته صوبهم ويضغط الزناد موجهها القاذفات صوبهم من أسطح البنايات بطريقة ماهرة، محي الدين الفتى القائد والطائر صبري متفرد اثنان هما الأمل الوقاد وجلال الدين فتى سيد وبهر الحسن تدور سنون ومع الآمال نرى نعقد عقد الحسن وخوض صراع انتشر طويلا ويتمدد. قالها أحدهم أو إحداهن، المهم أنها قيلت، كلمات تلي كلمات والبدر منور وأنا على الحبيبة دوما مدور عشقتها اليوم والأمس كذا وهي القيثاره من تخطر، ومحبي الدين شخصية متزنة وو هو مع نور الدين في سفينة الذهب والدر والياقوت، والعواصف تفعل الأفاعيل، والرياح تكاد تقتلع الأشجرة، فيما تحلق آلة الزمان والمكان على مستوى مواز لخط السفن العملاقة، والسفينة بدورها تتحول لحاملة طائرات وغواصة وناقلة جند، لأن الذهب والكنوز عليها يحرسهم الجان ويفعل ما لا يدركه حتى الخيال نفسه، ويجلس الفتى محي الدين بجوار صبري الطيار الطائر، وعلى يسارهما الملك الغضنفر خميس بجيوشه وأساطيله البحرية، والأخير خط دفاع، يطلق المضادات الأرضية صوب المحلقة الفضائية التي يستقلها للتو الساحر الشرير ومعه صحبة الشر والغدر المكونة من ريما والنورة والنسر وجند آخرون لا يتعاملون إلا بالقسوة والوحشية، والحوث يصعد إلى سطح الماء فيثير الموج دونما يقصد، وقبلما تغرق السفينة ينشأ لها جناحان في آلة الزمان والمكان التي هي ممثلة لها، لآلة متحولة عجيبة متشكلة، تدرك الخطأ والاضطراب وتصححهما، وملكة النحل تحيي رشا عروس نخل الصعل وتحيي معها دلالا وشيماء ونجوى، بل وتحيي الجميع وتدنو وتدنو وترقب الحدث وتساعد في عمليات الإنقاذ، ومعها جيوش وجنود وكائنات تطير وكائنات فضائية وعالم من الجن الطيب ووحوش تترفق وتشفق، على أن محي الدين يقود آلة الزمان والمكان وصبري إلى جواره يشاركه القيادة بالرأي، والاثنان لهما خبرات واسعة في هذا المجال ويكمل روح الرحلة والأحداث تقع كما هي لا تفارقا. نعم...يكمل قانلا: قد تكون الرواية تكتب نفسها، ولعل ناظمتها آلة الزمان والمكان، وكله بالطبع يأتي ويترتب بعد مشيئة الله تعالى، أحداثها المكتظة لأبد منها، انه اكتظاظ فرح وأمل وبريق وسعد وأمل، وإن

حسنا بها ملمح جميلا واقعا يجمل الواقع ويدني الخيال، يحبه الجميع، ففي خفة ظله آمال ينبعث منها الحسن، وفي ضحكته تشرق الدنيا ويتزين الصباح، وتلامس أرواحنا نسمات المساء، وها هو معنا بالرحلة الجميلة هذه، سر سعادة بها، يطوي الأحزان ويكسر شوكتها، ويدني الآمال بدعاء عريض وثقة بالله وحسن ظن، وسريع معنا، وهو هكذا اسمه سريع مع العلم أنه بطيء، صفة لا تناسب الموصوف، لكن الموصوف المذكور له قدر لدينا، وهو يحب خليلا رغم ما يشوب علاقتهما من كدر وغم وخلاف، ويصطحبني حيث نهرب من الواقع المرير صوب الأمل والخيال المشرقين، نريد أن نستقل الشاحنة، أن نطير ونغرد ونعلو البناءات كي ننطلق محلقي صوب جزيرة الحسن والأمل وبستان ممدوح وحديقة ممدود، وأحمد هنالك عند النخل الكومي والجانب يتراءى له، ولولا أنه مستمسك بالله واثق في رحمته وعدله ومستقل متن الأمل وقبة السعد، وهو راكب ظهر الحمار الجميل لتوه يحمل العلف الناتج عن روث الماشية، ينظر حوله والخجل يملأ وجهه، لا يكاد ينظر إلا وأحس عيون الناس تتفحصه، لا يكاد يعدل قامته من فرط الخجل المطبق عليه، وذكرته الضعيفة تلك تنتج من فرط عول الهم والتفكير في مواضيع شتى متنوعة تؤثر على قواه وتركيزه، والجانب لا يبرحه وكأنه أبرم معه عهدا لا نهائي الفترات الزمنية، تحسه عبقريا وأحيانا أخرى غبيا متناهي الغباء، لاعب كرة قدم يراقص الساحرة المستديرة، ومعه ذلك العملاق الساحر صاحب عنقود المهارات، يسبران بالرحلة وآلتها الزمنية والمكانية، ويطيران ويحلقان، يهمس لصديقه ما لا يستطيع أن يهمس به لغيره، والغريب أن صديقه يتحملة، بل هو سعيد كما ترون، يحمل همه ويساعده من الناحية المعنوية كي يتكيف مع المجتمع وينسجم مع طبقاته المتنوعة، ثم إن آلة الزمان والمكان تهبط عنده ليصعد متنها وتتحول به زمانيا ومكانيا، وهي للتو كما ترى فراشة متعددة الألوان، بل ومتحول بين الألوان، وتتحول الفراشة لحمامة رقيقة خفيفة ريشها ذهبي، وتطير به صوب الكنز، وحين تدخل الدهليز والمغارة والسرداب أسفل الأرض تضيء له الطريق ثم تسكن مكانها وتستقر متحولة لتمثال لا يتحرك، بعدما قد أشارت إلي والد الأمير المسحور الذي يبحث عنه عبد الرحمن وصبري والرحالة والعالم الجليل وملكة النحل، والأم في المكان أيضا تدعو الله أن يرجع لها وليدها، وقارئ للقرآن لهلك، ولتني أهلك دونه إن لزم الأمر، فلم أجد مثل أحمد، ثم تسألونني من أن الذي أحدث، أنا روح كل منكم بالرحلة، فأنتم من تكتبون ولست أنا، ثم إن " أنا " اسم شخص بالرحلة له دور، وفجأة يتقدم في السماء محلقا، طير جميل، وبلى وهي مجموعة طيور جميلة في عين المؤمن قد أرسلها الله لمنع هدم الكعبة، وهب تهاجم إبراهيم وتمنع الفيل من التقدم، وما ذنب الفيل بكبير، فهو مدفوع من قبل طاغية، والفيل فرح أن تم إنقاذ بيت الله، وهو مشارك معنا بالرحلة، يحتدم القتال الآن على أطراف أرض المعاناة، قوافل تسير، ومعدات حربية تصنع بطرق يدوية، وعلب مصفحة وأخرى اسطوانية الشكل تحشى بالمواد الملتهبة والقابلة للاشتعال، وأماكن تجهز بها وتصنع مقاتلات متطورة، وعمال يعانون وهم يجلسون الآن على الطريق المؤدي إلى الغابة الموحشة، ينتظرون العمل

ولو كان شاقا مميتا، يحملون الأجولة مليئة بالرمال ويرفعون الطوب ويصعدون به البناءات
مناطحة السحاب، ممنوع استخدام المصعد، معاناة يندى لها الجبين ويسال العرق بغزارة
عجيبة، وإمام يمسك بعصاه وعليه وجوم مرتسم بقسماته، فلو ما ابتسم فقليل ذلك، على
عكس الفتى راجح خفيف الظل والمتميز بابتسامته وضحكته، ويضحكنا أيضا في شيء من
الطرفة والمزح، وكذا حال الشاب مسامح، والأخير مضحك بالفطرة حد الدهشة، وعامر
يقود قتالا من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب، وضرغام يعافر ويجاهد ويصمد
من أجل لقمة عيشة، وتتضافر علينا القوى كما ترون وتتحد، فنذهب للتو إلى بناية لا نهائية
الطوابق، نصعد بمواد البناء درجات السلم مقسمين إياها بالدرجة الواحدة، سلم من الخشب
ومن المواد البدائية البنائية، وعزت الجيل معنا، وهو مجتهد، ويطل صالح ببساطته ليغمرنا
بسيل من الروح المرحية وما تترك في النفس من أثر مبهج، يروح عنا هو والرفاق، ثم يقد
الساحر الشرير وريمة والنسر والنوارة ومعهم الجنود والأتباع، يريدون القبض علينا
ومنعنا من أكل العيش، فيقف في وجههم جمال بعنفوانه وقوته وطوله الفاره وعوده
الممشوق، يسبهم ثم يركض ويعدو ضاحكا ساخرا، فيجن جنونهم، ويحاولون اللحاق به
فيفشلون ويعاود الكرة وهكذا، والعمال يضحكون، والله إن جمالا هذا بمثابة شيء أرسله اله
لإنقاذهم من بطش المجرمين، سبحان مسبب الأسباب، نهم... يعيد الكرة الفتى على وجه
غاية في الإضحاك والضحك، وإمام يسيطر على عمل فلا يستطيع أحد أن يشاركه فيه إلا من
يختاره هو، صراع قوى مهيمنة وأسبقية حق وقانون غاب يحكم الجميع في مجتمع الغابة
الموحشة، والقطار يمر وهو يعمل بالبخار ثم يعمل بالوقود الحديث، وها هو يطير القطار
ويخلق ثم يهبط بالتمام فوق الحديد المعد للسير، فيستمر في الجري أرضا، ويغوص في
البحار ويلتقي الحوت وعقلة وتسعد أمانى به، يحمل الجميع ويتحول إلى خواصة عجيبة
تعال أشرف من ماض الزمان إلى هذا الأوان فما بالنهر إغراق وهيا نسبح في سحر يروق
لنا فلنا بيوسف بحر الود آفاق وفي نخل الصعل حيث النشأة الأولى ذكرى وفكرة والآيات
وفراق ونخل نمر حيث القطن نقطفه وكيف ننسى وشهد الغصن والساق علينا فيه وكان
الحلم ترياقا وقد أطلت إذا نحتار أنفاق سلطنا دربها والخطو الذي كان منا سيشهد ويسر
الحال والشاق، نبضات قلبي للأحباب تشتاق وفؤادي سكنت في واديه أشواق والليل ضوى
كما البدر الذي لاح لدى السماء ولي من ربي ترياق في بحر يوسف خلعت ربيعي الساري
الموج فيه إلى الأقطار رقرق أما الربيع فتواق يزور ربي وأنا كذلك للأيام تواق والنيل نهر
كم سر الحياة به عليه هل من الأحلام إشراق وعن صديقي منذ طفولتي مجدي كم احتوتنا
بذاك الحب آفاق وهو الحبيب إذا بالنشأة الأولى قد كنا ننعم إن الصحب أخلاق وما بخلقك يا
مجدي رأيت أنا وأنت ورد ولكل الفن ذواق. فضحك مجدي وها هو يفعل، حيث مستمرة آلة
الزمان والمكان في توحيد الأحداث وضمها وجلبها للحاضر هذا الذي نحياه للتو، نعم... الآن
والآن بالتحديد، ، هذا شيء مبهج وخيال تحقق في الجنة التي ننعم بها توا وحالا، وشكر
للرحالة بديع نظمه و، حيث تغرد الطيور نشوة وفرحا، والفراشة البيضاء تلامسنا فتترك

شيئا كالدقيق عند الصفصافة وشجرة الصمغ، هنا عند عبد الناصر ومجد بالقرب من
المبيضة، والمبيضة المقصود منها أخذ طابع وشكل اللون الأبيض وو هكذا يصور لنا في
هذه الرحلة البريئة، الفتاة ناهد قلبي أحبها ومن الحديقة أهديها ظلها إنها الأمل مذ كانت
ولادتي ليتني أعلم ما الآن حالها أحبها والله في كل خطرة وإن طال نهاري أعشق ليلى
فالبدر هي والجمال بروضة والعفة والمني وكأن سطرها الدرر البهية في ليل حالك تضيء
وتبرق وتهب سرها يا فتاتي تعالي فالدهر مهلكي والشباب قد ولى وأحفظ سرها أحببتها
بالأمس من أول نظرة ومن فرط ما بي أغني حرفها. والعجيب أن الفتاة تسمعه وتتشاطره
الحنن والألم، وهو يلتفت للتو فيراها، يعود الزمن بالآلة فتستحضره طائرة وتعود محلقة،
وتحضره بالفعل إلى بؤرة الأحداث بعزبة عبد الواحد الرحلة بلا حدود النواراة والنسر، هذا
خيال أضحى حقيقة، ها أنا ذا أنظر بعينيها، وقد عدت شابا وصبياء، وأمر في دروب وطرق
العزبة فأجد أهلي وأحبائي في كل مكان، سكنوا القلب وسكنت هي المهجة، ثم أصطحب عبد
الرحمن حيث الصيد من بحر يوسف، فتتدد العزبة وتتسع وتشمل الكون وأبعد، ونسبح
وسط النجوم والأجرام، ويسبح معنا البحر، فالوسط المادي في الفراغ وسط مائي أو هو
يشبهه، والأسماك تسبح معنا وتتنفس بالخياشيم أو مثلنا، والحوث في الأعماق يطفو بها
ويسبح معها، فالفضاء أعماق وروضات وزهور وحدائق، وجزيرة أمل وحسن، وناهد لا
زالت على عهدنا من التزين والزينة الجميلة، لكنها زينة ربانية طبيعية، هي جذابة بالفعل
بطبيعتها التي فطرها وسواها الرحمن عليها، مثل اللؤلؤ المكنون تشع ضوءا وأملا و،
شعرها المنساب المسترسل يأسرني وضحكها تملك علي كياني، فآ ما أصبحت يسفر
الصباح، ولو ما أمست تترقرق النسائم وتشدو الطيور، وحتى الطيور لا تفارقها، وحين
تببت تببت برفقتها، ومن يفارق هذا الحسن. فابتسمت ناهد وفرحت من أعماقها وبان
مبسمها كزهور وورود وهي تقول للرحالة المحب: من تحبه أكثر، فاطمة أم أنا. وكانت
فاطمة تسمع الحديث وهي بكهف الظلمات بنهر الموت، عند التماسيح الجائعة والكانات
المانية، الكل يسمع ويرى، والرحلة ساحة واحدة مجمعة للوقت والزمن، والآن نحن في
العصر الفرعوني والفاطمي وو في بلاد الرافدين ودول المغرب العربي، والمناطق المتحدث
أهلها باللغة الأعجمية، ودوامة بحر يوسف لا تزال تغلب الدر والذهب، وتصب هنالك عند
بنر مصطفى وأحمد وو كنوز هاتي وروضة حفني ودور الفتى حسانين وخيرات الشاب
الجميل الطيب فاروق، ومصطفى يجلس على شاطئ البحر، يضحك المارة وأخيه، وصافي
الذي يحمل من صفات اسمه الكثير، لا نرى منه سوى البسمة وتطبيب خاطر والمناقشة
الجميلة وو سامي يمر كالنسيم، وها هو يلقي السلام متجها صوب الجامع والمسجد ليلتقي
أميئا، وأمين شاب حسن الخلق باسم الثغر، محبوب وودود وطيب النفس عميق الثقافة، لا
تعجبون لأمر الرحلة وأحداثها وعشوائية مظهرها، فكل حدث بها مستمر التفاصيل ولكن
بطريقة عجيبة لم يتناولها تناول من ذي قبل، رحلة تخطفك وتدهشك وتدور بك في دوامة
هي دوامة بحر ومحيط وجدول وبنر يوسف، أحداث متداخلة متفرقة تجمعها الآلة الزمنية

في الرحلة العجيبة الشيقة الخطرة النيرة العطرة، وأنا بها لا أدري من أنا، ربما كنت ممثلاً في لحظة من اللحظات ذلك الرحالة، وهو شخصية الرحلة المحورية، وربما أكون جانا وخيالاً وتمثلاً حتى لا يتحرك ولا ينبض قلبه. لكن كيف وأنا أحس وأشعر وينبض قلبي، وكيف وقد أحببت ناهد حتى كاد ينفطر قلبي لفراقها، وكيف أكون كذلك وأنا لا زلت على عهد وودي بها رغم أن الغرغرة تحضرني، لينتني أقبالها في الجنة، والآن وقد حلت بي الغرغرة دونما أتوب، فماذا أنا فاعل، علي الاستيقاظ من نومي حتى أستأنف حياتي، فهذا كابوس مطبق على أنفاسي، يكاد يدمرني، ولكنني أصرخ الآن صراخاً مكتوماً، فلا يسمعي أحد، ولكن يحس بي أخي أنور فيهب جسدي بعمق وعنف حتى ينصرف الجان ولا الجاثوم عني، وليت الأمر يصل حد الجاثوم الجاثم على أنفاسي وصبري وينته، لكن الجان لا يفارقني صحوة ونوماً، ثم إن الذنب المتحول ها هو يركض في سرعة رهيبة، وعيونه تتقد بالغضب والشراسة، فاتجه صوب حظيرة الفتى حسانين، حيث كان في طريقه إليها يعض كل شيء ويلتهم الأخضر واليابس، ولم لا وهو وحش كاسر متحول، عض الحمار المسكين فأصابه بالجنون، وها هو الحمار يأكل ذيله ويعاني معاناة رهيبة إثر تلك العضة بالغة الأثر والتأثير، وقد خلى الوحش الكاسر الحمار واتجه صوب الجاموسة ليفعل بها ما فعله مع الحمار، وعض الحمار والجاموسة بها، فجن جنون حسانين، ثم رأيت الجان يجلس إلى جانبي، ينظر ويحلق ويتربص بي الدوائر، عيناه تقدحان شرراً وهو على هيئة آدمي يبين، وكم وادمي يفوق الجان إجراماً وسيطرة، فنظرت إليه في تحد، وها أنا أفعل وو كلما وثقت في نفسي أكثر، تحرك جسد الأمير المسحور، فها هو يمد ذراعه صوب السيف الذهبي والسهم المتعمق في غصن الأمل بجواره، ثم دبّت به الأنفاس وعادت الروح بأمر الله ثم الأخذ بالأسباب، وكان بجوار الأمير المسحور كما نعلم، نعم بجواره عبد الرحمن والرحالة وصبري الطيار الطائر، والأخير قائد آلة الزمان والمكان، المشهد برمته يحوي كل المشاهد، والأحداث متداخلة في صورة واحدة متحركة واقعية، الأزمان تتلاقى وآلة الزمان والمكان التابعة للرحلة بلا حدود تستحضرها، وحسانين الفتى الذهبي لا يكاد يتحمل ما يراه من الكلب الذنب المتحول لكل هيئة وحش وجان يمكنك تصورها، لا يطيق ما يراه من هذا الوحش العجيب وهو يعض الحمار والجاموسة، فاتجه صوبه وقفز من فوق باب الحظيرة القديم وحاق في ارتفاع مدهش، ثم أمسك عصاه وشرع يضرب الوحش ويوجعه، والوحش بدوره يهاجمه، ثم ها هو يلتقم العصا ويعض عليها فتنفذ أسنانه بها وتلتصق، فيسحب حسانين بفمه من طرف العصا الملتصقة بفمه، والشاب الفارس المغوار يسحبه صوب ليمنعه من عض الجاموسة حتى الموت، وفي الناحية المجاورة وهي نفس الحدث، حيث تدور آلة الزمان والمكان مثل الطاحونة ودوامة بحر يوسف، في تلك الناحية يتقدم الذنب المسعور ويتحول أثناء تقدمه لكلب وفهد وضبع وأسد وكل ما يخطر ببال، فحاول الرحالة إيقاف زحفه فما استطاع، هو بالفعل لا يقدر، فهذا وحش كاسر متحول، محبوبة هي على الدوام ريم وطبعها في الخير طبع كريم زهرة والله في إيك بهيج نبتت به والله عظيم خلقها

فأبدع وهي الفراشة والتي من ضوئها الضوء يغيم قد غلبت النور حسنا وبريقا فبريم أنا
تالله أهيم بادلنتي الود من أول وهلة فإني من زمن الشاب الوسيم قد قالت أحبك فلا للجمال
الممثل فيك القلب يقيم فضحكت فقالت للمبسم منك ابتسامة أمل والله عليم أنني من دونك قد
تهت فأين شراعك والطوق فقلبي سقيم والداء قد حل في بعد بعيد فالبعد قبيح والقرب وسيم.
الفتاة ريم تغرد فتعجب منها ملكة النحل وسندريلا وحسنا الخصال ونادية أمير القصر وتبر
الذهب والدر، ويعجب كذا الرفاق والأصحاب والفارس المثلث والأمير المسحور والفرس
النبيل، وعند تلك الشجرة جامعة ومنتجة كل الثمار والخضروات يجلس على فرع منها بل
في منتصفها الأمير المسحور وهو صامت وبجانبيه القوس والرمح والسهم الذهبي، وقصره
قريب منه، لكن الساحر الشرير وريما ونوارة والسحرة، أبعده وسحروه ونقلوه إلى هنا
كي يسرقوا ملكه، وما زال أباه وأمه يبحثان عنه، وهما اللذان لهما قصور ذهبية ولؤلؤية
وكنوز يستخرجها لهم الشاب مصطفى ابنهما من عذبة عبد الواحد، حيث الأمير المسحور
هو ابنهما وشقيق مصطفى، هي رحلة إن أخذت في دوامة بحر يوسف فتهدت بها وكدت
تغرق، فأنت معنا تحيي أحداثها العظام العجيبة المريبة الرهيبة، وأنت كذا مغامر بها، فلما
سمع الغريب كلماته قال: والله أنا معك يا رحالة، وتائه بها مثلك، فلتمتعنا بأشعارك. انظر يا
فتى: ها هو صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان يقود الآلية العجيبة وو الربيع
باسم، فلا شتاء تحل بنا، بل يحل الصيف والخريف، وحتى الخريف فلا يريد إغضاب أحد،
والربيع لطيف يأتي على استحياء تعانق الربيع، وتنبت الثمار الجميلة بها والبلح والرمح
والجوافة وفواكه الجنة، وممدوح في روضته وبستانه بجوار روضة وبستان أخيه ممدود،
والاثنان بجوار حقل وجنة أحمد عند آلة سحب المياه من بحر يوسف ودوامته، حيث لا يزال
أحمد يستخرج الدر من الدوامة العجيبة المؤدية للسرايب والكنوز، ومصطفى ابنه يواصل
استخراج الأمل والدر المكنون والمعادن النفيسة، إذن أحمد هو والد مصطفى والأمير
المسحور، والأم ملكة متوجة تبحث عن وليدها، وعبد الرحمن والرحالة لا يزالان يتنقلان
بين الفروع والأفنان والأغصان وهما يراوغان الأسود والنمور والفهود والضباع في الغابة
الموحشة التي تتحول إلى بستان سعد وأمل، كل ما يمسنه من الله مقدر ومن ذا يحتسب يا
دنيا ويصبر ولقد أحببتك يا زهرة الربيع وما فقدني لك في نوائب الحياة يكسر شوكة قلب قد
تحمل ما أتى وحل بي ومن مثلي على النوازل يصبر ولا أمدح نفسي لكنه الواقع يحكي ما
نلقاه من معاناة ويخطر حول ذاتي في كل أمر وملمة وأنا الرحالة قد أكون وربما صابر ولا
أدرى ما هذا التخيُّط والخيل الذي نحياه في رحلة تتقلب بنا، إلى هنا تارة وإلى هناك تارة
أخرى، ونحن لا نعلم وجهتنا، رحلة منتظمة مقدرة بدقة وإحكام في حسابات رب الكون
والخلقة والبشر، ومفاجئة لنا بحساباتنا، هذا لو كانت لنا حسابات، فالقدر يحل شئنا أم
أبيننا، ولا يختار الله تعالى لنا سوى كل خير، حتى ما نحسبه شرا لنا ونبكي لأجله بل
ونعترض هو خير تالله لنا، ولكن علينا الصبر، ونحن نصنع المعدات الحربية واليدوية
بأنفسنا، وهي معدات بدائية وكذا متطورة بتطور العصور، هذا إن عددنا وحسبنا ما نحن فيه

أنه تطور، في النهاية نحن نواكب العصر، بل والأصح أن آلة الزمان والمكان تتحول وتتشكل لتواكب أي شيء، مقدرة من قبل الله جل في علاه وارتفع شأنه، وعصام الدين ونهر الأمل وعهد الحب وصفو العمل وركض الأمل كل الخير ونسبح فيه بطيف الغزل وبحرك يوسف كل العمر عند الجار لدى المغتسل ونور الدين كذلك معنا جلال الدين وطيب النزل وصوب جزيرة أمل الروض وأدرك كامل وقت الأجل وعقلة إصبع من نهواه حمامة أيك عند العسل وملكة نحل من تنتجه ومن يرجوها يوما يصل صحبة خير ما أحلاها وثوما نجمع ثم البصل. وكان بهلول بنشد ما سبق، أو بالأحرى هو ينشد للتو، ونحن نعبر محيط الحسن ونهر الأمل صوب جزيرة الآمال الجميلة وروضة الحسن الفريدة، تملأ قلوبنا العزيمة فلا نكل ولا نمل، وقد حل عصام الدين في صفحة الحدث الحاضر كحلم جميل وهو يعبر نهر الأمل حيث الضفة الأخرى بعيدة على مداد ومرمى البصر، ويحدث هذا الآن ونحن بظلمات الليل، وجلال الدين يقود الجموع بعزيمة لا تلين ومجد لا يستكين، ومعهم جميعا نور الدين ومحمد واللؤلؤ أشرف ومجموعات السباحين السباحين، وقد ألقيت النساء أنفسهن في اليم ببحر يوسف، حيث بحر يوسف هو نهر الأمل ومحيط الحلم الجميل وبحر الود والورد، وكان الفتى كامل وها هو يعزق الأرض ويقلبها وينقي، وعن رفيق العمر حسن فلا يزال يعاني مثلي، ويقولون عني الرحالة وهو يقول، ولم لا يكون كل منكم الرحالة وحسن كذلك، فالرحالة ليس شخصا واحدا بصفته المجردة، لكنه شخصيات لا نهاية اتحدت مع آلة الزمان والمكان في شخص واحد هو أنا وأنت والجميع، فنحن نسبح بفكرنا لنمثل كل الناس ونعيش فتراتهم الزمنية وكذا هم يحيون مشاعرنا وأحاسيسنا، حيث آلة الزمان والمكان تقرب وتستحضر كل شيء، وسيد الفتى الأسمر بريء الملامح والطباع يرى كاملا وهو يعذب، فلا يسلم هو الآخر من أذى حسن وعبد السميع ومحروس عاطف والبقوشي والخولي العجيب ونادر واسخرون وفلان وعلان، يعذبون الصبية والصبيات ويتركونهم لقدرهم تنهش عظامهم ولحومهم الشمس المحرقة، وليست الشمس وحدها، بل عصيهم التي تكويهم وتقلبهم على جمر العذاب، ولا تنسون السباب الذي نتعرض له الآن، علينا بالهرب يا رفاقي. فيعجب هذا القول الفتى ضرغام ومجدا، فيبادلون رؤساء العمل السباب بسباب والضرب بالعصي بضرب بالحجارة والطوب والظلط، وعاطف على حافة المصرف عند البساتين الخاصة بالموالح من برتقال ويوسفي، عاطف ذاك يقطع الطريق طالبا من المارة أشياء منافية شاذة عجيبة، هو يريد أن يلقيهم في المصرف، وكيف الخلاص منها يا سيد القلب يا صديقي، فيبتسم سيد ويطل طلة خجل وسخرية من تلك الحياة، فيبتسم ضرغام بدوره ويضحك محمد، ويراوغون عاطف بطريقة أو بأخرى، ويحاولون الهرب منهم، فيلبسهم لأنه جان، ويلحق بهم عبد السميع، وعبد السميع قصير أسود البشرة حاد الطباع، لا تمت له الرحمة بصلة تذكر، يلهب أجسادهم بالسوط، ويقبض عليهم ورفاقه وكما ترون المشهد، حيث آلة الزمان والمكان تجمعنا وتستحضر الأحداث، فال أحداث الآن حاصلة وتدور، الآن بالتحديد، ما هذا العجب العجيب، نحن نعود صبية ثم نصير شيخا فنتحول إلى أطفال، والزمن

نحن به للتو بكل تواريخه وعهوده، أي آلة زمان ومكان تلك ممتعة وشيقة، وأي بريق وحسن وجنة نحيا بها، وكامل يحاول أن يركب تلك الشاحنة العملاقة وو هو طفل وصبي صغير، فكيف له هذا، يشبهه بهلول في ذلك، جوانب السيارة الشاحنة فارهة الطول والارتفاع، ورأفت السائق شاب طيب بيد انه مندفع عصبي، مثل كامل بالضبط، كم من أناس تتشابه صفاتهم، ولقد اختلفت إلى السيارة تلك روحة ورجعة، كم كنت أتمنى ألا تعود فتأخذني أخذا شديدا مهلكا حيث معاناتي في المزرعة والوسية، فهناك رجال ينتظرون العمال كي ينفثوا غضبهم به، ويضربونهم بالسوط والعصى، قسوة ما عهدها على أحد من قبل تلك اللحظات، إنه مواعي مع الحياة والمعاناة في لحظة واحدة، لقد ولدت لأعاني، فحل توقيت الولادة ملازما لتوقيت المعاناة، وكأنهما اتفقا على لقاء، وكلما حاولت الفرار من الموت لاحقتي، فهذه المعاناة تساوي الموت وتعادلمنية في أثرها وفعالها، وكلما رأوني قالوا كنت نائما، أو لا يحق لي النوم، اطمئنوا، لا أنام إلا قليلا، بين عمل وكد وجهد وجهاد، وبين ود وحب وصبر وعناد، وكذا فكر يأتي على البقية الباقية مني، عمل مضن آناء الليل وأطراف النهار، أركن إلى الفراش قليلا، حتى ذاك الفراش فمليء بالفكر الطويل العميق، والجنان متسلط علي لا يبرحني حتى ولو برحت أنا وتركت وفارقت الحياة، ما بالكم تتلذذون بالعيش وتحسدوني على سنة خاطفة من النوم والغفو، بل السهر يرتسم في عيني فيبين طيفه لكم كأنني نعمت بالنوم، وليس كل من يغمض عينيه هنيهة وبرهة قصيرة نائما، هذا كون مبهر بكل تفاصيله، وما أوتينا من العلم إلا قليلا، فما بالكم بما خفي، وهو بالتأكيد أعظم وأعظم وأعجب، وتقول لي هنالك بداية ونهاية، وهل لله بداية ونهاية...حاشا...حاشا.. وهذا يؤدي بنا ويقود للقول أن الرحلة بلا حدود وآلتها الزمانية والمكانية بلا حدود أيضا، وهي تنقب وتتصول وتجول وتثور وتهدا، إن سرعة الكواكب والمجموعة الشمسية والمجرات الأخرى سرعة فائقة، والمسافات من فرط طولها تقاس بالسنة الضوئية، وسرعة الضوء هذه في الثانية الواحدة ثلاثمائة ألف كيلو مترا، وفي الساعة حوالي مليار كيلو متر، فما بالك بسرعتها في أربع وعشرين ساعة وكل شهر وكل عام، وما بالك كم تساوي السنة الضوئية من السنة العادية الأرضية، هذا مذهل، فالسنة الضوئية تعادل عشر ترليون كيلو متر، والترليون هو واحد صحيح أمامه اثنا عشر صفرا، يعني مليون مليون، والمليون ألف ألف، تخيل ذلك، ثم لم التخيل ونحن نحيا الحدث في الفضاء وعلى الأرض، نتنقل بين الأجرام والمجرات ومعنا الشمس والقمر والنجوم وكل الجسيمات، ونسبح في الفضاء تماما كما نسبح في الماء، عن يمينه، والسنة الضوئية الواحدة تعادل عشرة آلاف ومائة وثمانية سنة أرضية، فكل أشكال الطاقة والمادة تسافر بهذه السرعة السابقة في الفضاء الخارجي، والفضاء الخارجي كما ترون معي ونحن نستقل آلة الزمان والمكان المتحولة، نعم...الفضاء الخارجي هو الفضاء بين بين الأجرام، وهو ليس فضاء بالمعنى المطلق، بل به مادة وجسيمات، سبحانه ربي العظيم خالق كل شيء،،إن مجرتنا درب التبانة العملاقة جدا، نحن كمجموعة شمسية تحوي الأرض والكواكب الأخرى لا نمثل إلا نقطة ضئيلة فيها، وهي

كمجرة يوجد مثلها وأكبر منها مليارات مليارات المجرات، وبداخلها مليارات مليارات النجوم، آلة الزمان والمكان للتو هي كوكب الأرض، وذلك وجه وشكل من أوجهها وأشكالها اللانهائية في هذه الرحلة بلا حدود، فالأرض تدور حول محورها مرة كل أربع وعشرين ساعة، في نفس الوقت الذي تدور فيه حول الشمس مرة كل ثلاثمائة وخمسة وستين يوما وربيع اليوم، في ذات الوقت الذي تدور الشمس حول مجرة درب التبانة وتدور كذا المجرة حول مركز الكون، عالم مبهر خلقه الله تعالى، لا نهاية لعلمه أو إدراك ماهيته، ولذا نحن في رحلة بلا حدود، وعوني والساحرة العجوز وفي وجه الساحرة بروز والله موقف رهيب بالله من الشيطان أعوذ قابلت العجوز اليوم فالיום هذا منحوس لا تسب الدهر صديقي ولو كانت لك النفوذ. يضحك يهلول وينشد، والله تعالى يسجد، ومعه لطفي تحفة، وعلى البيض ترقد، حمامة أمني وعقلة، وبجانبنا هذا المسجد، المسجد الأقصى ونور، ما كان به يخمد، ثم تعود الرحلة بآلتها الزمنية والمكانية إلى هذا الذي يعدونه ويحسبونه مختلا عقليا، ويذهبون به حيث مستشفى الأمراض العصبية والعقلية، فتدخل الرحلة معه ليجده الناس يقول: - إني أحاول أن انفض النعاس عن عيني وكياني كي أكتب، الكتابة زاد وماء وطعام ونسيم وهواء، غذاء الروح نعم، تسعد القلب وتبهج النفس أيما إبهاج، ولكنه يسيطر علي فيأخذني في عالمه، والنام واقع عندي وهو بالرحلة بلا حدود الجمال بها والسحر والراحة، لكننا لا نهنا ولا نعم به من الأساس، متطلبات الحياة قوية وهي درب وعر ومعضلة، عليك بتوفير أكل عيشك والقوت لزوجتك وأمك وأبنائك وأبيك، ولكنني غير متزوج. إذن عليك أن توفر الراحة لوالديك، من تعبوا وسهروا وعملوا وأضنوا أنفسهم وحرموها من ملذات الحياة لأجلك، لا تمد يدك لطبق وإناء به طعام قبل أمك وأبيك، ربما يشتهي الأب لقمة فيحرم نفسه لأجلك وكذا الأم بالطبع، انظر معي، ألا ترى عوني وهو يسوق المواشي والحيوانات حيث منزل بحر يوسف، وهو منخفض ومنزل ومهبط جميل في نهايته مياه، تسقى الأنعام منها، وخصوصا أن تلك المياه هي مياه بحر يوسف أسر الفؤاد وخاطف اللب ومالك الفكر والتفكير: نعم نعم...أرى الشاب عوني وأرى كذلك تلك العجوز ذات البيضة البلورية الذهبية اللؤلؤية وهي تجلس على حافة نهر ومحيط وجدول وبحيرة يوسف، كما لو كانت تترقب نزول عوني، وانظر الشال الذي تلف نفسها به، إنه يبرق ويألق ويتألق، وأرى ظلالا حوله تقفز عليه كأنها جان، هذه سيدة مربية، طاعنة في العمر حينا، وحينا آخر تعود شابة فتاة ساحرة، يا لحسنها الجاذب البراق، في الأمر شيء يا رفيقي، فلندرك عوني...إنه في خطر..و لم يتمكن من إدراكه مع أنهما يحاولان للتو، في حين تخطفنا آلة الزمان والمكان ونحن نتابع الأحداث، والله هي تجر الأحداث معنا فلا تتركنا، هذا أمر رهيب مخيف فظيع: كم يكون الناس سعداء في اليوم الذي تليه أجازة وراحة، والله من حقهم، لكنهم لا يلبسوا أن يحصلوا على أجازتهم وراحتهم تلك، حتى يداهمهم قطار العمل من جديد، نعم يداهمهم محملين بالمتاعب وعول الهم لبداية عهد جديد، ومنهم من لا يحصل على أجازة بالأساس، ومن أحزنه زوجته بنكد وغم وهم ووجل وسلطنة لسان الله معه وهو نصيره، ربما لا

ترحمك الزوجة ولا تجد للخلاص منها سبيلا، وزوجة أخرى تسعدك وتبني لك الآمال وتكون عضدا وسندا لك ومصدر راحة نفسية، فإن شئت أن تكره كل النساء، وأعتقد أنك لا تريد هذا، إن شئت أن تكرههم عن بكرة أبيهم، فتزوج من تلك سليطة اللسان، لكن لا تلغني وتسبني أن كنت يوما سببا في زواجك منها، فلتصم أذنيك وتغلق عينك كي تجتنب افتراءها وجبروتها، هي مندفعة كالقطار المسابق للريح، وقوية كالصخرة، فإن ركلتك فربما تجعلك تطير في السماء، وإن لكمتك فقل على الدنيا السلام والسلام، وإذا عبت فالدنيا بأسرها تضيق بك ولو كنت على شاطئ نهر النيل أو بحر يوسف، ولا تظن أنك ستهرب منها بالطلاق والانفصال، لا...لا تحلم، هي كالكابوس تطاردك إن كنت يقظا أو سابحا في المنام أو كنت في مناي عنها أو في جوارها وإن كنت مطلقا أو زوجها، ثم إنها لن تتركك حتى كي تسبح في المنام والأحلام، ستطبق على صدرك وأنفاسك، فلا تكاد تغض عينيك، حتى تجد صورتها العجيبة وملاحها المكتظة بالانتقام واللوم تطل عليك، وهي إذ خيال لعين مسلط عليك ووحش كاسر، بل هي كل الضواري، ولا تحلم أن تحب أخرى أو ترتبط بها، فهي ستقتل تلك الأخرى وتمثل بها، عليك أن تركلها ركلة تطير بها أعلى السحاب وعند الشهب والنيازك والنيوترونات والبروتينات، بل عليك أن تركلها لتخرجها من مجرتنا، مجرة درب التبانة، فلترسلها إلى مجرة المرأة المسلسلة، ربما تتسلسل معها وتقيد في قيد لا يلين حتى الأبد، وربما تفك القيود وتحطم الأغلال والسلاسل وتعود لتنتقم منك من جديد، انظر...إنها تعود الآن، عليك بالركض ما استطعت من قوة، اذهب إلى القطب الشمالي أو الجنوبي، بل عليك بالتصالح مع الوحوش في الغابات وعقد هدنة معهم، المهم والأهم أن تبتعد عنها، عد إلى حبيبك الأولى، وفي هذه الحالة حضر لك ولحبيبك الأولى تلك كفتين أو كفنا واحدا، ثم تتابع تلك الروح المتمثلة بكل شخص والتي يطلق عليها الرحالة فتقول حين تلحقها آلة الزمان والمكان أو تستحضرها ونجلبها عنوة واختيارا إلى مسرح الأحداث: - أظن نفسي الأفضل وما أنا هكذا. والله هو وهم مرضت به وما زلت مريضا، أغضب وأثور ويفور دمي ويحرق، فما الذي أنا جانيه ومكتسبه، هذا مجرد وهم وتعب ومرض نفسي، لأنني أنا الأكثر كذبا، فلست طيبا كما يتصورون ولا نقي القلب كالذي خيل لهم من دلالات كذوبة تعترئها الصحة وينقصها الوضوح. كان يلوم نفسه في ذات الوقت الذي ينظر إليه فيه الحكيم متعجبا ومتسانلا في دخيلة نفسه: ما الذي حل بالرحالة، ولم يلوم نفسه ويوبخها، والله لم أعده إلا شخصا طيبا نزيها كريما. وكان الرحالة بل وهو الآن يسمع خطرات الحكيم من نظرة عينيه، فالعيون تفصح حتى دافع الحب، ما كل هذا الإبداع في خلق الله، والله أكاد أجن من براعة خلقه ودقته للبشر والأشياء والحاجيات، ليس أمامك سوى الاعتراف بمنتهى منتهى دقة الخلق عند الله جل وعلا ولو كنت حتى كافرا جاحدا، تجلى في ملكوته سبحانه وتعالى. ثم يحل التعب بالفتى وهو يحمل الأسد على ظهر التنين وهو محمول أيضا على متن محلقة أرضية جوية سماوية بحرية، حتى تعترضها مركبة تسد الفضاء وتحجب الشمس والقمر. وتجف المياه من المحيطات والبحار والأنهار. حين تتمكن المجسات من تحديد هوية

المقاتلين وخطرة أقدامهم ودبيبها، ولقد قامت الأجهزة الحديثة المكونة لرحلة باستكشاف جزء من المستقبل يا لجمالك سيد أيها الفتى الغد معك حبيبي غدا لك عمري وروحي وقلبي الذي يفديك بالعمر إن حق الفدا صديق وألمي من بعد خالق ولسيد ولي طير الرياض شدا هل تذكر عهدنا عند أول وهلة وفي مزرعة الشقاء وقطرات الندى أنت تجمع القطن وأنا بجانبك كذلك أجمعه ويحل الهدى علينا فننعم من بعد عشرة ونركض في الحياة كلنا ما عدا من ظلمنا يوما فهو مقيد وكم طال قيده وما اهتدى. وكان سيد يستمع وينصت إلى صديقه باكيا يمسه الحنين، فكلما أطل النظم حبيبته وصديقه، جلبت آلة الزمان والمكان الأحداث واستحضرتها، وها نحن أولاء نحياها الآن والآن بالتحديد، كان سيد مذهولا وهو الآن كذلك لا يصدق نفسه، وها هو ينظر بعينه اللامعتين المشعيتين البريق والأمل، الذهول يتملك منه والعجب، نعم... سيد الفتى الأسمر المائل إلى القصر يعمل في حقل القطن، وبجواره كامل وعبد الرحمن وأنور وآخرون كثر وأخرى كثرات، هم صبية وصبيات عنوانهم الطيبة والبراعة، والنوارة تملئ أواصرها على الجميع، والنسر كذا يفعل، والمفتش يكتشف اللطعة فيوشي إلى الخولي ثم يوشيان للمهندس ثم المدير العام ثم الجهات المختصة، والعقاب الآن هو الضرب والسب والقذف بأقبح العبارات والكلمات، ولا يعجب هذا الطفل الصبي سيد، فينظر بحنق وغضب، فلا تعجبهم حتى النظرة، فيوجعونه ويلهبون جسده ورفاقه بالسوط والعصا، وتتقدم الجدة أفيات حاملة مصباحها، فتتحول إلى فتاة صغيرة وصبية في بداية عهدنا بالحياة، وتبعث ضوءا من المصباح وتوجهه صوب المغتصبين فيتفرق جمعهم، وأنور لا يزال بوسط الحقل وحيدا يجمع القطن ولوزاته الجميلة، والحر والشمس يتمكنان منه، فيتصبب جبينه عرقا ويحس أنه وحيد في غابة من الذناب والوحوش، تتقدم شقيقته تبر نحوه، وكذا شقيقه الخجول كامل، فيساعدانه في جمع القطن، والخولي في الجانب الآخر عند حافة الحقل يرمقهم بعيون نارية وهو مستظل بشمسية مرطبة تولد له الظل، حيث يرتع في نعيم ويشرب الماء ويأكل ويتمتع بالحياة، والأطفال والصبية في جحيم منغمسين، تراهم وتلمحهم فتشفق عليهم، حتى تقدم طائر يشق الفضاء، ذلك الهدد الجميل وبرفته أبو قردان وأبو فصادة والبطريق وملكة النحل تزين سماء عزبة عبد الواحد والنوارة والنسر وأبعادية سيف الدين، وهي مسميات لنفس البلدة، تلك بؤرة الرحلة ومركزها المتمدن المتحول المنقب الباحث والمدور عن الأماكن والأزمان، هي آلة زمان ومكان لا قوانين لها، تفتش وتنقب وتجول وتصول في الماضي والحاضر والمستقبل والبعث والنشور والآخرة وكل شيء يمكن تخيله أو لا يمكن تخيله، فريدة من نوعها حد الذهول، مسلية وضحوة ومبتسمة وماهرة وباعثة الأمل وراسمة الحسن، جزء رئيس من الرحلة بلا حدود، وهي الآن عادة حسنة تسحرنا برفقتها وجمالها، وكم هو عطوف الفتى نائل ومن يسرد القصة اسمه كامل بلا حدود وهي رحلة لم تشمل عجائبها المراحل وإني حبيبتني من فرط الجوى شوقي والحب لها مرسل ضرغام بها وسلطان وحسن وعمر وأمل والشاب وائل وصبري يقودها وهو مخضرم وفيها تحل المسائل أركض فيها كمهر الدجى وفي الظلام ذاك أقاتل

حسين يصطاد ببحر اليوسف واللؤلؤ أشرف والأول وسيد يجني القطن الذي هو حلم الحياة ويتخيل والعم شلقامي حسن ابنه رغم ضرر به لا يخمل نشيط مثلك طير الصباح وتشدو عنده العنادل ولطفي وحدي وعوني هنا ومعتر وأحمد والنازل والصاعد حلما قد سما وعلا والخجول البريء والمغازل. روح من الرحلة نظمت ما سبق، فلحقت بنا والقلب خفق، وشأن آلة الزمان المكان شأن غريب حيث تأخذنا الآن لبحث عشوائي، به تصطاد الأحداث وتجذبها كمغناطيس، حيث الفتى نائل في تلك الليلة لا قمرية السطوع، وهو لن يترك شقيقته أفيات على أي حال، يحدثه قلبه أن خطرا داهما حل بها، واستشعر ذلك عن طريق عاطفة الأخوة ثم انتشار موجات خوف ورعب، وأضواء تنبعث من الجان تنتشر في العزبة الجميلة، كل ضوء ينبعث من الجان يتخذ لونا أحمر أو أسود، بل ويتخذ هينات شتى الألوان، ركض الفتى كأنه يفر من الزحف، من منزله الكبير المبني بالطوب اللبن. واتجه صوب آخر الدرب قبل أن ينعطف يمينا، فلما أكمل المسير، ها هو يرى شقيقته ويسمع صراخها من بعيد، وهي التي لم تخف من ذي قبل، ولا يزال عرابي يتجه نحو النخل الصغير، يداعب رفاقه بعبارات جميلة تنم عن أخلاقه الحميدة، وعن يمينه يسير عبد الرحمن وعن ياره حسن وبالخلف وحوله وأمامه وهيدي ومحمود وأحمد ومعتر وسلطان وخضراوي،، رقة جميلة وصحبة قلما تجد لها مثيلا، ينعمون بجو العزبة الساحرة، ولم لا وهي مركز الرحلة وبورتها المتسعة المتمددة لتشمل كل الأحداث في الماضي والمستقبل والحاضر، بها الغابات والحدائق والأحراش والأدغال وظلمة الشاب تامر وساقية الفتى المغامر عزمي وطاحونة الأمل لصاحبها محمد وابنه حمادة، والجار من شارع العزبة وسط البيوت والبنائات يسرع ولا يسرع، له عجلتان كبيرتان خلفيتان، وعجلتان صغيرتان أماميتان، سائقها أحمد، وهو فتى جميل ضاحك ساخر، روحه خفيفة وصبور حد الدهشة، أسمر اللون حلو الملامح طيب القلب، يقود الجرار بكفاءة عالية، ويحرث الأرض بالمحراث، حتى وصل حيث الأصدقاء فقال لهم: اركبوا. فضحكوا مستبشرين وركبوا، وكان الربيع يلبس الجو لباس الهدوء والسكينة، ونسانمه توزع الأمل على الوجوه الضاحكة والقلوب المستبشرة بالخير، وعرابي لا يزال يواصل مداعبته للرفاق وللسائق الأسطورة أحمد، وإذا بالجرار فجأة يتحول إلى طائر عملاق ثم مركبة فضائية ثم غواصة بحرية نهريّة وأسطول بحر، ويتحول إلى سفينة حامل طائرات ومعدات أولية وحربية بدائية ومتطورة، ويرافق الجار المتحول الحوت الصديق وأنور، والجار في هذه اللحظة هو آلة الزمان والمكان في إحدى تحولاتها العجيبة، وعن عوني فأجهزة الرحلة ومعدات البدائية والمتطورة وكذا عدساتها تطل عليه وترصده وتجلب حدثه من كل زمن ومكان ليحضر معنا الآن والآن بالتحديد في زمن حاضر نحياه للتو، حيث العجوز الماكرة ذات البيضة البلورية الذهبية والحجر الموجه والعصا العجيبة، نعم تلك العجوز تلاحقه وتطارده في ذا الوقت الذي تلاحقها فيه الفتاة بظلة الرحلة أفيات، تلك المغامرة الأسطورة داهية الرحلة وعقلها المفكر، وصاحبة المصباح الفلاحي الذي يعمل بكل أنواع الوقود الطبيعية والحفرية والصناعية والكيميائية، وكأن مصباحها هذا صديق

صدوق لها، لا يبرحها ولا يخليها، وفي لها أينما ذهبت أضاء لها، وحارب الجان بضوئه المخترق خدود الضوء وعالم العفاريت والأجسام الغير ظاهرة، ومسابق الريح والعواصف والعوالم الجوية، ثم ها نحن أولاء نفترش الأرض ونجعلها حصيرا ونضع القماش المفرد على الأرض وو كل منا يفتح صرة أكله وطعامه، فإذ بوحوش وزواحف جبارة تدنو منا، مرسلها الساحر الشرير والنوارة الظالمة والساحرة العجوز، وتلك التي تمثل دور الأم في منتصف المسافة بين النخل الكومي ذي الأرواح والمقابر من جهة، ونخل الصعل ذي الوحوش والجان والتنين ومجموعاته ونخله المعوج والذي يسكن خوصه وسعفه وجذوره وجذوعه الجان والعفاريت، والليل يفرش ظلامه ويسدل ستائر وحشته، والخريف يروع المكان برياح عاتية ترجف لها الأبدان وتقشعر، والربيع يطل من بعيد ويريد الزحف صوبنا، والشتاء ببردها القارص تدغدغ الكيان وتفت العضد وتكسر العظام وتنحر في الجسد، ثلوجها لا ترحم وعواملها الجوية لا تعرف الرحمة بأي حال من الأحوال، والصيف يحاول إنقاذنا ببعض شمس تسطع لتزيل إرهابا حل بنا جراء الخريف والشتاء، والعجوز لا تزال في موضعها تقول لأنور: أنا أمك. فيرد الفتى: حقا أنت تشبهين أمي، لكن روحها غير روحك، يوجد شيء مختلف. فكادت له العجوز وضمر الشر والخبث والكرهية، وبان ذلك وظهر وتجلى في عينيها المتقدتين بالشرر والإجرام، وهنا دنا صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان _ من أنور وبرفقته عبد الرحمن وهما لا يزالان يراوغان الوحوش والأسود وعائلات التنين والحيوانات المفترسة، وذلك كله في رحلة البحث عن الفتاة فاطمة ذات البساط وشقيقها الفتاة فته وكذا أختها أمل، وها هو في مشهد مكمل مجاور لا يتجزأ عن أحداث الرحلة المتماسكة، ها هو أبو عبيدة عبده يقتاد جيوشا ويأسرها بمفرده، ويحطم دفاع العدو وينال من عزائم مجرميه، ويبلي بلاء حسنا، ويثير النقع ويطوي الأمل محولا إياه إلى أمل، ومعه الرحالة وسندباد والطائر المغرد والهدد وأبو قردان وأبو فصادة والبطريق والفارس المثلث، وفاطمة ببساطها ومعها فتاة الضريبة والكاننات يطيطون في الفضاء ثم يبحرون في المياه، فيقابلوا الحوت وصديقه أنور و خليل وحسنا، في رحلة هي الجمال والود وباقات السعد والأمل، و خليل الحبيب الجميل ملؤه الأمل والحياة، يسافر عبر الأيام والأزمان نحو روضة الحب والسعادة، ضاحك مستبشر مبتهج، يحيي رفيقه وصديقه أنور بأجمل تحية، وينضم إليه في خط الزروع والذي يحتوي نبات القطن طويل التيلة، وكلما هم الخولي بضرب أنور، دافع خليل عنه ضده، والخولي يغتاز من هذا الترابط بينهما ويتمنى لو أنه يزيحهما من دربه، وتبر تثور وتتجه نحو الأخذ بالتأثر حفظا لكرامة أخيها، حيث تحارب الظالمين بلا أدنى خوف أو تردد، طفلة، لكنها جريئة حد الذهول، والآن يسوقون عليهم الجان والجنود والأتباع من المجرمين، وهيئات هيهات أن يهزموا الأمل المتمثل بهم، والرجل الجبار صاحب الحقل ذي القطن والقول وشتى المحاصيل والزروع، لا يزال يعاقب الفتى المسكين عن طريق ضربه ولدغه وسعه، والنيل من كرامته، حتى وصل الأمر حد الاعتداء غير المقبول، وهنا ثارت ثائرة الفتى وطوى الرجل في قبضته ثم لف عنقه بيده

واعترضه، صرخ الرجل، وها هو يصرخ ويصرخ ويستغيث، ذلك حين هجم ضرغام واللول وحسن ومعتز وسلطان وغيرهم، هجموا على الجبابرة وأذاقوهم الويل، وها هم يفعلون كما ترون، والفتاة نادية أميرة القصر برفقة الأميرة المسحورة تطل من شرفتها المرصعة وهي تعجب كل العجب بإقدام الصبية والأطفال والرجال، ثم يهب روح الرحلة ولا يعلم من أين هب ودب، ونعم يهب وهو يقول ملقيا الشعر والنثر وأدب الرواية والحوار: على أني إذا أوصدت بابا سأفتح من علومي لكم كتابا وأمضي في الدروب كما تروني وعني أنفض الألم العذابا وفي كهف العجائب أمضي مثل عجوز تبدي منها اليوم نابا يخاف القوم حين البأس مني أزيح عن المهاجمة الحجابا وما يلقيه عوني من أذاها صنوفا حين وحش الدار غابا وكان النيل يسري بهم ونيدا وحفني من بخط لهم خطابا وفتة لا تزال تروم وصلي وحلو في كؤوس الصبر ذابا وكنت إذ النقبته في الرياض كمن لقي المحبة والسرابا كمثل الماء تظهر من بعيد وحين دنوت منها أرى ضبابا وكنت أظن ماء العين تجري ونهر النيل مرسله انسيابا وناهد من أحبها طول عمري فلا بدر المحبة عني شابا شباب عهد وده لا يشيب ربيع ليس يهرم قد أهابا يهل كمثل نبض للوليد ومن بلغ النضارة والشبابا فما بالكم وبى اهتزاز الأعصاب هذا أن أكون ماهرا إلى هذه الدرجة في كل شيء، فإن لم يكن بي هذا الداء فتوقعوا أنتم النتيجة المبهرة، عمل مضم محطم كذا أقوم به يجاوز ويطول أعتا الأعمال وأجرمها قسوة وتعبا ومعاناة، وكلما فرحت قليلا حل بي حزن طويل حتى لأنني أتصور أنني قعدت فلا أقوم من بعدها، أي لا تقم لي قائمة. وأثناء حديثه يلتقي عينيها الساهمتين فيذهل، ويتوه منحرفا في مساراتهما ويعرج ويهبط في أنهارهما، ثم يغرق، فينظر إليه مصطفى نظرة باسمة وبيتسم خضراوي ويواصل عدوه وركضه شداد البطل، ثم يقدم ويتقدم سيد الفتى الأسمر جميل الملامح حلو القسمات والخلق والخلقة، وهو يأتي من قبل بحر يوسف ناحية نخل النمر، وكان نخل نمر المليء بالجان يتحرك به حتى يحط على صفحة بحر يوسف، يذهل الفتى ويتعجب، كيف لبقعة أرضية زراعية مليئة بالنخيل والأغاب تطير به وتحلق كمركبة فضائية وطيير جميل، ثم تواصل تحليقها مع ملكة النحل تحليقا أبديا سرمديا متواصلا متصلا، فيضحك حكيم الرحلة وبيتسم وتظهر نواجذه الجميلة وهو يقول: هي الرحلة فلا عجب هي الدنيا بها الغضب بها الحلم الذي أرجو تحقيق ذاته في رجب. وعقلة الإصبع مذهول من سير الأحداث، فكل الأحلام تتحقق والشمس تشرق، وبحر يوسف على الوجود يغدق، من فضل الله كله، وإنني في نهر النيل ومن فرط سحره أكاد أغرق. روح الرحلة صاحب الحروف الأخيرة، يدخل إلى الأحداث دون استئذان، ومن فينا خير لما سرت الروح به ودبت وخفق قلبه بنبض الحياة، ثم ها هو ينشد شريف مؤلف الرحلة ومنشأ دررها ورسم حرفها ومطرز نقشها وهو يقول: على العدو كم للأقصى طوفان والباغي ذاق من الويلات ألوان يا قدس إنني آت اليوم مشتاقا عرس الشهادة في الجنات مزدان وبه الجنان وفيها من هوى نفس ورد وفل والسلوى وأغصان آت أحقق ما روحي تهيم به والورد تحمل من نادية أفنان وأنت حلم كم منا بروم إلى تحقيق ذاته إن المرء ظمآن إن أرو

عطشي من نهر الحياة بك يا نهر النيل يسبح فيه إنسان ما كنت أظماً أو أبغي الجمال كذا كل
الخمائل في واديك إيمان إن كان آدم أو سام الذي يبني أو من يسخر في طاعاته الجان فانت
ود في قلبي سكنت كذا نبض الحياة بل بالشدو ألحان داود يذكر إن خضنا الحديث بك وبك
الهيكل كم يبينها سلمان أنت العروس وأولى القبلتين أرى وأراك حرماً وكم يحويك قرآن إن
العزيمة في قوم الجهاد هي نصر وظفر وكم للنصر أعوان وعون ربي للأقصى يطير به إلى
السماء وباب الله ريان القدس جند إن يطغى العدو يرى زرع سينبت في أرض ورمات
خضرلء إنها من نبت الجمال أتت عروس غيد ثم تفرق الجان، ولربما ما يفعله ذلك الجني
المتمثل برجل موجود في الزروع يتفقد، ويضرب الصبية أحر الضرب وأقواه، يعتصب
إرادتهم في نيل بعض بعض الرزق، بعدما حصدت الزروع، فقير يتوجه للحقول كي ينقي
بعض لوزات القطن أو شيء وقدر قليل من الفول، أو بعض الحطب الجاف، وكل أهل القرية
والعزبة يسمحون بذلك وبنفس ملؤها الرضا، أما ذلك الرجل فيميل ميلاً واحدة على الصبية
والصبايا ويوسع الجميع ضرباً، ها هو الجان كما ترون يسيطر عليه، ويجعله يعاون
الساحرة العجوز والظالمة ربما والنسر الجبار ومجموعات السحرة المجرمين، وهم يطلقون
وحوشهم في كل مكان تبغي في الأرض وتنتشر الفساد، فتقدم الرحالة بجيوش سلاحها بدائي
ومتطور، سهام ونبال وخوذات ودروع ومنجنيق وأسلحة نووية لا تستخدم إلا عند
الضرورة القصوى، والمسجد الأقصى على ما يختلفون عليه من وصف في إطار القول بأنه
أولى القبلتين وثالث الحرمين، أي أن الحرم هنا هو حرم مكى ومدني ويضاف لهم حرم ثالث
وهو المسجد الأقصى المبارك الشريف، وكذا لا تشد الرحال إلا لثلاث وهم: المسجد الأقصى
والمسجد النبوي والمسجد الحرام، فلا تشد الرحال لغيرهم، وإنني أتساءل: ما معنى أن تشد
الرحال؟! وهنا يقول شيخ الرحلة: أي يسافر إليهم بصد الصلاة والحج مثلاً والعبادة
والتقرب إلى الله، فالصلاة فيهم بألف صلاة فيما عداهم، وها هو مسامح خفيف الدم حلو
الروح أسمر اللون أبيض القلب وفي لمحة منة ملامح آلة الزمان والمكان التابعة للرحلة بلا
حدود، ها هو يقول العبارات المضحكة ويداعب الناس بألوان مبهجة من نفسه السمحة
اللذيذة، وهو مبتسم دوماً، وهو للتو يسير مع أبي عوف ولطفي وبهلول، يضحك كما
يضحكون، ويمر خلال الزروع معهم والفراشة البيضاء تغني وتقول: حلل لأمك...حلل لأمك..
ولأنها حين تلمسها، تلتصق بيدك بمادة بيضاء كالدقيق، والأخير هو دقيق يستخرج من
القمح بعد دشه وهرسه وطحنه، تقول الفراشة ومسامح يغني معها وينشد ونحن جميعاً
نفعل: حلل لأمك كربل لأمك، وكأن الكربة والتحليل يقصد من ورائهما أن ندق القمح
والشامي والذرة كي نحصل على دقيق أبيض نستخدمه في صناعة المأكّل المخبوز والعيش
والكعك والأشياء الأخرى، عزبة هي الجمال عينه والسحر، وبها عمر وأمل ومعهما نرجس
وسلمى ذات الرداء الأخضر، وكذا فاطمة ذات البساط السحري، وأعود للفتى مسامح، أو
هي الرحلة بلا حدود بآلتها الزمنية والمكانية تعود إليه، ويظهر معه عبد الباسط مغامر
الرحلة وفتاها المستقيم الجلد الصبور قوي الشخصية والإرادة، بقاع سحرية في عزبة عبد

الواحد النورة والنسر أبعادية سيف الدين، تتمدد بالأمل وبالواقع المساحي والأرضي،
وتتمدد كذا زمنيا لتلحق وتجلب وتعيش كل الأزمنة مع شتى الأمكنة في آن واحد، حين
ينصح في مشهد ملتصق، ينصح إيهاب حكيم الرحلة الجميع ويقول الحكم ويثقل الجمل
ويبهج النفس ويزيل من بعد الله دواعي الوجل: فلا تتمايلين غنجا ولا تمرحين قرحة،
وكوني وسطية لا إلى هذا ولا ذاك تميلين، اللهم إلا الميل لزوجك كي تعطينه حقه وتمنعينه
من الوصول للأخريات، فإن لم يجد الزوج تحقيق رغبته وأمله في زوجته، ربما لا يستطيع
السيطرة على نفسه، وقد يميل لأخرى ويحدثها، وقد يصلان إلى أبعد من الحديث، فهذه دنيا
عجيبة مرببة، كما خلق الله خلقا يحملون من ألوان العجب الكثير والكثير، يتدخلون في أمور
الغير ويقتحمون حياتهم وحريرتهم، ويميلون عليهم إرادتهم الجبارة المتسلطة، وعليك يا محمد
أن تصبر على إبدانهم، ثم تهجم عليهم هجمة واحدة وعلى حين غرة فتريدهم في غور لا
يخرجون منه، ومستمتع يلتصقون بوحله للأبد، وعلى الزوجة المطيعة زوجها من بعد ربها
أن تسير على مثل هذا النهج ما لم يأمرها الزوج بما يخالف تعاليم ونهج الدين، والمعروف
أن صوت الأنثى رقيق منساب كالسحر حين تتحدث إلى زوجها، وعليها أن لا تتمايل غنجا
في صوتها حين تتعامل مع الغرباء، هذه بعض نصائحي أنا حكيم الرحلة إيهاب على أن
دوامة بحر يوسف يقفز بأهوالها أشرف اللؤلؤ فلا يخشى شيئا، تتقاذفه الأمواج الثائرة
وتندفع حاملة إياه صوب منطقة الكنوز بالعزبة الجميلة والدرة النفيسة، والمعروف أن
البطل أشرف متمكن في فن العوم والغوص والإبحار، ها هو يقاوم ويتنفس تحت الماء في
الكهوف والسرديب، ويلتقي الرحالة وصبري والمغامرين، ويرى فاطمة وهي تتعلق بجذع
شجرة عملاقة متحدثة متكلمة في قاع بحر يوسف وهو ذاته محيط الظلمات، وأنور لا يزال
يمتطي ظهر ومتن الحوت الصديق، والحوت يداعبه بعبارات واهتزاز جسد ضخم كي يخيفه،
ولا يقصد بالطبع إخافته، لكن هذا يصور للراني والمشاهد، حيث آلة الزمان والمكان في هذه
اللحظة غواصة متحولة ومركبة ملأمة للوضع التي هي به، والغواصات المعادية تطق وأبلا
من التوربيدات وهي أسلحة ضخمة تخترق المياه والأمواج وتستهدف الغواصات والسفن،
ثم إن السفينة العملاقة جدا والمسماة بحاملة الطائرات والمعدات الحربية والذخائر ها هي
تعلو صفحة نهر الموت وهو عينه بحر يوسف، إذن آلة الزمان والمكان بالرحلة للتو هي
بحر يوسف المتشكل المتحول، وتحول لمحلفات ومبان ومساجد وبساتين ودور
وحقول...و....؟؟؟؟.....، ثم ها هي تخرج - من الشجرة المتكأ عليها أسامة عقلة الإصبع -
خيالات مرعبة لرؤوس جان وجاثوم وعفاريت، تلتهم كل شيء في لمح لا يدرك، وفي أقل
من جزء من لفظة خاطفة، وتلبس وتسكن الأرواح تلك كل آدمي أحيوان أو....و.... وتتمكن
منهم، وعوني يخرج من مياه بحر يوسف والجنية الساحرة العجوز تطارده بالعصا والبيضة
الذهبية البلورية والسحر الأسود، والشابة أفيات تطاردها دفاعا عن عوني، فيرى الأخير
عقلة أسامة، فيشفق عليه، ثم يطارد الجان بلا خوف، وكذلك فالفتى عوني لم يكن فارا من
بطش العجوز الماكرة وسحرها، ولكنه تمويه وخداع يحدث في ساحة المعركة، ثم إن اندفاع

صبري وعبد الرحمن صوب المنحدر الصخري لم يكن اندفاع خوف ورهبة، بل تضليل للأسود وعائلات التنين والكاننات الفضائية والوحوش الأخرى، هنالك التقى الجميع عند جزيرة الأمل التي تحولت إلى روضة فسيحة، وبطل سحر الجان والكاننات الغريبة، وتضم مشاهد الرحلة للتو مشاهد أخرى، فلا تترك ما هو دائر من أحداث، بل تجمعها جميعها، فهناك نلهو عند الجدول ويهدى لنا بلح من عل وسلوى تغني عند الباب وسلمى في روض أمثل. كلمات منظومة ينشدها عقله الإصبع، وهو نفسه أسامة الجالس تحت ظل الشجرة والمتكأ عليها، نجتمع هنالك عند الجدول فيرانا الكبار تلهو وتتضحك ويمازح بعضنا بعضا، فيفرحون لذلك كثيرا، وفجأة ونحن في ذلك الشعور المبهج من اللهو والمتعة، تخرج ثمار من الفتحة التي يسري من خلالها ماء بحر يوسف، تلك الفتحة الموجودة أسفل سور بستان ممدوح، نعم،، تخرج منها ثمار جميلة وبلح لذيق وفواكه وخضروات طازجة، صاحب البستان تركها تسبح صوبنا كي نأكل منها، صدقة جارية تجري فوق صفحة الماء بموجها العذب، تنساب وينساب معها الأمل، نمسك بكل ثمرة فنعطئها لأصدقائنا وصديقاتنا، وفجأة وعلى حين غرة يظهر وجه جان أسفل كل ثمرة كأنه ظل للثمرة وما هو كذلك، بل وجوه مرعبة مفزعة تأكل معنا وتحملق فينا، اشتد الذعر بالجميع، وإذ بشيخ الرحلة يقول: لا تخافوا، سمو اسم الله واقرءوا سورة قصيرة أو طويلة أو آية من القرآن الكريم. وها هي التمتمة وصوت القرآن الجميل وهو يتلى، فتختفي الوجوه المرعبة، ويظهر عوني وهو برفقة فاطمة وقد أتيا من أزمنة سحيقة بعيدة، يمران بطلمبة مياه الشاب تامر، وهي مدرار جميل ومخرج ماء حلو المذاق، حيث أحمد لا يزال يحاول استخراج كنوزه التي باتت قاب قوسين أو أدنى من الظهور، وفجأة تثور المياه المتجهة من قبل دوامة بحر يوسف، وتساعد عائلات المسحور الجان في دفعها نحو بؤرة الأحداث، وتتشفق الآبار المحفورة في مشهد محزن، ويتصور الجميع أن الستار قد أسدل على المغامرات، لكن هيهات هيهات، الكنوز تظهر من جديد، يردم الغور ولكن المياه الثائرة تخرج الكنوز في مشهد تعمه الفرحة، فعدى "مصطفى" فرحا وركض مسرورا، وشاور أباه وهو يقترح توزيع الكنوز على كل الناس... ففرح الأب لأن ابنه ليس طماعا ولا جشعا، وتجمع الرحلة بلا حدود بآلتها الزمنية والمكانية الأحداث والأزمان، كل شيء يدور في بقعة ومساحة وفضاء واحد، في مركز وبؤرة الرحلة عزبة عبد الواحد، ولا يغرنك أنها عزبة صغيرة، إنها تتمدد لتشمل الكون وما أبعد مكانيا وزمانيا، فلك أن تتخيل، ثم لم تتخيل وأنت معنا؟! يذهل الناظر والمستمع حين يرى نفسه الآن والآن بالتحديد برفقتنا، ويظهر الرحالة وهو يجلس فوق ربوة رابية عالية، حيث النسيم يداعبه والزهور عبق رائحتها يستنشقه فمه، والضباغ تسعى بالأسفل بأقدامها الأمامية المرتفعة عن الخلفية، تسعى سعى المفترس الجبار، لا ترحم من وقعت عليه عيونها، والشمس كما ترون تميل إلى غروب، والشفق يداعب الأجواء بحمرة داكنة أو فاتحة، لا تعلم درجة لونه، يتذكر ابنة عمه وما هو ناسيها من الأساس، وينظم لها في خياله قصيدة مطلعها وتفاصيلها ساكنة وجدانه وقلبه الرقيق، وتمتم وترنم، ونظم وأحكم، حين

مالئت إليه تهفو وتدنو، وتطل عليه الغادة وترنو: عمت صباحا "رحالة الزمان والمكان".
ولقد خيل إليه وهو يستمع إلى صوتها أنها "فتة" ابنة عمه، فانتبه بعد غفلة وإذ هي
بالفعل فتة "الغادة الحسنة" تقبل من زمن عجيب غير مدرج في خريطة الرحلة اللانهائية
المساحة والتحول، وأعود فأقول أن كل الأزمنة توجد بالرحلة بلا حدود لأن الله تعالى هو
خالق كل شيء وكل أمر بيده جل وعلا، ثم عاد ببصره يتأمل الحقائق والمنتزهات والحقول
ومباريات كرة القدم، حيث صفحة الرحلة تشمل كل الكون بأحداثه وأزمته وأمكنته في هذا
الوقت بالتحديد وكل وقت وأوان، الآن والآن بالتحديد، فنظر إلى الفتاة باسمها والأمل يملأ
كيانه ووجهه بضحكة بريئة ثم قال: عمت صباحا "سندريلا البحار وأميرة الزمان". كانت
الفتاة من الجمال بمكان، بحيث أنها الظلال الوارفة في يوم ربيعي باسم، والأمل المقبل من
بعد يأس استيأس من أي جميل في الحياة، وهو يعاود الإطلالة الشاردة ويقول: ما كنت
أحسب بنت العم أن رحيلك جالب هم ودافع حزن صوب فوادي ليسكن روعي جل الغم لبحر
اليوسف كم أشتاق ويغمر كلي بعض اليم فراقك أضنى البدر الساري ونبضات الراضي
المهتم ابنة عمي طيفك يسري في وجداني مسرى الدم. فأخرجت رأسها من القبر فذهل
الفتى وفرح قلبه وأدهش قال في دفعة: ابنة عمي على قيد الحياة. فضحكت متمائلة في طيبة
وناظرة وأتت ودروسها مستذكرة وهي تقول: نحن في الرحلة بلا حدود وجنان ربي، وكل
شيء متاح، فاطمن قلبه وسعد كثيرا، وها هو راض مبسوط منبسط وله فرحان مغرد من
فرط الأمل، وقبر الفتاة جنة فيحاء على جوانبها عبق وزهر وخمائل، ونهر النيل والحلو
والخليل، وبها حفني والقيثارة وناعسة، هم لا يبرحونه أبدا، التفت الرحالة صوب فتة وقال:
سأمل لك القصيدة. ففرحت الفتاة الضريرة وقالت: استمر أيها الرحالة المبدع. فتبسم ابتسامة
خفيفة، لكنها أزالَت الوجَل من كل ناظر ثم استطرد مردفا: هذي العزبة كم تشتاق إلى رؤياك
ورؤيا العم وتبكي وغيث دموع العين دموع تمسح عند الكم حسن ولى ببعض المرض
حمادة يقضي ببعض السم. ثم ظهر حسن وحمادة ومعهما الأفعى تلعب وتضحك، فقد
سامحها حمادة مع أنها تلدغه الآن عند حقل القطن وهو يسقي الزرع بساقية أبيه الشاب
عزمي، ثم يهتف الجميع من داخل القبور والأجداد: أكمل يا رحالة. يذهل الرحالة من هول
ما يلقى ويجد، ويتمالك نفسه مستطردا مردفا: أفعى بحقل القطن تجول، لدغة فيها سائل فم
أخوه يراه فيبكي طويلا، وحزن حظ بقلب الأم ابن العم حمادة تعال، إلى أرض الباكي المغتم.
وهنا يبكي حمادة بكاء حارا ثم يخرج من القبر متجها صوب الساقية، حيث الجمال والحمير
والبقر والجاموس والكثير يجرونها، وهي تدر الماء من بحر يوسف عن طريق جدول
متصل به ومصرف عذب رقيق جميل، وممدوح أخو حمادة ومعهم أخواتهن وإخوتهم يكون
كذا، فيكمل الرحالة بصوت متقطع مجهشا بالبكاء: عبد الباسط في روضات مدحه عنده قدر
الذم رجل مثله ما قد كان وحلوا صار مذاق السم إذ يلقاه يصير العسل أريج الزهر وطيب
الشم فؤاد عمي مليح الوجه وحلو الروح كثير الكم بصير الكيف شقيق الذات وروحه دوما
روح مهم ومجدي تباعد من أعوام بكاه الناس بكاء ملم بكته العزبة من حرمان بدفعة طفل

ورحمة حم بكل نوازل قدر إله بجرح في الدنيا ملتئم. انتهيت انتهيت فهل أجدت. قالها عقله الإصبع ممازحا الرحالة، في ذات الوقت الذي لا يزال فيه حراس الكنوز والسرايب وكهوف الذهب وأغوار المعان النفيسة، لا يزالون يدفعون المياه الماثرة صوبنا من منبع دوامة بحر يوسف، الدور تغرق وتتشقق، هم يحاربوننا كي لا نصل للكنوز، ويؤرة الرحلة وقلبها النابض - عزبة عبد الواحد - صابرة ومؤمنة، تود إنقاذ أبنائها ن سطوة الجان والعفاريت والجاثوم ذلك القابع الجاثم فوق الصدور، والموتى يبعثهم الله من الأجداث والقبور، وهم يشاركونا المحاولات المستميتة، ثم يؤذن للصلاة الآن، فنترك العمل ونتجه للمساجد، بل الأرض جميعها مساجد سطعت الشمس عليها فجعلتها طاهرة، وعزمي لا يزال يصطاد أبي العنز ورفاقه، وأبو العنز ينادي عليه: كف يدك عنا يا عزمي. فرق لهم الفتى ووجه قاذفاته صوب العدو المتمثل في النواراة والنسر والسحرة والمجرمين والظالمين، ثم ها هو الرحالة يظل يطارده الجان حتى يصل إلى روضة فسيحة مصطحبا عزمي والرفاق والأحداث جلها على متن الرحلة بلا حدود بتحولاتها المختلفة وأشكالها اللانهائية، فيجد سيدنا محمد بها فيعانقه ويبكي بكاء حارا، يتوب من ذنبه، والنبى العدنان يرق لحاله ويطمئنه أن توبته قبلت، وهو الذي يراه للتو أيضا مع جميع الأنبياء في صرح علم يتحول لبستان سعادة وخير، يلتقي الرحالة كل الأنبياء والمرسلين والصحابية وأهل الخير، لقد تحولت آلة الزمان والمكان إلى مساحات خضراء ممتدة هائلة تغمرها المياه من كل جانب، وبها الطيور والعصفور وأبو قردان وأبو العنز طائر اللقلق، وصبري- الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان- لا يزال برفقة عبد الرحمن وهما يرسمان خطة لصيد الأسود والحيوانات المفترسة، والنجاة بالغزلان والطيور والحيوانات الأليفة من براثنهم، ثم تتلاحق الأحداث وتجتمع وتتصافر على سطح هذه الآلية المتحولة لكل الهيئات، ونقترب من الكنوز ومعنا مصطفى وأحمد وممدوح وحفني وكمال وعمار وآخرون، والعزبة برمتها وهي مركز الرحلة وبورثتها السعيدة، العزبة برمتها وجميع أهلها ها هم معنا، حيث يتم الآن إنزال المواسير عملاقة القطر وحفر باطنها وتجوييفها، وكلمات حفرت مساحات من الطين والرمل ومحتوى الأرض فأصبحت فارغة كالهوة السحيقة المتقدة، نقوم حينئذ بإنزال المواسير لحماية التربة حولها من السقوط في الغور، ثم ها نحن أولاء نصطدم بجان نانمون وحراس مقابر ودهاليز ومتاريس، ونمر بطرق ووديان وكتبان رملية، ونرى الموتى في القبور من أجدادنا، وهم يرحبون بنا، ألا ترون، - بالطبع نرى لأننا معكم بالرحلة. هنا يضحك الفتى عبد الصبور وهو يشغل الشادوف الرافعة، تلك الآلة المعلق بطرفه حجر، والطرف الآخر دلو، والمركزة على دعامة خشبية أو طينية لبنية قائمة، ثم نميل الدلو صوب سطح بحر يوسف ونملئه بالمياه، ونترك المجال للحجر في الطرف الآخر كي تتزن الأمور، ثم إن الدهر قد أكل على حالي وشرب والسعد عني بعد محاولات هرب فكم حاولت جلبه بيد أنه اضطرب أصل الماضي بالحاضر وما ظهر بما غرب وأعشق فاتنة يظللها في الجنان العنب عروشه ممتدات يشهده الأعاجم والعرب. فضحك لطفي من عبارات بهلول البائسة اليائسة، وكان بهلول بالأساس

وفي دخيلة نفسه الداخلة يود إضحاك لطفي والتخفيف عنه، ذلك حين انتقلا لدار أخرى بها الجنان والنار والورد والرمان والنعيم والعذاب والثرى والتراب، وأميرة القصر نادية تكرر وتضحك، وعلى هيئة بهلول البهلوانية الرثة يضحك الجميع، ليس سخرية منه بقدر أنها مداعبة تدفع اليأس كي يسلك منحدرات وطرق أخرى بعيدا عن مسارات الرحلة المتعرجة، هلم أم الرحلة، تقدمي. تنطق بها الغادة الحسناء سندريلا وهي تمسك بيد ذات البساط الأخضر سلمى، وحماة يقاوم لدغة الأفعى ويقفز ببحر يوسف مدركا عوني والعجوز ذات البيضة السحرية والشال والعصا العجيبة، وأفيات الماهرة تلاحق العجوز بمطاردة جبارة تبغي من ورائها القضاء على الظلم والسحر والإجرام، ثم يظهر فجأة تقلب الآلة العجيبة برحلتها بلا حدود، يظهر قمر يتكبد السماء يستحيل إلى بدر مشع بالضياء، وشتاء من بعيد يقدم ويتقدم، نسائمه الباردة تهل من زمن سحيق، يزحف صوبنا من مئات مئات آلاف الأزمنة ويزيد، وبشر وجان وحن وبن، وأنت معي بالرحلة تعيب علي وتسخر من نظمي وفني وكتاباتي، فهل أنت قارئ جيد مثلي تهوى الحكايات والقصص؟!، ثم لماذا عقلته الإصبع لا يظهر اليوم؟! هل ذهب في رحلة البحث عن فاطمة وراء غياهب نهر الموت العجيب؟!، ولماذا التماسيح تتحول لهينات وكائنات مرعية، وما سر مطاردتها المستمرة ذلك الرحالة وكذا الفارس المثلث؟!، لكن المثلث تالله ماهر في صدها والنيل منها، مكره مكر محارب قديم، في الأساس هو امرأة ملثمة تسقي زرعها وحقلها بالطمبورة البدالة، تلك الآلة الأسطوانية الشكل الملتف تجويفها في منحدرات حلزونية، تحرك يدها فتدفع الماء خلال الهيكل الحلزوني، وتجميل الحلقات العجيبة الماء وتسحبه، لتجريبه وتدفعه في الجداول والممرات العجيبة، وتروي روضة حفني وزرع النخل الصغير والنخل الكومي ونخل الصعل، وأحمد مع آله الدافعة للماء والرافعة له على شفا جرف ها ر من بحر يوسف، وكامل يستخرج الطعم والطعام وغذاء السمك الذي يجذب إياه كي يصطاده برفقة اللؤلؤ وحسين، وخليل لا يزال يواصل دربه صوب المزرعة الصحراوية ليلتقي الشاب حسانين هنالك ومعه أنور ومنتصر ومحمد وعبد الدائم وآخرون، صفحة تطل على صفحة، وبؤرة تتبع بؤرة، وها هي تستيقظ الشمس ونظنها نحن كذلك، وهي التي ما غفت حتى تستيقظ. بل حجبها دوران الأرض حولها فنتج الليل، وظهر الجان وها هم يظهرون... حذار أم الرحلة، تلك الأضواء الحمراء الفاقعة جان مسلط علينا، وكامل ها هو يعاني سيطرتهم عليه فيرد عليهم بقراءة القرآن الكريم والذكر الحكيم، ولقد كان الربيع قد كسا الدنيا ببريق ضوء وأمل، حيث آلة الزمان والمكان العجيبة تتحول وتصور وتكور الأحداث وتجلب الأشخاص من رقدتهم إلى عالم نابض بالحياة، والنباتات تزدهر وتنمو، وجداول بحر يوسف تشق الزروع والأراضي والكون بأسره، وقطع السحاب المتفرقة ترسم لوحة بديعة بالسماء، وسريع الفتى الجميل في خلاف مع الشاب خليل، نحاول إقامة الصلح بينهما ولكن دون فائدة أو ثمرة ترجى وتجمع، والكروان بغني ويطرنم ويشدو وقد جمع كل الأصوات، وها هو يتحول إلى جان عملاق طائر، والمسحور ببحر يوسف ينظر كامل إليه وكذا عوني، لما دب

الرعب الفتية وهم يلعبون ويلهون ويسبحون، يلقون قطعة ن المطار في عرض البحر ليجعلوها كرة للهو والضحكات والآمال، واختفى مصطفى في الأدغال حيث الغابات الكثيفة الملتف شجرها في مشهد مخيف، والرياح تموج وتنتشر وهي تخلف الدمار من انتشارها الرهيب، ونهر الموت يشق الفيافي ويتوسط المساحات الخضراء، وظل الرحالة يبحث عن صديقه متسائلا في حيرة: أين أنت يا مصطفى؟! والذئاب ها هي تصدر أصواتها المزلزلة وبصحبته وحوش فتاكة جاءت للاستيلاء على الغابة برمتها ومعها كائنات غريبة من قديم الزمن والعهود السحيقة، والشاعر لا يتمالك نفسه فلا هو المسيطر عليها البتة، وفاطمة ترسو علة بساطها السحري ومعها الفتاة الضريرة فتة وأمل شقيقتها، ذلك كله في حين تمر الصبية أفيات وشعرها شبيه شعر الخيل يتناثر على كتفيها ويلامس سحر قسماتها، تحمل مصباحها الفلاحي وهي تمر على شقيقتها وحالاتها، عندما نظر عوني- وها هو يفعل - من شاشة المياه الزجاجية الهينة والعجوز تطارده، وأفيات تهرول صوبهما وهي تطارد العجوز تلك ذات البيضة البلورية والعصا والشال، والقتال يحدث أسفل صفحة الماء اللؤلؤية الحريرية، حين كان بالحقل ذلك الجبار الإقطاعي الطاغية وهو يمنع الصبية والصبيات من جني وقطف ما تبقى بعيدان الأمل من ثمر وقطوف قطن ولوز أمل وخيبرات، لأن من ترك ذلك الخير للفقراء قد تصدق فبارك الله في رزقه، والفتى مصطفى ينقب ومعه أهله وأصدقاؤه والكثيرون، والأزمان تتلاقى والأمكنة تجتمع في بؤرة متمددة منكشمة عجيبة عزبة عبد الواحد النورة والنسر، فظهرت وها هي تتجلى حسناء دعجاء هيفاء ورقاء، فاقت الوصف جاذبيتها، أنثى خلقت من الجمال، ساحرة حد الدهشة، فواحة كالزهر وقيثارة طروبة، وسندريلا الحسن والعفة. - من تقصد بهذه الكلمات؟! فالتفت إليها باسمًا ثم كرر وغرد كالطير من فرط فرحته، حيث ظنها تغار وما هي كذلك، إنها كالصخرة الجامدة وهذا حالها بالنسبة له، أعطاها عمره ونبضه ولا تبالي، أي أنثى تلك؟! كان الخيال يخبره وقد صدق، الهروب والركض يدفعان المفترس لالتهامك، فلا تكن جبانا. كلمات نطق بها كامل وهو في الغابة والأدغال، حيث يتقدم الأسد نحو رفيق عمره الرحالة. والفتى كامل يعلم جيدا جراءة الحيوان المفترس وطمعه في نيل وصيد فريسته، وللتو عوني يواصل السباحة نحو الأعماق مبحرا في ظلمات بحر لحي هو بحر يوسف الطاهر الكريم يعلم جيدا جراءة ومجموعات حيوانات مفترسة.. فالمعادلة لا تصح بغير التهامهم له، ولكنه وزنها وسأوى جانبيها ولكن بطريقته العجيبة في صد العدو لا الهروب منه، هذا ولا يزال الفتى عبد الباسط - جميل الوجه حسن الخلق - كما ترون يقلب الأرض بفأسه ومحراثه البلدي، ولا يأبه بمن أتوا ليسلبوها منه ويسيطرون على خيراتها، أقل ما يوصف به أنه بطل مقدم جسور، ومغامر داهية، ومحب للحق كاره للباطل وأهله، والابن الضال ابن النورة يموج في ظلمه وينغمس انغماسا، وهو يصطحب الساحر الشرير وريما العجوز أينما حل وارتحل... - ما الذي أتى بك ورجالك إلى هنا، هذه أرضي وعرضي ولن أفرط فيها مهما حاولت. وهنا يقول النسر وكما ترون وتسمعون: - لن تستطيع يا عبد الباسط أن تفق في وجهي وتمنعني

ورجالى وسلطتى من ضم أرضك إلى أراضينا. فظهر الغضب على وجه الفتى المقدام وثر ثورة كادت تعصف بمن أمامه، وأمسك بفأسه ورفع له ولوح به متحديا، وركض عن اليمين وعن الشمال وكأنه يتأهب لقتال دام مهما كلفه الأمر، فإذا بالنوارة تأمر رجالها باختطافه عنوة، ويتقدم بالفعل الرجال نحو عبد الباسط والذي لم تظهر عليه أدنى علامات خوف تذكر، ثم قال الفتى في ثقة متناهية:- من يدنو منى فلن يرجع سالما مرة أخرى، تقهقر الجمع المهاجم هنيهة ثم استأنفوا الهجوم، وأحاطوا بالفتى من كل صوب وجهة، فلم يتقهقر للخلف أو يعود قدر أنملة، بل هو يواجههم بعزم لا يلين، وقد رفع عصاه وماج فيهم طعنا وضربا، ورميا وقتالا ولكما وركلا، ففرق جموعهم، والنوارة تكاد تجن من فعالة العجيبة، وهي تأمر رجالها بإطلاق النار عليه مباشرة، فاستمر الفتى وهو لا يخشى النزال ولا النار، وتدخل النسـر فجأة ومنع المصوبين من إطلاق الأعيرة النارية، ثم قال موجهـا كلامه للنوارة:- ل نريد قتله، بل أسره والقبض عليه كي نتمكن من معرفة مسانديه ومشجعيه على جرأته تلك وفوته العجيبة الواضحة. فأوامت النوارة بالموافقة وأعطت إشارة تأكيد للمسلحين أن كفوا عن القتال، وقالت مردفة:- عليكم بالقبض عليه عنوة وتكبيله بالسلاسل. حاول الرجال تنفيذ أوامرها ولكنهم اصطدموا بجيش جرار مكون من كتائب قبطان وجيوش الرحالة وإرادة وقوة عبد الرحمن وتصميم وعزيمة صبرى الطيار الطائر + قائد آلة الزمان والمكان، نعم...فها هي تنتفض بؤرة الرحلة ومركزها عربة عبد الواحد النوارة والنسر، وتتمدد لتشمل الكون وما أبعد، ثم تتحول لمركبة فضائيو وغواصة وقاعدة سفن ومعدات، وإلى قارب فاطمة الصغير، ثم ها هي العربة تتحول إلى مقاتلة عملاقة وفضاء كوني رحيب، ثم إلى أراض زراعية ملؤها الأمل والخضروات والفواكه، وذلك كله حين كانت النوارة والنسر عربة عبد الواحد مستيقظة من نومها ووجها البدر والحسن والجمال، والنخل الكومي يطل منها كما تطل العذراء من خدر جميل، والحوراء من ماء نهر النيل، وبها نخل الصعل مانلة غصونه ووروده، ومائل كذا نخيله يسجد للإله تبارك وتعالى، وسيدنا محمد يكمل نشر سيرته وسنته وإسلامه وإسلامنا، ذلك أيضا كله مما يستجلب الزمن والمكان، والنخل الكومي عنده أحمد يسقي الزرع ويدير الماكينة الجميلة الخاصة بالري، وهي مدرار جميل يرفع الماء ويسحبه من عمق دوامة بحر يوسف، وذلك الأخير بحر يستمد عذب مياهه م نهر النيل، ثم يتحول لهيئته ويمتزج به.. لا زلت ابن العم تسحب الماء عن طريق رافعة الماء الجميلة هذه، وتدير المقبض اليدوي فيحرك الآلة وأجزاءها نحو رفع الماء وتوجيهه للجدول الساحبة له، أو بالأحرى المندفع هو فيها يتهدى صوب حقول الفلاحين إخواننا، والزرع يفرح ويشكر الله ويبتسم لنا، والفتى مصطفى يلعب في صحن وساح الجدول، وها هو يرى الكنوز من ذهب وياقوت وسط المياه تتدحرج معها وتتهدى وتنساب، ودوامة بحر يوسف تنادي:- هلموا يا أهل البلدة الجميلة، إنني أقلب الدر والذهب والتبر والزبرجد والمرجان والياقوت، وأرسل الكنز تلك بقوة دفع أسفل دور وبنابات عربة عبد الواحد، فلتستخرجوها، ويتحول المشهد ولا يتحول، لأنه والله المشهد الأمثل، آلة الزمان والمكان

تستجمع الأحداث في زمن راهن هو الآن، ألا ترون، عم الآن والآن بالتحديد، هي لا تترك ولا تخلي مشهدا، حيث يقول ذلك المشتاق وهو يحيي ملكة النحل وآلة الزمان والمكان وعقلة الإصبع والعالم الجليل وأم الرحلة والفتاة الضريرة فتة وشقيقتها قاطمة ذات البساط والضريرة أيضا وحببية لرحالة المغامر، تقول: اشتاق قلبي ويهوى الوصلا لفانوس سحر يروم الخيالا ومصباح جد بزمن الظلام أضاء الحياة ووصل المنالا وأفيات يدها بسحر تضيء سراج الضياء فغير حالا وعمي دسوقي بعزبة أمل يجمع ثمرا ويهوى انتقالا وبين المروج ونخل المنيا يدني البعيد ويمحو المحال وتبر تغني بقطن وزرع وهذي الحمامة تبدي امتثالا لأمر الحكيم إيهاب الجميل وأسد غضنفر صاد الغزالا وما جنت فيها الحياة لأشقى وأفني حياتي وأجمع مالا مرام أحبك منذ الحياة تدب بقلبي وأهوى الجمالا وما قد رأيت كمثل جمال تمثل فيك وغير حالا مثيلا يشابه تلك العيون وإني بدربك أهوى القتالا أنازل خصما يروم انتصارا ومهما أجاد حسمت النزالا وناهى عمري الجمال بروض قصيدا أكتب وأهدي مقالا لها ثم أمضي ببحر الجمال وفي نهر نيل ألقى الكمالا ففي بحر يوسف نبضي الجميل ونبعه نيل يشق التلالا ولو كنت أنظم حتى أموت ظللت أجد وأوصي الهلالا بأن يضحي بدرا رقيق الضياء ويمحو الهموم العظام الثقالا فليت فانوسي الجميل يجيء لأبلغ قصدي وأصل المنالا وأحمد يجد المرام الجميل وكنز الكنوز ويجمع مالا وابنه ينعم بعد الشقاء وصبر طويل ويجد الحلالا بعزبة أمل حبيت طويلا أجيب الحبيب وألقي السؤال فما قد أجاب وقال: حبيبي وليته صمت فنفى القتالا ولكن فاه أصاب الفؤاد وجرح الوتين وقطع الحبالا قد قالوا مر وإني أتبسم عهد الربيع ومن يقولها يحلم سأظل أضحك رغم حزن قد مضى وطرفي تعلق بالحببية ساهم أيا ليت يوما كان زماني يعود بي قالوها دهرًا فما فؤادي يهرم بلغوا المشيب فما بلغت سوى المنى وما مني باق من الإرادة أعظم الشعر أنظم والأمانى وفرحتي وكم من جمال آن صفو ينظم في بحر يوسف والجداول متعتي ومن نهر نيل شق زرعًا أبرم عهد المودة والوداد وغايتي وربى الرحيم بحال حالي أعلم أنا كم هزمته في المواقع جلها ما كان يهدم بعض أمني الظالم لي عند ناس من المحبة حسننها ومن الميراث عند الأحبة أسهم والثغر عندي رغم حزن باسم وله بفني حين يشدو ترنم كروان فنن من أقص وأقصد لو كان يشدو تستبين الأنجم خيالي يسمو أو أمر بربرة مثل المسافر في جنانه ينعم ولقد رأيته والوجود كم اهتدى الله يعبد ثم حلت حوم من الطيور متى تسبح ربها فرض الولاء المستنير تقدم على فراق أحبتي موجوع والموت بعده ليس يأتي رجوع قضوا بعرس فيه سحر ضياء تقاد فيه وقد أتانا شموع مس الشغاف الموكب الفرخان لما تفيض بشاطئيه دموع وأرى العروس برغم حزن ران نيل الخلاص كأنه مسموع حال الرحيل بصوتها المكتوم وكم للأصول جداول وفروع وعن الصبايا فهن في أوجاع من هول ذلك والصلاة ركوع كم ترتجبن من الإله نجاة وفاض مسك من الجنان ربيع شهداء ليل كن في أفراح فالحزن يأتي وللمنايا خضوع الله يرحم كل قوم ماتوا إن المنية سهمها مرفوع قد بات يعدو مثل ريح فلاة يا ليت حدها يومها منزوع أو اه آه كم حزنت الآن إن الشهيد بقبوره موضوع عطر تضوع من ثراه وفاح هو

الكريم وبابه مقروع في بحر يوسف قد قضيت هناك وموج لديه على الدوام سطوع ونهر
نيل فيه حلم حياتي صديقي اسمه في رباه سموع أمضي حياتي في رياض النيل ما كنت أظماً
أو يريني الجوع تلك الصعاب وفيه زهر حياتي وبذور أمل وبه الرسول شفيع والعلي سد في
الفضاء تسامى يعلو ويزهو وإنه لمنيع شهداء عرس كيف ولوا وزالوا والفعل منهم خير
مرفوع والمسحور لا يزال خياله يربع من مر، برفقة رشا عروس نخل الصعل وفتاته
الفاطنة الساحرة، يطيع أمرها ويفعل الأفاعيل بالقوم والناس في شتى العصور، وأنور يمر
من هنالك لتلتقي به العجوز الأم في نقطة مركزية بين نخل الصعل والنخل الكومي، عند زرع
القول السوداني المغمور والمزروع في التربة الرملية، حيث اللهيب واتقاد الشمس ولهب
الحرارة، والظلال الكثيفة هنالك يسير بها سامي ويستظل بها، وغمامة كما ترون تظل سيدنا
محمد فلا تبرح مكانه المتواجد به، وهو يدعو الأمم للإسلام وينجح في دعوته بعد صبر طويل،
يلاقي الأمرين ويعاني من تنمر ذوي القربى واضطهادهم له، بيد أن الله حاميه وناسر
دعوته، وعديس يقابله أمام بستان ابني ربيعة ويقدم له قطف العنب المرسل من قبل
الأخيرين ابني ربيعة، ويعرف عديس أنه نبي كريم، فينكب مقبلاً يديه وقدميه الشريفتين،
ويبكي فرحاً، والآلة لا تترك الحدث ولكنها تنقل نظرها وتموج بعدستها العملاقة وأماجها
الضوئية المرئية وتفرش النور في العالمين، حتى تقابل الجدة أفيات، والتي تظهر حيناً فتاة
وشابة صغيرة وحيناً آخر صبية وطفلة وديعة، وتظهر بين فينة وفينة في حال غير حال،
مهلاً عوني لا تزعج...إنها وحوش مائية وكاننات لا تخيف لو وثقت بالله، ويضحك عوني
والماء يغمره ويقول: كلي إيمان بالله أيتها الفتاة أفيات، فابتسمت أفيات حين رأت صدق
حديثه ينعكس على عينيه ويرتسم بهما، وقد ملئت الساحرة ذات البيضة البلورية والشال
والعصا السحرية، ملئت من فرط ما تجد من إرادة جبارة وتضافر لقوى الخير وتعاون، وقد
هدمت عزيمتها واضمحلت وانعدم تأثيرها، فاستسلمت لقبضة الجدة أفيات، حيث الأخيرة
تمسك بالدبرك، والدبرك عصا غليظة تكاد تكون جذع نحلة أو غصن شجرة عملاقة، تضرب
بها الساحرة وتبعدها عن الجميل عوني، وحمدي شقيقه يعاونه في سباحة حرة يتجاوزا بها
المخاطر والآلام ويحققون الآمال والأحلام، هذا ولا تزال فاطمة ذات البساط السحري تسبح
في العوالم الخفية منذ واقعة نهر الموت المتجددة، والرحالة لا يزال هو الآخر يبحث عنها،
وشقيقتها أمل تقود البساط أو البساط يقودها والكاننات، وتلتقي الفتاة الجميلة مصطفى
المفكر صاحب العقل النير والبسمة الجليلة، تلتقي به عند الكنوز المخبأة بفعل الزمان
والمكان، نعم مخبأة في باطن أعماق أرض عربة عبد الواحد النورة والنسر، ثروات، كنوز
تحركها دوامة بحر يوسف، تلك التي تدفع الكنوز والجواهر والمعادن النفيسة لتستقر تحت
الدور القديمة والكهوف العجيبة بباطن الأرض، ومدرار مياه الشاب أحمد ظلمبة المياه،
ماكينة رفع المياه تدر الأمل والياقوت والمرجان والزمرد والأحجار الكريمة والآثار من
منطقة النخل الكومي المجاور لنخل الصعل، والجبان يشتركون في هذه العملية الطبيعية
ومعهم المسحور والكاننات المخيفة الغريبة، وملكة النحل تواصل تحليقها الأبدي والسرمد

منذ العهود السحيقة وفي تقلبات الزمان والمكان، ترى تلك الملكة المنتجة للأمل والعسل والشهد والسعادة، ترى كل الأحداث وتشارك فيها، وتنعم بوجود أمل وعمر وهم مع عمي عثمان وعمي رمضان، وتقابل البطة السوداء المظلومة من قبل البطة الأم، حيث الأخيرة تكرم أبناءها ولا تهتم بالبطة السوداء الصغيرة ولا تعيرها حتى أدنى اهتمام، الأسود جلها تجد البطة السوداء كل تلك المعاناة، وتعاني جل هذا التمر عليها وتلقى السخرية من كل من دب ونشأ على أرض البسيطة والمعمورة، وكما ترون ها هو صبري الطائر الطائر برفقة عبد الرحمن فتى الرحلة ومغامرها الداهية، والدنيا لا تحلو وآلة الزمان والمكان لا تتقلب إلا بتلك الصحبة الجميلة... هيا يا عوني... استمر في الغوص والإبحار، لا تبالي بالعجوز الماكرة، إنها تدفعك إلى التهلكة.. فأوماً عوني برأسه وهو يستمر في النزول سابحا نحو الأعماق، والجني المرافق للفتاة أفيات يلزمها ويحاول كسر عزيمتها، وهو يمسك بيدها كأنه يسلم عليها، ويستطيل ويرتفع ليبلغ عنان السماء، يبدو أن قوة رهيبة دببت بنفسى وأخشى أن تكون هي تلك السابقة الموت، وأنا من لم أعمل لذلك الأخير حساباً، يجيء عزرائيل للتوفيقطف زهرة روعي، مكلف هو من قبل الله ليجتث ذلك النبت الأصيل النضر الربيعي، فلا تحزنون علي، مالي أراك تبكي عقللة الإصبع، لا تبكي أمانى، الموت ليس النهاية، إنه بداية بداية وونبس وأنس نهاية، وكانت الجدة أفيات تنير مصباحها الفلاحي، وهي تفعل الآن، يلتحم الماضي بالحاضر بالمستقبل ويتصل، ومحسن يقبع في جراحه بنفس راضية وبسمة حانية، هو ليس ضعيفاً، بل قويا بصبره وعمق خبراته، وظل الذئب مع كل ما تقدم يتبعني إلى أن انتهيت إلى الكهف في أعماق بحر يوسف والأخير بحر متحول إلى كل هيئة، وهو آلة الزمان والمكان، ظل يتبعني والتماشيح كذا، فدلقت من الفتحة الأولى والزمن يلاحقني ويكاد يلحقني، وانتهيت للفتحة الأخرى في التوقيت المثالي فخرجت وتم غلقها على من عليها من كائنات، وبداخل الكهف كما ترون حبس الساحر الشرير ووحوشه والجان والكائنات الفضائية، والماء يغمره، إنه الكهف الذي نبحت فيه عن فاطمة ذات البساط، فأنا الرحالة هل تذكروني... فهللت الكائنات وكبرت وصفقت وتغنت وتراقصت، وها هي كما ترون تفعل، وانتبهت لنفسى وعرفت أنني أنا، فوجدت الجنة والرسل والأنبياء ويوم الحشر وشهدت البعث والنشور، ثم ها هي الجماجم تتدحرج وتتقلب، فتتصل كل جمجمة بهيكلها العظمي، ثم ينتصب واقفا كل شخص بجمجمته، وتخرج منها السنة ولهيب، تفترس كل من تواجه، وتشتبك مع كائنات أسطورية تحمل الزمن معنا... لقد زحفت إلى عهدنا، أم نحن من ذهبنا إليها،، تضحك آلة الزمان ويجلجل صوتها ويعلو ليهز ويلزل الوجدان ويرعب الحضور، أم تلتقي وتتلاقى في بؤرة الزمن عربة عبد الواحد. وتلك الأخيرة تتمدد وقتيا وزمانيا ومكانيا، ثم تنكمش كأنها نقطة نائرة ومادة ستفجر وتكون الكون، هل نحن في وقت الانفجار العظيم.. فضحك متناهي الصغر وأمسك بيد قبطان وراح معه نحو والسفينة العملاقة وجزيرة الأمل، ودفعوا المجذافين العملاقين، فسبحت وشقت عرض المحيط بحر يوسف ونهر النيل، واندفعت السفينة التي هي بالأساس قارب فاطمة الصغير وبساطها

المتحول. نعم تسبح ويزحف الجان مثل الظلال الجميلة، يخدع العين والبصر، يتعلق بالنباتات الصغيرة والهائلة الحجم، ويشارك عبد الرحمن والرحالة قتالهما ضد الساحر الشرير وجنوده، ثم يسكن جسدي وأنا من بالرحلة لا أعلم وجهتي ولا من أكون، وجدت نفسي معكم، القطن أجنيه وأجمعه، فلا ألقى من الظالم سوى كل غدر... فابتسمت ناعسة لي وطرفها أسر، ورمشها الأخاذ النير الأسر، كلما تحدثت في كل خطوة، أصابني حده فلا أصبر، أحببتها في المهد ومنذ الوهلة، الأولى تلك ووردي أنثر، أنا اسمي حفني والليل ضاحك، لو ما به مضيت والبدر نير، وبحرك يوسف في كل حالة، الأمل البهيج والخير ينثر، من نهر النيل قد جاء سيله، وهو بالخيرات والهدى عامر. وظل يردد حفني وهو ينظر، والأمواج بالفتى ليس تغدر، تعالي فتاتي فالسفر قائم، وأنا في صحرائه نباتي أخضر، والماء منك نهر حبي والمنى، في كل الأقطار بالجدول سائر، في بحرك يوسف النعيم كم بدا، وموجك الجميل موج ثائر، وتجلس أُمي في المنزل المهجور فيزحف إليها العمران، وأنادي عليها فتخرج إلى البستان فيخضر ويورق نبتة وغصنه، أماه كيف أنت يا واهبة العمر والأمل والحياة... أنا بخير حبيبي. اقبل تعال بني... أنتظرك بالجنة، أل ترى أنها وارفة الظلال جميلة؟! فيضحك مستبشرا حين يرى الأمانى قد رسمت على ثغرها، والأم هي الجدة أفيات أم الرحلة، وكل أم هي أم الرحلة... صوت الهاتف الروحي من يقول هذا... نعم يا صغيري، دعك من الآلام وانظر إلى الآمال وترقبها، وها هي رشا عروس نخل الصعل وفتاته الفاتنة تستمع إلى حكمة أبي عوف ونصيحة اللول أشرف، وترى الفتى وهيدي وهو عند الوهدة المنخفضة يجمع الدر والذهب، ومصطفى لا يصيبه اليأس ولا يتمكن منه بأي حال، أطوي الدرب بأنفاس عابر، وأرى الحسن بمسار سائر، وأراك مرام عند كل خطوة، وخطوة أخطوها وبعين مبصر، والله البدر دونك ما هو، وعلى مشاعري لست بمسيطر، فالتفتت إليه والشوق مقبل، من روضة أيام وحسن نير، " نعم أقبلت مرام تزف بشرى الأيام إلي، تنظر وهي البدر العلي، فأضاء كياني وابتسمت الحياة لي، حين كنت بالمزرعة الوزارة ". وهو مكان عجيب يحوي البساتين والمحاصيل والوديان والجدول والأنهار والأراضي الشاسعة، ويحوي كذا الظالمين والمجرمين من أرباب العمل بالسخرة إلا من أجر زهيد لا يذكر، وماذا عسى المرء أن يفعل، ونحن لا نجد الخبز لنطعم منه ونسد الرمق ونقيم الواد، كان قد نطق بما سبق الرحالة الجميل، حين قابلته عيونها فأبصر دربه وحمد ربه، وأبو قردان إلى جواره كلما نقل قدمه خطوة طار ليتبعه ثم حط على البسيطة، والرحالة يزرع ويقلع في هذه المساحات الخضراء ويجني القطن ويحارب الجان، ويتقي شر عدوه بتوفيق من الله ورعاية، وضرغام لا يزال اللغز الذي لا يحسن تفسيره وحل طلاسمة عقلي وفكري العميق، مضحك إلى حد البكاء من فرط التأثر، ومبكي إلى أقصى درجات الوجل والحيرة، لا تعلم له وجهة، غامض كل الغموض، وطيب حد البراءة والوضوح، ومعه الفتى سلطان والأمير واعر، وهم ينظرون إلى مرام، وهي المقصد والمرام، ضوء ينبعث من عينيها، لا مهرب منه، يسكر الوجدان وتخلل له الأيام وتذوب شوقا، لكنه خمول يعقبه نشاط، خمول راحة

واسترخاء استعدادا لانطلاقه دون حساب، وكذا تترنح الأمانى فيه ترنح استعداد للانطلاق، فتاة قد غار منها الحسن وبكى، من فرط حسنها وراح واشتكى، وقال ما أضحيت حسنا، فأنا إلى جانبها شيء مهمل، وبين يدي البراءة أغفو وأثمل، فلما رأى عرابي المشهد وكان يسير عند الكوعة ويأت اسمها من الكوع وهو ثنية الذراع عند منتصفه، والكوعة تقودنا بانحنائها صوب النخل الصغير، هنالك حيث يجلس الآن للتو أسفل الشاحنة المتهاكة القديمة كل من، عزية وسمهانة وكامل وحسن وتبر وأنور وصبية وصبيات كثر وكثيرات، كما تعلمون وترون، وفي مشهد متصل لا منفصل من مشاهد آلة الزمان والمكان المتقلبة المتحولة، والذي لا يخلي شيئا خلفه، وفيه لا يزال الصبي يشق الطريق حاملا حزنه ونبرة صوته الباكية، يبكي أمه وأمه أمامه، وكأنه لا يراها، وأخوه وأخته كذا يخطران بنفس الدرب، والذئاب تعوي عواء المنظر وليمته، يقطر الزبد من أشداقها، وإدريس يطوي المخاطر ويتجاوز الصعاب في رحلة هو أميرها والمقاتل ضد الظلم فيها، فلما رأى الأخير الفتى حن وعطف عليه، فمد يده يعينه على المسير، فاطمنن الصبي له وسكت عن البكاء هنيهة وأمسك بيده، وسارا سويا والجمع يسير، والحياة الدنيا أمرها يسير، وقد تكبد البدر السماء وقرصه المستدير نير بفعل انعكاس الشمس عليه، وكان حسن وكامل لا يزالان في طريق عودتهما الوعر من منطقة المناورة، والرجل الظالم صاحب الحقل لا يزال يبرح محمدا ضربا ويكيله سبابا وتجريحا، ومحمد الصبي الصغير لم يكن ذنبه إلا أنه ذهب لإحضار العشي الأخضر لذلك القصب الجميل، كي يعود به إلى البهائم ويطعمهم منه، يبكي من ويلات المجرم فظ القلب خشن الهيئة والطباع، فظهر خيال لرجل عجيب البنية والشكل، مكتظ الملامح عملاقها، أنفه ضخم وفمه كأنه فم وحش يبغى التهام فرائسه، فم مفتوح على مصراعيه كأنه باب موت ومنية، أو غور كهف في أسفل سافلين، والرجل وكما ترون ضخم البنية جاحظ العين، وكان عينيه مصباحان متوهجان من نار اجتثتا من جبل قديم عمره عمر الزمان، واقتطعتا وقدتا من قرص الشمس الدامي في كبد النهار، وكما ترون فجسمه ناري متحول وينبعث منه الدخان الكثيف، لقد حجب دخان جسده ذاك عين الشمس يا ملكة النحل، التفتت الملكة لمصدر الصوت فرأت عقلة الإصبع على جناح الديناصورات يحلق معهم، وإنسان الغاب في جماعات كبيرة يطير دون أجنحة، والذئب القائد ها هو عند الطريق المظلم والمحاط بزراعات القصب يسد الطريق ويحجب الأفق، وهو يصارع الحمار بنية التهامه... نعم يا ملكة النحل فأنا من أحدث إليك. ضحكت الملكة رغم كل تلك المخاطر المشار إليها والدائرة في صفحة الحدث. وهي ضحكة حب وود، لأن عقلة الإصبع كما " الفتى لطفي " "فاكهة الرحلة" وجمالها الأخاذ الذي يبهج الوجدان ويبعث على أمل قادم من عوالم مختلفة، وعن الملكة الجميلة الناضرة ملكة النحل، فحلقت الديناصورات صوبها وكأنها درع أمان، تصد المعتدين عنها وعن الرحلة المباركة، والنبى " محمد " خاتم المرسلين ينشر دعوته بسلام وبآلتي هي أقوم وأحسن، و" عوني " مستمر في سباحته المضطر إليها صوب أعماق " بحر يوسف " وفي خضم ووسط الأمواج الثائرة بدوامته

المرعبة، و" إدريس" يركض ويخطر بالقرب من طاحونة رواش، حيث بداخل الطاحونة ها هو البدر يظهر في مقلتي ناعسة وهي ترنو مطيلة إلى الفتى الجميل حفي، حيث الأخير يدير الطاحونة والناس يقبلون كل معه جواله المليء بالقمح ونتاج المحاصيل، والأفق متسع مضيء بنور الرحمن، والعصافير تغرد وتزقزق، والمدرسة الابتدائية تضيء بالعلم وتزخر بالأمل، حين كان المعلم منصور يلقي الدرس ويحفظ القرآن الكريم بلغة سليمة متقنة، وما أجمل لغة القرآن، والمعلم حلمي في أناقته يبدو وكأنه شاب من أهل الجنة وفتى من حلم أتى، وشداد يركض في الحوش وهو ملعب كرة القدم والمساحة الجميلة التي يتنفس بها الطلاب ويلعبون ويلهون، نعم يتنفسون الأمل ويستنشقون العبير، والعم ميلاد بابتسامته العريضة يداعب الأطفال ويضحكهم، ويدق الجرس الكبير جميل الهيئة بوتيرة موسيقية رنانة وطروبة، فإذا ما سمع الصبية صوت الجرس فكانهم يستمعون إلى نغمات موسيقية تطرب الوجدان، حينها ينطلقون إلى الفصول وهي تلك الحجرات الدراسية، دعنا يا عبد الرحمن نشترى من أقراص الطعمية والزلابية ما يسد جوعنا، إن عمي إسماعيل رجل طيب القلب جميل الخلق والخلقة، حيث العم إسماعيل يعد الطعام للأطفال والصبية والجدة أفيات لا تزال تحمل مصباحها المتقد بالأمل والمنير بالحسن والجمال، ثم يأتي الفتى الحسن الجميل وينشد فيردد الجميع خلفه قائلين على قوله: تالله إني فتى مكبل، ويقولون امثل فلا امثل، بين أيديهم وهم أهل غدر، بيد أني بين يدي البراءة أقبل، فأركض والأمان كأس من يرتجي، الحماية في أهله ولا يرحل، قض الزمان نومي وقض مضجعي، وأنا السابح في الأحلام والمتأقل، قد حلمت الآن أنني ثري، وصوت عدوي جهير ومجلجل، تقدم إلي في عزم فارس، وخيلي بالحق صداح ويصهل، قد رماني زماني في كل ملة، بالشقاء وغدره فلا أمثل، فلا الهموم أسكرتني ولا خطب نوازل، بل إنها بي ترحب النوازل، كم رأيتها تبكي وهي حزينة، فهامتي عالية ومداها مكبل. كان الفارس الملثم وهو لا يزال كما تستمعون يبعث بالأمل في قلوب المشاركين معنا بالرحلة والمشاركين بها، والفتى الصبي المظلوم يظهر وهو يبكي ويقول:- عليك رب بصاحب الحقل رجل لو علمنا بلا عقل يصفع الفتى ثم يسب إياه بوابل على عجل قد كرهت طلعتة فهو غادر ما كان يبقي على المثل فقبضت سيفي ثم طعنته ودفعته دفعا إلى القتل. فالفتى متأثر بما يلقي لتوه من غدر آدمي قد يكون أشد من غدر المفترس من الوحوش الضالة، يبكي بكاء حرقا ووجل حاد، ويظهر ياسر ذلك الفتى العجيب وهو يغدر برفاقه في ساحة ملعب الحياة، يضع قدمه خلف أقدامهم ويوقعهم غدرا وخيانة ليعانقوا الثرى والتراب، والشمس تلفح الوجوه والجباه، والمعلمون ينظرون من الطوابق العليا فيحضرون للتو لتأديب كل من تجبر وظلم رفاقه، والرجل الجبار صاحب الحقل والغيط لا يزال يوجع الطفل الباكي ويؤلمه بطعنات وضربات من السوط اللعين ويقرصه ويقرضه بأصابعه وفمه وقبضتا يديه، وهو يركب مهره ويمتطي جواد ظلمه وصهوة خيله، والغرور سمته والحد ما يضره قلبه، والغضب مسيطر عليه وكذا التعالي والاستعلاء ومرض السلطة والنفوذ والتكبر ملم به بين طيات جناحيه مطبق على روحه

وكيانه المريض، والفتى يصرخ ويستصرخ فما من مغيث، وضرغام وعبد الرحمن وعزية
وسمهانة وحمامة في الجانب الآخر من الدرب والمصرف العذب، وبالقرب من السبيل وعين
الماء الكائنة بجانب الزرع والحقول، ينظرون ويتفرجون ويشاهدون ما يحدث فما من فعل
إيجابي من جانبهم، حتى يتحرك محسن وهو فتى الرحلة المصاب الصابر، فيلقي بالطوب
والحجارة والعصي ونتاج الأرض صوب الجبار الطاغية، فيزلزل عرش الأخير، في ذات
الآن الذي يكاد يلفظ فيه الرحالة أنفاسه الأخيرة حين حمله جميل بين يديه مداعبا إياه، ثم
قذفه رأسا بين الأمواج، والفتى يواجه مصيره وهو يغوص ملتقيا بالفتى عوني والساحرة
ذات البيضة البلورية والعصا والشال وبالجدة أفيات أيضا، ويظهر جميل الرحلة وفتاها الأول
واعر وهو يركض ركض الماهر مواجهها عدوه بخطة بعث الوهم في نفسه أن ذاك فرارا
وخوفا، وهو في وسط نبت القصب يجاهد لينفذ رفاقه من مواجهة الحيتان والضباع والأسود
والنمور والكلاب البرية، وإنه ما ينطوي على سيد من الحزن وضعني تحت عباءة الوجل،
وهو فتى قد طوق العمر سنوات نبضه، وأثقلته السنون فرسمت تجاعيدها فوق تضاريس
ملاحه، قلت لا لست أنت... فرد: بل أنا ولكن الخطوب والنوازل وأحداث الدهر رست فوق
متني فألمتني، وأبت الرحيل فما هاجرت مع من هاجر من الناس والأحداث، عالقة تقيد
كياني وتكبل روحي، وفي هذه اللحظة ينظر كامل إليه والدموع منهمة منه لا تبرح عيونه
إلا وهي سالكة خط اليأس، بيد أنها تدمر الوجل بسلاح الصبر.. هما يطير ويحلق فيأتي
بالعشب النادر هو والهدهد وأبو فصادة، يغليان ذلك النبات أو يأكلانه ويطعمان سحره
العجيب وقدرته من بعد الله في إتمام الشفاء، ثم إن عوني وكما ترون لا يزال يهوي
والأمواج حاملته، نعم يهوي وتلك العجوز الغادرة تدفعه دفعا صوب الهلاك المحتوم، والفتاة
الجدة أفيات تطارد الساحرة العجوز بدورها، وها هو في غفلة من الآلة الزمنية والزمانية
والمكانية، بل وفي غفلة من الجميع والدهر والزهر، نعم.. تمثال أبي الهول يتحدث معنا
ويتحرك وينبض قلبه، ألا ترون وتستمعون. وكان عقلة الإصبع يتعجب وهو لا يزال يفعل،
كيف لأبي الهول التحدث، لقد جننا بالجمال والسحر أيها التمثال المتحرك النابض والمشارك
لنا الرحلة، وكان قد نطق بما قد تجاوز الغضب الفتى سامح وكنت مع نفسي أتصالح قد
رأيت التو عند روضة وهو بين أغصانها يتأرجح هل منا تغضب قال لا ولا بل إنني بدروب
الدنا أرمح فركض الفتى وهو يلومني ومعه الكائنات تفرح وتمزح. يقول ما سبق للتو الفتى
كامل، وهو يود سامح ويحترمه، فالأخير ضوء بهيج ينير عتمة الليالي ويرسخ المعاني
الجميلة ويؤسس لها، يحلق مع الكائنات في الرحلة المباركة الندية العطرة، وتتداخل
الأحداث لتنتج الأمل بمشيئة رب الكون، سبق ومن به لاحق، ونطق ولا يزال ينطق، عصفور
الأيك سامح نبضة، من قلب محب يترفق، نعم فالنبض لا يزال ينطق، فهو عقلة والأمني
تتحقق، رحلة بها أنا رحالة ومغامر، وقلبي للحبيبة يخفق... كم ساحرة كلماتك روح الرحلة
وجميلة. أمني من تتحدث وتثني على الرحالة روح الرحلة، يبدو أن روح الرحلة هو كل
بطل ومشارك بها، رحلة نابضة سعيدة قريبة بعيدة، وفي خضم كل هذا تذهب آلة الزمان

صوب السعادة في الماضي البعيد والقريب، وتتجول في كهوف ودروب وأدغال زمن يحضر
إلينا والآلة تجلبه وتستحضره، والجان يتراقص حولنا وهو ومضات متقلبة حمراء وسمراء
وسوداء وبنية ووردية، ومصطفى لا يزال يحفر الأرض ويقلبها للوصول إلى الكنوز، وها
هو يهدأ الجان الحارس لتلك الكنوز ويكف عن مهاجمتنا عن طريق دوامة بحر يوسف
وأثرها الرهيب في تجريك الموجات ودفعها وهي ثائرة صوب مركز الرحلة وروحها الحية
عزبة عبد الواحد الأميرة سنديلا وواهبية الأمل من بعد الله، في بقعتها تلك ونحن فيها
نشعل الكانون، والكانون هو بناء من الطوب اللبن أو مادته المستخرجة من الأرض أو من
قشرتها، مربع أو مستطيل توجد به فتحة للتهوية أو أكثر، تشعل به النيران والوقود يحتدم،
ليخلف الدخان، وتوضع الأوعية المعدنية والحديدية فوق فوهته الثائرة بالضرام، نطهو
الطعام في تلك القبائل التي نعيش ونحيا معها، وذلك في نقطة منعزلة عن العالم، والعالم
الجليل محي الدين يطور طرق التعامل مع الآليات والزروع والبشر، وجلال الدين لا يزال
يعبر المسطحات المائية حول الكون السعيد، يخوض غمارها ومعه سندباد وقبطان، في ذات
الوقت الذي كان أمير يسير فيه على شاطئ بحر يوسف وهو سعيد كما ترون، تتهلل
أساريه وتنفرج عن فرح كامن وحسن بهيج وإطلالة ربيع باسم يملأ الوجدان أملا وحبورا
وسرورا، لما كانت زينب كل وجدانه والحال الآن كذلك هو الحادث والداخل بؤرة الفعل
المضارع مستقبل المستقبل وجامع الماضي وجالبه صوب الوقت الراهن وأنا روح الرحلة
أحدث معكم، والفرح بدا يرتسم على محيا الفتى الضاحك والربيع يشاركه الأمل وو اللول
الفتى السابح الماهر في فن الصيد وكرة القدم وفنون لا نهاية لها أخرى، وهو ذلك المغامر
الجميل الذي يخطر إلى جواره ويلاحظ ويلحظ مدى سعه المطل وفرحته تلك العارمة وو هو
يعلم مقدار حبه لها، يستأنس به والفتى به يستأنس، من عزبة عبد الواحد جميلة الرحلة
ولحنها الطروب وقيثارة أملها وحسنها، وكانت الشمس حينئذ تميل إلى غروب والبدر يكاد
يقتحم المجال بضوء نادر، بيد أنه اقتحام محبة ورغبة وترحيب بالضيف، حيث الفلاحون
يجرون البهائم والأنعام ويسوقونها صوب المنازل الريفية والبيوت العتيقة في آخر البلدة
المتآلف سكانها، والجحش برفقة أمه الأتان وأبيه الحمار في موكب سعيد يعد جزءا لا يتجزأ
عن رحلة ملكة الوجدان وآلة زمان هي الورد والأغصان والنرجس الفنان، وقد مسه النسيم
والقلوب تذوب، والعدارى أفنان والغصن رطيب، وقد قال أمير والعيون لواظظ، والكل عنه
المتاعب يلفظ:- كم أنشد حسننا ولا أقرب عالما هي به الفتاة زينب فلها من قلبي ألوان حبه
ومن الزمان ما يترتب كم سرت معها والخطوب نوازل والطير يحسدنا وهو يرغب لو ظل
بجنبنا والعيون ترومه فكل شيء بالحياة للطير مطلب عند ملكة النحل الليالي جميلة
والوحوش أظفارها في الجسد تنشب لك روح حبيبي كم هي عذبة وأنت من أعنيه لأنك
الأنسب فتاة لو وصفت بالحروف جمالها نهر النيل في الزروع والله ذائب وبحر يوسف من
سعد يسير نحوه متن الحياة يستقل أو يتقلب بحر يوسف جنة وبه دوامة لو عنها يوما بعدت
هي تقرب. فردت عليها تبدع الفتاة، وقد لم واستجمع الآن الشتات، والجدة الجميلة تحمل

مصباحا، واسمها الفتاة الجميلة أفيات، فينة أراها ورده الأمانى، وأخرى أجدها يديها الممات، ترد زينب حديث الفتى، والله أمر مضى انقضى، وقد قالت والعيون رنت وتذوب، فتأمل ناظرها الفتى المحبوب، فاستمعوا شذوها إني مرحب، بالفتاة الأميرة فلا أغلب، ولو كانت برفقتي كنت مظفرا، إلى نيل الأمانى والهدى ناظرا:- مالى أدوب شوقا وأنا بك متيم فعلى الدوام بك يا جميلة أحلم فنظرت إليه والشوق يملأ عينها وقالت في البعد عنك أشقى وأتألم والحرب محتدم حالها والسيوف نوازل وما بالحرب هذى سوى مغرمة ومغرم الود في الحروب لا ينفذ وإنما له قلب يحويه ويتكلم ولقد أحبيتك منذ أول وهلة وبى الله وحده يدري ويعلم أنا فتى من زمن ما انقضى عهده برغم عني على الزمان أتأقلم وتقدم الجمع وعند كل ملمة تلتقى صفوفهم صفو النوايا يفهم فدنوت منها وأنا للوردة مقبل والوردة كالموسيقى تسري وتتناغم ولقد هذا ولا زال عوني في المياه يسبح ثم يغوص ويكاد يغرق فله قلبي أمنح، كانت الفتاة تقول هذا وها هي تفعل، حيث الساحرة العجوز قد حسدته ورمته بعيونها وبالبيضة البلورية، بعدما لامسته بالعصا وألقت في عرض بحر يوسف شالها، فناة صبية تحبه كثيرا واسمها نجوى، تنظره في يوم العرس ليسعد حياتها، هي الآن تبكي بين يدي أم الرحلة وتمرغ وجهها في حجرها، وأم الرحلة تهددها وتحاول تهدئتها بكل وسيلة، وما يبكي من الأمر أن الفتى عوني قد تحول إلى مسحور مرعب الهيئة مزلزل كيان من بنظر إليه، كادت تجن الفتاة وهي ترى حبيبها قد تحولت وتبدلت هيئته، وهي تبكي تلك الدموع المنهمر دمعها وتهذي والكيان ثبات، فتقدم في الحال عثمان وقفز إلى سطح المياه مرتطما بالأمواج وغائصا صوب المسحور، وهو يعلم أنه عوني، يقرأ القرآن... ألا تستمعون للذكر الحكيم ن صوته الشجي، يتبدل في الحال شكل الفتى ويتحول من حالته الغير طبيعية إلى تلك الطبيعية، فيتجلى وجهه كالبدن وتصفق الكائنات ملتفة بعرض الشاطئ المائل، وسندباد يتمايل طربا وهو سعيد، وقبطان يوجه سفينته بمساعدة القائد المحنك صبري الطيار الطائر، ثم يأت دور روح الرحلة للتخفيف عن الكائنات حين يقول للتو. حيث يصف ما يرى وهو يحدث والأسماك في أعماق مائها تنفّس، وكامل يحضره الجان بين يقظة ومنام، فيقفز في عمق بحر يوسف والناس نيام، نعود لروح الرحلة والذي يقول ونحن نستمع، وسندريلا وسندباد من يقصدا في هذا الطرب الجميل والجرس الموسيقى المتناغم والإيقاع الساحر:- كدت أدوب شوقا وألقى منيتي والتقي أمنيتي والحب ظالم قد فاض حنيني فوقفت لديه برهة وسرت معها في الروضة وأنا حالم وهكذا يسير الحديث بينهما، سندباد وسندريلا فاكهة الرحلة وربيعها، معهما تحيي الربيع... فنظرت سندريلا ورنا سندباد واستمعا لمصدر الصوت وتطلعا قسمات صاحبه، فوجداه الرحالة يصور حبهما ويتحدث بلسانهما، فضحكا وكركرا وأنارا في الظلمة فضوت الجبال وظهرت الورود وتألقت واجتمعت الطيور تزقزق وتغني، ومملكة النحل مستمرة في تحليقها، تارة على بعد قريب، وتارة على مسافات ممتدة عبر الفضاء الفسيح، تتبعها الكائنات، يحيون سندباد وسندريلا وجيوش الملك الغضنفر خميس، ثم يظهر مجد كالسراج المنير والشمس الساطعة الجميل مجد. فتحلو الحياة وتزدهي حين

يقول بصوت الحق وثبات المقاتل البطل:- لنواراة حكم ظالم وسوف ترد المظالم إننا نكره ن ظلم والله بحالنا عالم غدا تنفون إلى الموت وأنا بالمنية أحلم وأخاف لما تأتني فعملي الأسود مظلم وفعلت الإثم بأيامي ما أن لقلبي يندم. كان كامل يقولها والندم عليه مسيطر ويا ليت ذنبه يغفر. فاستمعت الكائنات لقوله وها هي تستمع، فتعجب به أم الصغار لأنه يعاني مثلما هي تعاني، ويتذوق مر الذنب والإثم، لكنها على النقيض تسعى لجلب الرزق لأبنائها وصغارها، فلا تقرب الذنب والإثم، بل تسعى في مناكب الأرض، وها هي تستقل بساط فاطمة وإلى جوارها الفتاة الضريرة المبتلاة فته، باسمه صابرة تلك الأخيرة، تلقى الويلات في موتها وسكراتها، لكن ينعم الله عليها، وها هي تجلس فوق البساط، وعلاء الدين يدنو منها فيحادثها ويضحكها، فتبادلته الحديث والضحكات، وأم الرحلة تشاركهما المداعبة وخفة الظل، تبعد السكرات العصبية عن السندريلا فته، وتهنأ روحها بظلال ونعيم، وهي تنظر لملكة النحل فتحببها وتشفق على عوني وتدعوه بالسلامة والنجاة من العجوز ذات العصا والبيضة البلورية والशल السحري، فتقول فته:- هذا وكما ترون لا تزال ملكة النحل مستمرة في تحليقها الأبدي والسرمدى، تحملني ومعى البساط السحري لفاطمة وكذا تحمل على جناحيها عقلة الإصبع وأمانى ومتناهي الصغر ومتناهية الصغر وبهلول ولطفي وأبا عوف والكائنات واللؤلؤ أشرف ومحسن المبتلى الصابر والمبتسم الجسور وفهمي ويحي وسيد وسعداوي ومحمود وعبد العال وعبد الله وآخرون وأخريات، تتمدد أجنحتها وتنسبط بشكل توسعي عجيب، يبلغ جناحها المدى ومدى المدى:- هل أنت على هذه الشاكلة دوما يا ملكة النحل؟! فتضحك الملكة العملاقة وتقول:- نعم يا عمر. ما رأيك؟! فيتعجب عمر ولا يملك إلا الدهشة والبسمة، حين تميل إليه بجناحها وتلتقطه بهدوء بالغ. وتعجب سلمى مما ترى وكذا تفعل حفصة ويضحك أخاهم محمد، لتميل ملكة النحل عليهم ميلة أخرى فيلتصقون بجناحها وهي تعبر المحيطات والأنهار وتطوي القفار والصحاري والمرتفعات والمنخفضات. فيجري موج بحر يوسف وهو يتحول إلى محيط ونهر وجدول ومفازة وجزيرة أمل، وعلى جانب ليس بالبعيد ونقطة نراها عن قرب يظهر سندباد وإلى جواره العالم الجليل وأديسون ويحي وأنور وخضراوي وحسين وقبطان، والطيور والزهور والحيوانات والكائنات الدقيقة والكائنات الفضائية، وتشق السفينة عرض البحر وتسبح فوق المياه سفينة نوح ويرى سيدنا سليمان وهو يحدث الطير والأنعام ويقوض ويقيد الجان، وها هو سيدنا يونس وسيدنا إسحاق وسيدنا يعقوب والسيدة مريم والمسيح عيسى ابنها عليه وعلى نبينا وكل الأنبياء والمرسلين الصلاة والسلام، وتظهر مي وأحلام وأمانى وشروق وزينب وفاطمة وأم كلثوم، _ رحلة عجيبة يا أم الرحلة. نطق بما سبق محمد وهو يحارب النواراة ولا ينقاد لأوامرها وهي تحكم وتظلم، والفلاحون يزرعون ويقلعون ومع كل منهم أبو قردان بصوره وهيناته المعروفة الجميلة. وحين قال محمد:- هذه رحلة عجيبة أم الرحلة أومأت برأسها بالموافقة وشجعت محمدا ودفعته لمواصلة نصرة الحق أينما كان ومهما تكبد لأجله الفتى من تضحيات ومثابرة وصبر وتحمل أذى وتسلط كل من تجبر في الأرض وبغى، على أن ناعسة في نقطة

زمنية ومكانية لا تنفصل عن مجرى الأحداث هذا، تقف الآن بجوار حفني عند روضته، تستعطف أختها الابن الضال أن يوقف وجيوشه سيل هجماته الشرسة على حفني ومعاونيه وأهل بلدته عزبة عبد الواحد بؤرة الرحلة وقلبها النابض تلك البقعة المسماة بالنوارة والنسر وأبعادية سيف الدين وتتول الأحداث فجأة عن طريق آلة الزمان والمكان لكنما دون ترك الأحداث الأخرى التي تستجمعها خلفها، فلا تخلّيها لزمان ومكان آخر، بل ها هي تصطحبها. وذلك ونحن نرى أنفسنا الآن في محيط وعالم الفتاة أفيات الساحر العجيب وذلك لما يقول لها إسماعيل هانما ومنتظرا الرد وتحقيق الأمل _ أفيات، معجب بك أيما إعجاب، أيتها الغادة الغراء، ليتك تقبلين الارتباط بي. فذهلت الفتاة من وقع كلماته وأثرها البالغ على شغاف قلبها، وتصيب جبينها بحمرة الخجل، واضطربت من أعماقها، لكنه اضطراب فرحة حاولت إخفاءها فلم تغلج، تلكأت في الحديث والقول، ولكنها تماكنت نفسها بعد هنيهة ضئيلة وبرهة ليست بالطويلة وقالت:- مفاجأة لم أتوقعها يا إسماعيل، ما هذه الجرأة التي تسلك دربها وتتق بابها بجسارة وإقدام ؟!؟: هنا ضحك الفتى وتبسم والعبير تتسم، واصطحبها حيث الغدير وجدول النخل الصغير المتفرع من بستان ممدوح والنابع من نهر ومحيط بحر يوسف الجميل، فوجدا الصبية والصبيات يسبحن بالجدول والقناة، والعصافير تغرد وتغني، فأحسا أن الحياة جنة لا بد لهما من دخولها، وشرعا يلتقطان الثمار العائمة السابحة فوق صفحة موج الغدير العذب، ويتغنيان بأنشودة الأمل والجمال، وهناك صارحها إسماعيل بحبه أكثر وأكثر وأخذ يناجيها الغرام ويبثها آيات الوداد والمحبة، وأفيئت لا تزال لا تصدق أنه باح بحبه وكشف مستور نفسه وخفي شعور قلبه وهيام فؤاده. وإذ هما على هذا الحال، مد ثعبان الكوبرا رأسه في مشهد رعب وفزع مخترقا سور وحائط بستان ممدوح وهو يلدغ كل من يواجهه، بعدما قد تمت من قبله منذ لحظات لدغة وجهها لحمادة المسكين، حين كان الأخير يساعد سلمى وأباها النحال في تنظيم خلايا النحل، والنحل بدوره ها هو يساعدهم وكان حمادة قد قفز وها هو يفعل من أعلى سور وحائط بستان أخيه ممدوح، شدة أثر اللدغة جعلته لا يقوى على الاحتمال، معه أنه صبور وجريء، ولو كان في مثل مكانه أحد لتوفي وفارق الحياة على الفور. بكت أفيات عليه في ذات الوقت الذي انقضت فيه صوبه تمتص السم وتسحبه بغمها من موضع اللدغة، لم تخش على حياتها لحظة، وممدوح يبكي في الجانب الآخر ويخرج من باب البستان مهرولا راكضا يود اللحاق بأخيه عله يهبه حياته، وإسماعيل يتعجب من فعل الفتاة أفيات، ويثني عليها في نفسه وجهرة ويطمئن على حمادة، وكانت اللدغة قد وجهت وتمكن الثعبان من فعلها في زرع وحقل القطن عند ساقية عزمي أبي حمادة ووالد ممدوح وأحمد، والأخير هنالك عند الكنوز لا يدري ما حدث لأخيه، ومصطفى ابنه في حال من البحث والتنقيب والحفر والإبداع الفني والخططي، ويظهر فجأة حيث الفتى عزمي حيث تصطحبه آلة الزمان والمكان، نعم.. يظهر الفتى عزمي وهو ينطلق بجواده عابر حدود الزمن وجل الصعاب وصابرا على الأهوال والخطوب والنوازل و، وها هو جواده الأبحر يثير النقع ويطوي القفار ويعبر القنوات ويدك الصخور والصعاب،

حملة الوالد فوق كتفه ثم إلى صهوة ومثن الجواد الطائر، فإذ بروح الرحلة يهتف وصوته رعد وبرق وهو يقول:- هذه مقتطفات من المعاناة تدور في فلك نفسي السابحة حول كياني، وهذا أمني بالله في تغيير اتجاه حياتي وضبط زوايا بحثي وتنقيبي عن الدر والياقوت الكامنين القابعين في يقيني، في خضم الأحداث ولبها لا أخليها وأتركها، معكم يا رفاق دوما بعون الله، وأنا فوق الجبل الذهبي برفقة مصطفى... هل تروني.. فهتفوا جميعا:

نعم... نعم... مرحبا روح الرحلة وأميرها. وها هما عبد الرحمن وصبري ينحدران ويتدحرجان من أعلى المنحدر العجيب، تتبعهما الوحوش، وها أنا ذا أنضم إليهما، أظن نفسي روح الرحلة وما أنا بها شيء يذكر، خيال آدمي، ولربما أكون الرحالة الممثل لكل الشخصيات والعصر. كانت سنديلا إلى جواره تحس أنها في دوامة غير واضحة التفاصيل، وأنها تجاور القمر فلا ترى ضيائه، كلماته مشتتة لا يدري وجهتها، ولا نفقه نحن منها شيئا فهي باهتة ممسوحة محاة، فاستقلت الفتاة قارب الأمل ومعها هناء وناهد وسمية، وعقلة الإصبع بخفة ظلّه يضحك الجميع ويخرجهم من ويلات همومهم، ووقف ذلك المسكين على ربوة رابية وشرع يقول ويلوح:- كونه لا يهدأ لي بال فهذا يزعجني، فكر مضطرب وذكرة لا تستجمع الأشياء إلا من وجهها الضبابي، ذلك الوجه القابع في اللاشيء، أين بنر المعلومات وغور الفضيلة والمثل، ثم أين هو الكنز وها هو يراها بعد طول غياب، فيخفق قلبه بشدة ويضطرب، وينبض وجدانه ويعانق الأمل، لا يصدق ما يحدث له، لقد ظن بل وتيقن أنها تولت صوب آخرتها لما التهمتتها تماسيح نهر الموت، وأن القارب الصغير لفظها مضطرا لغير ذي رجعة حين هاجمته التماسيح الشرسة وهاجمتها، هي ذاتها بنفسها وروحها وشكلها.. - يا للهول، أنا لا أصدق. فالتفت لمصدر الصوت لترد لها روحها، نعم.. فهو ملهمها وحبيبها، فلما تقدم صوبها وها هو يفعل انتفضت من أعماق كيائها انتفاضة اشتياق وشوق. وكأنه قد ظهر لها الطوق، نعم... كادت تغرق فنجتها عيناه، يا نفس إني أكبح ميول نفسي ويميل قلبي إلى الفلاح من يزرع أرضا وأنيسه ليل ولا يهزم عزم ينتابه ويل ويقص الرويا إلى الأيام ويعيش الذكرى مع الأحلام تالله أتية فمن يلقاني وصديق العمر هو البستاني عبد الرحمن حبيب العمر كالحسن الساكن ثغر الزهر اشتقت إلى الدنيا وسماء والصفوة من خيرة آباء اشتقت إلى لقيا علياء ولحسن الطيف من النجلاء، نعم.... أستطيع السيطرة على نفسي وكبح هواها في معترك الحياة الرهيب. خضت تجارب عدة وأنا برفقة الزمان، تذهب بي الرياح أينما تشاء، لكن مع ثبات مني وأنا مدعم من قبل الله، يسهل أموري ويرزقي، هكذا هو اعتمادي عليه آخذا بالأسباب، عالية القدر، أنا لا ألمم شتات نفسي إلا بك. ولا أجد كياني وألمسه إلا وأنت معي، في وجهك الصبح المسفر، وعلى فراقك لا أقدر، أجمع العطر من أعواد الياسمين، وأرى الأمل في نبت البساتين، وأنت الياسمين والبساتين، والأمل والأئين. فذهلت الفتاة من بديع قوله وساحر نظمه ورقيق وصفه، وعدت صوب السبيل ترتشف من حوضه شهد المياه، ذلك المبني من الطوب اللبن والذي يتكون من حوض مستطيل أو مربع توضع به المياه ويلطف ويبرد عن طريق

النسمات الرقيقة، وعبر من هنالك محمد وأحمد، وكانا يعملان في الوسية، والوسية تلك منطقة عمل تخصص الإقطاعيين، فيه يضطهد العالم، وكان الظلم ذلك لا يعجب أو يروق محمد، حيث الأخير تحبه النورة ويميل قلبها إليه، وهو الذي لا يبادلها الهوى والحب، لأنها ظالمة جبارة متغترسة، وعبد الرحمن وصبري لا يزالان في معترك الحياة إلى جانب بحيرة التماسيح حيث المثلث يبلي بلاء حسنا، وهو عينه الفلاحة مديرة ومشغلة الطمبورة البدالة وهو مسمى دارج يأتي ربما من التبديل، آلة الري تلك الاسطوانية الشكل والملتف في تجويفها معدن عجيب على هيئة لولبية سحرية يتخلله الماء، ويمر الدر والياقوت، والجان يعمل أثره في محاربة مصطفى وأحمد، هو لا يريد هما أن يستخرجا الدر والذهب، والبئر النابع من دوامة بحر يوسف لا تزال أمواجه متلاطمة ثائرة، تدفع العمال والمهندسين صوب البر البعيد، وتستأثر لنفسها بنصيب الأسد "، آه آه ولا أصلح إلا أن أقول آه، أو لا يأت يوم فأقول: الحمد لله. مقصر في العبادات ومذنب ولا يعجبني حال، فمن أنا حتى أفعل هذا أو ذاك. والله أنا عبد مزلزل ضعيف مرتجف و، أحمل آثامي وذنوبي وهمي وغمي، أضحك والضحكة تعتصر قلبي، وأبتسم والأني ملء كياني" يقولها هو يبكي، وللتو يقابل عرابي فيبكي الأخير لبكائه ويحنو ويعطف عليه، ثم يعانقه عناق المودة والصداقة دعك من الهموم النقال التي تنصب وتقيم خيمتها فوق رأسك ولا تجد مخدعا إلا هناك. جملة قالتها الغادة الهيفاء وهي تركض بين المروج متنقلة بين بستان ممدوح وروضة حفني وعرابي والرحالة وكل الكائنات يرونها. فضحك في الناحية المواجهة مصطفى صاحب الكنوز والمنقب عنها، وهو فتى باسم مبتسم بنفض عنه ملومات الحياة بالرضا ويجتاز ويلاتها بالصبر، وكانت حسناء الخصال تخطر هي الأخرى بين المصرف العذب وبحر يوسف، يتبعها جان عملاق في هيئة مسحور متحول، وهي تطفو فوق صفحة ماء البسيطة والكرة الأرضية، وتحلق صوب الحمامة حاملة عقلة الإصبع وأمانى. - يا للروعة. كم هي جميلة ملكة النحل في تحليقها الأبدى السرمدى هذا. - نعم يا حسناء الخصال، هذا مشهد التقط من الجنة. - بالفعل يا محمود، كم هي الحياة جميلة مزخرفة ملونة بنعيم الجمال وإشراق الأمل وتبخير الوجل وقتله صعب جدا التعامل مع بعض البشر، وسهل جدا مع آخرين، تعبت من هؤلاء اللذين يظنون أنفسهم ملانكة. المتشبهين بآراء يشوبها التزمت والتعنت وخشونة في المعاملة: ؛ _ ماذا دهاك اليوم. أراك في حال غير الحال، الحياة ملؤها المتاعب، وحيناً نراها وردية. فرد عليها سندباد والدموع تحار في مقتلته،...: بالفعل يا سندريلا، هذا عالم غريب. ثم أقبل فجأة الفتى وهدي يحييهما وكان معه عبد الباسط شجاع الرحلة وقويها والثابت على الحق بها، وأنت زينب تخطر كما النسائم برفقته، تلك ابنته المخلصة البرينة رقيقة الطباع، فسلمت على الحاضرين ملقية تحية الإسلام، وناظرة صوب الغابة لترى المشهد هذا الذي ينم عن مفاجآت ويخبر عن التحام حربي وقتال دموي، وبطلا الواقعة صبري وعبد الرحمن، وهما في ركض المراوغة للوحوش المنطلقة خلفهما، وذلك في رحلة البحث عن فاطمة، وسأل هذا المرء الآلة وقال: لم تحطين رحالك ها هنا آلة الزمان والمكان؟! - لأنني يا محمد ما لقيت

أجمل من الفتاة أفيات في قوة تحملها وصبرها في مواجهة الجان. – ولكنك ترين أنها مرعوبة هذه المرة، حيث ذلك الجان الذي يمد يده صوبها. فسمعت أفيات الحديث ورحبت بآلة الزمان والمكان: مرحى بالآلة العجيبة. كركرت الآلة وتمايلت وحلقت في الفضاء، وهنا أتى الصيف وأقبل، ولنسانمه وجمالها، ووروده وعطرها، وطيوره وانطلاقتها. تعجب نائل شقيق أفيات من جميل قولها، وحاول أن يضحى مثلها ووها هو يحاول، وأخيرا يضحك ويقول: استمري شقيقتي في جرأتك ولا تخشين ذلك الكائن الجني العجيب ؟. يسمع الجني الحديث فيزيد من أدواته القتالية ويتحول إلى صور وهيئات مرعبة ويقاوم الجميع عند جميزة الشيخ نمر، تلك الجميزة الملاصقة لجامعه العظيم ومسجده المنير. ويقبل الشيخ نمر ويقرأ القرآن فتطيب جراح أفيات وتهدا ثائرتها، ويتحدث متناهي الصغير ويشارك ويطمئن على حال الفتاة، وبعدما يستقر الأمر مؤقتا، يتوجه دقيق الحجم صوب سندباد ويقول: الصيف حصيرة الفقير يا سندباد، مغامراتك به لها لذة ومتعة " التفت سندباد إلى مصدر الصوت وهو يعلم صاحبة، نبرة صوت ذلك صاحب يميزها جيدا، حبيب عمره وأنيس دربه. ضحك ومال كغصن رطيب في فضاء وروضة ربيع باسم. ثم مد يده مصافحا ذلك الشخص الذي تبين أنه الرحالة حبيبه وكان الرحالة حينها قد تحول إلى متناهي صغر عجيب يشبه عقلة الإصبع، ومضيا في الغابة يحاربان الوحوش، ويمنعان التهامها للفرائس، والأخيرة سعيدة تغني وتزغرد، والأرنب مبتسم والغزال يشتم النسيم بحرية، سقط الطاغية المفترس، ونمت الحشائش الخضراء واخضرت الحقول وأينع الزرع وتفتح الزهر ومال قد الورد يعانق البسيطة، وسار عرابي في الدرب يعظ الناس ويدلهم على سبيل الماء، وحسانين مغامر الرحلة يغني له الصبر نشيد الاحتمال، والعصافير تزقزق، وسعيد يصنع الفخ والصاندة كي يمسك بالطيور، وكامل يواصل سلسلة إجرامه في حق الطيور ويدفع اليمامة ويصدمها يحجر يطير بها من فوق شجرة التوت وأشجار الجميز، ومصطفى يجلس على عتبة الجسر وفي قارعة الطريق يشتم النسائم الشذية، والصبية يتغنون بأغنية، والصبايا يملن أقداهن و" كانت لمعتز ولا تزال روح خفيفة من الدعابة " قالها صديقه كامل وهو يمر بين المروج والحقول، فسمعه الفتى معتز وشكره وهو يحاور سلطان وضرغام عند منعطف الكوعة ويداعب وهدي وإسماعيل، والكوعة كما ترون منحى من الأرض عند الجسر في الطريق إلى النخل الصغير ونخل الصعل والنخل الكومي حيث منازل حمادة وعرابي وهدي وإسماعيل وآخرون، وكانت ولا تزال تسكن هنالك جنية الطريق والدرب الوعر وهي تلتقي رشا وتوجه لها سحرها وتلجمها به، ثم تنطلق الأخيرة وهي فتاة نخل الصعل وعروسه الفاتنة صوب الموقع الملهب لتقتل المارة، فإذا م نصحها أبو عوف وها هو يفعل الآن لم تأخذ بنصيحته، وتتحرك الأحداث غير مخفية خلفها من موضوع ومشهد حيث يرى معتز أحمد وهو يدر الذهب من مدرار الأمل وشفاف المياه عند الحوض السحري المخصص لاستخراج الذهب والدر والياقوت. عمت صباحا يا مصطفى " جملة تفوه بها الفتى معتز وهو يرى مصطفى عند ساحبة المياه يدير مقبضها الحديدي الدافع للآلة المحركة التي تدفع

آلة السحب بدورها لرفع المياه عن طريق خرطوم مدلى يسد فمه ويحكم غلق فوهته، وظل مصطفى في عمل دائم لا يمل، يدرس المكان جيدا، ولا يعبأ بدوامه بحر يوسف وما تحدثه من موجات وأمواج هادرة، وغطس في قاع البحر الممتد على هيئة نهر ومحيط، ثم خرج منتصرا بعدما اكتشف مساما هي السبب في دفع المياه عبرها عن طريق قوى طرد جبارة مدفوعة هي الأخرى بتأثير جان وعوامل طبيعية، وخرج يخطر على البر وتوجه للعاملين ينصحبهم بإسقاط كميات من الحجارة والأتربة الكثيفة صوب قاع البحر العملاق، لتسد الأخيرة المسام وتمنع تدفق واندفاع المياه للأعلى، ووجه جهاز الكشف عن المعادن النفيسة صوب القاع المظلم عند الكهوف المرعبة، وعرائس البحر تسبح هنالك وهي تضيء، فبدأت الأتربة وبدأت تسد المسام، ومن ثم هدأت ثائرة الدوامة وترنحت قواها، وبدأ الذهب في الظهور وهو يتلألأ بين جزينات وموجات الماء العذب، وصفت صفحة الجدول الجميل هائل الاتساع داخل محيط وبحر يوسف، وغاص أشرف يستكشف الثروات، فما طمع فرد في ملك ولا استغل نفوذ، وبدأ سكان عزبة عبد الواحد درة الزمان وبؤرة الرحلة النوارة والنسر، بدأ السكان في التوافد صوب البقعة الأثرية، بل قل البقاع، واكتشف الآن وها هو يكتشف كنز الكنوز، والذي يحوي ثروات الدنيا والكون. وبدأ وهدي مذهولا مأخوذا، تبرق عيناه، ذلك حين تقدم صلاح الدين بجيوشه العملاقة يحيي الفتى ويقسم الغنائم بالتساوي، ومعتز لا يزال يداعب الرفاق ويلاعبهم هنالك عند الجنينة الحديقة الروضة، ولطفي يمر فيعائق أحمد، وتعم الزغاريد والأفراح أرجاء عزبة عبد الواحد التي تتمدد الآن لتتسع وتتسع شاملة الكون وما أبعد، وشاملة كذا المحيا والممات والبعث والنشور والدنيا والآخرة، "و هو متمرس ذو خبرة في فنون الحرب والقتال، داهية في المكر والخديعة المشروعة ومراوغة الخصم". -

أتفق تماما معك، ألا ترى مهاراته في التعامل مع الخصم ومواجهته؟! وكان الفارس المثلث يستمتع إليهما وهو يقاتل التماسيح عند أطراف مدينة التماسيح العملاقة وعند بحيرتهم الهائلة الاتساع والعمق، فسر أيما سرور أن هنالك من الناس من يقدر التضحية ويتعاون معك معنويا بدعم يسرع من مسيرتك وتقدمك، فالتفت إليهما وهو يعتصر التماسيح القائد بين قبضتيه الفولاذيتين، والتمساح يحار ويسأل نفسه: كيف لي الفرار من هذه المطرقة وهذا السندان، وخضراوي الفتى الجميل في الجانب الآخر من بحر ونهر يوسف يبتسم ابتسامته المعهودة، ومن يراه يحسب أنه لا يبالي، لكنه يسبح صوب الرفاق ومعه اللؤلؤ أشرف والصيد الماهر حسين، والسباح الأسطورة حمادة، يطوون المسافات ويحتضنون الأمواج، وجلال الدين وسيف الدين والجنود التابعون يرمون الأمواج والأمواج ترميهم في خضم عالم واقعي خيالي حقيقي، قلما اقتربوا من دوامة بحر ونهر ومحيط يوسف، لم يخفهم الموج المدرار والمسافات العميقة وثورة الدوامة الهائجة الملتوية التواء الأفعى على فريستها. "

"كيف لنا الفرار ونحن اللذين لا نخشى المواجهة" جملة نطق بها حسن وهو عائد من زراعات القصب بعد قطف الجزء الأخضر الذي يعتلي أعوادها المترابطة بصفة عمودية على سطح الأرض، وذاك الجزء الأخضر في أعلى عنق العود هو المسمى ب: القالوحة، قفز

حسن إلى ساحة وموج بحر ونهر يوسف ونهر النيل ومحيطات وبحيرات الدنيا والكون
وسبح واستمر في السباحة وها هو يفعل كما ترون، فاجتازوا الدوامة بنجاح بعدما رمتهم
الموجات المندفعة من قاع الدوامة صوب المنطقة الآمنة، وصبري الطيار يغرد وينشد فرحا
ويضحك ويتضحك وهو يقود آلة الزمان والمكان المتمثلة في هيئة الدوامة هذه المرة،
يضغط زرا يليه زر ويستخدم قوى العوامل الطبيعية من قوة إزاحة الرياح والقصور الذاتي
والاندفاع الطبيعي ولهيب واتقاد النيران وقوى أخرى لا حصر لها، ذلك حين دنا رواد
الفضاء وهم يسبحون سباحة حرة في الفضاء الكوني بين الأجرام والكواكب والمجرات
وعناقيد المجرات، وفي هذه اللحظة الزمنية يجتمع الجميع، من يسبحون في الفضاء ومن
يسبحون في المياه عبر الكون كله ومن هم في عوالم مختلفة ويدرك الجميع الموتى
فيخرجون من الأحداث سراحا ومن القبور مهطعين مذعنين يصيبهم الهول وتضمهم قارعة
النصيب ويشملهم حشر رهيب، وتجمع آلة الزمان شتات المتفرقين وتلم شملهم، ويظهر
عبد الباسط وهو يتحامل على جراحه حيث يحمل الوحش المصاب في حالة نادرة، والوحش
الأسد يتعجب من تضحياته، ويخشى نظراته، حيث الفتى مخضرم رأى من الدهر العجب
وخاض تجارب الأيام والزمان واعتاد المخاطر ومواجهة اللثام. نعم ها هو يتعجب الأسد
المتحول إلى كل هيئات الوحوش ويسأل في تعجب ووجه مسود وهو كظيم " كيف لك يا عبد
الباسط حملي كل هذه المسافات وجراحك التي تتكبد ويلها أنا سببها؟!، وقد تحول وجهه
إلى قطعة من جهنم ثم إلى ربوة من الرياض والخضرة والجمال وبصيص ندم، وهذأت
ثأثرته وتوقف كيانه عن التحول لما غادره الجان، فتبسم في وجه عبد الباسط فتبسم الفتى
عبد الباسط بدوره وأطلق قهقهة تعجب لها الأسد ثم استطرد وقال: في عرفنا نحن البشر، لا
نخون ولا نترك مصابا ولو كان وحشا قاتلا. فأصاب الأسد خجلا وتمكن منه شعور بأنه
أجرم، وتساءل في دخيلة نفسه: هل هذا جرم ويعد حراما ما أفعله من الفتك بالحيوانات
وأكلها، ولو لم أفعل فكيف أعيش " فضحكت الغزالة ثم تجهم وجهها ووجل وهي تدافع عن
صغيرها باستماتة لما أقبل أسد آخر يريد التهامه، وجلال الدين وسيف الدين ومحمد وإبراهيم
والرحالة وقبطان وسندباد يواصلون السباحة بمهارة الخبراء بشؤون المواجهات الحربية،
ثم تجلى طيف عالية الغالية يأسر الفؤاد ويبعث ببصيص أمل، بل كل الأمل للناظرين، حين
ظهرت كالبدر. حيث كان الرحالة يلتفت إلى يساره ويمينه وعن خلفه وأمامه، والجان حوله
في كل مكان يختلطون بجزيئات الهواء ويمتنطون متنها الناعم الحريري، والأمواج في
الفضاء كما موجات الماء تماما، وأنا معهم أجرب أن أسبح، ولعل الكائن الجميل أبو العقيص
قد لسعني لسعة على إثرها أتعلم فن العوم والسباحة. فضحكت الفتاة من لغتي وقالت موجهة
حديثها إلى الرحالة: من هذا بالله عليك... فتبسم الرحالة لي مداعبا ثم حول نظره صوبها،
وكانت كالبدر في ليلة الرابع عشر، بل هي الآن يدر، معها لم يمر الزمن ولم تمض الأيام،
إنها السحر عينه وبسملت الحياة وهب الروض البهيج والسحر الملقى دلالة كنغمات من
أرغول إلى الدنيا ورياضها وحدائقها، فسمعتة حسناء الخصال ورنّت إليه بطرفه، وآه هو

من طرف يشبه عين المها وهي تنساب كالسحر خاطرة وراكضة على عرش الفؤاد لتزلزله.
نعم كال هذا لك وليت الوصف يحكي ما بالمهجة مستقر وما بالقلب مستمر، أيتها العازفة
على وتر الأمل. فلتنتظري حيث أرنو. فآلة الزمان والمكان على دربها سائرة حائرة وليست
حائرة، وقال هاتف: والهاتف هي، الرائعة عالية:- ولا زلت تكتب يا رحالة. قالتها وهي تنظر
إليه بشغف وود. وهو هنالك عند الترفة الكبيرة والمصرف العذب، يمر بالسبيل، والسبيل
يقصد به الطريق وهنا بالذات يقصد به نبع ماء على جانب الطريق مبني بالطوب اللبن،
يسوى سطحه ومحتوياته، مرتفع عن الأرض وبه مكان مثل الخزان ومتوازي المستطيلات
مفتوح من إحدى جوانبه، يوضع به الماء ليبرد، فهو مبرد طبيعي يلاقي ويلتقي نسمات
الربيع العذبة، فيمتزجان ويتعانقان بعد غياب، وهو عناق الطبيعة بسحرها الأخاذ، فيصبح
ذلك السبيل جاهزا للشرب، وهو صدقة جارية، مياهه تهادى كموجات الأمل وبسمات ثغر
الحياة تعجبت الفتاة من جميل شرحه، ودنت من السبيل وهي تنظر للفتى معجبة، وتناولت
كوب الماء وملأته وناولته إياه، فصمم أن تبدأ هي بالشرب وهي بالفعل تشرب الآن، ألا
ترون؟! يداعب الكأس شفيتها وكأنه يداعب الحرير من نسج عذب لذيق، ثم ها هي تبتسم
فتضحك الدنيا وهو يقول:- لم أر مثل هذا الجمال. ويقبل رضا من بعيد وهو يرى المشهد فلا
يعجبه ما يدور منت أحداث، ويلمس زرا في لوحة التحكم كي تطير الرحلة إلى حدث آخر
يقرأ به القرآن ويذكر اسم الله، ويدنو حسن وهو يعود من مزارع الإقطاعي وقد أنهكه
التعب، يلقي على الجموع السلام ويقول:- لي عند حبيبتي ود ووداد ولها عندي خافقي
والفؤاد أبحث عنها في كل واد وعنها تبحث معي البلاد سحر طرف لها أزال الألمي ونغمات
الصوت بها إسعاد سلوى ظلها وهدى وسماح وصديقة عمر ووداد سعاد افترقنا وطل الهجر
ومل من بعدنا والهجر حتى البعاد هي ببحرك يوسف رواية تروى ومن نهرك يوسف ترتوي
الأشهاد قد وجدت هنا هنالك عند خميل فبكي من شوق أملنا المراد عبد الرحمن صديقي أنادي
عليك قد اشتاق علينا الهوى المرتاد دلال تمسك بيد هيام ومن رقدة العدم هب الرقاد كم كنا
نصطاد من نهر الأمانى وحمادة مستمر وسمته العناد بالغوص هنالك في عمق بحر رغم أن
الأيام هذه شداد ونادية في قصر مشيد جميل قد أطلت ولها مع رشا ميعاد والأخيرة فتاة
الصعل وحقل وعروس الحلم ينقصها الرشاد ومعى حبيبي صديقي وعمري عصام الدين
الفتى عماد وعماد الدين وصلاح الدين ومرعي وموسى ورضا رشاد ومعزز فيها وماضي
وعيسى ومن طلع نبت ثمود وعاد وتبر وذهب وحلم ووهم وكنز سيظهر فيه اتحاد تلاحقتي
فيها أطيايف المنايا هذي الحياة ويردي سهاد كياني وعمري فلا ذقت نوما وولت سنيني
وشاب المهاد وعصفور أيك تمنى وغنى وقوم تهادوا وولت عباد ونهر النيل التقى بحر
يوسف وراود فكري الحلم المعاد به كل جان أراد التهامي وغطى سماء الآمال الجراد وأجمع
قطن الجمال بحقل وكل طموح إلي يعاد، يرنو ويطيل النظر في القمر، فيراه تارة هلالا وتارة
أخرى بدرا، فيقول له:- " كم أتمنى أن تبقى دائما بدرا لا يذهب ضوءك ولا يتلاشى. فتبسم
البدر وضحك وانفرجت أساريه وضوى أكثر وأكثر وهو يقول ويومض:- " في الأساس أنا لا

أضيء من تلقاء نفسي وما أنا بالنير كما يتصور الناس، فقط أعكس أشعة الشمس الساقطة علي،... فضحك أنا وقال: "وأنا اسمي أنا، ألا ترى عجا في هذا الاسم، ثم التفت الجميع فرأوا عقلة الإصبع وهو يحلق متجها صوب القمر، حرا بدون جناحين تارة، وتارة أخرى محمولاً على المركبة الفضائية المنطلقة بواسطة صاروخ دفع، وفي ذات الوقت تطل رشا من نخل الصعل المتحرك مع حركة الأرض والقمر والنجوم والكواكب حول الشمس، وثقوب سوداء منتشرة على طول مساحات الكون تمتص الضوء والمادة وكل شيء، تبتلع كل ما ومن يوجد في هذا العالم السحري، ومي فتاة تشرق كالشمس، مستدير وجهها كالبدر، تطل علينا صامئة مفكرة، هادئة حائرة، عيناها تريدان قول شيء، يتغزل فيها الفتى أنا ويقول وقوله السحر: "أما الحياة فما لبريقها زي لأن فيها تشرق توها مي لا مثل ذاتها في أيامنا كان ما كان يشهد مثل فتاتنا الحي سمراء آه من ليل يطول بها وبي يطول فمي الحسن والغى طواني زمني فمن ألقاه ينقذني رمت الصعاب فما ينتابها الطي ما من مثيل جاوز حسنه البدر وسقاها نيل ورعرع زرعها الري سائل أكتب والدنيا تدور بنا فتي سيلبغ بعد جهده أي إنسان يطمح في أمل كمثلي أنا ويكوي ألمي ثم يزيحه الكي " فتعجب من نظمها أيما إعجاب، فعزبة فتاة بلغت من الإجادة مداها، ومن الحسن أقصاه، ما سبق كان يدور في خلد محمد شقيقها وهو يستمع إليها ويعجب بها، وناعسة في الناحية الأخرى تستعطف أخاها الابن الضال أن يوقف سيل هجماته صوب حفني وعزبة عبد الواحد النواره والنسر، رمانة ميزان الرحلة ونقطتها الثائرة التي لا تهدأ، والساهرة التي لا تنام، حتى ظهر في صفحة الرحلة هذا الفتى الجميل، وها هو يرى بسمة أبيه تهل وضحته تطل، فتهللت لذلك أساريه وهو الابن البار به، يود إرضاءه من بعد الله، وها هو يظهر الأب في لباس نظيف معطر، يجلس في الحديقة ثم يتجول خاطراً وراكضاً كابن العشرين من عمره، وأبو قردان مجاور له متبع خطاه، كلما ولى الأب كان في إثره وملاحقاً له، والعصافير تغرد في ذلك الموكب السعيد، والكنوز تتجلى وتظهر مصطفة متراكمة أسفل القشرة الأرضية ببضعة أمتار قليلة، والجبان يخفي المعادن النفيسة ويحمي الكنوز باستماتة منقطعة النظير، وحفني الموهوب في فن استخراج الكنوز يزين كذا المنازل ويزخرفها وهو ذو الفن الأصيل الرصين، ولطفي فاكهة الرحلة معه، ماهر مثله، ضحوك مستبشر، والحديقة تطل بالخير والجمال والرونق البهي، وروضة حفني على مقربة قريبة، ومكان ليس بالبعيد، وناعسة طرفها قد تعلق بالأمير المسحور أعلى الشجرة، وللأمير المسحور كما تعلمون أم وأب لا يزالان ينبض قلباهما، يبحثان عنه في كل العصور والأزمنة وهم يركب آلة الزمان والمكان يستقلون متنها ويعتلون صهوتها، حيث عبد الرحمن وسندباد يحاولان إنقاذ الرحالة من بطش الساحر الشرير وزبانيته المجرمين والشباب حسانيين يبعث الأمل في النفوس بحكمته وبلاغته وعلومه المعرفية الجمّة، شاب نهل من نهر العلم وارتشف من بحر الموعظة والحكمة، لا زال فوق السفينة العملاقة والمتلاطم الموج من حولها، عبارة تعبر حدود الصوت والضوء، والحيتان من حواها يبتلعون كل ذي نبض وخطر، تهتز السفينة وتتأرجح ويسقط كل من

فوقها في أفواه التماسيح والأحياء المائية، ودوامة بحر يوسف نهر الأمل، نعم الدوامة تلك
تثير الاضطراب وتفعل فعل الزلازل والأعاصير والبراكين المتقدة، تقلب الذهب والياقوت
والتبر، وحسانين رابط الجأش قوي العزيمة، يطير ويحلق ثم يندفع غائصا في الدوامة
نفسها ومعه عبد الباسط ومعتز وسالم وحمادة الماهر الجميل والخبير بفنون الصيد
والسباحة في الأعماق وأعماق الأعماق، هم يتحدثون العوامل الطبيعية الثائرة، الكنوز
تتحرك معهم وتتقلب في القاع عند كهف الحجرات المليئة بالجان والأسماك والثروات،
ومقتنيات الأجداد تسبح معهم سباحة حرة، وأنا وأنت وكلنا معهم وبرفقة ظلالهم وأحلامهم،
هل رأيتم أجمل من هذا؟! والأخير سؤال قد طرحه عبد الباسط على الجموع التي تستمع
وترى وتشاركنا الأحداث المتقلبة عبر الحقب والأزمنة. فيبتسم عقلة الإصبع وهو ممسك بيد
شقيقته أماني: "لقد اعتدنا هذه المتعة منقطعة النظير، واعتدت أنا الأحزان، لكنها
تعتصرني، فتأتي على بصري وسمعي وروحي وقوتي، لقد زلزلت وانهارت قواي ثم عاودت
الركض صوب الحرية، وتألمت حتى بكت روحي وانهالت دموعي وتدفقت فملأت جداول
بحر ونهر ومحيط يوسف، فبحر يوسف هو كذا نهر النيل وأنا الورد والخميل، والبؤس
والحرمان والمعاناة، وأنا الذنوب والبعيد عن الصلاة، لنن أعترف خير لي من أن أصمت
وأرسم للناس طيبتني، وما أنا بالطيب، لكني بريء أيضا ومظلوم، وأنا أعيب نفسي كثيرا،
ولربما لا توجد بي هذه العيوب، أنا من أدعى أنا، وربما تكون أنت أنا، فإن كنت تتيه معي
في التيه فأنت بالرحلة التي هي دوامة بحر يوسف، والفكر المطبق على النفس فلا يبرحها
حتى يهلكها، ولا يغادرها إلا بعد أن يزيلها ويمحوها من كينونة الوجود، تزلزل أعصابي
وتتحطم، ويذل كياني ويرجف خاطري ويخفق قلبي، ويسيطر عليّ مرض السكر والأوبئة
جميعها، من المفترض أنني ميت، أنا الميت الحي، وربما الموتى يسمعون النداء أما أنا
فلا...، وهنا يظهر صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان وهو على مشارف جزيرة
الأمل عزبة عبد الواحد النواره والنسر أبعادية سيف الدين، هل صبري كنعيم مقيم يزحف
صوب الأرض النضرة الخضراء بالعزبة والحقول وارفة الظلال والجداول والأنهار، وصوب
نهر وبحر ومحيط يوسف، عند بستان ممدوح وواحة ممدود، وحمادة الشاب الطيب نقي
السريرة الذي يحيا على الفطرة والسجية ونعم... حمادة يقبل من بعيد ويظهر بعدها وهو يدير
الساقية معلقا في خشبتها العرضية الطولية حمارا وجحشا وأتانا وبقرة وجاموسة وفرسا
وجوادا، ساقية أثرية أسفلها الدر والمعادن النفيسة، مرتبطة في المصدر والأصل بدوامة
بحر يوسف، وتلك الدوامة يسبح بها عوني وهو مطارذ من قيل العجوز ذات البيضة
البلورية والعصا السحرية، والفتاة أفيات تارة تظهر في صورة جدة، وتارة أخرى يحاول
جهده مجابهة المخاطر والأهوال وها هو يفعل، وتحاول الحياة دهسه، وهو الطائر الوديع
الرقيق، وهي التنين والأسد ووحش الفلاة، كم تود ابتلاعه وافتراسه، ورغم أنه طائر إلا أنه
يقول: "شتان لك أيتها الحياة أن تنالين من عزيمتي، وهو مصاب بالإعياء الشديد، محطم
رغم هذا، فإن يبأس لا يلبس أن يعود محلقا بالأمل مرتكزا على عزيمته الصلدة من بعد

توفيق الله، إن الغابة تشيب لها الولدان، والتنين يتقدم نحوه والضباع والأسود، الجميع تكالبوا عليه كما الدنيا، فهزمهم سندباد، كل ما تقدم وسندريلا هنالك أعلى الآجام، ذلك لما أودها الفتى العملاق هنالك في مأمن من الأخطار، وهي تبكيه وتنوي الففز من عل، جريئة جسورة قوية رغم ضعفها الأنثوي، ونقابل حنفي الذي يكد ويجتهد ويعمل بجد ونشاط، خفيف الظل يحب الضحك والفاكهة والفاكهة، يريد أن يتمتع بالحياة، أليس له الحق في ذلك، خبير في الكنوز والدفائن والأركزة والمفرد منها دفيئة وركاز على الترتيب وهي المعادن والأشياء الثمينة تحت الأرض والتي توجد على طبيعتها، وتتميز بارتفاع ثمنها وقيمتها العالية جدا والنفيسة، وله مواهب أخرى متعددة، مهاراته فاقت الوصف وتخطت الكلام، وإنني أشهد أنك حنفي تفوق الوصف وما ينظم برغم بكائي على الأطلال فإني منك المتعلم لنعبر حيث البر الثاني ويوسف بحر متلاطم موج فيه يفوق الشرح على موجاته أتنسّم ابن العم حبيب القلب وحق الله أنا أقسم أن الرحلة بك أفراح طيور الأيك بها حوم " وعلى هذا هل تستطيع استكمال وصفي وتكملة مهارتك تلك دون انقطاع " أخيل أبي راض علي يهدي إلي الورد الندي من دون رضاك من بعد الله أبي أنا الفتى الشقي وأمي إلام الهجر تعالى رضيت فربي علي رضي " نطق بما سبق، وعاصرنا ولحق، ما اختلف بل اتفق...نعم قال ما قال وأبوه مبتسم راض عنه تمام الرضا، فسر خاطره وابتهج ومضى في دربه مع عبد الرحمن صوب الغابة المحاصرة والتي تم تحريرها من أيدي الوحوش والجان، ولكنه تحرير مؤقت، فهجماتهم لا تهدأ ولا تسكت، ولا تكن ولا تصمت، صوت متفجراتهم يدوي، وكان يطل الشفق وعدى واستبق وركض ما سرق، " دعاني إلى الصلاة فشغلني العمل حين أقبر بقبري فما العمل قد اختلقت العذر في وقت الرضا قرب يغفر ذنبي ويولي الكسل محمد كم يداوم على أداء طاعة وعلى معصية أدوام فيرديني الوجل وكم يطيب خاطري وينسيني شقوتي ويخلق بي القول أجل " نطقت بما سبق النوارة وهي تصارح محمدا أنها متمادية في الخطأ دوما وأنها ظالمة، فتعجب الفتى، فهو الذي كم حاول التأثير عليها مرارا وتكرارا، وفي كل مرة يعود جارا أذيال الهزيمة، ربما يهديها الله ويصلح بالها، فتراجع عن الضيم، وتلوذ ببابه جل وعلا، وبينما هو مستغرق في التفكير سابح في خيال الأمل، إذ بها تدفع تبر الأمل بالعصا، وتغلظ عليها القول، فتتأثر الفتاة وتثور ولا تصمت، ولو كانت قد وصلت إلى حد الإشراف على الموت وتفعل هكذا بكل النفر والعمال، وتوجه سلاح محاربتها وفوهة مدفعها القاذف الرشاش صوبه هي والجميع، وقد ظنت أن تبر ستخاف، لكن الأخيرة ها هي تجرها من شعرها ساحبة إياه وملجمة رأس الأفعى، " أندوق الأدب والشعر أكتب ومعيني قد فاض فلا ينضب ولغيرك ريم وسواك فلا يشتاقي قلبي ولا أرغب وأنا للود في كل حادث وفي كل عارض مطالب وقد تعبت كثيرا فأين راحتي؟! من فرط معاناتي دمي مخضب خضراوي صديقي منذ عهد المنى ووهيدي صاحبي وهو الأنسب واللؤلؤ حبيبي وهو أشرف من كل شريف فله أعرب عن حبي وودي بكل خطرة ودقة لقلبي وبه مرحب " تحلق المروحيات الطائرة على حدود الغابة الموحشة وحولها بعدما أصدر القائد العام أوامره بهجوم مباغت

عليها، وكانت أسوار " الغابة المرعبة الموحشة " محاطة بنقاط دفاع قوية متمثلة في وحوش و آدميين وجان، يزودون عن الملك العملاق الذي يسخر قواه للدفاع عن سلطانه المبني على الجور، في حين أن " عبد الرحمن " لا يزال يعتلي شجرة الإثمار الدائم في نفس الغابة تلك، والرحالة أسفل الشجرة هذه المرة وهم يتبادلان الأدوار، ثم اعتلى الرحالة هو الآخر الشجرة العملاقة دائمة الإثمار و هو هي شجرة نبتها من ذهب وكذا من ثمر طبيعي جميل، وهي تهب من بعد إرادة الله تعالى كل ألوان الخير، ولما رأى متناهما ما يدور حولهما في الغابة الموحشة ذات الكهوف والسراديب، التحق بالكتائب المدافعة وأبليا بلاء حسنا، وكانت جنود القوى المهاجمة من جيوش الساحر الشرير وريمة والنوارة والنسر جبارة لا تبقى ولا تذر، فتحول المشهد ضنيلا حيث الكنوز المستخرجة وذلك عن طريق التحولات العجيبة المتتالية للرحلة بلا حدود متمثلة في آلتها الزمنية والمكانية، وكأنها قد مالت عدسة الرحلة هذه ومجهرها صوب النقطة المشتعلة قليلا، مع المحافظة على بقاء الأحداث متجاورة والأزمنة متلاصقة متحابية، والأماكن كذا، وانشغل الجميع بالكنوز فوصف روح الرحلة ما يراه قائلا: " هذا لؤلؤ جميل، وتلك معادن تلمع وتسطع، تماثيل من ذهب وعرائس وخيول من اللؤلؤ ودجاج وديوك ودبية وحيوانات مفترسة من الزبرجد والياقوت والمرجان، وهياكل عظمية من الدر الصافي، وأجران من التبر الخالص، مقبرة عجيبة غنية بالتراث والرسومات القديمة، لكن الحارس يهاجمنا، بل والحراس من كل حذب وصوب، يتأرجح القارب الصغير_ وهو لصاحبيه الرحالة وفاطمة ذات البساط السحري- فوق صفحة نهر الموت بحر يوسف، وذاك القارب لا يزال يبدو خاليا، والمخبأ السري به لا يعلمه سوى الله ثم الرحالة، له لوحة لمس طبيعية وإليكترونية وبحيث من المفترض أن الرحالة قد أودع فاطمة مخبأه السري الذي نعني، ثم غاص مستندرجا التماسيح، والفارس المثلثم وجواده العملاق بالقرب من الهوة المتقدة بعدما عبرا بحيرة التماسيح وطويا خطر زحف التماسيح والشعابين العملاقة من الكوبرا وغيرها، ثم أسرج الصباح سراج ضوء وأمل، ورويدا رويدا تكبدت الشمس السماء، تحرق الجباه وتأتي على الأخضر، ذلك وإن سيد العملاق ها هو في طيات لهيبها يعمل ويكد، يتحمل مالا تتحمله الجبال، ومعه الفتى عبد التواب يحمل الطوب الرملي الثقيل ويمشي على الرمال الحارقة، وهو يريد أن يشرب فيدفعه بيديه ذلك الإقطاعي الجبار وصاحب العمل المجرم الظالم، يضع صول روث الحمير في الماء كي لا يشرب الناس، وعبد المتعال يستقل متن جواده وفرسه الأبحر، ويعود لمكان تربية الخيول فيقدم لها الغذاء والماء، يشفق على حال سيد وعبد التواب وما يلاقيناه مع المجموعات في حقول وأجران الجبابرة، يمسك الفتى بزمام الخيل ويوجهها ويدربها، يعبر بها الأسوار ويقتحم الأغلال، والخيل تصهل في قوة وثورة، تريد إنقاذ المظلومين الكادحين، فيظهر للتو في صفحة آلة الزمان والمكان ذلك الجدول ذو الثمار بالعزبة البهية الجميلة عزبة عبد الواحد النوارة والنسر، والمياه تلك بالجدول تجري وتركض وتعدو، والجدول ذاك به الخيرات طافية فوق صفحته الذهبية اللؤلؤية، فهذا رمان وذاك بلح وتمر وثمر، وتلك جوافة، وهذه

قطوف عنب و...و...و... نعم.. ففي تلك العزبة الصغيرة الكبيرة الهائلة الاتساع بتحولاتها
الرهيبة المرعبة المريبة، في هذه العزبة تمددت الأحداث فجذبت معها الزمن واستقطبته،
وسحبت المكان وأحضرته، وجرت كنهر دائم الجريان، وتوسعت بها رقعة الأمل والحياة
لتشمل كل الأزمنة والأماكن والحقب والدنيا والآخرة والبعث والنشور وما أبعد وما أبعد،
بؤرة هي تشمل كل شيء، وقلب نابض يأمر بالخير ويقود إلى الدرب القويم والطريق
المستقيم، في هذه النقطة التي تعد بمثابة مركزا للأحداث والعصور، ومجهرًا يجمع كل
التفاصيل والدقائق، عزبة عبد الواحد النواره والنسر أبعادية سيف الدين، هي شرق البحر
وغربه وجنوبه وشماله، والبحر نهر ومحيط وجدول وينبوع وهوة هلاك وغدير، في هذه
الروضة الفيحاء والبستان الأخضر، في بقاعها لا نهائية الاتساع من النخل الصغير ونخل
الصعل والنخل الكومي، في منطقة الأربعة عشر فدانا وعند ظلمة الشاب تامر وعند التربة
الكبيرة والمصرف العذب وروضة حفني وبستان ممدوح وروضة ممدود وبئر سلمى،
والهوة المتقدمة ومركز آلة الزمان والمكان المتحولة المتشكلة لكل الهيئات والصور، عند
السنطة ذات الصمغ والموردة والتي يأتي اسمها من كلمة مورد المياه، وعند المخبز والفرن
الفلاحي الذي يعمل بالجلة، حيث الجلة هي الوقود المصنوع من روث الحيوانات، وعند حقل
القطن وساقية الفتى عزمي وشادوف الشاب عبد الصبور وظلمة الشاب تامر وطمبورة
بدالة الفلاحة الفارس المثلث والقصر الطائر السحري الذي تقف فيه الغادة نادية أميرة
القصر، وعند رشا عروس وفتاة نخل الصعل، وعند قبور نخل الكومي ومنطقة الجان
والأحراش وأعماق الأرض المملوءة بالكنوز والممتلئة بها، وعند دوامة بحر يوسف
المتمددة الثائرة شاملة الكون والفضاء الكوني وأبعد، في كل ما تقدم وأبعد وأكثر وأعمق،
يعيش أناس متحابون تربطهم علاقات ود وقرابة ونسب، وأنا من بينهم أسوءهم، حيث لم
يزل بي الشيطان حتى أوقعني في الإثم، كان يمكنني الفرار من شبكته قبل صيدها لي، ومن
فخه قبل التقاطي واعتصاري، ظل يوسوس لي فأضعف حتى اقتربت الإثم، ثم التقيتك يا
زهرة الرحلة وفاكهتها وروحها المرححة الطيبة الطاهرة، لطفي أيها الفتى الجميل، الورود
أنت حين تنثر عبيرها وأريج حسنها في البساتين، والجمال حين يزين الحياة، ولست
كالكثيرين ممن أجرموا وتجبروا، ثم إن قدوم عيسى الفتى الهادئ المتزين زين آلة الزمان
والمكان ولطف الأجواء ونثر الأريج ونشر العدل وأرسي دعائمه، ثم يتصل المشهد بآخر في
مجهر الرحلة الشامل، فيتحدث روح الرحلة وغريبها وهو يقول: "،، صديق عمري عبد
الرحمن، كان أمامي الكثير من الفرص حال حياتي ولم أغتنيها، فرص للتوبة والصلاة وفعل
الخيرات، فألهتني الحياة عن الأخرى، فلا تقع في ذات الفخ الذي وقعت أنا فيه، وقد لاحقتني
الندم ولم يلحقني، أتاني في اللحظات الأخيرة، وقت لا تقبل التوبة، ولربما لو عدت للحياة
سوف أعمل صالحا، ضحك بهلول من كلمات كامل وقال: " ها أنت لا تزال معنا يا كامل،
تؤدي الصلوات وتتطهر وتفعل الخير. فضحك بدوره عبد الرحمن وقال وهو يبتسم لرفيق
دربه: " أعلم أنك يا كامل تنصحنا من خلال نقدك لنفسك وبلوغك الموت وموافاتك المنية

والاندثار، صديقي الغالي، سوف نتبع نصائحك. تقدم كامل، ها هو حسن وعبد العال وأحمد في حديقته الجميلة، بها الزرع والنخيل والرمان والزيتون والفاكهة، بها الخيرات كلها." التفت الفتى حوله غوجد الحمام والطير والعصافير والكروان والبلبل، ثم رآه عمر ولمحته أمل، وهم في حديقة الجنة ومعهم نرجس وحازم، وحازم يطير طائرته الورق تارة بدون طيار تسعى، وتارة أخرى يكون هو الطيار بها، ويمرون بالحقل الذي يتزين بالياسمين والزهور والورود، ثم تظهر الفتاة ياسمين وهي معطرة بروائح الجنة، ترتشف من نهر الكوثر ومعها الفتيات عزية وأسمهان وحمامة ونرجس وسلمى وجهاد وشروق وشريهان وأخريات، ونقترب وأنا معهم من نخل الصعل حيث الذئاب والنمور قد تمثل بها الجان، ومعى عبد الرحمن وأنور وأشرف اللول ومحمود ونميري وعامر والقذافي، وتعلقنا جميعنا بجناح لطائر اللقلق أبي العنز، وأمانى وعقلة الإصبع تعلقا بالجناح الآخر ومعهم متناهي الصغر ومتناهي الصغر وآخرون وأخريات، بل بريشة واحدة من الطائر تعلقنا جميعا، ومملكة النحل تسابق الريح فتسبقها، ووجهتنا الآن جزيرة الأمل المتحولة إلى واحة جميلة وروضة خضراء هي روضة حفني، وسلمى لها بئر هناك يدر الذهب والياقوت، نبعه دوامة بحر يوسف لا نهائية الاتساع، الكنوز أسفل هذا البئر العجيب، وكذلك مغارات تحوي أشياء أثرية ومقتنيات، وعبد الرحمن ينصح كاملا وهو يقول: "دعك من الطمع والجشع واترك نصيبا وحظا للآخرين فلست وحدك في هذا الكون أيها الفتى كامل، ابق للآخرين نصيبا مما وجدت من الذهب والياقوت والمرجان، ولا تنس إخوتك وأخواتك والأقرباء، الأقربون أولى بالمعروف كما تعلم " يستمع الفتى لحديث صديقه ونقده وهو يبكي ويتألم، ويقول: "لديك كل الحق صديقي، لقد أغرتني الحياة الدنيا بزينتها وفعلت فعل قارون حين آتاه الله المال، لقد طغيت وتجبرت وعثت في الأرض فسادا واتخذت مغنية وساقية لي، ولعل الله يغفر ذنبي فقد تبت الآن. بيد أنه وفي خلال حديثه وإقراره بالذنب وعزمه على التوبة، تخرج روحه رويدا رويدا وتصعد إلى بارئها ومنشئها، وها هو يغرغر، ولا تنفع التوبة حين الغرغرة، مات كامل قبل أن يهتم بالتوبة في حياته أو تبیت في نيته ويعتزم المضي فيها. إذن ماذا جنا من وراء ثرواته الهائلة، وماذا كسب من متع الحياة ليغني إياه عن آخرته، والواقع أنه كان يحيا كابوسا وحلما مزعجا، بل لم يكن حلما وهو واقع يرى نفسه فيه وهو على مشارف غابة الموت عند نخل الصعل، يسأل عن صديق عمره ضرغام الأسد، أين ذهبت به الأيام بعيدا عنه، فيقابله أسد ضال يهجم عليه، ولا يخافه الفتى، بل ينقض عليه مهاجما فيفر الأسد، ثم يعود تارة أخرى فيمكن مخالفه من المسكين ويزهق روحه، ويندفع عبد الرحمن فيعتصر عنق الأسد بين قبضتيه في مشهد مريب مرعب، ويأتي صديقهما ضرغام وهو مسلح بالصبر والإيمان والعصا السحرية والخوذة والدرع والسيف الذهبي، فيقاتل مجموعات الوحوش بعزيمة الفرسان وإلى جواره الفتى الفارس المثلث الفلاحة صاحبة الطمبورة والبدالة في الليلة المظلمة التي هاجمها فيها الجان، ثم انزاح عن ذلك الفتى المجهول الكابوس ذاك فصحا، وركض حيث مكان الموضوع فأسبغ الموضوع وحمل نفسه على الطاعة،

واتجه إلى مسجد عباد الله الصالحين. فأضحى عبدا صالحا ورعا تقيا... فلما رآه عبد الرحمن صديق عمره، الذي وجد في وجهه نورا فلم يعرفه بالبداية ولم يتعرف عليه لأول وهلة، فألقى عليه كامل السلام وقال: "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:" فرد عبد الرحمن السلام واستدل على روحه لما علم تفاصيلها. فإذا ما حاولت أن أفر من الهموم لاحقتني عند مقاتلي، هي كالموت تماما يا عبد الرحمن، دعنا يا صديق العمر وحبيب القلب نتجول في الحياة، هيا افرد جناحيك وسأفعل أنا كذلك.، خلق معي في الفضاء ولا تهتم بالثقوب السوداء، ففوة جذبها العملاقة لن تغلبنا بعون الله، والطيور كما ترى ها هي حولنا، يا للمتعة يا رفيقي..، فنظر إليه عبد الرحمن وهو يتوازن في الفضاء صافا جناحيه في جمال منقطع النظير ثم قال: "صديقي الحبيب، أشعر بمودة وأنس وأنا برفقتك، لا أحمل للحياة هما ولا للموت أحسب حسابا، وإنه لمدركننا لا ريب، ولعل الآن ذلك الإدراك، والموت آت وآتية معه رحمة ربي، وهذا حسن ظننا به، فمن يهبنا الثقة وعدم الخوف هو الله جل وعلا، الرياح شديدة هوجاء كما ترى والشمس تذيب الصخور والعماق يشوي الحيوانات والفرائس التي يصطادها على طاقة وأشعة الشمس ويصطاد الكائنات العملاقة من فصيلة التنين والغوريلا والفيلة وفرس النهر وحتى تنين الكومودو الوحشي والكثير، وذاب في عالمه الخاص ثم أردف عبد الرحمن واصفا فعال محبوبة قلبه وهجرها له: "إني أحلق كالطير كلما مستني روحك بحرف وهطل من حنينك الجارف زهرة عمري، بيد أنك تقولين كلمة وتغادرين ويغادر بدوره أمني بستان السعادة والود ويخليني عند لهيب الوجد واتقاد الحرمان حائرا أثقلت وأستعر مثل النار المضرمة في هوة الهلاك بالقرب من الغدير العذب في البقعة العجيبة السحرية الثائرة الطائفة عزبة عبد الواحد النورة والنسر أبعادية سيف الدين، ثم إن كوني لا أعرف نفسي وأحار في تفاصيلها، وكوني أتية في زحمة الحياة، وتتراكم علي همومي، عوامل وأسباب تفل الحديد وتفتت الصخر، كما تفت في عضدي وتضعف عزيمتي وتقوض وتحجم إرادتي، مع أنني المارد الأخضر الذي يحرس كوخ الصغار حين سعي أهم لجلب سبل العيش ولذيذ الغذاء والشراب لهم ولي. ورغم ذلك يا عبد الرحمن صديق العمر، رغم ذلك وما تقدم والكثير الذي لم أسرده وأعرضه فأنا وأنت نقاتل من أجل الأمل وننحي الهموم جانبا ولا ننشغل بماديات الحياة وطغياتها، اللهم إلا أننا نواجه ذلك الطغيان ونأسره ونقضي عليه، ونقتله في مواقع حياتية حربية وسلمية، قد نتفاوض معه، لكنه نتفاوض طيبة وحسن نية، ونحن نعيش بهذه الدنيا وفي فضائها الشاسع الواسع المترامي الأطراف، وقد ملت الحياة فما مللنا، واضطرت للانتحار فبقينا، نشق الدرب ولو حفرنا في الصخر، وركبنا الموج ولو بلغ عنان السماء، ننجو من الطوفان ولو حجب ضوء الشمس ولطف أجواءها وهدأ حرارتها، نعبر النهر مع العابرين، فإن مل العابرون وانكسروا ما انكسرنا، ولو استسلموا لليأس والأمواج ركبنا نحن الأمواج وعلونا إياها، فانخفضت الأمواج تلك وهدأت وهدأت حتى دوامة بحر يوسف التي تتمدد لتوها لتشمل الكون وأبعد جارفة التبر والدر والياقوت وكنوز عزبة عبد الواحد النورة والنسر أبعادية سيف الدين، وهي بؤرة الحب

ونواة السحر والأمل، ورمانة الميزان وشجر الإثمار والثمر الدائم المتصل، هي الخلد والفردوس، وتلك المتحولة لكل الهيئات والصور، فهي كل شيء وأي شيء، وهي العجوز الماكثة بين نخل الصعل والنخل الكومي في المنطقة الوعرة بغابات الأدغال والأحراش، تلك العجوز الماكثة المتمثلة بهيئة رقيقة لكل أم جميلة طيبة، وفي الواقع هي جنية غليظة القلب جبارة الفعال، تغدر بكل مار هنالك وبمساعدة رشا عروس نخل الصعل وفتاته الفاتنة الجميلة، وتلك الأخيرة مدفوعة بسحر أسود وتسלט أعجب من قبل النوارة والنسر والساحر الشرير والساحرة اللنيم ريمة والابن الضال الإقطاعي المجرم، فإذا ما اجتمع بالرفاق وضمهم وشملهم القدر، راح يبدع روح الرحلة ويقول: " في الحياة أمضى بلا مشيب وقد التقيتك عند المغيب يا أحمد إنني فتى عجيب وأنت لست دون العجيب محمد أشهد على حديثي لا كان قولي من الرتيب عبد الرحمن يا حب عمري كم أسر قلبي خطو الدبيب فإذا خطرت حلو الأمانى وإذا خطوت فعل النقيب في ليل ود من الليالي قد عاملوني مثل القريب وإنني منهم وهم صفاء ونقاء قلب ونعم الحبيب هم الأحبة من كل عصر يرنو إليه أمل الغريب"، داعبته حروف وأظلت على ذاكرته كلمات فعانقتها، فنظمتها محمد المتألق في شيء من الجمال والسحر، وهو الشاب المتحمس متعدد المهارات، وفي المستطيل الأخضر هو والله يزينه، تناسق جميل في جسده ومرونة وخفة، ومهارات تبدو عليه تزيينه وتجعله مختلفا عن كل الآخرين، داهية بلوى خبير، رغم صغر عهده بتقلبات الحياة وصدام الخيل المحارب بها، والفارس النبيل صديقه والفارس المثلث الفلاحة مديرة الطمبورة ومشغلته ودافعة حركتها كي تسقي حقل القطن الكائن عنده حمادة شقيق ممدوح صاحب البستان، وكما تعلمون فيمتد خارجا متهاديا من بستان ممدوح جدول تتلأأ مياهه وتتراقص طربا حاملة البلح والثمر ونتاج الشجر من جوافة وتفاح وموز وأمل وعسل نحل تحمله الخلايا الجميلة المصنوعة بيد سلمى ذات الرداء الأخضر، وهي تلك التي في وجهها الملائكي يرتسم الأمل وترى العصافير الحسن وتجد ضالتها، منبسط حسنهما يأتلق، وتضوي قسماتها لترسم السعد على جباه الحياة وشذى الورود وعبير الزهور، وإذ بروح الرحلة يقول ناصحا الكون يسمعه: " إياك أن تترك اليأس يداعبك مداعبة التدمير والتخلي عن القيم، لا تجعله يرسم ملامحك وتعبيرات وجهك أو يعين وجهتك ويحدد آمالك، بل هو يحو آمالك، ثم عد إلى أهلك أيها الفتى مصطفى فهم يلومون عليك، لا تنسى أنك من تربيت ونشأت في أحضانهم، تالله لن تجد أرق ولا أحن منهم، لا تأخذك الأيام والأمانى فتطير بك بعيد عنهم، فهم الأمانى والأحلام والأيام والأنسام والواقع والأوهام، ووههم يوصلك للسعادة، فما بالك بتمنيهم لك كل سعادة وخير، وكان مصطفى يستمع للرحالة وجزيرة الأمل تدنو منا متحولة لراحة خضراء بعدما كانت صحراء بيداء جرداء تتوسط المياه وتهتز ثائرة فوق موجهها، وبحر يوسف نهر ومحيط وجدول وكل شيء، يتحول ويسعدنا، وسامي في خضم المعركة الطاحنة الفاصلة ينقذ عبد الرحمن من موت محقق وخيانة كادت تلحقه من عدو غادر، واللؤلؤ يطير محلقا ثم ينقض مهاجما إياهم، ومصطفى يبلي بلاء حسنا وكذا يفعل عبد الرحمن وأنور، هنالك في

ملعب الأمل تتكالب عليهم الأمم إلا من فئة جميلة ملؤها الخير، تدافع عن الرحلة وأبطالها، ولكن الأبطال أيضا يزودون عن أنفسهم وكنائهم ويدافعون عن مقدراته باستماتة، جيوش تنقض علينا معتقدة أننا فرانس سهلة المنال، وأن ليس لنا مخالب ولا أنياب، لا يكرمون الضيف، بل هم إن استطاعوا يلتهمون الضيف كما يفعل المفترس بفريسته، لكن تالله هيهات هيهات، وبعدا بعدا، حلمكم إلى زوال وتبخر وتلاشي، اندفعنا كالريح العاتية، وكل منا يقبض على فريسته ويطويها ويكبح جماحها ويلجمها، حتى رأوا أنفسهم محاصرين في عقر دارهم، نعم.. نجحنا في السيطرة على ملكهم، والرجل العملاق والذي يجمع بين هينة الجان وجبروت البشر كذا حجمنا حركته وشللنا اندفاعه وثورته وقتلنا بطشه وضيمة، ثم وجد الرحالة ضالته أخيرا في رفاق أرسلهم له القدر، منذ النشأة والطفولة ونعومة الأظفار، وبينما هو يسافر في الطريق وسط الهدوء والحريق وفي خضم الشدو والنهيق، تعثر وتغير وتمكن وسيطر، ينتظره الأمل وهو له منتظر، وتدفئه الشمس وينير له القمر، في ليلة من ليال الربيع يستقبله أحمد وينادي عليه وكذا يرحب به عبد العال، فتیان جميلان من خيرة الشباب، يمران في الفيافي والقفار، وينعمان بظلال الرياض والبساتين، هم من الصحبة الأول، والأيام إن حسبنا دول، أحبة القلب والفؤاد، يمران ومعهم الرحالة بجوار روضة حقني، وحسن معهم هو أجمل ما أسفرت عنه الرحلة وأنتجتة الأيام، فهو ابن الأيام والأحلام، وملعب الحرية ينادي علينا، وحديث السمر يغمرنا ويفيض علينا من سحره الأخاذ، والحياة تحلو، فيرسلها عرضية ذلك الرحالة فتتهادى الكرة، سر الحب والود والجمال، وما أروع أن يستلمها فيريحها إلى صدره الفتى عبد الرحمن، وذلك بعدما يرسلها له محمد مزغردة طائفة تداعب النسيم، فيدعها الشباك فتداعب الأخيرة الكرة وتعانقها، ومراوغة نراها من مصطفى ساحر الكرة، مراوغة أقل ما توصف به أنها: "معانقة الأمل للربيع الباسم في ليلة ساحرة، مباراة كرة قدم ينقلها الفضاء الخارجي بمنظاره العملاق عن طريق موجات السعادة الحاملة، مهارات تصورها وتحويها عدسة الزمان، وها هي الجماهير ترى فتى أسمر اللون خجول ضحوك في نفس الوقت، يظلمه الناس ويتجنون عليه، ويضعونه في بوتقة لا يخرجونه منها، وهو متعدد المواهب، واللاعبون من مختلف بقاع الكون يحارون في مهاراته، فكيف لهم تقليدها، أو مس شيء بسيط من ملامحها وسماتها، ملعب قانوني الأبعاد، أبعاده وحدوده لا حدود له، إنهم يسبحون في الفضاء ويحلقون بالكرة، لك أن تأتي معي وتدني حلمك من حيز الواقع، تعال أيها الفتى كامل، أمتعنا بفاصل مهارتك، ودع الساحرة المستطيلة تداعب قدميك ورأسك، ثم اتركها بين قدمي الساحر عبد الرحمن، ولا تكن سيء الخلق، نعلم أنك فتى خجول، قد ذابت تجاربك في الملاعب وصادقت نبات وطلع الأرض المكون للملعب، اترك أحمد يراوئك ويتمتع بشيء من الأمل، فمراوغته لك ليست من قبيل العار بشيء، وتمريه الكرة من بين قدميك ليست عارا لك، وإن قصدها أو لم يقصدها فهذا من قبيل فنون لعبة كرة القدم تلك الساحرة المستديرة، واترك اللاعب يمر منه، لعل في مروره فخر لك وبعض السعادة، ألا تريد إسعاد

الناس ورسم البهجة فوق قسماتهم، وجعل البسمة تجول وتتجول متهادية فوق قسّمات وجوههم، والله إن إرسال قيض البهجة والسرور للآخرين سعادة عظّمي وضبط نفس وفيض أمل لك، دعهم يتمتعون مثلك أيها الفتى كامل، والله إن قي سعادتهم سعادتك، نعلم أنك طيب محب للجميع، وعبد الرحمن صديق أودعته روحك من فرط حبك وتعلقك به، ألا تراه وهو يلعب ويداعب الكرة في ملعب الحرية الموجود في كل مكان وزمان، ألا ترى أيها الفتى أنك رحالة مع من ارتحلوا ورحلوا، تدرك كل زمان ومكان بواسطة آلة زمان ومكان متعاونة فريدة، ثم إن مهارات محمد فاقت كل المهارات وكذا شعبان ومعتز وخالد وسمير، وها نحن أولاء بكل مكوناتنا وعناصرنا البشرية، وتلك المجموعات من الجان والحيوانات والطيور والكائنات الفضائية، نعم، ، نتقدم جميعا صوب " دوامة بحر يوسف " لا نخشاها، حتى إذا وقعنا بها قاصدين ثورتها المتأججة وموجها المتلاطم العنيف، وها نحن نقع، تبتلعنا ولكن ابتلاعها إيانا كمثل حضن الأم لابنها الرضيع، هي رغم الثورة العارمة تقلبنا بجوفها وترسلنا إلى أعماقها، والتبر ينتقل معنا وبصحبة موجها الذهبي أسفل دور " عزبة عبد الواحد النورة والنسر أبعدية سيف الدين "، وكلها مسميات لمكان واحد وهو عزبة عبد الواحد، وبحر يوسف يمر بتلك العزبة وهي جنة خضراء فيحاء، والدوامة ببحر يوسف هي آلة الزمان والمكان للتو، وملكة النحل تسبح وتطير في المياه والسماء والدنيا والآخرة، والجان في كل هذا ملازم لنا ولي، وهو متمثل في "الدوامة المزلزلة الرهيبة "، ينتقل معنا فلا يبرحنا، محمول حولنا ومعنا على موجات ناقلة ساحرة، يحدث تشققات بالأرض واندفاعا لا يهدأ من ياقوت ودر وزبرجد وأشياء أثرية من أزمان غابرة، ولم تمض تلك الأزمان إذ نحن بها للتو، و " عبد الرحمن " ينتقل من سرداب لآخر ومن مقبرة لأختها وشقيقتها، والذهب يلمع وكنوز الأرض تتزين وتبرق، ونخل الصعل يغوص معنا بمكوناته العجيبة ونخله المائل المسحور، و "رشا" عروس نخل الصعل وفاتنته الجميلة " وفتيات الرحلة حللن معنا في باطن الأرض وأعماقها، وأبواب المغارات الذهبية تفتح على مصراعيها، سراديب موصولة بدروب وممرات وباحات وما يمثل البهو والجذب، جان وأناس يحيون هنا معنا أسفل الأرض، سحر وكيد وصد المعتدي ومحاربة الضيف، وهم لا يحسبوننا ضيوفا أبدا، لا يبيغون أن يأخذ أملاكهم أحد، لا بد أن يقع ما تحذر منه من موت ووجل وخلاف ومشاجرة وحزن ومفاجآت مهما احتطت للأمر، وهذا يكيد لذاك، وذلك يسخر من هذا، والرزق مقدر ومكتوب هو والعمر وكل حدث يقع لنا، فلا مفر من نصيبك وقدرك، و "الكنوز" تعلن عن نفسها إعلانا، وبيت المبتسم " أحمد " ابن العم وداره هذا هو دار الأمل والراحة النفسية، جميل الطباع هو طيب النفس، ظل يحفر فلا يصيبه اليأس أبدا، سيبحث عن المبادئ والأخلاق، ويغرل الناس ويصطفهم ويختبرهم، من ناحيته طيبة النفس تبدو والحضور الجميل والابتسام الصافية، لا يود من الحياة شيئا سوى راحة البال، إنه يدع الخلق للخلق، والبقية القليلة أو الكثيرة تسخط أو ترضى على حسب أهوائها، وهم يوبخون بعضهم البعض وباللمز والسخرية والتمر ويعيبون ويتهامسون ويغتابون، لم يتركوا شيئا،

يود أحدهم زوال نعمة الآخر، ولماذا، نار تأكل نفسها، وعن البراعة فتمثلة في كثيرين أيضا من أهل الخير، ها أنا ذا أرتدي القلادة وأحارب الأعوان والقرناء والمارد والجان، وأحارب الإنس كي لا يستخرجوا الكنوز، فالدور مشرفة على وقوع وتحطم وتهدم، آيلة للسقوط من إثر الحفر، والجان حارس الكنوز وأعوانه يحدثون الاضطرابات والخلافات والشجار، وهم يشعلون كل شيء، كما أن السرايب والمقابر والذهب والخيرات والميراث القديم يتحرك أسفل الدور والبيوت، و"الدسوقي" يهب من رقدته القديمة ويسعى ذاهبا " لنخل الصعل" و"النخل الكومي" كي يحضر الثمار من النخيل، والثمار بالنسبة له هي الكنوز والذهب والأشياء الثمينة وو "تير" الفارس المثلث " والفتاة "عزية" وو شقيقتها الفتاة " أسمهان" والطبيب التائه المسكين " كامل" ورفيق دربه وعمره " حسن" وآخرون تحت "الشاحنة القديمة" مقر الرعب " يختبئون من رعب ظلام الليل والوحوش والضباع والجان، يخيفهم كذلك العم "الدسوقي" والعم "حفظي"، والجد "أضاف الله" رجل معنا بالرحلة له كل تقدير، حكيم هو وصبور ورجل مسكين فقير راض بحاله، يداعب "الدسوقي" ويدفعه دفعا كي لا يخيف الصبايا والصبيات والأطفال، وفي منطقة " القمر المخيف " على الطريق الزراعي يتحرك المشهد قليلا، فلا يغادر الأحداث بل يضيف إليها ويجمعها في زمن واحد هو الآن، الآن بالتحديد، نعم... "فحسن" يحار ويسأل نفسه: " كيف الفرار من هذا الجان؟! ولم يكمل ما يود تكملته، حيث رأى الفلاحة تبر الفارس المثلث " تدوير الطمبورة وإلى جانبها شاب قد تحولت قدمه إلى قدم ماعز، ولكن الفلاحة كانت راسخة كالجبال وقلبها لا يرتجف، ثابتة لا تتحرك، وقد علمت من المارد الأخضر أن المراوغة سبيل لإنقاذ "حسن" و"كامل"، فمثلت أنها تعدو وتركض، وأدت الدور بإحكام وأنجزت المراوغة أيما إنجاز، ووضعت اللثام كي تحجب وجهها عن مجموعات الجان وتوهمهم أنها فارس مثلث، استمرت تركض وحسن وكامل يتبعانها في الركض ذلك، حتى وصلوا إلى بحيرة التماسيح، وما كان من الفلاحة التي كانت تدوير الطمبورة إلا أن ألقت بنفسها وسط التماسيح، تزود عن فاطمة والرحالة، وتشغل انتباه الجان بما هو دائر من معارك، والقصد كل القصد أن تنجي كاملا وحسنا مما قد وقع فيه من سحر وكيد الساحر الشرير وريمة ونوارة والنسر والابن الضال، والذي لا يعلم من هو أبوه ومن هي أمه، ولا تعلم طبيعة العلاقة بين النوارة من ناحية والنسر من ناحية أخرى، ثم إن ناعسة ذاتها لا تعلم أيضا هل النوارة والنسر لهما علاقة بها، وهل هي ابنتهما كما يدعيان، وهل الابن الضال ذاك شقيقها أم لا، كل ما تعلمه أنها تود حفني وتفضله على الدنيا بأسرها وما حوت، وفي مشهد متصل مجاور لمشاهد أخرى لا حصر لها في بوتقة وعدسة ومجهر آلة الزمان والمكان والأماكن الطبيعية الشاملة كل الأحداث، نعم...في خضم كل ما تقدم يتحدث الخيال العجيب عما يراه ويعاصره فيقول: " وعن دوامة بحر يوسف فثائرة دوما، يتقلب الياقوت والتبر من فعلها، وتنبش الأرض وتحدث بها أغوارا وثقوبا، والثقوب السوداء في المحيط الخارجي من الفضاء تجتذبها فلا تقدر على جذبها، وضوء البدر هنالك على الطريق الزراعي المخيف

يظل حسن وابن خالته بظلال من ود وحنين، وباقات من نور. على أن الحمار تركهما وقد خلى ابنه الجحش وزوجه الأتان في دار عزبة عبد الواحد المبني بالطوب اللبن، والدوامة لا تزال تثور وهي ترقب الأحداث من حولها في عدسة ومجهر آلة الزمان والمكان، ظلت الدوامة تقلب الأرض عند الأعماق، بالأحرى لا نهاية لعمق الدوامة، أعماق لا نهائية تقلب خيرا الأرض فتصعد بها إلى السطح عند مركب وقارب فاطمة، وذلك المركب كما هو معلوم يتشكل في كل هيئة وحجم ونوع، بما يعني أنه آلة زمان ومكان في صورها اللانهائية، كل تلك الأحداث وأكثر في محيط هذه الرحلة العجيبة، بل إن كل تلك الأحداث لا تمثل ذرة من حجم الرحلة التي تحوي كل شيء وأي شيء، فلما انتبه "حسن" لما هما فيه، تملكه الخوف، ذلك حين رأى العفريت الجني يظلهما بظلاله الواسعة المخيفة، يستطيل ويعلو ويتمدد، وهو يقبض على يد الفتاة "أفيات"، وقد تحصنت ضده الفتاة بحصن الذكر الحكيم من القرآن الكريم، فيقرأ القرآن للتلو "الشيخ داخلي" و"الشيخ نمر" وآخرون، و"الجميزة" على بعد قليل ضئيل من الجميع تزين بثمار الجميز وترى ما يحدث للجنة أفيات، وهي جدة وشابة وفتاة وطفلة وتعيش في كل العصور والحقب، يتغير شكلها وعمرها تبعا لآلة الزمان والمكان بالرحلة بلا حدود، هذا وقد بدت روح الدعابة على الشاب نمر وصديقه الفتى داخلي حين تقدم الأهل بطعام العشاء. فقال الشاب نمر: "أوركني وأصدر نفسك" وهو بقصد أن يكون نصيبه من الدجاجة وركها ويكون نصيب الداخلي صدرها، وقد رد عليه الداخلي قائلا "بل أوركني وأصدر نفسك" فغاب الجميع كأنهم مغشي عليهم، نعم غابوا وسبحوا في ضحك متواصل، فدمعت عيني الفتى المسكين روح الرحلة واسمه أنا، فقال أنا: "هي بالفعل تعصرني هذه الحياة، ولا أستطيع كبح جماح نفسي فيها، أقول ما يختلج بكلامي ويورق نفسي، فلو ما مستني السعادة حلقت طائرا وأنا سعيد، وإن الحزن انتابني لا أستطيع حجب الوجل ولا تزيين قسماتي بضحكة عابرة كاذبة وباهتة ضئيلة، أطلق لذاتي العنان سعيدا وأطلقه حزينا، ولكني وحينما داعبني عبير أنفاسها رحت أقطفها، فأبت الزهرة أن تقطف، وماج غصنها في الفضاء يحتضن النسيم، فوددت قطف جذعها، فغاصت في مياه بحر يوسف وداعبت جذور دوامته الهانجة، فما كان من الدوامة إلا أن هدأت، ثم التفت حولي فوجدت الناس يتنازعون أيهم يحصل على نصيب الأسد من تلك الكنوز العائمة والسابحة تحت بقاع" بؤرة الرحلة حبيبة الفؤاد عزبة عبد الواحد النواره والنسر أبعادية سيف الدين"، وعن الحزن رغم كل هذا فمسيطر علي تمام السيطرة ومالك قلبي كل التملك، حيث لما رأيت "الجمامة البنية" وهي "الحمامة" في مسماها أيضا، لما رأيتها ماكثة في عشها، وربما بين الفروع تستريح، دلفت خلف ظهرها ووقفت، واستوقفتني جمالها، فنويت بها غدرا، وأمسكت بحجر فألقيتها به، فدفع الحجر الغصون الملتفة التي تقف عندها، ودفعها هي بالتالي، فخرت ساقطة واقعة وقلبي يعتصر ألما عليها، وهي تلفظ أنفاسها ناظرة إلي مستعطفة تعاتبني، فلمحت الهدهد ومعد الرفاق أبو قردان وأبو فصادة والبطريق وأبو العنز طائر اللقلق صديق الفتى عزمي، فحملت الجمامة وترفقت بها، فوجدت جناحها

مكسورا، وأخذت الدواء من الهدهد وهو عشب أخضر طبي نادر، فأبت الجمامة أن تأكل، فحاولت تارة أخرى، فنظرت بعيدا وحولت وجهها عني، فبكيت طويلا، فإذا بها ترق لحالي، وتناولت الدواء بمنقارها وتبسمت لي، ثم صعدت على جناحها وقد تماثلت للشفاء، وكنت قد تحولت إلى حجم عقلة الإصبع، وأخذت "أنور معي"، وكنا جميعا عند شاطئ بحر يوسف، نصطاد سمكا ومعنا "عبد الرحمن" و"وهيدي" و"اللؤلؤ" و"ضرغام" و"حسن" و"سلطان" و"بهلول" و"مصطفى" و"معتز" و"محمود" ومجموعات الكائنات بجميع أنواعها، فمررنا من جانب الكوعة، والكوعة منحى في الطريق المؤدي إلى نخل الصعل "ولكم وددت بأن أكون سعيدا كحال طير يعشق التغريدا قد طار حلق في الفضاء هناك ورنا ويهفو في الفضاء بعيدا وشعاع أمل بعد طول غياب كم هل يشرق في السماء وليدا أنا كل هذا بيد قلبي تعيس ولا زلت أحيأ لدى الزمان وحيدا والشمس تشرق تارة وتغرب والفكر يسبح في الشجون شريدا للتو ناهد مثل بدر ليال ظهرت وتتلو في الرياض نشيدا لا زلت أذكر حين كنا صغارا وأكدت ودي "لناهد" تأكيدا". تخضب وجهها بحمرة الخجل وتورد الخدان، وزانت البسمة قسماتها وزادتها بهاء وجمالا، وكانت لا تزال الحياة تقصم ظهرها، وهي كذلك الآن، فمن في صبر ذلك الرحالة وقوة احتماله، هو ورفاقه يعتلون درجات السلم، ومعهم مسنون وشباب وصبية وكل كهل طاعن في العمر، من أين سد الواد والرمق والحصول على أدنى ما يقوم المرء، و"محمد" في المشهد يعمل في الدودة، ويقصد بالدودة حقول القطن طويل التيلة حين تصاب شجيراتنا وأشجارها من نبات القطن بدودة تفقس لاحقا فتحرق الحقول وتأتي على أخضرها، يعمل بنشاط ذلك الفتى فلا يعجب ذلك الإقطاعي الظالم، فالأخير تربى على العطرسة والتعالي والكبر والتكبر، وعلى إذلال الناس، يتقدم الإقطاعي نحوه، واسمه "النسر"، وهو رفيق "النورة" في الظلم، يتقدم بخطى مسرعة حاملا صولجانه وكرباجه المصنوع من جلود الحيوانات المتوحشة، وكأن هذه الآلة المعذبة تحمل نفس طباع الحيوانات المفترسة المصنوعة من جلدها، نفس الغدر والمكر والشراسة والنهم، يموج الظالم بالآلة المعذبة في الفضاء محدثا صوتا مزلزلا مرعبا، ويهوي به على جسد المسكين، فيمسك "محمد" ألمه ويكتم آهاته، في نفس الوقت الذي يفرغ فيه طاقة غضبه صوب الظالم المجرم، يتقهقر "النسر" ويقبض جناحيه ويخبأ مخالبه، وكان "محمد" قد لف ذراع الطاغية خلف ظهره ووضع يده فوق مخرج أنفاسه تماما، فكاد الرجل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، فبادرت "حسناء الخصال" بسحب "محمد" بعيدا عنه، فارتمى المجرم وخر واقعا فوق صفحة الأرض وهو يشير مستنجدا بجنوده، التف الجنود حول الفتى والفتاة، فراوهم محمد مباغتاً إياهم بهجوم ذكي، هاجمهم جميعا في ذات الوقت عن طريق تشتيت انتباههم، وذنب ابن النورة والنسر يعوي بصوت عواء مرعب في مشهد مهيب، يقطر الزبد من شدقه، ينتظر الأوامر بالانقضاض، وكان "بهلول" يعيب نفسه وينتقدها مثلي تماما، هذا إن كانت المقارنة حق لي من الأساس، والمعلوم أن "بهلول" يفوقني صبرا واحتمالا وتجلدا، نعم يعيب بهلول نفسه كثيرا، لكنه ها هنا يمتدح نفسه على مرأى ومسمع من الجميع

إذ يقول: " لا أنسى أبدا بيت القصيد إن ولى يأتي لي من جديد سلوى تراه مع ابتسام ويراه أيضا عبد الحميد ظللت أكتب فيه امتثالا لنبض قلبي وحلم الغيد وظل يهتف هلم هيا فنال مني وقع النشيد وطربت منه حتى سقاني شهد المحبة إلى الوريد ؟" دهش الجميع من نظم "بهلول"، وتقدم في زحف معظم الأسطول، وأنا معهم يهتف ويلعب، ويحمل الأسد حيناً ويخليه عنه حيناً آخر، وأنا شخصية في الرحلة، قد أكون أنا أو أنت أو هو لما يتحدث عن نفسه، إذن هو الرحالة ممثل الكل، ذلك المستمر مع كل تحول بالرحلة، يحيا معها عصورها المختلطة بالنسبة لنا، والممتزجة في حدود تفكيرنا المحدود، وتدور بي وبالكائنات والكون والدنيا والآخرة والبعث والنشور والجنة والنار تلك أحداث الرحلة وتقلباتها ممثلة في سعي آلة الزمان والمكان وتحليقها وطيرانها وغوصها وخوضها و...و...و... حتى جن علي الليل- وقد أكون حينها رحالة أو كائنا أو مكونا من مكونات الرحلة ومطلق أشيائها - فوجدت نفسي وحيدا في غابة موحشة، وكانت الرحلة قد دنت من شاطئ الخلاص عند البقعة الطاهرة من "عزبة عبد الواحد بؤرة الرحلة وفؤادها النابض بالجمال والود أبعادية سيف الدين النواره والنسر"... تلك البقعة متعددة الأسماء والصفات، ووجدت جدتي "أفيات" وهي تسير عائدة من بيت أبيها في جنح الليل البهيم وظلماته المخيمة على القلب والمرعبة والمزلزلة الكيان والنفس، وكلما تقدمت الفتاة أفيات لحقها خيال الجان، إلى أن وجدت نفسها ملتصقة بجناحه، فطار بها كما ترون، وحلق في سماء العزبة يلفها ويطويها، وهي ممسكة بالدبرك، والدبرك كما تعلمون أو لا تعلمون هو عصا تقارب جذع النخلة أو الشجرة، ثقيلة جدا، لكن "أفيات" فتاة قوية، هي حيناً تصبح صبية، وحيناً طفلة، وحيناً آخر كهل عجوز نال منها الزمن، ولكن الزمن إن نال منها، فابتساماً من ثغرها تعيدها قرونا، ثم إن آلة الزمان يا "أفيات" تعود بك صوب الماضي وتطوي الأيام مسرعة عند المستقبل، بل وتجمع الأحداث كلها في وقت حاضر الآن والآن بالتحديد. تستمع إلي الفتاة أفيات وهي تتشكل وتمر بكل الأطوار في طريقة ليست متتابعة أو منظمة أو مجدولة وقتياً وزمنياً، فهي عجوز وفتاة وصبية وطفلة، وأنا قد أكون الرحالة الذي تمثل بي للتو، فهو متحول متقص كل الشخصيات والكائنات والصور والنباتات وأي شيء وحتى الجماد والماء وأي شيء وهو الأنبياء والضالون والمهتدون والكون والمجرات وأي شيء وكل شيء، والأسود تطاردني فأطاردها وأقبض عليها وجدتنا "أفيات" تشجعني وأنا مع رفاقي وتقوي عزيمتنا وعزائمتنا، ألا تلاحظون معي، أنا لا أحتاج أن أسألكم، ولست مضطرا لذلك السؤال أبداً، وظللت أحمل الأسد وتطاردني وإياه بقية الوحوش، في نفس الوقت الذي ظل فيه العفريت الجان يحلق "بجدتي" حتى بلغ مدى "ملكة النحل" وهي تقترب من سطح القمر، واعتلت الملكة الجميلة للنحل سطح القمر، وبدأت الأوزان تخف وتقل، والجان مستمر في تحليقه ومعه القرناء من فصيلته و"المارد الأحمر" و"التنين القاتل الطائر"، ولا تزال جدتي "أفيات" وما هي بجدة الآن، إنها صبية في ريعان ريعان شبابها، لا زالت أفيات، تطارد الجان كما يطاردها، خلعت نفسها وسلبت جسدها من سطوته، وانهالت عليه ضرباً بالدبرك العجيب،

وانقلب على ذلك العفريت الضال والجان المرعب، انقلب عليه القرين الطيب فهاجمه وسلط عليه النيران المضرمة المتأججة، وحلقت آلة الزمان والمكان بعنف، واضطربت جزيناتها، وتفاعلت مع الجزينات الزمنية والمكانية محدثة تخلخلا وتضاغطا يليه مثيله، وأصبحت الرحلة طوفانا مرعبا، تحدث لتوها انفجارا لم تعهده الكائنات، و"الأسد" ينظر إلي متعبا مرهقا. والوحوش تطارد "عبد الرحمن" و"صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان"، حتى ظهرت "الفتاة لطيفة" في مشهد مجاور في العدسة العملاقة لمجهر الرحلة الهائل، ونحن معها نبل الكشك ونأكل، ويحب "لطي" "فاكهة الرحلة" العيش الجاف الناشف ليأكله مع الجبن القديم المخلل، ثم ننقي الخضرة من الأرض ومعنا حسن رفيق رحلة عمرنا وأخرانا وكل شيء، والخضرة التي ننقيها ونجمعها من الأرض هي البصل والفجل والجرجير والخيار والطماطم وو نصطاد من "بحر يوسف" و"ترعة" المصرف العذب" في "عزبة عبد الواحد النورة والنسر أبعادية سيف الدين"، و"عبد الستار" الشاب جميل الطباع يصطاد القرموط ويلهو مع الصبية ويأخذ منهم السمك ثم يعيده عن رضا وطيب خاطر، و"عزبة" الفتاة الجميلة معنا في الجني ونحن نجتمع القطن وو هي معنا ومعها الفتاة الطيبة "سمهانة أسمهان" ونحن بالدودة وهي اللطعة ننقي الورقة التي تلتصق بها اللطعة ونقول: "حمرا جريحة ونقصد حمراء جارحة، حيث لونها يميل للحمرة الجذابة، رغم أنها سوسة ودودة تحرق ورق شجيرات القطن طويل النيلة، ثم تحرق المحصول بآثره، و"اسخرون" واسم ابنه "حلمي" معنا وهو القائد الأعلى ومروؤسه "المهندس نادر"، لكنهم يضربوننا ويوسعوننا ضربا وإهانة و"عبد الرحمن" يجلدنا بالسوط ويضربنا بالعصاة والشمس تحرقنا وتنتهي علينا، نريد أن نعيش ونحيا مثل الآخرين، وحماسة فتاة جميلة الخلق معنا تنقي لنا النبات الأخضر من فجل وبصل ونوار كي نغمس به الجبن ونأكل الكشك والجبن القديمة المخللة، ونقوم بتخليل اللفت، والفتاة لطيفة ماهرة ومعها أرزاق وروحية ومدينة ولطيفة، هن أخوات جميلات الأخلاق طبيبات الأنفس، ومعهم شقيقهم الطيب أحمد وشقيقهم محمدة والجدة أفيات والله تزين الرحلة وتجعلها حلوة بهية نضرة، ثم تفارقنا أنعام وتذهب بعيدا وهي سراج الرحلة المنير فننادي عليها ويشدو روح الرحلة وينظم ويقول: ط، "تركنتي وحيدا وولت إنعام لا زال يذكرني طيفها البسام من بعد فرقته لي كيف أعيش بل كيف أحيا وكيف أنام وجل حياتي من دونها وجل وسراب ولي وهي الأوهام لم أدرس أبدا لعروض علما وهي الروضات وهي الإلهام هي كل العلم وسعادة أخرى والدنيا وليلي وهي الأنسام "روح الرحلة يتحدث بمنطقة الشعراء، فأين أنتم يا من يعييون عليه، رب قول دون نظم يغلب قول الحكماء ويهزم نظم الشعراء، رأيته فأذ بها الطبيعة تتجمل، نعم... صفاتك بها، ليس شرطا الاسم، فأنت كل الأسماء والصفات، ألا تعلمين أنك شراعي وطوق نجاتي "فقال من تقصد: "فقلت: "من صفاتها تتفق مع ما ذكرت، وهي تعلم نفسها، والله إنك تجدين صفاتك في كل الأسماء، وفي الربيع والشجر والسحر والزهر والورد، والمساء والليل والبدر، وفي البسمة الحلوة وتغريد العصافير وشدو البلابل

والعنادل، أنت الخيل والحسن والحدور والسهر، قصة أملي ولحن حبي، وفي خضم الكلمات الجميلات، وعبير الرياض والنفحات، تثور دوامة بحر يوسف وترتج دور العزبة وقصورها، ويعدو الخيل ويركض، وتطلق الأعنة لتعانق السماء، ويمتطي "عزمي" ظهر جواده، يحييه الجميع، ويظهر الشاب "فاروق" بطيبته المتناهية وبساطته، يذلف إلى مغارات الكنوز، يحفر وينقب ويغوص تحت الأرض، تبث ثيابه وتعانق مياه دوامة بحر يوسف وو معه جميل وهو يداعب الأطفال ويرفع عاليًا بين ذراعيه ثم يقذف بهما وسط دوامات بحر يوسف بنية اللعب وو يغوص الأطفال ويصلون للكنوز وأبوابها المرصعة بالنفائس والدرر، فيريد الجان وحراس القبور والمقابر أخذ الأطفال فدية، فيرفض الجميع ويثورون، ويتقدم الملك الغضنفر فيهاجم الجميع بعزيمة الأبطال، وتدور المعارك، ويظهر عنتره الشاب القوى، وبالقرب منه تبدو عبلة والأبطال على مر التاريخ، كيف لهذه العزبة العجيبة أن تتمدد وتتسع مثل هذا التمدد وذاك الاتساع، ولا زلت أبكي وأنا لا أدري من أنا، ولا أدري لماذا أبكي، أقول وأنا روح الرحلة أو رحالتها أو شيء بها، شجرة وربع وأمل وشخص،

و.....؟؟؟؟؟؟.....و.....، نعم....أقول: " طفت الأحمال فوق صدري وجثمت، لكن يبدو صدري بحر أمل يتسع للكثير ويحمل الأثقال والمتاعب والهموم، زادت مسؤولياتي وكثرت وأطبقت على أنفاسي، فإذا بي أرى بسمة أبي مرتسمة فوق ثغره وقسماته وهي تقول لي: " لا عليك بني، لا تحمل الهم، كن سعيدًا بأمر الله، ليتهما تدوم بسمته، والله لقد بددت حزني واجتثت همومي ورفعتني درجة سموت بها فبلغت العنان وارتقيت الأحلام فحققتها، بل هي لم تحقق لي تلك الأحلام والآمال سوى بإرادة الله ثم رضا الأبوين، حسانين فتى الرحلة الأول وزعيمها المتفرد ومغامرها الداهية له بسمة تأسر القلب وترق لها الشغاف، طيبة ظاهرة وباطنة، وعفوته سبب الأمل الذي يطرح كطرح الشجرة دائمة الإثمار ولقد وجدت الكنز عنده، كنز لا يفنى معه ذلك الفتى، سعدت بها ولا زلت أسعد وأحمد الله، وفي ركاب وغمرة الرحلة والأحداث ها نحن نعود أطفالًا، شيء عجيب، نحن في أزمنة مختلفة، أزمنة عهدناها وأخرى لم نعهدنا ولم نعاصرها من ذي قبل و، لكننا على أي حال نحياها، دوامة بحر يوسف لا زالت تثور وتغور ويفور التنور وسيدنا نوح معنا، ويتقلب الدهر والزمن، بآلة زمان ومكان هي الفرح والشجن، ونصل لعهد قارون وو سيدنا موسى وأخيه هارون، وفرعون بالطبع معنا يقتل كل طفل يولد ويتجبر ويتكبر ويقول: " أنا ربكم الأعلى " فيطيعه المستضعفون وغير المستضعفين، وكل طامع في ملك ربما، ثم نبعد ونقرب ونعود ونمضي ونحيا في المستقبل والماضي والحاضر، وتجمع لنا الأزمنة جميعها بأمر الله للتو في زمن واحد، ومعنا سيدنا محمد ﷺ يوجهنا ويعلمنا الإسلام فندخل الإسلام ونؤمن بالتوحيد ونشهد جميعًا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله،، حطت آلة الزمان رحالها في قلب دوامة بحر يوسف، فأخذت الدوامة في اتساع ونوسع شديدين، وتفاعلت مع المياه الثائرة لتلك الدوامة، وجرفت معها التبر والزبرجد والتمائيل والدرر الثمينة والذهب الأبيض والأحمر، وتوزعت الثروات أسفل دور وبيوت عزبة عبد الواحد، وإذ بالعزبة تنمو في تزايد مطرد لتشمل الكون

وأبعد وو تتجه صوب الثقوب السوداء العملاقة وتختلط بالهيدروجين والهيليوم وذرات المياه المتطايرة، العزبة العملاقة تسافر عبر الزمن والمكان، هل هذا سحر أم تلك رحلة أم جنة أم جنات معروشات مزينات، تطير النواراة والنسر عزبة عبد الواحد، وهي لتوها آلة الزمان والمكان، وعلى متنها الفتى الصابر المجاهد المبتسم أنور ومعه اللؤلؤ أشرف وعبد الرحمن ووهيدي وخضراوي والعلاق شداد ومعه العملاق عامر ونميري وآخرون، والكائنات مع الجميع من طير وحيوان وشجر وزروع وفروع وقلاع وقلوع، كما أن في الرحلة معجزة اسمها: " صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان "، أسطورة تقود آلة الزمان والمكان والتي هي جزء رئيس من رحلتنا المكوكية والفضائية والأرضية والبحرية والجوية والزمانية والزمنية والمكانية و.....و.....، ومعه الرجل العملاق الطيب البسيط والمغامر ذو الضحكة الجميلة والبسمة البريئة " سيد العملاق "، وبرفقتهم حسن وفتحي وعبد المتعال، ويتقدم الجمع في الوقت هذا ذلك الملك الغضنفر خميس، وملك الجان والملكة المتربعة على عرش القلوب وشهريار وشهرزاد وسهام ونجوى وشريفة، وأمل وفاطمة ذات البساط، يتقدم صبري الطيار الطائر ويتوجيه من صلاح الدين المغامر الداهية وصاحب الخبرات العظيمة في فنون الحروب والقتال والخطط الحربية والغزوات، وها هي تظهر الدرة المكنونة لطيفة تسهر على راحتنا وننعم نحن بالنوم، تسعى لتوفير رزقنا فهي الفلاحة الأصيلة الشريفة العفيفة وهي ابنة الأصول وسلالة الكرم والجود، وجودها في طيب أخلاقها واستقامتها، وكل نساء قيثارة الرحلة عزبة عبد الواحد النواراة والنسر أبعادية سيف الدين، كلهن عفيفات شريفات يبحثن معنا عن الكنوز المدفونة في الأنفس من أخلاق وقيم جميلة راسخة وحسن وبهاء وطهارة، ويصادف بحثنا عن كنوز الأنفس وجود كنوز مادية تنبع من ثورة وتقلب دوامة بحر يوسف التي تدفع التبر صوب السراييب والآبار وأسفل الأبنية والبيوت ذات الطوب اللبن، تتجمع الكنوز بعدما يجرفها تيار الدوامة العملاقة، والحارس على كل مقبرة وكنز يحاربنا كي لا نحصل على هذه الدرر التي تلمع كما ترون، ونبحث عن الباب السحري للمغارات الذهبية، يطول بحثنا ثم نجد الكنوز فجأة، فالأم الطيبة لطيفة هي زهرة الرحلة والبركة التي تحل بها والكنوز كأنها ظهرت لها، يا للروعة، في جنات معروشات تعيش هذه الأم المكلومة المضحية المصابة والصابرة، ونحن معها، وجناتها المعروشات هي الرضا والجهاد والسكينة والحمد، وهي في الحقل، وكل ما ومن بالحقل ذاك يتزين لأنها موجودة به، وتشدو معها الطيور وتغني لها، مجتهدة مضحية هادئة مشرقة القلب ونيرة الوجه وحسنة الملامح، وهي شجرة الطرح الدائم والإثمار المتصل غير المنقطع أبداً، وهي شجرة العنب الطارحة ونخلة الحسن المزينة بالثمار من التمر وخيرات الله وو إنها للنسيم العليل في يوم ربيعي، بل هي الربيع الدائم طوال العالم وطوال العمر حتى، وهي العمر والأمل والبريق وصفاء النفس ونقاء السريرة، ورغم بساطة عيشها إلا أننا نشعر برفقتها بكل السعادة، تعد لنا الأكل وتطيب خواطرنا وتضحكنا ببساطتها منقطعة النظر، أم مضحية تشاركنا لحظات الرحلة جميعها، وهي برفقة فتيات الرحلة وكائناتها،

بسمتها الجميلة تدعو إلى تفاؤل وخير، وحسن خصالها آية من الآيات، تصطاد السمك " هل كل ذنبي وما جنيته أنني أسعى لرزقي " قالها الصبي وهو يبكي، فرد عليه الرجل غليظ القلب: " لن أتركك تفلت من يدي وتهرب أبداً، إلى أن يظهر أحد من أهلك إن كان لك أهل " فازداد غضب ويأس الصبي ورد عليه وهو يقول الآن: نعم لي أهل وناس وقوم مثل قومك، لكن ضيق ذات اليد أجبرني أن أجني القطن وأقطف لوزاته المتبقية بعد الحصاد، ألسنت تخرج زكاة مال؟! تعجب الرجل من سؤال الصبي كالذي يقول في نفسه: " وما أدراه هذا بزكاة المال، لن أخرج زكاة أنا " ثم رفع صوته وزجره وقال بنبرة جهير متعال: " لن أخرج زكاة من أجلك، لكنني سأقتلك " فانفجر الصبي بكاء وجمع قبضته فوجهها حيث فكه تارة، وأنفه تارة أخرى، وكان قد تخلص من قيوده، والجدة أفيات شرعت في ضرب الرجل بالدبرك، فأوجعته ضرباً وكالت له اللكمات والركلات والشتائم، كان ذلك الرجل تابعا للنوارة والنسر وللساحر الشرير وريمة والابن الضال والمجرمين وقطاع الطرق والاقطاعيين، نحن في الوسية، والوسية مكان للعمل والظلم في أملاك ذوي الأملاك والمتسلطين الجبارين، نعم فلاح، ومن المفترض أنه طيب لأنه ابن الأرض الطيبة المنتجة الخيرة، لكن ما يحزنك أنه مجرم متسلط، والطفل الصغير وذلك الصبي الفقير يجني بعض لوزات القطن المتبقية في شجيراته بعد موسم الحصاد والجمع، يتعايش من بيع ما يقطفه من رزق وذهب أبيض، صبي قد قدر عليه رزقه، ولكنه يسعى مثل الساعين الباحثين عن الرزق حتى ولو كان ضئيلاً، يحيا من بيعه هو وأسرته، فالذهب الأبيض من نتاج الأرض يعد فرحاً للقلب ويسرا للحال وسعادة للنفس، ويتخذ الصبي الأسباب اللازمة لذلك، وإذ بالفلاح غليظ القلب يمسك به، ويعتصره بقبضته وغضبه، وينهال عليه ضرباً وسباً، وتأتي الجدة أفيات، فتعود صبية صغيرة، وفتاة مشرقة بالجمال، يرزقها الله قوة على قوتها، فتدفع الفلاح دفعا شديداً، وتستخلص الصبي منه، وتدنو الرحلة من الصبي وفيها من يستخرجون كنوز الأرض وخيراتها، فيهاجم الرجل غليظ القلب هذا، يهاجم آلة الزمان والمكان، وتتقدم تبر ومعها مريم، فيزودان عن الصبي بروحيهما، ويضربان الرجل بالعصي، وها نحن نصل للمتعة المادية عند الطامعين في كنوز الأرض، والمتعة المعنوية لمن يدرون جيداً ويعلمون أن متاع الحياة الدنيا زائل لا محالة، قسم منا رأى الكنوز وجمالها الأخاذ شرع في احتضانها وحملق ونظرة الطمع في عينيه تتجلى وترتسم وتتراقص، والشرر يتقد في مقلتيه ويخالج ناظريه بشراسة مريبة، والبعض التزم الذكر والحمد وقراءة القرآن وتحكيم العقل فيما رزقنا الله من نعم، والتفت الأمم حولنا والجماعات وزادت الهجمات علينا، ونوى أهل الشر الاستيلاء على خيرات الأرض، وقام القراء من الجان وهم أعلى فصيلة ورتبة في عالم الجان، قاموا أو يقومون الآن بالفعل بالتفريق بين الحاصدين لتلك النعمة الموقته، كل يحاول الاستيلاء على الدفائن والركاز، نسوا أن في الركاز الخمس، نعم خمسة يعد صدقة تخرج للفقراء، نعم...أنتم الآن لستم فقراء، هنا ضحك بهلول وقال: " مؤقتاً فقط، ولسنا ندري بما هو معد لنا ومقدر، طمعنا يقودنا إلى الجحيم " والفتاة موضع الحديث راضية بالقليل، تدعو

الجميع لضبط النفس وتقول لهم: " قل متاع الحياة الدنيا قليل " نعم ففتاة القصر نادية عند موضع الكنوز وتلك البقعة الجميلة بؤرة الرحلة وقلبها النابض، تطير بقصرها بفعل الجان والقرين من بعد إرادة الله بالطبع، وبقوى موجهة من الساحر الشرير وأعوانه، وقد رسا قصرها على حافة جزيرة الأمل عند شاطئ بحر يوسف، ثم تمايل ذلك القصر واهتز بفعل أثر تلك الدوامة التي اهتزت أبنية ودور النواراة والنسر – عزبة عبد الواحد أبعادية سيف الدين لها، نعم تمايل القصر وهي في شرفته فوجدت نفسها والقصر في قبضة الدوامة الثائرة، فسبح القصر بها قبل أن تقلبه الدوامة وتموج به وتدفعه أسفل ظلمات الأعماق عند الكوخ السحري والمغارة المفزعة المرعبة، وكان قرين من الجن للشيخ مكتشف الكنز قد سعى باحثاً ومنقبا عن الكنز بل قل الكنوز، وأنبا النادية الشادية أميرة القصر المسحورة، وقد قام بفك طلاسم عجيبة على الأحجار والدر والتبر هنالك، وهو ينبأ نادية بكل شيء بل ويريهما ما يحدث في عالم الجان ذلك، وكانت الفتاة تتلو آيات القرآن الكريم، فهي في موقف مزلزل واختبار عجيب من قبل الله لثباتها وقوة إيمانها، وها هي تنجح الفتاة، وعن عروستها الدمية فتحادثها وتلهو معها، وتردد كذا آيات القرآن الكريم حين ترتل نادية وتتلو، ومن يحفرون الغور والبنر قد تجاوزا موضع الباب المرصع بالذهب والياقوت والمرجان، نعم تجاوزوه بأمتار، وإذ بجهاز كشف والتنقيب عن الدر والتبر والزبرجد والذهب الأبيض وغيرهم، إذ بهذا الجهاز يحدد موضع باب المغارة والمقبرة العملاقة بطول وعرض العزبة أسرة القلب ومالكة الفؤاد، وثروتها أخلاق أهلها ونبل طباعهم وحسن سيرهم، نعم..ف النواراة والنسر عزبة عبد الواحد أبعادية سيف الدين هي حبيبة الفؤاد، الجميلة أهلها، فطيبة طباعهم وأخلاقهم فوق كل الكنوز وأعلى وأسمى من جل الماديات وعرض الحياة الدنيا الزائل،"، ويظهر سمير فجأة وينضم إلينا فتقول روح الرحلة واصفة إياه ومرحبة: " كم أسر قلبي الملاك سمير فأصبحت كالعصفور أغني أطير وشدوت في كل يوم ورحت أزرع الأمانى ثم أسير أنال حريتي في القرب منه وحين البعد قلبي أسير والزهر حولي في روضة حسن وأخي شقيقي في الجدول أمير يسبح ويغرد مثل الطيور ولي مثل عوني وسلمى مصير فجدول سلمى سقاني الهناء وعوني ببحر والجو مطير وبستان سعد عليه ظلال وبدر يطل علينا منير " وجدت الفتاة الكلام ينساب من بين شفثيها كاتسياب الشهد من خلایا غسل النحل وذلك عند النحال وابنته ذات الرداء الأخضر سلمى، فاستمرت تشدو والقلب شاد، وغنت معها وفرحت بلادي، وأقبل سعد من كل آن، وحل الخير على كل وادي،...نعم...ظلت تشدو وتغني، اللهم ابعد ظني عني، وأبدله ظنا حسنا في كل إنسان، فمن أنا لأظن نفسي أفضل الناس، ونفسي الأمانة بالسوء تأمرني بكل ما يرضي الشيطان الرجيم، وبما يسعد ويسر القرين ويهنأ باله ونفسه، والقرين يبعدي عن الصلاة ويزين لي الفواحش واقتراف السيئات، إنه يساعدي على ملئ جوال سيناتي وصحيفة أعمالي، هل أنا من أعلم الكثير وغيري جاهل، ولم أظن بهذا ظن السوء وتكون المحصلة بعد استبيان الحقيقة أن ذلك الذي أعيبه والله أحسن مني وأعلم وأجدر بما أنا فيه من رغد وشهرة، وهو يفوقني من حيث

العلم والخبرات والمهارات، تعجب بهلول وهو يسأله: "مالك تلوم على نفسك وتعييبها؟! فابتسم الفتى وقال: "سيدنا عمر بن الخطاب ومع كثرة أعماله الجميلة وعدله لم يرض عن نفسه، كان يتهمها بالتقصير وهو المبشر بالجنة من قبل رسول الله صلى الله عليه و، وسيدنا محمد ﷺ وكما هو معلوم من القرآن الكريم: لا ينطق عن الهوى ومعلمه هو الله جل في علاه، والله تعالى شديد القوى، وفي تحول طراً على الرحلة وهو ليس بمنفصل عنها ولا منحي حدثاً بعيداً ونظرت إلي كأنها تعرفني، في حين أقبل إبراهيم كالبدر، لم تنل منه النار ذ الخوف من المجهول ومن الموت، والوهم والرعب والكوابيس، وآلام الظهر، والأمراض المصاحبة لكل هذا، عذاب ما بعده عذاب، في البعد عن الصلاة لا بد من توقع كل الاحتمالات، آه من هذا الألم الملم بي والمطوق كياني والمزلزل نفسي وروحي، عذاب مطبق علي ليلاً نهاراً، وحين أشكو يقولون علي معترضا، وما أنا بالمعترض أبداً، لكنني أحكي حالي وأشرح ما أنا به، فلعل في صمتي موتي وفي سكوتي خروج روعي وفي همسي منجاتي ونجاتي وفي العذاب معاناتي، والحمد لله رب العالمين، عمل تنن منه الجبال، وأثقال لا طاقة لأحد بحملها، وجهد جهيد وصبر مل منه الصبر نفسه، ولا زلت أحمل الأسد الجريح فوق ظهري وأعبر به السدود وأحطم الأغلال، لا قوت لي ولا له، نحن في البيداء والرحلة معنا، ونمر بالغبابة الموحشة حيث الحيوانات المفترسة، مللت ما أنا فيه، وبعد الملل أستعيد زمام نفسي وأملكه، لما قدر يمضي حمدان يا لغرابية هذا الزمان مرت أيام تليها أيام والغصون تتلأل والأفنان ومضى العمر ودنت الأخرى ما في هذي الحياة أمان لرائحة الأحبة كم أشتاق ويظهر الورد والرمان والشمس تشرق بعد مغيب والقمر في الدنيا يزدان فقدت البصر وصرت ضريراً وتحيطني في حقلي ألوان ولست أميزها أو حتى بصيصاً منها يرى الركبان، ثم قذفت الجوهرة من فيها فأضاءت الأخيرة ضياء تميز بالإشراق، وراحت الحية الأفعى ترى على إثر بريق ثناها وبصيص أملها، فالتقط الرحالة الجوهرة دونما يراها وبلا أدنى انتباه يذكر، فهاجمته الحية حين كان بريق الجوهرة لا يزال يخطف الأبصار، فلما خفت ضوءها تاهت وضلت الأفعى وأخذت تتخبط في زحفها، هنا انتبه الرحالة لما يحدث لها، فأصابه الذعر، ربما جن جنونها، لعلها ستميت نفسي لو حلت بي منها لدغة، إنها ذاتها التي لدغت حمادة في حقل القطن حين كانت الفلاحة الشابة تسقي الزرع "بالبدالة وهي جسم اسطواني مستطيل يحوى بداخله تجويف ملتف حلزوني يرفع المياه ويسحبها حيث فوهة الحقل ومجراه المائي الجميل وهي ذاتها التي تسمى الطمبورة" والشادوف وجدول سلمى والساقية، وألقى الموت فجأة علي ظلاله وخيم على كياني فرأيت في هجمتها الشرسة، وعاد روح الرحلة من جديد وبعث وهو يقول متسانلاً: وماذا يضيركم لو تحقق الحلم واستخرجت الكنوز لتمييز الخبيث من الطيب؟!، فمن يحب لك الخير يستمر على نهجه هذا وحببه ولو ملكت أنت الدنيا بأسرها في ذات الوقت الذي لا يملك هو من حطامها شيئاً حتى، ويبين من يطعم ويظهر سره ولو كتمه، تعبير الوجه وعلاماته تنم عن الكثير، ولغة العين لا تكذب، ما في يدك هو ملكي والعكس صحيح، ذلك كله متاح زائل هالك وكلنا هالكون زائلون، ظل حكيم

الرحلة إيهاب يعظ ويمنح الحكم والأمل، ويحلل ويفسر ومعه شريف مؤلف الرحلة وشاعرها المخضرم، يحلان كل موقف ويقفان عنده ليناولانه بعين البحث والتدقيق، حتى جن الليل عليهما وسطح القمر وبرق، وكست النجوم ساحة الفضاء الكوني وانتشرت البقع السوداء والطاقة المظلمة في الفضاء الفسيح، واستمر الشيخ إيهاب في إهداء الحكم والمواعظ وهو يقول: "ليت كل الناس يجنون الثراء ويوازنون بين متطلبات الحياة ومتطلبات الممات والآخرة، ليت العالم بأسره يضحى ذا ثراء وخير ونور وفرح، حين يحيا الناس حياة بسيطة جميلة أكون أنا سعيدا، فالقريب والغريب كلاهما من أهلي" فصفق له الجميع وأهداه الطير الزقزقة والغناء والشدو، ثم عاد من رقاده وموته روح الرحلة المسمى "أنا"، وأنا هذا شخص عجيب، أو شيء فائق الروعة، وهو روضة وبستان وحديقة وسندس وياقوت وتبر وذهب، وهو فقير وأمير وخفير وضير، وبحر ونهر ومهر وشهر ودهر، هو كل شيء وأي شيء، وهو الرحالة وقبطان وسندباد وسندريلا والتائه في أحداث الرحلة الواقعية هذه، حيث تقول تلك الروح وهذا الأنا: "نجلاء العيون أقبلت كحلم رقيق وبدر مضي، فساورني شعور يوحي بأن الحياة لا زالت بخير، وشاركتني العناد ذلك الشعور وشدت الطيور لأجلي، بل شدت وتغنت لها وأنا من ظننت أنها تشدو لي، ولربما ظلمت العصافير وتجنيت عليها وألحقت الضيم بها، الطيور تغني لنا معا، وتتبسم لكلينا، بل للكون بأسره وما حوا واحتوى، نعم أقبلت من منيت النفس والخاطر بلقائها، وعن ملامحها الرقيقة وقسماتها المتناسقة فلتكتب أيها القلم الرقيق الحني الرفيق، أطلق لذائقتك العنان ودع ماء محبرتك يتحول لشذى ورد وزهر ورقيق عطر، ولكن الرحلة تأمر آلتها الزمنية والمكانية ألا تخلي الفتى عوني لأن الله يقدر له الخير، وما عوني ببالغ الأعماق ولا بالغ الموت، ولا بمخلص نفسه من كيد الساحرة ذات البيضة البلورية والعصا السحرية والتعويذة، والشابة "أفيات" ينطق جمالها ويزغرد حسننها ويتراقص غصنها الرطيب طربا وهياما، "أففيات" تناول العجوز الساحرة الكلمة تليها شقيقتها، والركلة تدافعها أختها، حيث الساحرة تلك تحار كيف لها الفرار من "أفيات" القوية الشديدة؟!، وتتقلب آلة الزمان والمكان جامعة كل الصور والمشاهد كي تصفها جنبا إلى جنب، ففي عدسة الرحلة ومجهرها كل المشاهد تظهر متجاورة متجانسة مستأنسة، والجني يستطيل بجنبها وهو يسير معها في درب الموت ليلا بعدما غادرت بيت أبيها وودعها شقيقتها نائل بعدما استنفذ معها كل محاولات إبقائها للمبيت عنده، وما كان من شأن "أفيات" والجنان إلا أن الرعب يتملك قلبها وهو يحدثها بصوته الجهوري ويقبض على يدها وروحها، ولقد شارفت الفتاة المسكينة- التي كانت تخبز في بيت أبيها منذ برهة ضئيلة وهنيهة ليست بالبعيدة - على موت محقق ودنت من المنية فأصبحت قاب قوسين منها أو أدنى، في ذات الوقت سمع "الشيخ نمر" صياحها من منزله القريب من الحدث وكذلك زوجها "إسماعيل"، بينما كانت "شجرة الجميز" تنن وجعا عليها وتتمايل ألما، ولقد قبضت تلك الشجرة على عنق العفريت الهائل الحجم والطول بفروعها والغصون، حتى أوراقها الرقيقة فعلت، وكذا ثمار الجميز والرياح المداعبة لها، تعاطفت الطبيعة معها بإذن

من رب العالمين خالق كل شيء ومليكه، واضطربت دوامة بحر يوسف وزلزلت وثار،
وارتجت وارتجفت الكنوز أسفل دور " عزبة عبد الواحد النواره والنسر أبعادية سيف
الدين"، وصحت النسوة من غفوتها واستيقظ الأطفال والكبار، وهرعت العزبة برمتها
صوب الحدث ومصدر الصوت، هنا بالتحديد اختفى الجان وذاب وتلاشى ومعه مجموعات
الجان الأخرى الهائلة، ثم عدت لنفسي وليتني أنا من أعداء، ربما آخر يتحدث، لكن لماذا
روحي تتأثر وتحیی معهم الأحداث، ومن أنا منكم بالأساس، من أنا؟! أكاد أجن... عاد بهلول
من غيبوبته... وهذه المرة هو لا يضحك... إنه يبكي على حال هذا المسكين المسمى " أنا
الرحلة وروحها العجيبة" وانخرط يتغزل في الطبيعة وما حوله ويحكي ويسرد وينظم
ويقول:"، كم أسرت قلبي والمهجة سهام وأضاءت علي الدجى إلهام وصرت في العزبة
مرفوع الرأس مستيقظ القلب والناس نيام فوجدت الكنز في خلق ودين وتحققت لي وأتت
أحلام ونالت محاسن من خير وأمل وأنوار أطلت فحسن الكلام وأقبل أبي مبتسم الجمال
وضحكت تغني وتشدو هيام وملكة نحل تشق الفضاء فعلي وعلى الأيام سلام أنا أحياء الآن
في قبري وعملي شاهد علي وأنا الغلام حييت الحياة ومرت كبرق وإلي يزف وإليكم ونام
وفي نخل صعل رشا من تكون وصلاة تشهد وشهد الصيام وممدود يسعى ببستان نور حمادة
معه ومعه حسام وعزمي الجميل على كل فرس يسافر دوما وبان اللجام ليشهد مولد طفل
أصيل ومعنا كذلك الطفل عصام " تتدافع عليه الخواطر وتندفع وتحيط بنا وبالرحلة الرقع
وما كدت أقف حتى يقيني إذا ما استويت ينام ويقع، وظل الفتى يقول ولا يسكت، ويتفوه ولا
يصمت، ويكمل والجميع ينصت:" عشت الجنة معها وحييت في الفردوس الأعلى، ونهلت
من عسل نهر الكوثر، ما سبقت كانت ناهد، وما تلا هي والماضي والحاضر والدنيا والآخرة،
تزورني في الأحلام كل يوم وأستقبلها أنا استقبال المرحبين المسرورين، شقيت في حياتي
دونها، وها هي تعود من جديد وما كانت ذهبت من فكري وقلبي وكياني، هو فراق جسد، بيد
أن الأرواح لا تفترق، هي في اتحاد وونام ما دام الزمان وما أطلت الآخرة وما سعى المرء
واقترف حتى من ذنب أو جنا من فضيلة وود وثواب، كانت تتدافع عليه وإليه الأفكار تترى
متتالية كثرى، والزهور متفتحة وكأنها تفتحت لأجله هو، والزهور نادية بارقة ساطعة،
وبحر يوسف يهدأ حيناً وتثور أمواجه ودوامته حيناً آخر، لا تكاد تعرف ماهيته ولا ترسو
على شاطئه أبداً إلا لو تصالحت معه، إن أتصالح معك يا بحر يوسف يا م شهدت شقائي
وهنائي، ولقد تحقق الأمل لما أقبلت رشا في سحرها الأخاذ تخطف القلوب والألباب، وكان
نخل الصعل منيراً ساطعاً حيث حلت به هي، فلا بد له أن يكون كذلك، لأنها فتاة تأسر القلب
وتملك الشغاف، ضوءها أخذني وملكني، تلك الزهرة الندية والواحة الظليلة والليل الهادئ
والنهار المسفر، أحببتها حتى أنها صارت حديث نفسي ونجواها ونور عيني ومرآها، ها
نحن نطهر المصرف من الحشائش والفطريات والجراثيم، ومن ورد النيل ممتص المياه،
وخلفنا رجال يدفعوننا لعمل دفعا، ولا ترى الرحمة في وجوههم ولا قلوبهم، البسمة لا تعرف
إلى أفندتهم ولا وجوههم سبيلا، يضربوننا بالعصي، والكرابيج والصولجانات والنبال حتى،

يرون أننا مستضعفون ومساكين وأولو مسغبة شديدة مهلكة، لا يراعون فينا إلا ولا ذمة ولا ضميرا ولا ديناً حتى، نغرف الماء المتسخ وننزع الطين من باطن المصرف ونحمله فوق رؤوسنا حيث الخلاء والشاطئ القريب، فإذا بنا فجأة نعثر على الكنز، تتلأأ قطع الذهب وتبدو التماثيل وأشياء الموتى الأثرية وحاجياتهم، يجن جنونهم ويهجمون علينا في محاولة للاستيلاء على ما رزقنا الله به، هنا كما ترون يندفع الرحالة فيوقعهم واحدا يلي الآخر ويغرسهم في الطين، ويركل قاندهم فينكب الأخير على وجهه مغروسا في الطين، يضحك بهلول وعبد المهيمن وسلطان وضرغام، وتبتسم سندريلا وتظهر قسما ناهد متلألئة تبرق في جمال خاطف، نناول الثروات وأشياء الكنز والمقتنيات للفتيات والنساء، فيباغتتنا الساحر الشرير ونوارة والنسر وريمة والابن الضال وقطاع الطرق والمجرمون والجان، تكالبت الدنيا بأسرها علينا، فيسأل عبد الرحمن في لهفة: "ما العمل الآن" فيفكر العالم الجليل في فكرة، وهي تطويق المهاجمين بسياج حديدي جامع لاصق، فيحاط به الجميع بالفعل، ويتم فصل أهل الخير، ثم تتقدم آلة الزمان والمكان في صورة بساط فاطمة التي عادت بعد غياب طويل، فينقذ البساط أهل الخير، وتأكّل النار أهل الشر، عادت فاطمة فأضاء البدر وأنارت الدنيا، الرحالة لا يصدق نفسه وهو يقول، "من رحم اليأس يتولد الأمل ومن فرط جمالها حياها الغزل وقد مر العمر والليل تولى ونهار طلع وجرح يندمل" كان يتغنى محمد بما سبق، وما كان من الحمار إلا أن ركله في أنفه ومعظم وجهه، وتورم موضع الركلة في وجه المسكين، وانتفخ فحجب عنه الرؤية، فعاتب الحمار، وعاتب الحمار أيضا ابنه الجحش وزوجه الأتان، وثارت الحمير والبغال وقامت ما قعدت وركضت ما هذأت، وقرروا معاقبة الحمار بحمل أثقال من عيدان القصب من موضع وسط الحقل إلى أطرافه، وأن يكون سائقه البقوشي بجبروته وغضبه وعنفوانه، ندم الحمار كثيرا وطلب المعونة من ابنه الجحش وزوجه الأتان، فأشاروا عليه أن يعتذر لمحمد لعله يقبل العذر عن ذاك الذنب والجرم العظيم، وبهلول في كل ذلك ضاحك وساخر بعض الشيء، وطبع السخرية هذا لم يعهد عليه، هنا ظلت ملكة النحل في تحليقها الأبدي تضحك هي الأخرى، وجاء الهدهد بدواء العشب الطبي النادر، واستخرج من العشب مرهم جميل شافي بأمر الله، ويتم وضعه الآن في موضع الجرح ليشفى محمد تمام الشفاء، ثم هل وحل ذلك الشيخ الذي شهد الموقف السابق وهو يطرح فكرته ويقول: "وأنا شيخ متمكن في الرحلة أقوم للتو بفك طلاسـم الكنز المنقوشة على هذا الحجر العجيب، وكذا طلاسـم أخرى أقوم بترجمتها وتبسيطها على حجارة وأوراق وكتب ونقوش متنوعة عجيبة ومختلفة الهيئات والصور والأحجام، أتعاون مع الجان بطريقة مشروعة حلال مقصدها، ولقد نجحت كما ترون في معرفة مكان الباب المؤدي إلى المغارة ذات الكنز والمقبرة، لكن الجان الشرير يمس الجميع بألوان من الجنون، يحكم سيطرته ويتجبر ويحدث العراقل، وإنني أرى قطعاً متراسة وتماثيل ذهبية وزمردية وأخرى مصنوعة من اللؤلؤ، وأرى الملك والملكة وابنتهما وو ابنتهما، وحيوانات ووحوش على هيئات مفرعة تتقدم نحونا مهاجمة إيانا، فهب مصطفى منطلقاً صوبها لا يخشاها، وعزم

الرحالة عزم الأبطال في أن يواجهها، يا للدهشة، الوحوش تفر، ألا ترون... الفارس اللثم قد سبقنا، وقارب فاطمة ها هو، ، يا للعجب... ما لذي أتى به إلى هنا، وهذا علاء الدين بمصباحه السحري يظهر، وهذه فاطمة ذات البساط شقيقته تقف إلى جواره، رحلة العجائب والمفاجآت، ولا أدري ما الذي أوصلني إليها، كما لا أدري من الأساس من أنا، ربما حارس الكنوز أسفل عربة عبد الواحد النواره والنسر وتلك أبعادية، أبعادية سيف الدين، نعم، ، ها هو سيفها متلألئ في الأعماق المظلمة عند الغور الذي قمنا بشقه أسفل الأرض، ثم ها هي دوامة بحر يوسف تصل إلينا وهي تقلب الذهب والياقوت والتماثيل والأحجار الكريمة، تثور وتنفور، وتبر في وسط كل هذا تجاهد بصبر وأناة وتجمع الأمل مع الجامعين وتقطف السعادة برفقة القاطفين، ولطفي يتغنى سعيدا وينشد مطمنا فرحا، والشيخ داخلي والشيخ نمر يقطفان ثمرة القرآن الكريم والذكر الحكيم، ويداعبان أهل الرحلة بروح مرحة، وروضة حفني المحصنة يقاتل أهلها أهل الشرك والفجور والعصيان، والفقر المدقع يتحول لشراء كبير، والقصر الطائر لفتاة القصر ها هو في باطن الأرض ونادية تقف في شرفته ومعها الجان الطيب، وأعود لنفسي مع همس آلة الزمان والمكان لي، هي تهمس لي من عالم المجهول والغيب، أشرد وأتية برفقتها وأدخل في عوالم غريبة وأفيق وأصحو وأنس وأغفو وأصف حالي ونفسي، وأقول أنا والحق أن غيري من يقول أنا، وهو ذلك الذي يحيرنا ولا نعلم ماهيته ولا من هو بالأساس، يقول ذلك الفتى روح الرحلة: " واغرورقت بالدموع عينايا لما لبثت في فكر عميق، وأنا المقيم على العهد، أهل وجيران أراهم أمامي يحارون كل الحيرة، ويتيهون في دروب الحياة الوعرة وغاباتها القاسية الموحشة، ظللنا نغوص في الغور غوصا، وننفذ في الأرض نفاذا، نبحث عن الأمل، وليس الأمل هذا ماديا بل معنويا خالصا، صحبة وود وعشرة عمر وماض وحاضر، وانتظرتها أن تأتي وطال الانتظار، وكنت طفلا صغيرا لا أرى أمامي سواها من بعد الله، أجنى القطن وأقطف لوزته من على الغصون والفروع، تلفح نفسي شمس ويحرقها هجير بالغ القسوة، وهي شقيقتي التي تحميني من بعد الله، للتو يتجسد الحدث، الآلة الزمنية المكانية أحضرته أو وضعتني فيه، جمعت القطن بسرعة هائلة حتى أنجو من عذاب رئيس العمال المسمى بالخولي، وحتى أسلم من غدر المفتش الذي يقف لي بالمرصاد وينتظر خطأي، لا أدري ماذا فعلت به حتى يذيقني هذه الويلات، لربما مرض نفسي يؤثر عليه، ولا بد أن عقدة تلازمه منذ الصغر تؤثر عليه وعلينا، وما لنا أن نعترض على قدر ساقه اله إلينا، وربما اعترض أحدهم... وها هو يفعل، وأنا أعلمه جيدا، الاعتراض لديهم يشبع رغبتهم الدنية في كراهية الخير للناس، وربما يريد أن يميز نفسه ويضع ذاته في موقف الأفضل والأحسن، توجهه نفسه المريضة كي يسلك الدرب المعوج، لم أنجو من الخولي الجبار ولا من عصاه الممتدة نحوي، والتي يضرب بها جسدي وروحي، ونواره تنتظر إلي نظرة مشفقة حنونة لا تتسق أو تتوافق مع طبع الخشونة المميز لها، ونهج القسوة المفرطة التي تتبعه مع الخلائق، ، ونحن نعدو خلف الفراشات، والفراشات لا تخفن منا، مزرشات هن يحملن كل الألوان ويعلون الغصون

والأفنان ويحلقن برفقة العصافير والعنادل، والجان رغم ذلك لا يفرح لنا، بل يمسننا بسحر منه وضعف ووهن، لا يسره أن تكون سعداء، يطارد الفراشات ويبعدهن ويسكن أجسادنا، ولقد تم عزلنا في جزيرة نائية حسبناها جزيرة الأمل فما كانت سوى سراب ووحل علقنا به، حتى الماء التي تظهر الآن ليست مياه، هي سراب يتبعه سراب، تقدم سندباد فاستل سيفه وهو يحارب الجان، فتقدم نحوه واقترب قائد العصابة المسلحة وزعيم المخابرات المعادية، وصوب فوهة القاذف الناري صوبه، ثم ضغط الزاد والزر، فانطلقت تزغرد قاذفة موجهة صوب رأس سندباد، فقفز الرحالة من أعلى الشجرة وهو يحجب ويعترض طريقها بقوس واق من الرصاص والصلب، وهو يطير محلقا كتلك الحمامة المصاحبة ملكة النحل والحاملة كل من عقلة الإصبع وأمانى، وارتطم بالأرض حيث كان يهوي من مكان شاهق عال، صرخت سندريلا وهي تقول بدفعة عاطفية ملؤها الحنين والحسرة والألم الممتزج بالخوف والذعر والإعياء " سندباد...سندباد " وكان الفتى قد غاب عن الوجدان، في حين أن عبد الرحمن يصوب للتو لكمة موجهة لفك ذلك الطاغية فيهبشمه ويهشم فمه بالكامل، وقد التقط منه المسدس القاذف في لمحة عجيبة وفي ل من ثانية قبل أن يوجه فوهته وهو في الوضع مستلقيا صوب الرحالة ثم صوب سندباد نفسه، والعالم الجليل يضغط زرا يليه زر، وصبري الطيار الطائر يتلقى التعليمات من قبل صلاح الدين ذي الخبرة والدهاء الحربي القتالي، ثم عاد ذلك المتخبط في قوله، الظاهر لنا من عالم الجان والقوى الخفية، ومن سالف وسابق الزمان والدهور والعصور، وقد حل ومعه آلة الزمان والمكان وهي تلمم الأحداث وتحبس الأنفاس، نعم ظهر وعاد من المنية والمجهول ليقول: " وقد لمحت سيد اليوم فلقيت به الطيبة ووجدت به الأنس ورزقت برفقته الإخلاص ونعمت في صحبتته بصفاء النفس ونقاء السريرة اللذان وجدتهما فيه، ورأيتة وهو يحارب مارد الكنز ويطويه تحت جناحيه، ويوجهه لاستخراج الكنز لنا دوم مقاومة، فأوما له الجان بالموافقة، وانطلق في أسفل السافلين في ظلمات الأرض عند الغور والبنر، فهال علينا الطين الممتزج بالماء، وأطلق أتباعه وزبانيته حولنا، والناس يلومون ويوبخون كل مشارك معنا، ويتمرون على الجميع، ويأتي المساء ويحل الصبح مسفرا، ثم يقبل الضحى وتتكدب الشمس السماء ظهرا، ويزحف العصر صوبنا وتغرد طيور المساء معلنة قرب حلول الظلام، وما زلنا في كد وعمل وجهد، نكتشف الأمين والخائن والمؤتمن على الخزائن الصائن لها، ومن يحب الخير ومن يكره، ومن يدس الأخبار وينقل الحديث وينم ويغتاب ويظلم ويحقق، فما وجدت بك أيتها العزيزة عزبة عبد الواحد سوى الخير، وما التقيت وعرفت وصادفت سوى الأهل الطيبين الكرماء، ما آذوني أبدا، أنا الرحالة أتلو عليكم حديث الرواية وما الرواية مني ببعيد، وما هي برواية بقدر أننا فيها دوما وباستمرارية عجيبة، وعادل يلف البلد باحثا عن ابنته، ما تجد في عينيه سوى الطيبة وكل معاني الإخلاص، ومصطفى مشرقة بسمته لتعلن عن أمل جديد. والشيخ نمر يسير إلى جوار الشيخ داخلي يتسامران ويتلوان القرآن، فإذا ما دخلا في دعاية وانخرطا فيها تعالت الضحكات، وأنا أحبهما على أي حال، وأروي ما رأيت منهما، أو

بالأحرى ما أرى الآن، فالرواية ليست رواية والحدث يتم أمام أعيننا للتو، عجيب أمر هذا التخبط الذي أنا فيه، فلا يزال بهلول يضحك عليّ وأنا من أشفق عليه من ضحكات الناس ولومهم وعييبهم عليه، إذن أنا أقل من بهلول في القدر والمكانة، ورغم كل هذا فإني متيقن وكلي ثقة في الله عز وجل أن جل ما لم استطع إيصاله لكم قد وصل فعلياً واتصل بفكركم ووجدانكم وأطمئنت له قلوبكم، فكوني صريح في تناول العمل الأدبي موضع الحديث هذا هو عامل ذا أثر طيب، وإن ظننتم أنني لست موجود معكم فذلك ليس ظناً، فلقد قضيت كما تعلمون وتوفاني الله كما يتوفى كل الأنفس وأنتم لاحقون بي قادمون إلى عتبتي، وأنت... ألا تثق وتوقن بحديثي هذا؟! والكركرة تأخذني للتو والبسمة أراها ترسم على محياك مداعبة ثغرك، وأنت أيتها القيثارة الطروبة العازفة على وتر الحسن، لا تغترين بجمالك، فذا يوم سيزول، لكن تأكدي حينها أنك لا زلت جميلة الجميلات، أعود فأقول أن الدهر لن ينال منك، فكلما تتقدمين في العمر تزدانين بجمال أروع وبسمة ألمع وصوت كزقزقة العصافير وغناء العنادل، لا يهمني اسمك بقدر ما تشغلني خصالك، وهذا وكما تعلمين لا تزال ملكة النحل تحلق تحليقها الأبدي السرمدي في الفضاء الواسع الشاسع ومعها سندريلا والعجوز الطيبة وسيد العملاق ومصطفى والغراب والهدهد وأبو قردان والبطريق والعالم الجليل وسلمى، والكثيرون والكثيرات، وأنت في كل هذه الهالة هالة جميلة ونبته أصيلة نتجت من طين الأرض فزينت الدنيا وجملت الحقائق وزفت البشري للبساتين، وها نحن صبية وصبيات عند جدول سلمى ذي التبر نفرح ونمرح ونرفه عن أنفسنا ونزيع عن كاهلنا ما علق من هم وغم وأحزان زمن، أعود فأقول أن بهلول أعلى درجة وقدر مني، وهو أعلى مني شأنًا ومكانة، وحسام كذا هذا الفتى الأخرس الضاحك دوماً أعلى مني قدراً وأرفع شأنًا، وذلك يسعدني على أي حال، أبناء بلدي، يا أهل الرحلة بلا حدود المتشكلة المتحولة، والتي تتسع عزبة عبد الواحد تنبسط وتمتد لتشمل كل مكوناتها وعصورها، يا أهل العزبة والأبعادية والنوارة والنسر، يا كل الناس، ليتكم تقبلونني معكم، فو الله أنتم خير مني، ومنزلتكم في الجنة، وإني يا رب أخشى أن أمر حتى جانب أو بالقرب من النار، أريد عبور الصراط معكم، آه... أخشى أن تلفح وجهي النار المضرمة والتي توقدت فاصفرت واحمرت واسودت، آه أخاف، جبان أنا في حضرة الله ومعيته، وهو سيرحمني وذلك أملني به، أما الشيخ سامي فهو محبب إلى قلبي قريب من الفؤاد محبوب من كل الناس. حتى الطير والزرع والشجر وتلك البقعة من نخل الصعل المرعبة تحبه وتود رؤياه والطبيعة متعاطفة معه، وهو المصلي القائم الليل المستغفر المؤذن القارئ للقرآن والذاكر الله، لو ما أطل تجدد الأمل عندي، وإذا يبتسم وهو دائماً مبتسم راض بنصيبه، إذا ما ابتسم فرح قلبي وسر وجداني، فإذا ما دعاني للأذان أو دعا عبد القادر ذهبنا فرحين نمسك بمكبر الصوت ونهتف الله أكبر وننطق حي على الصلاة ونختم لا إله إلا الله، حتى تقدم الشيخ على ودلف من بابنا حيث الداخل وجلس إلى أريكة قديمة لدينا وراح يتلو آيات الله، وصوته العذب يجلجل، وله نفحات كأنه صوت طير مغرد هل في الصباح الباكر وترك لنا زقزقة وشقشقة، وهو لم يبرحنا ويغادرنا، يجلس ومعه

الشباب حسانيين يوزعان الحلوى على الجلوس والصبية والصبيات والأطفال والرجال والنساء، ثم يحل المغرب فيؤذن للصلاة فننطلق فرحين ونحن نردد في فرحة عارمة وسعادة منقطعة النظر " افطر يا صايم ونفصد يا صائم ع الكحك العايم ونقصد على القرص المكونة من الدقيق والنشا وهي طازجة صلبة بعض الشيء وتبل بالماء ويخلط معها ملح، ويغمسها البعض في الشاي أو الينسون "، ويسمع صوت المبدع عبد المطلب وهو يتغنى وينشد ويبدع قانلا: رمضان جانا ويقصد رمضان جاءنا، وعيسى الفتى دائم الضحكات يتنعم مع أخيه بأكل الكنافة البلدي وحلويات رمضان، وكثيرا ما تضيق اليد وتقبض عن الإسراف لضيقها عن الإنفاق وذلك لقلّة الماء، فنأكل ما تيسر لنا من رزق بسيط حامدين الله شاكرين، ولا أعلم إن كنت معهم أنا، أم أنا ماذا ومن، لا أدري نفسي ولا أعرفها، ربما أنا الذي أكتب أو يكتب غيري، وربما عقلي وفكري هما من يكتبان، وأنا بعدهما مجرد أداة جامدة، ولربما يحس القلم ولا أشعر أنا بشيء، مهمل لا ريب أنا، ذلك الفتى العجيب والكهل المسن المتهاك، أهلكني الدهر وما أنا بمن تخيلتم أنه في صورة معينة يوما، أنا خلاف كل الصور وعكس كل جميل رأيتوني متمثلا به، غير أنها لما مرت أسرت فؤادي، طرف مكحل منها مس كيان كياني وملك وجداني، إذن أنا أشعر وأحس، وربما جمالها يحرك الحجر، ويا ليتني حجر في دربها تطل عليه، أو نبتة مشرقة في خميلة السعد، هدى هي الحياة وناهد هي الأمل، وشريفة هي الجمال والأمل، ونجوى ما أروعها وما ألطف ابتسام وما أرقى رقية وأحسن أمنية، ويا لبهاء تغريد وروعة سوسن ورقة رشا وأسر ريم ورئم، وهذا يعني أنني كل الشخصيات والأشخاص، أحب وأحب، وأنظر وينظر إلي، وربما أنا لست كل هؤلاء، ليتني دوامة بحر يوسف مقلبة الذهب والتبر والياقوت والمرجان، ولماذا لا أكون على بابا وإسماعيل معه، وهما لا يتذكran كلمة سر فتح باب المغارة " رأيت الفتى سعيدا فأضحى قلبي سعيدا ومن دون أن أراه يظل حلمي بعيدا كتبت كم وحكيت فأتشدت فيه نشيدا عصفور أيك جاء فأحسن التغريدا وكنت أحيا بدون طير السماء وحيدا صف الجناح وطار فالיום بت أميرا لماذا أخشى حياتي؟! والبدر ضوى منيرا وضللت دربي لماذا؟! وما اتخذت سميرا" نعم.. استوقفتني هذا الفتى، الضحوك المرح المفوه. المشرق بالأمل، والمزدان كالروضة، على أنني أعود فتأخذني أنايتي ويستولي علي حبي لنفسي وتفضيلي لها، فمن ذا يجبر نفسي سوى نفسي!، فإذا فرحت ظننت أنني سأبقى سعيدا وفرحا إلى الأبد، ولما انتابني الحزن ظننت أنني هالك بسببه وأنه لن يبرحني ولا يخليني للبسمة أخلو بها وأنعم بإطلالتها وإحساسها ثم تظهر الآن روضة الفتى حفني وبها جدول سلمى ذي التبر، وتقف إلى جانب حفني فتاة كالبدن ناعس طرفها واسمها ناعسة، وهي للطيور والعنادل هامسة، ورحى القتال تدور فلا تغرب، ووهج الحرب مشتعل لا يخمد أبدا، سيوف ورماح وقاذفات وقنابل عنقودية وجراثومية، ومركبات فضاء مهاجمة، لقد استفحل الظلم وطغى الطاغية الظالم، وابن النواراة والنسر لا يزال على عهده من اللؤم والخبث، والعجيب أنه في حين آخر يظهر كالملاك ويحاول التوبة فيكون مصيره كمصير رشا فتاة وعروس نخل الصعل الحسناء الأسيرة، هب

الأخرى تحاول التوبة، فيحول بينها وبين تحقيق مرادها الساحر الشرير وريمة ونوارة والنسر، هناك تشابه مريب بين ابن النوارة والنسر الطاغية وتلك الفتاة رشا أميرة نخل الصعل وحاكمته بتسلط وتحكم من أنمة الشر وطواغيته المعروفين المعلومين، وعلى ذلك وهذا وما تقدم وما تأخر من أحداث، يجاهد حفني حتى يدفع تلك الغزوة المميتة عن مملكته في الروضة الجميلة وعن ملكته الجميلة حوراء الطرف ناعسة، ولا تزال دوامة بحر يوسف ثائرة ترسل المياه حيث منزل أحمد ذي الكنز والثروات الهائلة، والتابع من الجان يسمع كلام الشيخ أينما وجهه ويبلغه بوجود كنوز ودفن وركاز تسبح عليها يورة الرحلة وقلبها عزبة عبد الواحد النوارة والنسر أبغادية سيف الدين، العزبة التي ملكت الفواد فتربعت على عرشه، تلك المحبوبة لأجل أهلها، وأهلها بيت واح وعائلة واحدة، يحبون بعضهم البعض، فهنينا لهم بهذا الود المتوارث، وما قد يظهر عكس ذلك هو تعبير الظاهر فقط من الأمر، لكن عند الجد والخطر والنوازل، هم أهل متحابون، وظل حفني يجهز في جيوشه بمساعدة الملك الغضنفر خميس، وقيادة صبري الطيار الطائر لآلة الزمان والمكان، ذلك المحنك الداهية والمستفيد بخبرات صلاح الدين والذي يقود معركة حطين الآن ويهزم الصليبيين ويحرر القدس والمسجد الأقصى، ونحن معه وكل الكائنات، يا لها من رحلة جميلة، يهتف بما سبق العالم الجليل وقبطان وسندباد ومجاهدو الرحلة والجميع، ثم تتحول آلة الزمان والمكان ووجهتها لا تعلم سوى بنهاية التحول والذي لا يخلي الأحداث خلفه، فنحن الآن في عهد النبوة ونرى زينب ابنة النبي وتمر حياتها معنا ونحن برفقة أهل البيت، وتولد زينب قبل البعثة وتموت عن عمر الثلاثين عاما أو أقل، يحزن النبي عليها حزنا شديدا، ثم يبكي هذا الحاضر معنا والذي لا نعلمه، يبكي وهو يقول: "أبكي زينب والدمع يهطل فعن عيني وطرقي الغيث نازل نبكيك يا زينب يا ابنة النبي وأنا للدنيا وهمها من بعدك عائل أنا لست أعلم من أي أزمنة حلت ها هنا لكني قائل ما أنا قائله والدمع قد روي قلبي وخاطري وإنه سائل ولو مر الزمان فما يجمد وهو دمع مسكوب كثير هائل " ثم يتابع نفس الفتى العجيب ويقول في نظم مشابهة: "، ابنة الرسول واسمها زينب والطبع لديكم تالله غالب تعيبون عليها والعيوب ملوكم فعالكم والله الجميع تغضب وابنة علي اسمها زينب يا من عن سنة النبي ترغب آل البيت سلالة طهر ذكرهم على الدوم لي محبب زينب الصغرى من بيت شرف وزينب الكبرى لها أغضب تسينون إليها وجرمكم ظاهر إنني لأجلها العدو محارب " وظل بنظم على نفس النهج، أو يتصور ويتخيل أنه ينظم، واستمر في تصديق نفسه أنه شاعر، لكن تكفيه المحاولة، ويعتقد أنه روائي وقد خاب مسعاه، لكنه مثلي لا يقبل اللوم والنقد، ولم يدرس العروض، ولكني أتساءل، ماذا كان يفعل الشعراء قبلما وضع علم العروض من قبل، سؤال محير، لكني فكري البسيط الضئيل المحدود يجيب عليه، إنه الجرس الموسيقي والتناغم والحاسة البديهية الطبيعية، والتغني والإنشاد بما تنظم، وتدوق ما تسطره والتلذذ به، والفرحة العارمة بإنجاز كتابي من فئة الشعر، والرضا عن النفس، وتوفيق الله قبل كل ذلك "، ثم تاه كعادته وشرده فكره ذلك الفتى الذي اسمه كامل، وحاول تقليد الشعراء، وفي

نفس الوقت لم يحاول تقليدهم، فلا تحار من هذا التضاد والتناقض، وكن مفكرا جيدا، عاد كامل قبل أن يقع في الخطأ فما قلد أحدا، لكن ابتكر وظن أنه مبتكر، أعني أنه صدق نفسه، يا لسذاجته من فتى شاب بريء طيب، وحال النقاد أن ينتقدونه، كما تفكر الآن أنت أيها الناقد المعيب في نظره ولو كنت حتى متمكنا، مجرد سعيك لإظهار نفسك هذا عيب من وجهة نظره، ربما لو كنت ناقدا بناء لما فضحت إياه على الملأ وذلك رأيه وتلك حدود فكره، ربما فكره ضيق وخلقه سيء، الفضيحة لديك شيء عادي، والتوبيخ وإظهار العيوب بمثابة فرحة تسركم وتجبر نقصكم، ولا أنسى الطيبين منكم ولا أبخسهم حقهم والله أبدا، أنتم في القلب، دعكم مني جميعا، فإني متكبر لا أسمع النصيحة، وقد أسمعها موجوعا حزينا مثقلا بالهموم، وأكثر ما تجرحني هي الألفاظ وسيء الكلام، ثم يقول كامل والذي يطلقون عليه مؤلفا وما هو كذلك، لكنها بعض اجتهدات... يقول ويضحك بهلول لقوله ولا يقصد الأخير سخرية منه:" وإن أحسنوا وصفي فلست بكامل ولست القيم السامية بمطاول أشق الزمان بأفراح قلبي ومعني في الأرض من المعاول لأحمل فيها من ثرى الربا جميل التراب وبالمنجل أقص الحقد من خاطري وفرحي المقبل هو حاملي وعبد الباسط ابن العم في صفحة غيد المستقبل كمثله لست أرى من كان حزني لدى قلبي ينجلي حين أراه وغمي يزاح له من قلبي كما الأول حنيني وودي وكل الخير وشهد العسل من المنهل " كل كلمة يستمع إليها عبد الباسط وينصت، وهو ودود حنون، فتى جميل يفعل الخير ويكره الظلم ويمقت الضيم، رجل الرحلة الأول والمضحى بها لأجل الآخرين، طلق اللسان الذي لا يخشى في الله لومة لائم، قوي النية والشخصية، سديد الرأي حكيم ومفوه، يقتحم الأخطار ويطوي الآلام بعزم الفرسان وقوة الشجعان، فيدنون منه ذلك الحائر التائه غريب الأطوار، الفتى الغريب القريب البعيد، الحزين السعيد، بسمة الرحلة ووجلها وحزنها، الغير مدرك ما يدور حوله، والمدرك لكل ما حوله في ذات الأوان، وأنت لو تهت معي في هذه الرحلة فانت تحيي إياها بصدق، بلا حدود وأظنني المتحدث فيها الآن والمحاور والكاتب والمؤلف، مع أنني لست موهوبا ولا كاتباً ولا مؤلفاً ولا أي شيء، ولست بطلق اللسان ولا مفوها ولا أستطيع حتى الإلقاء، خائف أرتجف، معدوم الثقة في نفسي وجبان وخائن، لست أدري على أي حال من أنا، لكن المحصلة أنني غير إيجابي، ضحك بهلول وكركر من أمر غريب الأطوار هذا وضحك عبد الباسط والعالم الجليل، لكن بكت أم الرحلة لأنها تشعر به وببراءته، فيما يبكي هو ولعله أنا الذي أبكي فيقول وأقول:" وماذا سيضيرني لو أحببت للناس الخير، لا بد أنني مريض نفسي طالما لا أريد للناس جني ثمرة تعبهم وكدهم، لا بد لي أن أعيد حساباتي قبل الحمام والموت، ومن أنا حتى أحقد على الناس أو أتبع نهج النميمة والغيبة، وليتني أفرح لهم وأسر وأطرد الحقد من قلبي، وليتهم يصبحون أثرى الأثرياء، وها هو الكنز أمام عيني يتجلى في " عزبة عبد الواحد النواره والنسر أبعادية سيف الدين الغربية والشرقية والبحرية والجنوبية"، وهي المتحولة لكل صور وهيئات الرحلة والتمتدة والمنكمشة والمنغلقة على نفسها والمتوسعة الممتدة والهائلة والصغيرة والمتحولة لكل الأنهار والبحار والعيون والجداول

والروافد والحقول والجنان والبساتين والقفار والفلوات والفيافي والبيد والصحراوات والغابات والحيوانا والطيور و....و....، تلك العزبة التي ملكت علي وجداني وقلبي وفكري وخطري، أسرة الفؤاد هي لا ريب، وأنا بها كل العيب، قد لا أستحقها ولا أستحق العيش فيها، لا بد أن أحب أبناء بلدي، دعك من العائلات والتقسيمات، كلنا فرد واحد وعائلة واحدة، كم أحب وأتمنى أن أشعر بهذا، لكنني خبيث مجرم، ماذا لو استخرج الكنز، وماذا لو لم يستخرج هو والكنوز الأخرى العائمة عليها عزبة عبد الواحد، والله أهلها لدي أغلى من كنوز الدنيا بأسرها، تالله أحبهم، ومن الممكن أن أكون مدعيل لحبهم وأنا لست كذلك، ربما الموت خير لي لو كان هذا مقدرًا من قبل الله، وربما لو خرجت بعيدا وهاجرت وتركت أهلها في حالهم يصبهم الخير ويدركهم الأمل، ربما أنا حاسد حاقد لنيم، لكنني أتمنى أن أكون طيبا، وتتقدم آلة الزمان، أو لا تدري لعلها تتأخر إلى الوراء، وقد تجمع العصور كلها والأزمة والأمكنة، تعود لا أعلم، أو تعيش الحدث مع الملك فاروق ملك الرحلة، فيهتف لسان حال ذلك الذي لا أعلمه، أهو أنا أم الرحالة المتشكل المتحول، ثم إنني أنا لا أعلم من أنا، ويضحك بهلول للتو من عبارة تلك الروح العجيبة الناطقة، فيما تكمل هذه الروح الزمنية المكانية وتقول واصفة للملك: " كم قالوا عنك زير نساء أيها الجميل أشرف الشرفاء فاروق أحببتك وظلموك كثيرا نقي القلب أطيب الرفقاء الكلام كثير وعن الحقيقة اسألوا الخبير معشر النبلاء إسماعيل يس قد قالها دوما عقول الناس في سمع وإصغاء ولكن بالتحري نرى الحقيقة وتتجمل الأرض باخضرار ونماء الثمر يهل على كل فنن في كل صباح وكل مساء أحببت فتاة في عهدي الأول كالبدري هي في كبد سماء ويعكس البدر أشعة شمس وينبع منها كل صفاء ناهد اسمها وهي الأيام يا فرحة قلبي بالحسنة الورد هي في فنن الشوق وغصن الأمل في صفحة ماء " وكانت تستمع إليه منصتة، تلك الفتاة أسرة القلب مالكة اللوتين وأميرة الفؤاد غصن الياسمين، وهو يراها تطل من شرفتها فتزلزل نفسه وتعلو خفقات روحه ونبضات قلبه، يصيبه الخجل من فرط ضوء مقتلتيها، فلا يستطيع مقاومة سحر الناظرين ولا تدفق سنا الطرف المليح، ونادية فتاة القصر المسحور الطائر في شرفتها هي الأخرى تلوح للفتاة ناهد، وكذا تشير للحسنة رشا فتاة وعروس نخل الصعل السحري المائل، فيما يظهر سيد الأمير عملاق آلة الزمان والمكان ومدير محرقاتها وأسطورة الرحلة وفتاها المجاهد وهو يسمع اللوم والتوبيخ من الجاهلين: " يعيبون علي وكلهم عيوب الله عالمها وتعلمه الغيوب تنصاع لأمره فتجيء سراعا أو تأتي رويدا وكله مكتوب وقد حجبت عنا أقدار زمان ما مسنا وجل وهو المحبوب وممنوع عنا نشأتاق إليه فذاك الممنوع إلينا المرغوب أحببت فتاة في عهد شبابي إنني لو غابت شاد مغلوب أبكي على أمر ما كان لأمرني طوعا مطوعا ودمعي مسكوب " وكانت كلماته منظمة محكمة، لها وقع وجرس موسيقي، وشكوته لله رب العالمين لا لغيره، وهو يواجه التماسيح والكاننات الفضائية، ويتحدى النسر والنوارة والساحر الشرير، ويحبه العالم الجليل كثيرا، وفي الحين لتقي ذلك التائه الحائر العاشق والمعذب، الذائب في بحر الهوى المتلاطم، حين دنت الرحلة من البحر الأبيض المتوسط في

حقبة زمنية قديمة، وهو بحر يتوسط قارات آسيا وإفريقيا وأوروبا، يقول الفتى الذي لا يدري من هو مخاطبا سيدا وسامحا والجميع: " اترك كل شيء لأجله وميعاده، دع تصارييف القدر تفعل ما تشاء، وكفانا عول الهم أيها الفتى سامح، طفح الكيل وزاد، فإن قمنا بما هو مقدر علينا وأنجزنا إياه، فقد اجتزنا حد الوجل ومشينا مسرعين صوب درب الأمل " وكان سامح يستمع لكلمات حكيم الرحلة وخبير زمنها ومكانها وهو يعجب أشد العجب، ولقد سمع كلامه وأنصت ونفذ على الفور، فترك كل أمر لميقاته وكل هم لأوانه، فربما يفرج الله الهم ويزيل كربته التفكير فيه، بل والاستغراق في الإطالة فيه، الهم يقتل يا سامح، فدعنا نسعد قليلا دون انتظار حزن قادم ربما لن يأتي، وبعون الله لن يأتي، ولربما يا صديقي نلقى المنية ونسكن إلى جوار الله في جدث أو قبر، ولا تخشى القبر والجدث، أو حاول ذلك، فكفانا من الأيام ما لقينا، هو ليس اعتراضا بقدر ما هو هروب من الواقع المرير لخيال هو واقع أيضا، فما تظنه خيالا الآن يضحي واقعا غدا، وربما يضحي كذلك بعد هنيهة بسيطة وخطرة ضئيلة، وكفاك أخي أنور عول هم وأنت المستقيم على الدرب والمضحي وحامل الهم والوجل، من تتحمل الكلام والفعال، كم شقيت أخي وصبرت، أيها الفتى الشقيق الحبيب جامع القطن ومنقي وقاطف اللطعة ومتحمل كيد الخولي وخيانة المفتش وحرور الهجير، دك ممن يثيرون شجونك ويحركون أحزانك، أنا الغريب أخي ومن زودت همك هما، وأثقلت أحزانك أحزانك، وبدلا من أن أدفع في قلبك الأمل وأبث الطمأنينة، أحملك ما لا طاقة لك به، لا بد أنني مذنب وأنااني " ضحك أنور واستغرب حديث أخيه وقال له في دفعة حين: " أخي أنت وشقيق روحي، همك همي وما يغضبك يغضبني، وكانت ملكة النحل تسمع وتنصت لحديثهما فتبكي وتبكي إثرها الكائنات، وعوني يطلب العون من لدن رب العالمين، وجدتي أفيات تضرب الساحرة العجوز بالعصا المسماة الدبرك، يا لها من مطاردة مضحكة، على أننا نحب الآباء والأمهات ونصون لهم العهد ونحمل لهم الجميل، وهم قرة الأعين، نبرهما ونحسن إليهم، جيلنا تربى على الوفاء والصدق ورد الجميل، ولن نستطيع رد الجميل لآبائنا وأمهاتنا، مهما حاولنا مرارا وتكرارا، وكان سندباد في خضم كل هذا يطير كالفراشة والفهد ويلكم هذا ويركل ذاك، يطار العصابة المسلحة والمهاجمين في عرض الطريق ويدفع الأذى عن سندريلا وباقي الكائنات وو قبطان يقود كتيبة الإعدام الذي هو قائدها ومقودها في ذات الوقت والآن، فقبطان متواضع ذو خبرة عالية كبيرة ومهارات قتالية منقطعة النظير، جسمه رياضي متناسق كمثّل جسم أنور مفتول العضلات وسيم الرحلة، ومع أنور عيسى ولطفي وموسى ومحمود ومعتز ووهيدي، واللؤلؤ بصحبة الرفاق لا يزال يستخرج المز، والمز سمك عجيب الشكل يصطاده أشرف بمهارة فائقة، حتى قربت عبير ودنت من منظر الرحلة العملاق، وتجلت فيه رقيقة حنونة طيبة و.. نعم.. هي كالفراشة الرقيقة تلك الفتاة عبير وبجوارها رشا فتاة وعروس نخل الصعل، تمر عبير فكأنما العبير مر وذاع وانتشر، وتقبل ساحرة الطرف شريفة ومعها حنان مشرقة القسمات مضيئة الوجه، فتيات الرحلة أقبلن وأقبلت معهن سحر وسلوى وجيهان وذوات ونادية وفاطمة ذات البساط وشقيقته أمل، ثم

يعبر الدرب رفاق العمر وعنوان الأمل وابتسامة الأيام، محسن ونادر وعبد الغفار ونشأت، واللؤلؤ أشرف وحامد الجميل وخضراوي وشداد، ويرى الجميع محمداً وهو في حقل الوسية يعاند نواره ويواجهها، حيث الأخيرة تعامل الفلاحين والعمال الذين يعملون في أرضها، تعاملهم بمنتهى القسوة والجبروت، وتبر في كل هذا قوية المراس شديدة على الباطل مناصرة للحق، توقع النسر من فوق جواده وتواجه الحرس والجنود بشجاعة تحسد عليها وبصبر وأناة، فيتقدم محمد صوب النواره والساحر الشرير وريمة ويتحدث معهم بطلاقة لسان وقوة شخصية وشكيمة، عضده صلب مرن في ذات الوقت، وأنور ينصح رشا بمحاولة التخلص من سحر السحرة التابعين لفرعون، هنالك عند نخل الصعل ولدى النخل الكومي الحكاية والرواية، ودوامة بحر يوسف تقلب الدر والذهب والتبر، تختلج وتضطرم وتموج وتثور وتدفع بالخيرات صوب روضة حفني والفتاة ناعسة كحيلة الطرف أسرة قلب حفني وابنة النواره والنسر وشقيقة الابن الضال، فيما نبحت عن الدر باستخدام معاول وفؤوس وقدومة، والقدومة فأس صغير نفحت به وننحت ونحفر، ونعزق بها الأرض، ثم ها هو جرن الوزارة يضم المحاصيل من قمح وبصل وفول ومنتجات زراعية، والشمس تصب غضبها، وبهلول يستهزئ به فيصبر، وربما يضحك لا عن ضعف، ولكن لسفاهة من حوله وظنهم به القلة وعدم علو الشأن، وهو الذي بينه وبين ربه الخير، دائم المحافظة على الصلوات، يحبه ضرغام وسليمان ومحمد، وعلاء وحسين يتمرغان ومعهما حسن في حقل عزبة عبد الواحد عند المصرف العذب، والترعة الكبيرة العذبة عند ترعة كبكب وقريبة منها، ولا يزال الرجل المجرم صاحب الحقل يهاجم الأطفال الذين يحصدون ما تبقى من أعواد الحصاد كي يحصلون على لقمة عيشهم وإقامة أودهم واستقامة عودهم وسد عوزهم ببعض العيش حتى ومعه المش والجبن، فإذا حصلنا على الجبن والمش انطلقا فرحين مهللين وسط الحشائش نزرعد ونغني وحولنا العصافير كما ترون تسافر معنا مغنية مهنة لنا، وأبو العقيص تلك النملة العملاقة يقرصنا فنتعلم العوم والسباحة، وها نحن نجني القطن والذهب الأبيض من فوق الأرض وتحتها، يؤلمنا ضرب نادر المهندس لها وصفع عبد الرحمن وجبروت النواره والنسر والساحر الشرير وريمة ثم يظهر عبد الباسط وهو مع الشاب عبد المجيد حيث يجدفان بمجدافي مركب فاطمة ذات البساط والرحالة، وهو ذاته القارب الصغير والمركبة الفضائية وبحر يوسف وكل شيء، يجدفان ومعهم الفتى عبد المهيمن وهو يجمع الناس للذهاب إلى المزرعة عند الوزارة. نعم وزارة الزراعة وتلك البقعة هائلة الاتساع من الأرض الخضراء، لكنما الشمس تلفح الرقاب والوجوه، وتغلي من حرارتها الأجسام، وحسن الخولي رئيس العمال تارة يضحك، وتارة أخرى يصب جام غضبه علينا، عصاه توجعنا وفظاظته تدك أرواحنا وتهبط عزائمننا، لكنها لا تهبطها إلى الأبد، فلا نجد إلا أن نشور، وعاطف الرئيس الأعلى ومعهم اسخرون والكثيرون يحاولون النيل منا وتسخيرنا كعبيد للقاسية نواره والظالم النسر، ويحاولون إخضاعنا لجبروت الساحر الشرير وتسلبت الساحرة العجوز، فلا يفلاح كيدهم جميعا، ويتقدم شداد مع الرجل العملاق وشباب الرحلة والمغامرون

والمجاهدون، وتقوم معركة فلا تقعد، وعبد الباسط يعود ويظهر كما قلنا وهو يقول في نفس المشهد الجامع لشنتى مشاهد الرحلة بلا حدود: " ألملم الشتات بعض الشيء وأحب الجميع، ووطني الكون وما أبعد، أنا عبد الباسط، الشاب البسيط عميق الخبرة واسع التجارب، رسمت لنفسى خطا فسرت عليه، أظنني الأفضل لكنما دون تعالى، ما تمنيت لكم جميعا سوى الخير " كان يستمع إليه منصطا "أشرف اللول" في ذات الوقت الذي يستطيل فيه العفريت الجان يطول ويطول ويتوغل في الفضاء أمام ناظريها وهو يسلم عليها ويحاول شل حركة الفتاة الجميلة وزهرة البستان "أفينت"، قيثارة الرحلة وآلة زمانها ومكاتها، ثم يظهر هذا والذي ربما يكون أنا، حيث أطيّر وسط الحقوق وأعلاها، شيء ما يقودني كما تقود الرياح النقشة التي لا حول لها ولا قوة، يدفعني بقوة متسلطة والله كالرياح، يذهب بي حيث مواجهة الكوايبس والجان، أحاول النجاة منه، لكن لسان حاله يقول لي: " هيهات هيهات "، رعب مميت دفين ينطلق من أنفاسه كلهيب جهنم وهي تشعل مضطربة متقلبة حتى لى نفسها، فإذا ما علوت سيقان وأوراق الروضة العجيبة والحقل المضيء المشرق، كان لي بالمرصاد أعداء ينتظرون سقوطي، وها أنا أسقط، فهل فرحتم الآن، ارتاحت ضمائرکم، فماذا جنيتم وما مكسبكم من خسارتي وهبوطي وهزيمتي،...يبكي الجميع عليه وربما علي أنا، فأنا على ما يبدو هو، ثم إنني أرى أُمي مستيقظة صاحبة، نسمة رقيقة جميلة، وأرى ابنتها فتاة القصر تنادي عليها وعلي وهي تقف في شرفتها الذهبية المرصعة، وأسفل منها يستقر الكنز، وأعوان من الجان هنالك يتعاملون مع البشر، فهم خدم لهم يأتون بالأخبار وأوصاف الكنوز والركاز والدفين أسفل الطبقات الرقيقة والغليظة من التربة الطاهرة لعزبة عبد الواحد النواره والنسر أبعادية سيف الدين الغربية والشرقية والبحرية والجنوبية والعلوية. فهي كل شيء جميل، استمر في الكابوس يلاحقني الجان ويلحقني، ثم ها أنا أجد الرفاق، فمعتز معي واللؤلؤ أشرف ووهيدي وجمال وإسماعيل ومحمود وصقر وسجيع الشجاع الشجاع، مقصودة تلك الأخطاء اللغوية لأنها واقع حال لا مهرب منه، وقد اعتادها الجميع وتعود عليها، إلا أن اللغة العربية المكتوبة والمنطوقة بشكل صحيح لها رونقها وجمالها الأخاذ، ولا يزال قارون حولنا يأمر الرجال بحمل مفاتيح كنوزه فتنوء بهم، ويتقدم الرجل العملاق ومعه من أشباهه الكثير فيحملون المفاتيح والمفاتيح، ويظهر في نفس المشهد الجامع لكل المشاهد عوني الفتى الجميل، طالب للعون من الله تعالى، لا زال يلقي مصيره في خضم موجات بحر يوسف العظيم هائل الاتساع، ومعه عبد الباسط، والأخير صبور شكور، حلو الخلق والخلفة، رجل صلد في مواجهة الباطل ودره ومؤازرة الحق والسعي إليه، لا يخشى في الله لومة لائم، يواجه المسحور والكائنات المائية بعزيمة الفرسان وإرادة الأبطال، مغامر داهية ومفكر متزن النفس، عبقرى ونقي السريرة، على أن الساحرة ذات العصا والبيضة البلورية الذهبية والتعويدة السحرية لا تبرحهما على أي حال، والجدّة أفينت لا تتركها أو تخليها، تسبح إثرها ممسكة بعصا غليظة اسمها الدبرك، تضربها بها فتوجعها، وها هي الساحرة تتلوى من فرط الألم، وأفينت مستمرة في ملاحظتها في مشهد مضحك

وعلى عكس طبيعة الموقف، حيث الجميع في محاولات متلاحقة حثيثة لإطلاق سراح عوني الجميل الباسم، فهو شاب ترتاح له النفس ويطمئن خاطر بمجرد النظر إليه، قسماته متناسقة بريئة مثل قلبه الصافي النقي، وهنا يحاول عبد الباسط سحب عوني من يد العجوز الساحرة فلا يقدر، وبالرغم من الضربات المتلاحقة من قبل الشابة أفينت، فلا تخلي الساحرة عوني ولا تتركه، لأن الأخيرة تعلم أنها لو تركته فنجأ ففي ذلك نهايتها وهلاكها، وأنا معهم في هذه المغامرة، مع أنني لست أعلم من أنا، ربما قلب ينبض أو رحالة متشكل متحول على حسب كل عصر وموقف، وربما كنت عماد الدين وعصام الدين، لكنني لست قارون هذا صاحب الملك العظيم والذي يظن أنه صاحب الفضل فيه، ذلك الكيميائي المختال بعلمه، والذي يخلط الزئبق الأحمر بذلك الأبيض مع بعض التفاعلات والتحولات الكيميائية فيستخرج الذهب للتو، ولا عجب في ذلك حيث نحن للتو في عزبة عبد الواحد النواره والنسر أبعادية سيف الدين الغربية، وكلها مسميات متساوية تعني الحبيبة عزبة عبد الواحد، الجميلة العائمة فوق أمواج ذهب ودر وزبرجد وياقوت ومرجان، والسر كل السر في دوامة بحر يوسف العجيبة، هي أماكن تأسر فؤاد الرحالة الملازم لكل حدث، صديق ملكة النحل وأبي قردان وأبي فصادة والقلق والذي هو ذاته طائر أبي العنز.. هدف المغامر عزمي والذي يطمح لصيده وهو لا يعلم أنه طائر الرحلة العملاق الطيب، ولما انتبه عزمي لذلك ضحك وتضاحك وتراجع عن عزمه، ومضى في دربه قاطعا المسافة بين النخل الصغير ونخل الكومي في لحظة وجيزة، وطرفة عين رقيقة سريعة، عدت إلى نفسي بعض العودة ورحلت أقول وهمست أشدو: "ألقتها من وحي فكر واجتهاد لا الفضل لي لكنما رب العباد أعطاني عقلا كلما قصد السبيل عليه ينعم بالهدى وبالرشاد وهداني دوما ما الفؤاد رجا يريد وجل المحبة والعناية والوداد ". وكنت أمر بين المروج والبساتين وبرفتي أشرف اللول وخضراوي ومعتز ومحمود، وشداد معنا يسابق الزمان فيسبقه بهمة عالية، وتمرر الكرة من قبل وهيدي لكل فرد من الجمع المذكور، وهي الساحرة التي تحس أنها تحاوره، ثم يقذف بها صوب عبد الرحمن والذي يستلمها بدوره في حرفة بالغة ومهارة قلما تجد لها مثيلا، ينطلق فريق الأحلام في الرحلة بلا حدود، والفريق ذاك هو آلة الزمان والمكان هذه اللحظة، مهارات لاعبيه تبهر من يرى، أنا معهم أتية بين تلك المهارات، ولو حاولت لملمة نفسي وضبط اتزاني ربما أحتاج عقودا من الصبر والأمل، وليت الأمل يتحقق، فريق الأحلام هو عمري وهو المتزعم كل مخاطرة وسباق، بل هو السباق للنصر والتضحية، ثم يرفع عبد الرحمن الكرة فيستلمها أحمد بمهارة الكبار ويهبها لأشرف الذي يراوغ حتى نفسه، ويداعبها ويلاعبها مرسلا إياها كعصفورة حاملة تغني وتغرد، وصبري يعجب لما يرى من مهارات فاقت الوصف ولمست شغاف القلب حبا وهياما لتلك الساحرة المستديرة، يترك عجلة القيادة للآلة الزمكانية، فتخلق هي من تلقاء نفسها وتغوص وتنقب، ويعجب لاندعاش صبري هذا روح الرحلة المدعو أنا، فيكتب ويبدع في وصفه ويقول: " صبري الطيار لطائر في دنيا تمضي نادر من بسمة فيه الإشراف وتباعد جرح غائر عن قلبه غار لدى الغور قد

ذاب وإنه مبحر وتبدل حاله للفرح فالفرح بجنبه مبهر تواق يعشق ويجول ويصول وطرفه مبصر مع آلة زمن قد سار ومكان فيها يحضر له روح مثل النسيمات يخطر بالوادي وسائر وبيده اللامع والماضي سيف بيمينه يشهر ووصلنا لغاب الأيام وحش بربيعها ظاهر لكنه غرد ويغني فالباطن منه الظاهر اعتاد المشكل والخطر لم يثن مضيه غادر لم ألمح مثله بحياتي يشتاقي الليل وساهر بالرحلة معنا أنوار موج الأحلام الهادر مصباح السعد من النور والنيل بحقلها زاهر عصفور الأيك لكم طار وعصيب يبدو سيكسر الأسد تفر إذا ظهر يتمنى قدومه خاطر هو زرع الحسن إذ اشتاق للقلب ونبضه أسر أن يروى من ماء النيل والنيل بشطه ساهر ورواه بدمع وأنين ورعاه الله القادر النيل صديقه والخطر والورد لعطره ناثر النور بصفحه آيات هو كم للنور الناشر رحالة ليل لاو نهار هزم الأعداء وقاهر بفضاء الأمل سيحملنا مكوك الأمل ويخطر لنا فيه عظيم مجرات تسبح في الدنيا تأسر زمان ضم معيشتنا والصبح المسفر نير في الرحلة أنور قد بان هل يوجد مثله أنور النور وبدر الأيام لا أبين منه وأظهر ونقي القلب وأقمار وصفى خاطر طاهر وجميل الهيئة أزهار والصبح النادي المسفر بها حفصة سلمى وسعاد والحاكم فيها الأمر عبد الرحمن مع طه والشر يكال ويمطر وجبيني تصيب بالعرق أنا من بحياته يبحر الذنب الغادر عاداني لي جاء يهدد ينذر لفتته درسا لن ينسى ما زال قلبي العامر ضحكت فاشتقت لضحكته أنا ابن النيل الأسمر أشتاق لضحكة كروان وهي الكروان يكركر وجوادي الأبحر راحلتي حياني فيها الأبحر وحببيتي آه من طرف لها كم أشتاق ويأسر قلبي وكياني وأحلامي والحقل يطل وأخضر وببحرك يوسف مشتاق من آلة زمن ينظر ومكانا زاره في حلم للواقع منه معاصر ثم تتيه روح الرحالة ولا يعلم سر هذا التحول العجيب الذي ينقله إلى الزمان ويجلب الزمان له، وها هو في عصور متغيرة متغيرة مختلطة ومتمايزة مميزة، يجني الأمل من حقل السعادة ويستحضر التاريخ من محطات الزمان والمكان، ولا يطاوعه قلبه في قطف ثمرة الود، حيث لا يريد للود هلاكا ولا لورد ذبولا وموتا، يجد نفسه ذلك الفتى العجيب برفقة ابن بطوطة، ويعثر على الحرق الجميل يليه شقيقه، إذ الحروف طوع أمره، فلم لا ينظم للتو، نعم هو ينظم ويستعين بالله ثم بالفراهيدي كي يعلمه الستة عشر بحرا من أبحر وبحور وحور عين الشعر، ومعه تلميذ آخر يود أن ينهل من مناهل وعذب ماء العالم الكبير مخترع علم العروض، والتلميذ هذا هو سيبويه،، يمرون جميعا بسوق النحاسين، ذلك السوق الذي فيه كل يدق على إنائه، لكن هذا المميز يدق بطريقة منتظمة طروبة شيقة تلفت سمع وانتباه ونظر الفراهيدي، يعدو الأخير بسرعة لبيته ونحن معه، يجرب سماع الأصوات المتناغمة ويكتب ويصور ويضع علم العروض، وعليك لو أردت تعلمه أن تستمع وتستمتع وتنصت وتطرب كي لا تنساه، وها نحن نفعل والكائنات....يا للروعة، حتى عقلة الإصبع وأماني والعالم الجليل وسعفان وحنا وميخائيل وآخرون يفعلون، يا لها من رحلة شيقة ممتعة؟!، يعود الفتى العجيب الغريب...يعود ينشد ويقول:" يا بن بطوطة أنت رحالة وأنا رحالة صالا وجالا أعجبت منك يا زاد الأمل وسألقي عليك مني سؤالا هل جبت عمرك كل البلاد تهوى التنقل والترحالا؟! "

ولمن تلاك في الزمن حتى ما كنت تترك له مجالا " فأعجب من قائل الأبيات، وظل يضحك
مكررا ما شاء له القدر، وكان يجوب كل البلدان حيث انطلق من مسقط رأسه من طنجة
المغرب متجها صوب مكة للحج، وها هو يسافر والرحالة معه وكل الكائنات، يملي على
كاتبه ما يراه بصدق وأمانة، يهوي الترحال كثيرا هذا المعجزة الداهية المغامر المؤرخ
والقاضي الجميل، يمر بكل البلدان، يتجاوز السبعين ألف ميل في رحلاته المستمرة حتى
الآن، نعم، يعبر حد المائة وعشرين ألف كيلو متر، يمر بالجزائر وتونس والمغرب
والصومال والسودان وغيرها وغيرها، يزور الأهرامات ويصفها ونحن نستمتع له، ويقول
ابن بطوطة مدونا كلماته عن طريق كاتبه: الأهرامات أبنية من حجر صلد متسع أسفله ضيق
عاليه يشبه المخروط، ولا يعلم كيف بناها الفراعنة وأبدعوا هكذا " خوfo وخفرع ومنقرع
معجزات جميلة نادرة، وأبو الهول يشاركنا معها الرحلة بلا حدود، ثم تهتف فجأة أرواح
الرحلة فتقول روح منها لا أعلم إن كانت لي أو لك أو لشخص نجهله، ربما الهتاف هذا
لروح جن أو لجماد نطق وهو مدفوع بسحر جن، ولربما نبات ينبض ويشعر هو من تحدث
ويتحدث للتو، حيث قال الهاتف العجيب: " ولقد أسندت ظهري إلى حائط بستان، وتذكرت ما
كان مع رسول الله ﷺ من أمر وهم، حين أخرجوه مضروبا مهانا معتدى عليه، فاستراح إلى
حائط بستان والآلام تشد عليه وتتعبه، وما كان من أمره ومن أمر شيبه وعتبة وعديس،
والرحمة والترفق بحاله، ولم أتم حبل فكري ولم أربط مجريات أموري وأعقلها حتى قدم من
قدم وها هم يفعلون، يتنكرون لي ويتهمونني بالسارق، كنت أستريح من وعشاء السفر وكآبة
المنظر وغبار الدرب الوعر، وأستظل من حرور الهجير وشمس لا تلين ولا تخبو، شتان
الفرق بين زمنك وزمننا حبيبي يا رسول الله، وربما أكون أنا من أكتب، أو يكتب السطر
نفسه ببنانه هو ليس إلا، ويقولون أن جانا يلزم ابن آدم يبحث وينقب ويخبره بأشياء
مستقبلية، وها هو ينبني بمكان الكنز والأشياء الثمينة الغالية، يغوص في الأرض والبحار
ثم يصعد إليء بالتفاصيل والخبر اليقين، جان مسلم هو يرشدني للخير، وها هو يفعل ومعه
رفاق كثر، يصلون ويسجدون ويقرءون القرآن ويشهدون بوحداية الله، ويشهدون أن
سيدنا محمدا عبده ورسوله، ويعترفون بالرسول جميعهم آدم وابنه وإدريس ويحيى وسليمان
ويوسف وعيسى وموسى، وها هم جميعهم معنا بالرحلة بلا حدود، رحلة ممتعة وكلنا بها،
وبها سيدنا محمد ﷺ وسيدنا عمر وعثمان وأبو بكر الصديق، وبها أرسطو والرازي والفرزدق
وأبو قراط وشمبليون ونابليون وبطليموس وجرجس وحنا وميكائيل وميخائيل، وكوثر
وحمادة وهدى....و....و بها كل وأي شيء فلا تعجبوا، وإن تهت مني الآن فأنت بالرحلة،
لكن عد إلى عقلك ورشدك...عد بسرعة قبل الغرغرة وفوت الأوان، ثم نلتقي نرجس
والجميع، فيطرب لها ذلك الفتى ويولع بها هياما عفيفا فيقول:، " في الرحلة القيثاره الفتاة
نرجس على لحنها الشجي أغني أهمس وكأني من دونها معدم أنا لا أشتم العبير ولا أنتفس
رأيت الروابي لو حلت بها غصونها الجميلة تشدو وترقص وطرفي كالحلم قد هام وسما وفي
بحرك يوسف يغوص ويغمس فتاة أحببتها من أول وهلة وخلفها تالله أركض وألهث لم ألق

كرامتي في نهر ودها لكنه حلمي قد حل ينعس في أيك روضها والروض ساهر على ضوء القمر وفيه المتنفس " نفس الروح لي وله، ذاك الشاب الجميل شريف الشاعر الأديب، ومعه الحبيب الباسم ساهم الطرف جميل الروح إيهاب، حكيم الرحلة وفيلسوفها، وهما معي يؤنسائي، ولا تسألوني من أنا، قد أكون لا شيء بالرحلة، أو هذا هو أنا بالتحديد، ومعى الجميل محمود الذي في بسمته يتجدد الأمل، ومن طيبة قلبه آيات حسان يسعدن السامع، وفي مقتلتيه براءة ظاهرة وحسن نادر، على أن تحول وجه الرحلة للثو لا يترك الأحداث خلفه، بل هو متواصل أصيل معها، وهو ظل ظليل وليل كحيل، أما هذا الذي لا أذكر اسمه، فسأتذكره حيناً آخر، لكن صفاته لا تغيب عني، وهو باسم أيضاً وحبيب القلب، إذن الود ليس بالأسماء ولكنه بالطباع والأثر، فإن ترك المرء في قلبك أثراً فكفى به، ليس الاسم ما يبقى، لكن طباع وسلوك ونهج صاحب الاسم، ولقد قبرت الآن ودخلت مثواي أو مأواي، وهم يحملونني على خشبة ويغسلونني، ترفقوا بي واقروا القرآن لا تعترضون على موتي، بل دعوا دموع الفراق الرقيقة تقوم بدورها في حنين وشفقة ودعاء، ولا تقيموا لي سرادقا وعزاء تجعلونه في عرض الطريق، ولو صنعت لي سبيل ماء كان صدقة على روحي، أنا الآن بالأحداث والقبور، يحاسبونني بأمر من الله، ادعوا لي بالثبات والرد على الأسئلة بثقة، الإسلام ديني وسيدنا محمد رسولي الذي بعث في وفي العالمين، واسمي كما تعلمون، ربما أنا غير هذا الذي تعتقدون أنه هو، وربما أنا أنتم، وأنت يا من تتيه بين حروفي وكلماتي، هذا إن كنت أنا أعد شاعرا وأديبا ومؤلفا من الأساس، أنا لست بشاعر ولا مؤلف ولا أديب ولا أي شيء، ربما أنا رياح وروضة وربيع وخريف، وربما مفاجأة مدوية، مذنب عاص أنا بالتأكيد، لكن الله غفور رحيم، ولكن بعدها اسم منصوب وخبرها مرفوع، وللتو تظهر الفتاة فتة وجمع غفير من الناس، وتتجلى الفتاة عطوفة شقيقة فتة، وهما في نهر الكوثر تسبحان وفي الجنة تنتعمان. أين أنت شقيقتي؟! جملة تفوهت بها فتة وهي تنادي شقيقتها وأماها كذا تنادي عليها. التفتت الأم من موضع الروضة الجميلة والبستان المعروش بأشجار العنب، ودودة القر تنتج حريرها، والشمس تتعاند على الرؤوس، لكن ظللا قادمة من جزيرة الأمل تظلل الجميع. _ أنا هنا شقيقتي... _ ها أنا ذا ابنتي وبنيتي، والشباب حسانين يبكي من مرارة الحرمان، ذويه يلقون مصيرهم بصبر وأناة، وهو الفتى الجميل الصبور، تعلم من الحياة الكثير، وخبراته فاقت خبرات وعلوم العلماء، الحياة خير معلم. ولا تزال فتة تكرر وتضحك وتسعدنا بجمال روحها وطيبة قلبها، ثم تصرخ فجأة وبغفوية المفارق للرحلة فراقا وقتينا مؤقتا، نعم...سفر بسيط عبر الأدغال والأحراش تختبر من خلاله، وها هي تختبر فتنج، صبرها فاق كل صبر، وحسنها تعدى كل جمال وحسن و، هي الشمس حين نحتاج الدفيء، والبدر مكتمل الضوء حين نريد أن نبصر الجمال، فقلت لها: _ فتة الجميلة، مسافر أنا عبر الزمان في رحلة بلا حدود، وأنت معي. قالت خذني معك، وناد أوركي يذهب معنا، ونحن وإن لم نسافر فبالرحلة نستقر ونحيا، والكون كله بالرحلة. تبسمت أم الرحلة واحتضنت الفتاة الرقيقة فتة، ودنت منها رائحة الحسن دلال، فشرعت في إضحакها ورسم البسمة على

ثغرها، ثم تقدم مصطفى ببسمته البريئة وحيا الجميع وصافح سندباد والرحالة،.. وهنا ظهر صيري الطيار الطائر ومعه عبد الرحمن والرحالة وهم يطاردون الوحوش، فلا الوحوش تطاردهم ولا الأيام تسبقهم، يدفعون الخطر عن الرحلة ومعهم قبطان والجيش المحاربة بقيادة الملك الغضنفر خميس، وفتى الرحلة القوي المحارب صاحب كلمة الحق عبد الباسط، ومدحت الجميل المبتسم الذكي والفارس المغوار، وحسن وهو يذهب للقالوح برفقة كامل وعبد الرحمن واللؤلؤ وشباب النواراة والنسر عزبة عبد الواحد رمانة ميزان آلة الزمان والمكان والنبض الطيب الجميل الخفاق، ومنبع دوامة بحر يوسف والمتقلبة عبر العصر والأمكنة، ذات البساتين والقفار والفلوات والخضرة والحسن والجمال، ثم تقلبت الآلة كما يتقلب الزمان والمكان، فلما استعاد الأسد معها عافيته والتقط أنفاسه وعاد من الغرغرة حيث الحياة ودبيب الأنفاس، هاج وماج وثار على الجميع، إلا على هذا الذي ظل يحمله وقتا طويلا، والذي تحمل وزنه وثقله كل هذا الزمن، عاد الأسد ليثار من الجميع إلا هو، كشر عن أنيابه وهب ودب وركض وأثار النقع، وكان بصفحة الحدث أو هم كما ترون، خضراوي وشداد ونميري ومجد وعامر وقذافي وإسحاق وبنيمين وأبو اليمين وموسى وعيسى ومريم وأيوب والحوت والملك الغضنفر وقائد آلة الزمان والمكان المحنك صيري الطيار الطائر والرحالة وقبطان والعالم الجليل وملكة النحل وسندباد وسندريلا والملك الغضنفر خميس وأمير الزمان وفارس الربا وشهريار وشهرزاد وملك الجان وملك الموت والقبور والأجداث وملك الرياح والملائكة والشياطين والحشرات والأنعام والدواب والطيور والحيوانات و.....و... والكثير الكثير، وكانت الغابة تعج بصنوف لا حصر لها من الحيوانات المفترسة والكائنات الفضائية، وتبر الرائحة المستبسلة تصارع تماسيح بحيرة التماسيح ونهر الموت وهما ذاتهما وأكثر بحر يوسف ذي الدوامة مخرجة الذهب والياقوت والمرجان والدر " قد غاب عني وعن سنا الوجدان البلبل الفرخان لما رأي وعفريت ليل في الدجى ينساب وأفئنت تدنو في صفحة لحسان بنهر نيل كم عشقت رباة وحسن صديقي في حاضر وزمان وقد استرحنا عند ظل نخيل والوحش أقبل دارس العنوان خلانا جحش ثم صار بعيدا ما راعى يوما رحمة بأتان " وتوقف روح الرحلة ذاك وهو يشرح ويفسر ما يراه للتو، ذلك حين استراح الفتى حسن وصديقه كامل وها هما يفعلان للتو، ألا ترون؟!، نعم، يستريحان تحت ظل نخلة جميلة دائمة الإثمار مائلة في نخل الصعل، بعدما أضناهما الحمل الرهيب الذي كانا يحملانه، بل كل منهما يحمل حملا من قالوح قصب أخضر قد أمضيا في جمعه وقتا كبيرا، وقطعا شوطا هائلا من المعاناة، ولما رأي واكتشف صاحب الحقل أن أحدهم سرق القصب وخبأه في وسط حمل القالوح الأخضر، ظن أن كاملا وحسنا هما من سرقاه، وذلك ما لم يكن، فرفع عصاه ولوح بها، وقبلما يضرب بها مجد صديقهما ويضربهما، كان حسن قد قيده في الحبال التي يشد بها القالوح ويربطه، ثم أوقعوه على ظهره، وحملوا الحمل وأسرعوا به، ولما رأى الجحش هذه المعركة ركض بسرعة وهرول هاربا صوب المنزل في العزبة الجميلة ذات الذهب والخيرات، عزبة عبد الواحد النواراة والنسر، حبيبة القلب، والتي أحبها

من شغاف قلبي قبل الذهب والياقوت وكنوز الدنيا، أحبها لذاتها لثراها لنعيمها لظلالها لناسها لأهلها، بل أعشقها، ولقد رزقني الله الإلهام فكتبت عنها منذ نعومة أظفاري وتوقعت أنها أثرية غير عادية، وبها ذهب وياقوت وأدوات قيمة وكنوز وخيرات ومسررات، وأهلها عندي أغلى من الكنوز، ظل الفتى يتحدث عن بلدته ويغازلها حتى أصبح الصباح وأسفر الصبح وأضاء الكون، وأهلها متحابون خيرون، يحاربون عدوهم الذي ينوي السيطرة على النوارة والنسر عزبة عبد الواحد، هو محتل غاشم لعين جاثم فوق صدورنا، وقد آن لنا إزاحته، هو الساحر الشرير والنسر ونوارة وريمة العجوز اللنيمة وابن النوارة والنسر وآخرون كثر وأخريات كثيرات، نعم،، كان قد هرب الجحش ابن الأتان والحمار، ولكنه لم يقصد تركنا في هذا المكان الموحش، المحصلة أنه تركهم وتركنا على أي حال وإن لم يقصد أو كان قاصدا ومبيتا النية، وخلصنا نواجه مصيرنا جميعا، وتقلب الزمن وتغير في مشهد آلة الزمان والمكان، ووصلت الآلة الزمكانية العجيبة حيث مكان الدر والتبر والآثار الفرعونية وغيرها، وكان البئر عميقا بما يكفي، وهو بالفعل بئر يخرج الماء وغور عجيب، ظللنا نحفر ونزيع ونخرج الأتربة والطين لم نكل ولم نمل، والأعداء يتربصون لنا، وكما تعلمون، ذلك البئر بئر سلمى وجدولها العذب النابع من دوامة بحر يوسف، وها هم الفراعنة تظهرهم آلة الزمان والمكان وهم يعيشون حول نهر النيل العذب، وبحر يوسف متفرع منه ومنشق عنه، وهو نهر الكوثر عينه والجنة والفردوس، وفجأة وأثناء الحفر تظهر لنا عروس المقبرة والحصان، يبين الأمير المسحور والفارس النبيل، وياقوت وذهب وزمرد ومرجان، وأدوات ذهبية ولعب وتمائيل ومقتنيات متنوعة، لا نصدق أنفسنا للتو، هذا شيء مذهل، روضة حفني تشمل كل هذا وبيوت عزبة عبد الواحد النوارة والنسر تسبح على جسور من ذهب وأمواج من خير زاخر ونعيم مقيم، ثم فجأة تظهر مقبرة عن الشاب هاني وعند محمد وأحمد ومحمود ومصطفى، وعند إسحاق بائع البيض الذهبي، وابن النوارة والنسر يقف متأهبا خارج أسوار روضة حفني المحصنة، ثم ها هو يأمر جنوده بإلقاء العجلات الحربية والمنجنيق والقاذفات المتنوعة، ويعود المشهد وهو يحتفظ بكل المشاهد ولا يبرحها، نعم يعود ويعيد الكرة ويجلب الزمان والمكان ويذهب للمستقبل ويستحضره ويتعمق في الماضي ويجلبه، وباللغة الهيروغليفية ورموزها يشار أن هذه هي مقبرة وحجرة الملكة والملكة، وجان تنين يخرج رؤوسه المتعددة وألسنته النارية وعيونه الجاحظة العملاقة، ينفث السم والنار، فتقدمت إليه ولم أخشاه وقرأت القرآن فتقهقر قليلا، ثم ها هو يعاود الهجوم ويقصدي، والمسحور الذي ربطه وقيده عثمان هو وعيسى، نعم قياده في جزع الشجرة العملاقة، ذلك المسحور يطلق سراح نفسه ويهاجم الجميع، والمارد العملاق يعمل في صفه، وهوى الغور الذي شقينا في حفره وإنشائه، هوى علينا وتساقط ونحن بنهر الموت الذي هو عينه بحر يوسف، وإذ بالملكة الجالسة فوق عرشها المكون من عربة عملاقة يجرها الخيل الذهبي وو بجوارها في العربة الملك زوجها.... إذ بها تصحو من غفلتها، ويعودان بأمر ربي للحياة، فهما يستيقظان من ثبات عميق، ومعهما يستيقظ أهل الكهف، هكذا الرحلة المتقلبة

تجمع المشاهد من كل حذب وصوب، وكل مشهد له تكملة، فإن ملئت منها فأنت لا تفهمها، هي عصفورة رشيقة جميلة تقف على غصن، وهي همسة رقيقة ونسمة مترققة عطوفة، هي شهد حين تتجمل وتترك لجناحيها العنان فتخلق بجوار ملكة النحل وو هي أسماء حين تحسن الظن بي وهي بالطبع تعلم أخلاقي، وهي فتاة القصر الطائر حيث تقف في شرفة الزمان المرصعة ترقب رشا فتاة وعروس نخل الصعل، نعم ترقبها وتشاهدها وتلوح لها، وتحيي أبا عوف وهو يدل الناس على الخير ويحارب قوى الجان ويموج بشاخنته العجيبة المحلقة عبر الفضاء الكوني الفسيح، يدنو من القمر ويهبط على سطحه بها وقد تحولت للتو كما ترون لركبة فضائية وو هي الشمس التي تحوي في باطنها ألف ألف أرض ولا تمتلئ، وهي ذاتها الشمس التي لا تمثل الأرض وجميع الكواكب والأشياء من حجمها جزء من لا نهاية من الأجزاء منها حتى وأكثر، ونحن نظن ان الشمس أكبر شيء فنج الكون يحتوي على مالا نهاية من الشمس، ثم تتوقف قدراتنا العقلية عند هذا الحد ثم نكتشف أننا بكل كواكب مجموعتنا الشمسية ومعنا الشمس وأبعد لا نكاد نبين في ذلك الفضاء الخارجي، ثم أن ذلك الفضاء الخارجي في الأساس ما هو إلا نقطة لا تكاد تبين في العوالم المظلمة التي لا تظهر لنا، في القلب تسكن عبد الواحد العزبة وبها الجمال بها حسن وأتان نورة فيها مع نسر وفاطمة والحجر فيها مع الأيام صوان والجحش يمضي في بطئ يخاصمني أنا لست أدري أم في الدرب يزدان إلى القالوح نرى نذهب فنجمعه من طرف قصب وذاك القصب ألوان في ضوء بدر كم نلقى أحببتنا لكن جانا تجلب منه أحزان رسا إلينا مثل سفينة الموت وبحر يوسف تبكي فيه شيطان تبكي علينا من وجل نصادفه وليت تبعد عن الأحباب أحزان والعزبة فيها من العبر التي زانت وجه الزمان حكايات وأعوان من بعض جان يلازمنا فيسلينا حزن الزمان وكم للجان إيمان ذهب ياقوت في العزبة ومرجان وبها اللآلئ مع در بها الجان إني أحبها منذ النشأة الأولى فالذهب أهلها وكم في العزبة إنسان كل يحب هنا جارا يجاوره وفيها مجدي ومحمود وسلطان والنيل يجري في بحر المنى يوسف وترى لتزهو في واديهما أغصان وتبر فيها مع الأمل الذي كان وليلى ونجوى وسمهان ونجوان وبها شروق هي الصبح الذي أسفر وسماح فيها ومحمود وحلوان وبحر يوسف في طرفي الذي بان يحكي غرامه في شطآننا البان وهي الكحيلة بالطرف الذي زان كل الرياض وهي بالروض أفنان ورشا الفتاة على نخل مزينة تبكي وتجلس ونهر النيل سكران لها عيون كالحلم الذي بان ومن الجميع إذا تأتينا إذعان خضراوي فيها واللؤلؤ الذي ظهر والطير حوله في البستان فرحان بها الكنوز كذا الدر الذي لمع فكان فيه من الآيات ألحان " ومن ينشد هو الفقير إلى الله، والمحتمي به من ويلات الحياة ونوازلها، إنه بهلول والذي يتضحك عليه الجميع، فيفاجئون منه بدرر الكلام ونقيه وحلوه، وهو المستقل شاحنة رأفت المانجة عبر الدرب، والمتجهة نحو الوزارة في الوسية القاسية، وفي الحقول المتقدة بلهيب الشمس، حيث قسوة عاطف وجبروت عبد السميع وعناد حسن وسطوة محروس وتحكم شحاتة، وويل البقوشي العنيد الشديد والعصبي الثائر دوما ضد الرجال والصبية والأطفال والصبيات، تلفح نيران

الشمس وجوهنا، ولا يزال الفتى يحمل الأسد كي يحصل على الدواء ثم ها هو يلتقي الفوج الطبي الطائر، ثم يلتقي الحوت الصديق في ظلمات البحار والأعماق، ونحن عند الكنز في محطة تابعة مستحضرة من الرحلة ومستقبلية من أحداث الزمان والمكان في شتى الدروب والعصور، وأنت أيها الرفيق ولو كنت مثلي تائها في هذه الرحلة بلا حدود فأنت مستمتع بها مثلي تماما وربما أكثر، كان الفتى يهذي والمستمعون والمشاهدون في حيرة من أمرهم، إلى أين تأخذنا هذه الرحلة، والعبارة السابقة ينطق بها الكثير وهم يستخرجون الكنوز والمتاع النفيس من باطن الأرض وأعماق المحيطات والأنهار والبحار، نعم...نستمر في حفر الأغوار ولا نخشى شيئا، يطبق الموت علينا فجأة حين تنهار الجوانب المحبطة بنا على نفسها وعلينا، فوقنا للتو أتربة وصخور، نحن والصخور والأتربة والذهب والياقوت والنفائس المتألئة في عالم مظلم، تتقدم آلة الزمان والمكان فتخلي وترفع عنا كل تلك الأحمال، نحن نصارع الموت، لا مال ينفعنا الموت ولقد قبرنا أحياء، لكن الأمل لا يزال موجودا، حسام الأخرس يتكلم وتفهم لغته، ويدلنا على الطريقة الصحيحة للنجاة، بالضغط على اللوحة العجيبة الموجودة على باب الكنز، فتتحرك حوامل عملاقة وتصعد بالأتربة إلى أقصى معدل، هي روافع جبارة صنعت خصيصا عن طريق الالم الجليل والمهندسين المهرة الأكفاء، وعن طريق عوامل أخرى وقوى طبيعية وقوى جان، والفتى عبد الصبور يستخدم رافعته من آلة الشادوف العجيب المتحول الذي يقاوم الأحمال ويصعد بها حيث بر الأمان، وتبعث دوامة بحر يوسف إلينا بالموج المتلاطم الشديد المدفوع بقوى طرد جبارة هائلة وقوى جذب مكافئة لها، تبقينا القوتان في وضع توازن وبؤرة أمان، يتحمل مصطفى الكثير ويطلق ما لا يطاق في سبيل إسعاد أبناء بلده وعزبته الجميلة، والكنوز تتلألأ، فهي ثروات أخلاق وطيبة ومعدن نفيس وأصالة، ومعه أحمد ومحمود والفارس النبيل ومحمد والرحالة، بؤرة للرحلة مليئة بكل الخيرات، قبلما تثور الدوامة في بحر يوسف وتدفع الدر واللؤلؤ وأنا أتوقع خيرها الوفير، دوامة غير عادية، حيث في البقعة الموجود بها الفتى هاتي درر وياقوت ومرجان، والفتاة رابحة تتلألأ هي الأخرى بجمالها وهي أعلى من الذهب والقطع الأثرية النفيسة، وكامل فتى يلاقي من الحياة الويلات، وهو يكد ويعمل فلا يهنأ بنوم ولا براحة بال، يستغفر الله طوال الوقت ويلقي الصعاب فيرديها، يحمل الأسد الجريح ويمضي به عبر الأدغال والأحراش، يتعجب منه الأسد ويقول في قريرة نفسه: " كنت أنوي التهامه فأحسن معاملتي بعدما تعرضت لهجوم مباغت من الوحوش الضارية وهي مجتمعة علي " وكأن كامل يسمع قولته وهو يرد عليه: " لا عليك أيها الأسد " فين الأسد الجريح ويقول بصوت مكتوم: " وكيف علمت ما أفكر فيه " ضحك الرحالة مبتسما له حانيا عليه مشفقا وهو يقول: " توقعت منك الندم على مهاجمتي " فبكى الأسد وقال: والله ندمت بالفعل، اتركني يا صديقي ألقى الموت مثلما أذقت للحيوانات المسكينة، كان علي الصبر وألا أصطاد الحيوانات المختلفة، وألا أهاجمك حين كنت بصحبة عبد الرحمن والرحالة وهما في الغابة يواجهان الحيوانات المفترسة مثلي: فصمت كامل لحظة ثم قال له: ط لا عليك، سأحاول

إسعافك بشتى الطرق، وها هي آلة الزمان والمكان يتمثل بها الهدهد وملكة النحل والبطريق والقلق أبو العنز وأبو قردان وأبو فصادة يزحفون صوبنا قادمين بالعشب الطبي النادر، والدواء المستخلص منه أيضا والمرهم الطيب الشافي بأمر الله " فرح الأسد كثيرا وها هو يتعافى ويدب بجسده الأمل وتنبض بقلبه الحياة، فأقبلت ملكة النحل في زينتها وهي تشق الفضاء ومعها فاطمة ذات البساط وعلاء الدين صاحب المصباح السحري شقيقها، وجمع طائر وأفواج وأمم من كل العصور، وظهر العالم الجليل في حلته العلمية المعطرة، وتجلت أم الرحلة في هدامها الفلاحي الأصيل وبرفقتها الفارس المثلث والذي هو في الأساس الفتاة الجميلة تبر متخفية في لثام تطارد به الجان لما فيه من تأثير وإشعاعات توجه بطريقة طبيعية وميكانيكية وقتالية صوب الأعداء فترهب الجان وتزلزل عرشه، ثم ظهرت كنوز حبيبة القلب عزبة عبد الواحد الأثرية الرائعة، كنوز أخلاق أهلها وقيمهم ومبادئهم وكذا الدر والمرجان والزبرجد والياقوت، واستمر الحفر تقلبه دوامة بحر يوسف بأمواله المتلاطمة، والمسحور لتوه يهاجم عثمان عن بعد، فإذا ما دنا منه عثمان هرب المسحور، ولو ما ظهر الملك الغضنفر خميس بجيوشه العملاقة وهو تحت قيادة صلاح الدين المخضرم، فر كل معتدي ودحر على الفور كما ترون، على ان الرحالة تائه شريد مخطئ مذنب يفعل الشرور وليس مستقيما في حالته هذه، مسه الجان وسيطر عليه الشيطان، الويل الويل، لقد قلبت الموازين رأسا على عقب، ثم تتحول وتتشكل الآلة العجيبة بالرحلة الرهيبة غير تاركة الحدث وروح الرحلة يهمس ولا يعلم مصدر صوته وهو يقول، "الفارس المثلث بالأساس تبر واللقاء يا تبر تالله قدر والرحالة يحارب ما كل أبدا وعبد الرحمن الرحالة رفيقه السهر على راحة شقيقه يسهر ويسعى وإن تجمل الزمان ضمهما السهر وأبو عوف يدل الناس ويرشد كل مار هناك وتمر سمر فتاة كأنها البدر لو يطل والبدر يغار ويغار القمر وحسن مع كامل في درب وعر يحملان الثقيلين والحمل عسر والجحش قد مضى إلى البيت سريعا وأمه الأتان وهو سر والحمار أبوه قد حار وثار وهاجم المسحور دونما يخر"، تفوه بما سبق روح الرحلة لا أعلم أو ربما يكون شخصا مجهولا بها، على أنني لا أعرف حتى نفسي المحمولة بين جنبي بالأساس كي أعلم الدائر حولي والحادث، ولربما أنا دوامة بحر يوسف وموجه المتلاطم أو حتى بحيرة الهلاك ونهر الموت، وربما كنوز عزبة عبد الواحد النوارة والنسر، كم حاول المعتدون النيل من خيراتها لكن دون جدوى، ثروات الحبيبة محصنة ومحمية من قبل الله ثم مسخرة للحماية من قبل الجان، والمارد الأخضر يحرسها ومعاونوه من العفاريث، رغم أنني قد أكون أي شيء، أو لا شيء، لكن الرحلة سائرة سائرة ثائرة، بنا ومن دوننا، حيث مشهد يلحقنا أو نلحقه لا أدري، لكنه للتو يحدث، وصوت عجيب يقول في دفعة: "لم تجلسان هنا يا حسن؟! فتعجب الفتى من هيئة السائل وارتجف، حيث كان جاحظ العينين خشن الصوت جهيره، تضاريس وجهه قاسية، يشبه مسحور عثمان كثيرا، وكأنه من عائلته، كان حسن وكامل يستريحان قليلا بعدما تأخر بهم الوقت واحتضنتهما ظلمة الليل، فحن القمر عليهما وتشكل بدرا وأرسل سناه وجماله فأضاء لهما مداد البصر، وكان

صاحب الهيئة المرعبة لا يعلم إن كان إنسيا أم جنيا، لكن جل ما يعلم وهو يقين أنه شيء مرعب إلى أقصى حد، قلب الثرى بقدميه وأزاحه عليهما وانكب صوبهما وأوقع نفسه وماله مضطربا بحسده الضخم، وكان في المشهد بالقرب منهما عبد الرحمن والرحالة وهما يصارعان التماسيح والكاننات الفضائية ووحوش الغاب وذلك بمساعدة الفارس المثلث وهو عينه الفلاحة الأصلية تبر لما كانت تروي بالطمبورة البدالة - زرعها وحقلها، ومشهد الرحلة يكرر نفسه ويعرض ما تم ويتم ويجلبه للحاضر كما ترون، وكان الرحالة في المشهد المصاحب ينقل قبضتيه لتفادي الهجوم المباغت من الخانئين التابعين لجيوش النواراة والنسر والساحر الشرير وريمة، حيث يتم المشهد أو لا يتم، فإن آلة الزمان والمكان تظهره على أي حال، وتتنقل منه إلى حدث آخر ولا تخليه أبداً هي حاضنته لا ريب. وفي الصورة للثو، صورة هذه الرحلة العجيبة بآلتها الزمانية والمكانية الأعجب، تظهر ناهد قينور الروض ويضيء البستان تفرق العصافير ويغني الطير ويقبل الربيع، وعلام يقبل وهي الربيع الدائم والنصرة البهجة والابتسامة الحنونة، وهي البريق والسحر، فناهد فتاة نجلاء واسعة العينين جميلتهما، حوراء كأنها البدر في ليل اكتماله، وها هي تقبل برفقتها صديقتها نجلاء الحسنة، والبدر يرسل ضوءه، في حين يحدث المد والجزر تبعاً لجاذبية القمر، أيها القمر الجميل، كيف حالك، أنت الحسن عينه والجمال والود والورد، على ضوئك يجتمع العاشقون والمحبون، ونهر النيل يحبك ويفضلك... التفت القمر إلي وهو يتعجب من حديثي إليه، فقلت له: " لم العجب، أنا صديقك الرحالة؟!... فاستمر في الضحك ثم قال: " نعم أعلم، وهل أتية عن رفيق دربي في الرحلة " فابتسم الرحالة وأكمل، حيث ها هو يقول: " حين تكون بعيدا عنا ونحن عند نهر النيل وبحر يوسف والمسطحات المائية يحدث الجزر وانخفاض المياه، فلنقترب منا رويدا وشيئا فشيئا " هنا يقترب القمر طبقاً لمشيئة الله ثم المدار الطبيعي المقدر لسيره ومنازله فيحدث الجزر، والقمر كما تعلمون هو المسؤول عن ثبات ميل محورك أيتها الأرض، " تفرح الأرض لتوجيه الحديث إليها وتقول حيث فصولها تتعاقب مع بداية السنة وأوسطها وآخرها، وها هو الشتاء يقبل وتمر بنا الأيام ويأتي الربيع ثم الصيف ثم الخريف ثم الشتاء تارة أخرى، ميل محور الأرض يسبب تنوع المناخ وبالتالي المحاصيل الزراعية، آلة الزمان والمكان تجلب كل الفصول في زمن واحد حاضر، وتأتي بكل العصور، ثم ها هو القمر وأنا في رحلة استكشافية بالقرب منه، وهو صديقي الجميل، وصديقتنا الشمس كذلك، ها هو يعكس أشعتها بطريقة عشوائية، وجهه الظاهر يبتسم لي... فأبتسم له، وهو الرحلة بلا حدود وآلتها الزمنية والمكانية، أقول له: " أنت جسم معتم لكنك مضئ جميل وقلبك أبيض ". فيضحك القمر ويكركر ويقول لي: " هلم إلى عالمي وتجول به ". فيمسنني فرح منقطع النظير وأطلق بصحبة ملكة النحل وبجوار جناح الحمامة البيضاء والذي يستقر فوقه عقلة الإصبع وأماني، يدور صديقي القمر حول محوره بذات المعدل الذي يدور فيه حول الأرض، والأرض سعيدة لذلك وهي تبتسم وتضحك فرحة وهي تقول: " أيها القمر الجميل والبدر المنير، دورانك حول محورك بنفس معدل دورانك حولي سبب سعادة

وفرّح لي، فهذا سبب في أن أرى وجهك النير المشرق " فيسر أيما سرور ز يتحول بدرًا منيرًا، ثم يمر إسحاق وهو يبيع الجواهر الشبيهة بالبيض، ومن يراها للتو يحسبها بيضاء، فيأخذها الفقراء ظنا منهم أنها للأكل، ويعلمهم إسحاق أنها ذهب، فيقولون له: " كيف تبيعها وأنت تعلم قيمتها، فيبتسم الفتى إسحاق بسمته الشهيرة الجميلة وهو يقول: " هذا عمل خالص لوجه الله. وتلك نعمة أنعم علي بها، فيركض الصبية الفقراء ويذهبوا بالثروة حيث المشتري والذي يعلم القصة، فيأخذها شاريًا إياها بمبالغ طائلة، إن الكنوز في النورة والنسر عزة عبد الواحد لا نهاية لها، كما الرحلة بلا حدود أيضًا لا نهاية لها، ولا تزال مريم هي التي تشغل باله، ويحار لها فكره ويضطرب وجدانه، وهي البسمة التي تجلت فوق ثغر الزمان فزينتته، والبريق الذي خطف الألباب والقلوب، غصن الربيع وموج النيل وحنين الفؤاد وشغاف القلب وهي من أميرات الرحلة اللواتي لهن باع طويل ودور لا ينكر ولا يهمل في أحداثها، إنها النور الذي يبتسم كشعاع فجر ينبت من نبع البهاء والجمال، حيث الآن هي تمر عند الغدير العذب وبجوار روضة حفني، وترى المعارك الدائرة بين قوي الخير والشر، فيرق قلبها وتتوجه إلى الله بالدعاء، وتحاول استكمال الدرب، في الدار مريم فالبدر الجميل هنا ما عند مريم إلا الضوء والعطر لما تبسمت الأيام قلت هي من مثل مريم حين تبسم الثغر حوراء إني من طرف تطل به دوما أحرار كان الطرف ينغمر في نهر نيل صفح بريق صاف وكم للمليحة في صفح المنى أثر غراء تمشي في وادي الجمال هي حتى تبسم واديها وينهمر الماء منه ومن طرف الغدير سنا بريق حسن طافت حوله العبر أمضيت عمري على أمل اللقاء بها فالعمر ولي وليس الأمل ينتحر عابوا علي كتاباتي وأشواقِي والشوق نار في وجداني تنتشر لما تأجج من فيها اللهيب مضت تصني وتردي أحلامي وتستعر تخبو وتشعل والأيام شاهدة ولقد أتتني ممن علموا النذر والطير غرد مشتاقا وهام بها ورطب تساقط ومن عليائه الثمر أنا ما رماني من طرف وأسكرني من الحبيبة إلا الضوء والخور كل أحبها في الدنيا ونادها حتى تحرك من عشق لها الحجر جل الثناء أقدمه لطيف هدى وليت يوفي حق حبيبتي الشكر ليلي شعرها نسمات من الروض ويطل منه بيت الشعر والشطر حلو تطاير كالأوراق في فنن لما نسيمها كان نبعه السحر أحداث عمري من الهادي مقدرة وكل شيء في الدنيا لنا قدر حرير شعرها كالموج الذي سار في بحر يوسف ويوصف حسنه الشعر ولما الشفاه كمشكاة منورة ولظى نيران فوق السحر تستعر". ثم ها هي الفتاة فتة تحيي عذاب الغدر والإهمال وهي الضريبة غبر المبصرة، بيد أن ضوء بصيرتها يغالب فيغلب عتمة بصرها التائه في ظلمات الليل الحزين ووضوح النهار المبين، لا يشغلها من الحياة شاغل سوى ذاك المرض المميت الذي حل بها، فما من أحد جوارها، لكن مؤنسها الله رب العالمين، تركها الأحبة فشمّلها الله الحبيب بعفوه ورحمته، ترتع في الجنة رغم الأغلال المحيطة بغيرها، وحدها الحرة ونحن مقيدون بقيود الخيانة والنذالة، وهي الطائر الذي يستطيع التحليق دون جناحين أو بهما، تصرخ وتطلق لصوت العويل العنان، وحيدة في عالم يخاف المواجهة، عالم مليء بالوهم والبؤس وحب الذات، وإذ بالفارس النبيل أحمد يثب

ويقفز ويصعد سلم الموت ويخوض في النيران المستعرة، ويمضي ويتوغل في كيانها، يحاول إطفاء اللهب المتقد في نفسها لما تركها الجميع تواجه مصيرا مميتا، هي ليلة شديدة السواد تشارك فتة حزنها، تلك التي تصرخ فلا من مجيب، اشتد المرض عليها وطغى وتجبر، وناداهما الله إلى جواره، وانطلق سهم الموت صوبها وهو لا يخطأ مساره ووجهته، والفتى الجريء المضحي والفارس المغوار أحمد يقفز من أعلى متن جواده الطائر، يحلق في سماء عزبة عبد الواحد النواره والنسر، ويمر بسطح مياه بحر يوسف فيلامسه، ويأخذ من سطحه دفعة تصعد به صوب الهدف البريء، الفتاة فتة صديقة فاطمة ذات البساط هي الهدف المسكين الصابر على البلاء، وهي المضحية المصلية الملتزمة، خفيفة الروح والظل، لكم خلوها وحيدة تواجه الوحوش العمياء الضريرة، وتهول في الغابة المسلسلة لا أجد لحنيي نهاية، والحروف تتهاذى من فكري وعقلي، ينبض قلبي ويفكر ويعقل ويتدبر الأمر وسلمي في بستانها وهي بالرداء الأخضر الذي هو حلم الربيع الباسم، والزهر والأمل والحياة، رداء سحري يطير بها ويحلق فوق الغصون والأشجار والأسحار، ولا يزال عبد الرحمن يقدم حياته فداء للرحالة صديق عمره، وهو في غمرة الأشجار الكثيفة في الغابة الموحشة، والذئاب تعوي عليه وتنادي بشرائه القتال والنهم، تنوي التهامه ورفيقه، والنمور والضباع والأسود تهجم في غضبة منقطعة النظير، عدوت تجاههم لا أهاب الموت، لعلي أنقذ رفيقي من موت محقق، وهذا تنين ومجموعاته في زحف مريب مرعب مزلزل، نقل الرحالة قبضتيه بين الفروع متنقلا من غصن إلى غصن وهو في مرونة الفهد وخفة العصفور، وعوني في الجانب الآخر يواجه التماسيح عند بحيرة التماسيح والتي يقاتلهم معه رفيقه الفارس المثلثم، والمعلوم أن بحر يوسف يتحول لكل الهيئات والصور وهو الآن بحيرة التماسيح ثم نهر الموت والمحيط الأطلسي والهندي والأطلنطي، لا يزال الشاب عوني يقاتل التماسيح والعجوز ذات البيضة البلورية الذهبية والعصا والتعويذة السحرية، ثم أظهر أنا كروح في الرحلة تصارع البقاء والفناء، لكن روحي تصعد لبارئها الآن، مضى أوان وعهد التوبة، الغرغرة تملكني وتملكني وتقضي علي، ذهب زمن التوبة وتبعثر كالغبار في هذا الفضاء الكوني المريب العجيب، صمت مطبق مخيف يدغدغني ويحطمني ويمزقني أشلاء، سرعتي أقوى من سرعة الضوء إذ أنا مدفوع بسرعات موجهة من قاذفات عجيبة، أفلت للتلو من الغلاف الجوي وأهرب من الجاذبية الأرضية والكونية، وأرى بجاني ملكة النحل الأسطورية تتبعني كظلي، وثقب أسود لا يخلي مادة ولا يتركها، ثقب يجذبنا بقوة جذب لا قبل لنا بها، فتولد آلة الزمان والمكان قوى طرد أقوى وأبعد أثرا، نقلت ونتحرك من قوى جذب الثقب العجيب، ونحلق في عوالم غريبة، ثم أرى الفتاة التي طالما حلمت بها، والحلم ها هنا حقيقة، نعم... أي حلم أجمل وأروع من هذا الذي أحياء للتلو؟، حيث أنا هنالك عند شجرة الجميز المطلة على الملعب الجميل، أرى ناهد تعبر الدرب كالعصفور المتهادي في روعة وحنين وجمال وأنين، فلما لمحت طرفها ذبت شوقا وودا، فكنت لا أكل ولا أتذوق الطعام ولا أشرب، فهي زادي وشرابي وطعامي، وهي سر إلهامي، شرعت أعدو صوب بحر

يوسف العذب وهو نهر الأمل أيضا ونهر النيل والمحيط والخليج والجدول، عدوت في أمل يشمل علي كياني ويحتوي فرحتي، بل هو لا يكاد يمسخها، فرحة قلبي طائر سعيد يطوي القفار والفيافي والفلوات فيستقر في الجنائن والحدائق والروضات، وعبرنا حقل نجاة ومزرعة فهمي وجدول سلمى، لكننا عند جدول سلمى استرحنا قليلا، قرحت أغازلها غزلا عفيف، وكان الصبية يلهون معي، والصبايا تداعبن الصبايا، والجميع يعدو ويستريح ثم يعدو ويستريح، دنت مني واقتربت فاقترب الأمل، بل تحقق الحلم، كنت أشعر بقشعريرة ود، وبأني في الجنة نفسها، وأنا هذا الذي أراه هو الفردوس، طرفها أسرني فرحت أبثها أسمى آيات الغرام والوداد والحب، لم أفصد شيئا ولن أقصد، في القيثارة العازفة على لحن أمني، وهي المذهبة من بعد الله همي ووجلي، بقيت إلى جانبها في ركض ممتع لم نكل ولم نمل منه، واقتربنا من نهر يوسف العذب، فرحب بنا الموج ونادى علينا شراع مركب فاطمة وهو يخلو منها ومن الرحالة، لكنه جذبنا إليه فسبحنا فوق الموج شوطا طويلا، ثم ارتفعت الموجة وعلت، ومعها ارتفع القارب الصغير وعلا هو الآخر، والتقطنا كوسادة هوائية بعدما بعثر النسيم عذب الماء ليتناثر رذاذا يلطف جباهنا والخدود، ويخالط المبسم ويضاحكه ويلاعبه، فأمسكت بمرفقها في رفق كي أحفظ اتزانها لنلا تسبح في موج المياه الهادر الثائر، وكانت الموجة تليها موجة، وكل منها تتلطف بها وتحميها، بل وتحملها متهادية كأن الدنيا بأسرها وسادة مريحة وجنة مليحة، وشرع نهر الكوثر يبعث خير مياهاه يداعب الأمل فينا، وغيث وده وشذى ورده يصادقنا فلا يرحنا على أي حال، ونظرت إلى مكحل طرفها وجعلت أوصفه وأزيد وأبدع وهي تستمع في دهشة الي، وترنو كأنما شخص بصرها صوب طرفي الوله المأسور، فزدت وأضفت ولونت الحديث بلون الربيع الذي حل لتوه، ذهلت ناهد وتفتحت ورود روضتها وتبسم بستانها، وغنى مبسمها، وزقزق عصفورها وشدا طيرها مرحبا بلقاء الأحبة ونيل الأمل وبلوغ الجنان، ورحنا نتهادى في صفحة الكوثر كالحلم الساري وسط ضوء القمر وانبلاج البدر ووضوح الصبح السعيد، وتجلي الأمل الفريد، ثم لمحنا الفتاة الجميلة، إن من حسن الحظ ونوال الود وبهجة العمر أن تطل علينا تلك الزهرة النضرة شروق، تزين يومنا بك وابتسمت الحقول وازدادت حسنا وبهاء، وروح الرحلة والذي لا أدري من هو، ولا من أنا يصفها ويقول: " كالمها عيناها فلو نظرنا كانتا منجاة الغريق، كالصبح حين إشراقه. تالله فيهن غريق، شروق آية يخمد في عذب مانها حريق، وكنت أضل دربي ويأخذني مسعاي لصحراء جرداء، فلما اهتديت لناظريها انتهيت لروضة حسن بهما فما من معيق ". كانت الفتاة تحلق على جناح شوق وهو يصفها وليته أحسن الوصف أو بعضه، فهو يدري ويعلم جيدا أنه مهما أوتي من جوامع الكلم فلن يوفي تلك القيثارة بعض حرف يستحق الإشادة بها، وبعض ملمح ضئيل من خفة روحها وملاحة فننها وروعة غصنها، فغصنها لو أنصفنا المعطر المليح، وحريري شعرها الخيلي من الحرير والمسافر على الأثير، وأنا في ظلالها عصفور يطير قد ملكه الشوق فسافر به عبر أمواج البحار ودرر الأنهار، هي سندريلا الحلم وبهجة الربيع. كادت الفتاة لا تملك زمام أمرها،

وأوشكت على تحليق بصحبة ملكة النحل، وغفت فوق جناحها والملكة طائرة، والركب يليه ركب وأمم سائرة، وآلة الزمان والمكان تكرر وتتراقص ابتهاجا، وكل شيء بالرحلة يلقي رواجاً، فجعلت تصفف شعرها والرياح تتقاذفه، وشتم الروائح والنسيم عليل، وتستريح عند الجدول والظل ظليل، ثم سارت في دربها حيث الحقل على مقربة قريبة، فمرت ببستان ممدوح وروضة حفني، والتقت سلمى عند غديرها، حتى دنا منها أمير الرحلة وإليها أشار، والفتيات والنسوة منها تغار، وأمسك بوردة دون أن يقتطفها فأمالها إليها، وشرعت الفتاة تداعبها ثم تشم رائحتها وتركها تتأرجح، وها هو الوردة سعيدة مبتهجة أن مست كيانها الساحرة سندريلا، ثم مضت هدير حيث الجدول عند الروضة، وأمالت قدها الرطيب تلتقط ثمار الجوافة من أعلى الصفحة المنيرة وتقطف العنب المدلى في عناقيد تأسر القلب وتملك الفؤاد، ورأت الفتيات تسبحن في نهر الكوثر فبلغت منها السعادة أيما مبلغ، ثم ظهر مركب فاطمة ذات البساط يتسع ويتمدد ويكبر، ومعه يتسع الجدول ليلبغ ما لا يبلغه المحيط وأكثر، فركب الجميع به وسافروا صوب جزيرة الأمل، والتي أضحت بدورها روضة فيحاء، وقالوا رشا هنالك في نخل الصعل، والمعلوم أن رشا هي فتاة وعروس نخل الصعل الجنية الإنسية، وهي العروس التي قتلت في ليلة زفافها ثم عادت للحياة متمثلة في هيئة جنية وإنسية، لم تخف منها شروق بل عانقتها عناقاً طويلاً، وهي لا تصدق أنها حية ترزق، فسلط الساحر الشرير كيده وكذا فعلت النؤارة والساحرة العجوز والنسر المتكبر الظالم، فتحولت رشا إلى صورتها المربعة وهيئتها المزلزلة، ثم عادت أدراجها بعدما التهمت الأخضر واليابس وفتكت بالعديد من الكائنات، والعجيب أنها لم تصب شروق بأذى، وكذا لم تفعل مع الرحالة ومحمد وعبد الرحمن وسندريلا وسلمى والغادة الحساء وفاطمة وحورية البحار وأم الرحلة وأم الصغار و...و... والعديد العديد ممن تعرفهم وتعلمهم جيداً، فلم عادت إلى هيئتها الأول بدت البدر حين توسط كبد السماء وأرسل نوره وبعث بريقه للعالمين ليهتدي من ضل من ظلم وبيصر من عمي من ضلال، فلما كانت قد عادت لهيئتها، شرع روح الرحلة يغازلها كأن شيئاً لم يحدث، برغم الأحوال التي أحدثتها، وكان يقول حينها أو هو يقول الآن كما تستمعون وترون معي أنا والذي لا أعلم من أنا، يقول: "إني رأيتك فجرحي الآن يندمل ولست أبداً ذاك الفراق أحتمل رشا الجميلة والدنيا تلوذ بها والطرف منها لو ما تظل يكتحل كم كنت أنشئ من حرف ومن كلم حتى يغار من إنشائي الغزل في البعد عنها أحزاني تلاحقني تالله إني على فراقها وجل " فدمعت عينا الفتاة وذرفتا غيثاً من حنين، وأطلت من خدرها فانزوى الحزن والأنين، دموع فرح كانت ولا زالت، وكمن ملمة لو ما نظرت إلي هي هانت، والنؤارة في خضم كل تلك الأحداث كالنار تأكل بعضها، وهي التي تتمنى وتحلم أن يعيرها اهتماماً، أو أن يقول فيها حرفاً وينظم أدنى نظم، بل تطمع في نيل نظرة منه، بل لمحة ترجوها، ولقد سكبت منها الدموع ليلاً طويلاً، وسهرت حتى غفا الوجود وصحا، كانت تحبه كأنما هو النور والبصر، ولا ترى سواه على وجه هذه البسيطة، ثم انتقلت الآلة وسافرت وعلى متنها أحداث الزمان والمكان، تجلبها من عوالم خفية وتستحضرها من

أزمان ماضية وأخرى لاحقة، وتلملمها من المستقبل البعيد والقريب، ثم تزور القبور والأحداث وتحضر البعث والنشور، وترى القيامة وأفضل الخلق وهو يشفع لأمته، ثم تعود أدراجا وتستحضر كل المشاهد في هذه اللحظة. نعم... الآن والآن بالتحديد. وها هو روح الرحلة وفتاها المناضل، والرحالة وكل شخص بها، ها هو يقول من كل زمن ومكان: "صابرين إني إذا مضت أحمل الأمل وأدب فيها وأخطر وأنجز العمل الرحلة هذي وما بها وحسنها الشادي والنحل فيها محلق ينتج العسل أنت الفتاة كما الذي النور يلقاها إن أهدي بعض محبة، قد أهدي الغزل من لو رآك قد سها وغادر الحدث أو عن سواك يا منى والروضة انشغل". فلما انتهى محمد من مغازلتها التي كانت تستمع إلى مفرداتها نورة، دبّت نار الغيرة بالأخيرة، وثارت ثورتها، وهي تقول لها: ط تقول الغزل فيها وتحسن وتجذ، ولا أجد منك سوى الصد ". فالتفت إليها محمد ولم يرنو ولم يطل، وتجاهلها أن نقل بصره بعيدا " فتضاعف كيدها وهجمت على الفتاة تمسكها من حريرها المنسدل فوق كتفيها وتوقعها على حين غرة فوق ثرى الجسر الذهبي المتجول، وما كان من الفتاة تبر إلا أن هجمت على النورة ممسكة بها من عنقها، واعتصرته أشد الاعتصار بين أناملها وأصابعها، وقبضت عليها أشد القبض، وكانت النورة قوية وعودها صلب جميل ومرن في ذات الآن، إن نورة آية من آيات الله التي تجلت في حديقة بني البشر وروضة المخلوقات، ياسمينه هي وريحانة عطرة، واستمرت تبر في الضغط على أنفاسها، حتى دفعته النورة إلى الخلف، لكن تبر لم ترد تركها، وقعا سويا فوق الحشائش الخضراء والزرع النضر الجميل، فيما لا يزال النسر يحاول النهوض بعدما كانت قد أوقعته من فوق فرسه الأبحر الفتاة تبر أيضا منذ برهة وهنيهة ضئيلة من عمر آلة الزمان والمكان المصاحبة للرحلة بلا حدود، حيث لا تزال الأحداث تتواصل بطريقة عشوائية في حسابات البشر، ودقيقة تمام الدقة في حسابات ومقدرات إله الكون والبشر، ولقد التقت بها الحمامة البنية وهي بالقرب من النخل الصغير، والجدة أفيات ترى المشهد، نعم قد دنت من صابرين تلك الحمامة المشار إليها وهي تحلق بموكب ملكة النحل العظيمة، نادت الحمامة: " هلم صابرين، انضمي إلينا، ثم دنت وأسلمت إليها جناحها فتعلقت به الفتاة لتجد عقلة الإصبع وأمانى كأنهما في انتظارها، ففرحت كثيرا ثم ألقت التحية على ملكة النحل المحلقة تحليقها السرمدى الأبدى، وكان لا يزال الجسر الترابي متحولا إلى ذهب، وأبو العقيص يركب على ظهر الجحش والأخير بصحبة أمه الأتان وأبيه الحمار، وعوني المسكين ينتظر الجمع وهو لا يزال يهوي بين الأمواج صوب قاع بحر يوسف، مطارده هو من قبل العجوز ذات البيضة البلورية والعصا والتعويذة السحرية، وكانت رشا صديقة صابرين كلما رأت الأخيرة عادت لطبيعتها ولم تعد شريرة ولا جنية من العوالم الأخرى، والسفينة المهاجرة كما ترون تسبح في بحر يوسف الذي يتحول إلى محيط هائل الاتساع، حقا رحلة عجيبة، إن تنيه معي بها فأتت من أهلها، ولا أكون مبالغا أن كل قلب ينبض من أهل الرحلة العجيبة هذه، ثم تتحول وتتقلب أو تستقر في مكانها وزمانها- بمساعدة آلة الزمان والمكان الآلة الزمكانية - هذه الرحلة الساعية الخاطرة لمنقبة السابحة

الغانصة، حيث لا تزال في سعيها للخير وفيها اتجهت الفتاة صابرين صوب تلك المساحات الشاسعة من منطقة الأربعة عشر فدانا وما حولها، تمر بالجسر الترابي الذهبي، وكلما خطت عليه خطوة تلالاً الثرى فأضحى ذهباً خالصاً، وأبو العقيص يعجب مما يرى، إن طيبة قلب الفتاة وعدم سعيها خلف المال أتى لها برزق كبير، فالله مدبر الأمر وهو يحسنه وإلى الله المصير، فكان ما تحت قدميها لجة من التبر لخالص، وكانت مياه دوامة بحر يوسف تضطرب مثل موجه الثائر، تقتلع الخير من الأعماق اقتلاعاً، يبدو أن الكنز اللانهائي والسابحة عليه عزبة عبد الواحد النواره والنسر – قد تجلى وظهر لها، لكن مع ظهوره هجم الجان من حراس المقبرة الشاسعة يحاربون الجميع وينوون التهام الفتاة، كان إيمانها بالله كبيراً، فهي التي لا ترجو سوى ثمرة الخير المطلّة من بستان الرزق الذي يكفيها وذويها، فصابرين فتاة فاق حسنهما كل حسن، حسن هيئة وخصال وقسمات، إنها البدر حين يعكس أشعة الشمس على العالمين، والقمر حين يود أن يكتمل حسناً وبريقاً، ولو قلت أن البدر منها يغار فما أكون مبالغاً، هي وتبر والكاننات يردون كيد الجان بتلاوة آيات الذكر الحكيم من القرآن الكريم، وإسحاق يمر وهو يحمل حملة من البيض الذي يتحول إلى جواهر تلد جواهر أمل تبرق وتلمع، وبنيامين وأبو اليمين يمر كذا فوق تراب الجسر الذهبي الذي أضحى آثار خير وأمل، يلقي التحية كل منهم على الجميع، فيما تتحول ولا تتحول آلة زمكانية عجيبة، تجر الحدث معها ولا تتركه، لكنها في جانب مجاور له، حيث جبروت النسر هذا وهو يعادي تبر الجمال فتاة الحسن والظلال، فدفعته الفتاة تبر بكامل عزمها وجل قوتها فأسقطته من فوق الجواد، فهو، وجواده ترنج كذلك وتجلت قسمات الظالم مخضبة بالخلج مختلطة بالخزي والعار، ولم تدر الفتاة إلا والحراس والمعاونون له يصوبون فوهات مدافعهم الرشاشة صوبها، لم تخش لحظة ما ترى، واستمرت في كيل الضرب له، وهم الحراس بإطلاق وابل من القاذفات السامة المميتة، فحجب تبر عن الرؤية الفتى محمد، ولما رأت النواره ذلك ارتعدت خشية عليه وأمرت الحراس بالابتعاد، وهجمت الرحلة بلا حدود على المغتصبين متمثلة في آلة زمانها ومكانها، وكان أنور صغيراً كما ترون وقد جلبته وجمعته الآلة الزمكانية العجيبة، لا يقدر على ملئ جلبابه بالقطن الأبيض، ولا رحمة تصدر من الخولي ورب العمل صوبه، والشمس تأكله وهو طفل صغير، لكن الحاجة تضطره للعمل وهو عوداً أخضر لا يزال، اعتدى رب العمل عليه وضربه بالسوط والعصا فأدمى جسده، وتقدمت تبر صوب ذلك الطاغية وأوقعته في الوحل حيث الجدول الساقى للزرع، ضحك الجميع عليه، نعم ها هم يضحكون وهو غريق في الوحل لا يستطيع النهوض، طاغية جبار تذله الفتاة وتكسر أنفه وتقتل من شأنه، من كان يستطيع فعل هذا سوى تبر، ويعود روح الرحلة فيهذي أو يقول الحكمة وهو يتفوه لتوه: " ليتني أستطيع شحن قوتي وشحن همتي وتجديد نشاطي، ربما سأنال ذلك بعد صبر وأناة، لقد أعيتني هذه الحياة وأسرتني وأفرحتني، أنها خليط عجيب ومزيج رهيب، وعيسى فيها هو الزهرة الجميلة التي يسقيها الندى والغيث، حكيم حد الدهشة متريث هادئ الطباع حنون، هو البسمة فوق ثغر حزين،

والنعمة التي لم يصنها الصائنون، هو الحب والود والورد والخير والسعد، شقيق رفيق، أسير معه على شاطئ بحر يوسف فنمر بنخل الصعل ونجد سامي الشاب الجميل فنسلم عليه، ثم تطل علينا عروس وفتاة نخل الصعل رشا وعيناها تقدحان شررا، لقد سيطر عليها تماما ذلك الساحر الشرير، ودفعها النسر الظالم لمسالك كانت لا تدريها، وتسببت النواراة القاسية الجبارة الظالمة في تحويل مجرى حياتها من أقصى اليمين إلى نهاية اليسار " كان عيسى يستمع إلي متعجبا، فيذكرني بقصة سيدنا عيسى ابن مريم البتول، وكيف كان يحيي الموتى بأمر الله، وهـ ا هو يحيي الموتى بأمر الله بالفعل، حين تذهب إليه آلة الزمان والمكان وتنقلنا من مكاننا وزماننا وتطير بنا محملة بكل الأحداث في كل الحقب، وها هو في المهد يكلم الناس ويبرأ الأكمه والأبرص بأمر الله، ثم يظهر روح الرحلة ذلك، أو هذا الشخص المجهول وهو يثور ضد نفسه ويقول حيث يتعجب عيسى والجميع منه: " أنا شخص لا أعلم من أنا أنا من منه الموت قد دنا والحدائق والحقول كما ترى رغم ما تلقى ونلقى حولنا " صوت قال هذا يصدر من خلف الغيوم، لكنه مطمئن يتسم بالوضوح وبعض الأمل، صادق هو كصدق سيدنا يوسف، أمين كأمانة سيدنا محمد، صوت برئ، ربما يكون لطفلة أو لشيخ عجوز، صوت يختلط علي معرفة مصدره، في الأخير هو صوت نعيم مقيم، مبشر ومنذر حيناً، لكنه يحمل الخير على أي حال، ثم أفقت من موتي لأجد الموت مخيم علي، أحاول التوبة لكن بعد فوت الألوان تأتي محاولتي، فيقول لي عبد الرحمن: " لا زلنا على قيد الحياة " فأنظر إليه سعيدا أكاد أحلق من الفرحة وأذهب لأتوضأ فلا أجد الماء، فأبحث هنا وهناك والقيامة تدنو مني، نعم ستقوم القيامة بموتي وإني ميت لتوي، كان عبد الرحمن يشفق علي، ربما أنا أغرغر، وتطلع روحي وتذهب لبارئها، يضحك لطفلي وهو في الجنة ويقول لي: " تعال تعال فهنا كل سرور، نحن على أرائك نكتئ. انظر... هؤلاء ولدان مخلدون، والخور عين حولنا... ألا ترى؟! " فذبت في غيبوبة ضحك وكررة، وعلمت أن الأمل ما زال موجودا، وذهبت بصحبة أخي والرفاق حيث مصرف عزبة عبد الواحد العذب وهي ذاتها كما تعلمون النواراة والنسر، ثم حل هذا الشخص الذي ينغص علي حياتي، فقبضت يميني ولكمته لكمة هشمت معها أنفه القدر، ثم سحبته من قدمه وأغرقته في اليم، وأوقعته في وحل الجدول الصغير عند بستان ممدوح، فخرج الشخص اللينيم وكان شينا لم يحدث، إنه غير متسخ الملابس، لا بد أنه جنني، أصابني ضيق تنفس وعلا ضغطي وزادت حرارتي ورحت أصرخ من صميم كياني، اليوم لا منقذ لي إلا الله، لكن كيف وقد عصيته، يغفر الله لي ويتجاوز عن سيئاتي ويلحقني بالمتقين في الجنة، قد تخلصت من العفريت والجان أخيرا، يكاد فكري يجن وعقلي يذهب عني، كدت أسقط في الهاوية مع أبي جهل وأبي لهب وزوجة الأخير، ثم استفاق من كابوسه الحقيقي بجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، وقد أحقه الله بالمتقين، ولولا عفو الله والكتابة لكنت غارقا مع فرعون في إثمه ويمه، وإن البعد عن بعض البشر غنيمة كبرى وثروة طائلة لا تقدر بمال، الاحتكاك في منظومة التعامل مع الأفراد والجماعات يولد الحزن والوجل، بالطبع ليست قاعدة معممة عامة، معاملة سيئة

تبدد منهم تعيق الفكر وتشل الحركة والسعي، ومعاملة طيبة تبعث على أمل وسعد وفرح، لقد شقيت منهم كثيرا" وبينما هو غارق في ذلك الفكر المدمر إذ يقبل رفيق دربه حسن، أتى من الماضي لا أعلم، أم هو حاضر، أم جمعته آلة الزمان والمكان في هذه الرحلة العجيبة، حيث يقول هو أو أقول أنا، وليت أعلم من أنا: "في قلبي وخاطري يسكن حسن مهما مضى وتتابع ومر الزمن لا زلت أذكر عهد ود وصفا ولما أطل علينا من فوقنا الفن لا زال قلبي يسطر الحسن له إن قلبي بحبيبي والله مقترن" قالها الرحالة وهو يرى حسن يصيبه التعب والإجهاد حيث يحمل كومة القالوح المربوطة بقالوحة قد شبكت بأخرى، ومعه كامل الفتى الخجول، حين استراحا، بل هما يستريحان للثو تحت ضوء القمر بعدما لحقهما الليل وطواهما هناك، الآلة الزمكانية الغريبة تحضر الحدث وتستجلبه وتستجعله أو هي ذاهبة إليه حيث كان من حيث الزمن والمكان، فيستفيقا من غيبوبة غور الموت وحلمه، فكمال وحسن صديقان طيبان، يحب كلاهما الآخر محبة لله وفي الله، وواعر الفتى القوي الصامد الصابر معهم وبرفتهم يواجه كل تلك الأخطار بعزم الأبطال وقدرة تحمل الجبال، وهو لا يزال يواصل زحفه صوب البلاد والعباد، ينوي نشر الخير والجمال، وأن تكون للإيمان الغلبة، وهو للثو يمر في زرع الأمل وحقل الحسن، ويواجهه اللصوص ويحملون عليه ويميلون بغلبتهم وبطشهم، فما يكون منه إلا أن يصبر ويواجههم دونما أدنى خشية، يزحف فوق الحشائش والزرور المختلفة متخفيا كي يباغتهم، وهم يبحثون عنه في جنون، فلا يمهلهم، بل يظهر فجأة لهم وهو يسبح خلف القرب الصغير في نهر الموت، ويقفز في ذلك القارب ويستل حساما عند أحد مجدافيه، الحسام يبرق ويضوي، إنه للأمير النبيل المسحور والذي يبحث عنه والداه منذ اعتدى عليه الساحر الشرير ونوارة والساحرة العجوز والنسر الظالم، وقاموا بإعمال السحر فيه، حيث هو للثو يجلس فوق أغصان الشجرة دائمة الإثمار وإلى جانبه وحوله رمحه وسيفه، أما التعويذة السحرية التي مسته فهي تلك التي تجعله صلبا جامدا لا حراك به، إلى أن يلمس أحدهم مكانا في لوحة اللمس والتحكم، فتنبض به بأمر الله الحياة، على أن ابتسامه سيد وعفويته سر من أسرار جمال الرحلة، من على السجية يحيا هو ملك قلبي وملك فؤادي، وهل يتسنى لنا المسير والتحليق والغوص والخطر والسعي دونما عناية الله أولا، ثم الاستئناس بهؤلاء الطيبين، ويحيى كما تعلمون مخترع عظيم وقد قال لنا وهو يبتسم كعادته ويتمتم بكلمات جميلة بسيطة: "أتوني بالقش وريش الطيور وجريد النخل وعيدان الأشجار وغصون الأفنان والصمغ من شجرة الصمغ الكائنة على شاطئ بحر يوسف" فقمنا بإحضار ما طلب، وجعل الفتى يصف الريش وينظمه ويلصقه بعضه ببعض ويوصل عيدان الشجر وجريد النخل، ثم يصنع أريكة للقائد صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان، وبدأ في عمل ذبل للطائرة اليدوية، ثم جمع أسلاك معادن ومواد، وقام بتوصيل دائرة كهربائية وعمل دينمو وصنع محرك يعمل بقوة الرياح والطاقة الشمسية والضوئية، ووصل كل ما سبق وأكثر بطريقة حرفية يدوية صنعتها خبرته، ووضع بعض الكيوسين والقوى الطبيعية في مخازن الوقود وأدار محرك الطاحونة

الطبيعي، ثم نزع فتيلًا ووصله، وحول الرياح في اتجاه قوى دفع وطرد مركزي باستخدام جهاز صممه العالم الجليل وبتنفيذ كذا من المهندسين، وجعل القوى العاملة متحدة في شكل منتظم وآخر عشوائي، ثم أدار محركًا عملاقًا تتصل به كل القوى الرافعة، واستخدم الارتفاع البدائية، ثم أطلق من باطن الهوة المتقدمة قوة حرارية رهيبية، وكان قد جلس إلى كرسي القيادة ومعه صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان، وحلق بمساعدة الرفاق فوق صفحة مصرف عزبة عبد الواحد - النوارة والنسر - العذب، واتجه صوب الترعة الكبيرة المصرف الكبير العذب، ثم انحرف يسارًا حيث نخل الصعل المجاور للنخل الكومي، واصطحب أنور واللؤلؤ وخضراوي وعبد الرحمن وشدادا والصبية في النوارة والنسر عزبة عبد الواحد، ثم تراجع هنيئة صوب نخل الصعل ومعمل الأفعى ودوار عامر والغدير العذب وروضة حفني ومنزل بنيامين وابتسامة إسحاق وبيت الجدة نبوية والخالة انبية والجدة أفيات والعمة نبوية، وعاد في تحليق عجيب صوب النخل الصغير المجاور لبستاني ممدوح وممدود، وجلال الدين في كل هذا لا يزال بغالب الأمواج سعيًا للوصول للصفة الأخرى من نهر الأمل وتكوين جيش عملاق من العصي والجريد والأدوات البدائية والصخر والطوب، أنا تتيه معي في عالمي، إذن أنت بالرحلة بلا حدود حيث المتعة الأبدية السرمدية، وفي المشهد ذاته المتصل تحول آلة الزمان والمكان وتتشكل وحيث جعل الرحالة ومعه أشرف اللؤلؤ يضلان التماسيح ويدخلانها المغارة العجيبة والكهف المهجور أسفل صفحة نهر الموت بحر يوسف، فدلقت الكائنات المخيفة من فتحة البداية حيث جوف المغارة والكهف، وأسرع الرحالة واللؤلؤ منطلقين في سباحة حرة سريعة وحتى تمكنا في الأخير ن عبور الهوة المتقدمة أسفل الماء والانتهاى إلى فتحة النهاية في الطرف الآخر المغارة ذات الكهف الكهف ذي المغارة، وتظهر جميع المشاهد في ساحة آلة الزمان والمكان في توقيت حاضر حالي مرئي نحيا به الآن، حيث في الوقت الذي يأس فيه الجميع من استخراج الكنز من عمق الأرض، تولوا كل إلى دربه ومقصده، ضرب الرحالة الأرض بفأسه فظهر ذلك البريق الذي يشع صوب العين ويلقي نوره عليها، ماس وزمرد وتمائيل وياقوت ومرجان ومعادن نفيسة وأحجار كريمة وتبر خام، كل ما تقدم وأكثر في متناول اليد اليد، ووجد الحارس مستسلما بعدما صمد لأبعد الحدود، والحارس هو فتاة جميلة أسرة اسمها مرجانة ومعها شقيقها الحارس مرجان، تفجرت الأرض عن كنوز وأموال متصلة من نبع الحفر مرورًا في عمق الأرض حتى وصولها منبع دوامة بحر يوسف المتحول، لقد أبلى الصبية والرجال بلاء حسنًا، لكن اليأس من طول فترة الحفر كان مانعًا بين أنفسهم الطامحة وتحقيق الحلم، ظهر مرجان وهو يمسك بسيفه الأثري وخوذته ورمحه، يحاربنا بكل ضراوة وقوة، لكنه لما رأى الرحالة هدأت ثورته، الغريب أن مرجان شبيه الرحالة تمامًا، ومرجانة شقيقته، ذهل الجمع في هذه اللحظة، تجلت ها هنا هدية الكنز الثمين وهي عبارة عن كتاب سحري، كلما يقرأ منه حرف يتحقق على أرض الواقع، انظروا... الكتاب يشع نورًا وبريقًا، تدون عليه آيات من القرآن الكريم والرسوم الفرعونية وغيرها من الرسوم الأخرى، وملك الجان في مغارته

يحرس الكنوز الأخرى المتصلة، مجموعات مقابر أثرية يحرسها ويحميها الجان، ومدن
فاضلة وقرى وعوالم مخيفة في أعماق الأرض، فالنواراة والنسر عزبة عبد الواحد تسبح
فوق أنفاق وجسور مدفونة وجان وعوالم عجيبة، وتعم في شكل مرعب مخيف وتموج
موجا، الدوامة في بحر يوسف لتوها يهز أرجاءها زلزال رهيب، المياه تتناثر والأمواج
تتلاطم، وقارب فاطمة الصغير يتسع ويتمدد ليواكب الحدث، بحر يوسف نهر موت في هذه
اللحظة، وهو محيط شاسع وأنهار وعيون وجداول، يا للعجب.. انظروا تحولاته المتعاقبة
المتوالية، وكانت السماء في كل هذا ملبدة بالغيوم تهطل بالغيث وبرق ورعد يختلطان،
فيصدر صوت بل أصوات مزلزلة متزامنة مع العثور على خيرات الأرض، التماثيل الذهبية
تدب بها الحياة، إن لها قلوبا تنبض وتتنفس عبير الأيام وعطر الأحلام وسيد عملاق الرحلة
يشتبك في القتال ضد الملك الغضنفر خميس، فكل جبهاته القتالية ومونه وذخيرته وعتاده
وقوته، الكل يسعى لنيل ما يكفيه وأكثر من الطمع الدنيوي وثروات الكنوز المحصنة مئة قبل
الجان وأتباعهم، ويظهر الحن والبن وهم يحاولون السيطرة على الأمر، والديناصورات
تحلق بأجنحتها فتسد الأفق وتمنع زاوية الرؤيا، وملكة النحل لا تزال تواصل تحليلها الأبدى
السرمدى، وأم الصغار تجوب الوديان والقفار والصحاري والبيد والغيد سعيا للقمعة العيش
وسد الأود والجوع والحاجة لأبنائها وبناتها، ولمارد يزحف بالصغار وهو يحملهم فوق
جناحيه محلقا بهم في الأزمنة والأمكنة عبر العصور والدهور، وجزيرة الأمل تظهر من
بعيد، وروضة حفني قد تحولت إلى ساحة قتال، بها غدير وجدول سلمى ذات الرداء الأخضر
ة وأمل شقيقة فاطمة ذات البساط السحري تبحث عن أخيها علاء الدين صاحب المصباح
السحري والرحالة ها هو يستخرج الكنوز ويوزعها على جميع أهل عزبة عبد الواحد
النواراة والنسر، في هذه اللحظة بالتحديد،، نعم الآن والآن بالتحديد تهجم جيوش النواراة
والنسر والساحر الشرير وقوى الشر الغاشمة العالمية على العزبة الجميلة ويحاولون
الاستيلاء على خيراتها، تتصافر قوى الأهالي وتتحد، ويواجهون المغتصبين السارقين
الظالمين، وتتدخل آلة الزمان والمكان لتكون الحكم والفيصل، فتطلق غارات من أجهزتها
البدائية والمتطورة، ترسل صوب الغاصبين، وتدور رحى المعركة الزمنية المكانية التي لم
تتوقف من الأساس، حتى يظهر بهلول وهو مع أصحاب الكنز والكهف المرعب ومع كل
الأزمنة والأمكنة، فالرحلة مشاهدا في بقاع شاسعة لا نهاية لامتدادها، لا حد فاصل لها
أبدا، نعم يقول بهلول لما رأى أنور الذي يحبه: -، "لك كم يشهد كل زمان أنك يا قلبي أنور
تنير الدنيا ببسمة فيك واسمك يا أنور أنور كم تشقى وتلاقي الويل وإنك إذ تشقى صابر لك
طي الحرمان رفيق اسمه يا أنور صابر بك طرف مثل الأقمار أشرق ما فيه ونير " كان
بهلول من نطق بما سبق لأجل أنور، فهو يحبه بالفطرة والسجية التي طبعه الله عليها،
وأنور يشفق عليه من هذا العمل المضني الشاق في جمع الحشائش الضارة وتنقيتها
ونزعها من الأرض وساح الزروع والنباتات، يمسك بهلول بفأسه ومعوله والطورية
والقدومة، وحرور الهجير تحرقه، ومعه صديقه أنور يحاول مساعدته، فبهلول ضعيف

الجسد نحيل هزيل، لا يقوى على العمل، وهو للتو في حقل القطن إلى جوار حمادة، وحمادة يدير ساقية والده عزمي باستخدام البقرة والجاموس والحمار، بهلول يخاف على أنور وحمادة أن يمسهما الضر أو يدنو منهما الخطر، في حين تقدم الثعبان الأفعى صوب حمادة ولدغه، فأمسك به حمادة من ذيله ولوح به في الهواء وهو يضرب به الشجر والأرض وأعواد القطن، يلطمه لطما ويدفعه دفعا، والثعبان تزداد ضراوته وخطورته، قد أفرغ سمه منذ قليل فيه، والهدهد ومعه أبو فصادة وأبو قردان والقلق أبو العنز وعقلة الإصبع وأماني والرجل العملاق والرجل الوطواط وآخرون كثر وأخريات كثيرات، وزاد من الأمر سوء ومرارة أن الجان لا يبرحهم ويضايقهم ويتمثل بأجسادهم وأرواحهم، ثم تحول بعض الشيء المشهد في ناحية أخرى من الحدث، ودار في الفضاء جناح آلة الزمان ملحقا بها مع الجناح الآخر، ثم هبطت الآلة صوب الأرض وهي تحاول إنقاذ حمادة، وأقبل ممدوح لينقذ أخاه، وحفني يرى المشهد من حديقته العجيبة فيمتطي صهوة وجناح ديناصور عملاق وجواد طائر، ينتقل بين أجنحة الطير وملكة النحل تحييه وكذا الكائنات جميعها، ومعه ناعسة وبقية الكائنات ترى وتسمع وتشاهد وتحضر الحدث الذي ملؤه المغامرات والمفاجآت المتتالية على متن آلة الزمن والمكان العجيبة هذه، وتنتقل الأحداث فجأة وبدون مقدمات لتضيف إليها مفاجئة جديدة، ويحدث نفسه في شيء من الجنون والعقلانية ذلك الفتى الغريب شقيق أنور، ويقول والقليل يفهم قوله ويعي قصده: " في حين أنني أنا والذي لا أدري من أنا، لا أشعر إلا وقد أخذتني سنة النوم وأنا على شاطئ بحر يوسف أجلس، هنالك عن الجرف، والفتى فراج يسقي زرعه من مدرار مياه الشاب لصاحبه الفتى عزمي، تلك الساقية التي تستخرج الماء والدر والسحر والخير والشمس والقمر والثمر والسهرة، حتى سحبني الموج فرحا بي، وغمرني في عذب قطراته الشافية من بعد عون الله، في حين لا تزال العجوز ذات البيضة الذهبية البلورية تطارد عوني في ذات الوقت الذي تطارد هي ذاتها فيه من قبل الفتاة أفيات، إذن الأعماق والسطح وما بينهما ساحات قتال مانية، والروح معلقة حائرة تود لقاء ربها، ثم يصيبها الخوف فتود العيش في الدنيا، وصلاح لا يزال يكذب ويجتهد وهو يحمل الأسفار والطوب والظلط والأسمنت والحجارة المتكسرة، والفتى يحاول التخفيف عنه، وهم في الطابق السفلي يملأ كل منهم الأوعية والأجولة عن بكرة أبيها، يتحدثون ذلك الصبي الذي قدم من بلاد بعيدة كي يحصل على قوته وغذاء ومتطلبات أهله المعيشية ووالفتى وهدي على موعد مع مباراة كرة قدم، لكأن المباراة لن تنطلق إلا إذ أطلق صفارة البداية ولمس الكرة فأجاد كما يفعل كل مرة، يراقص الساحرة فتراقصه، وذلك المسكين يلعب معهم وهو يحمل الهم، فلقد كالت له الدنيا الوجل والحزن، وأبعدت عنه ما يسر خاطر بمقدار بعد المشرق عن المغرب، ثم يتقدم صبي الرحلة فينشد ويتغني، ويحضر المشهد الذي هو فيه يسير أمام الرحالة ويبكي أمه وأباه، كان يبحث عنهما، نعم... فالأم والأب هما مصدر الحنان ونبع الاطمئنان والسكينة، ولا أدري بافتي لم البكاء وأمك وأبوك ها هما أمام ناظري شاخصان ظاهران، وأختك وأخوك يحملان همك، أنت تشاركنا الأحداث في الرحلة الكريمة،

هيا انطلق وانشدنا من بديع سطرِكَ وحلو قولكَ " ضحك الصبي وأوماً برأسه مستجيباً والطير معه يردد ويغني وهو يقول: " لي كم يشهد أني جميل فعطرني ذاك الإكليل وإني أحبك نهر النيل واسم رفيق العمر خليل لا أنساه برغم البعد إن خليل ربا وخميل "، ليتكم تتركوني وشأني، فلكم حالكم ويشغلني حالي، وبني النازلات تحل، فلا بها أبالي " قال ما سبق ونطق به وهو يمر بسبيل الماء الذي وضع على جانب الطريق ليشرب منه الظمان، وقد كانت ساحرة الطرف تمر هي الأخرى ولكن مصادفة، فتحوّلت كل الفصول إلى ربيع وإشراق إذ حلت هي، بل قل هلّت كضوء باسم فرش سحره وأهداه للعالمين وأفترس السندس والشجر والإستبرق وعطر الدنا وأحلام المنى، وكانت رشا بالقرب من الحدث عند نخل الصعل تطارد الجان عله يخليها لحالها ويتركها لشأنها، والمعلوم أن هذا الجان هو الذي يسخرها في ملك قبضته وتحت إمرته وسيطرته، كابوس يطبق عليها وتحاول الفرار منه ولو بالموت وحلول المنية والراحة الأبدية، وأغدقت الدنيا على العالمين أيما إغداق، والفارس المثلث هو أمير الزمان والحياة، يخطر هو الآخر في دروب البسيطة وعلى وجهها، وفي ملمح مشابه وتحول لا يخلي خلفه حدثاً، أقبلت آلة الزمان والمكان الآلة الزمكانية، فأبّلت بلاء حسناً، وكانت تحط فوق ساح بساط فاطمة ذات البساط السحري وشقيقة علاء الدين بفانوسه السحري، وكانت مثل البدر، ألا ترون؟! إنها أنشودة زمن ولحن أمل وقيثارة شدة وطروبة، والرحالة لا يزال في بحثه السرمدى عنها وهو في موكب ملكة النحل الطائفة، حيث يقبلون وجه الزمان ويبحثون في قسماته عليهم يعثرون عليها، نعم.. ففي ذلك المشهد وهذا الحدث يرى البقوشي ومجموعات من رؤساء العمال والذي يدعى كل منهم بالخولي، حياة ريفية جميلة في قرية العين وبهجة الفؤاد ونوره وحسناء الطرف عذبة عبد الواحد النواره والنسر، نعم فقد " كان الشرر يتقد من عيني كل من البقوشي وعبد الرحمن ونيّاز ومحروس وحسن وعاطف وشحاتة، وهم المشرفون ورؤساء العمال والقائمون على رأس العمل يضربون وينهرون ويوبخون، وكذا يفعل غيرهم من عصبة الضيم، ورغم ذلك تناولت عوداً يابساً مضى أوان حصاده، وجعلت توجع البقوشي ضرباً وتشبعه ألماً، والخولي يتأوه مستصرخاً ويتوجع صارخاً، فقد كان ضربها مبرحاً، تفرق العود على كل أجزاء جسده وتحطم وتهشم، والنواره لا تصدق ما ترى، كيف تجرأت تبر على فعل هذا؟!، إنها مستمرة في المقاومة في فداء وتضحية، ورؤساء العمال يتقدمون نحوها في ثورة وغضب، والصبايا رفقتها يتشجعن، وها هن يلقين الظالمين بالحجارة والطوب، وبرغم كل هذا، فقد كان يعتصرها الألم وهي تجد هذا المصير من الظالمين هؤلاء، تلك المجاهدة من أجل لقمة عيشها وأسرتها تسد رمقهم وتقيم أودهم، وفي النهاية تلقى كل هذا، حقاً إن تبراً صبورة لأبعد الحدود، وها هو الخولي رئيس العمال يرفع يده ملوحاً بالعصا التي تقبض يمينه عليها، يلوح بها صوب تبر قاصداً إياها وهي لا تهابه ولا تأبه لهجومه، بل تقدمت نحوه متحدية إياه، فاستشاط البقوشي غضباً وثار ثورته وضربها بالكرباج والسوط، ثم دفعها بالعصا التي يتكأ عليها، لكنه لا يهش بها على غنمه، بل يهش ثم يضرب بها الكادحين

المجاهدين من أجل كسب قوت يومهم، دفعته الفتاة بدورها فطرحته أرضاً، ورأى عبد السميع المشهد فثار لثورة رفيقه في الظلم والجبروت، وكان النسـر يقف شامخ القامة متغطرساً مسلطاً على الجميع، حتى امتطى صهوة جواده وعدا به صوب تبر، فسلط عليها سوطه وهو يعلو الحصان، هنا اندفع محمد بهجوم وحشي غير محسوب النتائج والعواقب، وتناول النسـر ممسكاً بعنقه وعصاه وصولجانه، وكبه على وجهه، وهنا يثور ابن النـورة والنسـر، وتقوم فلا تقعد ثورة لأمه النـورة، فتعدو صوب تبر وتمسكها من شعرها الحريري بعدما تسقط عنها عمامتها وعصابة رأسها، "نحن في الوسية وعهد الإقطاع والجبروت"، نطق بالعبرة السابقة روح الرحلة الذي لا ندري من هو، ربما يكون الراوي أو سندباد أو الفارس المثلث أو شخصاً لا نراه، أو نراه ونعرفه جيداً، فلما سمعت عبارته النـورة أمرت رجالها بالقبض عليه، وتحول المشهد ولم يتحول، لا زالت الشاشة والمشهد يتسعان ليحتملا كل الأحداث وأكثر والأزمنة وأطول والأماكن وأوسع، آلة زمان ومكان آلة زمكانية مذهلة، حيث عن طريقها وبعد مشيئة الله تذلل العواقب ونجد صالتنا، وتتحول من مشهد لآخر في نفس دائرة الحدث، فهي لا تترك حدثاً خلفها ولا تنحيه ولا تضعه في المرتبة الثانية من حيث المشاهدة والعرض، ووقفت ناهد تطل من شرفتها المرصعة بالجمال، وأطل معها البدر متمثلاً في مقتلتيها، إذن يحق لنا أن نقول أن بدرين أطلا فسطح لأجلهما الكون وغردت الطيور، كانت بجوار الشادية النادية أميرة القصر ومعهما سلمى الرائعة ذات الرداء الأخضر، وكان لناهد إطلالة كما الصبح وقت الإشراق، وكان لها صوت تهمس به للقلوب فتطرب وهو كتغريد العصافير، ولم أقول كان وكانت وكل شيء قد جلب من المستقبل والماضي إلى حيث الحاضر الذي نحياه للتو، فالفتاة ناهد استقلت وتستقل البساط السحري الخاص بفاطمة ومعها أمل شقيقة فاطمة، وكانت الكائنات على كل بقعة منه، انطلق البساط بالجميع وهو لتوه آلة الزمان والمكان بالرحلة بلا حدود، اقتربوا من جزيرة الأمل التي أضحت روضة جميلة وحقلًا وبستانًا، على جانبيها بحر يوسف يحتضنها وهو نهر الأمل ونهر النيل والمحيطات والآبار والعيون والجداول، ثم ظهر - الملك الغضنفر خميس - يشق صفحة الحدث ولا يخلي خلفه مشهداً، وطوى الآلام واعتصرها بقبضته ولوى ذراع الأيام ويثير النقع ويقرع طبول الحروب ويدق جرس الأخطار طاويا كل الآلام، ما تهمه من النوازل جسيمها ولا من الخطوب مزلزل القلب منها، ووقف وجيوشه عند قلاع روضة حفني وأسوارها المحصنة، وهو يهاجم ابن النـورة والنسـر، والأخير يطاوله بجيوش لا قبل لأعتى القوى بها، وناعسة من داخل الروضة تظهر وطرफها ساحر يضيء كما البدر، مصطفة رموشها مكحل حاجبها، منورة عيونها، مشرقة قسماتها، تحنو على حفني أيما حنو وتخشى عليه من النسيم العليل أن يداعب صفحة وجهه الملائكي، وكان الصبح يشرق على العالمين ليكسو الحياة بلباس الضوء البهيج، ويلبس الوجوه نورا يلمع في صفحة كل مار وسالك درب الحياة لأجل لقمة عيشه، وكانت جيوش المكل الغضنفر خميس مجهزة بكل أنواع المؤن والعتاد، قوى بشرية مدربة، وجنود مخلصون، اعتادوا المخاطر وألفوها،

وكان عتادهم من العجلات الحربية والرماح والقوس والنبال والقتابل والقاذفات والأسلحة
لمتطورة والغواصات وقواعد الطائرات والسلاح المبيد والذي يستخدم وقت الحاجة إليه، ثم
ظهر روح الرحلة والذي لا نعلمه وكان منهكا متعبا، عليه آثار الشوق ونقع الفراغ، يلبس
حلة السعادة رغم ذلك وتغالب ابتسامته الآلام، وهو يقول والشوق يرتسم في ملامحه كما
تظهر الوردة ذابلة تنتظر المياه أن تطفأ لهيب حبها واشتياقها: "لم أغب عنك كثيرا، لكن
كأنما غبت الدهر كله، الماء لي أنت وسر الحياة، والخضرة تعم فصل الربيع، والنبض
يملكني وأملكه، والنسيم حين يتهادى مداعبا الأفنان، والروح آن سفرها في الجداول
والحقول والزمان، ووقت تسلم ذاتها أسيرة لقلبك الرحيم". كانت تعجب من سلاسة
وانسياب مفرداته وحروف، وتحس الصدق فيها، وتتمتع ببوحه الرقيق، فسحر آية من آيات
الله في الكون، جمال وخفة ظل، إنها روضة وارفة الظلال أطل عليها الربيع، شيء يأخذ
الأحداث ويجمعها وينوعها، يفندھا ويقسمها، بيد أنه لا يخليها أبدا، حيث تتقلب الرحلة
وتتقلب، وتموج وتثور وتلعب، ونحن بها أرواح وليالي الدنا، وأنا في الدنيا والآخرة وكل
شيء أرغب، في فضل الله أطمع وآمل، أن أصحاب النعيم الذي لا ينضب، نحن في الجنة
الآن، حور عين وولدان مخلدون معنا، ألا ترون، وها هي الجدة والفتاة أفيات تطارد الجنية
ذات البيضة البلورية الذهبية والتعويذة والعصا العجيبة التي تشبه عصا سيدنا موسى، بيد
أن عصا النبي الكريم تستخدم كما ترون في الخير، يهش بها على غنمه وله بها مآرب
أخرى، يضعها بالأرض ويغرسها بطريقة راسية فتنبت له الثمار والطلع الجميل
والخضروات، ثم إنها تورق وتتفرع وتمتد وتتوسع فيستظل بظلها، وكذا تستظل الكائنات
الجميلة وأنا معهم، وأنا في الأساس لا أعلم من أنا، ربما أكون الرحالة أو سندباد أو الفتى
الملثم والفارس النبيل، نعم... الجدة أفيات لا تزال تضربها بالدبرك تركلها بقدميها، ثم إن
عوني يهبط إلى القار والأعماق في الظلمات فيقابل أنور وحوته الصديق، ويقبل حاليمة
وفاطيمة وكاريمه وريمة ومشكاح وملك الجان، وحليمة تبكي في بئر العسل بعد أن غدرت
بها ريمة، الرحلة لم تترك شيئا، وأنتم بها وفي عقولكم المعلومات وتخوضون الأحداث عبر
كل الأزمنة، ومعنا أنتم في الجنة والنار والخلود والبساتين والكوثر وبحر يوسف وعزبة
عبد الواحد النواره والنسر، والأخيرة بؤرة الرحلة وقلبها النابض ووترها الحساس
وقيثارتها الطروب، ثم إن نخلا الصعل يعج بالكاننات الغربية الجنية السحرية، قدمت من كل
زمان ومكان، ومن النخل الكومي والذي به الآن العم الدسوقي بخبف سمهان أسمهان
وعزبة وتبر وفتيات الرحلة الأخريات، إن تهت بها فهذي هي الرحلة، التيه بها عنوانها،
أيها الجميل الذي سبقني شوقي إليك، أسير في واد بالا زرع منبت ومورق، وأرى البساتين
هنالك عند غدير الأمل، وأنا أنظر في صفحة الغدير فلا أجد إلا صفاء، اسم على مسمى،
تأسرين فؤادي أيتها المشرقة وتملكين كياني ونفسي " كانت صفاء لا تصدق كل هذا السيل
الجارف من المشاعر المتدفقة، فتخضب وجهها بحمرة الخجل والسعادة، وأنت باكية لا من
وجل، بل من فرط فرحة دنت منها فملكك الفؤاد واللب، وكان عوني لا يزال يصارع الجنية

العجوز ذات البيضة والحجر والعصا السحرية، وهي أيضا صاحبة الحية ذات الجوهرة والتي توجهها لتلدغ وتميت الناس وتنثف سمها فيهم، أطلت صفاء صوب عوني وهي تبكي بكاء حقيقيا وتذرف الدموع كثرى متلاحقة، حتى صعدت لتوها متن آلة الزمان والمكان والتي هي بدورها للتو قارب فاطمة الصغير المتجول المتحول، ثم هبطت وهي التي كانت تحلق منذ برهة وهنيهة، نعم هبطت فوق بساط فاطمة فوجدت أمل شقيقة فاطمة هي من على البساط تقوده ببصمة صوت شقيقتها الذي تلائم مع صوتها، نعم.. فهما كيان واحد وإحساس هو ذاته متمثل في شخصين، تشعر كلتاها بالأخرى، فإن تتألم واحدة، الثانية تتألم وتحس نفس الشعور، وإن أسعد إحداهن أمر سرت السعادة في أعطاف وكيونة الأخرى، وقال الهاتف مستكملا حديثه مستطردا في عطف وهذوء بال: ثم أنه قد سبقني الهدهد إلى هؤلاء الأعداء سبقا، وشرع يطاردهم وهو الضعيف الهزيل، يبحث لي عن العشب الطبي النادر ويرهق نفسه سفرا جينة وذهابا، وقرأ الحزن المرتسم في ناظري وعيني، وكان قد شاهد اعتداء الخونة علي في تلك الغابة الموحشة وأنا أعبرها حيث بر النجاة، لم يكن يعلم أنني أراو غهم حتى أصل إلى القائد الأعلى، ولكنه رأى استماتتي في الدفاع عن نفسي، ولمح مهاراتي في القتال، وكان معي عبد الرحمن ونحن نتعلق بفروع الأغصان، ثم ها هو يهبط عبد الرحمن ويراوغ الثعالب والنمور والتنانين والتماسيح، ويشغلهم عني ويشتتهم حبا لي، يفضلني على نفسه، فهل لاحظت ذلك أيها الهدهد الجميل؟! فهز البلبل جناحيه وصفهما ثم أطبق بهما نحو جسده وطواهما وهو ينفض عنه غبار الحزن والألم، ونظر إلي وطفق يغني لنا وهو يقول: " أحب لرحالة عبد الرحمن إن الرحالة إنسان يضحى بحياته من أجله مع عبد الرحمن الأمان " كان نظمه جميل، ثم أفلت المسحور من القيد وجعل يجرح عثمان بالكلام والشتائم ويهينه وهو يسرع صوب بحر يوسف ثم يرتطم بموجه سابحا حينا وحينا غائصا، ويكيد له بالقول بعدما وعده وهو مقيد أسير أن يأت له بسمكة لو أطلق سراحه، كان المسحور ذا شعر كثيف مخيف وهيئة مرعبة، وإنه لو نظر إلى الوليد لشاب ذلك الوليد، وكان عملاقا وله أظافر نارية يغرسها في جسد الضحية، وهو يتشكل على كل هيئة، إنه ابن الجان وسليله، تتبعه عثمان وقفز إلى البحر، فلعثمان قلب حديدي لا يلين ولا يخضع، وهو الفتى الذي لا يعرف للخوف طريقا، وكان معه مثيله وصاحب الطباع المشابهة لطباعة وهو الفتى عيسى، قفز معه إلى اليم والبحر، ودارت رحى معركة مائية رهيبية، انطلق مثناهما وهما يداعبان الأمواج ويشقان غدرها ويلتقيان بالعدو، ظهرت أشباح وعفاريت ومساحير وكائنات مائية تندفع صوبهما، وكان الفارس المثلث لا يزال يصارع الوحوش فانضم إليهما، ثم انضم وهدي واللؤلؤ وخضراوي وشداد وسندباد والرجل العملاق، تدخلت آلة الزمان والمكان التابعة للرحلة بلا حدود، وانقلب بحر يوسف وتحول إلى نهر موت وبحيرة هلك وهوة متقدة، ولا يزال عثمان وعيسى يحاربان ببطولة ويسوقان ويقودان قارب قاطمة ومركبها الصغير بمهارة فائقة وو تحول القارب الصغير إلى غواصة كما ترون، فجعل صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان، جعل يطلق وابلا

من الصواريخ والقاذفات الموجهة، إذن آلة الزمان والمكان الآلة الزمكانية هي عبارة عن قارب متحول هو قارب فاطمة والرحالة، والأخير لا يزال يبحث عنها حتى وهو في معمة القتال لتوه الآن، لا تغيب الفتاة عن خاطره، تلك التي ملكت وجدانه، فلا يلبث معتز إلا أن يهدي الكرة إلى كامل، والأخير يمر مراوفاً العديد ويبعثها عرضية تتهادى في انسيابية كأنها موج في بحر يوسف، يبعثها عرضية كما ذكرنا إلى هاني المدافع العملاق والذي يتسلمها ويستلمها في هدوء وهو يحتفظ بها بعض الشيء لحين رؤيته ثغرة معينة فيبعثها فجأة طويلة حيث عبد الرحمن في الجانب الأيمن من منطقة دفاع الخصم، فيتفرق بها عبد الرحمن وكأنها زهرة لا يريد قطفها أو أنيتها، يلمسها بصدرة بطريقة فيها جل المهارة كي يهديها لقدمه اليمنى ويبعثها لأحمد القادم من الخلف، فيتفرق بها الأخير ويعود ممرراً إليها حيث سلطان، والذي لا يمهلهما فرصة للراحة والاستقرار فيدفعها بعنوة وجبروت مصوبا إليها صوب الزاوية اليسرى للحارس العملاق في الفريق المضاد لتسكن الشباك مزغررة مغنية وهي تلحن لحن الأمل وترسم الحسن على وجه الحياة المتفائل، ويستمر ضغط فريق الأحلام بعزبة عبد الواحد النورة والنسر، فيهزم كل الأندية والمنتخبات الدولية والبلاد والأقطار، وهو يتغلب على البرازيل وانجلترا واليونان وأسبانيا والمجر، وحتى الأندية التابعة للجان والسحرة، ليتزعم العالم وتكون له الدور الريادي ويكتب له السبق، ثم إن قنديل الضحوك المستبشر مع بهلول في طريقهما للعمل في الوزارة، ومعهما سلطان وضرغام، والوزارة تعني هنا مساحات ممتدة من الأرض تابعة لوزارة الزراعة، يزرع بها القطن والفول وبساتين الموالح والفواكه وثمر عين البقر بشجره العالي الممتد كي يعانق السحاب وأنواع لا حصر لها من الزروع والحبوب والمحاصيل، وبها الجرن الحاوي للحبوب بمختلف أنواعها والحصاد المتنوع، ومع الصحبة المذكورة أناس كثر يترعهم الفتى عبد المهيم، هنالك في الوزارة وكما ترون صعوبات بالغة وعقاب لا ثواب، من يتباطأ عن أداء عمله يكوى ويجلد بالسوط والكرباح، حيث يبتسم ضرغام مداعبا الجميع وهو يقول وخفة ظله تسبقه: " ها نحن ننتظر السائق رأفت، وكلكم بالطبع تتمنون أن يتأخر اليوم، فنعود بناء على هذا أدرجنا حيث جنة عزبة عبد الواحد النورة والنسر؟! فضحك بهلول وتهلل وجهه، وتراقص قنديل وغنى، وتمايل محمد من فرط السعادة وهم يقولون: " ليتة لا يأتي اليوم، ولكن المهم أن يكون بخير، هو بالفعل شاب عنيد قاس، لكن قلبه طيب حنون، كل ما في الأمر أننا نعاني الأمرين،، فحرور الهجير في الجرن هناك تلفح وجوهنا، والخولي عبد السميع يلهب أجسادنا بالعصا والسوط " وكذا حسن ومحروس وعاطف وآخرون، وكان يؤيد الحديث هذا فتى خجول اسمه كامل، لا ينطق إلا قليلا، لكنه يتمنى أن لا يعمل في هذا المحيط من الظلم والمهانة والإهانة، وكان كامل تدمع عيناه لكامة واحدة تقال ضده، وها هو يضرب ويصفع ويسب، فيثور ولا يهدأ ويصد الهجوم، وهو طفل باك م عيونه دامعة، حزين قلبه ولو ما أغضبوه فعيونه لامعة، انظروا إليها، تتقد شررا الآن، يبدو الجان تملك منه، وهو مع عوني يغوص في أعماق المياه المجهولة، ومعهما أنور يسمع ويرى ويتنفس تحت

الماء، مستقلا حوته، ثم يصعد حيث قطار السعادة وو هو يقوده للتو بشيء من المهارة، وهو قطار طائر ساع مبحر غائص محلق منقب، ونزل القطار كما ترون وسبح بقائده أنور، وكان مع أنور صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان، ها هو كما ترون يعلم أنور ويوجهه كي يقود آلة الزمان والمكان في جميع تحولاتها المريبة العجيبة، وكان سلطان يلحظ على كامل كل خطرة ودقة ولمحة وجه وقسمات صفحة أمل تتمثل بحياه، حيث يقول له للتو: " أعلم أيها الفتى كامل أنك تتمنى عودتنا لا ذهابنا " فارتسمت علامات الخجل على محيا الفتى وهو يحاول أن يحجب صدق عينيه دون جدوى، وفجأة أقبل رأفت السائق بشاحنته العجيبة الضخمة العالية، بل الشاهقة الارتفاع وهو يشق الطريق في عجلة من أمره، فقفز كامل بها بعدما تعلق بجانب منها وهو يقول لسلطان " كل شيء مكتوب ومقدر " والحق أن كاملا حزين، لأنه يلاقي الويل في الوزارة من الخولي حسن ومحروس ومن المدير عاطف ونائب المدير شحاتة وكل القائمين على العمل، هم يدمون أجساد الصبية والصبيات بوحشية مفزعة موجهة مرعبة، الفتى يبكي في داخل قرار نفسه ويحجب العبرات، لكن العبرات تحن وتثور من دنيا ملؤها الألم والأنين، بكاء داخلي تحجبه النفس، وآخر ظاهر لا يستطيع الكيان حجبه، تنهمر الدموع، دموع تحد لا دموع استسلام، ولا تستغرب لتعبري، فالانتصار هو الدموع، والدموع راحة، حيث سكنت بالنفس طمأنينة من نصر حققه المستضعفون، يلقون بالحجارة على المعتصبين المجرمين، ويقاثلونهم بالأيدي والأقدام وبالغزائم والهمم، وبصون الكرامة ورد المهانة وو عدم الاستكانة والرضوخ والانحناء والخنوع، ثم ينفرد بنفسه فيبكي بكاء مصحوبا بدموع وآلام، " فيما يبحث عن حريته لا يزال قنديل أنيسه البدر والليل الطويل أرقه النوم وهو المشتاق أن يبقى له على الدوم دليل من ضوء نهار وشعاع الشمس ما ناله قلبه من الحظ قليل لكنه يؤمن أن هذا خير فمن فرط الريح الغصن يميل " وصف الرحالة صديقه المضحك قنديل وكان يبتسم له ويداعبه كي يخفف عنه، فنظر إليه قنديل مبادلا إياه البسمة بمثلتها وقال: دوما ما تدفعني للسرور فجأة، وكانت الفتاة نعمة مع شقيقتها أنعام تزيان الرحلة، فهما زهرتان لا تستحقان القطف، فمجرد قطفك للزهرة، لا تستمر نضارتها كثيرا، بل تذبل وتمرض ويصيبها الوهن، وتفقد عطرها ورونقها "، وفي وجه من وجوه رحلة بلا حدود، وجه غير منفصل عن الحدث أبدا، حاول يا صلاح حفظ اتزانك ولا تجعل الجوال يتدحرج من أعلى كتفك " ضحك صلاح وهو يعدل قامته، ولقد كان الحمل ثقيل جدا، فالرفاق يملنون الجوال بالرمل حيناً وبالحجارة والطوب المكسور حيناً آخر، وفي أوقات أخرى يكون الحمل والثقل ذاك من الطوب أو الأسمنت أو الجبس أو من المتاع والفراش، يصعد الفتى درجات السلم مثقلا بالأحمال والهموم معا، فكيف يتسنى لنا توفير لقمة العيش وإقامة الأود دون ذلك الجهد المضني؟!، قد تم تقسيم الطوابق المراد الصعود عبر درجات سلمها بين العاملين، وبعض الطمع كان يسيطر على أحدها فيكيل كيلا ثقila يثقل به كاهل من يحمله بعده، ويحدث شجارا متواصلا مع الرفاق كي يظفر هو بالنقود وأجر العمل، فأواجهه بغلظة وشدة وقسوة، ثم لا

نلبث إلا أن نتصالح ونتعاون، هكذا حال الحياة، وهنا استمر صالح في مقاومة للأحمال والصبر عنوانه والأمل قرينه، حتى انتهينا بالكاد من الصعود بكامل عربة الرمل واسترحنا بعض الشيء، وعدنا أدرجنا إلى سوق العمال نكد ونجتهد، وعدنا بالفعل كما ترون والعرق يرسم ملامح ثيابنا ويعانق وجوهنا، والصحبة يرحبون بنا ويدعون لنا بالرزق والخير ونحن نبادلهم الدعاء لهم وندعوهم لمشاركتنا الطعام والشراب فيفرحون، ألا ترون فرحتهم المرتسمة فوق الثغر والجبين، فرحة مصدرها القلب والصدق عنوانها، وصالح ها هو يجلس عند فتحي ويشرب الشاي، وفتحي يضحك الناس بطريقته التي تكسوها خفة الظل والروح المرحية، على أن الأحداث تتقلب فجأة مع آلة الزمان والمكان ومريم تحضر الأحداث الأخرى المتصلة معنا، وآلة الزمان والمكان عموماً لا تخلي أو تترك حدثاً خلفها، وكيف هذا وهي جامعة الأحداث عبر العصر والأزمنة والأمكنة، لقد جلبت واستحضرت وجمعت مع الكائنات المقبلة من كل الأزمان والأمكنة، بأمر الله مسبب آلة الزمان والمكان وخالق كل شيء، نعم... الله تعالى هو خالق كل شيء ومليكه، ولا تسير الرحلة إن لم يقدر لها تعالى ذلك، وهو مسبب الأسباب، كانت مريم تتحدث بما سبق وكأنها حكيمة الرحلة بالرغم من حداثة عمرها، فراشة هي جميلة تزين الحياة، زهرة في روضة الحسن لها بريق وجمال ومنها عطر وشذى وعبير، فلما رأيتها أنا ولا أدري من أنا، رحت أتغزل بها، وأنا الحاضر معكم كل الأحداث، والذاهب والمسافر مع آلة الزمان والمكان أينما تحل وترسو، نعم شرعت وجعلت أغازلها ذلك الغزل الرفيع الرقيق الجميل وأقول: " هي الجمال وعصفور لدى الظل صف الجناح على روض من الفل به الرشاقة أغصان لدى حقل جاء الربيع فحياها ولم يزل البدر يبرق لو شمس تداعبه وضوء مريم موصول كما الأمل للنيل موج حياها ومنه بدت في بحر يوسف آيات من الغزل إن النسيم إذا يهدى يكون لها كم تشفي قلبي من سقم ومن علل قد عشت عمري رحالا بغير هدى حتى التقيتها في إغفاءة الظل لما حرور من قيظ أضيق بها عندي تبدل قاسيها إلى ظل والظل إنها وشرار السفينة مضى إلى النجاة بموكب ذلك الوصل هي حلم عمري وحياتي وفيض منى وخطو خير وسنة خيرة الرسل أيا فوادي لن تشقى ومنها ترى ظلال ود على أحلامي متصل وعبير زهر فواح يروق لنا ونور أمل كم يمحو دجى الليل فلولاً الضياء ما ظهرت بدور دجى وما لاح فجر يهزم قسوة العلل كم صان نفسي وأبرأها من السقم كوني التقيتك يا نهرا من العسل." كان معلق بصرها، تائه ناظرها، الإعجاب مليء عينيها وقلبها، ودوامة بحر يوسف لا تهدأ والأحداث ترتعد وترعبنا، رحلة بها جنون الود فاق ضراوة واشتداد الأحداث، فنحن نواجه المنية ونبحث عن الكنوز ونحارب ونقول الشعر ونضحك ونبكي ونتألم وننعم في آن واحد، فإن لم تتمالك نفسك وتصل لدرجة الاتزان فسوف تجن لا ريب، فها أنا أتيه ومن معي بالمغارة أسفل الأعماق وتظهر سارة الرعب يدب في نفس وقلب ولا تجدي معنا حتى المهارة جان يخيفنا في كل حين والجنية العجوز بها قلبي حارا وينتظر حفني في روضة أمل وناعسة معه تعطي إشارة دوامة يوسف بحر الأحلام هي بيت رعب وهي المنارة " ؟ فهل أنا من أكتب هذا وأصف، لا

أعلم إن كنت الرحالة المتشكل المتحول، وكذا الطفل الذي لا يكبر، طفل يحيا في ربيع دائم...سمعته فاطمة وهو يحدث نفسه، فنادته من مكان بعيد..فهل قد امتد المخبأ السري بقاربها الصغير ليشمل كل مكان، إنها بالمغارة المجاورة للكهف الذهبي في عمق بحر يوسف، أغلق عليها الجان الأبواب وأحكم الإغلاق... " هل تسمعي يا رحالة " يدهش الرحالة الذي كان يحدث نفسه منذ برهة، إن ذلك الصوت القادم هو صوت فاطمة ذات البساط، تلاًلأ جبينه ولمع وبرق وجهه وسطع، ملأه أمل لو وزع على العالم لكفاه، وانتفض من أعماقه انتفاضة الأمل المبهج والحلم المقبل على التحقيق، ينادي بأعلى صوته وهو يخترق كتلة الماء وكثافتها وقوانينها الطبيعية " فاطمة، تالله أنت هي، أين أنت يا ذات البساط ؟!" فشعرت هي الأخرى بأنها وجدت ضالتها، لكن كل شيء بالنسبة لها وله هو حاسة السمع، فهما لا يريا أو يشاهدا بعضهما، هذا أمر محير، ما الحل... كان الرحالة يلف ويدور ويتقلب ويثور ويبحث وينظر ويدقق وهو يصرخ بأعلى صوته المكتوم أسفل المياه:" فاطمة، أنا لا أراك، نحن ها ها في قعر وعمق دوامة بحر يوسف اللانهائية العمق، بالقرب منا مغارة الموت وكهف الظلمات وجزيرة النسيان، الأحياء معنا والكائنات وأم الرحلة ومحمود ودلال وسندباد وقبطان والفارس المثلث وهو الفتاة الشجاعة الباسلة المضحية تبر التي لا تزال تصارع تماسيح بحيرة الهلاك، نحن بنهر الموت يا فاطمة، هل تسمعينني؟! لم ترد الفتاة، وها نحن- كما يرى المشاهد _ نتعمق في السباحة والأحياء المائنية تطاردنا، ندنو من دوامة بحر يوسف التي تشتد ثورتها، جان يقلب ماءها ويدفع بشلالات متلاحقة من الأمواج الهادرة التي تغلو وتهبط، إن مقبرة ذهبية وكنزا دفيناً بل كنوز هنا، الجان يحرس السراييب والمغارات وغرف الذهب والياقوت، دمي وعرائس وتماثيل وأوثان، تتحرك وتذب بها الحياة، ثم نتدحرج في الأعماق وأنا روح الرحلة وراويها مشارك من قلب الحدث دوماً، الرعب يدب في كيائي وكيان من معي،،واني لأشير إلى راحة العقل من منظور أنه، لو لم يعقلها المرء ويتأنى ويحمد الله ويصبر لأصابه الجنون والعته وللج في طغيان يعميه ويضله، فالإيمان بالله لهو في المرتبة الأولى من حيث اتقاء شر الحياة ومفاجآت لها تحدث اضطرابا وقدرا وما القدر بمعيب منا ولا ملام عليه فلا يصح كل هذا، ومن يصبر على الفاجعة يبدله الله خيرا ويرزقه بالعوض والتعويض، فيما تتقلب الآلة الزمكانية العجيبة، لقد مضى عيسى فيها عند الروضة هنالك لدى ابن عمه حفني، يزرعان ويقلعان ويشكران ويحمدان الله، فلما انهالت الصواريخ من قبل ابن النورة والنسر عليهما، دنا منهما الملك الغضنفر خميس يعرض عليهما مشورته في ذات الوقت الذي يهاجم ابن النورة وجيوشه فيه، والملك الغضنفر خميس قائد محنك وملك مبجل كم دارت معارك وجولات على مر حياته ولم تزل تدور، وكم دقت على رأسه طبول وحلت فواجع ونواب ومصائر وأهوال ونازلات فأبلى فيها كلها بلاء حسنا، وكانت خطة هجومه عبر أنفاق تتخلل أعماق بحر يوسف وتنطلق العمليات من قعر دوامة البحر الملتهبة الثائرة هذه كما ترون أطلال الرحلة وكائناتها، فافتنعا بحسن رأيه وغاصا في الأعماق يتحديان الدوامة، فإذا بلؤلؤ

وياقوت وذهب خام وتبر وزبرجد ومعادن نفيسة وحلي وتماثيل مرصعة يجدونها في قعر الدوامة، على أن الدوامة ليس لها بداية ولا نهاية، استمر الغضنفر الملك خميس ومعه عيسى وحفني والرحالة وعبد الرحمن وصري... استمروا في زحف مطرد وهم يلقون وابل صواريخ وعجلات حربية وسهام ومجانيق صوب المحتلين، فرد الساحر الشرير عن طريق الطوربيدات التي تطلقها الغواصات، في الوقت الذي تقدمت فيه السفينة حاملة الطائرات وعلى متنها ما لا نهاية من المعدات والمهاجمات والمضادات الأرضية والسمائية، وعليها يقف قبطان وسندريلا وسندباد وأم الرحلة والعالم الجليل والفارس المثلث وآخرون كثيرون، وكذا الكائنات، ودارت رحى حرب عالمية كونية، ثم هتف روح الرحلة يوقظ النيام وهو يقول: "ولكم أتمنى أن تحافظ على البقية الباقية من رجاحة عقلك وأنت معنا في هذه الرحلة، وكما تعلم وتعلمون فإن كل شيء وأي شيء معنا بها، فتلك أوجدها الله وجعل لنا فيها نعمًا جمّة، فلتشكروه تعالى معي، لكل إنسان منا جانب جميل ملكه سبحانه إياه، ومتعة وإن بدا لك أنه معذب، سبحانه الله الذي ليس له والد ولا ولد ولا شبيه وهو الفرد الصمد، وليس له صاحبة ولا شريك ولا ند، ثم إن الفيلسوف حمادة لديه توتة جميلة بها العسل والشهد، توتها أحمر وأصفر وأسود، دائمة الإثمار هذه الشجرة، أليس كذلك يا حمادة؟! فضحك حمادة وأثنى على صديقه وصافحه، ثم تجلّى لطف في هندامه الجميل المعطر وهو يعبر الدرب سالكا الجسر الترابي ومارا بالكوعة، والكوعة منحني في الطريق كأنه الكوع في ساعد الإنسان، انزوى إلى الناحية اليسرى فمر بتوتة حمادة وحقل خلف ثم نزل إلى النخل الصغير وهو يشدو ويأسين يشدو معه، وجعل يستمر في السير وأنور خلفه لا يشعر بوجوده، ثم هتف أنور صائحا فالتفت لطفي ضاحكا وعانق أخاه، وإذ بالجان يملأ المكان والنخل الصغير بالقرب من النخلة الخرساء، قرأ لطفي القرآن وهو يثق بعون الله ومده له ولأخيه، وكان ممدوح عند بستانه وحديقته والصبية والصبايا يلهون ويلعبون عند الجدول العذب والقناة الواسعة، وحمادة يلتقي ملكة النحل وسلمى وأباها النحال، يأخذ شمع العسل من الخلايا ذات الشهد، ويطعم كاملا الفتى الخجول المسكين، وأنور يتعلق بالأرجوحة المصنوعة من ليف النخيل الضعيف، قذفه أخوه في الهواء فقطع الحبل وهو في قمة الارتفاع الذي قد يصل إليه المتأرجح، وقع أنور على ظهره وصرخ صراخا متصلا، وندم كامل على فعلته، وحاول تدارك الموقف لكنما بعد فوت الأوان، أنزل أخاه من مرتفع الأرجوحة وهو يحاول مداواته وإسكاته، لكن دون جدوى، فهمس الغريب وهو عينه الفتى كامل وهو يبكي: كم عفا عني وسامحني أنور من جرم فعلي الله مستغفر من المتاعب كم تحمل ذا الفتى والغصن في حقول أنور مزهر والأسد حين تراه ولت هاربة دم لأنور إن وصفنا سكر وظل يبكي وقد تعاضم جرحي يا ليت أني من تأذى ويكسر... فتبسم أنور وهو يدعو لأخيه بالراحة والسعادة وقد تمالك نفسه وحبسها عن الألم وأسكت صوت وجعه وهو يعانق أخاه الطيب، والأخير يندب حظه ويستغفر ربه ويقول: "لقد أعياني وأشقى نفسي ما أجد من هذا وذاك، وإني كم أود العثور على درب الأمل كي أسلك ساحته". وكانت تنصت

إليه والعبرات تخالجه وتخالط خديها وتداعب مقلتيها، وهي تعلم في قريرة نفسها ومستقر
كيانها أنها السبب المباشر في كل ما يلقي من معاناة ومتاعب، فارتسمت على وجهها
ابتسامة خفيفة لم تحجب عنه معرفة ما ورائها، لما باغتها بقوله: " ليس لك ذنب فيما
أعانيه في الحياة هذه، أرى حزنك وراء ابتسامتك ودموعك في خضم بسماتك وضحكاتك،
أحس بك وأتألم لتألمك من أجلي. فترقرقت دمعة دافئة من طرفها الأحرور أحس هو يدفنها
لما مسح عليها ليمحوها، وما كانت لتمحوها حتى السنون، ولا يزيل أثرها الدهر كله، وكان
أنور يستمتع ويرى وهو يتألم، لكنه تناسى جراحه ليكمل مشاهد الرحلة المختلطة. وعادت
أدراجها حيث نخل الصعل والنخل الكومي تلك الفتاة آنفة الذكر والإشارة، ثم طفقت تعدو
مبتعدة قليلا، ومالت إلى جذع نخلة فاتكأت عليه، ونادت أن: يا سلمى، وكانت الأخيرة مع
أبيها في حديقة القصر الطائر، حيث نادية في شرفتها ومعها أمها أم الرحلة، والفلاح الجميل
يفترش الأرض في بستان الأمل وهو يضع الطعام في الساحة الشاسعة عند حديقة الحسن،
حتى أقبلت أسماء تزف البشرى للكائنات، وتعزف موسيقى الحسن على وتر الإحساس، ثم
عبرت بحر يوسف متجهة إلى مرفأ الهناء والسرور بجوار ميناء السعادة، وجدف محمد
بمجداف الآمال يساعدها على بلوغ الشاطئ الآخر، فصادفا وجود قارب فاطمة والرحالة
تتقاذفه الأيام ويعليه ويهبط به، والرحالة في اشتباك دائم مع تماسيح نهر الموت ومستنقع
الهلاك وبحيرة التماسيح العملاقة حيث هنالك للجميع بالمرصاد الفتاة نواراة الظالمة، وإلى
جوارها النسر المتغطرس والساحرة العجوز، منظر اللطعة وهي تلتصق بورقة القطن جميل
مبهج، تجد تبر واحدة فتفرح كثيرا، هي متميزة. " قلبي جيدا أوراق شجرة القطن طويل
التيلة ". تضحك الفتاة وتستمر في التقليل وتعثر على أخرى وهي تهمس: " نجونا من
عقاب " الخولي " ونهره وضربه لنا، وحمانا الله من وشاية المفتش وغدره بنا " لعل "
نادر " ذلك المهندس يكفي بتوبيخنا ولا يسلط عصاه وكرباجه علينا، وليت حلمي القائد
الأعلى والرئيس غير المرووس يعفينا من البطش والضرب والتجريح، وأتمنى ان لا يلسعنا
بعصاه وكرباجه وسوطه وصولجانه العم عبد الرحمن، والله لم نفعل شيئا لكل هذه الثورة
علينا، ورغم ما تقدم يشعر الصبية والصبيات براحة. انظر... حب الفول ينتشر في الأرض
أسفل نبات القطن عائنا على وجه التربة الرطبة الطرية الندية. ثم يتناول واحدة من النبات
الجميل وعمرها ما يقرب من عام، جمعت العام الماضي في حصاد الفول وجمعه ودرسه،
سقطت أوانها سهوا وابتلعتها الأرض، ثم تمدح آلة الزمان والمكان صبري فقول: _
" صبري الجمال إذا ما هل يختال والبدر إنه والدنيا وآمال وهو الأمانى والزهر الذي عبق
وشذى الربيع وموج النيل ينهل على السجية كم يحيا وإن له طبع حميد فما ترديه أغلال ".
فلما سمع - صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان - ما تقدم من حرف جميل ابتهج
وتجلت بسمته البرينة رغم مطاردة الوحوش له وهو مع رفيق عمره عبد الرحمن، وكانا
حينها في مشهد المرتفع الصخري، وآلة الزمان والمكان تجلب المشهد الآن، ثم تعود
للماضي فيصبح المشهد مستقبلا فتستجلبه من عوالم مستقبلية. نعم.. ابتهج صبري وسر

وواصل ركضه وصعوده قمة المرتفع المرعب وهو يباغت الأسود والوحوش بخطته
الجهنمية للإيقاع بهم فريسة في قبضته ورفيقه..و عاد الفتى فمدح الرحالة وأثنى عليه،
وضحك وهو يقول متناسيا هول ما هو فيه: " رحالة حبيب يقول الشعر من أجلي وهو على
شفا جرف هار من قمة المرتفع المमित، حتى تقلبت الأحداث وهي تجر هذا المشهد معها،
فيما يقول المغامر: "أنا اليوم سعيد لأبعد ما تصل كلمة السعادة من معان". نطق بالعبارة
فجأة.. فاستبشرت من لحظتها وهي لا تصدق أذناها، وراحت تركض فرحة مسرورة، لأنها
تمنت ذلك من زمن بعيد، فمسحة الحزن كانت لا تفارقه بأي حال من الأحوال، فلما رأى
انفراجة وتهلل أساريرها ضحك الفتى وركض خلفها وهو يمس زهرات الربيع ويعانق
الغصون، والطيور تحلق خلفه وفوق رأسه، وملكة النحل تبتسم وتنتج العسل والشهد وهي
في تحليقها الدائم السرمدى الأبدى، ثم توقفت الفتاة تنتظره، فلما وصل إليها التقط أنفاسه
متوقفا عندها، ونظر إلى مقلتيها باسماء ثم كرر، ذلك لما بادرت به بقولها: " أعلم سر
فرحتك! فضحك الفتى متسانلا في أمل: " وما سر سعادتني اليوم؟! فخلجت بعض الشيء
قبل أن ينطق بمسماها الساحر: " لأنني صارحتك بمدى الود الذي يسكن شغاف قلبي لك."
فأمسك بزهرة وهم أن يقطفها، فبادرت به، دعها في فننها أيها الملاك. أصابت منه كلمتها
الشغاف، وحلت كالدواء والبلسم، وذاب في نهره العذب صافي موجها، فهي النبع البهي
والحسن والجمال، إنها سندريلا وهو سندباد المغامر، وهو عنتره الباحث عن الحرية، وقد
التقى حريته في بسمه عيونها ومصارحته بالود، فأمسك بمعصمها وشرعا في ركض وهما
يعدوان ويحلقان كزوج عصفير هائم، وفتاة القصر نادية ترقبهما من شرفتها المرصعة فكر
دائم متصل مدمر لا يكاد يخليني ولا يبرحني، أتى علي بكل ما تحمل الكلمة من معان قريبة
أو بعيدة، حتى موج البحر يطبق علي، أختنق رويدا رويدا.. ولقد بلغت النهاية، ها هي
روحي تنسلل من كياني، أرى المشاهد وأعاصرها، ولكنني الآن مفارقها..سمعت قوله أم
الرحلة فبكت عليه قائلة: هل لن تكمل معنا الرحلة يا رحالة الزمان والمكان؟! فتبسم
ابتسامة خفيفة وهو يخلف عبرة علقت بعينه حيث يقول: بلى يا أماه..سأكمل..فالرحلة ليس
لها بداية ولا نهاية...سأقبر لكنني أحيا في قبوري ألا ترين...ضحكت أم الرحلة مكررة سعيدة
فرحة، وهنا بسطت فاطمة بساطها بكلمة منها قالتها حين أمرته: خلق يا بساطي بأمر الله،
وكان الرحالة لا يزال يبحث عنها منذ مشهد نهر الموت اللانهائي والذي يحضر لتوه في
الآلة الزمكانية الجامعة الحاضرة، والتماسيح تطارده مطاردة يقصدها هو تماما، ضمن خطة
محكمة لتشتيت أنظارها وانتباها بعيدا عن فاطمة التي أودعها المخبأ السري المتشكك
المتحول في القارب الصغير، وجواد الفارس المثلث تبر يشارك في القتال ويسبح بالمثلث
صوب الرحالة لإنقاذه ويغوص في الأعماق ضاربا مثلا لأروع آيات البطولة والتضحية
والفداء، فيلتقي الفارس المثلث والجواد الفتى عوني ويحاولان إنقاذه أيضا وتسبح سندريلا
ومعها سندباد صوب الضحايا في محاولة لإنقاذهم، ولا تزال الجدة أفيات تضرب العجوز
صاحبة البيضة البلورية والعصا بالدبرك العجيب الضخم فترديها وتسحقها، ثم ترتد هيئة

العجوز وتصحو تارة أخرى وتعود للحياة في مشهد دموي يلعب به الجان بالأحداث ويميت كاملا الفتى المسكين ويعذبه وينشب أظفاره بجسده،،وها نحن ندخل القبور والأحداث ونكمل الرحلة ونسبح في عوالمها، ونرى الجنة والنار والصراط والبعث والنشور والحساب والكوثر وبحر يوسف والعذاب والعقاب والنعيم، وآلة الزمان والمكان تدور وتنقب وتتحوّل وتدرّك وتموت وتعيش، حتى التقى عزمي رشا وكان معه كامل ومحمد وأمين وأنور، فتحوّل شكل فتاة القصر وتغيّر، وأصبحت على هيئة وحش كاسر، دنت شينا فشيننا وهي تلقم كل من تواجه وتأكله ساحقة إياه، ولا أدري كيف لفتاة راقية رائعة الحسن كرشا أن تتحوّل لهذه الهيئة المزلزلة، هنا حلق أبو عوف بجناحين كبيرين والتقطها التقاطا ثم طار صوب البحر اليوسفي فأسقطها فيه، صادف وقوع رشا وارتطمها تلك الدوامة الثائرة العملاقة، فغابت فيها غارقة تلك الفتاة، وهي تسبح صوب الأعماق لتلتقي بالجدة أفيات وغريمتها العجوز الساحرة، وهنا تدور رحى معركة بحرية هائلة ولا تعلم عواقبها، الكل يتنفس تحت الماء، والأسماك تنظر في عجب إلى هذه الكائنات التي حلت ضيفا لتوها، ونعلم أن عزمي كان يطوي الجان المارد بين قبضة يمينه والشق الأيمن من الجواد الطائر يبعده عن منطقة الحرب الدائرة كي يحمي أبناء النوارة والنسر عزبة عبد الواحد، ورشا عروس نخل الصعل تعود من رقدة العدم وترى هذا من مكانها بالنخل العجيب المائل فتنادي عليه أن اقبل، أنت تعدو صوب مثواك الأخير، وعزمي لا يكثرث بقولها والجواد صديقه يسمع الحوار فيزيد من سرعته وتحليقه، لا يزال الفتى الآخر يعدو ويكر وهو يلقي السلام على الصبية أمين ومحمد وكامل ويردّف إياهم خلفه، والبرق والرعد يعملان أثرهما مزلزل القلوب، ضوء متلاحق يشع بشدة ورعد مرعب يطلق وابل صواريخ طبيعية، وكانت الشمس حينها تميل إلى غروب، وقطع السحاب الداكن تملأ السماء، يتم الآن العثور على الكنوز التي تسبح فوقها عزبة عبد الواحد النواة والنسر، الجميع سعداء يتمنون الخير لبعضه البعض، مس الثراء الجميع وتم تقسيم الخير واقتسامه بالعدل، وأخرجت الزكاة ثم شرعنا في زراعة الأرض واستصلاحها، ونما النبات وازدهى وعم الخير وولى الضيم، كل يفضل الآخر على نفسه، وها نحن نجلس ونأكل الفول والجبن والسمن، ننقي الحشائش الخضراء من فجل وجرجير وخص وكرات وكرنب وبصل، ولا تزال ملكة النحل تواصل تحليقها الأبدي السرمدى وعوني كذا لا يزال يغوص بأعماق بحر يوسف فلا يصل لنهاية له، تطارده العجوز ذات البيضة البلورية والعصا، والجدة أفيات تطارد بدورها العجوز وتبعدها عن عوني، وتقاتلها أشد ما يكون القتال، تعدو خلفها بالدبرك، والدبرك عصا غليظة من الخشب تكاد تكون جذع شجرة عملاقة، تضرب بها العجوز وتكاد تسحقها، والعجوز في حيرة من أمرها وتفضل الفرار على مواجهة هذا الجحيم، أفيات الصبية لا تزال تعدو خلفها وتسبح أيضا وهي تحاول حماية عوني المسكين من بطشها، تلطمها وتصفعها وتضربها في أجزاء متفرقة من جسدها، وكيد الساحرة العجوز وسحرها لا يعملان ضد أفيات، تفر الساحرة العجوز وتدلّف إلى كهف الظلمات ومغارة الموت، تتبعها الفتاة وتزيد أوجاعها بضرب مبرح بواسطة الدبرك، ثم

يظهر عبد الصبور وهو يتسلق النخلة بمهارة فائقة، يقطع سباط البلح ويسقطه صوبنا، ويرى مشهد الفتاة أفيات والساحرة العجوز وعوني، نفرش حصيرا لجمع ما تناثر من الخير، يتفرق الثمر بكل ألوانه الجميلة في كل مساحة الحقل، وتخرج الساحرة من جانب الكهف الآخر قبل فوت الألوان وقبيل الوقت المجدد للمرور، ثم تتجه نحو القارب الصغير وهي تصعد من الأعماق المظلمة لبحر يوسف إلى السطح، وإذ ببساط فاطمة يضم كل الطرح من البلح ويشمله، ويخلق بالفتى عبد الصبور تحليقا حرا وهو يغني ويغرد مثل الطير، ثم يغوص نحو الأعماق فيقابل الساحرة العجوز ويشل حركتها مانعا إياها من الوصول إلى القارب الصغير الكبير المتحول، وفي الناحية المواجهة يغوص أشرف في أعماق نهر يوسف وبحره الجميل، يمسك السمك ويصطاده ببديه، ومعه حسين يصطاد بالشبكة الرائعة، وعمرو يلقي صائدته لتموج طائفة وموازية خط الموج الأفقي، تثور مياه البحر وتضطرب تبعا لاضطراب الدوامة القاتلة ذات الذهب والدر والمرجان والزبرجد، يغوص حمادة غير مرة وينغمس في البحر منشغلا بصيد ثمين من الأسماك، وكان يحارب الجان أيضا، حيث يحرس الأخير المقابر اللؤلؤية الذهبية في الأعماق، والفيل الصديق يحمل عقلة الإصبع وأماني ويموج في الأعماق مسلما إياهما للحوت العملاق الذي يركب منته أنور، نصعد بالرحلة وآلة الزمان والمكان صوب الشاطئ وها نحن أولاء نرى الأرض مخضرة مورقة عذبة جميلة، وكان عبد الرحمن بصحبة رفيقه الخجول كامل يلهوان ويلعبان ويتمرغان ومعهما حسين وعلاء وشداد وخضراوي، والأرض تترين بطرحها الجميل حيث يقول الفتى وينشد: - وأشرقت هنالك وخيرها مشرق تلك أرض أصولها تتشقق تثبت الأمل من لدن عالم بالحال عليم وعلينا مغدق والماء خلالها من بحرك يوسف بالحسن والجمال يترقرق، يبكي ابنته وهي باكية، وفتاة القصر اسمها نادية، قصرها الطائر به شرفة، علينا تطل وتطل هي، فاطمة برفقتها ومن عنها باحث، رحالة زمن والراوية، في ألف ليلة لشهريار تقصص، القصص الجميل والهاوية، تشعل وتثور وبها لجة، من جحيم مستعر متنامية، ها هو نياظ يغلظ علينا العقاب والعذاب، ويعمل فينا ضربا بالسياط والعصي، وعصا سيدنا موسى تتمثل أمامنا حية تلقف ما يأفك أهل الشرك والمجون وتتحول إلى حية وشجرة وتشق دربا في البحر وسلما إلى السماء، نتحدث إلينا وتطير وتبسط بساطا سحريا تستقله فاطمة ذات البساط، ثم تضرب موضع الكنوز الدفينة المدفونة في المقابر والفجاج والمعابد والأحداث والمغارات والسرايب والوديان والقفار والأنفاق، وكانت هالة كلما تطل أجد الحياة تتجمل وتغني عنادلها وتبتهج روحها، فتاة هي الحسن، بل إن الحسن يغار منها، تلك التي وهبته الجمال والبهاء، تشع ضوء وتضوي جمالا وتهيم اشتياقا وتتهادى فرحا متصلا لا يكتب له الانقطاع، زهرة الحسن حين يرى الزهرة شاعر الحنين، ووقت تعبق هي الأمل والضياء والمسك والعطور، ثم ذهب مع رفيق عمره حسن، حيث العيون والجداول في الدرب المؤدي إلى القالوح عند زرع القصب، وماء السبيل الرائق الصافي في عرض الطريق والذي تشرب وتستقي منه الطيور مغردة شادية فرحة سعيدة، لقد استيقظت منذ زمن قريب جدا كي تسعى

إلى رزقها، والسبيل بناء في السبيل والطريق مثلجة مياهه وهي التي تبرد لتصبح سائغة للشاربين، سبيل هو الأمل والجمال، وهو الذي ينساب تبرا وذهباً، ويتدفق حسناً وأملاً، حينها كان الفجر يتبسم للحياة ويحيي الربيع المتدلّية فروعاً وغصونه وأفئافه بشتى أنواع الخيرات، والصبح يكاد يسفر خلف الأفق البعيد وكأنه تعثر هنيهة وهو يهدي الورد شذاه والزهر عطره، وكان الفتیان، يسيران على الأقدام، فلا ركوبة ولا شاحنة، يخطران خطر السابح في حلمه البعيد القريب، حين رأيا الجنية فتاة الحقل ونخل الصعل " رشا "، فشربت معهما من السبيل وحيتهما تحية طيبة، وكانت تظهر وكأنها فتاة مسالمة تقطع بها السبيل وألبسها الحظ عثرات الدروب، حتى نزل الرفيقان حيث الحقل الذي يحتوي على القصب الذي يتراص عوداً جنب عود، أعلاه جزء أخضر متفرع خشن الملمس، وهو أكل للحيوانات، حيث ننزعه عن العود وتأكله الماشية، ونحن نسأل صاحب الحقل: هل لديك قالوح؟! فإن أجاب بنعم كأننا امتلأنا الدنيا بأسرها... وحينها ننزل إلى الحقل ونستخدم الفأس الصغير فنقطع العيدان من أسفلها عند الجذر أو فوقه تماماً، ثم نرص العيدان العسلية في وضع أفقي مواز للأرض، ونبدأ في نزع القطف الأخضر، وحين ننتهي لابد أن نخرج القصب إلى حافة الحقل وجوانبه كي يتم تحميله فوق الشاحنات لنقله بعد ذلك حيث جرار القصب العجيب، ثم يظهر الرحالة وهم يعيرون عليه كتاباته وتناولته الأدبي، فمن هم كي يتهمونه ويدعون أن القصور متوفر عنده، والنقص متراحم لدى أطراف أصابعه، ولقد صاغ من المعاني ما عجزوا هم عن الإتيان بها، نعم... هذه رحلة يعيشها ويكتبها، متنوعة كل التنوع، بليغة بسيطة، لينة هينة، فكرتها أن الله أول بلا بداية وآخر بلا نهاية، أول بلا انتهاء، قديم بلا ابتداء، ولا يزال النيزك الملتهب يتجه صوب الأرض في زحف جوي وتحليق عجيب، هو يهوي بفعل الجاذبية ووزنه الهائل وحجمه المرعب، متقد أشد ما يكون التوقد، ومتوهج لأبلغ ما تصل درجات التوهج ومشتعل لأقصى ما يبلغه حد الاشتعال المذيب لأي شيء، آلة الزمان والمكان ها هي تدنو رويدا رويدا من النيزك هذا، محاطة بأنواع من الرعاية ومضادات درجات الحرارة الهائلة، وصبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان – يلمس زرا في لوحة قاعدة التحكم الآلية، بعدما وجهه صلاح الدين القائد الكوني العالمي للحيوش الجرارة مؤازرة تلك الرحلة العجيبة، النيزك كما ترون يسبح بسرعة هائلة صوب الأرض ولا يتوقف، تزداد سرعته مع مرور الوقت، تمدد آلة الزمان والمكان بساطاً سحرياً عجيباً يتهدى أسفله، يهدأ البساط من قوة اندفاعه الرهيبة، وتقل سرعة النيزك تبعاً لهذا رويدا رويدا، لكن لا يستطيع البساط تحمل درجا الانصهار تلك، تتآكل طبقته العملاقة وينفذ النيزك صوب الأرض البيضاء، يحاول العالم الجليل تدارك الموقف، لكن لا طائل ولا فائدة، النيزك كما ترون هائل الحجم مرعب الإمكانيات، يقع فجأة على الأرض فيحدث ثقباً لا بداية له ولا نهاية، ينفجر النيزك ويغوص في باطن الأرض ويكاد يملكها ويدمرها، وبالفعل يحدث الانفجار المميت، تنتشر الذرات الملتهبة وتعود أدراجاً للسماء مختلطة بجزيئات الهواء والسحب والسموات وتتفاعل مع الجو مكون أمطاراً حمضية بركانية رهيبة، وتثقل على

السحاب الذي لا يستطيع تحمل اختراقها له ولا كثافتها ووزنها، تسقط الأمطار الحمضية صوب الأرض لتحرق كل شيء، وتهرب الوحوش والكائنات الفضائية صوب أماكن مجهولة ولكنها لا تدرك هذا، يتم سحق الكثير منها، تتقلب الأرض في وجهة من الثورة المهلكة، وتتلوث مياه البحار والمحيطات، ولا تزال عذبة عبد الواحد النواره والنسر محمية من قبل الله، حيث يستخرج أهلها علوم الفن والطبي والاقتصاد من جوهر الأرض وباطنها، ويعثرون على الكنوز اللغوية والمادية، ويثور بحر يوسف ليعمل مضادا لقوى الاحتراق والاشتعال تلك، ويصد زحف النيزك صوبه، تثور مياهه العذبة وتجابه العدو والهيم المتقل المنذفع صوبنا، فينتقل المشهد غير تارك أي مشهد، ثم يقول ذلك الفتى روح الرحلة غريب الأطوار: - لي كم يشهد يوم نزالي أني أضحك وأكركر حيث أقاتل جند البغي ورب العرش هو الناصر أجندل من جمع وصفوف وأردي القتلى وأستكثر،،، فيرد عليه الشاعر شريف مؤلف حرف الرحلة: لي كم يشهد يوم طعاني عجاج الحرب المكدر بأني طويت الأعادي بكفي أشعث إني وأغبر أمير دق بطول الحروب أكر وغيري يتعثر يفر الطغاة إذا ما حسامي أمات الكماة فلا يحذر أما قد رأيتني يوم العراك أشق الصفوف ولا أحذر أجندل جمعا من مجرمين كأن الذي قد قضا يسكر. لم يملك الجميع أمرهم ولم يتمالكوا أنفسهم إلا وسيل من تصفيق ينهال محدثا صوتا موسيقيا بديعا متصلا، ثم تتجلى الزهرة اليانعة النضرة، والتي لو رأيتها ألف مرة، ملكت نفسي من فرحتها مسرة، شاطئ الخلاص تنتابني عشرة، كم ناديتك غير مرة، فهل نسيتني وهجرت بعيدا، أم إن هذا طبع الدرة، تلمع وتبرق رغم البعاد، فلا هي بالخائنة يوما، ولا هي بمن اغتر، وفي هذه الأثناء يعقد سندباد حاجبيه ويبسطهما، ويحملك حملة متمكن داهية متمرس، ويتسلق الشجرة في لمح خاطف، يلاحقه ويكاد يلحقه ذلك النمر الوحشي، ويطارده، وما كان فرار سندباد منه رهبة، لكن كل ما في الأمر أنه يراوغه ليبعده عن صديق عمره الرحالة وعن الجميع، اقترب سندباد عاندا فجأة فأمسك بعنق النمر، والأخير لا يصدق، ضغط عنقه ببديه فاعتصره اعتصارا، ويحاول النمر للتو الفرار وفي ذات الوقت تمكين مخالفه منه، لكن عينيه جحظتا واستسلمتا في إرهاق وهدوء، ثم لحقت بسندباد مجموعات معاوننة من النمر، فلم يثن ذلك عزمته، بيد أنه احتاط للأمر، وقبل أن يأخذ القرار، كان حربي فتى الرحلة المغامر قد أمسك بأحد النمر بقبضة يده الحديدية والرحالة قد قبض على نمر ثالث، فحارت النمر وآثروا الفرار، وبقي ثلاثتهم في الحصار والأسر...و تجب ممدود مما يرى من البلاء الحسن لأبناء بلده ورحلته، وأخرج مدفعه الرشاش وأطلق وابلا من القاذفات اهتزت لها أرجاء الغابة، وثارت بحيرة التماسيح، واهتز نهر الموت وتلاطمت أمواجه، وضحك الرحالة متسانلا: "كيف فعلتموها يا رفاق؟! " ابتسم العالم الجليل وهو يوجه صبري ذلك التوجيه الذي يمكنه من حسن قيادة آلة الزمان والمكان، وبدأت على صلاح الدين بسمة طيبة بها سكينه وهو يقول: "ها قد التقت الأزمنة والأمكنة لأحیی معكم تلك المتعة، فاستدار سندباد وهو يلوي عنق النمر ويكشر عن أنيابه ويلوح بعلامة النصر بعدما أرحى العنان لقبضته المميته، فأذ بالنمر يصحو من الموت إذ تمثل به

جان ماردمقاتل لا يبقي ولا يذر، وتعملق حجمه وكبر وغلظ، وبلغ عنان السماء طولا، ثم مال يلفف كل شيء، والعجوز الماكرة بين نخل الصعل والنخل الكومي تطلق صرخة نصر غليظة ذات ضجيج غادر مدوي، عقبته صرخة شماتة من رشا هزت الأرجاء والفضاء الكوني، في حين زلزل عرش العالم الجليل وخر من ارتفاع شاهق صوب مصيره وهو ينطق الشهادتين، وقد أتم نطقهما وفي نهاية قوله وتشهده، بسطت فاطمة بساطها السحري وهو معد من أرائك ووسائد هوائية، لتجد آلة الزمان والمكان نفسها هي البساط السحري لفاطمة، فلما وقعت عينا الرحالة على فاطمة أغشى عليه، نعم... لم يصدق نفسه في ذلك الظهور المفاجئ وغير المتوقع من قبل فاطمة، ثم تتحول آلة الزمان المكان لما شاء الله، ويحضر المشهد عندها، تلك قيثاره الربيع والنغم الخالد، سعاد الفتاة صاحبة الإطلالة الآسرة والطرف مالك القلب مبهج الكيان، وقد تبسم الليل وانقشع ما به من ظلام، وبعدما كان حتى الهلال لا يبين، فجأة، استدار القمر فأضحى بدرا ضحوكا مكررا لما رآها، هي ليلة قمرية بهية بكل الصور والمعاني، دنا منها والأمل رفيقه، والطيور أتت من النهار تزور الليل، قل بل تزورها مغنية لها شادية نادية، ونادية أميرة القصر الطائر وفتاته ترقب المشهد في ذهول، تتمنى لو كانت مكانها، لا تمنى حسد لكنها غبطة، ومع النادية تبدو شادية وقد كحل الغرام ناظرها، وحديقة حفني تطل في جانب من المشهد جامع كل المشاهد والصور، وفتاة الحقل رشا عروس نخل الصعل تهديه من إطلالتها بهاء وصفاء وروعة وجلالا، والغراب لا تزال الدموع تصاحبه وهي تملأ ناظره الحزين، يشكو الإهمال من الكائنات، ويرى نظرية التشاؤم في أعين الجميع موجهة صوبه... نعم تقصده، فالعيون لا تكذب أبدا، وهي ترجمة لمشاعر وأحاسيس داخلية، وتصور دقيق لفحوى نبض القلب وسكنات الفؤاد وثورته، وأشرفها هو يضحك الغراب ويداعبه ويخلق ممسكا بجناحه، فيطير الغراب في الهواء مبتسما لما أحس من أشرف من ود وحنو وعطف ومداعبة بريئة جميلة، وملكة النحل تنظر باسمه، فتلوح بجناحيها وتحيي فتاة القصر والجميع، وها هو النبي ﷺ يظهر وقد اشتد عليه إيذاء قريش، وتقف له مجموعات ضالة كافرة على جانبي الطريق يلقون عليه الحجارة، خيانة ما بعدها خيانة، وشر مستطير من ظلمة فجرة، تدمى قدماه الشريفتين، يتعثر ويقع فيقيمانه وينهضانه تارة أخرى من مرفقه وأجزاء جسده، ويستمر طوفن الطوب والحجارة وما شابه ينهال عليه، وهو صبور، يشكو حزنه لله بعد صبر لم يبلغه ولن يبلغه أحد، ويمشي بعيدا والدموع تأبى أن تسيل فوق قسمات وجهه المنيرة، ثم ها هو يرى بستان عتبة وشيبة ابني ربيعة، فيتكأ إلى سوره ويجلس كذا، ويراه عداس صبي شبيهة وربيعه، يرق له ويدنو منه، ثم تتشكل الرحلة العجيبة متمثلة في الآلة الزمكانية الغريبة الأطوار، على أن عبد الستار في هذه الحالة والآن بالتحديد يظهر وقد استحوذ على السمك وضمه لمملكته هو وذلك النفر ممن معه، حيث نحن الذين قد شقينا في محاولة صيده من المصرف العذب في النورة والنسر عزبة عبد الواحد، ظللنا ساعات وأمدا طويلا ننزح المياه ونزوحها بعيدا عن السد الطيني والحاجز الترابي، وكان سمك القرموط والرعاد والقصابية

والبورى كثير كثير، والخير كما ترون وفير، حاولنا جهدنا إنقاذ صيدنا الثمين، لكن الطمع والجشع كان لهما الحكم، فانزونا أسفين ودموعنا تتراقص في مقلنا من أثر الوجوم والوجل، حتى التقينا أحمد فقصصنا عليه ما حدث، فعاد أدراجة معنا يحثنا على المسير، وتقدم من عبد الستار وجنوده، وكانوا يمسون بعصي وخوذات ورماح ونبال دافعة للسهام، فاستقامت ظهورنا وقويت همتنا، ورجعنا من بعد ضعفنا أقوياء، وارتد إلينا الحق المسلوب، لقد كنا على استعداد تام للزود عن متاعنا وملكيّتنا، لكننا نشأنا على القيم والمباديء، وترعرعنا والخجل يظلنا بظلال رقيقة متناغمة، ثم تقدم صوبي عبد الستار وهو يريد الاستيلاء على الكنز في باطن الأرض، وكان الكنز في هذه اللحظة يتلأل.. ألا ترون، ذهب وياقوت ومرجان وزمرد، والحن والبن عادوا إلينا بعدما كانوا قد هربوا من مواجهة قوى الخير منذ آلاف آلاف السنين وأكثر وأكثر، كانت لهم الهزيمة، والخزي كان من نصيبهم، وهم مخلوقات عجيبة مخيفة، عاثوا في الأرض فسادا، إن آلة الزمن والمكان كما ترون تستحضر عصرهم وتجلبه إلى بؤرة الأحداث، حيث كنز معنوي لا يغنى من القناعة في عربة عبد الواحد النورة والنسر، وهل يسيطر الكنز المادي والجشع الدنيوي على ذلك الكنز الإيماني المعنوي، حيث أهل العربة لا يهتمهم المال ولا يشغلهم بقدر أو بنصف أو بشبه قدر اهتمامهم بالأخلاق والتضحية وإنكار الذات ومساعدة الضعيف وحب الغير، والكنوز كما ترون تسبح تحت قشرة أرض عربة عبد الواحد النورة والنسر، فيما يقبل المجرمون كأنهم جراد منتشر وخفافيش ليل وغربان نهار وتنين مغارة ومفازة، وكأنهم الموت يزحف صوبنا، جشع يسيطر عليهم ما له مثيل ولا شبيه، ويتقلب وجه الرحلة وتتشكل قسماتها وتضوي، فالجواهر تنبعث من الهوة المتقدة بعدما هدأت ثورتها من فعال النار الذي أتى على الأخضر واليابس، على أن النار ما مست بحر يوسف الذي تفجر وظهر وتدفق موجه من قعرها الذي كان ملتهبا، ودوامة بحر الأمل ونهر يوسف لا تزال مضطربة مزلزلة، تتقلب بأطنان وأطنان من الذهب الخالص وخليط البترول الطبيعي، والتماثيل تتكشف وجوهها وهي أثرية لامعة، ومتاع الفراعنة ولباسهم وهندامهم وجواهرهم وحليهم يبرق كأنهم قضوا للتو، الآن قد فهمت، فآلة الزمان والمكان استحضرت الحدث تارة، وذهب هي إليه تارة أخرى، وتعمقت في المستقبل أيضا، يكاد اللب يخرج عن نطاق فكره والعقل على شفا جرف هار من الجنون، والقلب زاد خفقانه وقوي زلزاله وبرق برقه ورعد رعده، في حين يهمس الفتى وقد استقرت آلة الزمان والمكان للتو عنده "صبري الطيار الطائر يشताقه نيل أسمر وعروس فيه تفضله هيفاء وطرفها أحور والجند بصحبته ظهروا مع كل الجمع غضنفر خميس اسمه لا ريب يختفي ويغيب ويظهر والهوة بانث كم تدنو ومجد دوما يسهر ودنونا من روضة حفني بها زرع الأمل الأخضر كم نرجس في الحلم نراها أو يأتي الواقع تظهر صبري المشتاق لأيام يحمله النهر الكوثر ". كانت الكلمات تنساب كالأمّل المطل أو ان الربيع، ثق تمام الثقة أنك في خيالي وواقعي وأحلامي وخاطري، وذلك مهما جرت الأيام وتقلبت، ومهما حطت الخطوب ونزلت النوازل، ومهما تغير العالم من حولي، فلا يمسنى تغييره وتغيره، يا

ساكن الوجدان والفكر، ومالك الفؤاد والعقل... تنساب الكلمات منها كغيث من السماء يروي نبت الأرض فيبهجه ويكسوه نضارة مشرقة، تلك الفتاة سوزان، الحلم الذي تجلى واقعا واتضح حقيقة وسبح خيالا وأملا، تلك الحساء قيثارة الشدو وبديع الزمان...أطل عليها الفتى والأمني تداعبه، والآمال تغشاه بسكينة وحسن، وظل الغمامة يهديه وارف الرقة وبهي النعيم، ورقيق الظلال وعذب الخصال ورفيق الأمل، ويسمع للأوراق حفيف وللغصون هفيف لطيف، وما هو يتزلزل قارب فاطمة والرحالة في عهد نحياء للتو، يهتز اهتزازا عنيفا من إثر رياح هوجاء صادفت ثورة التماسيح والتي ظننا أنها جذوع نخل ناعسة طافية، تحركت الجذوع بعيونها البلورية، بل اتقدت شررا ولمع منها ما يخيف الوجدان ويحبس الأنفاس، والطبيعة أيضا ثائرة، ارتمت فاطمة تلك الفتاة الضريبة الكفيفة فوق ذراع الرحالة الفولاذي مصادفة، فترفق بها مودعا إياها المخبأ السري، وذهب كل مذهب في مواجهة الوحوش المانية الضالة الموجهة من قبل السحرة والظالمين، وأبلى الفارس المثلث وهو ذاته الفلاحة التي تظهر للتو في غيظها تشغل وتدير الطمبورة الاسطوانية الغارقة في مياه مصرف - "عزبة عبد الواحد النورة والنسر" - الأمل العذب، ولم يكمل إيداعه إياها المخبأ السري حيث وجه ابن النورة والنسر قاذفات سريعة صوبه، وحلق الساحر الشرير بجناحين من لهب ونار فوق مسطح نهر الموت ومعه أعداد لا حصر لها من الجان الأحمر وجان الأفعى والذئب، وجعلت نورة تطلق وابلا من الرماح النارية صوب كائنات الرحلة بلا حدود وآلتها الزمكانية الزمنية والمكانية، وتقدم وهيدي ذلك الهادئ الحكيم ومعه خضراوي المغامر الداهية وبحبتيهما الملك الغضتفر خميس قائد الأساطيل والجيوش الزاحفة، ثم تنقلا المشهد لتوه غير تارك الأحداث خلفه وغير منفصل عن مغامرات الرحلة المتعاقبة، واللول أشرف يظهر أيضا، وهو فتى يصطحبنا لتوه في التنقل بين تلك الأماكن التي نكد ونعمل بها مضطرين لتوفير لقمة العيش وسد وإقامة الأود، وتوفير مستلزمات الحياة الضرورية للمأكل والمشرب، أما الكساء ففي المرتبة بعد بعد الأخيرة، ومن أين بكساء ونحن لا نستطيع حتى سد الرمق والتكفل بمن نعول، ونحن من يجب أن يعولنا عائل، جيل حضر كل شيء وعاصره كأنما انتشر في كل الأزمنة والأمكنة والعصر والحقب، وهو كم تعرض للتنكيل وألوان العذاب ولهب الجحيم، يقف أشرف لتوه وسط زرع القطن ينقي اللطعة وينظر من حين إلى حين إلى طائر اللقلق الذي يرسو فوق شجرة الجميز عند الجامع حينا، وحينا آخر فوق شجرة السنط منتجة الصمغ لصاحبها عبد الناصر الفتى الجميل، وكل ذلك بالقرب من نخل الصعل والنخل الكومي، تحييه ملكة النحل وتلوح له وتهز جناحيها وتفترشهما فيبعثان الظل له وللرفقة الجميلة من أطفال عزبة عبد الواحد نجعي النورة والنسر، ثم يمر طائر اللقلق طائرا محلقا في نفس مملكة الملكة المتحولة متغيرة الهيئة والحجم والكاننة أيضا على هيئة واحدة، يمر الطائر ويحلق سعيدا ملقيا التحية والسلام، وصبري الطيار الطائر يقود آلة الزمان والمكان بخبرة اكتسبها من القائد صلاح الدين قائد الجيش العالمي الجرار لتحرير الناس من العبودية والرق ورد الأراضي المحتلة وتحرير المسجد الأقصى وجل

البلاد والعباد، وعقلة الإصبع وأماني يسلمان على أشرف والجموع في حفاوة منقطعة
النظير، و"نمر" الفتى الجميل يقرأ القرآن ويعلمه، صوته عذب كأجمل وأروع ما تكون
العدوبة، كسلاسل حريرية منبعثة من حرير دودة القز منتجة الخير، ظل يقرأ نمر ويقرأ،
والصبية يستمعون، والصبايا تنصتن، وأشرف يجني القطن إن كان موسم جمع القطن،
ويلتقط اللطعة لو كان شجر القطن طويل التيلة في فترة الشباب، فإن تغير الحال ذهب إلى
الحقل والتقط بقايا حصاد الفول من الأرض وجمعه وصره، ثم ها هو يذهب به إلى دكان
الفتى شلقامي والشقيق حسن، يبتاعه ويبيعه ويشتره، فإذا ما حاول الصبية سرقة
الفتى الضرير شلقامي أبي حسن نهرهم وأخذ ما سرقوه وردّه للكفيف الذي لا حول ولا قوة
له من هذا الغدر الآثم من صبية مجرمين آكلي الحرام واللقمة المسروقة، وفي الناحية
الأخرى المتصلة بالأحداث تكمل آلة الزمان والمكان التابعة للرحلة دورتها الدائرية
اللانهاية واللولبية الحلزونية والمستقيمة والمتعامدة على الأجرام والكواكب والمجرات
وعناقيد المجرات، وذلك إن وجدت للرحلة بلا حدود من الأساس نهاية وبداية، وهذا ما لم
يكن ولن يكون وما هو بكاثر للتو، رحلة إن اتفقتنا أو اختلفنا بلا حدود، تأخذ فكرتها وإن لم
نقرر نحن أخذها، من أن الله تعالى أول بلا بداية وآخر بلا نهاية، فليس لنا إذن الاختيار،
ونحن في خضم كل هذا نحيا حياة قد ولدنا في أحداثها كل يستصرخ ويبكي ثم يعي ويحس
ويعيش بما هو مقدر له أخذًا بالأسباب التي يترتب عليها الكثير بل كل شيء رعته عناية الله
وقدرته قدرته وإرادته جل وعلا، نحيا ونموت ونولد ولا نختم حياتنا، حيث القبر حياة وكذا
البعث والنشور، والقيامة حياة أبدية إما في جنة أو نار، وفي نقطة زمنية لا يمكن تحديدها،
وإن أمكن تحديد فترتها الزمنية فنحن ننتهي في تفاصيلها، حيث تتشابه الأمور أو تختلف، فلا
حول ولا قوة لنا حينئذ في شيء، تلك الحقبة والفترة كان فيها بهلول أبسط ما يكون، إنسان
تقوده الفطرة ولا يعي شيئاً في الحياة، اللهم إلا إنه نبض يخفق به قلبه، وهمس ينصت له
سمعه، وضجيج يورق كيانه، وهدوء معه الخلود إلى النوم لو لم يشغل الفكر والعقل شاغل،
ونفس يسري بأعطافه وفؤاده، وشخص يحس ويرى ويتعجب ليس إلا، ويستسلم للقضاء
راضياً بنصيبه مغتبطاً سعيداً، وفرحاً مسروراً، يمسك بمعوله وفأسه وهو تائه شريد، فإذا ما
ألفى الناس حوله يتغامزون عليه ضحك ضحكة على السجية وابتسم كأن أمراً لم يحدث،
حيث هنالك في الوزارة وهي المنطقة التي يكذبها ويجهد ويجتهد، يظهر الفتى عبد المهيمن
وهو يقود الأطفال والصبايا والفتيان والرجال حيث سيتم توزيع الأعمال عليهم، فهذا ومعه
رفاق ورفيقات سيذهبون للجرن، وأولئك يتوجهون للبساتين يزرعون ويجنون، حيث
المواالح والفاكهة والثمار وعين البقر، ولا أخفيكم قولاً إن عين البقر تلك ثمرة كأنها جمعت
حلاوة الدنيا ونعيمها، لذينة حد الإبهار والذهول، مغلفة بقشرة أسمك من قشرة الفول
السوداني واللوز، وعن ما بداخلها فالشهد: _ هات واحدة يا محمد. نظر محمد وتنصت فوجد
سلطان من نطق بالعبارة، وسلطان طفل جميل خفيف الدم وأخوه ضرغام يشبهه. حتى إذا
سمع كل هذا الحديث من حوله ورأى الرفاق رد على سلطان قانلاً: تفضل أيها الصبي خفيف

الدم والروح سهل المعاملة باسم الشجر. وكان سلطان باسمه بالفعل ويحاول التخفيف عن العمال، وهؤلاء يذهبون مع الخولي رئيس الأنفار "حسن" حيث الحقل والأراضي الزراعية التي تجهز للزراعة، فهي تقسم إلى أحواض مربعة أو مستطيلة، تشق خلالها قنوات تمر بها المياه، وإلى جانبها وحولها يظهر الجدول العجيب حاوي سمك القرموط المسحور غريب الهيئة، و"عاطف" الرئيس الأعلى ينهر الجميع ويوجه "شحاتة" مشرف العمال لتقسيم الأنفار والصبية والصبيات وتوزيعهم على المساحات الممتدة الشاسعة من مستعمرات وأملاك النواراة والنسر الممتدة لأقصى ما يصل الامتداد، وكان محمد من يشغل فكر نواراة، تغفو وتصحو على رسمه وقسماته تربيع فملك قلبها وكان سلطانه والحاكم بأمره فيه، "مشتت إلى أقصى ما يصل التشتت، ومضطرب إلى أبغ وأبعد مدى يدركه الاضطراب".

نطق بما سبق الرحالة وهو في حيرة من أمره بعدما اعتصرت روحه الآلام الجسدية والنفسية، فلم يخلد إلى نوم يهنأ به، ولا هو بمن رحلت عنه الهموم وأمهلته برهة من الزمن يحيا السعادة خلالها، وفي خضم ثورته تلك لو صح أن نطلق عليها ثورة، أقبلت الأميرة الملكة ملك، وكان لطرفها ضوء بصر به عتمة الدرب الطويل وظلمات الليل السحيق، وأضاء له ما حجبه الأيام العجاف والليالي السود، فاستنشق نسائم الأمل المنبعثة من الخمانل والرياض كأنما لأول وهلة يفعل ذلك، وضوت القيثارة وارتفع رنين لحن الود واهبا ورد الخميل إيقاعا موسيقيا تتراقص في إثره الطيور، وتنسم المحروم من نسيم روضة الأمل عطر الحرية وشذى الخلاص من القيد والاستعباد، فلما رأته الفتاة رقت له وتجلى ذلك في ناظريها المنيرين كبدرين أطلا من الأفق البعيد فزينا السماء والأرض بسحر أخذ تحنو له القلوب وتهفو له العيون، ومرت صوبه تقصد التخفيف عنه، حيث مسحت عنه عبرة تريد أن تترقق في طرفه الخجول، وكانت قد مسها الوجد وملاً فؤادها شوق دفين، وشعرها يموج مثلما الخيل داعب حسنه النسيم، وحفيف أوراق الشجر وهفيف تلامس الغصون يرسمان لوحة تجلت من بهاء الطبيعة تأسر اللب وتسعد الناظرين، ثم دنت منه غير مرة وجعلت تهمس إليه بعطر الكلام من مبسمها الضحوك، وشذاها قد نثر المسك على وجه الزمان ورسم السعد على قسمات الأيام وهي تقول: أيها الرحالة الرائع والباحث عن فاطمة كلما تقلبت الأيام ومر الزمان، أعلم أنها ضالتك والله سيهديك إياها وسيجمعها لك وبك، فاصبر فبعد الصبر الفوز العظيم، ففي مخبأ القارب الصغير الكبير المتحول قد تكون، أو لدى المرتفع الصخري بالقرب من الكهف المخيف، وربما هي في مكان يدنو من الهوة المتقدة أو غدير الأمل أو الجدول ذي الحسن والثمار والخيرات. فهدأت ثورته لمجرد أنه رأى بسمتها ترسم فوق قد مليح ووجه كالصبح المسفر حين يعانق روضة الربيع، وتجلت بوجهها وملكتها واختلطت بتفاصيله المتناسقة وكأنه هي وهي هو، وأطلق كركرة هي العصافير المزقزقة آن شدوها الرطيب ثم ظهر الرفاق في صفحة الحديث ومشهد الحوار وبستان الأزهار، وتجلى " اللؤلؤ أشرف"، ذلك الفتى الطامح المغامر يسبح عند " دوامة بحر يوسف " فلا يشغله عنفوانها ولا تؤثر عليه ثورتها، يسلم على "عوني" وهو ينقذه

من برائن" العجوز ذات العصا السحرية والبيضة البلورية"، وهو ينغمس بتلك الدوامة سابحا صوب الأعماق فيزور الكهف في باطنها، ويستخرج الدر والياقوت والذهب منها، ويصطاد السمك ويمر عبر الممرات الضيقة والسراديب والجداول المائية الذهبية صوب "روضة حفني" حيث "البئر العجيب" المليء بالحجارة الكريمة والمرجان والخيرات والياقوت والزمرد والمعادن النفيسة، ثم يتجه صوب الحجرات المائية في الكهوف المظلمة فيلتقي "حسينا" و"حمادة" وهما يدوران وينقبان ويصطادان، فيرحب بهما ويرحبان به، ثم يعودوا أدراجهم صوب "روضة حفني المحصنة"، فيشاركون الجموع القتال ضد بطش "النوارة" و"جبروت النسـر" وكيد "الساحر الشرير" و"الساحرة العجوز ريمة"، فيلمحونني أنا الرحالة من أشارككم هذه الأحداث وأخلق مع آلة الزمان والمكان، أكون طفلا حيناً وحيناً آخر صبيا وكهلا ثم أعود لشباب بارتشاف قطرات قد نشأت من عصير العشب الطبي الباعث على الحياة، وكله مقدر بأمر الله تعالى، أنا الذي تملك نفسي الأهواء فأنزعهـا منها، واللؤلؤ أخ لم تنجبه أُمي وصديق صدوق قلما تجد له مثيلا، وهذه ضغوط نفسية تكاد تعتصرني مثلما تعتصر الحية فريستها، بل إن الحية تريح الضحية بنفث سمها فيها لتبلغ تلك الضحية المنية وقد تكتب لها الراحة الأبدية، فكر متراحم يشل إرادتي، وطمع دنيوي في الجاه والسلطان والمال يجهز على المقبل عليه ويحزن من أثره قلبي، كم أود أن أرى الناس متحابين لا تشغلهم المادة، فالفقير يأكل وينام وكذا الثري، والموت يحل بنا فلا يفرق بيننا، والمتاع نتركه لغيرنا، ليتنا نتعظ ونأخذ العبرة يا قوم، هكذا وقد سيطر الحزن علي وملك الفؤاد ومس الشغاف فاحتواها وضمها ضما مثلما تضم القبور رفاتها، وهل من القبور والأحداث بد أو مفر، ففي تلك العزبة السابحة فوق جسور وأنهار وقبور وأحداث من ذهب وياقوت ومرجان وزمرد ومعادن نفيسة وتمائيل أثرية، في تلك العزبة والمدينة الفاضلة عزبة عبد الواحد النوارة والنسر، مجموعات من العائلات المتحابة المتآخية، لا يشغلهم المال والدر والياقوت والنفائس والكنوز الدفينة في القبور والأقباء والأقبية والسراديـب والسرادات المدفونة والعائمة، يشغلهم حبهـم لبعضهم البعض، فلا فوارق ولا تفرقة، ود يجمعهم ويسود معاملاتهم، عزبة صغيرة قد تراها، وممتدة المساحات تشمل الكون تراها في حين آخر، هي متشكلة الحجم متغيرته، بها الجميع على قلب رجل واحد، فإذا ما ساد خلاف أو دب عارض أو حلت نكبة أو مصيبة، أو نقشت النوازل أثرها في نفوس الناس، وتعكرت الأجواء، سرعان ما ساد الصفا وظهر وتجلى، وكان الصلح لا الخلاف، ليست الكنوز وخيرات الأرض وثروات الدنا من تفرقهم، بل الاتحاد يجمعهم على كلمة سواء، لكني أحر وأخاف أن تطغى المادة فتغير النفوس وتقوي الهمم في الناحية السلبية لا الإيجابية، فليس معنى استخراج الكنوز والعثور على متاع الحياة الزائل أن تدب أدنى مشكلة أو يجد الشيطان إلى هؤلاء سبيلا، نحيا على المبادئ والقيم التي نشأنا عليها منذ نعومة أظفارنا، وسنظل على ذلك بعون الله، وكما ترون معي، هذه عزبة عبد الواحد النوارة والنسر وهي تأتلق وتضوي في قسـمات وجه الزمان عديد التضاريس ومختلفها، درة نفيسة وقيمة وقامة،

يسبر بها الشاب نائل إلى جوار شقيقته أفيات وقد صحوا من غفلة يسيرة فعادت الروح وتبسمت الدنيا وغرد الطير، ثم أمسكت الفتاة أفيات بسراجها المنير ومصباحها الفلاحي السحري، وسارت إلى شاطئ ب فتاة القصر أسرت فؤادي والشمس تشرق بربروع الوادي قصر ك منير وفاطمة جنبك على بساط الأمل ضوءها بادي قد سرت أبحث عن طيف حبيبي كالطير أسبح في كل البلاد وملكة النحل بجواري أراها كم تطعم روعي من أكل وزاد بل تطعم روعي من كل جميل من حب وود وورد وشاد والشادي من طير ما كنت أقصد أواه يا ليل من البعاد نادية اسمها وطير ناداها وقصرها يطير بدون عماد جناحه الأمل والفارس النبيل هو طيف أماني وأمل مراد. وحين سمع الفارس النبيل شدو فارس الرحلة وشاعرها شريف - حيث كان بجوار الأخير إيهاب حكيم الرحلة وحدي مغامرها البطل- فرح كأنما الدنيا لتوها ربيع مشرق أخضر يانع، فالتفت إلى الفتاة والأمل رفيقه، ثم تنقل المشهد وتغير ولم يتغير، حيث الأحداث تجر جرا وتجمع جمعا، وآلة الزمان والمكان تنقب وتبحث وتبني وتؤسس فلا تغادر حدثا إلا وصلته بحدث، فما من حدث يفارقها، والرحالة طفل لا يكبر، وهو ذاته الطفل المار بعرض الطريق يبكي أمه وفراقها، أخته وأخوه يحاولان تهدئته فلا يفلح، ذلك الذي ينضم للرحلة من عصر عجيب، الطفل الباكي يصرخ ويستصرخ، لعله كما علمنا قد يكون في طور البحث عن أمه أو أمله في الحياة من بعد الله عز وجل، وهو جميل الرحلة ووردها وزهرها اليناع ونبتها المورق المخضر الخضر النضر، حيث كان الرجل صاحب الحقل يضرب الفتى الذي يجمع ما تبقى من القطن طويل التيلة كي يجد مصاريق عيشه واللقمة التي تسد رمقه، والعم الشلقامي حسن في دكانه يبيع ويشترى ويشري ويبتاع، كفيف البصر ثاقب البصيرة، ونمر يقرأ القرآن عند شجرة الجميز، وهو شاب مؤدب باسم، خفيف الظل حسن الروح ممتاز ومميز، رائع صوته وعذب في تلاوة آيات الذكر الحكيم، والشاب داخلي كذلك فتى جميل عذب الصوت أيضا، يجتمعان في مآتم ويتلوان آيات القرآن في تبادل وحب وود، تزينت بهما الرحلة وبورتها الرائعة عزبة عبد الواحد النورة والنسر، تلك هي الفضاء الكوني وما أشمل وأبعد، بها نجم الشمس لا يحجب ولا تخبو أشعته، فلما يجن الليل وها هو يفعل، يحجب ضوءها الجميل فيحل محله ظل وستر الليل، وتتقدم للتو الجدة أفيات تحمل مصباحها الفلاحي السحري، وقد حلت بمكان تكسوه الظلمة، فلما ظهرت ومصباحها انكشفت العتمة وتجلى بريق الضوء، وهرب الجان وهول إلا ذلك الطويل البالغ والمسرف في الطول، حتى سلم عليها وهو يقول لها:- مساء الخير يا أم محمد. شعرت الفتاة أفيات بقشعريرة تسري في جسدها وتقبض على روحها، فهزت المصباح وهمست له، اشتد بريق الضوء وتبعثر متجها صوب الأشباح والعفاريت ففرقها إلا من هذا المستطيل الطويل فاره الطول وشديده، إذن لم تفلح المحاولة إلا في صرف أعوانه من الجان، فتقدمت فاطمة ببساطها السحري ولمست منطقة في ذلك البساط فحلق صوب العفريت والتف حوله من طرف من أطرافه ونواحيه، ووجد الجان هائل الطول نفسه مطية قبضة البساط، تختنق أنفاسه خاسرا وفاقدا أثر سحره وقوة بطشه، ثم تحول المشهد ولم يتحول حيث الفتى هذا

يحكم قبضته حول عنق الساحرة ذات البيضة البلورية والعصا السحرية، قد كان من سبق هو عوني حيث كانت العجوز الساحرة تطارده في ظلمات أعماق بحر يوسف لما قال وهو في أشد لحظات ضيقه يعاتب من أحب ومن تركه عرضة الأيام وقبضة الخطوب والنوازل: أنا باليم ولست بغارق بل حبك شقيقي مغرقي كم تخليت عني مرة وأنا عليك طيف مشفق من نور طيفي ومن خاطري وموج نهر النيل المتدفق يا بحر يوسف كم غرقت بك لكن المنية عني أثرها مفارقي، ثم ينظر عوني وقد طفا على وجه الماء وصفحته اللامعة.. ينظر للعزبة الجميلة بنخلها وبقلها وبلحها وثمرها وزيتونها وشجرها ورماتها وزهرها وحيواناتها وطيرها والناس بها، وهي، "عزبة عبد الواحد النواره والنسر بؤرة الرحلة"، العزبة النضرة والمدينة الفاضلة، ذات الذهب والجواهر والحلي والياقوت والمرجان، تسبح على نهر من خير ولؤلؤ منضود وتبر خام منير متألئ، حيث الخضرة والجمال والحقول، نخل الصعل بها والنخيل المائل السحري، وبها رشا تلك الزهرة الجميلة، لقيت المنية مقتولة على يد عاشق جاهل، ما إن ارتبطت بغيره حتى أجهز عليها، وهنا يقف أبو عوف وحدي وأنور وأشرف ومحمود والحوت وقبطان وسندباد، والرحالة والرفاق، يرون حكمة أبي عوف في إرشاد الناس للدرب السليم القويم وإبعادهم عن الطرق الوعرة التي يسكنها قطاع الطرق ومصاصو الدماء والحيوانات المفترسة، وفي المشهد شروق تشرق والجمال يغدق، فتاة هي السحر عينه والجمال والبريق، في طرفها أنا بالفعل كيان غريق، دببت بي الحياة مذ رأيتها وهي تتفتح كالزهرة وتعدو كالمهرة، الود يداعب شغاف قلبي والأمل، ولا يبين مني في جوابي إلا أجل أجل، لو مني تطلب الأمانى أتيت بها، ولو رجت الأغاني غنيت كالعصافير وزقزقت... وظل يتحدث ويصف حتى أشرقت الأرض بنور ربها، فابتسم له الصباح وغنى الطير، ثم أقبلت رشا وهي تركض ركض الوحوش، فتحولت هينتها لمفترس مرعب، ودنت من العجوز الكائنة بين النخل الكومي ونخل الصعل فصافحتها مصافحة تحالف ورسم خطة حرب، وتعاونتا سويا ودقتا طبول الحرب، حيث كان أنور يتحدث مع العجوز وهو يظن أنها أم الرحلة، فقد اتخذت العجوز هينتها، فدنا من رشا وهو يحاورها ويسألها عن الحكاية، ففوجئ أنها وحش يلتهم كل ما ومن يواجهه، تهدأ ثائرتها فقط حين تدنو من السيدة العجوز منتحلة شخصية وهينة وصفة أم الرحلة، صفعها أنور على خدها ورشا تبكي متحولة إلى هينتها الأصلية، وهي تلك الهائمة بأنور عشقا وحبا وودا، وخرج عوني من يم يوسف والعجوز الساحرة تركض خلفه بعدما كانت منذ هنيئة ضئيلة وبرهة قليلة تطارده في خضم الأمواج وبحر يوسف الثائر بفعل ثورة دوامته ذات الياقوت والدر والذهب، التقى الجميع على مقربة من نخل الصعل، والتحمت جيوش العدو والساحر ونواره والنسر من جهة مع آلة الزمان والمكان وكائناتها وأبطالها من ناحية أخرى، ثم تقلب المشهد ودارت رحي الزمان وتداخلت الأوقات واختلطت الأزمنة، وجن الليل وسجى، واستقرت الأوضاع عن ذلك الفتى، حيث قد مكث غير بعيد هنالك عند جزيرة الأمل ينادي على الجميع: حي على الفلاح. كان مغامر الرحلة حمدي - صديق سندباد والرحالة - لا يهدأ له بال، وهو في سعي مستمر

حشيث، تقدم للتو صوب صديقيه، وجزيرة الأمل خلفه على بعد قريب، ثم صعد مع الرحالة و- صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان - " ذلك المرتفع الصخري، وسندباد وقبطان يطلان عليهما من وراء الأفق، ونهر النيل وبحر يوسف حاضران في المشهد، يجري بهما موج الأمل، والقارب يحمل الفتاتين وهما تشقان عرضه وموجه، يجدفان وعزيمتيهما لا يفلها حتى الحديد، وإرادتيهما تطويان الصعاب وتذبيان كل جمد عنيد، حتى استقر مغامر الرحلة حمدي حيث آلة الزمان والمكان تحاول جهدها طي تلك المطاردة من قبل الأسود والوحوش التابعة لها، استمر صبري وعبد الرحمن في ركض يهدفان من المضي فيه مراوغة الوحوش والأسود، ثم استندرا بعدما بلغا قمة المرتفع الصخري، وكانت تتبعهما تماما الأسود في اندفاع هائل، بلغت الأسود هي الأخرى القمة من المرتفع الوعر ذاك، وهوت تطير في الفضاء من الناحية الأخرى، تتطاير أجسادها إثر قوة الاندفاع تلك، والجميع يشهدون حركة أجسادهم وسباحتهم في ذلك الفراغ العجيب، وهوت الأجساد نحو الأرض مثقلة بقوة الجاذبية الأرضية ومرتظمة بصخور هائلة الحجم مدببة، فاعتصرتهم المنية والتقمهم الموت وهو ملهم، ثم توالى الركض صوب الكهف أسفل المنحدر الصخري، ودلف- الرحالة وحمدي وصبري وسندباد وقبطان والكائنات - إلى الكهف المهجور، وكان للكهف مدخلان، حيث غمرت الجميع مياه نهر الموت وغشيتهم ظلمة شديدة، عبر المارون باب الكهف الأول وخلفهم التماسيح والكائنات المائية الفتاكة، وانتهوا إلى الفتحة الأخرى للكهف وهي باب الخروج من قبر الأعماق ذلك، فأغلق من خلفهم في لمح خاطف، حيث قد أنجزوا التوقيت اللازم للعبور من خطر المنية، ولما وصلت الكائنات المهاجمة حيث تلك الفتحة السحرية أغلقت دونهم، كما أغلق المنفذ الأول كذلك، وأصبح المعتدون بين بابين مغلقين، والمياه تغمرهم، حين تغير المشهد ولم يتغير، حيث آلة الزمان والمكان تشمل كل شيء، فكل شيء في مستوى رؤية لكن من جانب معين، والجميل هذا يقف أمام سحر النيل، لا يبغي مغادرة ذلك المشهد الحسن أسر اللب، وتذكر أيامه الأول، وراح يشدو من صميم فؤاده فيبعث له القلب أجمل المفردات ويختلقها الفكر في نظم كاللؤلؤ، ثم هام ما نام وصحا ما غفل وهو يقول وبحر يوسف يضحك:- نهر النيل اصطبر واصبر وارو نباتك من الكوثر ابسط جناحك حيث الربا وأجمل بهذا من منظر فانت الكوثر أنت المنى وبحر الآمال لدى الأخضر من نبت خير وأنت الدجى وأنت بدر دجى الأسمر أنرت فضوت كل الدنيا لك فيها من مثمر طرحك فرح العمر الذي من كل قلبي والخاطر شراع الدنيا وطيفها بك جئت إلينا كما المنذر و أنت اليوسف حيث المنى تسقي الدنيا من الأبحر ". وكان النيل وبحر يوسف يستمعان إليه فيشدوان ويغنيان، ويجرى بهما الأمل موجا حريريا منسابا، حيث السماء ملبدة بالغيوم، والحسن قد رسم على قسماتهما البديعة العذبة، والرحالة مستمر في غزله ونظمه ذاك، يسألهما من بعد الله عن مكان "فاطمة ذات البساط السحري"، ذلك لما انفك يبحث عن الفتاة منذ مشهد نهر الموت وحدثه المؤلم، حين اضطر لإداعها المخبأ السري للقارب الصغير في الحقيبة المؤلمة من عهد الرحلة" بآلتها الزمكانية الزمنية والمكانية"، ومرت

عليه العصر تجمعها آلة الزمان وتخوض غمارها بطريقة عشوائية في حسابات البشر، وغاية في الدقة والإحكام بحسابات وترتيبات وحكمة إله ورب ومليك الكائنات البشر، وما زال كل عهد به حتى كاد ينهي عليه، وهو في كل هذا يملك من رباطة الجأش والصبر ما تنوء عن حمله أمم ويعجز العالمين، ولم يترك الزمن أثرا عليه، يظل هو الشاب المصاحب للربيع، بل والذي يهوى ويتمنى الربيع ذاته رفقته، والشاب حمدي رفيق دربه لا يبرحه على أي حال ولا يغادره، كأنه ذلك الربيع الذي أقصده، فكلاهما يمتاز بالحيوية يزينه الورد والزهر والنبت الجميل، وينثر في رحابه عطر الحياة وشذاها، وتزقزق العصافير والطير يغني في ساحته، والنسيم يتهدى في صفحته اللامعة حيث يداعب الغصون فتهدو إليه، ويزامل الأفنان فتميل نحوه وتهمس له،، شاب بلغ من الهمة والإقدام والشجاعة ما لا يسمو إليه حتى المغامرون أولو القوة والبأس، عملاق مسيطر وقلما تجد له نظيرا، يدافع أيضا عن محمد ضد بطش "النوارة والنسر" حين تكون نواراة غاضبة علي الأخير بعد يأسها من مبادلتها الغرام من قبله، يمتطي المغوار حمدي جواد الرحلة الطائر ويصعد به محلقا صوب ملكة النحل، يشارك الجموع الطائرة رحلة العجائب، حيث يمر برفقتهم - في الوضع طائرا- بالحقول والبساتين والأزمنة والأماكن والرياض والصحراوات والفلوات ونهر النيل وبحر يوسف، ويسبح في الفضاء الكوني الهائل، ويغني ويغرد مثل الطير، ويواجه الكائنات الفضائية التي تعادي الرحلة وتصد تقدمها المطرد صوب جزيرة الأمل الطائرة وواحة الحسن الهائلة الخضرة النظرة، ثم يلحق الفتى بالرحالة في نقطة زمنية ومكانية جمعتها آلة الزمان والمكان للتو حيث يقول وهو يحكي المشهد الذي يراه وهو معاصره وحاضر تفاصيله: " كنت أتصور أن الشفقة والرحمة والإنسانية في بال وخاطر هؤلاء ولو بنسبة بسيطة، حتى ذهب فكري في هذا المنحى مهبط الريح وأدراجها، فلا قيم ولا مبادئ لدى محبي الحياة مكتنزي المال - والذهب والفضة والياقوت والمرجان - هؤلاء، من ييغون السيطرة وفرض الرأي، فها هي " تبر " - الطفلة الشجاعة قائدة الرحلة ومغامرتها البطلة- تثور ضدهم وهم الظلمة اللذين يجهرن بذنوب الاعتداء على أطفال يعملون من أجل تحصيل قوت يومهم وجمعه من أفواه الأسود وصيد لقم عيشهم من برائن الوحوش، ومحمد لا يترك الطفلة المجاهدة الجميلة الصبورة رغم ميل قلب النواراة الظالمة إليه، إنه شغف الحب والميل وسلطان الهوى والغرام، فهي تعرض عليه أن يكون صاحب الرأي والمشورة وأن يكتنز الذهب والفضة والأموال كما يكتنزون وأن يكون الحاكم الأوحى يأمر وينهي ولو على سبيل إقصاء النسر كليا من حياتها وحساباتها، فلا يكون من محمد سوى الرفض وعدم الانقياد لشياطين نفوسهم الأماراة بالسوء، فالآن موسم جمع البقول وخيرات الأرض، والنورج يعمل لما تجره البغال والحمير، ويقلب الغلال والأغصان اليابسة حاملة الخير من الثمر، والأطفال " تبر وعزية وسمهانة وحمامة ويمامة ومصطفى وكامل وأنور وسعيد ومحمود وفاطمة والدسوقي ونجوى ونرجس وآمال وعقلة الإصبع وأمانى...الكثيرون والكثيرات....و....و...."منهم يعملون ويكدون في جمع الفول حينا والقمح حينا آخر، والقطن

أحيانا كثيرة ويجمعون الحبوب التي تم استخلاصها من النبات اليابت حامل الثمار من زروع مختلفة، الأرض لتوها تنتج جميع المحاصيل في آن واحد، حيث كما جمعت الرحلة الأزمنة والأمكنة، ها هي تجمع المحاصيل في أزمنة السنة المختلفة، والطقس يا للعجب - الطقس مهياً لإنتاج كل شيء وشتى أنواع الزرع والنبت، والنوارة تكاد تجن ويصيبها الخبل من معاملة محمد لها، وهي التي تميل إليه كل الميل لما ملك قلبها وأسر فؤادها باتزان نفسه ورجاحة عقله وطيب خلقه وحلو قسماته وملح روحه، ورئيس العمال إلى جانبها ينهر الصبية والصبيات ويضربهم ويلحق الضرر بهم ويدفعهم إلى الجحيم حيث الشمس المحرقة، وها هي الشمسية - وهي ساتر من القماش يقي من الشمس حيث يميل على الرأس من أعلاها كما تميل السماء على البسيطة- تظلل النوارة وتحميها من أشعة الشمس، ويقدم الخدم والحشم لها الماء والغذاء، في حين يكاد يهلك الأطفال عطشا، فإذا ما أراد طفل أن يشرب قطرة من الماء، ذاق بدلا عنها ويلا وضربا وسبابا، تتقدم تبر صوب الخولي وهو رئيس العمال، فتمسك كرابجه وسوطه وتنزعه من يده، وهي متأكدة من غدره وردة فعله اللنيمة، ولقد صدق حسها وتوقعها وحدث قلبها، ذلك لأنه الآن كما ترون ينزع هو السوط منها والذي انتزعته فجأة على حين سهو منه، ويهوي عليها به فيظهر في موضع وقوعه وتهاويه على جسدها خط دم تغلي فيه الشمس، فلا يعجب ذلك محمدا، والذي يقفز كقفزة الفهد على فريسته وكما تسمعون وتستمعون ويأخذكم الانتباه فتنصتون، فصوت صفارات الإنذار يدوي في محيط روضة حفني المحصنة، حيث أسوارها مزودة بمضادات قتالية جوية وأرضية، الحين يطلق ابن النوارة والنسر وابل صواريخه وقاذفاته بمساعدة جيوش العدو، فتتل منها المقاتلات المضادة من قبل آلة الزمان والمكان، وتتقدم السفن الحربية والجمال والإبل حاملة المؤن والذخائر والعتاد، وتهدأ وتيرة القتال كلما نظر الناظر ورأى مقاتلي ناعسة ولمح طرفها الأسر المكحل والمكتحل بسواد الليل البهيم، خضع العدو وذل لحسنها، تلك زهرة الربيع وحلم الحياة وابتسامة القدر وليس للقدر إلا ابتسامة حيث نحن راضون به، وهو الخير كله لا ريب، هو من قبل الله، والله جل وعلا لا يفعل إلا خيرا ولا يسوق لنا إلا ما يصلحنا ويقومنا، وهنالك عند "بستان ممدوح" و"واحة ممدود" تتقدم المقاتلات المؤازرة لحفني وجيوشه داخل الروضة العجيبة، تقاتل ومعها كائنات عجيبة أيضا مساعدة لنا، و"ممدوح" يضحك ضحكته المعهودة ويبتسم بسمته النصر وينظر نظرة الواثق من عون الله ومده، يحاور أخاه "صلاح" ويقول: "أرأيت أخي، كائنات عجيبة ودواب ووحوش طيبة ومؤمن وذخيرة وعجلات حربية ومقاتلات بدائية وبوق ونوق، لقد دارت الدائرة على" الساحر الشرير" و"ريمة" و"ابن النوارة والنسر"، ومعاونيهم من كل حذب وصوب وزمان ومكان". فهز صلاح رأسه وبدت نواجذه من فرط البسمة والضحكة وكركر فسمع صدى ضحكته من بعد سحيق، حيث زلزل أركان العدو وهد قلاع وحصونه وحطم خوذاته وكسر سيوفه ونسف دوره، ثم قال "صلاح" فتي الرحلة الباسم رادا على أخيه: "ممدوح أخي، أنت قائد بارع لا تختلف بأي شك ولا تقل مكانة عن" القائد المحنك صبري الطيار

الطائر قائد آلة الزمان والمكان. " فابتسم ممدوح وشكر أخاه، ثم تولى صوب الجدول ذي الفاكهة والثمار وشرع يجمع من الخير العائم فوق صفحته الحريرية للصبية والصبيات والأطفال وللنساء والعجائز والكبار والصغار، والنخلة الخرساء تتحدث أخيرا وتكرمر وتضحى آلة زمان ومكان، ثم يبتسم الراوي وهو لا يعلم إن كان الرحالة المتحول أم هذا أم ذاك، وربما أنا أو أنت أو هي أو هو أو هم، وراح يحكي ويقص في ذات وقت حدوث الأشياء والمشاهد، والراوي الآن محمد، يسمع الصوت منه وهو يقول،، "في الرحلة الفتاة ملك من عادى ملك هلك ومن رجا طريق خير درب ملك سلك هي الربيع الباسم وهي الضوء انتلق إنها الخضرة والجمال وبريق الحسن والنشف هجرتني فضل المسعى وغشاني بعدها أرق " وقد نطق بما سبق محمد نعم محمد نطق وكان يصف الأميرة والملكة " ملك " وهي تستمع إليه دونما يراها، وقد رأت على قسماته تباشير الود كما يرى المشاهد تباشير الصباح فتنبض بنفسه آمال الربيع، وملك صديقة صدوقة "فتاة القصر نادية الشادية"، حيث لا يزال قصرها يطير تابعا متبعا "ملكة النحل" في تحليقها الأزلي السرمدى، على حين تتصل أحداث وتنفصل ويزحف صوبنا الماضي زحف إجابة وإتقان، ويجر لدينا جرا، ويبتسم المستقبل ويبسم، ويبوح بما لديه وبما يحويه فؤاده الحالم، وها هي آلة الزمان والمكان عند نهر الموت الذي يتسع فجأة ليشمل ويشتمل البسيطة وما أبعد، وتمدد حتى تعجب الجميع، يكاد يشمل الكون اتساعا، والقارب الصغير يتحول لسفينة عملاقة هي بمثابة حاملة طائرات ومعدات حربية ومقاتلات وصواريخ وقاذفات موجهة، وعلى متنها أيضا يقف الرجل العملاق والعجلات الحربية حوله من كل زاوية، يقفز من فوقها كما ترون ويحلق في الفضاء فوقها ثم يعود، وعلى متن تلك المعجزة أيضا محاربون من كل العصر والأزمنة وجيوش إسلامية وجيوش أعداء وأسواق ودور وبيوت وأبنية، ويوجد كوخ الصحراء الجرداء الذي يحوي أبناء أم الصغار، ويظهر المشهد حيث التنين يدوس كل ذلك هو وعائلاته، والمارد حامى الصغار من بعد الله يقاتلهم، والفارس المثلث لا يزال يقاتل تماسيح نهر الموت المسخرة من قبل الجان الذين كانوا يطاردونه حينما كان هو ذاته الفلاحة التي تدير الطمبورة الأسطوانية كي تخرج الماء من المصرف العذب في "عزبة عبد الواحد النورة والنسر" وعلى حين غرة من الأحداث وأثناء التحول التلقائي اللاإرادي من قبل "آلة الزمان والمكان الآلة الزمكانية"، استيقظت الأميرة من نومها والعصافير تزقزق، وصباح الأمل على الدنيا يشرق، حيث تشاهد كل تلك الأحداث، إنها ملك الجميلة أميرة الرحلة وفتاتها رائعة الخصال، وهي الربيع الباسم الذي يسقيه جدول الحسن عذب مياهه، وتعبق له الزهور ويترنم البلبل وتعزف الأيام موسيقى اللحن الخالد، وهي الدعاء الحسناء الكحلأ الهيفاء، والحوراء العنقاء، والله ما شاء، وها هو يمر محمد من أمام حديقة حفني في تلك البقعة المطهرة من المدينة المزينة المنورة، والحقول تبتسم والطيور تغرد، وعلى فرط حسن جمالها العالم شاهد، والكون يشهد، حورية البحار هي وبلسم الروح وترياق الجراح ودواء العليل، خطر محمد وقلبه ينبض وهو يسير في الناحية البحرية من روضة الشاب حفني عند القتال الدائر

بالساحة المحتقنة بجرائر الحرب الضروس، ولقد هدا وقع القتال وألقى كل سلاحه وتأمل
بديع خلق الله، وخرج عوني من دوامة الغرق الملمة به بسلام كي يتأمل عيونها، وربما نجا
إثر سحر بريقهن الجاذب، وتهادت النسائم تحيي الربيع الذي بدوره حياها، إنها تعلم جيدا
مقدار حبي لها وحنيني الجارف نحوها، تلك قيثاره الأمل ومذهبه الوجل والعازفة على لحن
قلبي ووتر نبضي، فغارت النسوة والفتيات من مغالته إياها على هذا النحو، وشرعن
تسرعن وتلعبن وتلهون هنالك عند غدير الأمل كما ترون، وسبحن بالجدول ذي الماء العذب
على مرأى من الجميع وهن يرتدين ثيابهن علهن يصرفن طرفه عن طرفها، وذلك ما لم
يكن، فكما ترون.. معلق طرفه بطرفها ومتصل نبضه بنبضها، فما من مفرق ولا عاذل يقوى
على إحداث عكس ذلك، ثم تجلى بحدث مكمل عجوز الرحلة الطيب ورحالتها حيث تحمله آلة
الزمان على جناح شوق، ذلك الذي يصغر ويكبر ويظل شابا ويبقى عجوزا كهلا ويعود طفلا
ويذهب للمهد، وهو هذا وذاك في كل زمان ومكان...، "ولا بد أن يأتي الفرج بعد طول
وامتداد هذا الصبر"، جملة لفظ بها الرحالة العجوز الكهل ذاك وهو على مقربة من شاطئ
الخلاص بعدما تجاوز روضة حقني وشق قلبه الفتاة ناعسة حلم الرحلة ونبضها البديع
وغصنها الرفيق ذي الورد والزهر والفرن والنهر، و"جلال الدين" إلى جواره يغالب
الأمواج ومعه "الأمير نور الدين" وكائنات كثيرة هائلة التعداد والعدد والعدة والعتاد، عام
الجمع وسبح في تقدم مطرد، فرد عليه القول "الفارس المثلث" وهو يقاتل التماسيح وحيثان
البحر العملاق شديد الاتساع والمحيط الذي فاق مستوى الرؤية وتخطاها والمنبثق عن بحر
يوسف لا نهائي التحولات لصور وهيئات في "عزبة عبد الواحد النورة والنسر"، وكان
منادي القوم يهتف في حماس: لا يستسلم أحدكم للموج، فالقائد صلاح الدين محرر القوم من
العبودية والرق، وقائد الجيش العالمي الكوني الجرار لا يزال حيا برفقتنا"، وإذ بصوت
يعقب هذا يهتف أيضا ويؤكد قوله وهو يقول: "أنا صلاح الدين، ما ينست يوما ولا حتى
برهة من زمن، استمروا في السباحة، فها نحن أولاء على مشارف شاطئ الخلاص لدى
جزيرة الأمل وعند الجدول العذب والحديقة المورقة المزهرة". فملك الجمع شجاعة
وشملهم إقدام ودبت بهم عزائم لا تلين، واستمر صبري الطيار الطائر يسبح هو الآخر ويقود
آلة الزمان والمكان متقدما عليهم جميعا، ووصل للشاطئ الآخر ووقف هاتفا ملوحا ببسمته
التي لا تذهب عنه وهو يقول: "أنا صبري الطائر وإن لوني أسمر بلغت شاطئ أحلامي
وهذا ربيع أخضر هلموا هيا أقبلوا هيا تعالوا واحضروا" فاندفع الجميع كالسيل الزاحف
نحو البرية والبر، ووصلوا الجانب الآخر من شاطئ الخلاص، وها هو الرحالة يظهر وهو
فرح مسرور ليشدو ويقول: "شاطئ الخلاص أنت عمري، والله قبلك منتهى أمري، لا زلت
أحبك وإنى سأبقى، دوما أحبك فهل تذكرني؟!"، ثم ها هو يهمس روح الرحلة ونبضها
الساوي من عزبة عبد الواحد النورة والنسر وهو يقول: "وكلما قلت انتهيت ما انتهى
قلبي وقلمي وما سكت فكري، يناديني القلم ويحاورني ويدفعني إلى الكتابة دفعا، ويأخذني
صوب الود أخذنا لينا، ويمضي بي صوب بستان الورد والزهر مضيا وتتراحم علي الأفكار فلا

أعلم أيها أنتقى أو أختار، لا أقل أن الأفكار تهلكني، بيد أنها تضغط علي فتذيقني من شهد الإبداع صنوف أمل، وتعبق كزهر الربيع الباسم عطرا وشذى وعبيراً، وفي المشهد كما ترون ها هو حفني يميل إليها قلبه وتشهد عيناه بما تحتويان من أحاسيس مرهفة ووجد رغم القرب وحنين وأنين رغم السعادة التي تبدو على المبسم مرتسمة مضيئة، ليس كل ما يبدي الإنسان هو ما يشعر به، ربما أضحك والآلام الداخلية تعترضني، ولربما في البكاء غاية سعادتني، لا تعجبون مني وأنا حفني غريب الأطوار بعض الحين، من مر بكل لون من ألوان الحياة وخاض كل تجربة على الرغم من صغر سني وحداثة عهدي بالحياة، كانت ناعسة تنصت إليه وهي منتبهة تواقفة، وكأنه نهر النيل ساقبها والبدر مشع الضوء صوبها منير ظلمات نفسها وطريقها، وملكة النحل هي الأخرى من السماء القريبة أو البعيدة لا تترك الحشود ولا الكائنات، وحسانين فتى الرحلة المجاهد لا يزال يهيم على وجهه في الدنيا، يحار بين اليوم والأمس، ومشهد الرحلة يتحول مصطبحا الأحداث حاكيا عن نفسه منبنا بكل شيء يحدث أو لا يحدث، إنه توقع القلب ما ربما يجري من مواقع ومشاهد، حيث يقول الفتى النبيل: " يا قلبي إني بعشقتك زارني الأمل وأقل نفسي وراقها ما غادر الغزل". فكاد يغشى عليها من فرط السعادة وهي تجلس عند الغدير العذب، والهوة المتقدة تشعل لكن من بعيد، فانتبه لما قد رسم فوق قسماتها من فرح، وملأ قلبه الأمل، في حين قالت هي: " من تقصد بهذه الكلمات؟! ". فحار بعض الشيء وأطرق واستغرق في صمت هو بمثابة بوح وحديث، وتجلت فوق قسماته آمال وبسمات، وراح يداعب زهرة تدلت من الفنن وتمايلت من الغصن، في حين قال هامسا والربيع والطير يطربان لحديثه: " ومن لغيرك كنت أحكي وأقول والود مني لك يا عمري موصول ". فأحست نبض قلبها يتعالى حيناً ويدق في خفوت حيناً آخر، وابتسمت فكانت كالحياة حين تظهر وجه الحسن منها، وعينها المكحلة بحلقة الليل تنبأ عن الكثير، راحت تغرف غرفة من الغدير وتشدو، وترتشف من الأماني وترنو، والليل أقبل والزمان يدور، ويطير فرحاً ويبسم العصفور، فمن السماء تجلى جاء نذير، وبدا يحلق في الفضاء أمير، والعم عبد الصبور يدير شادوفه ويرفعه، ينزل الدلو في بحر ونهر ومحيط وجدول يوسف، فيرفع الثقل من الناحية الأخرى من طرف الشادوف مدليا الدلو بقوة، فيملأ الدلو بالماء ويتركه حرا كي يرفعه الثقل بفعل جاذبية الأرض له حين يتدلى نازلاً، والفتاة تعجب لما ترى، تلقي تحية الصباح على العم عبد الصبور وتقول: عمت صباحاً يا أطيّب من بالرحلة، فيشكرها وتعمه فرحة غامرة، ويقول: شكرا ابنتي...ثم تقول الفتاة ذات الخصال الجميلة للفتى عبد الصبور:- _ ها هو يقبل شهر رمضان الذي يحلو بك ويتجمل، يا من تطرق باب قلوبنا وتشدو لنا قبيل الفجر كي نتناول السحور، يا أجمل من رأيت " وهنا يبتسم الرحالة قائلا: " كل هذا للعم عبد الصبور. ألا يوجد شيء لي؟! " فيضحك الجميع ويكررك، فيما تواصل وتصل آلة الزمان التابعة للرحلة الأحداث، لما ينقل الرحالة يديه عبر غصون وفروع الشجر دائم الإثمار في الغابة الموحشة، والذئب القائد يطارده وعبد الرحمن يراوغه كي ينجي صديق عمره الرحالة من موت محقق، هنالك على

جانب هوة الموت والهلاك، يصنع العالم الجليل بمساعدة المهرة والحكماء وأولي الفكر والمهندسين آلة بدائية ذات مركز حجري على جانب الهوة، يتصل بالمركز الحجري هذا خيط مصنوع من ألياف النباتات وسعف النخيل والكتان والليف وغيرهم، مفتول بطريقة عجيبة، ويلقي سندباد الخيط ليزحف في الهواء والفضاء عابرا الهوة حيث الشجرة العملاقة المضادة للنيران في الجانب الآخر، فيلتف الحبل حولها مثبتا تثبيتا عجيبا عظيما، وهنا يشد الحبل كما ترون بحيث يكون في وضع مواز لخط النار، وفي الأخير هو بعيد كل البعد عن أثر اللهب والجحيم بمواد مضادة للهب والنيران. تعبر الكائنات عليه واحدا واحدا، ومن يمر سالما غانما للجانب الآخر فهو ذو حظ عظيم، على أن الحبل الأفقي شديد السمك والاتزان، فيعبرون بسلام كما نرى، ثم تهدأ الهوة وتظهر الثعابين في مواضع منها قد أطلت، وهي تطل بالفعل الآن كما ترون من شرفات ونوافذ تأتي من الجحيم، والحيات تلك والثعابين أجسادها مضادة للنار، حيث هي الجان ذاته والمخلوق من اللظى، ثم تظهر آلة الزمان والمكان التابعة للرحلة بلا حدود وهي تحول المشهد ولا تتركه خلفها، بل تجمع العصر في زمن حاضر، وتظهر تبعا لذلك التحول الرهيب الفتاة رائعة الخصال والحسن في ساحة الرحلة كالحلم الجميل، تخطر بين الأجم والعشب الأخضر وتميل، وتتمايل كما الفن المستمد جماله من نقاء الربيع، من دونك مهدد أنا فأكاد أضيع، ودنت منها الفراشة كما ترون، بيضاء مزركشة تحمل ألوان الطيف، شددت لها وتغني، وليت تتحقق المنى ويقبل التمني، وقد أذاعت الورود عطرها المنبعث من روضة حفني، وناعسة بجانب بئر العجائب والمفاجآت ترحب بالفتاة وتلوح لها، وابن النورة والنسر الضال لا يزال يمطر الروضة بوابل من الصواريخ والقاذفات الموجهة من قبل آلة الزمان والمكان الشريرة، ويظهر "حسانين" الفتى الجميل وهو يسير في الواحة الخضراء والحقول الجميلة وفي مزرعة الحسن والنبات الأخضر في بؤرة الرحلة- عزبة عبد الواحد النورة والنسر- التي مست شغافي وملأت بالسعادة حياتي، حوله الربيع ينادي عليه والفراشات يداعبه، ظل يسير... ألا ترون.. يهمس للطيور فتهمس له، وينادي عليها فتزقزق العصافير وتهتف الجماهير، يخطر ها هو في الحديقة الجميلة حيث قطوف العنب المدلاة وحقول وبساتين التفاح والبطيخ وعصفور الجنة والأشجار دائمة الإثمار، وبصحبه سعد وممدوح وكمال، تقدم حسانين وعدى وجرى يركض، فإذ هو في جنة المزرعة الخضراء والأخيرة تتحول أرض عقيمة وصحراء جرداء، ولكن المآذن تظهر والجوامع والمساجد، يدخل إليها فيصلي ويستكمل دربه ليجد قبور النخل الكومي، يبتهل إلى الله ويدعو فتخضر البساتين ويعود الربيع، وها هو قد وصل الجنة يتنعم بها، والولدان المخلدون من حوله، والكوثر ينادي عليه، وهو للتو في باخرة تشق عرض محيط ونهر وبحر يوسف، وإذ بالباخرة تلك تطفو فوق صفحة نهر الموت وهي ذاتها القارب الصغير - قارب فاطمة ذات البساط السحري - حين تحول إليها كي يماثل صورتها وهيبتها، كان الفتى متمرسا ذا خبرة عظيمة، استطاع في لمح خاطف أن يقودها ويستخدمها في القتال الدائر ضد النورة والنسر وجيوش الساحر الشرير على

مشارف العزبة المحصنة، عزبة عبد الواحد النوارة والنسر، وبالقرب من روضة حفني هنالك،، ألا ترون معي ؟!، نعم... وإلى جوار حسانين الحكيم ذي الخبرة والدراية والدهاء والمغامرات ها هو يجلس الملك الغضنفر خميس، وصبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان، وصلاح الدين قائد الجيش العالمي الجرار المخصص لقتال الأعداء وتحرير الأراضي المغتصبة والأماكن المقدسة والمحتلة ومعه محروس أبو الرجال و" الرجل الكبير"، وها هو المسجد الأقصى يتزين بحلة النصر ويتحدث إلينا بآيات القرآن الكريم تتلى وترتل، وفي مشهد متصل لا منفصل تحلق طائرة رش نبت القطن الجميل طويل التيلة على مستوى منخفض وهي تجول في منطقة نخل الصعل المأهولة بالجان، وتنتظر رشا إليها وعيناها تقدحان شررا ظنا منها أنها معتدي جاء ليحتل مملكتها، وشرعت تتذكر قاتلتها وهو يطعن بالخنجر المسموم ليلة زفافها، وكيف ماتت وقضت ثم بعثها الله روحا، ورأت أمام عينيها كيد الساحر بها،"، وكانت الطائرة مزركشة الألوان مليحة الهيئة متحولة لشتى الصور والهيئات التي تظهر عليها آلة الزمان والمكان العجيبة اللانهائية الأوجه، والجان له أجنحة يصفها حولها في مشهد اعتداء بين واضح الملامح، والصبح يشرق ويطل فيعانق ورود الأمل ويهفو إلى النسيم ويتوق، لما بدا محمد وهو يذهب إلى غيطه وحقله في الناحية البحرية من لؤلؤة الرحلة وعقدها المنضود من الزمرد والزبرجد – عزبة عبد الواحد النوارة والنسر – أبعادية سيف الدين، مليحة اللمي ونجمة السماء وبدرها، ودرة النفس وتاجها، تلك المناسبة كالموج المترقق معانق الربيع وجدول الحسن، وها هي الأفعى ذات الجوهرة تهتدي بنور جوهرتها البلورية السحرية، وهي تقذفها أمامها فتضيء في مشهد يخطف القلوب ويقتلعها من منبتها، وهي تتلوى وتموج على جسر عزبة عبد الواحد النوارة والنسر، الفيثارة البهية والدرة الضوئية وهمس الأنين وموسيقى السعادة، تلك العزبة التي تسكن وجداني تهمس لي بكل حرف يعيد لي أمجاد الحياة، بالفعل توجه محمد يقصد حقله عند زرع القصب والناس يجمعونه في الصباح الباكر للتو، حيث قابل الفتى محمدا ذلك الرحالة المار عبر العصور والمزامل لآلة الزمان والمكان والمصاحب لها، سر قلب محمد وفرح فرحا شديدا حين وجد الآلة الزمكانية تحلق هنالك وتروي الأحداث وتعيشها، وكانت رشا عروس نخل الصعل تراقب المشهد من منطقتها ومملكتها الكائنة في جنح الليل والنهار الباسم، بجوار بحر يوسف تجلس وهي على شاطئه لا تكاد تصدق أنها عادت للحياه، حين نظر إليها محمد رغم اتساع مسافة البعد المكانية والزمنية بينهما، إنها روح تحبه وهي الآن في صورتها الجنية المرعبة، ولا تلبث إلا أن تتحول إلى هيئتها الجميلة وقسماتها المضيئة خاطفة اللب أسرة الفؤاد، وترى الجدة أفيات وهي تعبر الدروب وتسلك المسالك وإلى جنبها العم الدسوقي يخيف الأطفال مداعبة منه، وأنور إلى جانب أخيه الغريب يستمع إلى شكواه ونبض قلبه فيبكي، وأم الرحلة تصول وتجول في منطقة الأربعة عشر فدانا المجاورة للهوة المتقدة وساقية الشاب عزمي، وناعسة تظهر في المشهد... ألا ترون...إنها فيثارة عزف تطرب لها القلوب، ووردة تفتحت في الربيع الباسم، وغصن حنين تذوب من حسن هيئته

زهور الخمانل والبساتين شوقا وهياما، فتضوع مسكا وتعبق شذى وأملا، تلك ناعسة التي
تود حفني من صميم قلبها، وتترك وتهجر أباهها وأمها " النورة والنسر "، وتتحدى أخاها
الذي يطلق وابلا من الصواريخ والقاذفات بألة الزمان والمكان المعاكسة المضادة الشريرة،
وبئر الأمل بروضة حفني لا يزال يستمد ثرواته وصفي مياهه من دوامة بحر يوسف خاطفة
الأرواح ومزهقتها، نعم.. ظلت طائفة الرش تبعث غيثها للنبت الجميل للقطن طويل التيلة،
وحلقت على مسافة قريبة جدا وهي تكاد تعانق الصبية والصبيات، وتبر تغني الأغنيات
الفلاحية النابعة من أصل الزمن الجميل الذي نحياه لتونا، تجمع الفجل والخص والبصل،
وكذا الطماطم والخيار والبطيخ وشهد العسل، وفؤاد الشاب الجميل يأتي لنا بالقصب
والمانجو والجوافة، وبستان ممدوح تتجلى به الآيات والنبت الجميل والنخيل بسعفه
المضوي واللامع في سماء الحسن، وجدول روضة ممدوح ها هو ممتد إلى خارجها، تجري
به المياه وتتهادى حاملة قطوف العنب والبلح والخير من كل لون، نلعب في الجدول ونمرح،
فاذ سبح الثمر وها هو يسبح، نهدي بعضنا البعض من قطفه، ولطفي فاكهة الرحلة يمرح
ويبتسم ويلقي الفكاهة على مسامح الجميع، وعوني في المشهد يجر البهائم ويسحبها كي
يسقيها ويرويها من نهر يوسف وبحره المتحول عبر العصر لكل شيء، نعم...أنت يا بحر
يوسف للتو آلة زمان ومكان، ،،يتقدم عوني ليسقي البهائم وهو يمتطي الحمار حيننا وحيننا
آخر الأتان، والجحش البطيء بصحبة أبي العقيص يقرصه ليعلمه فن السباحة والعم،
وناهد تمر مثل الخيال بحسنها الصارخ وجمالها الملفت فينبعث العطر منها وهي خميلة
جميلة، ويفوح المسك وتبتسم الحياة، ويغرد لها الطير وتشدو العنادل، وما يزال محمد يتجه
إلى حقله حتى يقابله الآن الرحالة فينظم فيه شعرا ويقول: " بيني وبينك لو علمت وصال
مثل الرياض لا يزول جمال منها ونهر النيل من يسقيها وبحر يوسف في الدنيا يختال قم يا
محمد عهد ود جاء والليل ضوى والنجوم خيال نشر الضياء به إذا يأتينا بدر وقمر يرتقي
ومنال لنا تحقق بعد طول غياب فلا تعيق مسيرنا أحمال يا نخل صعل سامي فيه يجول
وجميل، أشرف وسامح وجمال ورشا العروس بساحته ورباه كل الآمال على سناها تطل
سلمى بجدول روضة المشتاق هي منها يدنو ثعلب وغزال ومضى محمد حتى شق طريقا
بالخطر وعرا والشهود جبال " ما سبق قوله وحرفه. وما تقدم نظمه وقوله، بارع حتى حد
الدهشة، متميز سابق لعصره، أمير معنا بالرحلة وفارس مغوار، والفضاء الكوني في خضم
كل ذلك يسبح في ملكوت الله وبتدبيره جل وعلا، خالق كل شيء ومليكه، الأول بلا بداية
والآخر بلا نهاية، في رحلة بها آية، نجوم تستشعرها وتحسها قريبة، وهي قريبة بعيدة
وبعيدة قريبة، آلة الزمان والمكان تصل إليها في لمح خاطف، بل النجوم ذاتها تسبح في
محيط الآلة الزمكانية آلة الزمان والمكان، الشمس تنقد وتشعل وتدأ الكون، والهلal يصير
بدرا والبدر يضمحل ليضحى هلالا ثم يختفي، أشعة الشمس يعكسها سطح القمر، فكل منطقة
منه تستقبل حزمة من الأشعة الشمسية، وعلى حسب دوران الأرض والقمر وزاوية الرؤيا
يتشكل وجه القمر والبدر، فيبين هلالا أو بدرا أو يختفي على حسب هذه العوامل والمؤثرات

الكونية، والمادة المظلمة كالدوامة الموجودة ببحر ومحيط وجدول ونهر يوسف في عزبة عبد الواحد النواره والنسر، بؤرة الرحلة ومركزها، وقيثارة النغم، الشادية على لحن أملي، والتي تسكن مكنون فؤادي وثنايا خافقي، الأسطورة سابقة العصر وجامعتها ومجمعتها، آلة الزمان والمكان هي، تلك العزبة الجميلة المتعددة للتو لتشمل ما هو أبعد من الكون، وإنها جزيرة الأمل وواحة السعادة ووحى الخيال وجمال الواقع والحلم إذ يتحدان، حيث وكما ترون، كان الحوت كلما تعثر نظر بعيني أنور الباسمتين ووجهه الملاكي فضحك، وملكته سعادة مفرطة واستكمل طي درب الألم حيث طريق الأمل، وتبسمت له أماني وأخوها عقلة الإصبع وهما تحت شجرة الحقيقة وارفة الظلال، حيث يسبح عقلة في أحلام ما بين اليقظة والمنام فيصحو ليجد الواقع مطابقاً للحلم تماماً، فلا خيال هنا إلا ذلك الخيال الذي يصف الواقع الذي يضاهيه ويوازيه تمام الموازنة، ويقول عقلة الإصبع وهو ينشد بعض الأحرف من نظمه: "أمواج بلا شاطئ أين المرسى، فعين تدمع وقلب يخشى، وأمل يجيء وأحلام تترى، هكذا قلبي يعيش ويحيا، ما بين وجل وبين مرة، ولكم طويت الآلام مرة، تليها أخرى وهلم جرا، ينبوع الأمل في بحر يوسف، ما فاز بعلمه من اغتر، دوامة بحر يسمى يوسف، ثائرة هيا وتعيد الكره، ما لها تبعد أيامي الأولى، إن قلبي بها استقر، وما زلت أسعى لنيل مرادي، أبعد الشيطان وأطوي الشر، شاطئ الخلاص جاوزت أمي، فمتى تراني أبلغ البر، تابعتي كلما خطوت خطوا، هي لا تبرحني تلك الهرة، انتظرت يوماً وصبرت شهراً، وإنني لأهدي زهرة زهرة، ولو كان الصبر مفتاح الفرج، وهو كذلك سأصبر دهرًا " أعجب الجميع من بديع نظمه وتبسم له شريف مؤلف الرحلة وكاتبها وراويها وشاعرها، يحيا فصولها ويكتب، ويهوى ويعشق ويرغب، بتحقيق أمل وإن له، تحقيق حلمه وما يطلب، بعون الله فسبحانه، الخير له تالله يكتب، فيما استكمل المشهد واستجلب واستحضر، ذلك أن الحوت قد وصل إليهما الآن وهو يطوي الفيافي والقفار قادما من غابة الظلمات، يسبح في الأعماق وهو يحمل أنور ويشق مياه محيط يوسف والمحيط الهادئ والأطلنطي والهندي، ويمر بشتى الأزمنة وعهد الفراعنة والإنسان البدائي والدولة العثمانية والتركية وبلاد الإنجليز من مشرقها لمغربها ومن شمالها لجنوبها، يموج بمياه وساحات وعرض ويم المسطحات المائية حاملا أيضا أماني وعقلة الإصبع وأسامة وسلمى وحفصة وهدي، والكثيرين والكثيرات والصبية والفتيات، وحاملا أيضا الكائنات والمباني والحشرات والكائنات الفضائية والزروع والحقول، إذن الحوت آلة زمان ومكان، ولقد وصل للتو إلى الكهف المهجور الذي انتهى إليه عبد الرحمن صديق ورفيق عمر الرحالة وحبيبه، وصبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان، فدلف من فتحته السحرية يزيج التماسيح عن درب الرحالة وطريقه، ويفتش ويبحث عن فاطمة، والقارب الصغير يغوص خلف الجميع في الأعماق المظلمة كي ينبئهم بشيء ما، ولعل في المخبأ السري للقارب تختبأ فاطمة ذات البساط السحري من كيد الساحر الشرير وزبانيته الملعونين، والغواصة المحاربة تصد الهجوم عن الجميع وتطلق صواريخ ومدافع وقاذفات موجهة، وتطل من شرفتها الذهبية الطائرة نادية

أميرة القصر وفتاته اللامعة ومعها ناهد وسعاد والأميرة الحالمة وعروس نخل الصعل رشا وهند أميرة الرحلة وقيثارها الشادية على لحن الأمل السعيد، ثم إنه ها هو يقدم أنور من فوق المرتفع الصخري وبصحبه صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان، وعبد الرحمن وجيوش صلاح الدين قائد الجيش العالمي الجرار وموحد القوى المحاربة صوب تحرير الكون من الرقة والعبودية، وها هي فلسطين تنادي عليه والمسجد الأقصى يشترك إليه يتبدل الحال، من حريق جهنم ولهيبها، إلى نعيم الجنة ونسيمها، نعب الصراط في ثقة المؤمن المدعومة بتوفيق الله، السنة اللهب تبعد عنا وتتطاير بعيدا، ويحل علينا برد وسلام، نحن كإبراهيم إذن وهو يرى الآن في النار التي لا تصيبه بمكروه، وقد أمرها الله أن تفقد خاصيتها من الإحراق ويتبدل كل جحيم بها إلى نعيم وبرد مصحوب بسلام، وتتقلب آلة الزمان والمكان بجزيئاتها الزمنية والمكانية في مشهد عجيب حاضن لكل المشاهد والحقب والعصور، وها هي تستمع لما تأخر وما تقدم من كلامه، وترسم له طريق الأمل وتحذره من درب الشهوات، حسناء خصال هي، ملتزمة مصلية ومؤدية للسن، مصلية دوما على رسول الله ﷺ، وهي مستغفرة لله آناء الليل وأطراف النهار، وعلى جانب متصل الآن لا يفارق المشاهد المتجمعة الحاضرة الآنية ترى كل شرفة مظلة من الهوة- في تجويفها الداخلي الواقع في بطانتها- وهي تشعل وتثور وتمور، ثم ها هو يقدم من بعيد - ذلك الحبيب المعطر بشذى الورود ونسائم الجنة وعبير الزهور- الربيع المبتسم، نعم...فخلف كل نافذة جنة عرضها السماوات والأرض، فهل نحن المتقون، وهل سيعفو الله عنا ويدخلنا الجنة، ها هو نهر الكوثر يبين ويظهر من خلف الحجب، ونافذتي وشرفتي لا يزال يضطرم بها الجحيم، والعذاب بها أليم، وها هي سكرات الموت تحل بي وتطوقني بطوق من نار وألم، إذن أنا في دوامة الغرغرة، كان باب التوبة أمامي مفتوحا وأغلقه بيدي، ماذا لو كنت دلفت إلى ساحته الرحبية الشاسعة، هل لي أن أفيق من نومي، أم نحن في هول يوم القيامة مشمولون، ثم إنني أتقلب على جمر من نار، فترك الصلاة طامة كبرى، ولقد قمت فنحيت الشيطان جانبا وجنت بقدر مملوء بالماء، وطفقت أتوضأ وأدفع الشيطان عني، فلم يدفع كيده في البداية، وأنا للتلو أصبغ الوضوء وأتحامل على المكاره وأتحملها وأحتملها، فخلت عني إبليس وهو مشتعل بنار الهزيمة والخزي وقد ارتد صاغرا ضعيفا، ثم دنت الهوة المتقدمة منا، نعم...هي تسبح صوبنا للتلو، إذن لا فرار من قدر محتوم نافذ، ازداد اشتعال الهوة، وهي للتلو بئر عميق شاسع واسع، سحبنا ذلك البئر المشتعل في كنفه وجبروته، نتدحرج ها نحن أولاء، فنسقط واحدا تلو الآخر، يلفح وجوهنا الجحيم، إذن نحن في جهنم، والهوة المتقدمة بها نوافذ وشرفات مظلة تضطرم بها ألسنة اللهب ويتأجج الجحيم، كل منا يعلق بشرفة من شرفات العذاب، والصراط يكاد يلتهمها، ووحوش وضباع وذئاب تقطع أوصالنا وأجسادنا، وكل شخص معلق بشرفة من شرفات الويل يرى الربيع الباسم اليانع من خلف الحاجب ذي العيون، وعلى بعد ليس ببعيد...ها هو يطل الربيع الباسم البسام، والآن نأكل الفجل والجرجير والجبن القديم والسمن والجبن القريش الجميل وعسل النحل، نجلس إلى الزرع

وبجانبا الزهور والورود ونبت لب عباد الشمس،، يضع كل منا صرته المملوءة بالخير،
تعاون ومحبة، الطبقة الدائر يلف العزبة والقرية والقرى المجاورة حتى، نستمع للمذياع
ونشاهد التلفاز، وتعود بنا آلة الزمان والمكان، لا يوجد تلفاز ولا مذياع، كل منا يغني للآخر
وينشد له، وتستجلب الرحلة زمن الإنسان البدائي فنحيا فيه للتو. نتدثر بالألياف وأوراق
الشجر ونشعل النار للتدفئة، رحلة في غاية الجمال، تعود بنا ونحن أطفال وصبية، يا
للعجب...؟؟؟!! لقد عدنا الآن للتو، لا أصق نفسي...لقد فهمت...نحن بالجنة...ضحك أنور
وهو يقول: بالفعل نحن بالجنة.. يهز عبد الرحمن رأسه وهو يكركر ويقول: أخيرا وبعد
معاناة وصلنا للجنة بسلام، الآن لا نصب ولا تعب ولا إرهاق ولا عول هم، على أننا نجلس
إلى جوار شجرة السدرة والسنترة ذات الصمغ، ثم ها نحن نتجه صوب منطقة الأربعة عشر
فدانا، فنشرب من مدرار مياه الشاب تامر، ذلك الفتى الجميل صاحب طلمبة المياه العذبة،
وننقي الفجل والبصل والقصب من الأرض، ويصطاد أنور وعبد الرحمن السمك في مهارة،
ويسبح أشرف اللول في مياه بحر يوسف ومعه الصياد الماهر حسين، يسبحان صوب
القراميط ليمسكان بها، ويمسكون السمك البوري وسمكة الرعاد والشال والمزة، ثم يضع
حسين الشبكة، واللؤلؤ يعلق الصائدة تلي الأخرى في خيط سميك، والصنابير متعامدة على
الخيط ويسمى وصلا، والوصل هذا هو خيط سميك طويل تعلق بها أسنة الصنارة، وها هي
أمل شقيقة فاطمة ذات البساط السحري تنزل ببساط شقيقتها وهي تبحث عنها بعدما غابت
أثناء قتال نهر الموت الذي أبلى فيه الرحالة بلاء حسنا، فتعود آلة الزمان والمكان أدراجها
وتستجلب الحدث أيضا، ويلمح الرحالة وهو يراوغ التماسيح ويضلهم، وأنور برفته يقاتل
ويراوغ، والحوث ينضم للقتال، في حين تضغط أمل زرا في آلة الزمان والمكان فتندفع
صواريخ مائية هي عبارة عن طوربيدات متطورة، وتدور رحي حرب ضروس في ظلمات
أعماق أعماق المياه بمحيط يوسف وجدوله، والدوامة تتسع وتثور وكأنها تشاركنا لحدث،
وهي بالفعل الآن تشارك وتتحول لآلة زمان ومكان، وتنتقل بالجزينات الزمنية والمكانية عن
طريق تفاعلات وتخلخل يليه تخلخل وتضاغطات متواترة متتابعة، والهيكل العظمي في
قبور نخل الكومي تقفز إلى المياه وتبلغ الأعماق حيث القتال الدامي المثير، ويجلس أنور
إلى شاطئ نهر النيل بحر يوسف في عزبة عبد الواحد النواره والنسر، ومعه صديقه
الحوث، فيذهب به الأخير في رحلة بحرية عجيبة، ملؤها المغامرات والأمل، ويمران وسط
الحشائش المائية الخضراء والمرجان، فيتسم الحوث ويسرع من سباحته في أعماق المياه
ويقابلان هناك عقلة الإصبع وأماني وسلمى والكثيرين، ترحب مدينة الماء بالضيوف
وتتراقص الحوريات المائية وتنزل الفراشة فتسبح هي الأخرى، والفيل يتبع الخطى ويسلم
على أنور، وتنطلق المركبة الفضائية فتتحول إلى غواصة عملاقة، ثم يسرح في فكره الفتى
الجميل وينشد ويتغنى وهو يقول الآن:- "نبضات قلبي للأحباب تشتاق وفؤادي سكنت في
واديه أشواق والليل ضوى كما البدر الذي لاح لدى السماء ولي من ربي ترياق في بحر
يوسف خلت ربيعي الساري والموج فيه إلى الاقطار دفاق أما الربيع فتواق يزور ربا وأنا

كذلك للأيام تواق والنيل نهر كم سر الحياة به عليه هل من الأحلام إشراق وتعال أشرف من
ماض الزمان إلى هذا الأوان فلا بالنهر إغراق وهيا نسبح في سحر يروق لنا فلنا بيوسف
بحر الود آفاق وفي نخل صعل حيث النشأة الأولى ذكرى وفكرة والآيات وفراق ونخل نمر
حيث القطن نقطفه وكيف ننسى وشهد الغصن والساق علينا فيه وكان الحلم ترياقا ولقد
أطلت إذا نحتار أنفاق سلطنا دربها والخطو الذي كان منا سيشهد ويسر الحال والشاق "
تنساب كلماتك كالسلسيل والماء العذب وشهد عسل النحل، أسرتني بجميل قولك ورقي
حسك وإحساسك، أنت نغم جميل طرب له القلب ورقت له المشاعر وبكت من شجنه العين
وإني لأتنفس الصعداء أن هل يوم وحل وأنا حي أرزق فأستمع لهذا الشدو، ولعله لي...
فنظرت إليه في تعجب قائلة وكأنها طعنته بخنجر مسموم: " أنت مثل أخي، أكررها
وسأكررها " فغاب عن وعيه في دنيا أخرى وأم الرحلة تشفق عليه، ولقد أراحته إلى
حجرها وشرعت في البكاء، وحسنا الخصال يختلج بصدرها الألم ويساور نبضها الندم على
ما قالت، في حين ظهرت ملكة النحل وهي تشق الفضاء في تحليقها الأبدي المعتاد وبصحة
الطيور المهاجرة العارفة دربها جيدا حتى في ظلمات الليل السحيق، وها نحن بالرحلة ومع
آلتها الزمنية والمكانية، نفترش الأرض عند الشاطئ وقد انحسرت المياه، وأنور برفقة
صديقه الحوت، والرحالة يجر أذيال هزيمته العاطفية، فمن يحب تتجاهله تمام التجاهل،
وربما هي لم تقصد، ورغم أنها طعنته بالخنجر إلا أنها رقيقة المشاعر ببيضاء القلب تحيا
بفطرتها وعلى السجية التي صبغها الله بصبغتها النقية. ثم ها هي تتقلب ملكة النحل- والتي
هي لتوها آلة زمان ومكان - في هذا المتسع الهائل من خلق الله، يد الرحمن تطال كل شيء
بعناية فائقة، حيث الفضاء الكوني يزدهم بالنجوم والجسيمات والكواكب والمجرات والسدم
والمواد والبقع السوداء والبيضاء والمادة المظلمة، وتلك الأخيرة تكون قوى جذب عملاقة
في إمكانها جذب أي شيء وكل شيء، والرحلة تقاوم كل ذلك وأبعد، آلة الزمان والمكان بها
تشكل كل نقطة في الفضاء الشاسع، تهزم قوى الجذب السحرية السحيقة وقوى الجان
المهيمنة المتغترسة بقوى طرد مضادة تشتت ما تواجه وتبعثره وتطرده أشلاء في الكون
العملاق، وعقلة الإصبع ها هو يلتصق بجناح اليمامة ولا يبرحه، والعواصف تقتلع كل شيء
من جذوره لو وجدت له جذور، والزلال لا تسكت عن هبتها والرعدي يرعب القلوب، وذنب
حمدان يتبعه بعدما صار صديقين، والأرض تمر وتسعى سعيها وتكمل دورتها، والقمر
على ما يبدو وكما ترون تتسع مساحة ضوءه البراق، فمن هلال إلى أكبر إلى أكبر، يا
للروعة... لقد أضحى الهلال بدرا لامعا يانعاً، ها هي الأرض تشرق بنور ربها من جديد،
وهي التي لم يأفل نجمها ولا كوكبها، تسطع شمسها لكنها تغيب عن جهة فيما لا تزال في
جهات أخرى، إذن هي دائمة الإشراق، ثم يحاور نفسه ذلك الرحالة الراوي ويقول: " على
أني لست أنكب على متاع هذه الحياة كما ينكب آخرون لا تشغلهم سوى الثروات ولا يسكن
فكرهم إلا متاع الدنيا الغرور الذاهب المنقضي عن الناس حتما يوما ما في ظلمات عهد هم
بالغو نهايته " فبدت وكأنها تسترق السمع منه وتسترق النظرة أيضا، فلقد وجدت حسنا

الخصال به سمات الكرامة والعزة والأنفة، والاستغناء عن ملذات الدنيا بأسرها، فدنت منه وهي معجبة يموج شعرها الليلي الخيلي كمشهد خلاب يأسر الفؤاد ويملك النفس، وتمايلت كأنها غصن الأمل الذي يتهدى مع نسائم الربيع، بل هي الربيع وأكثر، فأمسكت براحة أم الرحلة وتقدما صوبه في خطوات وثيقة، وهو ينظر لأمه فيجد البسمة قد رسمت فوق قسماتها، بل لكأنها نحتت فوقها، تعانق الخد الجميل وتموج في صفحة وجهها الملانكي، فقالت الفتاة وهي تنظر إليه باسمه وتميل بعض الشيء على كتف أم الرحلة: أيها الوائق أمير الرحلة وفارسها النبيل، تقتك بنفسك جاوزت المدى. ثم تابعت مردفة وهي تنظر إلى البدر الذي يكتمل الآن ونحن في ليلة الرابع عشر من الشهر العربي، وراحت تدلي بصرها وتخفضه والرموش كأنها باقة ورد عطرة يداعبها الشذى وتضع عليها الطبيعة آيات السحر والدلال... فإذ بها تلمح الشاب عوني وها هو يصارع الأمواج والتماسيح في آن واحد، وعزمي نبيل الرحلة وفارسها المغوار يقفز من فوق جواده الأبحر الطائر ليطيّر هو الآخر بهدف إنقاذ عوني، والغراب يلقي بنفسه أيضا وهو لتوه يترك لجناحيه العنان ويهملهما أيضا، ويسقط في المياه مرتطما بجان استقر فوق صفحة "نهر الموت بحر يوسف"، والعجوز اللنيمة صاحبة البلورة السحرية تحاول جهدها عرقلة الجميع... تخفض الفتاة نظرها وعينيها وتروح وتسبح في غيبوبة من هول ما ترى، وآلة الزمان والمكان التابعة للرحلة بلا حدود هي لتوها كرة أرضية تنشق إلى نصفين كأنها بيضة مفرغة، وكأن نصفها منها دلف إلى جوف نصف فالتصقا، والكائنات بداخل الكرة في هينتها الجديدة، ولوحة التحكم باللمس تداعبها أنامل صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان، والذي ياتمر بأوامر العالم الجليل وكذا صلاح الدين قائد الجيش الكوني الجرار، ثم إنكم وكما ترون، فهذا عوني الذي يصارع المنية بتقلبه في الأعماق، والحوث يحوي بداخله يونس الجميل، ثم يلفظ الأخير في دفعة من بعد التضرع لله والدعاء، تلتقي الأزمنة للتو، ولا يزال الحوث حيا، نعم.. لقد قدم وأتى فأنار الظلمات بوهج علمه ونبراس أدبه، على أن الرحالة يسند ظهره إلى سور يحتضن بستانا، لا يفكر في قطف الثمر أو أخذ ما لا يحق له، ونبي الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبعدهما ألحق به الضرر منذ برهة بسيطة، يتحامل على جراحه التي ألتت به من أذى الكفار، ويستريح عند بستان جميل يرعاه غلام ويهتم به، وللبستان صاحبان يرسلان إليه قطف عنب وفواكه لمجرد أنه ضيف، وأي ضيف، إنه النبراس والسراج المنير، إنه نبينا وشفيعنا وقائدنا وقودتنا سيدنا محمد، نعم يستريح ﷺ عله يلتقط أنفاسه ويناجي ربه، والغلام معجب به، ينبئه صلوات الله وسلامه عليه أنه نبي، تصيب الغلام الدهشة ويسلم ويدلف إلى الإسلام على يد خير البشر، وآلة الزمان والمكان تشهد الحدث وهي شاهدة عليه، ثم تجر مجريات الأمور والأزمنة والأمكنة في حدث متصل يستجلب الماضي والمستقبل صوب حاضر نحياه جميعا للتو، فها هو الملك الغضنفر خميس يتجه بجيوشه صوب خطوط العدو لا يخشى المواجهة، فينتقل شعوره من الثقة هذا ويسرى بأنفس الجنود، فهم يتحركون للتو في حماس يثيرون النقع ويقدمون على المنية دونما أدنى

خشية ولا أقل رجفة، وبدت المحركات تدور والعجلات الحربية تدوس السهل والجبل،
والمعدات الحربية تعمل على أكمل وجه، وكانت جزيرة الأمل ولا تزال هي الحلم السعيد
المرجو تحقيقه، فجل المنى هو الوصول لتلك الجزيرة الربيعية الجمال، حاملة النسائم على
جناح أمل وها هي تنبأ عن ذاتها حيث تضوي وتبرق من بعيد، وظهرت النجوم وهي تضوي
في الفضاء الكوني الفسيح، وملكة النحل تسافر إليها طائفة محلقة تتبعها الكائنات، والغراب
يبكي تجاهل الناس والعباد والكائنات له، فدنت منه فاطمة واحتضنته وخففت عنه، وها هو
ينظر إليها والدموع في عينيه، حتى صف جناحيه فتعلقت بإحداهما الفتاة، وبدت البسمة
فوق ثغرها إذ تبسم هو، لقد أزال الدموع من عينيه، وهي التي تسكن الدموع قلبها منذ
فراق الرحالة وبعده عنها، حيث لا يزال يبحث عنها في كل مكان وفي نهر الموت كذا،
والمشهد يستقر عليه الآن... ألا ترون معي، فهو في كهف الظلمات يضل التماسيح ويبعدهم
عن روح قلبه فاطمة، والفارس المثلث إلى جواره يقاتل، وكذا رفيق عمره عبد الرحمن، ثم
يتحول المشهد في نفس اللحظة والوقت والتزامن العجيب، فيظهر الملك الغضنفر خميس
وهو يحارب الساحر الشرير والنوارة والنسر وريمة العجوز اللئيمة، ويدافع في تلك الجبهة
الملتعبة عن حفني وروضته والكائنات الكائنة معه، وبئر الروضة العجيب لا يزال يستمد
خيراته ومياهه من دوامة بحر يوسف السحرية، ورشا عروس نخل الصعل وفتاته الساحرة
لا تزال تحت تأثير سحر الساحر الشرير، ثم تحول المشهد- وتجمعه وتجمع الأحداث في
حاضر نحن به الآن - آلة الزمان والمكان وهذا حديثه ملئ القلب والعين والخاطر، فتى
الرحلة ورحالتها الجميل وهو يقول:- "مضى الزمان ولم يمض فانت به فصل الربيع إذا ما
جاء يبتسم وأنت حبي والأيام أنت سنا من نور بدر وأنت الحسن والرسم وتراك لوحة أحلام
وكل هدى قد ملك قلبي وأنت العين لا الظلم أبصرت دربي مذ ضوء الجمال بك قد ضوى
يبرق إن الضوء مست أحمك ربي إذ أن الحياة بها خير كهذا وبها الأقدار والقسم حتى تملك
ذا نفسي وحل بها فرعب فزلزل أركاني، أتى النسم والذنب ينشب أظفار المنايا بي والعزم
ولى عن حالي ويهزم وبنخل الصعل أشباح تهيم بي لا من أمان بل يشتاها العدم دخلت قبرك
يا كومي ولست أرى إلا كطيف وبعض مني ينقسم حتى رأيت جنات الإله بدت ورأي كوتر
روضات بها علم فمضى وصور نبضاتي وجال بها كل الرياض وما ينتابها القلم في نخل نمر
أحلامي وكل ضنا وشجن بنفسي وعتمة ذاتي والظلم قم يا محمد كم سفري يطول بي رب اللقاء
إذا ما حل يرتطم موج بنهرك يا نيل الحياة إلى أن صار شابا بعد هرمه الهرم. ويرانا الملك
الغضنفر وصبري الطيار الطائر وجمال الأدب مع الخلق شاب ذو خلق أسمر وأقمت الليل
برفقتة يهواه الزرع الأخضر سلمى أشتاق لأن ألقى طيفا في قلبي يخطر أنت منبعه وكم
أرجو طيفك في حضني يسافر إن حمدي أقبل عندنا قل إن الخاطر يجبر كم عنتر حل برفقتنا
شاب محترم صابر والذنب بدرب يعترض نفسي ما أبدا يكسر عزمي أو يكسر شوكتي وأنا
المحتار الساهر أنتظر لقاءه إذ يبدو أرويه لتوي أجندل فلتحذر عزمي إنهم جاءوا للحرب
لينذروا فاستل حسامك قم هيا جمعا للخونة نأسر. وهكذا هي رحلة بلغت من الجمال أقصاه

ومن الروعة غاية غايتها، ومن المخاطرة ما يربع القلوب ويزلزل الأفئدة، والله لا تستقر على حال، أحرأ أنا بها وتشغلني الأفكار، ولن ينجيني سوى الله القهار، فالله اغفر ذنبي وتولى أمري واحسن عاقبتى وخاتمتى، ثم إنها ليست خاتمة، ولكنها بداية وبداية لا نهاية، في الجنة نتنعم بحول الله، والكوثر يجري من تحتنا، ونقابل عماد الدين ورمزي الجميل، ومداح يلهو يلعب ويلتقط ثمار الجنة، ثم ها هم الولدان المخلدون يطوفون بالجنة، ونحن نجلس إلى المائدة في زرع القطن، ونسائم الجنة تهل علينا، ويعتذر لنا الخولي رئيس العمال، والرجل صاحب الحقل الذي تم قطع حصاده وحصده، يتركنا نصيف القطن المتبقي بعد الحصاد، وكذا الفول والمحصول كله في جميع الأراضي، وعبد السميع لا يضرنا بالسوط ولا محروس ولا حسن ولا عاطف ولا البقوشي، كلهم يتسامحون ويتصالحون معنا، فالجنة دار نعيم ومقام جميل. ثم تعود بنا آلة الزمان والمكان إلى الحياة الدنيا، وتذهب فجأة للمستقبل تارة أخرى، فنجد أنفسنا الآن في القبور والأحداث، فلما رأته قلت: "رأيت بالرحلة الغضنفر ولمحت النيل الأسمر وحبيبي إذا ما يشتاقي ترك الأيام وفكر وجعلني قصة حبه وضحي بالنفس وخاطر. هكذا يحبها خميس الملك الغضنفر ويتمنى الزواج منها، لكنها الأيام تفعل ما أراد الله، وعلينا أن نحمد جل وعلا ونشكره و، تالله نعمه سبحانه وتعالى جمة كثيرة، بل هائلة، يدخل لك الشيطان من باب الوسوسة، لأنه وسواس خناس، أعادنا الله وإياكم منه. كان الجميع يستمعون للعالم الجليل وشيخ الرحلة وحكيمها، وعبد الرحمن لا يزال يغامر وهو بطل، ويشق الطرق ويطويها، ويلتقي العم دسوقي عند النخل الكومي، حيث الأخير يجمع ثمار البلح، وسمهانة أسمهان ماهرة في الجني والدودة ومحمود عثمان، وما ذكرت هي ثلاثة أماكن للعمل في عناية كد، حيث بؤرة الرحلة عزبة عبد الواحد هي الأمل والرياض الجميلة، وهي تالله أجمل خميلة، كم أحبها وأعشقها. - العجيب أنك تحيا الرحلة معنا في كل الأزمان، تستمتع بجمالها، وتقطف ثمر الاجتهاد من يساتينها وحقولها ورياضها، جنيت الكثير منها ولم نجن نحن سوى الأمل لا الأمل. فضحك الرحالة وتابع أنفاسه بقول جميل: وما أدراك أنني غير معذب، أحصل على لقمة عيشي بخروج الروح، فإن وجدتتها خرجت روحي، لألجأ إلى الصلاة فأقوم بتأديتها، وفي الصلاة والله راحة: وتابع: إقامة الصلاة من سبل الفلاح تلتئم إذاها جل الجراح وإنني وكل الأماني تحل بإطلالة حسن من الصبايا الملاح لا ينام أبدا القلب الجريح فالقلب الجريح على الدوم صاح أود النوم قد زاد عنائي وأتمنى رؤياكم في كل صباح وهذه زهرة أحبها وإنني أعشق من الدنيا طيف سماح وألعب الكرة في كل عرين ولا أطلق حتى بعض الصباح واجهني الأسد ثم فر بعيدا فكم أرف إليه مرعب السلاح، وهي بالحقل حين داعبت الشمس الذروة وبلغتها، تجني القطن بصبر وأناة، جل ما يشغل بالها هو توفير قوت يومها ومن تعول، وهي الصبية التي يتوجب أن يعولها ويحمل همها عائل، على قدر المسؤولية رغم حداثة عمرها، زهرة لا تزال في فصل الربيع يداعبها النسيم وقد تقوى عليها الرياح، تبر لها نصيب من اسمها، العهد الإقطاعي يطالها ويطولها، لها نصيب كبير من جني ثمرة قسوة الحياة والناس، تدبر أمر لقمة عيشها

ويرزقها الله، تملأ حجرها قطنا ولا يعجب ذلك هذا الخولي رئيس العمال، والممسك بعصاه وكرباج وسوط، علاوة على كم السب والإهانة، لكنها لا تصمت لقول بذيء، حرة أبية تقف للتو على مشارف روضة حفني المحصنة وتشهد المواقع الحربية الدائرة هناك، نعم... صدام خيل وصهيل سيوف ودوي قنابل وصوت رعب مزلز وزلازل وبراكين، والهوة المتقدة لا تزال تشتعل وكأنها تنذر بحرب ضروس، تبر فتاة تعتاد المخاطر مهما بلغت، ترد على الخولي رئيس الأنفار والنفر قوله وتجاوبه ولا تخشاه، يصفعها بالسوط فتصفعه بكفها، يتقدم نحوها فتقذفه بالحجر، يتقدم فتى الرحلة الأول أنور صوب المعتدي، ورغم كونه طفلاً... لا يخشى شيئاً، يقفز طائراً ويركل المعتدي ورفاقه المجرمين، وتشتعل الأحداث في حين لا تزال ملكة النحل تواصل تحليقها الأبدي السرمدي وهو تشاهد كل الأحداث وتتفاعل معها، تعطف على تبر وتمدها بما تريد، وتسלט جيوشها كي تلسع الغاصب الجبار وزبانيته، تشتت جموعهم وتكسر شوكتهم، وصبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان يقود الآلية العجيبة على كل تحولاتها مستفيداً بخبرة صلاح الدين قائد الجيش العالمي والكوني الجرار، في حين يقول الراوي على لسان الرحالة في نفس وقت حدوث الأحداث للتو، الآن والآن بالتحديد: " أنا أسير في حالي ليلا في عرض الطريق متجها صوب جزيرة الأمل ونهر الموت والهوة المتقدة والمرتفع الصخري والغدير العذب وأماكن الرحلة المتفرقة عبر الزمان والمكان في الآلة الزمكانية، ولعلي بالغها جميعها بعون الله ومعها جنة الله والبعث والنشور والموت وفي الموت حياة وأمل، وفي خضم كل ما تقدم إذ بمجموعات من المقاتلين قد تخفوا في صورة طبيين مسالمين يهاجمونني، ولم يكن معي أحد، ولكن الله جل وعلا هو من أعتمد عليه وهو كل ما آمل وأطمح... دنا مني قطاع الطرق والمجرمون وهم يحاورونني كأنهم ملائكة منزلة من السماء، فشعرت بالرغم من لين حديثهم ويسر كلامهم أن غدرا يحدق بي لابد واقع، ولم أكمل التفكير حتى، وإذ بهم يطوقونني من جميع الجبهات ويكبلونني بسلاسل من أنفاسهم الغادرة الكريهة حتماً، وانهالوا علي بضرب وسباب ظانين أنني فريسة سهلة المنال، وأنني سوف أصمت أو أنهار أو أهرب إن استطعت الفرار، ففاجأتهم بقتال دام ونفرة من نار وثورة من فتى علمته الأيام الكثير، وأكسبته تجارب الحياة حسن التصرف وقت الضيق، رحت أركلهم وها أنا أفعل للتو،... أركلهم وأضربهم، فها أنا ذا أطيّر وأخلق فأعلمهم درسا لن ينسوه، ثم مالوا هم علي ميلة تقصم ظهر الجواد وتلوي عنق الأفعى. على أن الزمان ما تحول ولا تغير، لكنني حسبت أنني انتهيت من معاناتي وتجاهلت الأمر لما سكنت قليلا نفسي وهذأت ثورتي وخمدت، وتناسيت ما يحق بي من الآم واستحضرت فقط الآمال، وقلت والجميع سامعي وقد طرد الفرج أدمعي وأنا أرى هذا الشيء المضيء في الأفق البعيد القريب: "أرى الظل على جانبك أيها القمر، لقد كنت بدرا منذ برهة قليلة ووهلة ليست بالبعيدة، ألا ترى حسن وهو يستريح تحت الشجرة وأنت مضيء ترسم له الأماني وصديقه كامل وهما يعودان من القالوح في ليلتك المقمرة تلك؟! " فتبسم القمر من حديث مجهول الرحلة وغريبها هذا وروحها التائهة الشريفة، ثم ها هو يرسل سنانه

ويتحدث ملبياً نداء من يحاوره، وذلك الأخير لا يعلم أيضاً، إذن صوت ينادي لا نعلمه، لكن كل وجل ما أعلم أنا الذي لا أعرف نفسي من هذا الأمر أن حسن وكامل وحسين وعلاء وآخرون يتمرغون، وبقية الصبية أيضاً من عربة عبد الواحد النوارة والنسر... كذا يفعلون " نعم يتمرغون في عرض الطريق وفي الحقول ذات النبات الربيعي النابض بالحياة، وهم يعودون من " القالوح"، و" القالوح" ذلك هو نبت القصب العلوي المثبت في أقصاه، وهو أخضر اللون تأكله الأنعام، ننزعه ونقطفه عن عود القصب الحاوي للعسل والمحتوي له، ثم نرص القصب بصورة أفقية ملاصقة للأرض كي نحمله بعد ذلك على أكتافنا ورؤوسنا ونخرج به صوب حدود الحقل لكي يتم تحميله في شاحنات وعلى ظهور جمال وبغال وحمير وأتان وإبل وإيل وكائنات فضائية وجان ومركبات عجيبة، وبعض الناس الآخرين يستخدمون الجمال ولا يساعدوننا، و" البقوشي" يذيقنا من الوليات ما تعجز الهمم العالية عن حمله وتحمله، على أن "البقوشي" فتى له جانب إنساني آخر جميل عندما يصفى له الحال، ولنلتمس له العذر في عصبية وغضبه، فله ظروف حياتية تجبره على ما يبدو على تلك القسوة المتناهية، وربما هي طبيعته العجيبة الثائرة على نفسها والأيام، وها هو يشيع الأطفال والصبية ضرباً، ويذيقهم ألواناً من الوليات والعذاب، وآلة الزمان والمكان لا تغادر الأحداث ولا تخليها أو تتركها خلفها ولا أمامها، بل تحضر كل الأزمان والأحداث في عهدها وتوقيتها، وعهدها وتوقيتها الآن... والآن بالتحديد، حيث لا تزال ملكة النحل تواصل تحليقها الأبدى السرمدي والمستمر الحال شاق دروب الأمل والويلات، ومبعثر سبل اليأس وعراقيل النوايب والصروف، وفي المشهد المجموع من أحداث الرحلة، ظلت وتظل وستظل المدفعية تطلق نيران غضبها من فوهات البركان الثائر لجيش ابن النوارة والنسر خارج سور روضة حفني المحصنة مستحيلة الاختراق، وهي مستمرة الآن في اندفاعها المدوي الصارخ، وحفني يرد من الداخل بالمضادات الأرضية والجوية يساعده الرفاق وكتيبة الإعدام بقيادة قبطان وبعض الصحبة المخلصة وآلة الزمان والمكان التي يبدو فيها صبري الطيار الطائر وهو يقود آلة الزمان والمكان بحنكة ودراية وعبقريّة فريدة، يساعد الأخير صلاح الدين قائد الجيش العالمي والكوني الجرار ومجموعات المهندسين المهرة المتألفين، وناعسة زهرة في حديقة تبدو إلى جوار حفني وتخشى عليه تقلبات الأيام وخيانة الأعداء وجبروتهم، وفجأة تنضم أفواج وفرق وكتائب تابعة للنسر كي تقاتل جنباً إلى جنب بصفوف ابنه وها هي تفعل، ونوارة تأتي بمدد له من حاملات طائرات ومركبات فضائية عملاقة وزاحفات برية وبحرية، وسفن وغواصات وتوربيدات موجهة ونبال وصواريخ وعجلات بحرية، ومن البرج العالي ومنازة الأمل يقف سندباد وهو يواجه فوهات آلة الزمان والمكان صوب الجيوش المعادية في محاولة لموازرة حفني ومجابهة العدو ومقاتلته، وسلمى تبكي من هول المشهد وهي مرهفة الحس رقيقة المشاعر بيضاء القلب سليمة الوجدان، يقول الرحالة ومعه الراوي: " وعن راوية وروميساء وفاطمة وملك فهم الحلم الجميل الذي يتحقق على أرض الواقع، أطفال مس حبههم قلبي وشغاف الفؤاد، راوية تصغرهم وهي طفلة لها نهج

عجيب في الحديث ولكنة تحمل من الجمال أقصاه وأروعه، طالما تسلم باليد والقلب، بشوشة ضحوكة مبتسمة وهي كالربيع الباسم، وفاطمة مثلها وكذا ملك وروميساء، هن سعد وأمل وبريق وضوء وقمر وشمس ونجوم ونجمات، وهن الضحكات والأمنيات، على أنني طالما حملت الهم ولازلت حتى الآن، وجل همي وغمي ذاك هو بعدي عن الصلاة المكتوبة ثم من بعدها كلام الناس والغيبة والنميمة وتسلب اللسان والمواجهة مع شخص جاهل معاملة الناس وطباعهم، وكل فظ غليظ القلب انفض الناس من حوله ووقعت أنا في قسمته وفخه، نعم... قد نصب فخه لي ورحت أنا كالعصفور، بل أنا بالفعل عصفور ذهب يلتقط حبة القمح المعلقة في الفخ كما ترون، والآن تطبق المصيدة فكيفها على جناحي وجسدي الضئيل الضعيف، يعترضني حديث الناس والقليل والقال، ويرى في المشهد عبد المتعال وهو يحرس الخيول بعناية وتفاني، والجواد الأبيض يبتسم له، يقدم إليه ويتقدم الفتى ويأتي له بالطعام والشراب، لا أحد يجروء على التقدم نحو الجواد الأبحر الأبيض هذا سوى هو، وقد حاولت يوما التقدم نحوه وتقديم المأكّل والمشرب فدفعني بقدميه الخلفيتين تارة، وبالقدمين الأماميتين تارة أخرى، كما ترون فأنا ملقى على الأرض، وأم الرحلة تبكي علي وهي تصنع الصينية والبلاطة المؤسسة من الطين اللين بعد عجن التراب بالماء ووضع شعر الأتان به كي يتماسك، ثم يندم الجواد على فعلته حين يتعرف علي ويألفني ويعلم أنني الرحالة، ويصير صديقا لي، وتتوطد العلاقة بيننا، فأمتطيه شاقا دروب البید ومجتازا الصعاب وعابرا المهالك ومحاربا الطغاة والمجرمين، فصديقي الآن عنتره والفظاحل والرماة والمحاربون كذا أصدقائي، والفارس المثلث وسندباد وقبطان والرجل العملاق والنسور والأسود والضباع والنمور، لكن منهم الخائن الذي أحتاط له وأتقي شره وأنا المحارب القديم والفارس المغوار، وشقيقتي طفلة في المهد لا زالت، تقع عليها جذوع النخيل فتخلي وتبقي مساحة لأجلها، فلا تمسها الجذوع أبدا، وها هو جذع يسقط فيجاور جذع آخر بالقرب منه ويقع الثالث صانعا زاوية حادة فوقهما وتاركا فجوة أسفله هي بمثابة مأوى ومأوى ترقد به الطفلة، وشقيقتي لا يمسه سوء سوى بعض التراب والثرى، فيتقدم الفتى عبد المتعال فينفض عن وجهها التراب ويحمد الله أنها لا زالت على قيد الحياة، رحلة كل تفاصيلها عجيبة مريبة غريبة، وأنا بها مع صبري الطيار الطائر الذي يقود آلة الزمان والمكان، قد علمتم من هو، لكنكم لا تدرون من أنا، حيث أنا ذاتي لا أعلم من أنا، ربما أنا كوكب دري وسماء وبيد وغيد، بستان وزرع وورد وأمل وهم وغم وحزن ووجل، ربما أنا فرح وبحر يوسف ونهر النيل ومنطقة الأربعة عشر فدانا، وربما أكون عزبة عبد الواحد بؤرة الرحلة وقلبها النابض وحبيبة فؤادي والمسكن والمأوى ومسقط الرأس ومهبط القلب والمهجة ومالكتهما، ثم أفيق من غيبوبتي بعض الحين وأعود إليها كل الحين وأنا أمتدح الفتى الرائع المخلص المضحي والكريم وطيب الأصل " صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان فأقول الآن والآن بالتحديد: " كل التفاني والإخلاص والطيبة في شخصك صبري، أيها الطيار الطائر وقائد آلة الزمان والمكان " فتبسم صبري ابتسامته المعهودة وغرد كما الطير

وكرر بخفة ظل وتمایل يمينة ويسرة كعادته في مداعبة محاوره، واعتدل في جلسته بعدما كان متكنا مع أسامة إلى جذع الشجرة دائمة الإثمار في حديقة سلمى ذات الرداء الأخضر ثم قال: " تالله ما وجدت مثلك أيها الرحالة العظيم المغامر... لا تحلو الرحلة إلا بك. " فضحك الرحالة بدوره وهو ينظر إليه يعين المهتم لأمره، وكانت أمانى شقيقة عقلة الإصبع معجبة أيما عجب من هذا الجمع المبارك، تحلق بجناحين وبدون، وتستقل جناح الحمامة البيضاء تارة، واليمامة البنية تارة أخرى... نعم ضحك الرحالة وشرع يداعب صبري الجميل ويعدد له المواقف والبطولات السابقة والمستمرة لا بقصد إثثار نفسه وتفضيلها ومديحها، بل ليستحثه على السعي لطلب الرزق الحلال.... للروضة سور محصن وعتاد وجند ومأمّن ناعسة فيها كما البدر لا يقرب منها خائن حفني بفنائها كم يسعى للعهد وغيره صائن... واستمر ينشد والأمل رفيقه، والود لو سعى حتما شقيقه.. يجمال الرحلة بإطلالته، وتعشق الفتاة نظرتة، حيث ها نحن مرات ومرات عند روضة حفني دائمة الخير والنضارة والخضرة، والبئر الجميل بها يخرج من الخيرات الكثير الكثير، وناعسة فتاة تزينها وتزيدها جمالا، والروضة تحبها، سورها محصن أشد ما يكون التحصين، ومؤمن أقوى ما يكون التأمين، حوائط حديدية فولاذية، ومضادات أرضية وجوية، وعتاد بلغ من الكثرة والقوة ما لم تأت بمثله الحروب العظام، وابن النوار يقيم جبهاته القتالية خارج حدود التحصين المذكور ذاك، ويثبت قواعده القتالية عن طريق فرق من الجنود المدربة المحترفة، وبمساعدة أعوان من كل زمان ومكان، مستعينا بجبهات من المناصرين والحلفاء حول الكون الفضائي الشاسع هائل الاتساع، وها هي تطلق المدفيعات وابل صواريخها، والرجال الأشداء يطلقون السهام ويضربون بالنبال، والعجلات الحربية تزحف في مشهد مريب مفرع صوب الروضة، ودوامة بحر يوسف تمد البئر بكل مقومات الحياة والتجهيزات والمياه والدر والياقوت والجنود، أسطول عظيم من المقاتلين السابحين الغانصين قد وصلوا ليلتقوا حفني وناعسة وسلمى والفارس المثلثم والفارس النبيل، وقصر نادية الأميرة في تحليق برفقة ملكة النحل حيث التوجه إلى هنالك بصحبة الأعداد الغفيرة من الكائنات، والمحلفات والمراكب الفضائية وبساط فاطمة ومصباح علاء الدين وأشياء أخرى في طيران وسعي حثيث صوب موقع القتال والتحرر من العبودية والرق والتبعية، ثم وفي نفس المشهد تتقلب آلة الزمان والمكان في الوقع والأحلام وفي خيال وفكر ذلك الشاب الحالم الذي لا يعلم من هو، فيكلمها ويحثها ويحدث نفسه ويقول: - هل لك أن تعودين بنا أيتها الرحلة الجميلة حيث كل اللحظات التي حيننا بها نتنسم عبير الأيام والأحلام؟!، وهل لك إخبارنا: لم نحمل هم كل شيء قبل حدوثه فتكتظ أنفسنا وتزدحم بالوجل المهلك المميت أفندتنا؟!، وهل ترين معنا الشاب أنور وهو يرى الجني يحدثه في ظلمات الليل الحالك؟!، وها هو أنور يتعجب ويرجف كيانه ويزلزل نبضه، يقترب منه الخيال المرعب فيتحدث معه كأنه شخص عاقل حي، لا حراك له ولا سعي ولكنها تكاد تشتعل النار من مقلتيه، جسده من جهنم وهو مثلها يبيض ويحمر ويسود، لهيبها يطوله فيفرع منه ويبتعد، ويطارده الخيال في قارعة الطريق، بيد أن

الدرب وعر وشديد وحالك، مساحات صحراوية ممتدة بها العراقيل من الصخور والجثث والهيكل العظمية التي تهب كلما داسها خطأ، يهب الهيكل العظمي فيحملك به ويطوقه بذراعيه ويعانقه عنق موت، ظل أنور يجري وأنا معه وهو يقول: من أنت أيضا. _ أنا روح في الرحلة لا أدري من أنا. _ أترى ما أنا به؟!، الوحوش تكاد تلتهمني. فالتفت إليه باكية وأقول: أنا الغريب ألا تذكرني يا أنور... ويجد نفسه المشهد هنالك عند حقل الفتى فراج عند النخلتين صفراوين البلح والتمر والتمر، وسامي مع صديقه أمين يرقبان المشهد، والفتى سريع يظل بابتسامته، وعثمان يشد وثاق المسحور حول جذع في الأرض ظهر، واليمامة البنية تتهاوى أرضا لما قدفها الصبي بحجر وطوبة وهو يصطادها بوحشية، والدماء منها تقطر، فأسرع الهدد إليها وأطعمها من العشب الطبي النادر، وظل الحوت يصطحب أنور ومعه الغريب أخوه، يصحبهما وتبر ونادية فتاة القصر وسندريلا وعقلة الإصبع وأماني وعمر وأمل والبطريق والحيوانات والكائنات عموما، يصطحب ما تقدم وأكثر في رحلة بحرية وجوية وأرضية، وجسده الضخم يحمل كل الكائنات فوقه، والهوة المتقدة تصطلي نارها وتشعل فلا تخمد أبدا، والقوس الدافع عند الصخرة في جهتها الأخرى تدفع به الكائنات فتستقل الخيط السميك المضاد للنيران وتسيح صوب الجهة الأخرى عند جزيرة الأمل، وأسفل الهوة المتقدة تلك تسعى الثعابين وترحف وتتل وجبتها من الكائنات، وأنا حائر في خضم كل هذا لا أدري من أنا، ربما أكون العالم الجليل أو صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان، في ذات المشهد الذي تصله آلة الزمان والمكان بالمشاهد الأخرى، في الحقل نحن ومعنا أمل وعمر وعمي عثمان وعمي رمضان والمعلمة والفلاح أيضا معنا يرافقه صديقه أبو قردان، وأبو فصادة اليوم عيد ميلاده وهو يتراقص في فرح وزهو، وآبار الصرف يضعون به الخراطيم الاسطوانية الشكل وما تبقى منها نصله على هيئة دائرة نجعلها رأسية وتدور كالعجلة والدراجة، وما أسعد ما نحن فيه، نعود صبية وأطفالا، ألا ترى يا إسماعيل...نحن نعوم ونسبح في المصرف العجيب النابع من نبع بحر يوسف، وها هو موسم حصاد الذرة، قد نضج المحصول. ويلتفت إسماعيل وبشرته السمراء تنم عن طيبة وضحكته تخبر عن براءة، يهب واقفا وهو يرتدي جلبابه الفلاحي فيقفز في المصرف وهو يكرر ويقول لي: نعم...كم هي الحياة جميلة. ظل يسبح الفتى وها هو يفعل ويشق الموج ويجدف بذراعيه وقد أضحى آلة زمان ومكان، ثم ها نحن أولاء نرى عوني الجميل وهو عند الضفة القريبة من بحر يوسف وقد نجا من الغرق، يجابه العجوز الماكرة الساحرة ويحاول الانتقام منها، بيد أن سحرها أقوى من إرادته، وقوتها تفوق أضعاف ما قد يملك من بعض قوى، خرج للتو إسماعيل من المصرف مصطحبا أنور وشرعا في عدو وركض مستمرين وهما يتجهان صوب الشاطئ العجيب ويحاولان إنقاذ عوني من يد العجوز اللئيمة الساحرة، ثم سبح البراق يشق الحجب ولا يتوقف _ في مشهد لا ينفصل عن جل الأحداث بأي شكل كان _ حاملا خير من أرسل نذيرا للبشر، والليل يضوي والنهار ضاحك، وتقلنا كالفلك في الجنة الأرائك، والضحيكة تبني عشها وتناول، ما كانت تحلم به وينطلق الأسطول، والأفكار

في عقلي تتزاحم، وعند نخل الكومي على الموتى نتراحم، حتى ظهر الجنى في صورة مريبة، وتجلت خديجة ومعها حبيبة، وظللنا نسبح في "نهر الأمل بحر يوسف" حتى انتصف الليل واشتد سواده وقويت سمرته واستفحلت ظلماته وثبتت، واختفت جزيرة الأمل عن العيون، ثم استيقظت الفتاة تبر وهي تزف البشرى للعالمين ولطاقم السفينة المبحرة الهائلة أن الجزيرة على بعد مسافة قليلة ضئيلة، لمحتها بقلبها المبصر وعينيها المتوغلتين في حدود الأزمان وكيئونة الأمكنة، ثم عادت الضحكة للطيران وهي تشدو وتعني باسم أنور صديقها وراعيها، لم تعد لأن مشرفة على الموت، ولم تمت بعد حيث عادت لها الروح وداعبها النبض وملأت كيائها تباشير الصباح ونسمات المساء، أنا أحيا الآن في المنطقة الدافئة من الرحلة، وأعيش نطفة وعقلة ومضغة وجنينا، هي من تحتويني وما أرقها وأطفها وأحنها، تحملي وتحمل إيدائي، في عالم عجيب أتحرك وأنشأ، ويحل يوم ميلادي وكنت أكل وأشرب وما زلت، قد قدر رزقي وعمرى وأجلي وجل ما سيحدث لي، أفتح عيناى على عالم عجيب وأستنشق النسائم وأرى الزهور والورود والبشر والحيوانات والأنعام، أشعر وأحس وأبكي وأضحك وأرى العيون عوالم أخرى، و، آلة الزمان والمكان من حولي تحذر من السجائر وتبعاتها، ومن كل مشروب أو مأكول أو مستنشق يودي بك وبحياتك ويذهب بالفاعل صوب الجحيم، والتدخين السلبي موت بطئ يمسك الأنفاس ويخنقها رويدا رويدا ويحبسها ويأسرها، كيف لك أن تؤذي ابنك الرضيع أو ابنتك، وزوجتك وأمك وأبيك وصديقك والغريب عنك أيضا، لم أنت عبد لها وقد خلفنا الله لعبادته وحده؟!، لعنة السجارة فاقت كل اللعنات، ومدخنها لا بد أنه شخص غير سوي، محرمة هي وكريهة، يضيع مالك وتنهار صحتك ويقع صرحك وبنيانك بسببها، يشمئز منك الآخرون ولا يتمنون حتى رؤيا ذاك! وهي تخيل إليهم، هل علمت كم أنت مكروه مشمئز منك مطرود من أنفس الناس ومحبتهم وقلوبهم وأفندتهم وأعينهم، ماذا يفعل بك هذا الدخان سوى أن تلقى المهانة والإذلال، ابنك يستحق تلك النقود والدنانير والقروش والدراهم، أصدقك القول أنت شخص ضعيف رخيص استسلمت لمذاذك كما يستسلم الرجل للمرأة فيفعل الفواحش، وكما تستسلم الفريسة للمفترس فلا تقاومه، إن المفترس يخلصني من الحياة دفعة واحدة وإني تالله لست بمستسلم له، بيد أنى سأخضعه لإرادتي، لكن تلك الإرادة تركت السيطرة للتدخين يرعى في جسدي كي يميت خلاياه وروحه رويدا رويدا، ومع جهلي أشعر حيناً أنني أنفث متاعبي ووجلي بها، أنا واهم أحقق في هذا الفكر والمعتقد، إنه معتقد شخص جاهل ضعيف لا إرادة له، كيف ترتضى لنفسك هذا؟!، هيا اقلع عنها...هيا...هيا، ثم ها هو يجلس الرحالة ومعه عبد الرحمن على شاطئ بحر يوسف يصطادان السمك ومعهم الكائنات كلها والعصور والأزمنة، وهما يحلمان، يحلمان بقارب صغير يقل حبيبتيهما، وللتو يتحقق الحلم، حيث يشق عرض النهر بحر يوسف مركب عجيب مزخرف فوقه فتاتان كالحلم، جمال أخذ لهما والبسمة مرسومة فوق ثغريهما، ترتديان ثيابا كأنه حلة من الربيع صيغت وتولدت، تهمسان وتتضاحكان والعبير ينساب وينتثر من مبسميهما فتزداد الحياة جمالا وبهاء، ليس أجمل من

هذا يوجد في هذه الدنيا بل والفضاء الكوني العريض هائل الاتساع، يبدو أن الحلم تحقق وهو بالفعل قد تحقق، ظلت الفتاتان تحركان المجدافين والموج يتهاذى فيرسل الأشواق من نبع مانه الصافي، وتظهر الفتاة سوزان وهي مشرقة ومعها عبير، ورشا على الضفة عند نخل الصعل ترقب المشهد بصحبة كل منهن، و" نادية أميرة القصر" وفتاته المزينة بألوان الحسن وآيات الصدق والحسن تطل من شرفة قصرها المسحور وهي تأمل كل الأمل في التخلص من قيودها، وقصرها الطائر ينظر إليه الأمير النبيل والفارس الجليل وهو ذاته الفارس النبيل الذي يقاتل إلى جوار الفارس الملثم والملك الغضنفر خميس، وفتحي وصبري الطيار الطائر يشاركان الجموح التحرر من قيود الساحر الشرير وريما والنسر ونوارة الظالمة، ثم تعود روح الرحلة متمثلة في هذا الشخص الغريب فتحدث وينبض قلبها من جديد وتفكر وتؤلف وتكتب وتسرد وتروي وكأنها الراوي الجميل المشارك في كل أحداث الرحلة العجيبة، روح الرحلة تقول أن المعروف أن خشيتك من أبيك وأمك تعود لفكرتك عنهما، فلا بد أن تعلم أنهما يعملان لصالحك ومصلحتك، يتمنيان لك الخير، بيد أنه في بعض الأحيان يوجد عقوق الأبناء وما أقساه من عقوق، لكن يظل عقوق الآباء هو المروع والمخيف، فطاعتها من بعد طاعة الله عبادة وواجب، وفي أثناء توارد الأفكار على عقله وفكره وتهادي الأحرف كي تداعب كيانه، ظلت النيران تتأجج وتشتعل وهي مستمرة الآن، ربما مصدرها بؤرة الرحلة عزبة عبد الواحد النوارة والنسر، وربما أبعد من هذا، لا تخمد أبدا وتلتهم كل شيء، والسيدة العجوز على عتبة دارها تناديني أن اقبل يا فتى، إنها ليست جنية بل إنسية طيبة تدلني على الدرب الصحيح للنجاة من جهنم تلك الزاحفة صوبنا، العجيب أنها لا تخشاها ولا تخافها قيد أنملة، ربما هي العمل الصالح الذي سينجو بي من بعد إرادة الله من الهول الكبير، أنا في طريقي للنجاة والله أعلم، تشير إلي أن اصعد فوق أسطح الدور البيوت وها أنا أفعل، ثم أجد أحواض زرع مربعة ومستطيلة تتخللها المياه وتتبت حبها الجميل، وأبو قردان ينقي الدود ويساعد الفلاح كي يفلح أرضه ويسقيها ويرويها من جهده وعرقه وعمله، يا للجمال، إنني أصعد بسهولة ويسر وأخلق في السماء بجناحين وبدون، ثم أهبط متهاديا لألتقي كل الأنبياء والمرسلين، وأراهم رأي العين، الله الله.. ما أجمل وأروع ما أنا فيه، ثم أجدني في عهد آخر لكنه متصل بالأحداث لا يفارقها عن طريق آلة الزمن والزمان والمكان العجيبة المتحولة، حيث شاطئ بحر يوسف أنا جالس في رحابه أقطع أعواد البرسيم وأجمعها، والفلاحة بالقرب مني تجمع روث المواشي والحيوانات، وأنور مذهول إلى جانبي من هول ما أقص على مسامعه، والحوث ينظر إلينا من فوق الموج الهادر، ويصعد إلينا فيزيح كميات من المياه تروي كل الزروع، وربما كل ما أرسلت لأنور به من أفكار عن الفتى الغريب وأنه أنا لم يغادر ذاكرته، وأي ذاكرة تلك والأحداث حاضرة متجددة، هو الشقيق والحبیب وصديق الحوث صاحب المغامرات، والغريب هو فتى لا أعلم إن كنت أنا هو أم لا، يقول لأنور لتوه أنه غريب عنه وليس شقيقه فيبكي أنور وتنساب الدموع على صفحة خده الأبيض كانسياب قطرات الندى على الزهرة البيضاء في يوم ربيعي

باسم، الحق أنني أنقلت عليه كوني قلت له أنني الغريب عن أهله وداره، وهو من يجاور بحر يوسف الآن ويستخدم السنارة والشبكة كي يصطاد سمكا، ويمسك بالقاطع والشرشرة كي يحصد ويقطف أعواد البرسيم والحشائش الخضراء ليطعم الماشية، سامحني أخي وانتبه لهذا الهيكل المخيف وهو ذاته المسحور المرعب المقيد إلى الشجرة عن طريق عثمان وعيسى، ربما يتخلص من قيوده فيهاجمك، وما أكثر مفاجآت الأيام والأحداث، أنا لا أدري يا أنور من أنا، ويخالج نفسي وينتابها شعور مختلط لا أتبينه، كم أرجو أن يغفر ذنبي الله ويسامحني، إذن من أنا؟ قد أكون غائبا عن الوجدان؟!، إن جل ما يسعدني هو ابتسامة الفتاة مريم ونسيم الربيع وملامح الفتاة ناهد حب عمري وقيثارة شدوي، وهما جزءان لا يتفرقان ولا يفترقان، يمر النسيم على خداه متهاديا كبسمات الأيام، وينساب السحر من مقتلتيها كعبير الأحلام ودرة الأيام وسنا الانسجام، ما أجمل أن أراها حين ينشر الفجر ضياهه وخبوط نوره بلمحة من قسماته المنيرة وينثر عبيره ويبعث شذاه وتحل ذكراه، وأن يداعب سنا القمر جبهتها فلا يعلم أهو مصدر الحسن أم هي، هي كيان مضيء وهو معتم، يعكس القمر ضوء الشمس وتعكس صورتها آيات الحسن والجمال، فلم تغار أيها البدر؟!، ولم أنا تائه شريد وقارب فاطمة يتأرجح فوق صفحة نهر الموت بحر يوسف + المحيط الهندي والعادي وكل المسطحات المائية والغدير العذب والهوة المتقدة وبحيرة التماسيح وكهف الأعماق وكنز مصطفى ومدار مياها أحمد وظلمة ورافعة مياها الفتى تامر، إذن أنت يا بحر يوسف آلة زمان ومكان تتحول لكل الصور، وأنا يتشتت فكري وتضمحل قواي وأتية في عوالم لا أدري مكنونها ولا المعلوم منها، حيث تظهر جذوع صامته متحركة، لا أستطيع أن أتبين الأمر، بيد أن الرعب يدب بأوصالي ويأتي على كياتي، عيون بلورية في مقدمة الجذوع تلك تبرق في الظلام وتتحرك، أجساد سوداء ربما تقبع مزاملة لتلك العيون النارية المخيفة، وقارب فاطمة ذو المخبأ السري يتهدى بنا في عرض البحر، هو بحر يوسف المتحول لتوه إلى نهر الموت ومستنقع التماسيح، الآن أدرك الأمر، تلك تماسيح بحيرة التماسيح الوحشية التي لا يزال يقاتل وحوشها ذلك الفارس المثلث الصديق بمعاونة قبطان وعبد الرحمن وسندباد- أصدقاء العمر-، أما أنا فقد أكون خيالا أو كل شخص وجد في عصر معين، وقد أكون واحدا منهم، ربما أنا الروائي صديق الراوي، وربما أنا الراوي نفسه، والمهم في الأمر والأهم أنني وجدت نفسي مع آلة الزمان والمكان التابعة للرحلة بلا حدود والمتشكلة والمتحولة لكل هيئة وصورة في كل عصر وعهد وأوان، وما يذهلني هو تواجدي في كل عهد حيث أنا كل الشخصيات وجل المكان والزمان، والنسيم الذي يحمل الشذى والعبير، والغصن المتهادي من شجرة الإثمار الدائمة وجنة الخلد الجميلة البهية... كان كلما تحدث هذا الشخص العجيب ينصت له الكون كأنه نغم يملأ الدنيا طربا وبهاء، لماذا دنو الموت يورقتي؟!، ولم أهول منه؟!، إنه يلحقتي على أي حال، المنية تطاردني وأنا جبان أخشاه، أين الجراءة التي أحدث عنها وأتباها بها؟!، أنا لست بجسور ولا مقدم والنيران العالية الهائلة تغطي "عزبة عبد الواحد النواره والنسر" وتلتهمها وهي تزحف صوب

القرى المجاورة فلا تبقي ولا تذر، وهو مشهد القيامة، أرى كل ذلك من إحدى القرى
المجاورة حين لمحت حفني وقد نجا من كل هذا وأنا معه لا أعلم مصيري، فوجدت سيدة
عجوزا تجلس إلى عتبة بيت ولا تبالي بالأمر ولا تهتم، لكنها تنصحنى وتقول مرشدة لي:
اصعد بني صوب حائط كل بيت فامش عليه وتنقل عبر السطح والطوابق المتصلة بالبيوت
جميعها، فمشيت على حافة كل بيت أتقل بسهولة وأصعد حتى تم لي الاستقرار والاتزان
على جميع الأسطح وشرعت أطيروا وأطير فنظرت إلى الأسفل فإذا بمساحات عظيمة من
الأراضي قد رواها الماء في كل بقعة ومحل بها، فهبطت إليها وأنا الطير المحلق بجناحين
وبدون، ثم تم لي الاستقرار والمقام فوجدت نبيا من الأنبياء هو سيدنا أيوب يصطحبني عند
طريق جدول ماء وعلى شاطئيه الصغيرين، وكأني ببحر يوسف أو نهر النيل أو جدول
وغدير، ظللت أمشي مع نبي الله أيوب حتى أوصلني إلى كل نبي، هنا كل الأنبياء يقفون في
صرح علم شاهق عظيم، ينظرون إلي فأعرفهم واحدا واحدا وأسلم عليهم بالاسم، ثم رأيت
سيدنا محمد وسلمت عليه، ورحبوا بي جميعهم، ثم خرجت من الصرح العلمي والديني متوجها
صوب الفضاء ناظرا إلى السماء فرأيتها صافية مثل ما تكون في ليلة القدر وأنفى وأصفى،
فدققت النظر وكأني أرى الله جل وعلا، فبكيت له واستغفرته وكلي إيمان وفرحة وحنين
منقطع النظير، وتحركت بي وبالكائنات آلة الزمان والمكان التابعة للرحلة بلا حدود والتقيت
النعامة والبطة والصقر وحلفت معهم، وها أنا أطيروا مع الفوج الطبي المحلق عبر الزمان
والمكون من البطريق والحمامة البيضاء وملكة النحل واليمامة البنية والهدهد وأبو قردان
وأبو فصادة وطائر اللقلق أبو العنز، وملكة النحل لا تفارقنا وهي دليل وخط سير الرحلة
وجمالها الأخاذ، يا لها من رحلة ممتعة وها هو يصعد المرتفع الصخري في صعوبة بالغة
والثنين وعائلاته يهاجمونه، وحشية بالغة يتسمون بها وهم لتوهم يبتلعون كل ما ومن
يلتقون، يخرجون أسننتهم في هيئة مرعبة وطريقة عجيبة، والرحالة يقاتلهم ويعتلي
ظهورهم، يزحفون مثل المنية، وصبري الطيار الطائر يواصل قيادة آلة الزمان والمكان
وإلى جانبه صديق دربه ورحلة كفاحه عبد الرحمن، والأخير لا يزال يقاتل الوحوش البرية
مهاجمة رفيقه الرحالة وحسنا الخصال وهما يعتليان الغصون والأفنان وينقلان قبضتيهما
في حرفة بالغة وتمكن ملفت للنظر، ذلك كله لما غرق في فكر الفتى المغلوب على أمره
والذي اسمه " غريب "، وقال لشقيقه أنور: " أنا لست أخاك بل أنا الغريب و.... ذاك اسمي
" الغريب " ...فبكى أنور لما شعر بقرب فراق أخيه، وتوسل إليه أن يصارحه... فرد الغريب
عليه: " هذه هي الحقيقة "، ثم همس له ببعض عبارات وكلمات وهو يقول:- كم أتمنى أن
يلاقيني بابتسامة الأب الحنون المقوم لابنه حين يعوج عن طريقه ويحيد به درب الحياة
الوعر، وها هي ابتسامته بالفعل تنير دربي وتزرع في حديقة حياتي أملا جديدا متجددا لا
يأفل ولا ينتهي، فحديث الصمت قاتل، وعدم نسيان أخطاء الماضي إن تعد وتحسب من
الأساس أخطاء هي جريمة كبيرة، الغفران والتسامح من شيم الأب والأم وصفاتهما الحميدة،
وكما يوجد عقوق الآباء، أيضا يوجد عقوق الأبناء مثل سوء التربية وعدم اختيار الاسم

المناسب الجميل وأشياء أخرى، قد يعاني الأبناء من الآباء ويلات ولعنات ليست في محلها، فليراجع الآباء والأمهات مواقفهم من الأبناء، كما على الأبناء أيضا البر بهما ورعايتهما وتنفيذ تعليمات وتوجيهات الدين وآيات الذكر الحكيم، وعلى غفلة وحين غرة تتحد الجزينات الزمنية والمكانية وتتفاعل وتعود بالأحداث وتستحضرها وتجلبها للزمن الحاضر الذي تحياه الرحلة للتو، وتستجلب أيضا المستقبل وتتوقعه بالطلب من الله والدعوة الموجهة له جل وعلا، حيث تخلخل وتضاغط يليه تخلخل وتضاغط واتحاد في جزينات الحقب والأزمان يحدث للتو، ولا يزال يشق الطريق بجواده الطائر الفارس المغامر عزمي، والفارس النبيل صديقه الذي يمتطي الجواد الأبحر الآخر، والفتى عبد الصبور مع أمين ومحمد وأصدقاء آخر وأنا معهم عند شادوف الفتى عبد الصبور لدى نقطة زمنية ومكانية من بحر يوسف ذي النسيم الساري الهادئ والجو الممتع خاطف اللب أسر الفؤاد ومالك القلب... ننظر بدهشة لهما وهما ينطلقان كالبرق الذي يعطوهما " ويقصد بهما ها هنا الفارس عزمي والفارس النبيل "، جسارة وإقدام لا مثيل لها... لهما، ولقد كان ذلك أول عهدنا ببرق يومض وسط رعب يخيم علينا، ورعد مزلزل يخطف قلوبنا ويتخطفها كالموت ويغشاها كالمنية، وهما كأن لا شيء يحدث، لا يتأثران قيد أنملة ومثقال ذرة وشعرة، وآلة الزمان في هذا الحين هي الجوادان اللذان تتبعهما ملكة النحل بل وتسبقهما لتحضر الحدث، وفي المشهد المجاور من صفحة الآلة الزمكانية بالرحلة بلا حدود لا يزال سيد يجني القطن ويجمع الحبوب ويدرس وينقي النباتات من الحشائش الضارة، ويرمي الحبيبات المغذية للنبات وهي سماء قوي يساعد على الإنبات، ثم يروي الأرض، ونحن نحمل الطوب والأسمنت والظلط والطوب الرملي والطوب اللبن، نصعد الطوابق في صبر منقطع النظر، تصببت جباهنا عرقا، فإذا ما نظرنا من الشرفة وها نحن أولاء ننظر، نجد للتو عبد التواب يحمل الطوب الرملي ناظرا إلى الأسفل بعدما أكبه الحمل على وجهه، وأشعة الشمس تنعكس على الرمال فتخرج جهنم مسلطة صوب عينيه، وتأكّل نار الجحيم ناظريه ليضعف بصره، ثم ينزوي جانبنا ليشرب ويغسل مقلتيه، فإذا الخولي الجبار رئيس الأنفار والعمال، ينهره ويشتمه ويدفعه عن مورد المياه دفعا، وضع الروث وصول الحمير في الماء، فيضطر الفتى للشرب لنلا يهلك، ويغسل عينيه فيزداد ضعف إبصارهما، وتلفح الشمس الوجوه وتزداد لفحا لهم، فتثقل كاهلهم وتذيب أجسادهم، ثم يهيم عيسى بإحضار صرته التي تحوي العش والمش الجبن المخلل القديم، ويتقدم سيد صوبه، فيدعوه عيسى للطعام، لكن أرباب العمل الجبابرة يمنعون الجميع من الأكل والشرب، عمل بالسخرة واضطهاد، وبالعودة لي أنا، أنا الإنسان الغريب الذي لا يفهم نفسه ولا يعي ما هي، ربما أنا ملكة النحل هذه وقد أكون بحر يوسف فأتشكل وأتحول لأضحى نهر النيل والمسيبي والفرات ودجلة وبحر الموت والبحر الميت وجدول سلمى الكائن بروضة حفني والتبر الجميل والذهب، ربما أنا السفينة المقاتلة حاملة الطائرات والمعدات الحربية مطلقة التوربيد متتبع الغواصات وأهداف العدو المقاتلة، وأمي هي أم الرحلة وكل أم هي كذلك، كل يحب والدته ووالده، ومن ذا يفوز برضائهما، هما سراجان

منيران يحلان محل العينين، بلورتان تبصران لنا وتنتقيان وتختاران الدرب الصحيح الذي لا
اعوجاج به ولا زيغ ولا ضلال، قالت لي أمي: أي بني.. افترش الحصيرة لنا واجعلها نظيفة
كي نقوم بعمل الكشك. قلت سمعا وطاعة أمي، لكن كيف يصنع الكشك؟! فتبسمت ورببت
على كتفي وقالت:.. " ضع الحصيرة جانبا وهلم معي نبحث عن القمح فنجمعه وندرسه
ونطحنه ونخرج حبه من القش ونحصده " - كل هذا أمي. فضحكت وقالت:- وأكثر وأكثر.
فضحكت لضحكها ولتيت أني بها بار وبأبي، قالت أمي: " نسلق القمح بوضعه في قدر وإناء
عملاق تحته لهب من نار موقد الروث والحطب، فيصل لدرجة الغليان وهو مملوء بالماء
الذي يغطي القمح... ألا ترى بني؟! - نعم أمي حبيبتي.. أرى جيدا، أن أقوم معك بكل هذا،
وفي خضم ما تقدم وأكثر تظهر جدتي أفبات وهي تحمل السراج المنير والمصباح المضيء
والكوكب الدري، وهو مشعل ومصباح من الصفيح صنع، تضع به الكيروسين والجاز ثم
تضع بهما وخلالهما عويل وخيط من القطن مستطيل الشكل فيغمس بالكيروسين والجاز
والغاز والبنزين ويترك طرفا منه أعلى الإناء الصفيح ذي الشكل والعجيب وهو مبتل بالمادة
السابق ذكرها والمساعدة على الاشتعال، تعمره جدتي أي تعده كي يكون مشتعلا ملتها،
وفي اشتعاله والتهابه يتولد الضوء منير الدرب وعممة الأيام والأزمان، ها هي تسير الجدة
أفبات مغامرة الرحلة وبطلتها والحكيمة المفكرة بها، تسير في هدوء وتتغنى بالأناشيد التي
يتغنى بها الفلاح الطيب والفلاحة الجميلة، تشق عرض الطريق وطوله وتهمس لي من
الماضي وتحيي معي الحاضر وتستجلب بالتمني والدعوات الصالحة مستقبل الزمن، فهب
وأنا والصبية وأمي وإخوتي وعزبة عبد الواحد النواره والنسر...كلنا وكل ما تقدم وما تلا
وما مضي وما لم يذكر وما ذكر آلة زمان ومكان تابعة للرحلة العجيبة المفهومة وغير
المفهومة رحلة بلا حدود، وتظل تلفح وجهي النار لأنني على ما أنا فيه من عصيان مقيم،
كم كنت أحب أن أكون على العهد الطيب مع الله، أتمنى لقاءه جل وعلا، لكن داهمني قطار
الموت، ألا ترون... إنه يجري بسرعة رهيبية... أنا على الرصيف وأظن أنني نجوت، فإذ بقوة
لا قبل لي بها تخطفني خطفا وتأخذني أخذا، فأطرح أمام قطار الموت فيدهسني، حل الموت
في لحظة، كانت أمامي الفرصة فلم أتب، كل يوم أقول الغد، وكل غد يمر ويأتي بعده بعد الغد
فأقول: " الغد الغد الغد " هل تمكنت مني أبها الرجيم، شيطان لعين أنت، سأطردك للتلو
بتلاوة الذكر الحكيم....و كانت حسناء الخصال تستمع كلماته من خلف حجب الزمن فيبين
الذهول وهو يداعب قسماتها، بل وهو يطغى عليها ويفرض هيمنته وسيطرته... فمضت في
روضة حفني والتقت ناعسة الطرف هيفاء القوام غراء اللون والقلب فيحاء النبت كالروض
والبستان.. ابتسمت ناعسة وهي تنظر لأخيها ابن النواره والنسر عله يرق لحالها، فهي في
الأخير والأول شقيقته.. الشيطان يتملك منه ويحتل مقعده من قلبه التائه الضال، يأمر جنوده
والمقاتلين المهاجمين بإبادة الروضة بمن فيهم وردم البئر وقتل سلمى فتاة البستان ذات
الرداء الأخضر، لكن الأمل يراودني ويضحك علي ويكركر بصوت عال، ها أنا ذا في القبر
وحيدا أبحث عن أمي وأبي وإخوتي وأخواتي والمعارف والجيران والأصدقاء فلا أجد

أحدا....أجد عملي وملائكة العذاب وملائكة الرحمة...أيهما سيأخذني...رب إن كنت أحسنت قليلا فارزقني بصدقة جارية أقامها أحدهم على روعي، أنا في احتياج لهذا، أنتظر مصيري ولعله خيرا يا رب، وهذا الذي أجلس معه تحت شجرة التوت، أما أن لقلبه أن يرق، وللصمت أن يتكلم ويتحدث، وللإحراج والكسوف والخجل أن يتلاشى أثرهم، الصمت يطبق علي وقد كبل الزمان فمي، وحديث الصمت طغى، ثم تتقلب الرحلة بلا حدود بآلتها الزمنية والمكانية ولا تزال الأتان تمر بالجسر الترابي الذهبي المتحول والواصل بين نخل نمر من ناحية ونخل الصعل والنخل الكومي من جهة أخرى، والجحش ينادي على أبيه الحمار ويقول:- أبو العقيص يريد أن يلدغني ويقرضني حتى أتعلم فن العوم والسباحة. - نعم بني، إنه كائن طيب جميل، دعه يفعل. وقد كان وقرصه أبو العقيص ثم توجه الجمع صوب البحر المتحول بحر يوسف، نزل الجحش وقفز في البحر وارتطم بموجه فوجد نفسه يسبح سباحة حرة جميلة وسط الأمواج الثائرة المتدافعة والتي تحركها الدوامة العجيبة وتدافعها، ويتدافع السمك فيأكل منه، ويخاف السمك فيرجع الجحش عن فعلته، وعوني لا يزال يواجه مصيره وفي هذه الأثناء يقود غواصة بحرية تطلق التوربيدات صوب خطوط العدو وسفينته العملاقة حاملة الطائرات في عرض البحر، ثم يلاحقني خيال الموت وهو حقيقة لا خيال، حيث آلة الزمان والمكان تطوي الأوقات وتداهمها وتذهب بها مهب الريح تفرقها تبعثرها، حيث أطارد الوحوش مع عبد الرحمن وأنور ومصطفى وصبري عند المرتفع الصخري الوعر، تدنو مني المنية فأبتعد عنها لأن الله قدر لي هذا، ينظر إلى حفني من روضته وينادي علي ببسمته المعهودة وصوته الرصين الجهوري أن أقبل يا رحالة وتقدم، فأترك خلفي ما يؤرق فكري ويهلك كياني وأندفع صوبه، أقاتل ابن النواراة وجيوشه وأحارب النسر والساحر الشرير والعجوز اللينة ريمة، وأشفق على رشا لما انتابها من كيد الساحر وزبانيته، ثم أتوجه إلى النخل الكومي حيث يظهر أحمد وهو يراعى ويراعي نبتة عند مدرار المياه وساقية الفتى عزمي التي يديرها الحمار والأتان وابنهما الجحش، ومدرار مياه ظلمة الشاب تامر عند منطقة الأربعة عشر فدانا...ثم أهمس إلى الفتاة فته وهي تسكن القصر على البساط السحري لعلاء الدين وتستقر فوق بساط فاطمة الضريرة فأقول:- ولماذا يا فتة تستقرين في قصرك العالي وتتركينني وحيدا أعاني ويلات هذه الحياة ؟!...فأفاقت من رقدها ونادت علي:- اقبل يا رحالة...أنا أنتظرك منذ العهود السحيقة بالرحلة، لقد مرت عليك أجيال وعصر وحقب جمة كثيرة متلاحقة وعشوائية طبقا لتحركات آلة الزمان والمكان. _ تبسم الرحالة لقولها واتصلت روحه بروحها ونحن نحلق في فضاء رحيب ونلتقي بالفتى حسن والشيخ العجوز والعالم الجليل وملكة النحل وتبر وسمية وهالة وخضراوي ومعتز وسمير وجحا ولطفي ومنهل ومحمود وبالفتيات والنسوة والعجائز والشعراء والشاعرات والأدباء والمثقفين وملتقي أيضا جموعا جمة لا نهاية لتعدادها وعددها، ثم ها هي الشمس تشرق وتغيب، هي لم تختف، الكرة الأرضية تدور بطريقة منتظمة، فتغيب الشمس عن الرؤية فقط، لكنها النجم الجميل دائم الاتقاد والاشتعال، ضوءها يعكسه جسم القمر المعتم، لا تظهر عندنا

وتظهر في جهة أخرى من الكوكب العجيب، بل هي في الفضاء تسبح فتثير الكون بأسره، أكاد أجن ولكني لا أصل أبدا للجنون ولا أهوي في جحيمة وأقلب به، ربما تتقذني توبتي، بل من المؤكد أنها طوق نجاة لي، الفكر تداهمني وتلاحقني، مشتعل رأسي بالمشيب كما الشمس مشتعلة بالحرارة الهادرة بالغة السخونة حيث مركز الشمس، نحن في قلب الشمس ولا نحترق، آلة زمنية ومكانية تتكيف مع الحدث والمكان ودرجات الحرارة والبرودة، تواكب كل تطور وأمر مفاجئ عابر وطارئ، وها أنا أهمس لنفسي والجنون قاب قوسين أو أدنى مني، لكن الاتزان يزين نفسي وكذا الإيمان بالله فهو لا يختل أبدا، كلنا عبادك يا الله، اللهم اغفر لي وارحمني وسامحني وجميع الناس يا أكرم الأكرمين ورب العالمين.....نعم....كيف أكون كل هذا، كل العصور أنا والتحويلات الزمنية والحقب والأشخاص، وأنا غابة وشجرة وبحر وغصن وغدير وصحراء وفضاء، أتراني آلة الزمان والمكان، عجيب أمري وأمر هذه الرحلة، وها هي تخرج روحي مناسبة في هدوء كخبر مياه بحر يوسف عند دوامة الحسن وهي هادئة مستقرة، وهل الدوامة تموت معي، وهل الموت نهاية....لا والله إنه بداية واستئناف، الروح لا تموت، ، ثم ها أنا ذا أصبح في الجنة وهي كوثر وروض وحسن وجمال...سعادتي تجاوز المدى في هذه اللحظات والاتناء، واستزادت آلة الزمان والمكان من الطاقة الضوئية والشمسية، فشرعت أقودها وصبري الطيار الطائر يضحك ويكركر، وصلاح الدين يبتسم، فهو القائد العام للجيش العالمي الجرار، وتركت الآلة وسبحت سباحة جوية خالصة حرة، ألا ترون هذا المشهد...بالطبع ترون، ، جان لا يفارق أنفاسي هو جناحان ينطلقان بي، ها قد وصلت إلى ملكة النحل، أرى عن قرب تحليقها وأدقق النظر في تفاصيلها وملامحها، عقلة الإصبع أنا والرجل العملاق، تتحول بي الهيئات المتنوعة المتلاحقة، وأنور يطير ومعه الحوت ويطير معه بحر يوسف والمسطحات المائية وكانات وأشخاص وجماد وطيور وأشياء لا نهاية لها، سلمت عليه وها هو يرحب بي، الحوت صديقه يذهب به في الأعماق فيقاتل التوربيدات والكانات المائية المتوحشة، ويلتقي أنور بالفارس المثلث وهو يهرول من الجان فيقول:- _ هل أنت الفارس المثلث !؟. نعم إنه أنا. كنت أتمنى اللقاء بك في الرحلة وها هو ذا قد تحقق حلمي أنا قادم من جهة شادوف الفتى عبد الصبور عند الجرف. وهل رأيت المسحور حيث تم تقييده من جهة جد الفتى عبد الصبور وهو المغامر عثمان ؟! نعم للتلو رأيته. فتبسم الفارس المثلث وطلب من أنور اصطحابه حيث مكان الشادوف والمسحور المقبوض عليه، ينادي عليهما الحوت وكان يسبح في بحيرة التماسيح ويقاتل كاناتها المائية، وانتهت البحيرة إلى بحر يوسف فشملها الأخير، وركب على ظهر الحوت كل من الفارس المثلث وأنور والكانات، والحوت لا يمثل لأمر أحد سوى أنور...و بعدما أمره الأخير في رفق ولين بالتوجه صوب الشادوف وروضة الشاب عزمي، سبح الحوت وقد انضم عوني للجمع وكان لا يزال يسبح مضطرا في المياه لما سحرته السيدة العجوز ذات البيضة البلورية والعصا السحرية والتعويذة القاتلة، واتحدت الجزيئات الزمنية والمكانية فجأة وتفاعلت وهي تحدث انفجار يليه انفجارا وتخلخل يليه

تخلخلا وبرقا ورعدا، حتى وجدت الرحلة نفسها وبكل أحداثها المستقبلية والحاضرة
والماضية عند فتاة الأيك وعروس الفردوس نورا، وقبل يدمنية والحمام أريد البوم أحيا
في ابتسام تمد بذني صباح أو مساء وحين ضياء يدر من تمام وأرجو من إلهي كل عون
بحرب كنت أحيا أو سلام فضبع في الصحاري يلتقي بي وأحداث النوازل والحسام ترنج أن
طعنته من يميني فخر بغور بنر والسقام وفي مدن الجمال أسير ليلا ومملكة المحبة والغرام
وأبحث عن حبيبي في الرياض بدون القول منه أو الكلام وجدته حتى ألمح في عيون ضياء
كم تطل كما السهام رمتني حتى صرت كما أسير ولكن في نعيم من ونام وإني في انتصار
المستعين بخالق كل شيء والأنام وغرد طير روض قي الرياض يعني في اتحاد لا انقسام،
فتبسمت والضوء منها مشرق، والماء فيك بحر يوسف يغدق، على الرياض وجل الدنيا كل
منى، وشهد حسنك من هنا يترقرق.. وها هي أمامي، لو قلت عليها البدر فقد صدقت، بيد أن
البدر جسم في الأساس معتم، يعكس ضوء الشمس والأضواء الكونية الأخرى، وهي
المضيئة من تلقاء نفسها، غصن رطيب وضياء حبيب، وجمال أخاذ جاذب يأسر قلبي،
سارت صوب نخل الصعل ونخل نمر والنخل الكومي، وها هي تلتقي رشا فتاة وعروس نخل
الصعل، يراها مصطفى فيرق قلبه ويلين فؤاده، وها هو يحس سعادة غامرة تملكه، وشجرة
الزيتون تتمايل مع الرياح عليها تشبهها، وأنى لها هذا، ونورا يضيء نورها فيجاوز الشهب
والنجوم، ويعبر المدى والأيام، فبريق من المستقبل يضيء.. ألا ترون. عبارة يقولها
مصطفى وقلبه هامس لها معبر عما يجيش في صدره...تبسمت الفتاة ورنّت إليه بطرفها
الذي كحله سحر الليل وقدها تمايل وقد رواه بحر يوسف نهر النيل والكوثر المعسول ثم
قالت سعيدة: _ كل هذا لي مصطفى؟! فرد والشوق مليء عينيه _ ولك وحدك قلبي
وعمرى. _ كم تغمرني كلماتك بسعادة لا أقوى على تحملها. كيف يصل إليك حرفي الذي لم
ينطقه لساني؟! وكيف أصور لك _ حلم حياتي _ مقدار هيامي ووجدي وشوقي. فأعجبت منه
نورا أيما إعجاب، وظهرت كفتاة في خدرها وكل البهاء منها يطل، وهي تحلق كعصفور أيك
حائر، عيناها تانهتان لا تهتديان لجهة ولا تلقيان مستقرا، حيث الخجل مسيطر عليها،
يسبقها حنينها والغرام، وتتقد جذوة الشوق والأمل في نبضها الساري، فتماكنت ذاتها
وشرعت تنشد والكائنات تستمع إليها وهي تقول: _ "ولا أقول غير: " الله يحملك، سبحان
ربي جل تعالى راعيك، فالزهر يشرق في واديك مشتاقا والورد ضوى في روض وناديك
والنبض يهمس أن هذا الحبيب هو فإن تغيب شدا قلبي يناديك، عمري والدنيا وسحر ربا
النيل يجري في حقل ويسقيك، أعطاك ربي ما تصبو وكل منى، جل الأماني وما ترجو
ويرضيك، يا بحر يوسف إذ يسري البهاء به، وغدير أمل من غسل ويجزيك، فأنت شهد
والنور الذي لاح حتى أضاعت من فيض لياليك، والفيض منه كمشكاة وفيها سنا من البريق
فهل هذا سيكفيك؟! أهديك عمري ونبضات الفؤاد كذا وما سواه إله الكون ينجيك، في نخل
نمر كم جان تراءى لنا وصروف قدر قد حلت وتبكيك، وعروس حقل في نخل لدى
الصعل، زهر المحبة قد قطفت لتهديك، من عطر حالها قد عبقث وإن بها شذى القلوب إذا حيا

۳۳۲

جماله والورد يعبق بالعبير والشذى والطير يطل بسحر أخاذ، ثم انتهيت إلى قصر الفتاة نادية وهي تطل الآن من شرفنها: " عمت صباحا نادية، صباحك خير يا فته " وكانت الفتاة فته صديقتها وصديقة فاطمة الضريرة ذات البساط تجلس إلى جوار نادية في قصر الأخيرة، والذي يتحول للتو إلى بساط يحمل القصر وكوخ الظلمات والكهف المسحور في قاع نهر الموت بحر يوسف، ويا للجمال والحسن الذي أشعر به يطل من مقل الفاتنات الأميرات.... وتقول فاطمة وهي مع فته ونادية ومعهم أيضا رشا عروس وفته نخل الصعل... نعم تقول فاطمة: " مرحى بالرحالة... مرحى " فأنظر في عينيها وأعيش في حلمها البهي ثم ها أنا ذا أنقل بصري بينهن في وداعة وإعجاب وفخر، فهن مني وهن زهرات وورود الرحلة وعبقها الجميل وعطرها الأخاذ... تلتفت نادية بطرفها الساحر فتحيني قائلة: " النجدة يا رحالة... العون أنت من بعد الله، لقد وقعنا في شرك ومصيدة الشيطان الظالم النسور والساحر الشرير وريمة والعجوز الساحرة ذات البيضة السحرية والبلورة العجيبة والعصا " فأدركت مدى لخطورة التي تطوقهن، وسلمى في الجهة الأخرى في بستانها مع أبيها النحال يراعيان النحل ويهتمان به، والنحل في جماعات ينتشر متهاديا فوق الأفنان والغصون يقصد الزهور والورود، وأمل وعمر يسيران مع عمي حسن في طريقهم للحقل حيث الكرنية الكبيرة.... فيقول عمي حسن: " هيا عمر... هلم أمل... تقدمي هند.. فلنشد الكرنية، لا أستطيع اقتلاعها ونزعها بمفردي، ويحاول لجميع ويحاولون مرارا وتكرارا، وسيد الفتى العملاق يطارد التنين الجبار خلف ظلال غابة الموت في المنحدر المهلك، وعبد الرحمن وصبري والرحالة وآخرون والكائنات والجمع الهائل عند المنحدر والمرتفع الصخري يحاولون اجتيازه إلى الناحية الأخرى حيث نهر الموت وقارب فاطمة والمخبأ السري به، ثم ها نحن نصل إلى فلسطين فيقول الرحالة: ط، " فلسطين نصرك من الله مقبل والظلم لا بد يوما راحل وجند الله يرى بأرضك والمسجد الأقصى ما أمل أصلي فيه ويكتب أن المجد مجيد ومطاول يا أهل الخير هذه جنة أعدها الله من يعدل تبارك ربي وجل وعلا عن ذكرك ربي أنا غافل".

الكائنات تصفق وتنشد، ولقوله الجميل تغرد، والمسجد الأقصى يضوي ويبرق ومسجد الرسول ينير قلبي حسنه وأنا أصلي به، والقدس عروس في خدرها، والأرض تالله أرضها، يا قدس أنت بقلبي وردة وزهرة، والأكثر في قلبي أثرا، الجنة بك والنعيم، وأنا في النعيم بحوله مقيم، حبيبتي أتوق للوصال، ثم تتقلب آلة الزمان والمكان الآلة الزمكانية عبر العصور والدهور والخيام والقصور والبحور والدور حتى أقرأ القرآن وفي معنى آية منه حتى إذا استيأس الرسل " واستيأس كلمة تأتي من بعد كثرة اليأس وبلوغ الذروة من تأثيره النفسي ".... وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا.... " فالنصر يأتي بعد فرط اليأس وتملكه تماما من النفس "،،، فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ولا يترك الله القوم المجرمين الظالمين أبدا، وينجي المؤمنين، تدبر كلمات الله ومقدار الحكمة والعظة بها شيء عظيم جميل يجلي الغشاوة وينير الأبصار، ووعد الله للظالم بالانتقام منه في الدنيا والآخرة، يا لعظمة وعد الله تبارك وتعالى وجل وعلا "، ثم إنك إذا فرحت أطلق لنفسك العنان في

الفرح وغرد وغني، ولو ما حزنت فلا تطلق للحزن عنانا، ولا تحسب الأمر وتعد له فتقول، فرط الحزن يميم وكذا فرط السعادة،.... تالله السعادة تريح القلب وتجدد الأمل، ولا تأخذ بحديثي وكلامي إلا لو اقتنعت به، فربما يكون قلبي وإفصاحي خطأ كبيرا، ومن أنا حتى أوجه الناس وأنصح لهم وأنا المخطأ المعيب دوما، ومن أنا لأنصح ولا أقوم بتأدية الصلوات المكتوبة، من علاقته بالله سوية عميقة هو من تأخذ منه النصيحة، ما بينه وبين الله عامر ولا يلتفت للناس أن يراقبونه فيخشى رد فعلهم، ينتظر الكلام الجميل والمدح ويكره الصراحة والرأي الصواب، هكذا أنا دوما أحسب نفسي الأفضل وفي الحقيقة ما أنا إل الأسوأ "...فبكت لصراحته حسناء الخصال ووردة البستان وزهرته وفتاته الجميلة، سلمى رائعة الحسن زهر الخميل وشذى الورد وأمل الحياة... ثم رنت إليه فاطالت وهو يعشق تلك النظرة منها، وناهد هي الحلم الذي طالما سهر لأجله وغفا أيضا من أجله، ثم ها أنا أمسك بالدبور والنحلة وكانات طائرة أخرى، وهم على أشكال متنوعة عجيبة، الرفاق يضعون الشوك بذيلها وأذيالها، ويتركونها تطير، ولا يعلمون مقدار ألمها، بل العالم الله وحده، وحكام وطيبون وأولو رأي ومشورة ينصحونني ألا أفعل ذلك فأمتثل للأمر والمشورة، وآخرون لا يمتثلون، بل يزيدون من عذاب تلك الحشرات وغيرها من الطيور والأسماك والدواب والأنعام، والضحية وهي عصفورة صغيرة، لا تزال تمشي وتطير ثم تحط على كتف أنور وهي تحبه، يصيبها المرض وتشرف على الهلاك، ويبكي أنور ويقدم الزاد والماء والزاد والأكل لها، لكنها تشرف على الهلاك، وتظهر ملكة النحل وهي تشق الفضاء ومعها الهدد وأبو قردان وأبو فصادة والبطريق وأبو العز وآخرون وطيور وبهائم وأنعام، يتقدم الجميع طائرين محلقيين ومعهم العشب الطبي الأخضر العجيب، يقدمونه لطائر الضحية فيتعافى، يكاد أنور لا يصدق نفسه، عاد الطائر الضئيل الدقيق للتحليق تارة أخرى ورسا فوق كتف أنور وعند القارب الصغير ثم هتف وأنشد " وجدت فاطمة... وجدت فاطمة "...أذهل الرحالة وكاد يغشى عليه من فرط الفرح... _ " كيف هذا. أين هي؟! فأشارت العصفورة الصغيرة الضحية بجناحها وأردفت _ " إنها بالقرب من جدول سلمى الموجود بروضة حفني والذي نبعه ومنبعه دوامة بحر يوسف العذبة. لكنها مع الأسف تختفي للتو رويدا رويدا، ربما بطش الساحرة نؤارة والساحرة العجوز وظلم النسرو وجبروته وقوة ريمة لهم أثر بالغ في ذلك ". كان الجميع يستمعون وهم مذهولون بكل الأحداث الدائرة في محيط آلة الزمان والمكان، وعوني لا يزال يصارع الموج حيث تحول بحر يوسف إلى نهر الموت لتوه، وصيري الطيار الطائر _ قائد آلة الزمان والمكان إلى جوار صلاح الدين القائد العالمي للجيش الجرار، يتعلم منه فنون القيادة والقتال والمبارزة والشجاعة والإقدام، وها أنا ذا وفجأة اجتذب المستقبل فأجده يجتذب لي بفضل من الله، وما كان مني سوى الاجتهاد فقط ومن الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد، إذن أستطيع القول بأنني أتمنى وأحلم، وما يكون منه جل وعلا إلا منحي الخير وما أرجو وأتمنى وأحلم وما هو أبعد من كل ما تقدم، حسن الظن بالخالق العظيم مدبر الأمر يصنع المعجزات، وها نحن أولاء في المستطيل الأخضر حيث مهارات

الفتى وهيدى تتجلى في مراوغة وقتال من أجل الكرة، فهو ومجموعته من فريق الأحلام يتغلبون ويغلبون الجميع، فالظفر والفوز من نصيبهم، يمسك بالكرة إن صح التعبير اللاعب الأسطورة أشرف فيسحر لها وتسحر له، ينقلها بين قدميه في سلاسة ويسر ويرفعها صوب رأسه فيدفعها في رفق ويكرر الأمر والجماهير تصفق، ومعتز كأنما يحاورها ويغازلها، كأنما هي خميلة أمل وهو القاطف وردّها والمشتّم أريج زهرها، وعن يساره فمراوغة جيدة بل ممتازة، دفعته للكرة بسرعة لا تضاهى، ومراوغتها بإتقان وبراعة، ويمينه كذا تقوم بدورها على أكمل وجه، وعبد الرحمن أسطورة قلما تجد مثيلها في الكرة الأرضية والكون والفضاء الأعظم، ماهر بكل ما تحمل الكلمة من معان، والكرة الآن مع وهيدى فيرسلها عرضية فتستلم على القدم اليسرى لمعتز الذي يرسلها عرضية طائرة إلى رأس عبد الرحمن بالمقاس فيبعث بها عرضية أخرى في الناحية الشمالية حيث يدفعها بكل سلاسة ويسر محمد، والأخير موهبة منقطعة النظير، حيث يهديها إلى الشباك المتعطشة له ولها، وتصفق الجماهير بحرارة وتهتف لفريق الأحلام والأمل، وتشتعل المدرجات حيث يتم نقل المباراة للتو عبر كل وسائل التواصل الكونية والعالمية وما أيعد، وأنا معهم لا أفارقهم أبداً، أهاجم وأدافع وأغزل وأغزل وأراوغ وأمرر الساحرة وأبني هجمة وأحرز هدفاً، وأشرف يضحكني وخضراوي ينطلق معي وبقيّة الرفاق، نهزم كل طامح في تحقيق الكأس بعزيمة تداعب أنفسنا وأقدام ذهبية متألّنة ببريق الإبداع، ثم ها أنا ذا في آلة الزمان والمكان حيث في زرع وحقل القطن يرسو الحدث وتحط الآلة رحالها ومعها ملكة النحل التي تحلق تحليفاً أبدياً سرمدياً وأسطورياً، ويظهر المجرم المغتصب أكل الحقوق وهادم اللذات كالموت وهو يدفعني ويدفعني ويقرصني ويلدغني ويقرصني بعنف ووحشية وهمجية بكل خبث ومكر وكراهية وغل وحقد، لا يخيلني من يديه، بلغت به النذالة أقصاها، وما كان مني إلا أن استجمعت قواي وجمعت عافيتي وملكت زمام أمري ودفعته وركلته ففزت بهزيمته وصده والجوادر الأبجر يطير به ويحلق عله ينقذني من المهالك تلك، وها هو الرجل العنيد - سقيم الفكر كرية الروح وعجيب الهيئة والشكل - يستمر في مطاردتي والصبية يهرولون والصبيات تهرولن خشية اللحاق بهم من ناحيته، رجل جمع كل صفات الخسة والوضاعة، أكل هذا لأنني أصيف أي أجمع ما تبقى من القطن بعد حصاده وقطفه كي أذخر مصروفا يعينني على الحياة، أي قلب جاحد ماهر يحمله بين جنبيه، وربما للتو سوف أطعنه بخنجر مسموم كي أتخلص من تسلطه علي، ومن جل الآلام التي يسببها لي، وأكثرها آلام نفسية مميتة مهلكة، ثم دنا مني صديقي حسن وقد أحضر عصا غليظة، وشرع يضرب بها هذا المتغترس المغرور الجبار الظالم، يهشم رأسه ويكسر انفه ويلويه، والرجل يصرخ: "أدركوني أدركوني ... لقد أصبح مثل الفأر في المصيدة... لقد شفي غليلي وأنا الرحالة الذي يجوب العصر، وأسمهان تمسك بيد شقيقتها عزيزة وهما يمشيان على جانب الكثيب، حتى انتهيا إلى مشارف النخل الكومي، ثم استمرا في عدو وركض عجيب صوب القبور، والجنان يتراقص عليها ثم ينغمس فيها ويدخل إلى جوفها مرتديا كل الألوان وأخذ كل الهيئات

ومتخذاً إياها، وسامي يمر بابتسامته المعهودة وهو يدعو الناس للصلاة ويجهر بالقرآن لعل الجان ينصرف وقد كان، وعوني لا يزال يغوص ويخوض في بحر يوسف يواجه مصيره بعد كيد الساحرة به وله، وهو يتحول لتوه لصورة وهينة مرعبة وقد نبت الشعر الكث الكثيف بجسده ومناطق متفرقة من كيانه وروحه، والبهائم والأنعام تسبح خلفه لا تتركه، والحوث الصديق يحاول إنقاذه، ثم سرحت أن بفكري وشط عقلي واتقدت بؤرة اهتمامه ومقصد فكره فرحت أحدث نفسي والآخرين وأقول في حماس وغير حماس: "أنا بعد لا أدري إن كنت أنظّمها أم تنظمني هذه الرحلة بلا حدود، وهل أعد بها وأحسب كآلة زمان ومكان، ومن أنا بالأساس حتى أظن ذلك، لكن رحمة الله قريب، وأفوض أمري إلى الله، تالله أنا أحلم بالجنة وأستم رانحتها الذكية، فهل ستدخلني إياها يا الله؟"، مقصر ومهمل أنا وتارك للصلاة المكتوبة، وهي العهد بين العبد وربّه وهي الصلة الروحية الجميلة، والنعمة التي لا يحس بها ويفرح سوى مؤديها برغم الضيق، ولم أضيق بالصلاة وفيها الفرح والفرج؟، هل أخشى البرد أم أن روحي غير ظاهرة وغير سوية، ثم إنني لا أعلم إن كنت أنا الراوي أم الرحالة أم قبطان أم سندباد، وربما لست كل هؤلاء، وربما أنا هؤلاء وأبعد، ولم لا أكون زهرة ندية بهية، وغصنا رطيبا مليحا، وواحة أمل وجزيرة حياة ونبض، وربما أنا جبل يتحمل الكثير ولا يزال ثابتا لم تتل منه الرياح ولم يهده الزمن بتقلباته، وربما أكون الربيع ومباهج الدنيا وتقلبات الأيام. ثم استطرد وهمس ونبس ببنت شفة وتحدث والدنيا تسمعه: "كيف أنسى ما لم أدونه والفكر مصدره العقل ومنبعه شعلة النشاط الذهني المتقدة وذكرة الأمل المتجددة دوما بالرؤى المختلفة، وكل الحقب صديقتي ومؤنستي، ما كنت لأنظّم بيت قصيد أو تتكون لدي فكرة ثم تمحى بصورة نهائية، لا بد أنني وبعون الله سأذكرها وربما أبتكر فكرة وأشيد بيتا من الإصرار والعزيمة والموهبة الخلاقة الطاغية على تفاصيل الإبداع ونبت الحسن". فتعجبت لقوله قائلة في دفعة: "لا أستطيع فهم كلامك لكنني أحس به العظمة وبلغ اللغة وروعة التصوير". ففكرت وتمنى لو أن يطول المقام وتمتد اللحظات ويبت الزمن ضيفه الذي لا يستثقله أبدا، فمضى غير آبه بهجوم الوحوش عند الغابة الموحشة، وغير مبال بتلك الظلمة الحالكة والتي لم تبددها إلا الجدة أفيات وهي تعبر الدرب مصطحبة سراج الفلاحي المنير، فحياها وسلم عليها وبادلته التحية وهي تبتسم ابتسامتها المعهودة وتضحك ضحكها النادية الشادية والقادمة من عبق الماضي الجميل وروح الحاضر المثل الزهرة في روض الحسن البهيج، ثم أكمل الرحالة مسيره وقوله وهو يستطرد ويتابع ويردف مضيقا: "بعض الحين أرى الحياة جميلة مزينة بكل آيات السحر واللفظ والروعة، مزركشة بألوان الربيع وملونة باخضرار الزرع ونضارة النبت والطلع، وأراها مبتهجة مغنية شادية طروية". فنظرت إليه وملئ نفسيها الأمل ومقدار اتساع صدرها السعادة وحسن استقبال الحياة، وكان الربيع يشاركها البسمات وروح المرح والراحة النفسية، وعصفور على الأيك يظهر لتوه يحط فوق كتفها ويداعبها بجناحيه الجميلين، فتغني وتشدو سعيدة بكلام الرحالة وروحه الحالمة الطائرة فوق بحر يوسف تشارك إياه

اضطراب الموج واعتداله وانسيابه...فهمست والقلب مطمئن وهي تقول بصوت خافت حيناً ومرتفع بعض الحين الآخر، لكنه ارتفاع طرب وإبهار: "يا لك من أمير دق له قلبي ونبض الفؤاد واطمئن". لم يصدق نفسه حين ظهر كأنه يسترق السمع خوفاً من أن يكون هذا مجرد حلم سيفيق منه بعد برهة قليلة وهنية ضئيلة، وأرسل بصره والخوف يتجلى به، وهام ورنًا واقترب ودنا، ثم آمال وردة بفننها وغصنها في حنان ورقة وتركها تنساب وتستقيم تارة أخرى وهو يقصد مداعبتها...فابتسمت حسناء الخصال وهي وأنا إذا عند مصرف - عزبة عبد الواحد النواره والنسر - العذب، مياهه الجميلة مصدرها بحر يوسف من نهر النيل، مياه مرت بالنبت وجذره ومست شغاف قلبي حبا وهياما، وروت روعي سعادة وسرورا، الدبور يخلق بجناحين تحسبهما ظلا وخيالا، الصبية والصبيات يمسكون به وهو يقف مطمئنا على عود أو غصن أو أي شيء بارز، ويضعون الشوك في ذيله ثم يطلقون سراحه وهو معذب يشكو لله أمره ويحبس آلامه، والجميع يصفق سعيدا أن فعل تلك الفعلة الشنيعة، يحاورني دبور جميل منهم ويقول:- ماذا جنينا من إثم ليحدث لنا كل هذا، من يداوي جراحنا سوى الله، ألسنا كائنات مثلكم، نستطيع أن نلدغكم بسم أو بدون سم مصاحب تشم أريجها وتعانق عطرها الأخاذ وتهادت وسط النسيم الذي يداعب خصلاتها الحريرية الربيعية بنبض الربيع، ونهر النيل قد آل إلى هيئته وصورته بحر يوسف، فهما للتو كيان واحد، فإذ بي كأنما ملكت الدنيا وما أبعد.. ثم تبسم لي نهر النيل وأنا أداعب قطرات مياه صفحته الذهبية وقال لي: "أنا بحر يوسف كما تعلم، والذي أتحوّل لكل مسطح مائي في البسيطة، أتخذ شكله وأتكون على هيئته فأصير مطابقا له، وأنا عزبة عبد الواحد التي تأخذ شكل كل شيء، بالتالي أنا آلة الزمان والمكان". فتبسمت له بدوري وأعجبت منه وبه، وصرت أتهادي في صفحته إذ أنا الموج العذب وغدير سلمى وجدولها، وأنا المصرف العذب والكهف المهجور وبيت الرعب والهوة المتقدة، وأنا الزمان والمكان...بحر يوسف ينظر ويحار ويغار، ويحب ويسعد ويتمنى الوصال، وقد حطت لتوها آلة الزمان والمكان التابعة للرحلة بلا حدود رحالها عند روضة حفني، حيث يقف وناعسة عند بئر العجائب المنبثق والنابع من دوامة بحر يوسف خاطفة الأرواح ومهلكة الأجساد ومدمرة الأحلام، رغم أنها دوامة شريرة من عهود الجان نبعها، إلا أن ماؤها عذب سلسبيل طاهر، هي تضحك للتو تلك الدوامة وتبتلعنا جميعا، أحاول جهدي الخلاص منها، وأنا لا أعلم من أنا، ربما أنا عهد وسعد ووعد وأمل، ربما بخار ماء وجدول وبريق، هل قد أتيت من عصر أسطوري، أم تراني روحا تسبح عبر عمر الكون والفضاء وزمن المستقبل وعهود الدنيا والآخرة، وجل ما يدب في نفسي أنه حقيقة هو القرآن الكريم والكتب السماوية المنزلة، ثم لماذا يتمرغ حسين وعلاء على الحشائش الخضراء، هل مفارقتهما عزبة عبد الواحد وهي عينها النواره والنسر سبب بكائهما وعويلها، لماذا الأسرة تحرمهما من متعة الخضرة والجمال بالعزبة، وحسن لا يفارقهما أو هو لا يريد الرحيل عنهما وعن عزبة عبد الواحد، يستمر الثلاثة في التمرغ ومعهم صبية العزبة الخلابة الجميلة، والمسحور في الجهة الأخرى عند الشاطئ

المظلم من بحر يوسف يختبأ خلف شجرة المنية السوداء الملامح والقسمات، اللانهائية
الفروع والأوراق، وأميرة القصر نادية تطل من شرفتها وتريد فعل شيء ولا تستطيع،
يمنعها الساحر الشرير والنسر ونوارة والابن الضال وريمة العجوز الماكرة وآخرون من
جيوش الشر عبر الكون والفضاء والأزمنة المتلاحقة، ثم يعود بحر يوسف ليتغزل في نهر
النيل وهو يقول وأمير من يقصد به القول، وهو شاب وسيم حلو القسمات مليح الوجه
خفيف الظل، ترى البسمة في عينيه لها بريق خاطف وآسر، وحورية البحار تنظر إليه وفتاة
الصعل رشا وسندريلا الفتاة الحالمة وحسنا الخصال وسلمى والكثير من الكائنات، والحوث
الصديق لا يزال يواصل رحلته اللانهائية بصحبة أنور ونادية وتير وإسماعيل ووهيدي
واللول ومحسن وإبراهيم، فيعود بحر يوسف ويقول: " لك وجه حسن في الحديقة مشرق يا
نهر نيل في الربا يترقق قلبي يحبك منذ أول وهلة يا بحر يوسف كم علينا يغدق من خير
أيام وأحلام الدجى والسحر منك لقد أتى يتخلق ثغر لديك إذا تبسم مبهج وفوادي إن شغافه
كم تشفق على الجمال وكم يغار من السنا على ضيائك وإنها تتوافق عروس الصعل إن ذهبت
لتخطب حسن البهاء بها تغني تصفق ثم ذهبا حيث نخل في الفضاء رياض ورد بها الزهور
شقائى والموج يسبح في البلاد مسافرا والماء عند ربي الخمانل رائق والذئب حاول أن
يفرق جمعنا وإن كفك للأعادي مفرق هزمت ذاته منذ أول ضربة فهوى وضل وجسمه
يتشقق الصبح عندك مثل بسمات المنى وضوء لديك حين صبحنا مشرق أمير أنت إذ الجواد
صديقك وعن الفضاء من دون حسنك ضيق". والله إني ما رأيت مثيلا يا نبت خير في الربا
وأصيلا لك رغم أي في الزمان أجول رحالة شق العهود طويلا والليل حولك بحر يوسف بدر
وصعدت من لهف لدي نخيلا التمر فيه شهد عسل بان والنخل كان ولا يزال خليلا قد سرت
معك على الكثيب دليلا فاضأت لي من قلبك الفتديلا قنديل طيبة من عهدت صفاه كصفاء موج
يسمع التهليلا في يوم عيد جاء حل الآن يهب الجمال ويحضر التنزيلا ومضى الرسول وإنه
كم عانى في كل فج يهدي التأويلا ويدعو قوما للهدى والنور ونحن نهدي للزمان الفيلا في
نخل صعل بؤرة الحرمان ومقر رعب رأينا فيه الفيلا والضبع يهجم مثل موت آت وجوادي
يطلق في الفضاء صهيلا فشرعت أقرأ من هدى القرآن سلمان رتل آيه ترتيلا وقبضت قبضة
قوة بيمينني ثم اهتديت إلى الثبات سبيلا إني سليمان الفتى أشتاق أن ألقى أسدا دون أبقي
ذليلا وركلته حتى استشاط وثار غضبا وأضحى من طعاني عليلا وجاءت جموع من وحوش
الغاب فما رجعنا إلى الوراء ضنيلا وتركنا كل مهاجم قد غار بغيا علينا مفارقا وقتيلا قبطان
يركب في السفينة هناك وذات البساط تداعب الإكليل وعقلة من ترتجيه أمانى أن يستزيد من
التقى ويطيلا من صبر نفسه إذ تحل خطوب وعوني يسبح في المياه ثقيلا
والحوث يسبح عند نهر الموت وما حملنا للنفوس غليلا". يا باسم الثغر قلبي متيما هاما
وهوى مليحا حلو النفس مقداما ومضى يغرد مثل الطير في أيك وألقى التحية على الأحباب
وسلاما

و لقد خطرت مع الغالي على مهل حتى الربيع أهدى الورد أنساما والغالي أحمد كم أشتاق
رؤياه وجدت فيه آن النظم إلهاما، قلبي ينن إذا غاب الحبيب بكى ودموع نبضي أعواما، وأيا
أهداه منه على طول الزمان منى ففؤادي بدر تواق وما غاما هذي الحياة إذا ضوى الجمال
بدت ومضيت أحمد في واديهما أعواما ولو حظ حزن في نفس وكبلها لطويت ذاته ثم عبرت
عواما ورزقت فيها من الرحمن طيف سنا ولقيت منه من الخيرات إنعاما في بحر يوسف
تعبر موجه العالي حتى تزيل معاناة وآلاما في نخل الصعل قصة حالنا الأولى والنخل الكومي
علي حبيبي كم لاما النيل نهر من دون التقائي به أعيش عمري آلاما وأوهاما الموج منه
صفا نفسي وأحوالي وله خير خلت فيه أنغاما إني وجدتكم في صفو الربيع ربى وفي
الرياض كما طير وبساما....." ثم إن خوفا واضطرابي وزلزلة نفسي ورعبي، وكل ما تقدم
وأكثر مرتبط بالضوء والظلام، فلو ما يطفأ مصباح الحياة والإنارة حل الخوف والرعب،
ومع إضاءة المصباح والنور يتبدد الخوف وتذهب العفاريت المصاحبة لي ويولي الجان،
وها أنا ذا كما ترون بين اليقظة والنام والجان يتعلقون بأعلى باب الحجرة المخيفة التي لا
أعلم أن كنت غافيا فيها للتو أم نائما أم شبه مستيقظ، ضوء أسمر ونقاط مرعبة حمراء
وسوداء وألوان مختلطة ومزيج متباعد ومنجذب ومتفرق هي الجان والله يحيطون بي
ويطاردونني، يقرأ القرآن فيتقهقرون ويبعدون عنه، ولو صمت لحظة ينهشون لحمي
ويحطمون عظامي ويكسرون قوامي ويتعلقون بروحي ويتعلقون بكياني وروحي....آه
آه،،، أكاد أموت، لكني أحاربهم وأركلهم وأضربهم، أعود هابطا نازلا بظهري درجات السلم
وأنا أضرب بقدمي ويدي وأهتف متعلقا بروح القرآن ومن قبل كل شيء بالله الرحمن الرحيم
المنتقم، مشهد رعب هو العذاب بعينه، هم يتمكنون مني، لقد نزلت الآن إلى الدور والطابق
الأرضي، هم يجرونني ويسحبونني مستلقيا على الأرض، أحاول الخروج من باب البيت
فيسحبونني صوب النار والظلمة والهلاك، لا أري ولا أبي بالبيت...آه آه،،،،، آه آواه...عذاب
مقيم فتعجبت الكائنات من قوله وهم يرددون: " استمر يا رحالة واحك لنا ". كان الرعب
مرتسما على قسماته وملامحه وكان قلبه مضطربا يدق بسرعة رهيبة وكأنما أحمال وأثقال
الحياة برمتها وضعت عليه، فنظر للجموع وبساط فاطمة يحلق في الفضاء، فاستراحه
واختطفه ذلك المشهد للتو، وقد خطف خطفا به وزلزل كيانه من هول المفاجأة،،، " هذا
بساط فاطمة المتمدد والمتسع لكل شيء، إذن فاطمة قريبة من هنا " وبينما يحاول الرحالة
أن يطير صوبها، يكبل حركته الجان وينشب كل منهم أظفاره في جسده القوي فيدفعهم
ويقاتلهم بإصرار وعزيمة البطل المجاهد المغامر، ويرى الجميع المشهد وفيهم أم الرحلة
وسندريلا وحسناء الخصال وهدي وريم وسماح ومجد واللؤلؤ وخضراوي وشداد والطيور
والحيوانات والحوث الصديق والتنين الطيب والهدد وأبو قردان وأبو فصادة والبطريق
والفضاء الكوني والعصور والحقب، هنا بالتحديد تجمع آلة الزمان والمكان كل الأحداث
والأزمنة في آن واحد حاضر، ويظهر صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان وإلى
جانبه صلاح الدين قائد الجيش العالمي الجرار وشريف مؤلف الرحلة وشاعرها والحكيم

إيهاب عقلها المفكر والكثير الكثير، يشاركنا الرحلة بلا حدود الجماد والعباد والجبال والأوتاد وفرعون وهامان والأنبياء والرسل والصحابة والإنسان البدائي والحن والبن والكاننات الفضائية، هذا ولا تزال ملكة النحل تواصل تحليقها المستمر السرمدى الأبدى وعقلة الإصبع هو أسامة الذي يجلس تحت ظل الشجرة دائمة الإثمار ويحلم أنه أصبح في حجم عقلة الإصبع، فإذ بالحلم يصير حقيقة للتو، والضحكة تداعب أنور وهي تشرف على الموت، تموت الآن فيأتي لها بقطرات ماء وبعض الحبوب والغذاء، وها هي بأمر الله تعالى تصحو من جديد...فهتف الرحلة: "الله أكبر...الله أكبر" ويهتف صبري ومحمد وتنشد الطيور ويترنم الكروان، ويعود محمود من سفره البعيد عبر الزمن، حيث الأخير قد فقد الذاكرة، وكان قبل فقدانها يحب أمل شقيقة فاطمة ذات البساط، وقد تعرف بأخرى في زمنه الذي سافر إليه، ثم اصطدم بسحابة وهو يطير مع ملكة النحل فعادت له الذاكرة وتذكر أمل وعاد لها، وكم أمل هذه جميلة حتى كأنها الطبيعة والسحر والربيع، ومحمود في الفترة بين فقد الذاكرة وعودتها إليه قد أحب سعاد وذاب قلبه بنهر ودها العذب، لكن قلبه اتسع لهما - "سعاد وأمل" - ثم ها أنا ذا التقى وهدي عند الكوعة بعزبة عبد الواحد وهو شاب رياضي طيب النفس هادئ الطباع مبتسم وحنون، فأنا أقول له: "ولقد يكون اسمك وهدي من الوهدة وهي منخفض المكان، اسم يحمل الرقة والهدوء والطيبة، تقدم أيها الفتى وحارب بجوار سندباد والرحالة، ودعني فكما تعلم أنني أتية في هذه الحياة ولا أعلم بها شيئا." تبسم وهدي الذي يدرك أن علم الرحالة غزير وخبراته فاقت كل الحدود، فظل الأول يسير في دربه بصحبة الرفاق إسماعيل وحماة واللؤلؤ، حتى التقى الجميع بالشاب نمر، ورأوه إذ يتلو آيات الذكر الحكيم من القرآن الكريم بصوته العذب فيتفرق الجان ويتابعون بل وهم يحترقون الآن...انظروا يا رفاق،،،.... ألا ترون؟! فنظر الجميع فإذ ببركة القرآن تبعد الأشباح والغفاريت والجان.. غير أنني كنت بين اليقظة والمنام لا أستطيع أن أفيق والجان مسيطر عليّ، فلا زالت على هذا الحال حتى أفقت، فوجدت الجان متمثلا أمامي ظاهرا بعيون نارية بارقة متقدة وأظافر تمد وتمتد نحوي وتنهش في لحمي وتكسر عظامي وتقطعني إربا، وها أنا ذا أتعافي وتلملم أجزائي وأواجههم جميعا في موقف البطل الذي لا يقهر بسند ومدد من الله وليس غيره جل وعلا، وأتحول حيث كوني رحالة متحول عبر العصر أجمع كل شيء وأي شيء، أبلغ من السعادة مداها، ثم من الحزن أقصاه، فبينما أنا سعيد لا أخال نفسي أبدا سأصل للحزن يوما أو سيصل إليّ والعكس صحيح تماما، وهذا عيب كبير في تفكيري واندفاع العاطفة لديّ، ثم ها أنا أراه فيسعد فؤادي ويدب الأمل بنفسي وتنشع روعي فأقول والسعادة ملئ كياني: "ارتاح قلبي لما رآك والبال وتجددت بك يا عرابي آمال فالنفس تسعد إذ تلقاك والعين ولا يفرق بيني وبينك البين والطير غنى في الروضات أو يشدو والراعي يفرح لما تطل إذ يحدو والليل ضوى في البسمات عنوانا والزهر يبدو فوق الغصن ألوانا يا نهر نيل يأسر قلبي لو يجري وحبیب عمري ويملك في الهوى أمري رغم الآلام ورغم الحزن لم أزل أرى بوجهك كل السعد والأمل يا بحر يوسف حيّ العزبة الحلوة والابتسام

وزهر الروض والحلوى جد إليك أنا تالله مشتاق فأنت لي بعد الرحمن ترياق نبت طيب أنت
عرابي والفنن إني أحبك مهما قد مضى الزمن فلا الزمان إذا ما مر ينسيني والحب يملأ
نبض القلب ووتيني حتى عدونا وكانت بالربا سلمى وسلمى كانت وحتى الأبد لي حلما تالله
إنك يا حبيبي مكرم وطيور أيك حول ذاتك حوم والبدر أنت في الليالي وضوءه ووتين ذاتي
ونبض نبضي وركنه. فتأملني الفتى عرابي وهو معجب بأسر حرفي قلبه، وأنا في الرحلة لا
أعلم من أنا، هل أنا رحالة يتشكل ليشكل كل الشخصيات والعصر؟!، وربما أكون زهرة أو
مركباً أو محلقة وعهداً وحقبة، وربما أكون خيالاً وهيكل عظمياً وكائناً يحيا في القبر في
روضات النعيم، وأنا لا أحب أن أكون معذباً في قبري، تالله لا أطيق العذاب... ارحمني يا الله
"...ظل يتحدث وهو لا يعلم شيئاً أو يدري كل شيء، الأمر ونقيضه متلازمان معه، شخص
يحير العقول وشيء في الحياة ليته يعلم ويدرك كنهه وكيانه، ...اختلط الأمر على عرابي
وكأنه أمام جان متشكل متحول، ربما هذا مسحور سحرته العجوز ذات البيضة والحجر
والبلورة السحرية، وربما يكون عوني ذلك الصابر المبتسم حسن القسمات والخلقة والخلق،
والذي لا يلقيه المرء إلا وهو باسم مطمئناً قلبه...ظل الفتى عرابي يركض خوفاً منه، فما
يراه للتو ليس إنساناً طبيعياً، إنه يتحول لكل شيء وأي شيء، كما هذا مرعب ومزئز
للكيان، رحلة تحمل من العجب الكثير وأنا لا أدري أمر هذه الحياة، بيد أن كل ما أظن إليه
أننا قد خلقنا لعبادة الله تعالى، وهذا شيء جميل جداً، هذه نعمة وفضل منه جل وعلا،.....:
"ما بك يا رحالة، هل تحدث نفسك، أم هو تفكير بصوت عال؟! " جملة قالتها سلمى وهي
بجوار جدولها العذب، وناعسة معها هي الأخرى تعجب من أمر هذا الشخص الذي يتمثل
بكل شيء، هذا الذي لا يعلم إن كان ذا نبض وقلب، أم هو وهم...انتبه الرحالة لهما وهما
يتعجبان من أمره فتقدم في ثبات وثقة صوبهما وهو يعدل من هندامه ويعدل قوام ظهره
ليبدو في استقامة واعتدال، وهو حلو القسمات خفيف الروح طيبها، محبوب في إطلالته
وجميع فعله وقوله، فهو إن أراد أن يكون فارس أحلام فعل، مقدرة عجيبة ومهارة منقطعة
النظير يتحلى بها...تقدم أكثر وهو يقول: " أنا مثل أي شخص وإنسان طبيعي، بيد أن الله
رزقني بقدرات ومنح من عنده ليست لغيري.... وهكذا فالمشهد يتجلى ويتجمل إذ به
سلمى وهدير وغدير وبه محمد وخضراوي ووهيدي، والرحالة وأم الرحلة والفارس المثلث،
وعرابي والطيور وحمدان والذئب العجيب وشقيق حمدان هادئ الطباع جميل الإطلالة
والطلعة، والفتى عوني إذ لا يزال يغوص ويعوم ببحر يوسف بعد أعمال عجوز الكهف ذات
البيضة والحجر واللؤلؤة البلورية سحرها به، هكذا تبين المشاهد وتتداني وتظهر وتختفي،
ثم يتقدم الفتى واعر والبسمة ملئ فيه وثغره وكيانه، فيعجب منه الرحالة فيغرد ويقول
والطير معه، والفضاء الكوني وما أبعد يسمعه: " هو الأمير برحلة عيونها كحلى، ما منه
أجمل بروضها ولا بها أحلى، تجملت من ناظرين له وكم تمضي، تطوي الفياقي والربا
والواحة الرحلة، هو الأمير واعر والصحب والأمل، وهو الحبيب وماهر آت ومرتحلا، بلغ
الأماني بصبره وحكمة فيه، والنيل يسري بزرقه وتطرح النخلة، ثمرًا يطل بروضه والغصن

من فيض، لا يقحل النبات الجميل في حقله قحلا، له الرياض تزينت وإنه فيها، زهر وورد
والمنى وقدم السهل، الغَيْدُ يَعْبُرُ والدجى بنوره الساري، وعبر الظلام مانحاً أعداءه مهلة،
وعنه يعفو إذا قدر في موقف القوة. ويقول عند الملتقى وموقف أهلا، به بحر يوسف جنة
وواحة الأمل، والكَوْعَةُ عنده إذ مضى سهيلها أغرى، وجند يزود جميعهم عن نخل ذي
الصعل، ونخل كومي قبوره شعاعها أسرى، والموج يسري جدولا من عذب جنات، ونهر
كوثره يرى مسافرا دهرًا. " فيصفق صابر، وهو الذي لم يعد كسولا، بل يدب النشاط في
نفسه وهو يتجول بحقول القطن في طور بدايته قبل ظهور الذهب الأبيض بلوزته، ينتقي
وينقي اللطعة ويتعرض معنا للشتائم والسباب، فيرد كما نحن نفعل بإلقاء الطوب والحجارة،
أطفال نحن في مثل عمر الزهور، لم يشد عودنا ولم نستقم بعد للحياة أو نواجه صعوباتها،
ما زلنا في البداية الأولى، إجرام من قبل رئيس العمال والنفر والخولي والمسؤول عنه،
والقائد الأعلى للإدارة الزراعية في حقول وأمالك النسر والساحر الشرير وريمة ونوارة،
ونحن نعبر ونتجاوز تلك الفترة أو ها نحن أولاء نحاول، حيث يمر صابر في مزرعة المعانة
وتسمى الوزارة، وعبد السميع يشبع الصبية ضربا وكذا يفعل محروس وحسن وعاطف
وشحاتة، تالله كأننا لسنا بشرا، وربما الحيوانات ترحم ويخفف عنها أما نحن فلا... يقول
الرحالة رغم أنه يعاني ويبكي: "، حول نخل الصعل تشدو الحقول، وصابر يمر فما الليل
يطول، وفتاة الصعل الجنية تراه، فلا من رؤياها يصيبه الذهول، ويراه توا واعر لما إذ
يمضي، ومصطفى واللؤلؤ ومحمد الغول، والذئب يقطع دربه محمقا فينا، وحمدان مع الغنم
والغنم يجول، والشمس ما طلعت والليل خليل و خليل الفتى يضحك ويقول: " - بحر يوسف بك
عزبة عبد الواحد ومن عشق اللقاء لا بد ينول " وكريم مصر مزرعة الجمال، وكريم ابن
خالي حوله السهول، ونوارة نسر والساحر وريمة، والنيل والربيع والنهر والجنود،
والأنكال والجحيم والجنة والنار، والوجل والغصة والعسل المعسول، واجتمع الأشرار
الأربعة هناك، ومَشْكَاح لا يرضى والبقرة الحلوب، قد أعمل الساحر الشرير الكيد، ودقت في
الكومي من الموتى الطبول، والثروة زحفت عند جدول سلمى، وقد هل الإشراق وولى
الأفول، وحسين وعلاء في القمح السعيد، قد تمرغا وفرحا وحسن يطول، شرح حبي له فهو
في الشغاف، قد حط وسكن وأتى الأسطول، كي يحارب صحبي يا صابر فاشهد، أنت نبع
صاف لا الهم تعول، في بحرك يوسف الأمل يطل، والعزبة فيها ود موصول "، ثم يكمل
الرحالة الراوي ويستطرد: _الأصل أنت وحسن الخلق والكرم، وحسام جنبك ثغر منه
مبتسم، شابان ذهبا في الرحلة ولاذا بها، مضيا بساحها حيث لقاءنا قسم، حلت علي إذا خلت
الجمال منى، من أمنيات يسطر حالها النظم، حتى سبحنا في بحر الجمال معا، هو بحر
يوسف وشاهد فرحنا النسم، وفي نهر نيل كان الموج مشتاقا إلى لقاء وكنا فيه نرتسم مثل
الورود وقد صفت بغصن ندى ونور الصباح على ألحانها بسم في نخل صعل ظهر الجان في
الحقل ونخل كومي في أيامنا نغم نسر يطل ونوارة تضيق به ذراعا لأنه لها من حاله سقم
يريد يحكم أجيالا وتبقى له سيطرة أمر ولا لغيره الحكم حسام جاء مع كرم بجيش ربا لا

يطوى عضده ولا يوما سينهزم، بأمر ربي وقد جال البلاد مضى، وصال فيها ورب العرش
منتقم ينبوع سعد والزهر الجميل بها ولا يمس رحلة متعة هرم تزور قلبك أفراح وأحلام
والوجه منك مزدان وبسام يا نهر نيل يجري في الربا أملا، وبحر يوسف تمضي عليه أيام
وبساط أمل في الليل البهيم سرى حتى كأنه آيات وأنسام وبريق أمل ما اليأس المحيط به
يقضي عليه ولا الآلام والسام فكيف تنزل بالقلب الرقيق دجى أو قد تحط إذا ما عانى الآم في
نخل الصعل حكايات الهوى تتلى ونخل كومي تسطر فيه أقلام ورشا العروس بهذا الصعل
نادية ولسلمى جدول خيرات وإقدام ولحفني روضة أشجار وقد زرعت بحلو نبت وكم للنبت
إكرام وأراها عزبة أحلامي وطففت بها عبد الواحد اسمها ولها من ربي إنعام بها نبت ود
ونوار وفيض منى ونسر وجسر وعبرات وأيام وبها شفاء وشوق القلب والسقم بل فيها ليل
وأنوار وأسقام قبطان هيا فالليل البهيم كسا روضات ثمر وكثرت منا آثام يا سندباد تقدم هيا
وانطلق، فسندريلا من تشتاق وترام، وبنخل كومي أشباح القبور أتت، فلا محبة تبدو الآن
وونام، وعروس نخل في الصعل الرهيب ترى، وإن عوني بنهر النيل عوام، والنيل يوسف
بحر الحب والأمل، بهما الجمال وصفو النفس وغرام، لي فيك يوسف بحر النشأة الأولى
ذكرى وفكرة وحب العمر ومرام "من فرط جمالها رحت أحلق كالصفور تحليفاً طبيعياً
حقيقياً، وصعدت صوب القمر فرأيته بدرًا، ووجدته جسماً معتماً يعكس أشعة الشمس،
ولقيته جرماً سماوياً جميل الملامح والقسمات، ها أنا ذا أصعد وأطير دونما مركبة فضائية
ولا بذلة فضاء مجهزة ولا مكوك وطائرة ولا جناحين، المدد والعون لي من قبل الله تعالى فلا
تعجبون فعند الله الكثير من العطايا والمنح، ولم يطلق الصاروخ الدافع المركبة الحاملة وأنا
على متنها، تحليق حر أنا به للتو ومعى ملكة النحل والفتاة مريم تجلس على جناح الحمامة
العملاقة وتحيي الجموع، ثم ها هو قصرها الطائر وهي بجوار فتاة القصر في شرفتها
المرصعة، وأنا الفلاح الذي أسكن مع أبي وأمي في حديقة قصرها، ننظف الحديقة تلك
ونرعى الأسرة الكريمة، الرحالة اسمي وكل اسم بالرحلة أحيأ نبضه في كل زمان ومكان، أنا
كل الناس والشخصيات والكانات، شجر وزرع وورد ومحيط وبحر يوسف وواحة الحسن
وعهد الفراعنة والأسرات وعهود الانجليز والعرب والعجم والبعث والنشور والقبور
والنخيل والأعنان، ولست كذلك أدري من أنا، غير أنني أعلم يقيناً أن الله هو مدبر كل شيء
وهو كل ما نأمل في هذه الرحلة التي لا بداية لها ولا نهاية لأنها من صنعه وتكوينه وهي
روحه وملكوته جل علا، الأول فلا شيء قبله والآخر فلا شيء بعده، وعن مريم، فهي تحلم
بي وأنا أحلم بها منذ نعومة أظفاري وتحديد مساري من قبل رب العالمين"...كانت مريم
مذهولة بما يقول الفتى الرحالة من قول وهمس، فدنت منه هامسة ونظرت إليه متفحصة
إياه ترنو في هيام وتطيل وتنظر بطرفها الأسر الجميل وتقول:"موهوب بكل المقاييس
أسطورة يحكيها الزمان أنت..."فتعجب لقولها وهي التي تصد قوله دوماً، وهو متأكد أنها لا
تبادل الغرام والود، فظهر الخجل في عينيه وأبعدهما وذهب بضوء طرفه بعيداً، فدنت منه
أكثر وأكثر وهي تطير حرة طليقة في الفضاء الكوني العريض، والبساتين حولها وهي

الزهرة بها والقطوف، وكان الرحالة هو الآخر يغني ويشدو ويطوف، فحاول جهده تحمل الضوء المنبعث من مقتلتيها وقد كان ضوء غامر، وهي تسلط ذلك الوميض والسنا من ناظريها الناطقين بالميل والحب له، وكأنه يراها لأول وهلة، وهو من يرى الحياة الآن يعمها الربيع وتشملها السكينة ويشتملها الهدوء، مال بجسده وكأنه يترنم، واستراح على موج أمل من نسانم جوية والطيور حوله تشاركه الفرح وكذا أم الرحلة وأم الصغار، والعالم الجليل والفيلسوف وقبطان وعبد الرحمن ومعتز ووهيدي واللؤلؤ وضرغام وسلطان وحسن وآخرون كثر كثر، ثم أطلق لنفسه وكيانه وجسده العنان وهو يجاور القمر الذي أضى بدرا، والقمر يبتسم له، ولقد رسا على سطحه وأصبحت وزنه والكائنات سدس ما كانوا عليه وهم على الأرض، وعقلة الإصبع يعجب ويتعجب، والحوث الصديق لا يزال يسبح في الفضاء والقمر مثلما كان يسبح منذ برهة قليلة في بحر يوسف المتحول إلى المحيط الهادئ والأطلنطي والهندي، ونهر النيل والأمازون والفرات والمسيبي، وغدير الأمل وروضة حفني وقصر فتاة القصر والكهف المهجور و.....و.....ثم هو الآن يرى مريم وفتيات الرحلة وحوله الجميع والكائنات وهم جميعا يسبحون على سطح القمر طائرين محلقيين طائفين بجماله ورونقه، إذن أصبح القمر قمرين والبدر بدرين بل وأكثر، وها هو الرحالة ينشد ويقول: " قد أسرت فوادي الفتاة مريم، فتمنيت رؤيتها وأنا أحلم، علني في الحلم أرى طيفها، وثغرها العطر يغني ببسم، وكنت في الواقع لا أجدها في قصر عال هي تحكم في قلبي ودها وعيناها بها سر هيامي دونما أتكلم، لو كنت أخوض الأخطار لأجلها أقدمت عليها ولا أندم، هي نهر النيل في سريانه وبحر يوسف يتبسم، وواحة أمل وينبوع حسن وكروان فتن يترنم، وسعادة روح قد حلت بيّ والبدر والقمر والأنجم، على كتيب الحسن عدونا معاً وفي بستان السعد أنا مغرم، بها إذ هي الطير شدا وعصفور الغصن والعالم، وهي الزهرة في خميلة هدى والحلم السعيد إذ يقدم، وفي حقل الآمال تفاحة وفي روض الظلال تتناغم، كاللحن السعيد من وتر الندى وفي نخل الصغى تتعلم، من خبرات عجوز الربا والدجى وعلى نوايب الدهر تتأقلم، وعدونا سوياً في جنة وركضنا معاً نتنعم، بفيض الكريم وفضل له وكره الخير لنا الظالم، عزبة عبد الواحد هي قصتي ومريم في العزبة لا تظلم، لي يا مريم أنت الورى وجل الناس ونسانم وربيع جاء وطيّر معه وجيش عظيم عرمرم، فلو خضت حرباً نلت مناي فجيش حبيبتى يتقدم، عيونك جند لي في الفتح وطرفك جرح يتفاقم، لو ما إليّ يهيم ويرنو فاني ولا شك معدم "، وهذا هو "سيد" الفتى الجميل معي في الرحلة معنا في ذات المشاهد التي تجمعها آلة الزمان والمكان بالرحلة، وهو يطوف معنا بالقمر والمجرات والأجرام وكل الكون والآخرة والأولى والبعث والنشور وحياة القبور بالنخل الكومي، وهو مغلوب على أمره، ينظر إليّ بعين دامعة وهو يقول: " نحن الضعفاء ليس لنا مكان ولا تسمع لنا كلمة، مساكين ننتيه في زحمة الحياة، والمجرمون كثر وهم يسيطرون علينا بالتحكم فينا وفرض الرأي، ويجعلوننا نعمل بالسخرة في الحقول والبساتين التابعة لهم وفي زراعات القطن... ألا تروننا؟!، وكذا حالنا مع السخرة وبدون أجر ونحن نعمل في صعوبة

بالغة في الأراضي الزراعية المزروعة والعامرة بالخيرات، حتى أنه لا يحق لنا الأكل من خيرها وتذوق جمال صنيع الله بها ". فأتألم كثيرا لقوله وأبكي بكاءً حاراً، وتنساب الدموع من عيني غزيرة حارة، فأربت على كتفه وأنا لا أدري حتى من أنا، هل أنا روح في الرحلة طيب جميل أم كيان غريب وجماد وطير، أم شاحنة تشعر بمن فيها وكأن لها قلب ونبض، وسيد يعجب لتحولي العجيب.... ونستأنف قتال الجبابرة ومحاربة الوحوش المهاجمة في ضراوة وإقدام وحيث أقول له: " دحك مما يحزنك، وهيا يا سيد نواصل تقدمنا صوب جزيرة الأمل، هل ترى هذه المحلقة الطائرة والمركبة الفضائية في الفضاء الواسع والكون العريض والفضاء الكوني اللانهائي؟! ". فينظر سيد إليّ وإلى تلك الصور الممتدة العجيبة لتحولات الآلية الزمنية المكانية الأعجب، فإذ بها تتحول وتتشكل لهينات عجيبة أخرى فرعية وأصلية ثم تضحي صاروخاً ثم غواصة وتتحول لمركب " فاطمة ذات البساط " ثم إلى " نخل الصعل " ونخل نمر والنخل الصغير، وإذ بها للتلو معمل الرعب عند الثعبان ذي الجوهرة البلورية، ثم تتحول لبحر يوسف حيث عوني لا يزال يسبح في المياه والعجوز الساحرة ذات البيضة والجوهرة الدرية تنظر إليه وتطلق صرخاتها المزلزلة وهي توجه سحرها إليه، وللتو يضحي عوني مسحوراً مرعباً يطفو على مياه نهر الموت وصفحته الأزلية المائجة وهو ذاته بحر يوسف المتحول لأشكال وهينات لا نهائية في بؤرة الرحلة وقلبها النابض وهي عزبة عبد الواحد النواره والنسر، والرحالة يظهر عند جدول سلمى وسط حديقة حفني ومع الجمع ناعسة الرائعة البديعة وهي تشفق عليه إذ تراه يتألم لفراق أمه وهو يقول: " أماه أمي كيف سيشرق الدار؟! أو يبدو زرع في حقل ونوار؟! قلبي وعمرى والدنيا وما فيها بعد الفراق أتيه اليوم وأحار، هل يبدو ورد في روض كما زعموا؟! أو حلو ثمر وأطيّار وأزهار أنا لست أبداً في الدنيا بمعترض لكن دمعي فياض ومدرار، دمع الفراق إذا ذهب الحبيب روى بستان عمري ولست قدرى أختار وتُراه يُنبئ أحلامَ المنى أملاً فتحاكي نبضي في الروضات أشعار، هذا الزمان بنا يمضي فيؤلمنا قاس عجيب ومنساب ودوار وبحر يوسف من نهر المنى يجري عزّاً لحالي نهر النيل وفخّار، أمي سنمت سنا الدنيا وما فيها تبكي عيوني ويبيكي فراقك الدار زحف الظلام إذا أمضي ويشملني وضمتني فيك منارات وأنوار، وكنت أحكي إذا ضاقت بي الدنيا فيزال ألمي وما تشقيني أسرار، وإليك أشكو ما نبض يؤرقني فلك بقلبي حبيبة روعي مقدار، رأيت طيفك في حلم فرحت به وأطل زهر بروض الخلد وبهار سكنت ديارك في الدنيا وملانكة وحوار سكن وأخيار وأبرار " ثم ها هو يظهر أنور، بل هو من يظهر دوماً وليس الآن، متبسم إلى حد أنه يؤسر كياني، وأنا الغريب وهو الباكي المتأثر من قولي وأحوالي، ذلك الطاهر نقي السريرة يؤنس وحدتي ويحنو عليّ، باسم الشجر طيب القلب وأنا الرحالة المتحول لكل الشخصيات والأشياء حتى، والحوث يضحك وهو يتجول بنا في كل درب ويعوم ويسبح في كل مسطح مائي، يستقلنا والأطفال ويضحى متنا لنا وماوى وفراشا، هو سكن جميل وصديق صدوق، وفتاة القصر نادية لا تزال معجبة بل مأسورة بالفلاح القاطن مع والديه في بستان السحر الحاوي للقصر، وفاطمة في خط

مواز فوق بساطها ورغم أنها ضريبة تلمسه فيطير ويتسع ويشمل الكائنات، وبعضاً سحرية منها يتحول لهيئات عجيبة من هينات وصور آلة الزمان والمكان التابعة للرحلة بلا حدود، حيث ينشد الرحالة ويقول: " وشقيق لي اسمه أنور الروض هو إذا يزهر البسمة منه ربيع أتى ويسقيه وقد ظمأ الكوثر ها نحن نسير على شاطئ بحر يوسف نتحاور شادوف الأمل على ركنه والماء لدى الوادي يبحر قد قلت: " أخي أنا في صحبتك لا أبدا أبدا أتحير " أطوي الآلام وكل الأسى إذا ما طال المدى أعبر تبسم لي وفي قلبه معاني الود بها يخبر ورحنا نعوم ببحر الرضا وحولنا زرع الربا الأخضر أنا الغريب لقد قتلها ولست أخيك ومسافر إني بعيداً فثار وبكى وكان بحالي يتأثر مثل شمس إذا تشرق وبدر هو ومنور بنخل الصعل لنا قصة ونخل الكومي من يسكر جان به وعروس الدجى وساحر نفس كم يسحر وريمة تروغ كما ثعلب ومن جمع يأتي هي تسخر ومن نؤارة ما يعجز والنسر صديقها كم ينذر دوائر شر بها الدائرة تلف تدور وتتبلور ومسحور البحر اليوسفي ينشب ظفره ويتصور وينهش لحم الذي يقبض عليه ويأكل ويسيطر لكتمته في فكه لكمة فخر صريعا يتقهقر وأنور يركله كالذي يمسك من يبغى يأسر وعبد الصبور لدى يوسف شاب جميل لكم يأسر قلوب العزبة من طيبة عنها أنا لكم مخبر لم أر مثله طول المدى عزبة عبد الواحد كم تنثر معه العطر بكل الدنا ونهر النيل مضى الأسمر " ويستطرد الرحالة ويردف سعيداً مبتهجاً وهو يقول واصفا الشاب حسني الباسم الجميل: " الفرح ضوى في عينيك والسعد والزهر يعبق من روضتك والورد حسني إليك من الروض الجميل ربي ومن قلبي ولو طال المدى ود لو كنت تعلم ما كان الفؤاد به من الوداد لأخبر حالك العهد عهد المودة والفرح الذي كان ولا يزال إذا بلغ المنى الرد فالمرء يبلغ من روح الأمانى هدى كعذب ماء في نهر مضى يرد يا نهر نيل في الروضات كم يسري وحلو غسل في الروضات والشهد حتى عدونا في واد بذي زرع وعن الإرادة ففي قلبينا تتحد في بحر يوسف وسبحنا تجاه دجى والبدر ضوى وشمس الحق تتقد وبنخل الصعل أيام الأفول مضت وظلام ليل ضوء محبة يلد والكومي نخل كم طاف الفؤاد به من ربي فيه لا من غيره المدد ونخل نمر لي ذكرى السنين به كم صال فيه وكم جال الربا الولد وصعدت منبر ذا الطهر الطهور ترى تحكي وتخطب فينبأ حالنا السرد وتقول تشرح وتقص الكلام لنا ودليل قولك كلمات لها عمد قرآن تتلو والذكر الحكيم هدى وعن النبي أحاديث بها السند " كحلاوي والكحل تحلل في مقلتيه، ها أنا ألتقي به عند بستان ممدوح في النخل الصغير الذي يحوي ويحتوي النخلة الخرساء الطائرة في فضاء الرحلة والملتصقة بأرض السلام والمحبة في عزبة عبد الواحد النؤارة والنسر، حيث طائرة ومحلقة رش المبيدات لنبات وشجيرات القطن طويل التيلة تصف جناحيها في زهو وجمال، ومجد يصف ويقص ويسرد ويحكي والأحداث دائرة والمشاهد متجلية ظاهرة كائنة، والقطوف تقطف وتجمع، وكل يضع صرة الأكل الخاصة به في حقل القطن في غير أوان الرش، حيث القطن في طور النضج والربيع وآفته تسيطر على وريقاته، ويظهر حسن بجانبه وهو يحاول طي الغصن والأوراق برفق كي لا تنكسر وتتهشم وهو يبحث عن اللطعة

ويحرص كل الحرص ألا يترك واحدة خلفه... واللطعة هي تلك الدودة التي تصيب ورق القطن في آن نضارته وشبابه وحيويته كي تحرقه وتلهب كيانه وتدمره، والمفتش يتحين الفرصة لإخبار "الخولي" حيث الأخير هذا هو رئيس العمال الذي يعاقب من وجد خلفه المفتش لطعة بلطمه وصفعه وضربه بالعصا بالسوط في قسوة ووحشية، وكذا الرئيس الأعلى، تقدمت صوب المهندس الزراعي والخولي والمفتش وأنا في ثورة عارمة وقلت في ثبات يحسد عليه طفل وصبي في مثل عمري، وكحلاوي فتى يتقدم معي في ثبات وجرأة ومعنا إسماعيل والفتيات عزية وتبر وأسمهان سمهانة وحمامة وأخريات وأخر، نحاول رد الشتائم والسباب والقذف والسب والنهر والضرب والصفع عنا بشتى الطرق، لكننا نواجه بأعنف طريقة وبصد عجيب من ظالمين يسيطرون على المقدرات، أنا في إصرار عجيب لم أتقهقر قيد شعرة أو أنملة، واصلت المسير لا أبالي فكم وكيف الظلم والعقاب وأنا أقول: " معاملة قاسية ونهج وحشي، لم كل هذا الضيم؟! " فلم أكد أنطق بما سبق حتى انهالت علي اللكمات والطعنات وطوقني الغدر، فالتفت إلى الوراء فإذا بعصبة الظلم والبغي كأنهم ذئاب وجدت وليمتها وضباع تلتهم الفريسة حية، اقتلعت جزعا كان ثبت في الأرض وحملته أصد به الهجوم والدم يتقاذف مني ويخر من مواضع ألمي والشمس تزيد أوجاعي، ثم قفرت حاملا إياه والجميع يعجبون، إنه ليس بتصرف صبي ولا مقدرة طفل أن يفعل هذا، وحلقت بجناحين وبدون أجنحة وصرت على غير طبيعة حاكمة ومميزة، قدرات غير عادية تميزت بها، وهنا يجمع الساحر الشرير سحره كي يواجهني، والفتيات تصفقن لي وتزغردن، وأبو قردان يتبع ظلي وملكة النحل تستدعي جيوشها وتحلق فوقني ومعها الكائنات حتى كونوا سحابة حجبت الشمس وبعثت بالظلال، وكأنها الظلمة تقبل وموعد المغرب قد دنا، تقهقرت ريمة والنوارة والنسر والساحر والظالمون، وتجلي كحلاوي يحييني فأحبيه والجميع وأنا أسرد وأنشد وأقول وأبدع: " الورد أنت وفي الربا المشهد الحسن والابتسام مع المنى ولو مضى الزمن والهوريات مع الجنان أقبلن في سعد فراقهن بديعك... في ثغرك الفنن أيا جميل ووردة في غصننا النادي زالت بطلعة حسنك من الفضاء المحن يا من سعيت لالتقي الود في قلبك أنت الجمال بروضا والسعد والغصن يا نهر نيل لو بدا فالسعد كم يبدو والنهر فيك جداول ويرومك اللحن قم يا جميل وواصل السير في كد أنت البهاء وضوءه والنور والفن حلو الملامح راقها وتطل قسمات من ذات وجهك باسمه ويهابك الجن دع ما يعكر صفوك وسر وفي سعد فقد تساوى عندك السر والعلن حلو الإيمان وسره كم يسكب القلب على الودائع تؤتمن فالحر يؤتمن سر الخواطر جلها كالجهر والعلن وما بذات صبيحة يا صعب تفتتن " لك من عرائس جنة وجمالها الحور ومن الرياض زهورها ومن نهرها العدن هذي حياتك فصل ما كان منقطعا من الوداد بدربها سيحبك الوطن ووقفت القيثارة الطروب، درة الزمان وبهية البستان تطل على " أنور " وهو يركض على الكثيب ويطوي القفار ويكتم الأسرار، وحمدان مع شقيقه يرعى الغنم عند واحة الأمل وغدير الحسن، وظلمبة تامر ومردار المياه الخاص به يدر العذب من المياه وكذا الياقوت والمرجان والذهب والزمرد،

والفلاحة تدير الطمبورة وتنادي على أنور أن تقدم بني، الجان يطوقونني " أنا الفارس المثلث وهذه قصتي وأنت تشاهدها وتشاركنا الرحلة وكل شيء كذا يفعل " تبسم الفتى والسعادة غامرة نفسه وتملأ كيانه، وتقدم صوبها يزود عنها، وهي تضع اللثام على وجهها وتبين فارسا مقداما جسورا، عجب منها أشد العجب وكان يرتدي جلباب الحرب، أنى عليها وهو يصد هجوم الجان بحكمته وإيمانه، مفتول العضلات معتدل القوام، ماهر ورياضي وحاذق الفكر ومنضبط النفس، قارئ للقرآن الكريم مصل على النبي ﷺ، وكانت رشا بنخل الصعل تطل عليهما وتعلم قصتهما، دنت منهما الفتاة وهي تعجب بأنور أشد العجب، وأبو عوف يلاحظ هذا، تفرق الجان في الحال وانفضوا من حول الجمع، وماج شعر رشا الحريري تداعبه النسيمات...ماج في الهواء الطلق يلامس خد أنور ويداعبه، ولم تقصد هي هذا، لكنه ترتيب القدر، والفلاحة تدير الطمبورة ومدرار المياه الاسطواني الملتف من مصرف عزبة عبد الواحد النوارة والنسر، وأم الرحلة تجمع الحصى وتضعه في القرن فيلتهب تحت وطأة النيران المتوقدة عن طريق وقود الجلة الناتجة من روث الحيوانات، وأم الصغار لا تزال تبحث عن طعام وزاد لأبنائها وصغارها وبناتها، فشرعت تنشد وتقول: أنا عن صغاري كم أبحث وطرقي على حالهم ساهر أمشي على ضوء نور بدا وليلي ظلامه متقهقر بحيرة التماسيح بها فارس مثلث إنه ويدور معي عن غذاء وكم يعمل ومن كل جمع بغى يثار ومركب فاطمة ذات البساط لا يبرح مكانه ويغادر. ثم تلمح أنور من بعد وهو يتوسط نخل الصعل فلا يخشى شيئا، تسلم عليه وتحبيه فيرد التحية قائلا: " أم الصغار تنير الرحلة بألة زمانها ومكانها، وها نحن نتجه صوب جزيرة الأمل وإنا لبالغي موقعها بعون الله " تبسم أم الصغار لأنها تعلم أن في جزيرة الأمل جنات وأنهار وعيون وجداول وفواكه وثمار..وتقول وملؤها الأمل: " من القلب شكرا أنور، الصغار يتضورون جوعا، فيقطف الفتى من ثمار حديقة سيد شقيقه فواكه وخضر، وتطهو أم الرحلة الطعام والزاد، ويحلق الهدد ومعه أبو قردان والبطريق والهدد وأبو فصادة والغراب...يحلقون في كل مكان وبصحبة الرحلة وملكة النحل والكاننات، وتظهر البساتين عند بحر يوسف، ويتقلب الجان عند سنطة الصمغ عند المبيضة المخيفة في الطريق الوعر عند المنعطف المظلم هناك، والذئاب تدنو من الحدث وأشداقها تقطر زبدا وهي في حالة تأهب لنيل الصيد واقتراس الفرائس...في حين يقص الراوي وهو مشارك ويحكي وهو مدرك ويقول:

"عند نخل الصعل يقف أنور غضيب الطرف فتى أحور أحبه منذ الصبا وإنه جري بطل وغضنفر مضينا سويا بحقل الصفا ووحش رياض المنى يظهر وجدول سلمى إذا ما بدا بكل جميل يتطهر تقدم صوبنا ذنب الفلا وحمدان بغنمه يتضور، جوعا ويسقي الدواب هنا ونهر النيل الذي أسمر، بحر يوسف من نبعه ورشا من قيودها تتحرر"، فلما التقى بي صديقي مجد وكنا على العهد من المودة والصداقة والتراحم فيما بيننا، مررنا من جانب نهر الموت عند البقعة الملتهبة، وسرنا على الكثيب والأرض ملتهب تراها، فلمحت النمر بالقرب من كوخ الصغار يحاول اقتحامه بكل ما أوتي من قوة وجبروت، وكان قارب فاطمة الصغير لا يزال

يطفو فوق صفحة النهر ولا يعلم إن كانت فاطمة بمخبئه السري أم لا، والرحالة يطل علينا وهو يعلو المياه ثم يغوص بعد تحيتنا، تطارده التماسيح وما هو بمطارد، لكنه يشغلها ويبعدها عن خط سير فاطمة والذي هو نفسه لا يعلم عنه شيئا، خط سير يحدد معالمه قلبه الذي يخشى عليها، إنها فاطمة التي ارتد إليها بصرها وكانت سعيدة من زمن بعيد قريب، والتي اختفت عن ناظريه وغابت عنهما ولم تغب عن وجدانه وحنايا وشغاف قلبه، ثم عاود النمر محاولة اقتحام الكوخ وأنا أنظر إليه متوعدا إياه بقتال دام سيحدث بعد برهة، ومحمد يتقدم معي فإذ بها نمور ووحوش كثيرة لا حصر لها وتنين بعائلاته وزمرته، لا أدري لم كل هذا الهجوم على الصغار في كوئهم حيث المارد العملاق يحاول حمايتهم، فأشار لي المارد بطلب المساعدة فتقدمت صوبه في لمح خاطف وكذا فعل محمد، وإذ بآلة الزمان والمكان يقودها صبري الطيار الطائر موجهها إياه صلاح الدين قائد الجيش العالمي الكوني الجرار بما يملك من حنكة ودراية ومعرفة ألوان القتال وفنونه وطرق القيادة والسباحة الجوية والتعمق الأرضي والفضائي والإبحار وغيرهم، إذ بالآلة الجميلة تشق الفضاء وتحلق على مستوى منخفض في براعة، تصدر أصوات رعد وبرق وزمهير وعواصف وتثير النقع وهي مدججة بالأسلحة والمعدات، شاملة قواعد الطائرات والمضادات القتالية، وكان الساحر الشرير كما هو معلوم يقف خلف كل تلك الهجمات من الوحوش وذلك الزحف القادم من هول المنية ونيران جهنم وأفواه البراكين، وريمة معه على عهدا من الحقد وكراهية الخير والتغطرس والتحكم والهيمنة في العالمين بسحرها، والله مخلص الكائنات المسكينة من كيدها لا ريب وهجمت على الوحوش لا عبا بأحد يحركني الدافع النفسي والإيماني، وقد فرت الوحوش دون مواجهة حين وجدت ذلك الزحف المطرد الهائل من الجميع، ولا يزال الرحالة يطارد تماسيح نهر الموت النابع من بحر يوسف "عند النواراة والنسر عزبة عبد الواحد"، ومعهما الجواد الأبحر يقوده عنثرة والذي زحف إلينا وجمعه أحداث آلة الزمان والمكان بالرحلة بلا حدود، وعبلة تقف شامخة النفس مترنة الخاطر ملؤها الثقة في الله أن النصر للضعفاء المظلومين سيأتي بمدد وسبب من الله، وكانت الفتاة بين الزروع والنخيل تسير والربيع الباسم يحييها والطير يشدو لها والعنادل تترنم والعصافير تحلق حولها وترسو عليها وتحط في انسيابية وجمال أخذ، والضحيكة لا تزال تداعب أنور عند الحقل الممتد المليء بالخضرة والنباتات الجميلة المنتجة والزهور، وملكة النحل تحيي عقله الإصبع وأمانى وسلمى وأبيها وتحيي الجموع، تحلق تحليقها السرمدى فلا تبرح مشهدا من مشاهد الرحلة إلا تكن فيه مدافعة عن الحق ناصرة للمظلوم منتجة للعسل وكل ملكات النحل التابعين لها والذكور والشغالات والوصيفات، والدبور عن مصرف عزبة عبد الواحد يطن ولا يئن ومعه الفراشات تحلق بألوانها العديدة، والفراشة البيضاء تداعبني وأنا أمر عند حقل القصب فتغدق علي بالدقيق الأبيض الناتج من جناحيها الجميلين، وتقرب أيضا فراشات أخريات و"أبو العنز طائر اللقلق" ومعهم الهدد وأبو قردان وأبو فصادة، ومحمد صديقي مذهول بالرحلة وألتها الزمنية والمكانية وأنا أنشد في وصفه مع رفيقي شريف

الشاعر وإيهاب حكيم الرحلة وسيد وإسماعيل ووهيدي وآخرون وأخريات فنقول: " إن مر زمني أو الأيام لم أزل كذا تمر أحمل شعلة الأمل قم يا محمد هذا العهد نادانا عهد المودة والأحلام والمثل ه تذكر العهد حين بروضه الحسن؟! قطفنا شهد المنى من ثمرة العسل ولعبنا كرة القدم في البر والبحر وقضينا حلو الوقت في طيب من النزل يا طيب القلب يا ذا البسمة الحلوى أنا لست عنك أبدا.. أبدا بمنعزل مداح معه عصام.. معتز.. ضرغام جمعتنا كل الربا في صحبة أول ضرغام مع سلطان في النخل والصعل وكذا الدسوقي ودجى موصولة الظل والشمس ما حرّها يُورِقُ النَّفْسَ وببحر يوسف قد أتى أنسٌ بِمُعْتَسَلٍ من ماء عذب جداول من موجه الساري وبنخل الصعل ها هي عروسة النخل تعبت إني طالما هم الوري حولي وعناء قوم أحبهم بالنفس كالوحد لكن بجنة ربنا كم نلتقي دوما وبنهر كوثرها نرى نرسو على مهل. " صورة جميلة من الجنة يا حمدان..- نعم يا كامل، ما كل هذه النعم، الشياطين تولي والجان يغادرون بيوتنا ودورنا والحقل الجميل. - هذه نعم لم نكن نحلم بها، وبستان ممدوح كله ظلال وثمار وبلح وعنب وزيتون وتين ورمان. _ بالفعل يا كامل، هل ترى الجدول الجميل والثمر السابح فوق موجه الهادئ، هيا نسبح به. وتقدم الفتیان ونزعا عنهما الهندام العادي واستخدما الرداء الخاص بالسباحة، وعاما في مشهد جميل يعانقان المياه، فإذا بالمسحور المسخر من قبل العجوز ذات البيضة البلورية والعصا السحرية والशल العجيب، إذ به يلتهم الصغار والأطفال والكبار، قد خرج من بحر يوسف تصطحبه التماسيح وتصطحبه، فلما دنا من الرفيقين هم بالتهامهما، فتعرض له كامل واعتصره بين قبضتيه، ففر منه حين غفلة والتوى عليه قابضا باستماتة، وكاد يهلك الفتى، ودارت الدنيا به، فأقبل عبد الباسط يدركه، وقبض بين كفيه وساعديه جسم التماسح، واستقل ظهره واعتلى منته، فأقبلت بقية التماسيح تشق مياه بحر ومحيط يوسف، وهلت الأحياء المائية المفترسة الأخرى، ثم أتى الحوت صديق الرحالة عبد الباسط يموج مفرقا الموجات ويشقها، فطرد المفترسين شر طردة، وحمل كامل وأنور وعبد الباسط وبقية كائنات الرحلة، وآلة الزمان لا تتركهم خلفها، حملتهم فوق ظهرها ومنتها وجدولها، وصعدت إلى البرية والبر، ثم عادت بهم صوب المحيط الهائل بحر يوسف، وشقت دربها حيث واحة الأمل وجزيرة الحسن والهوة المتقدة وغدير الحسن وجدول الجمال، فانتهوا جميعا عند بستان ممدوح شقيق ممدوح، وكانت سلمى هنالك مع أبيها النحال، تنظم خلايا النحل وتصفها وتساويها وتعديلها، وملكة النحل تحدثها من داخل الخلية العملاقة، والخلية العملاقة تلك هي قصر نادية أميرة القصر، تلك الفتاة المسحورة من قبل الساحر الشرير. وها هو يلامس ساحة آلة الزمان والمكان الفتى الجميل حسين، يسبح في جداولها وغدرانها ومحيطاتها، وها أنا ذا ألتقيه عند شاطئ بحر يوسف العذب المتحول لشتى صور وهيئات آلة الزمان والمكان التابعة للرحلة بلا حدود في "عزبة عبد الواحد النواره والنسر"، حيث تلك الأخيرة هي درة الزمان وأيقونة الأمل المتجدد، الشاملة كل الكون والتمتدة لتحتوي كل شيء وتطل الأولى والبعث والنشور والحياة الأخرى وعالم الجان والحقب التاريخية، فهي تحيي كل هذا وأبعد

وأعـمق تأثـيراً وأثـراً،...و مر معي حـسـين من هـنـالك عـند دار الشـابـب "جـمـيل" ثم إلـى مـنـعـطـف
"الجـرَـف" عـند دواـمة المـوت الـتي تـتوسـط النـهر المـتـحـول هـنـالك، حـيـث النـبـع الصـافـي
والمـغـذي بـنـر السـعـادـة بـروـضـة حُفـنـي وجـدول سـلـمـى بـذات الرـوضـة، ثم انـعـطـفت مـع حـسـين
حـيـث "النـخل الصـغـير" يـشـرف ويطـل من بـعـيد كـأـمـل نـريد تـحـقـيـقه والـوـصـول إلـيـه، ووجـدنا
المـسـحـور الـآن و هو مـرـعـب الـهـيـئـة غـلـيـظ الـأعـين حاد النـظـرات يـبـعث من الظـلام وتـصـدر عـنه
أصـوات تـزـلـزل الكـيـان، يـلـتـقـط المـارـة ولا يـنـجو مـنـه سـائـر ولا خـاطـر ولا حـتى راکـض فـي تـلك
البـقـعة المـظـلـمة المـطـلة عـلى بـحـر يـوسـف الـرـحـيـب الـرـهـيـب، وما زلت والشـابـب حـسـين نـسـير ولا
نـعـباً بـمـجـريـات الأـمـور وهـول الأـحـداث المـحـددة بـنا والمـلـمة بـخـط سـيرنا، ولا يـزال لـربـيع يـمـطـرنا
بـالـآمال والظـلال وكـأن خـطـرا لا يـوجـد ولا مـشـكـلة تـعـيـق سـيرنا، نـنـزـل عـن العـالـم والدنـيا ونـحـيا
فـي مـلـكـوت عـجـيـب، وقـد تـأـمـلت صـديـقي وصـفـير نـخل الصـعـل وصـوتـه المـرـعـب يـهـب من بـعـيد
مـحـمـولا عـلى رـيـاح قـاسـية تـزـحـف من جـهة بـيـوت وكـهـوف الرـعـب بـجـوار النـخل الكـومـي صـوب
المـوضـع الكـائـنـين نـحن به، فـتـنـاسـيـنا ما يـحـيـق بـنا من الخـطـر ورحـت أنـشد فـيـه وأقـص ونـحن
نـحـضر الأـحـداث وكـأننا نـروـيـها، حـيـث كان بـرفـقـتنا أصدـقاء كـثـر ورفـاق يـحـمـلون لـنا كل الخـير
ويـمدـون يـد العـون لـمن يـشـارـكهم الرـحـلة العـجـيـبة – رـحـلة المـغامـرات – ولا يـيـخـلون بـجـهد أو
مال أو أفـكار وخطـط وتـرتـيـبات، وها هو "حـسـين" يـبـتـسم عـند كل حـرف أنـطـق به وفـي مـقـلـتيـه
يـبـين ويـتـجـلـى أـمـل بـهـي مـتـلون بـربـيع الحـيـاة الـذي لـتـوه أطل عـلينا من نـافـذة السـعد وروـض
الـحـنـين وبـسـتان الزـهر وقـطـوف الـيـاسـمـين، وشرع شـرـيـف مـؤلف الرـحـلة وكان بـرفـقـته "إيـهاب
حـكـيم الرـحـلة"...شرع يـنـشد ويـردـد مـعـي وإيـهاب كـذا يـكرـر ضـحـكا والابـتـسـامة تـعلـو ثـغـره
وتـكـشـف بـدره: "بـدت تـطل عـلى أـيـامـي آمـال والبـدر ضـوى لـما تـغـيـر الحـال أـمـضي بـدـري لا
العـثـرات تـوقـفـني ولا الخـطـوب ولا تـضـنـيـني أهـوال وقـلـبي المـتـيم أحـب الـورد فـي الـروـض كـم إن
قـلـبي لـزهر الحـسـن مـيال قـبـطان أـمـضي ومـثل الفـارـس البـطل مـغـوار إني وفـي البـيـداء خـيال وعـن
نـؤـارة والنـسـر الـذي حلق فـلا تـهم من الأعداء أغـلال لي من جـيـوشـي بـكل العـهد مـنـزلة ولي فـي
حـروبي بـشـتى الحـين زلـزال يـمـضي يـزـلـزل أركان الـذي ركـض نـحوي فـإن لـمن واجـهـني إـذلال
حُـسَين إني وإني الحُـسَنُ والحُـسَنُ وكـم لي بـحـرب ضـد القوم إنزال مـرت عـلي ولم تـمـضي
الحـيـاة سـدى حـقـب وزـمن وأيـام وأجـيال فلـما وعـيت وأفـقت وجـدت الشـابـب حـمـادة فـرحـت أغـرد
وأنـشد لأجلـه وأقـول: "وأقـمت لـيـلي عـلى الأفـكار لم أنـم أ من حال نـفـسي أـم من سـطـوة الأـلم؟!
لا أدري مـم لـكن هـذا ما كان أصـحو وأغـفو فـي إـطـلالة الظُّلَم والبـدر ضـوى بـعد المـرء ما كـاد
لـلتـو يـغـرق فـي إغـفـاءة الحـلم أَوَاهِ أ من لـيل مـكـثت به قـد أبـكي حـيـنا أو أشـدو عـلى نـغم فـي بـحـر
يـوسـف كـم مـوج سـيـحـمـلـني والـقـلب يـنبـض بـعد رـقـدة العـدم قـبـطان يـمـضي وشرـاع السـفـين هـدى
وسـنـدريـلا رآها البـدر لم يـنـم مـنـها يـغار وقـد ضـوت كـنـور دجـى وكـثـفـر ورد فـي الـروـضات مـبـتـسم
وظـللت أركـض والبـيد الـتي بانـت مـني تـدانـت وتـهت بـجـرة القـلم خـضراء أضـحت بـعد الجـدب
والـبور وقـالوا السـعـادـة حـين رآوها لم تـدم وأراها دامت والدنـيا كـضـوء ندى فـي الصـبـح يـبرق
مـداد العُـرب والعـجـم " لـما انـتـهـيت رنـت إلـيَّ وأطـالت وتـبـسمـت وقـالت: " آيـة أنت من آيـاتِ الله

" فقلت: " وأنت آياتٌ ومسراتٌ وضحكاتٌ وبسماتٌ ونسماتٌ " فتمايل قدها وظهر وردها وعبق سحرها، وعن العصافير فتزقزق لها والطيور شادية من أجلها، والأيام نادية يمسها الغيث فيبكي سحابها هطلاً جميلاً ونعياً مقيماً، وانصرفت عني وأنا حائر، لا أدري هل أنا مهاجر أم مسافر؟!، والمؤكد أن سفري ببحر عينيها ودربي مُنَوَّر مضيء من بريق مقلتيها، كانت تسمع حديث نفسه حيث غار البدر منها وهو يرى اهتمامها به واهتمامه بها، والحقل تزين عند نخل الصعل وفيه رشا ذلك الحلم البعيد القريب والأمل الحلو وحنو الدبيب، والخيال الجامح على ظهر الفرس الأجر والحصان الأبيض الذي يمتطيه للتو الفارس النبيل وهو يدنو طائراً من قصر نادية فتاة القصر عند تلك الرقعة الربيعية المزهرة بالأمل البهيج، وها هو يختطفها اختطاف المحبوب الوله المتيم والذي يطير بحلمه بعيداً عن تلك القيود القابعة هي فيها والسلاسل الحريرية المُطَوِّقَةُ عُنُقَهَا، واستمر الفارس النبيل في تحليقه بها، إلى أن اعترضت الدرب والمسير والموكب الطائر جيوش الساحر الشرير والنسر وريمة ونوارة، هنالك على مشارف روضة حفني، حيث يقف في روضته الأخير ومعه ناعسة بجوار بئر الأمل وجدول سلمى وابن النوارة والنسر الضال يطاردهما، وهو يريد انتزاع شقيقته انتزاعاً والعودة بها لدارٍ وقصرٍ وأراضي وممتلكات مستعمرات والديه النوارة والنسر، أو كما يعتقد أنهما والداه، وهو لا يعلم ما يخبئه له الزمان وتسره له الأحلام، ظلمت أنا في خضم كل هذا معذباً تائهاً شريداً، يأتيني بعض الحين فأكون سعيداً فرحاً مسروراً ثم تدهمني الخطوب والنوازل وتحل بي الكوارث والمصائب، ولا أدري من أنا، هل أنا روح الرحلة وراويها، أم مجرد فرد مشارك فيها، وهل أنا بسمتها وضحكتها، أم أحزانها ووجلها؟! ومكثت أتساءل وآلة الزمان والمكان لا يهدأ لها حال وهي تجوب العصر وتشم ما يهبه عبق الزهر وشذى ما يذوب من عبيره المكرر في بحر يوسف المتحول إلى غدير ومحيط وجدول وينبوع وكرة أرضية وحقل....و....و بكيث طويلاً وها أنا ذا مستمر في ألمي وألمي، وقد داهمني الهم وأنا أسير على شاطئ بحر الأمل ونهر السعادة وغدير الحسن ومحيط المغامرات وينبوع الحسن ببحر يوسف، وقابلت حمادة هناك وهو يحاور الفتى الجميل عبد الصبور حيث الأخير يدير الطمبورة والشادوف، وحسانين يتحدث معي وهو شاب جميل باسم رقيق النفس طيب الخاطر، إذ قال لي: " الشادوف يسمى عوداً " فلمح قلبي وفكري وفهم أن العود يقصد به عود شجر والله أعلم، ربما لأن الشادوف كذلك هو عصا أو فرع شجر سميك طويل مستقيم وقوام، على طرفيه ثقل ودلو، وهو بمثابة بؤرة وعصا اتزان...ونقلت فكرتي لصديقي حسانين فأجابني: " ربما فكرتك صحيحة " ثم تبسم وهو يقولها، وهو يمد يده يصافحني وكذلك فعل حمادة والذي أعجبني وسر نفسي كونه صديقي وحبيبي...فشرعت أقول فيه شعراً وعبد الرحمن يستمع في إعجاب ونحن عند نخل نمر والجان يمرون من حولنا في مشهد عجيب، منهم المؤمن ومنهم العاصي والمصمم على معصيته والمقيم عليها، ها أنا ذا أستمع في قولي الشعر والنثر والرواية والحكاية، والرحالة لا يزال ينقل قبضتيه بين فروع أشجار غابة الموت ومعه عبد الرحمن وقبطان وآخرون،

ونادية فتاة وأميرة القصر والحلم السعيد لا تزال تحاور الفلاح وأسرتة من شرفة قصرها المقيدة به والمحبوسة فيه، والساحر الشرير وريما والنسر ونوارة وقوى الجان والكائنات الفضائية على مقربة من الحدث، وأنا أنظر إلى الجميع تائها شريداً، لا أعلم إن كنت بالرحلة أم معزولاً عنها ومنفياً عن عالمها، فوجدت نفسي أصبح معهم في عالم الأحلام والأمل، والفتاة آيات تقص الرواية وتحكي الحدث بصحبة الراوي في ذات وقت حدوثها، حتى مررنا جميعاً بالبحر الأحمر حيث الحمامة البيضاء لا تزال تسقط وتسقط وهي شبه فاقدة الوعي، وكل ما يشغلها هو إنقاذ أماني وعقلة الإصبع اللذان كانا يتعلقان بريشة من جناحها منذ برهة أو عهد قديم طويل أو مستقبل آت وقادم إلينا من عوالم سحرية خفية، فرحت أسبح في أحزاني رغم ذلك وبكيت طويلاً وقلت: "خررت صريعاً من عول الهم وغرقت سريعاً في عمق اليم من ذا ينجيني من هول حل؟! أو من ينقذني من سطو الغم؟! أنفاسي لفظت وقضيت الآن بالسيف القاطع أو بعض السم ومررت بروض... حفني صاحبه حفني أحببته هو ابن العم ناعسة أراها كالحلم البادي هي دوما حلوة باسمه الفم " وكان ما سبق حديث روح الرحلة ذلك التائه بها والذي يحمل الخجل دوما معه، وكانت ناعسة تستمع إليه وتحببه وهي تستقل سفينة النهر الباسم صوب جزيرة الأمل، وصبري الطيار الطائر يقود آلة الزمان والمكان كما عهدنا أمره ونراه الآن، وهو شاب مبتسم دوما ضاحك مستبشر، تحس معه براحة نفسية، حيث أسير معه الآن كما ترون فأنعم بالجمال والسحر والبريق، تبسمت ناعسة وشرعت تلوح بيديها وهي تحيي الرحالة الجميل، وتثني على كلمات الراوي، وتقدمت السفينة التي تحولت لمركب نهر الموت فجأة... نعم زحفت فجأة وهي تمر بالصور والدهور لا تبالي بمرتفعات ومنخفضات، ولا بتضاريس وعرة ولا سهل ولا جبل، السفينة متحولة كما تعلمون وترون، وعليها شعلة تغلتي الشراع، وهي تبحر ببحر يوسف والذي أضحى جدولاً ونيلاً ومحيطاً وبراقاً وشاحنة قائدها " أبو عوف " المبتسم الجميل الحكيم "، وهو يتوسط " نخل الصعل " ويرى " العجوز المسنة " التي تجلس ما بين " نخل الصعل " و " النخل الكومي "، وتحول المشهد وتقلب الآلة العجيبة وأنتم ترون تقلبها، وكنت بداخلها وعلى سطحها وهي كرة أرضية ببيضاوية طائرة في الفضاء الكوني الرهيب، فوجدت " إسماعيل " عند المصرف العذب، شاب أسمر تستقر في طيات ملامحه الأصالة وترسو الآمال الجميلة، فتى هو الغضنفر عينه.. فابتسم الملك الغضنفر خميس ونظرته البرينة تكاد تنطق مع إطلالة عينيه البرينتين، ويهتف وهو يقول: _ أنا الملك الغضنفر قائد الجيوش العالمية، ومن يعلمني هو البطل صلاح الدين، ويضحك صبري الطيار الطائر وهو يتغنى قانلاً: _ أنا قائد آلة الزمان والمكان. وتبر الفارس المثلث تضحك هنالك عند نخل الصعل وهي تدبر الظمبورة رغم محاصرة الجان لها، ويبدو هذا الحصار شكلياً، لم تخف لحظة الفتاة، وتواصل الركض تشق الصفوف، وجل آمالها هو الوصول لبحيرة التماسيح والقفز فيها، كل ما تقدم تفعله الفتاة المثلثة كي يقفز إثرها الجان ويغرقون، فبالبحيرة خاصة إغراق الجان من قبل المارد وسندريلا نهر الموت ويخر يوسف، وتعجب الجان وقبل أن

تتفاقم دهشتهم لقوا المنية، والساحر الشرير يندب حظه، ويتعجب هو الآخر لخطاة الفتاة تبر
رائعة الجمال طيبة النفس، وهكذا اتجهنا نحن بآلة الزمان والمكان صوب الهوة المتقدمة التي
وصلنا إليها للتو بعد ثورة بحيرة التماسيح التي اختلطت مياهها بدماء الجان الملعونة،
وعوني لا يزال يخوض مضطرا حيث الساحرة العجوز ذات البيضة البلورية والعصا والنشال
تدفعه لذلك دفعا، ورأيت " تبرا " تنقي القطن من دودته وتقلب الأوراق كي تكتشفها لما
تحولت فجأة آلة الزمان والمكان تحدث انفجارا لها مدويا وزلازل وتضاغطات وتخلخل طبقي
عمودي وأفقي ودائري، متتابعة ومتتابعات تلك الأحداث، والمفتش يبحث خلف الصبية
والصبليات في خطوط عملهم المملوءة بأشجار القطن طويل التيلة، والفارس المثلث يصارع
التماسيح وهو ينظر إلى ملكة النحل المبتسمة حاملة أمانى وعقلة الإصبع على
جناحيها، وهي أشجار غزيرة كثيفة، يتقدم المفتش صوب العاملين والعاملات من الأطفال
والصبية ويخوفهم ويكتشف اللطع خلفهم، وفي الناحية الأخرى من وجه آلة الزمان والمكان
والرحلة بلا حدود، يقف البقوشي وهو غاضب لا يطيق نفسه ولا أنفاسه، يصعد صدره
ويهبط غضبا وثورة، يمسك بالكرباج وهو السوط اللين والصولجان المكبل، ويلوح به في
الهواء فيحدث صوتا مخيفا يزلزل قلوبنا، أتقدم صوبه ولا أخشاه، فيصفعني به، فكأنما
المنية تلطم وجهي وجسدي وكياني، والنار المتقدمة ترعى في جميع أجزاء جسدي، أستم
أنا في التقدم وأمسك بحصى وحجارة وألقيها صوبه وصوب الإقطاعي النسر ونوارة
المتغترسة وكل الجموع الظالمة أيضا، ويأتي عاطف ليصب علي وعلى الرفاق جام غضبه،
ويسلط علينا عاطفا ومحروسا وحسنا، وعاطف ومحروس وحسن كما ترون يرتتون
الجلابيب ويمسكون كل بسوط وعصا، ويتحول المشهد أخذا معه معاناته ومسراته وزمنه
وعهده، ولكن لا يتركنا، فهو معنا أينما ذهبنا أو ذهب بنا آلة الزمان والمكان، وتجمع
الرحلة بلا حدود كل وأي شيء وعهد وخطرة وفكرة وواقع وخيال، ثم مررت بنهر النيل
وكان الجو صحوا والسماء تشاركني فرحتي، والشمس تشرق كأنها تشرق علي أنا فتدفي
كياني وحدي، فتقدمت الفتاة صوبي تتمايل كفنن داعبه النسيم الخافق، وكان حريري شعرها
يموج كالأمل حين يداعب صفحة الربيع الباسم، اسمها شريفة وهي الشريفة العفيفة،
انطلقت معها صوب الشاطئ السعد، وطفقت أنشد فيها الشعر هي ونهر النيل، وهي تلتفت
إلي فأتيه في عالمها، وتنظر لي فأذوب في مقلتيها، كنت لا أعلم هل هي نهر النيل أم النيل
هي، أم أنهما امتزجا ككيان واحد، فشرعت أنشد والهوى حكايتي، والميل لقصة غرام
مقصدي وغايتي... علني وجدت في طرفها جداول النهر السعيد تموج وتتهدأ، تلك ساحرة
الطرف هيفاء القوام غراء الوجه متناسقة الملامح والقسمات، علاوة على روحها الأسرة
المبهرة، أكملت إنشادي والهوى أسر، وقد ملكني منها الحسن والخطر، وذبت بها كموج
بنهر، وقضيت من عمري كل الدهر، وهي تردد وتغني والطير يفهم فني، فالطير والله مغرد
والعنادل تطرب وتنشد، حين قلت وقالت معي، والكون كله سامعي:- نهر النيل اصطبر
واصبر وارو ربوعك من الكوثر وامض بعزم القوي الذي سكن بمهجتي والخطر أنا فوق

موجك شراع المنى كمثّل ربا كوثر ساهر فنبع مياهاك هو الجنة جاء وحل من الكوثر معي
من تسافر هي زهرة ذهبنا إلى موقع أسر فتاة الحقل به وردة في واحة البصر المبصر ثم
عدوت وعوني معي بحقل المنى الطيب المسكر شهده مثل خلايا العسل من خلق رب الورى
القادر شريفة معي فكل الربا رسمت توا في الناظر سكنت قلبي منذ الصبا بطرف في الدنيا
مبهر أنارت كل ربوع المنى وريم في ليل ساهر تطل علينا من خدرها وما لنا نحن من منذر
لو إن هذا ذنبي أنا أنا عن ذنبي بمستغفر فتاة القصر هي النادية وسوسن في روض أخضر
سوزان كأنها حلم بدا وإننا في روض عامر لنخل الكومي ذهبت وهي، على جناحي المنى
الأسر وأقصد بحر اليوسف أنا شغافا ملك من الخاطر. ولما انتهيت من عبراتي وكانت قد
تاهت نظراتي، مررت بعثمان وهو يربط المسحور بالنخلة، وكان المسحور عجيبا، له شعر
كثيف كالغوريلا، وعيون متقدة كذنب شارد مفترس، جسده ضخّم وذراعه مفتولان قويان،
وساعده كجذعي نخل مستقيم قوام، وصوته كأنما هول القيامة وفرع البرق وزئير الأسد
وعواء الذئب، خلص نفسه من القيود، ثم توجه منطلقا نحوي، وها هو ينطلق ويعدو
ويركض، فنشب أظفاره في جسدي. - حذار يا مسكين، هل أنت الراوي، أنت تحيي معنا
الأحداث وتحاول إنقاذ صغاري في الكوخ المحصن والذي لم يعد محصنا، ثم أن المارد لا
أعلم سر اختفائه؟! تبسم الراوي وقد قبض على عنق المسحور وهو ينظر لأم الصغار
ويستمع لها، في حين تبسمت هي الأخرى وعدا الصغار نحوها وركضوا، والراوي لا يزال
يقاتل المسحور... في حين قال وهو يرد عليها: - نعم أنا الراوي يا أم الصغار، ومعني صديقي
الرحالة والعالم الجليل وقبطان وأم الرحلة وكل الكائنات. - فرحت كثيرا واحتضنت أبناءها
قبل أن تقبل الجيوش، فها هي تزحف في مشهد هول عظيم، فتختطف الصغار وتأسر
الكثيرين، ثم يتحول المشهد ولا ينتهي، غير تارك ما جمعه من أحداث أخرى مرافقة
وملاصقة له، لأجد نفسي في أزمنة متداخلة عشوائية، أمر للتو بالعصر العباسي وأحيا به،
والعهد الفرعوني، وأرى المسلات والمعالم الفرعونية والأهرامات ومقابر الفراعنة،
وزوسر يظهر ورمسيس الثاني وامنحوتب، وأمر كذا وأنا آلة الزمان والمكان للتو... أعيش
في العهد الفاطمي وعهد الإنسان الأول وإنسان الغاب، ثم أصل للمحيط الأطلنطي وبحر
الموت والبحر الميت وغرناطة وصقلية، وأرسو كسفينة عند مكة الجبلية فأراها نهرا، ثم
أعدو صوب بحر يوسف، فأراه الآن وهو كما ترون يتشكل ويتحول، نهر هو ومحيط هادئ
ومحيط هندي وجدول وسد وبحيرة وروضة ونغم وموت وحياة ونعيم وعذاب ومركبة
فضائية وسفينة عملاقة حاملة طائرات ومضادات وعدد ومعدات ومغارات وكهوف، ثم ها
أنا ذا في نخل الصعل، ثم أنا أموت الآن وروحي تحيي في القبر، ويجمع من الأجداث أناس
كثر، فمن غرق جاء ها هو، ومن حرق بالنار بعث أيضا من جديد، تجمع الأشلاء وأجزاء
الجسد، والضحيكة لم تمت، ها هي بعثت وتطير وتحلق، ثم خطرت في خفة ورشاقة وتبعت
الفهد إلى نقطة توجهه، فوجدته يبحث عن الصغار في الغابة الموحشة عند الكوخ المحصن،
ويحاول جهده إيجاد ثغرة للعبور إليهم والمرور نحوهم، رأني وأنا أتتبع خطاه فاستدار في

وحشية وبرقت عيناه، وكان الشرر يتوقد منهما وينطق عن غدر بين، تقدمت نحوه لم أخش
المنية ولو لبرهة أو همسة، رأى الإصرار والتحدي في ناظري، تقهقر وهو الوحش الذي لا
يهزم، ثم استجمع زمام نفسه وتقدم خطوة تليها خطوة، وكان أعوانه من فصيلته وتابعوه قد
انضموا إليه، والرحالة يشاهد الموقف وهو على مقربة مني، دنا مني فانضم إلي، وعبد
الرحمن معه وضرغام وقبطان وآخرون كثر، وأم الصغار تتبع جمعنا تريد حماية أبنائها،
و" الفارس المثلث الفلاحة التي كانت تدير الطمبورة " قد انضم للجمع في حماسة منقطعة
النظير، وكان الأخير قد ترك موقع القتال في بحيرة التماسيح عند البويرة الملتهبة في النخل
الكومي ونخل الصعل ومنطقة الأربعة عشر فدانا والمصرف العذب وروضة حفني والفضاء
العريض والمركبة الفضائية و....و....، فهم الفهد بقتالي قبيل انضمام الجموع إلي، والآن
تدفن النعامة رأسها فيسألها الرحالة:- هل تعلمين أن العدو يراك؟! تبتسم وتقول:- نعم
أعلم، لكنه لن يؤذيني. فيعجب لأمرها متسانلا في بسمة ودهشة - لم كل هذه الثقة؟! فتزد
في ثقة مبادلة إياه البسمة وهي تصف جناحيها على نغمات الأمل ونسيم الحياة - توكلت
على الله فهو من يحمي ذاتي، ولسوف أواجه الخطر وأظهر وجهي ولن أخشى اليوم عدوا.
فيتقدم نحوها عقلة الإصبع ويمتطي جناحها ويركب فوق ظهرها، فتضحك النعامة وتحلق
في الأجواء حاملة أمانني أيضا شقيقة الرحالة، ويقبل العصفور وهو يطير بجوار ملكة النحل
في عزبة الشمع والعسل عزبة عبد الواحد النوراة والنسر، وجميل يلعب الأطفال ويلقيهم
في اليم ويسبح إثرهم منقذا إياهم، وبحر يوسف تنقص مياهه ونحن في الأربعينية لمدة
أربعين يوما، ووهيدي يركب قارب الأمل وبيحر به ويغوص إلى الحجرات الذهبية المضئية
ذات الخيرات من المحار الذهبي والصدف اللؤلؤي والياقوت وكنوز الفراعنة وثروات
الجان، ثم تعاود آلة الزمان المكان الكرة وتبحر في سفينة نور الدين ومعه البحارة
المغامرون يطوون الصعاب ويركبون الوعر من خطوب الحياة، تسير سفينتهم فوق موج
نهر النيل وهو ذاته بحر يوسف، حيث الزهور والورود، والعالم الجليل يوجه صبري الطيار
الطائرة كي يحكم قيادة الآلة الزمكانية العجيبة السحرية، نعم...تتغير أحداث وأزمة العالم
والكون والآخرة عن طريق آلة الزمان والمكان بصورة سحرية جاذبة للفكر مذلة العقول
محيرة إياها، حيث اديسون ويحيى معنا ويونس وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب
والأسباط ومريم وعيسى وموسى وهارون والنبيون والمرسلون والأنبياء والأتقياء
والأتقياء، تالله تتلاحق علي الهموم وتتسابق وتحط بثقل ووجل على نفسي وصدري، أريد
الفرار وأن لا أهزم، أبغي طي صفحة الحزن والتنام الجرح، أود الخروج من دوامة الإطباق
على نفسي وكياني، وأتمنى التحليق بصحبة ملكة النحل عند أطراف الغابة وعلى امتداد
المعمورة والكون وبمحاذاة الوديان والشطآن والبحار والمنعطفات وفي حقول وبساتين
عزبة عبد الواحد النوراة والنسر، تائه أنا إلى حد الذهول والخمول، والكلام الجارح
والخارج والبذيء أثقل هامتي وأضعف همتي ونال من عزيمتي وتصميمي، والموت
يطاردني وإنه لاحقتي وملاحق ذاتي وضاعط على همتي فناحرها وذابحها. - كل هذا يا

رحالة. – إي حسناء الخصال...نعم... حياة عجيبة لكنها جميلة بوجود الوسع بعد الضيق والفرج بعد ازدياد الهم ونقصان الوجل بعد طغيان الحزن. – برغم أنني لم أستطع مبادلتك مشاعرك، لكنك تصعب علي ويحز في ما تلاقيه من الويلات النفسية والجسدية والجسمانية. كان الحديث متبادلا بينهما والغواصة تبحر في نهر الموت والحوث مستمرا في زحفه وسباحته، في حين همس ناصر لفراشة الربيع بشدو ساحر، ينبض قلبه لما يرى من مشاهد الروعة الأخاذة، يبحر في مسطحات الكون والفضاء، ضاحك مستبشر لأبعد الحدود، يمشي هنالك للتو عند الغدير العذب، ويوسف يدنو من الجمال هذا ويحل به، وبئر سلمى عند روضة حفني يدر الأمل والخير والياقوت، تقدم ناصر فحيا حفني وناعسة وسلمى وو كان قد مر بأعجوبة ووصل سالما من بطش ابن النواراة والنسر، فالأخير قد طوق العزبة بطوق من نار، والإقطاعيون لا يزالون يمطرون الصبية بوابل من العقاب بضرب السياط والعصي، والفتى مع خليل وكامل ومجد وحسبن وسمهان وعزية وتبر ونوال وسماح وحمامة وغدير وهدير وفاطمة، والصبية والصبايا الآخرين والأخريات، والمغرب قد دنا وقرب، وسيارة جاسم وشاحنته قد أتت مع شاحنة رأفت وأحمد، ونحن نسير مسافات خيالية كي نعود لمنازلنا. – كل هذه المعاناة يا رحالة تقاسونها. – نعم عقلة الإصبع، سل ملكة النحل تنبؤك بما نلاقي من الويلات والخطوب والنوازل. – حقا يظهر عليك، معاناتك قاتلة، لكن إرادتك قاتلتها ومبعثرة لجبروتها، ويتبع المشهد مشهد آخر وتتواصل الأحداث المتفرقة وتجتمع.... على أن الحياة تضيق بي إلى حد لا يطاق، والتنين يطبق علي ويضيق الخناق، علاوة على وحوش أخرى تتقدم الآن، وجان يمسنى ويكاد ينزع روعي من جسدي انتزاعا. قال ما تقدم والجواد الطائر يحلق فوقه كفراشة اهتدت للربيع فعانقت نسيمه وتهادت فوق صفحته الهوائية، وكانت الوحوش قاب قوسين أو أدنى من إحكام سيطرتها عليه، وهي هكذا الآن، هبط الجواد فاخطفه فوق متنه، وأرعى زمام نفسه فأضحى كبراق منقذ، امتطاه الرحالة في خضم فرحة عامرة، ثم تتقلب آلة الزمان والمكان حيث هي في الحدث لم تبرحه ولا يزال التنين يسحق ويدوس الحطب والعشب اليابس بحمولته المتكدسة الفائقة، وطه الشاب الجميل - المصاحب للرحالة والمشارك في مغامرات الرحلة بلا حدود- يصيبه الذهول فيتسمر بلا حراك، يزحف التنين في وحشية هائلة ولكن الحوث العملاق الصديق يعترض طريقه حيث لتوه يشق موج نهر الموت ببحر يوسف أن تحول الأخير إلى ذلك الأول، ويظهر كما ترون مركب وقارب فاطمة ذات البساط، وأمواج نهر وبحر ومحيط يوسف تضطرب وتعلو وتهبط متأثرة بالقتال الدائر وبدوامه الشر والهلاك العنقودية الهائجة الهوجاء، والرحالة في قتاله المستمر ضد تماسيح نهر الموت الآتية من عمق نهر يوسف قبل تحوله لنهر الموت ملتهم الأحياء والكائنات ومغرق الأخضر واليابس، ولا تجد آلة الزمان والمكان أمامها من بد ولا حل سوى تحولها لقاعدة حاملات راجمات وصواريخ ودبابات ومضادات أرضية وسماوية، حيث الكسوف والخسوف والزلازل والبراكين، وحيث المغامر الداهية الأسطورة عزمي يرى وهو يشق الخطر ويدهمه ويطوي الخوف ويسحق كيانه ويوقف

تقدمه، ثم يظهر خيال طه وهو خلف الأفق والغابات، حجبته الحجب وراعه الموقد والحطب، حيث التنين لا يزال يحاول الفتك بالأحياء والتهام الأموات، وها هي تنظر فتاة القصر من شرفتها المرصعة ترقب الشاب الفلاح محمد وأباه وأمه وشقيقته والأخوة والأخوات الصغار، وأم الصغار تبحث عن طعام لأبنائها يقتاتون عليه، والشمس مشرقة والسماء صافية الأديم ربيعية، تشاركنا الحدث وتدفاً كيان الرحلة والكاننات، يتقدم التنين في وحشية حيث جسده الضخم ورؤوسه المخيفة وعيونه الجاحظة النارية الواسعة، ومحمود تظهر على قسماته ابتسامة بريئة، يتبعه المسحور وهو لا يدري، والتنين يدنو منه من الناحية الأخرى من الجسر الترابي الذهبي في عزبة المغامرة والتحول العجيب إلى كل شيء وأي شيء، عزبة عبد الواحد النواره والنسر " محرك الرحلة ومحطة اشتعال أحداثها، بحر يوسف بها ونهر النيل والعصور الوسطى وعهود الفراعنة والملك مينا وجلال الدين وصلاح الدين والعرب والعجم والشرق والغرب وآلة لزمان والمكان، وبها نواره الظالمة والنسر المتغطرس الجبار داهية الحرب والمكر، وبها الساحر الشرير وريما وأتباعهما، وبها الجحش ابن الأتان والحمار، وأبو العقيص الذي يقرص الشاب الخجول كاملاً، والفرن منتج كل أنواع العيش والحقول شاملة جميع أنواع الفواكه والخضروات، في الصيف أو الشتاء أو الربيع أو الخريف لا تتوقف النباتات عن إنتاجها الجميل، تتحول العزبة إلى كل الحقب والأزمنة والأمكنة، هي لتوها آلة زمان ومكان مثالية وهي الجنة بكل ما تحمل وتحوي من متع وملذات، وبها أيضاً المغامرات والعناء والشقاء والهم والكدر والوجل....يبتسم خليل رغم كل شيء ويتوجه صوب الحقول ومزرعة كريم، ويلتقي أنور ورئيس وعبد الدائم وسامي وعلاء، وعناقيد العنب تتدلى في مشهد يخطف العقل ويأسر القلب، ويوجد البطيخ والمانجو والفجل والجرجير والبقدونس والكرات والنبق والسدر والخيار والطماطم وما لذ وطاب وأبعد أبعد بكثير، وها أنا ذا أخطر بجوار جرار القصب عند القرية ممتدة المساحات ومعني حسن والرحالة، الأحق " القطار الجرار " وهو يسبقني ويموج وسط الحقول، كم أحب امتصاص القصب والنهل من نبعه المُسَكَّر ومن شهده المدرار، لكن هل أسرق...هذا فعل غادر !!؟ - تقدم حسن وتأهب وهو يركض الآن ومعه شداد واللؤلؤ وهدي وإسماعيل وحمادة، وصعدنا ممسكين بحديد الجرار والقطار، نسحب عيدان القصب وضميرنا يؤنبنا. - قصب جميل لا يقاوم طعمه ومذاقه، كم نشتاقي لشهده المكرر. - لكن هذا حرام يا محمد. - نعم يا سعيد أعلم ذلك. - لم لا نذهب لغيط وحقل قصب فنقطع العيدان عند نقطة مستوى الأرض - نُقَوِّسُ الْقَصَبَ - ونُرْصُهُ بطريقة أفقية ثم ننزع منه الجزء الأخضر المتعلق والمعلق والمتصل بأطرافه والذي لا ينفصل عنه، تأكل من الخضرة تلك البهائم، ونستأذن صاحب الحقل في عودين أو أكثر نمتصهم في سعادة. وهنا يضحك ضرغام إذ معه شقيقه سلطان وبرفقتهما حافظ ونميري- نسبة إلى النمر - وقذافي وعامر، يضحكون جميعاً ويكركرون ويفرحون ويمرحون، فقد تحولت الرحلة إلى جنة عرضها السماوات والأرض، فوجدوا ما يتمنون وأكثر، ومرحوا وعدوا منطلقين مهللين قائلين في سرور بالغ وسعد عظيم كيوم

البعث أتى...يوم القيامة حل. وسعد بهلول وسرّ وابتهج وفرح كثيراً عبد المهيمن وعبد
الرءوف وسامح ونرجس وابتهاج وانشرح ونجوى وصدفة وحكمة وسوزان وعبير
وابتسام وعمر وأمل وعقلة الإصبع وأماني وفاطمة ذات البساط وهدى وأمل وريم وريمة،
الكل يحيا السعادة بلا حدود، نحيا الجنة مع عمر وأمل في كتاب المطالعة والقراءة وهو ليس
بكتاب، إذ نحن نلعب مع الرفاق في صفحاته الخضراء اللانهائية الحدود والامتداد والتي هي
ليست بصفحات بل روضات وجنات، ومشاهد عزبة عبد الواحد والقرى الأخرى والكون
تتجسد به- الكتاب السحري المتحول " عمر وأمل " -، " النوارة والنسر عزبة عبد الواحد
" وكل ما ذكر وأكثر من أماكن حول العالم وما لا يدركه الخيال في أزمنة وحقب متداخلة
وغير متداخلة وقريبة وبعيدة وجدت نفسها هنا والله يشهد - موجود في حياة وأحداث
الرحلة بالكتاب وبصحبة أمل وعمر، ندخل الصفحات ونلهو مع الحروف والهمز... -
الحروف ليس للركوب بل الحمار هو من يُركب ونذهب به للحقل... - نعم..ها نحن نفعل،
و" الثعلب المكار ذنب الحظيرة " يكر له حمدان وأخوه وهو الذئب كما تعلمون، نعم..نفسه
ذلك الذي يهاجم الحظيرة فيتصدى له الديك ويطرده ويلاحقه الكلب الوفي في الطرقات حتى
يبعده صوب الغابة الموحشة، وحازم يُطيرُ الطيارة الورق فإذا هي طائرة معدنية وذهبية
وحديدية متحولة بطبيعتها، وإذ بها غواصة وروضة حفني وغدير وجدول سلمى وبحر
يوسف، وهي الجرف ويقصد به الشاطئ من بحر يوسف عند الضفة الشرقية والغربية، وإذ
بها- الطائرة الورق أيضا _ كما ترون من الحرير، وتتحول كذا إلى بستان ممدوح وحديقة
ممدود، وعصام الدين وعماذ الدين وعامر وخالد وسلوى وسحر وجيهان صبية وصبيات
بها، وعلي وذوات ونادية وشادية، ونحن عند خالي في بيته في الريف، تحول صفحات
الكتاب إلى واقع ربيعي جميل...!!! عجباً كيف هذا. - نحن بالرحلة بلا حدود نرجس. - شيء
عجيب بالفعل يا عمر، وهذه أمل إلى جوارك. - صحيح يا نرجس، لأننا في الجنة، التي بها
ما لا عين رأت ولا أذن سمعت. كامل يلعب في الملعب وأبو ميلاد ها هو يدق الجرس،
والمعلمون والمعلمات يقدمون معونة الشتاء للطلاب من أقمشة حريرية ومصنوعة من
القطن الخالص وهو الذهب الأبيض. - نعم...و ها هو أدهم يقود مغامراته القتالية ويجندل
الأعداء ويقهرهم، كل منا عمر وأمل وسعاد وسوسن وصابر هنا ليس بالكسلان الكسول، بل
هو نشيط، يلهو معه أبو قردان، والكتكوت يسمع كلام أمه ولا يخرج من الحظيرة، فيما
تتحول ولا تتحول آلة الزمان والمكان حيث يهمس صبري ويجهر قانلا وكل الكائنات تسمعه
والأحداث تلاحقه وتخلفه وتلحقه، وينغمس بها ويحياها جميعها، يقول صبري الطيار الطائر
قائد آلة الزمان والمكان:- مشئت أنا وتحفظ اتران نفسي وخاطري هذه الرحلة فلا تعجبون
لأمري..فيرد أنور باسماء:- نعم يا صبري، لكننا نريد اترانك لا تشتتك. تنتاب صبري موجة
من الضحك وهو يقول:- أعبر عما يجيش بصدري ويسكن قلبي يا أنور الطلعة خفيف الظل
شقيق لطفى وحبيبه. - نعم يا صبري- ولطفى حياتي والزهرة الجميلة بروض عمري - أعلم
ذلك، يا لك من رائع...:: فقط أداعبك... تنطلق آلة الزمان وسط محاصيل وزروع القصب

والنخيل والسدر والنبق وتصل للسنتة الصمغية عند محمد وعبد الناصرو آخرون عند نهر الموت حيث المتحول إلى هيئته الآن هو بحر يوسف، وعبد الصبور يدق طبلة الأمل ويقرع الآذان بصوت من حنين ونغم من أنين، ويدير كذا ويشغل ويحرك الشادوف المصنوع من ثقل حجري أو طيني يعلق بطرف جذع صلب من الشجر طرفه الآخر يعلق به الدلو كما ترون، وتقل الحجر أو الكتلة الطينية تحافظ على اتزان الدلو الذي يملأ بخيرات الدنيا والآخرة، إنها مجرفة ومغرفة للماء من عهود الأساطير، حيث يقف الأمير بصحبة الأميرة ليرون المشهد، يحيون مع الجميع الشاب عبد الصبور الذي يتبرع بكرم منه ورحابة صدر لإيقاظ من غفا ينتظر بزوغ السحر لتناول السحور في إطلالة الزهور ثم إشراقة النور، في طرقات وبيوت وقصور ومننديات ورحاب عزبة عبد الواحد النواره والنسر، جنة الله في أرضه ومحيط الآخرة وعالم التحول والتجدد، وعوالم الله التي لا يعلم تفاصيلها إلا هو يركض الجميع ويخطر ويتسامر ويلهو ويلعب ويعبد ربه قبل كل شيء، وعند شاطئ يوسف الساحر، حمادة ينادي:- تقدم أنور...هيا صبري.. يقفز الفتيان ومعهم جمع كبير حيث نهر الموت الذي تحول للتو لهيئته بحر ومحيط وجدول وغدير يوسف، يحاولون جهدهم وبرفتهم قبطان والهدد والبطريق والفارس المثلث وكتيبة الإعدام والموت بقيادة قبطان والعديد العديد وكذا الغراب وأبو العقيص والحمار والأتان والجحش والمهر والحصان والفرس وعنصرة الفارس وعيلة ومصباح علاء الدين وعلاء الدين نفسه وصلاح الدين ومحمد وعلي والحضارات جميعها والعصور الوسطى وعهود ما قبل التاريخ والحن والبن والجان و.....و.....و.....رحلة بلا حدود...كما ترون...ما تقدموا وأكثر من الخيال، يحاولون إيقاف زحف الدوامة واتساعها الذي طال "عزبة عبد الواحد النواره والنسر" محركة أحداث الرحلة وسر حيويتها وبورتها الخضراء وكوكبها الجميل وبدرها المنير، وطال الكون والخيال والواقع والكواكب والفضاء الممتد بلا حدود وما أبعد من الفضاء والدنيا والآخرة والبعث والنشور...و....حتى يسمع للتو صوت يردد:- صبري الطيار الطائر، الدنيا معه تؤسر، القلب ويهواه القلب، له عندي صبري خاطر، هو قائد آلة أيام، ومكان زمانها حاضر، إني مع صبري تالله، حقا يا قلبي مسافر، كم وده أنور من زمن، ويفضل صبري أنور، إنسان حلو وبسيط، والزرع بروضه أخضر..فيضحك أنور لبساطة الإلقاء ويكركر حسانين وهو في الباخرة يعلو منتها، وحاملة الطائرات مشرفة على الهلاك في عرض بحر يوسف تكاد تبتلعها الدوامة الخطيرة، فيقفز حمادة للتو ويساعده عوني وهو المتأثر بسحر العجوز صاحبة الدرة اللؤلؤية والبلورة السحرية والحجر والبيضة والعصا، ويموج كل من حسين واللؤلؤ، ويقفز حسانين في أعماق نهر الموت ببحر يوسف بعد تحول الأخير، ويعمل الساحر الشرير كيده فيبطله الساحر الطيب، تغتاذ ريمة ويلتهب ويتأجج قلبها وتشعل ثورتها، ولا يزال الرحالة والرفاق ومعهم العالم الجليل وقبطان وسندباد والكائنات يحاولون إعادة توازن المركبة والسفينة وحاملة الطائرات البحرية، في حين يوجه الأعداء الصواريخ والطوربيدات المندفعة صوبنا، وملكة النحل تستخدم ذكائها وتنتج الرحيق والعسل وتستخدمه كأداة حرب

وغذاء، دهاء وفكر نير مستنير منها، وفي مشهد متصل يجر ويسحب ويجلب ويجمع الأزمنة ويستحضرها مجموعة جامعة يرى الراوي برفقة مؤلف الرحلة شريف ومعهما سنبداد وسندريلا والأمير المسحور والفارس المثلثم وحورية الفراشة الطائرة وأم الرحلة ورنيم وغادة وسماح ومحمد وإسماعيل، جمع غفير جميل، والليل ممتد طويل، والحوث يسبح في الأعماق وبرفقتة عقله الإصبع وأماني ومتناهي الصغر ومتناهية الصغر والهدهد والبطريق وأبو قردان وأبو فصادة والقلق والغراب وهو حزين قد ظهر يشكي همه لله، حيث الطيرة منه، فيضحكه لطفي، وفتة فاكهة الرحلة تركب على جناحه وتترك البساط، يقف على كفها عقله وأماني، وسلمى ذات الرداء الأخضر ترتدي حلة الربيع الخضراء ولباس الأمل المزركش بلون الخضرة وألوان الطيف، والفراشة بصحبة الضحكة وهي تلك العصفورة الصغيرة التي كادت تموت وهي بالحقل شرق المصرف العذب الصغير بعزبة عبد الواحد النواره والنسر، لا زال الفتى الخجول المنطوي على نفسه كامل يلعب مع الضحكة وهو يعمل في جني القطن وجمع اللطعة ودودتها الضارة في حقل القطن الأبيض والذهب اللامع، الضحكة لا تفضل سواه، ترافقه أينما حل، يضع لها الماء، يحملها فوق كفه الرقيق وهي تشرب لتوها من الجدول المناسبة مياهه كالأمل الباسم، ثم تقفز فوق كتفه وتداعب قسماته وتبتسم وتكركر، ويتقدم معتز فيري المشهد فيبتسم بدوره ويقول: يا لك من ضحكة عصفورة صغيرة وجميلة، لم لا تفعلين معي نفس الشيء مثل كامل وتصادقيني وتزامليني... فتبتسم تحلق فوق رأس معتز وتأت له بوردة جميلة غاية في الصغر، وتميل له الغصن فيضحك ويكركر، ثم تتقدم الحسناء مليحة الطلعة وقد قدم الربيع معها وتبتسم الحياة لظهورها وهي تلتحق بالجمع وتشاركهم الحديث، فتهل فتاة كما البدر وهي ناعسة التي تمسك بمرفق فتة ومعهما فاطمة ذات البساط، وها هن الفتيات والصبية في لعب ولهو ومرح، والضحكة تطير وتحلق في سعادة، فلا ينتهي طوافها وتحليقه إلا عند كامل الغريب، وينشد كامل وهو يطير بدون جناحين تارة وبهما ترة أخرى، ويحارب المسحور والجان ويهاجم العفاريت بين اليقظة والمنام، فإذا ما اشتد القتال بينه وبينهم، استيقظ بعدما كاد يشرف على الهلاك، فاستأنف القتال في الواقع الآن، وراح يهاجم الثروة القاتلة وهي تقتل الجميع بلا رحمة أو هوادة، يقول كامل وهو يرسل الكرة لخضراوي النجم اللامع في سماء الساحرة المستديرة والذي يرسلها مناسبة متهادية بدوره لمصطفى صاحب اللمسات السحرية، فيبعث بها هدية لأحمد والذي يسلمها لعبد الرحمن، فيستلمها الأخير بمهارة منقطعة النظير مسندا إياها على صدره ثم مرسلها لقدمه الذهبي ليركلها متجهة صوب المرمي في الزاوية البعيدة للحارس نميري، فيتصدى لها الأخير في تميز واضح ومهارة قلما تجد مثلها، لترتد لتوها إلى سداد المحترف الكبير والمهاري الخطير، فيبعثها عرضية سحرية لخضراوي والذي يرفعها متهادية طائرة لتلتقي رأس محمد الذهبية والذي يهديها عالية عابرة كل شاهق وعال إلى عبد الرحمن، والذي يسلمها لصديق عمره كامل، فيرسلها كامل للرحالة قائد فريق الأحلام، ليضعها الأخير بين الثلاث عوارض وقوائم، ها هي تستقر

في الشبكة واللؤلؤ أشرف يكرر ما حدث مع الرفاق، فيستريحون قليلا ويقول كامل مرددا وهم يرددون خلفه ومعه ينطق في ذات الآن مؤلف الرحلة شريف:-

في روضة حفني الأنسام والنرجس حلو بسام بها أحمد سلمى وغرام ومحمد، سامح، وإمام الواقع حلم هو فيها بها نرجس، سلوى، إنعام ورشا في عرسها كم عانت قتلت لا الخائن مقدم بل إنه وحش غدار من دبر قتلها إلهام والله شقيت من الدنيا في ساح الدنيا أنا غلام حسناء خصال للتو ظهرت وجموع بها هاموا قال الرحالة: أهواك فلقى من صدها آلام أخي أنت تقول وتجرحه ليتها ما كتبت أقلام وفي الرحلة هو ملكها المتوج وسلطانها والأمير، مصطفى الباسم الجميل البهي، يحط مثل الطائر السعيد وهو يداعب صفحة مياه نهر ومحيط وغدير وبحر يوسف في "عزبة عبد الواحد النواره والنسر"، وعلى امتداد البصر يبحر به عابرا كل الصعاب ومحلقا إلى جوار ملكة النحل في رحلة اللابداية واللاتهائية، حيث الوجهة للتو صوب جزيرة الأمل، هنالك من بعد ليس ببعيد ولا قريب تتجلى الجزيرة وتبين وتظهر جنة وكوكبا دريا وبستانا ومروج أمل وربيع باسم، والمسحور يتوسط مساحتها المائية عند نهر الموت، والجسر الجوي الطائر يرسل أذرعه الآلية، جسر ذهبي يهبط لينطبق تمام الانطباع على جسر عزبة عبد الواحد النواره والنسر، بؤرة الرحلة ونبضها النابض والخافق بالحيوية والمشرق بالبهاء، وها هو مصطفى يلتقي الأحبة من الرفاق فيسيروا معا صوب الجنة الخضراء عند حقل سامي ويمرون بروضة حفني وبمدرار المياه عند الجميل تامر وساقية مغامر الرحلة وبطلها الفتى الجسور عزمي، الآن عند حقل تلك الساقية العجيبة مستخرجة الدر والياقوت، وممررة المياه ومرسلتها صوب الحقول في العزبة الجميلة، وعن العزبة فهي التي تتحول لتوها وكما ترون لينابيع وجداول وعيون وسهول ومرتفعات ومنخفضات وبرق ورعد وجنان وبستان وحدائق وصحاري ومصرف عذب ودوامة تتوسط بحر يوسف وتعد بمثابة النبع مرسل المياه والدر والياقوت والخيرات لبئر سلمى في روضة حفني، وأبو قردان يرقبه ويحنو عليه ويرنو فيطيل النظر، هو وفوجه وجماعته يحلقون في السماء صافية الأديم إلا من قطع سحاب ناصع البياض يزين أيامها ويحقق أحلامها، فللسماء حلم وهو أن يحلق بها كل شيء وأن تطير بجزيئاتها الهوائية كل الكائنات وحتى الجماد وو يتهادى الهواء ونسيمه ليرسم البهجة على ثغر وجبين الحلم، وعلى مقربة من الحدث ها هي رشا تظهر مثلما البدر وهي تتوسط نخل الصعل الجميل فتجمله أكثر وتجعل له رونقا ومشهدا حسنا، إنها بدره وكوكبه الدرّي وقمره المنير، تلك الساحرة الهيفاء الغراء، وهي طائر سعد وأمل وينبوع طهر وعفاف وعسل مكرر، وبسمة تفتح ثغرها وابتسم قدها وفاحت بعطر أخذ، تحتضن روحها جذع النخلة الخرصاء المائلة المعوجة والتي تزحف كخيال حالم على سطح البسيطة الغافية على جناح الود الرقيق، وعن الرحالة فحبها والمتمني استقامة حالها وورد فتنها وابتسامة ثغرها، والملك الغضنفر خميس أطواره عجيبة، بين ثائر وهادئ ومقاتل مغامر ومسالم، يقود الجيوش بعزم فارس، وهو عنترة أبو الفوارس، وها هو الرجل العملاق سيد جميل الروح وهو في حقل القطن عند نخل الصعل

وبجوار جنة سامي الفتى الباسم، يتقدم الأول في هيئة هائلة التكوين وقسمات وإن تنم عن الغلظة فهي لا تعكس صفات صاحبها، نظراته نارية عجيبة، يحلق بجناحين وبدون، يقاتل جنباً إلى جنب بجوار الكائنات الجميلة على متن آلة الزمان والمكان، ثم ينظر الرحالة للجمع الغفير وهو يضحك ويكركر عله يخفف عنه، ولطفي يلقي دعاباته على الجميع ومعه فتة صديقة فاطمة والمستقلة معها البساط السحري برفقة أمل وناهد وسميرة ونجوى، وحسناً الخصال مع عروس بحر ونهر ومحيط وجدول وينبوع يوسف، وأحمد في النخل الكومي يلقي نظرة على نخل الصعل البعيد القريب، فيرى العجوز الماكثة ما بين الموقعين – نخل الصعل والنخل الكومي – والصبية والأطفال والصبيات يضربون بالسياط والعصي، ويقذفون ويسبون بأقبح العبارات من شتائم ولعنات ويلقون الويلات، والشمس يشتد لهيبها، والنبقة السدرة دائمة الإثمار تتحول لكل الهيئات وتنبت شتى الفواكه والخضروات وتدر اللبن الدسم لذيق الطعم، وتتحول لفرن عيش وقصر وتعويدة ورياح شديدة عاتية، وعن الرحالة الذي يكتنفه المشهد ويعلن عنه فهو يقول:-

قلبي وعمرى ونبضتي مهما جرى الزمن وعلى جار وأرسلت لمهجتي المح إنني أحبك والشذى كالطير إذ غنى يهوى جمالك من غدا والمشهد الحسن ما زلت أرقب عودتك قل لي متى أحظى بلقاء روحك ريثما يظلنا الفن والبدر ينشر ضوءه لما المنى تحلو ويزول عنا وينجلي ويبعد الحزن ما زال عطرك باقيا لا يبرح الروض ويستوي من خُلقك السر والعلن يا نَهْرَ نَيْلٍ مَوْجُهُ في الليل إذ يسري وفي النهار إذا مضى يزينه الوَسْنُ قد داعباك الناظران ففي نَعاسِهِما كأن داري مثلما طيف الهدى قَدْنُ ما لي أراك بحكمة لم تؤت للجمع كل الأمور بعقلك بفطنة تَرْنُ

أنت الطهارة والصفاء ونضرة الطلع ما كان يعرف أرضك السوء والنتن وليس عكر صفوك يا درة القلب أو شاب داراً للثرى القبح والعفن يا من بقلبي قدرك أغلى من الذهب ولا يعادل ذاتك ما تحتوي الخزن اقبل تعال إنني أشتاق للوصل وكم لرب عادل من فضله ممن قرب يوم نلتقي من بعد ما عز طيف الأحبة فانزوى وعمت الفتن كل جميل للذي كمثلته يدنو فتراني دوما بك أنا يا حلو أقترن والطير غرد حولنا من فرحه يشدو وهذا الجميل الذي اسمه حسن به كم بدا كروضة أنفٍ وهو الفصيح الذكي الناصح اللسِنُ وهو الأمين الذي وفى بما وعد على النفيس الثري الغالي يؤتمن النيل فرحي الذي أشتاقه دوما من ربي عذب مياهه والصفو والعدن. وظل الجبار يدفع الطفل الصبي بقوة وغلظة وجبروت، يكيل له السباب والشتائم ويلكمه ويركله ويقرصه ويلدغه كالأفعى، يعاقبه عقاب الكافر المُسَلِّط على مُتَّبِعِ دِينٍ ونهج قويم، الصبي يحار الآن ولا يعلم ماذا يفعل، من أمسك به وحش آدمي لا يعرف الرحمة على أي حال، ولا يراعي الله...و لو كان يحمل بعض معاني وصفات الإنسانية لما يفعل بالصبي الطفل كل هذا، جل ذنب هذا الصبي هو ضيق ذات اليد الذي دفعه لجني باقي ما تعلق بالزرع بعد حصاده، ولو احتسب ذلك الرجل الجبار المهاجم للصبي زكاة عن زرعه وحصاده لما تجبر في الأرض وفعل ما فعل أو ما يفعل الآن...فهو لا يزال يمسك بالصبي في

وحشية بالغة، والرفاق على بعد غير بعيد هنالك عند مصرف الترعة الكبيرة العذب يشاهدون الموقف فلا يستطيعون فعل شيء، وهو يشتمه ويسبه ويهينه ويضربه أمامهم، وقد جعلوا بينهم وبين الحدث الملتهب نخلة أفقية وضعت بعد وقوعها - لتستقر ملاسمة الشاطنين وموازية لصفحة الماء ومستوى المسطح المائي للمصرف الكبير العذب - كي يمر الناس من فوقها، وهم في الضفة الأخرى من المصرف، فما كان من الرحالة الصبي وهو مغلوب على أمره بقبضة وجبروت ذلك المجرم إلا أن انتفض وثار وصرخ في وجهه، فذهل الرجل وتركه من يده، فما كان للصبي التحرر من القيد إلا أن هاجم الرجل في ضراوة وهو يعدو كالفهد صوبه فيركله بثقل جسده الضئيل القوي في ذات الوقت، طرح الرجل أرضاً ثم اعتلى جسده وهو يكيل له اللكمات ويلقي على وجهه الأتربة، والرجل يستغيث، تجرأ الجمع من الصبية والصبيات لم رأوا إقدام الرحالة الطفل وبطولاته، فعبروا من حيث الضفة المقابلة لبحر يوسف المتحول إلى المصرف الكبير العذب، عبروا على جذع النخلة المؤدي للضفة المواجهة حيث الأحداث الملتهبة والحرب المشتعلة راحاها والدائرة دائرتها، وللتو يأتي مدد من العتاد والأدوات القتالية والجنود والمؤن للرجل الظالم التابع للنوارة والنسر والظالمين، فلا يتقهقر الصبية قيد شعرة أو أنملة، بل يواصلون الزحف في تقدم عجيب، فيما يتحول مشهد الرحلة وهو يجلب الأحداث من كل زمان ومكان حيث يظهر في الرحلة محمد ومحمود وعلاء وحسين وأبو قردان والبطريق والنباتات في زينتها والحقول والزروع والورد والزهر ومدرار مياه الشاب تامر ونخل الصعل، ويظهر الحوت في الأعماق يسبح وعلى ظهره عقلة الإصبع وأماني في زمن الأحلام والواقع، وعن محمود فالسحر والبسمة الجميلة وحسن الخلق، يحاور علاء ويلعب معه والشمس جليلة في كبد السماء ترسل دفاها على العالمين، كل من وما تقدم في الرحلة مستمتع بأحداثها الغريبة وحاضر لها في ذات أوان حدوثها عن طريق تلك الآلة الزمكانية المستجمعة والمستحضرة كل الأزمان والأمكنة والحبب والعهود والدنيا والآخرة والبعث والنشور والرحلة المحمدية والأحداث والقبور...و.....و.....، هنا في هذا المشهد الذي يفرض نفسه في عدسة الرحلة المجمعة والتي زحفت العهود إليها لتختلط وتلحق وتعود وتذهب وتستقبل وترجع كل أمر وزمن ومكان حيث الصبية يتمرغون في الأرض التي لا يريدون مغادرتها، والنوارة برفقة النسر وهما يتجولان في أراضيها الممتدة بلا حدود، ونحن نعمل بها بين حصاد وزرع وقطف ولوز القطن وذهبه الأبيض، وتنقية الشجرة من دودة القطن " اللطعة "، وكذلك السباحة في بحر يوسف، وهنا يتجلى حمادة وحسين واللول أشرف الجميل وهم يسبحون بنهر الأمل وبحر الود ومحيط الظلال وجدول الطرح " بحر يوسف "، والشباب جميل يستحم في البحر فيعوم تارة ويحلق تارة أخرى ثم يحط كطائر أمل على متن السفينة العملاقة حاملة الطائرات والمعدات الحربية، فيتجه إلى " صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان "، وهنا يوجه " صلاح الدين القائد العالمي للجيش الجرار " صبري ويعلمه كيف يجيد قيادة آلة الزمان والمكان في كل تحولاتها، ثم يظهر الرحالة وهو يترجم نبض قلبه ويعلن عما يجيش

بصدره وهو يقول الآن:- كثيرا ما أحرار بين هجوم على شخص جارح - بلفظ أو قول أو فعل وما شابه- أو ضبط نفسي ومحاولة تمالك أمري، وفي كلتا الحالتين معذب النفس نادماً أنا، فلو ما هاجمته أندم، ولو ما صمتت أندم، فربما أهاجمه فيكون مظلوماً أو أنه لا يقصد، ولربما أصمت صمت المتزن وأندم أيضاً أنه أساء لي في وسط جمع من الناس ولم أرد عليه في حينها، لكنه والله تقدير الله واختياره، والمهم أن تكون ثقتي بالله كبيرة ولا أترك وأدع للشيطان مجالاً أن يذهب بي كل مذهب ويشكلني بيديه ويمزج أحاسيسي ومشاعري ويطويهم مطية يده ومكره، ومن أنا حتى يخالج نفسي ويعتريها ذلك الشعور المهلك، هل أنا متكبر، لا والله...و هل أنا مغرور: لا أيضاً...لست مغروراً، لكن سوء الظن يقتلني وحسن الظن يمكن الخلق مني ليستهزئون بي ويتخذونني دمية يلقونها على بعضهم البعض، فيسخرّون مني وهم لا يعلمون أنها تالله لو قامت لي ثائرة وقائمة لحطمت أنوفهم جميعاً، وحتى ولو فعلت ذلك فسأحس بالندم...أنا أبكي الآن لأني أحيا هذه الحيرة منذ الطفولة.... تبكي أم الرحلة على وليدها وعلى حاله، وهو الذي لا يغفو إلا قليلاً، الموت دائماً أمام عينيه، يخاف منه ولا يخاف، وينتظره وهو وهم جاثم فوق صدره، يراه نائماً فيفزع ومستيقظاً فيعدو ظناً منه أنه لن يدركه في حالة عدوه تلك، هو لا يريد أن يموت...صديقي والله إن الموت حياة أخرى متصلة بهذه الحياة وهي أجمل منها بمشيئة الله.. ثم تصرخ أم الرحلة: كفى بني، أرهقت نفسك...تب إلى الله.. فيجيبها ملبياً: سأفعل يا أمي...سامحيني.. وتهتف الكائنات: الله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم...ويتحول المشهد فيظهر للتو الرحالة وهو ينظر إلى النسر والنوارة وهما يجلسان متجاورين على عرشي مملكة ظالمة في أرض غير ظالم أهلها وهي بؤرة الرحلة ونبضها الخافق بلين ويسر، قيثاره زمن هي واسمها " عزة عبد الواحد النوارة والنسر "، وقد سميا تمت تسميتهما على اسميهما، نعم ينظر إليهما الفتى الرحالة وهو لا يعبأ بهما، ويقول معلناً ومجاهراً بقوله ليستمد جرأته من جسارة وإقدام سيدنا عمر بن الخطاب الظاهر معنا بالرحلة والمشارك كافراً ثم مسلماً، يقول المغامر الرحالة:- ثم إذا نظرت إلى عينيه تجد اللؤم والخبث يتمثلان بهما، والضوء منهما مسلط عليك لا يغادرك ولو بشق الأنفس، قد تنزل أنت عينيك خجلاً ولا يفعل هو...،...، إحساس قاتل ذلك هو المصاحب للخجل، والصمت المطبق يكاد المرء يتفجر منه، ولو فاضت النفس في هذه اللحظة وأسلمت الروح لباريها لكان ذلك أرحم وطأة وتأثيراً، كم أمقت الصمت الطويل والذي لا تجد معه الكلمات لتبعثر ضغطه المهلك، تكاد تصرخ أو تهب قائماً ويحول بينك وبين تحقيق هذا خجل كالكابوس بين اليقظة والمنام، انفض عنك هذا النوم الجاثم إذن على صدرك، فهو الذي يجتر إلى المواجه والآلام ويؤلب الفكر التي تشغل مخيلتي وتملاً نفسي بصنوف المشقة والإرهاق، كل شخص يجرك ويضعك في مواجهة بين ضبط النفس أو الثورة المبيدة لكل القيم، تلك الثورة النفسية التي تخرجك عن مسار الاتزان والعقلانية، كل ابن آدم يفعل ما تقدم حري بك أن تحلق بعيداً عنه لو استطعت...بالله عليك افعلها...افعلها...، تصور أن شخصاً قد يحيل مجرى حياتك صوب موج مضطرب يغرق

به كيانه، وعلى النقيض..فشخص آخر يجعل الحياة باسمه في ناظريك مضيئة براقه في قلبك...قلما سمعت حديثه أومأت له موافقة، فمتفق أنت معه معه في الرأي تماما، ثم نزلت عن هودجها ومسكنها المتحرك على وتيرة متراقصة متوازنة متزنة كأنها الجرس الموسيقي الخالد الطروب، وكان الجمل يساعدها حيث أناخ في وضعية مريحة وكأنه استشعر ميلها لذلك..و في أثناء ما تقدم وخضم الجاري الآن يهجم قطاع الطرق واللصوص الضالون المتسلطون على الركب، يستل الرحالة سيفه ويمسك بخوذته ويشد إليه عتاده حيث السماء ها هي ملبدة بالغيوم تبكي ويا لروعة بكانها، فهو بكاء وهطل عذب ماؤه ذلك الذي يصاحبه حنين وأنين، والربيع يفرش جناحيه ويفترش الأرض ويصف آماله على ريش حريري ينسكب مثل مياه نهر الأمل ببحر يوسف...و الآمال مشرعة كفلك تزين قدها ووردها وتثر العبير ببستانها وهي تمكث عند نخل الصعل بجوار رشا عروس ذلك النخل وحلمه الجميل، تلك الفتاة التي ذهبت روحها إثر انتقام من أحبها - من طرف واحد- منها، ففاضت روحها ثم هبت من جديد على هيئة جنية تملك القلب وتعزف على شغاف الفؤاد لحن الأثرة والاجتذاب والأسر الفياض...و يتحول المشهد بواسطة آلة الزمان والمكان المصاحبة للرحلة بلا حدود، لما يبين خليل ويظهر وهو يشق جدته ويقل قبره ويقوي عزمه ويقول والمني تحل والفرد يستمع والكل:- هذا الزمان يسرق مني جل لحظات السعادة إلا تلك التي أمكث فيها بين أهدابك ولدى الرمش الناعس وعند الجفن الغافي على وتر القلب، فتلك تغني روحي عما انفض عنها وغادر وما ضاع من بين يدي من كنوز الحياة المعنوية والمادية، ووقتذاك لا تسعني السعادة والدنيا التي تحويها بل والكون والفضاء الكوني وما أبعد وما لا نعلم... للتو هي لا تكاد تصدق ما سمعته ينساب من سحر مبسمه من كلمات، ولا تستوعب وتعي أنه يحبها كل هذا الحب، لكنها ذهلت حينما رأت عينيه ينطق منهما الصدق، ولغة العيون لا تكذب أبدا، أغلقت مقلتيها خجلا وأسبلت عينيها هياما وراحت في فكر جميل وذهبت بكل مذهب وخيال وضربت بكل فج ودرب واختلفت جينة وذهابا حيث أيك طائرها وعش حلمها، وحط طائر سعدا فوق غصن الشجرة دائمة الإثمار، ونظرت إلى خليل نظرة أمل وحنين، تسير معه في الصحراء الجرداء فإذ بالأرض تخضر بإذن ربها، ويظهر بها التفاح والرمان والعنب وكل الخضروات، فتذهل كل الذهول وتتحدث وتقول:- كل هذا لي قيثارة زمنك ولحن عهدك ؟!، هل أمثل أنا لك كل هذه القيمة وتلك المعاني السامية، أبادلك ما تشعر وأكثر...فيقول الفتى من هول المفاجأة وقد اخضر الربيع في عالمه وعبقت الزهور شذى وأملا من روضته:- ثم رأيتهما والسحر في عينيها شاغلي، والطرف منها حل بكل المنازل، فمنازل القلب والروح عديدة، وكم هي أسرة نفسي الفتاة فريدة، فبادلتهما النظرة نظرات، وكان بالسماء بعض عبرات، فهطلت وسقت الزروع فهي كريمة، وبرقت بضوء يخطف اللب ورعدت بموسيقى أخاذة مرهفة - ثم حل علي النعاس يفترسني، وطغى على وظلمني واستخدم ضيمه، وخلصت إلى سنة من نوم فلم تكفني، حتى وصل النوم ذاته يجاذبني من برائن ذلك النعاس وينتشلني من ثورة أمواجه الهادرة الهانجة - ونام النعاس

ما صحا، لكن قلبي مستيقظ يذكرها فتزور أحلامي، طيف النعاس مخالفه مُمزقةً للروح والجسد، والهم يهبط بي حيث المستنقع المغروس بكريه النبت وخبيث الطلع. — ما بالك اليوم؟!... وماذا يضير فتى مثلك وأنت الهدف والأمل والمرام والحلم لكل فتاة، فنظر إلى صبري ووجد البراءة متمثلة به، وكانت حينها ملكة النحل تحلق وحولها العصفير والطيور والكاننات، والهم ينظر من شرفة بعيدة والوجل ينتظر اقتحام ساحة الفرح وهو يصطحب الظلم والقول الجارح والعمل الشاق معه... فلم يزل بصبري يتأمل براءته حتى سكن الليل وأسدل أستار ظلامه صبري الطيار الطائر أنا مثلك صبري حائر لكني أحمل أحلامي التفت إليها وأنظر ورشا في النخل بذى الصعل ترعى الأزهار وتنثر ألقاها حقيقة أيام روى روضها نيل أسمر قد شاقني من أمر القوم ما يشغل طرفي المبصر لا يدري ماذا ألم به برغم أنه على مقربة قريبة من جزيرة الأمل التي تتوسط نهر وبحر ومحيط وجدول وغدير يوسف وهو يقول والدموع تهطل والفلاح يعمل في حقله حيث القصر الطائر لا يزال يحلق في هذه الليلة السحرية:- لا أعلم ما كل هذا الفكر الذي أغرق به وتذيني حروفه؟!، وما تلك المعاناة التي تكتفني وتطوقني بأسوار من يأس قاتم وقيود نارئة ملتبهة؟!... قد مللت الحياة بكل ما تعني الكلمة من تفسير... هلا يجيبي أحدكم... لا تتركوني أحرار في أمر غرقى، وتتعلق روعي بين حياة وموت وكان يحس أن فكراً يُشَوِّش نفسه تَمَلُّكُهُ، ووسواساً يقض راحته يعصف به، وخيالاً يداعب مقلتيه يحيل حياته جحيماً، فشرع ينشد والهوى قدر، ولأنامله وفكر مخيلته وحنين وجدانه ما سطوروا، ثم مضى وهو يتأمل، يعيش الواقع ويتخيل، ويغني كالطير وينشد، والأنفاس بصدوره تتردد:- بَحْرُ يوسُفَ يَتَشَكَّلُ نَهْرٌ محيطٌ وجدولٌ مثل النسمة هو تارة وحيناً آخر يتزلزل يعدو كفهد في الساحات ويطوي ليلها ويهرول بين الروض وقحط البيد وسحر حقول يتنقل وعوني غاص ببحرك يوسف وكل الأمر له مذهب ورشا كنسيم ربيع أتى لطرفها سحر لا يُهْمَلُ.

فأطلت عليه وقد هداً حالها، وذهب عنها السحر وعادت لحالتها الطبيعية، وفي أثناء تقدمها إليه اختطفها المارد العجيب وطواها مطية جناحيه، وحلق عابراً نهر الموت وغانصاً في ظلمات الليل السحيق، فحزن الرحالة وانتابه شعور محطم، وكان قد حاول إنقاذها دون جدوى، فمكث غير بعيد عن ساكنة القلب "عزبة عبد الواحد النوارة والنسر" وهو يحس بكابوس مريع أتاه بين اليقظة والمنام ويمنع عنه سبل السعادة قد طغى على كيانه، فتوجه صوب بحر يوسف تارة أخرى قاطعاً شوطاً كبيراً من العدو والركض، وهو يمر بغابة النسيان القريبة من موقع الأحداث، وفي خلال ذلك رأى أخيراً أن بحر يوسف تضطرب أمواجه وتتغير مساحته، فحيناً يتسع وحيناً يضيق وتارة يهدأ وأخرى يثور وفينة في حال وأخرى يحكم قيده عليه فكره الشارد، ووقت الركض والهرولة وإذ هو يعدو كالفهد رأى صديقه وهدي عند المنعطف الخطير يدافع الوحوش ويباريها وبرفقتة اللول أشرف وبقية رفاق له من شتى الأزمنة قد حيوا روحه و، تجمعت كل الأرواح تلف المكان، واستيقظ الرقاد واستجمع الوعي وازداد رباط الزمان والمكان تماسكاً، ومضت آلة الزمان في تحولات

تصاحبها زلازل وبراكين وعواصف تقدم من عهود ما قبل الإدراك والعهود الوسطى والسحيفة، وجل ما يحدث كائن والقصر في حالة تحليق وطيوان، ونادية تبتسم ابتسامة الصفاء والنقاء وهي فتاة القصر والمغلوب على أمرها بكيد من الساحر الشرير وريما العجوز الساحرة، والجدة أفيات في عمر الزهرة رغم تهادي الكبر، ثم تعود لأفيات الصبية الصغيرة للتو وفي لمح خاطف، ويزور كيانها كل زمن ويشملها فعليا، في حين يتعجب العالم الجليل وهو ينظر للتحويلات العشوائية في حسابات البشر، والغاية في الدقة والتنظيم والإحكام والمنطقية في حسابات رب الخليفة والبرية والبشر، ولا تزال نفس الرحالة يخالجها شعور عجيب وقلبه يدق دقات حنين وندم وود وأنين، يذكر أيامه الأولى فتحضر في الرحلة زاحفة في مشهد عجيب، وهو يقول متجاوزا حد الحدث وزمن العودة ومستقبل المأمول من الأمور والآمال، فتستحضر الآلة ما بعد وما دنا، وتمتزوج لديها الأزمنة الثلاثة لتقع في بوتقة وبؤرة الحاضر وهو يستطرد قائلا: وما نور إلا ذلك الفتى جميل الروح وحلو الصحبة، خفيف الظل، وما ينتابني من ضيق يطبق على أنفاسي ما هو إلا تراكمات عبر الزمن ومن ظروف النشأة القاسية، هذا الذي يحيق بي ويمسك بروحي ويقيد حركتي قد أرقني لأبعد ما يصل الفكر وحلق بي لأقصى ما يصل التحليق، معذب النفس أنا، ولعل بعدي عن الله والصلاة المكتوبة سبب في كل هذا الغم والههم، ثم انخرط الرحالة في بكاء شديد مستغفرا الله وتائبا، فما يكون من نفسه سوى العودة للذنب مرات ومرات، ما هذا الهوى وزيف النفس والجهل والميل لدرب الشيطان، ما سر ذلك السحر القادم من الوسواس الخناس الذي يخنس ويدبر ويغري ويحكم تسلطه وجبروته الفكري ؟!، فأشفت عليه ملكة النحل، وقدم عصام رفيقه يهدأ من روعه، وتبسم له الفتى نور وأدرك كم الاحتراق الذي ينغمس فيه وضيق النفس والصدر مما يعانیه من أوجاع روحية، وتبسمت من بعيد رشا وهي تحارب بين طبع فطرت عليه وتطبع فطره عليها كل من النورة وذلك النسر القابض على حرية التأمل وأخذ القرار، عصابة شرك تتحكم في الأنفس التي برأها الله وسواها وأنشأها من العدم والثرى، ثم أقبل أبو عوف وهو يشرح ويفسر ويدل الحيارى وينصح الناس، فمنطقة نخل الصعل الوعرة مشتتة بالأحداث وغابة النخل الكومي المليئة بالأشباح وأرواح الموتى تكاد تمت من دنا منها رعبا، وبحر يوسف على مشارفها يعج بما لانهاية من أعداد وحوش تستقر به، وتأنس بموجه ولا تفارقه، والمسحور لا يزال يهدم ما بناه عيسى وما زرعه، وعيسى يمسك به تارة أخرى وثالثة...و....و. هلم جرا، قلبه الطيب لا يتوجه للأذى، فهو ذلك الذي يعرف معنى التسامح والخير، وهو الملم بكل ما يتاح لبشري أن يحيط به، وما أوتيت من العلم إلا قليلا، إنه غرور النفس البشرية يطلق لها عنان الإعجاب وحب الذات، ولا بد من رادع نبعه النفس يلجم ويوقف زحف التأمل الشيطاني، ويكبح جماح الهوى ويقيده، على أن الفتى واصل حديثه باكيا واستغفر عل الله يقبل توبته، وتاه في فكر وحنين وانخرط في هيام وأنين، وهو يقول ونادية مع شقيقاتها عند شرفة القصر الطائر ومعها تبر، وتبر تالله هدية بعث بها الله للرحالة لتخفف عنه، تزين الرحلة بطلعتها وتهمس للزمان أن لا شيء

أحبه على وجهك وقسماتك قدر حبي لأخي الرحالة سوى ومن قبله الله رب العالمين ورسله وأنبيائه والتابعين والصحابة وكل من حمل في نفسه الخير أو دل عليه،،،، يستطرد ويقول ويردف، ومن نهر ومحيط وجدول وبحر يوسف يغترف ويغرف:- دفعني الحنين لبعض اشتياق وما بين قدم اختلفت وساق إلى حب عمري صباحا مساءً ونلت من الود بعض مذاق لما حينها كنا صغاراً والصبح يسفر ذو الإشراق وممدوج عند روضة حفني وجدول سلمى على العهد باق وآلة زمن يقودها صبري بين زمان ماض وآخر راق أتوق إلى كل وصل جميل فيه المودة وعهد الرفاق رشا جل ذنبي أني أتوق لعل تحلين قيد وثاق وتلك العجوز اللنيمة ربما كهمس بدا في الدنا رقرق بمعسول قول ومثل الوحوش تنال الصيد بفعل الشقاق ونسر إذا ما يخلق نال مرادا رجاء وضيق خناق على كل الفريسة يحكم وكل حسان وبيض رقاق. وكان أحمد يستمع للكلمات تنتهادي من نبع ذلك الموهوب مؤلف الرحلة بلا حدود شريف الشاعر، جميل الروح والطباع وحسن الهيئة وحلو الروح، نبت الرحلة الطيب والأمير الجميل، تسبق الأول ابتسامته وتزينه طلعتة الحسنة، فأحمد الهادي حلو الملامح والقسمات مثلما البدر المنير، وللتو يدنو الرحالة من محيط الرحلة وهو قلبها ونبضها ويحيي شريفاً ويضاحكه، فهما صديقان منذ الأزل، والحمامة برفقة ملكة النحل وأم الرحلة يستمعان لهمس الرحالة وهو يقول أن أحكمت الدنيا عليه وثاق الضيق وقيد الوجل وهندام المنية ولباس الوجل....يقول الرحالة: وقد ذهب بي الهم كل مذهب فضربت في القفار والفيافي أطلب الهدى من رب البرية وأتمنى أن تمد الي يده - جل وعلا - فلا تحيد بي الوجهات ولا تفرق السبل. فرقت لكلماته شقيقته تبر - الذهب الأصيل - وكذا فعلت شقيقاته حسناء القصر " و " أميرة الزمان " و " سندريلا البحار " وياسمين البستان " و " فتاة القصر وهي " نادية " تلك الشادية منشدة الأمل والباسمة حين ترسل حسناتها الأخاذ على هينات موجات ضوئية تداعب صفحة البحر المتحول شامل جميع المسطحات المائية-، محطة الرحلة " عند عزبة عبد الواحد النواره والنسر " - فيرى الجميع الرحلة المحمدية ويحيون فيها ويعيشون فصولها وأحداثها فيرون سراقاة وهو يعدو آملا ملاحقة الصاحبين الخليين والفوز بالجائزة التي رصدها قريش لمن يأت به وصاحبه، إن قريشا يخيب مسعاها ويزول مقصدها ويتضاءل هدفها وأملها وطموحها، وهي التي تسعى لتحقيق هدف دنيوي للنيل من سيدنا محمد والحيلولة دونه وتحقيق تبليغ رسالة الإسلام للعالمين، وهذا لن يكون بأمر الله، وفي مشهد مصاحب للرحلة العجيبة لا نهائية الهينات والصور والأحداث، يقبل المسحور في مشهد دام وهو يكبل السابحين عند نهر ومحيط وجدول وبحر يوسف، ويزحف زحف السابح خلف الفرائس، والفارس المثلث يغادر بحيرة التماسيح مستكملاً مغامراته ضد المسحور وعائلاته، والمعروف أن المسحور له مصادر عدة لنشأته العجيبة تلك، وهو المتحول من حالة إلى أخرى، من ضمن هيناته اللانهائية هي تلك الكائن عليها للتو، حيث تسحره العجوز الساحرة ذات البيضة اللؤلؤية البلورية والعصا العجيبة الساحرة الجاذبة، والقوس الطائر والسيف المحلق والحسام القاطع، وكذا مجموعات أدواتها -

الساحرة العجوز – التي لا تنتهي والتي تستخدمها لتعمل كيدها وتترك أثرها... تتعجب نادية لما ترى وتبر أيضا على حال شقيقتها حسناء القصر وشقيقتها الأخرى فتاة القصر المأسورة، ومعهن رشا وهي تبين في نخل الصعل وتظهر بتحولها العجيب وهيبتها المربعة تارة وأسرة للقلب والوجدان تارة أخرى، ومريم الفتاة التي يغار منها البدر تداعب أبي قردان وتغني للفلاح، ومحمد مع أبيه الفلاح الفصيح في الحقل المجاور لقصر، يتناولان طعام الإفطار والفطور والغداء والسحور، والجبارة نؤارة بما أوتيت من سحر وجمال ودلال تحاول الإيقاع به، لكنه إيقاع من نوع آخر، إنها تحيه حبا خالصا برينا، ومحمد لا يعيرها اهتماما يذكر، ثم ينضم للأحداث عبد الرحمن رفيق عمر الرحالة وهو يربت على كتفه حين ذهابهما لموقع الأحداث الملتهبة، ومحمد يرحب بهما وأبو قردان والبطريق والهدهد والعالم الجليل، وأم الرحلة وسلمى شقيقة الرحالة وفاطمة حب عمره ومنتهى أمله، فيما ينن الرحالة ويبكي بكاء ليس ظاهرا، بيد أن عبد الرحمن يستشفه حين يقول الأول: على أن عَوَّلَ الهم أَقْصَى مَضْجَعِي، وَتَرَبُّصَ الْأَعْدَاءِ بِي كَادَ يَأْتِ عَلَيَّ، وما اتخذت إلى شيء سبيلا سوى والفكر يداهم روي ويورق نفسي. _ نعم يا رحالة، أنا مشفق عليك، لكن رسول الله ﷺ ها هو يعاني الأمرين ومعه صاحبه في الغار في رحلة الهجرة، ألا ترى ؟! - يا لجمالها من رحلة يا عبد الرحمن....رحلة تأخذنا وتحلق بنا على جناح ود وأمل، فها هو الهادي البشير صلوات الله عليه وسلامه وعلى صحبه الأبرار الأطهار وبرفقته صاحبه أبو بكر وهما على مشارف غار ثور يصعدان الجبل والمرتفعات ويرتادان المنخفضات ويتعثران بالوعدة تلي الوعدة وبالصخور والبروز ووَعِرَ الطريق، هما في فرار لتوهما ليس بفرار من أفرعته وأخافته الدنيا، لكنه فرار ممنهج معد له وبإذن من رب العالمين ها هي تستكمل أحداث الهجرة المباركة حيث يثرب المدينة المنورة...ثم استطرد الرحالة مكملًا، ،، وها هي الرحلة تشهد سرقة وهو يطاردهما فيتعثر جواده ويأبى استكمال المطاردة، ها هو الحصان يعرف رسول الله ويؤمر بالكف عن أديته... يبتسم عبد الرحمن ابتسام الزهو والنصر والأمل، وخاتم المرسلين برفقة أبي بكر ها هما يدلفان من إحدى فتحات غار ثور ويستقران هنالك، والمشركون حيارى، فيتعجب الفتى لما يراه ويعلم أن الرحلة قد أدركت الهادي - سيدنا محمد – البشير النذير... ويبتسم تارة أخرى وهو يقول:- خاب مسعى قریش وضلت حيلتهم وهزموا أشر هزيمة. ثم ها نحن أولاء نفحص الغار بعدسة ومجهر الرحلة بلا حدود وقد دخل حيز النبض الجامع لكل الأزمنة والأمكنة وما أبعد، فيما يقبل الفتى أحمد باسم الثغر وعطر الزهر وأمير الدهر، فيه بساطة يبيدها ونزاهة تتجلى معانيها وهدوء كأنه الربيع لما تهادت نسائمه، وأطل عليه أبو قردان وهو يتوسط الخضرة ويزامل الفلاح ولا يبرح موضع قدميه – الفلاح – حيث الفلاح الفصيح ومعه مجموعات الفلاحين يزرعون ويقلعون ويخضرون الأرض ويروون البساتين، ومدرار مياه تامر – الشاب الطيب – يدر الخير والماء العذب والياقوت والمرجان والذهب واللؤلؤ، فنسقي الحرث ونحلب البقرة والجاموسة، ثم تظهر في الصورة والمشهد أم معبد، ولديها شاة ضعيفة، وها هو رسول الله

يباركها بيديه الشريفتين، تلك الشاة التي تبدو هزيلة حد أنها لا تستطيع در اللبن ولا يرجى من ورائها حليب بأي حال، نعم... شملتها بركة الهادي أحمد ومنير الوجه حسن الطلعة والروح سيدنا محمد، وها هي للتو تحلب وتدر، يسقى الجميع ويشرب وينعم،.....- "لقد عمت البركة دارك يا أم معبد". قالها الرحالة وهو يعجب لما يرى وسيدنا محمد يكمل فصول وأحداث الرحلة حيث كل اهتمامه تبليغ رسالة ربه. وها هو الرحالة يرى نور فيسعد كثيرا ويتغنى شاديا لما حولت الرحلة مجراها غير تاركة من حدث ورائها ومشهد الهجرة وكل المشاهد حاضرة في عدستها وشاشتها ومشهدا بل مشاهدا الآتية من عمق الزمان وعيق المكان وعمر الدهور وشدو العصفور، يكمل الرحالة ويستطرد، وهو لكل حدث يكيل ويفرد، طيف حسن هو وعصفور أيك في رواح وغداة يشرع جناحيه ويصفهما ويفردهما ويضمهما ويغازل بهما النسيم العليل، والرحلة له بآلة زمانها ومكانها دليل يشفى بها إن طمح العليل في الرحلة الفتى نور وهو البدر والبدور يرى في الموكب السعيد إنه الفتى المشهور وبحر يوسف يتهادى وفي أعماقه المسحور وعوني أضلته العجوز وظلته بعدها الزهور فمنها اشتم العبير وشذاها ذاع العطور إني برفقتك يا نور تالله فرح مسرور وعوني معنا يغني ويشدو فهو جسور كم ود إنقاذ حفني وكم تافت إليه الدور وابن النورية كم ظلم وتشهد الصبايا والخور استل في التو حسامه والحدث هذا مقدور والكواكب وفلك السماء من فرح وهيام تدور وها هو قد غرد وغنى لمقدم نور العصفور أشعلت الحرب العوان وشمل الجميع السرور ورشا فتاة الحقل وعروسه كلها نور ورفيقها كل شر وحول رشا الصقور أبو عوف صال وجال والأرض تزلزل تمور وتحقق نصر مبين وولى بعده الغرور. ثم يكمل الراوي وهو مشارك الأحداث والقاص لها ومؤلف حرفها، وهو أيضا كل شخص بالرحلة، فيتحول لهيئة المتحدث وكل ناطق وحاضر معنا فصولها ومجريات أمرها وتوابع خطوها وسير روحها ونبض قلبها.. نور يكمل الراوي والأحداث سارية جارية، وينبض والقلوب هاوية ويستطرد:-

كبدر يطل نور وكامل يبرق فيزين معالم الحياة، باسم الثغر حلو الروح وخفيف الظل، وقد قدم إلى روضة حفني في زمن ليس يعلم ولم تحدد له وجهة، وابن النورية والنسر الضال لا يزال يوجه جيوشه وأعوانه للنيل من الجميع وتطويعهم لأمره وإخضاعهم لسلطانه وبطش أبيه الظالم، وأمه نؤارة قد حلت في موكبها بجوار موكب عبلة في تلك الحقبة العجيبة من عهد الأيام- جمعت عهد الضيم وظلم العبودية وعهدا السحيق ومحاولة عنتره في التخلص من أسرها ومن ذلك الرق الخانق له - في حين، تقدم الفتى نور مستلا سيفه ومتقلدا خوذته وحسامه ودرعه، ينقل يديه عبر غصون الأشجار مع الرحالة وعبد الرحمن في محاولة إنقاذ لحفني وناعسة الطرف وسلمى، وقد حبسوا وقيدوا هنالك في الروضة العجيبة، فيما يتحول المشهد في اضطراب عجيب وزلزلة مرجفة موجسة خيفة في الأنفس، والجزينات الزمانية والمكانية تعمل عملها وتترك أثرها لتحول عجيب مثير فيه تتقد الأحداث وتشتعل، والرحالة يساعل نفسه وحسنا الخصال وجمع الكائنات ويقول وصوته يشق الفضاء:- لكن

هذا الاضطراب يكاد يقضي عليّ، فالحياة نبض يسعدُ وو يئنُ ويهنأُ ويضنُ، وكأن ذلك النبض شخص يحس ويشعرُ وهو هكذا، وذلك الحياة أيضا زرع أمل جاء مع الربيع فكان وهي رفيقين متلازمين- النبض والحياة -، وبرغم التهاب الأحداث هنا فأنا أؤمن أن الانتصار والغلبة للحق...مهلا حفني - سلمى - ناعسة...نحن قادمون للتو...و يردد عبد الرحمن كلمات صديقه ويؤكد عليها ويتم لهم النصر... ثم توقف عن الحديث فجأة- ذلك الرحالة - فاشتمله صمت وأطبق على ذاته حزن ووجل قبل أن يستطرد ويساعل نفسه والكانات تسمعه وكذا- فتاة القصر - فهي محل الحوار والقصد في هذه اللحظة والأمل المنشود من بعد عون الله:- أما آن للنسيم أن يرسل تحياتي وآمال الحياة لفتاة القصر؟! نادية الشادية، وقصرها الطائر يطل علي وأنا الفلاح الذي يزرع أرضها ويبكي لأجلها، أجلس مع أبي وأمي نتناول طعام الإفطار في الحقل حيث قصرها الطائر رسا وحط، وأبو ربيع المؤتمن عليها- تلك الأرض - والمحافظ على ملكيتها غير المفرط فيها معي لا يفارقتي كيانه ولا ظله المظلل وطيبة نفسه، أنيس حالي هو والرفيق في السفر والحل والترحال، وعنترة محب عبلة ومفضلها على نفسه والمحارب من أجلها في البداء يبحث عنها فلا يكل ولا يمل، ولربما انتهى شيبوبُ الطعام، وعنترة لا يشغل باله شيء من الحياة ولا يرجو سوى عبلة، ولا يقبل عنها بديلا، تلك الفتاة التي ملأت عليه حياته وأحالتها نسائم أمل ربيعية متهادية وهو الساعي بقوة واستماتة للتحرر من قيد العبودية لأجلها وانتقاما لكرامته وكرامة من يطلقون عليهم العبيد وهم أحرار الأنفس، يعيرون عليهم سوادهم وهو خلقة الله وصنعه الذي لا يعاب أبدا فحاشا لله، وصابر المغلوب على أمره والذي يظلمه أبوه يصبر على محن الزمان ويداعب ثمر البستان، كل هؤلاء معنا في الرحلة وما لم يدركه عقل أو يطوله خيال، يقدمون من أزمنة ماضية وحقب سالفة وآتية ومستقبلية مجهولة من قبل البشر ومعلومة ومقدرة ومكتوبة في اللوح المحفوظ من قبل رب البشر، ويعودون أيضا ويرجعون من مستقبل، وهم بالأحرى يحيون كل الأزمنة، وها هو وفجأة يحدث أمر عجيب حيث يستيقظ كل من بالقبور في مشهد مهيب، نحن نخرج من الأجداث من كل نبع موت ومكان مصرع ومنية، مات الموت وقضى ولا تزال الحياة مستمرة تصل الماضي بالحاضر بالمستقبل بحياة القبور والجنة والنار والكوثر المعسول، وها هو يقدم المارد في هيئة ضخمة وجسم لا نهاية لطوله وارتفاعه، هو موجات من المياه وكتلة من الحديد والسنة من النار وعمة من الليل حالك السواد ودخان من نار جهنم ولهب من الشمس المحرقة ونور من الصبح الجديد، هيئة مانجة متغيرة متحولة بين الصلبة والسائلة والغازية، يسكن جسده الجان، لكنه طيب جدا، يأتي من كوخ الصبية الصغار المحصن، وهم أبناء وبنات وصبيات أم الصغار، يزحف برا وبحرا وجوا كي يخلصنا من بعد أمر الله، والحريري يحلق فوق النهر ويمشي فيه ولا يبتل، يطير بجناحين من الشمع وهو يصحب المارد أينما ولى، قوى الجان مسخرة لهما، وحسونة يطير ويحلق كذا مع العصافير، ومجدي متزن النفس هادئ الطباع مع عوني في رحلته المانية بعد قذف عجوز البحر اليوسفي لهما بالحجر والبيضة ولهيب الجان وبعد ضربهما

بالعصا الطائفة، تتداخل الأحداث وتحدث ضوضاء صاخبة قاتلة، ثم يحلها هو الربيع فتهدأ الرياح الهانجة ويتهدأ النسيم وتظهر أم الرحلة مع أم الصغار وهما يسكنان أعلى الكوخ الطائر ومعهم الصبية والصبيات، يا للعجب ؛ يطير الكوخ بدون جناحين، ثم يزلزل الحدث ويضطر ويهدأ وينقلب وينقب في ذات الوقت والحين ليكي الراوي لا تعلم فرحا أم حزنا وهو يقول:- والله إنها لمريرة هذه الحياة وممتعة أيضا وبهية وندية ومزهرية، تلقى بها الربيع والأمل والعذاب والوجل، فلو كنت سعيدا داعبك طيف الحزن من بعيد، ولو كنت حزينا يرسل الله تعالى لك بعض الأمل أو بصيص فرح، هي لا تكتمل بيد أنها في الرحلة بلا حدود تكتمل لكن لا تنتهي، ممتعة حد الذهول ومملة حد عدم طول حتى البكاء، وها هو يظهر "البَقُوشِي" أسود اللون وهو شاب غليظ القلب حاد الطباع وكهل لا يستسلم أبدا لكنه طيب ونحن نخشاه إلا الجريء منا، يمر بكل المراحل العمرية أمام أعيننا وتتشكل قسماته في مشهد مميت مخيف، يمسك بعصاه ويُعَكِّرُ مزاجه من أقل أقل القليل، باله قصير وصدره ليس رحبا، متوتر دوما ونياذ كأن الدنيا قعدت به ما قامت، أو قامت فلا راحة لها ولا بها، هنالك في زراعات القصب حيث الشمس المحرقة والجمال والإبل والحمير تحمل القصب بعد عزل الأجزاء الخضراء والأعشاب الجافة عنه، أما نحن فبدائل عن تلك الجمال والإبل والحمير وكل ركوبة وحاملة، نتحمل مثلها وزن القصب بعد حصاده ونحتمل متاعب الحياة، فلو ما تخلفت عن أداء المهمة أو تباطأت فلك الويل وأشد، ونحن نعود من العمل في المزرعة واقطاعات- وتأت الكلمة من النظام الإقطاعي السائد الآن - عثمان وأراضيه تلك التي هي بلا حدود، فنعبر الدرب صوب عَصَاةِ القصب التي توجد بها المزهرة وهي ماء القصب المسكر، والعجيب أنها كانت بالمجان، نشرب المزهرة تلك ونحن سعداء، ثم ها هو يعبر قطار القصب فوق القضبان الحديدية فننتعلق بأخر عربة فيه ونسحب الأعواد ونتعرض للمخاطر. كل ما تقدم يرويهِ ويحكيهِ الراوي أثناء حدوثه وهو يحدث الآن، وها قد وصلنا سبيل الماء وهو تلك البناية من الطوب اللبن الطري المصنوع من الطين، يرتفع عن الأرض بمقدار قامة الإنسان، ويتم تهينته على شكل مستطيل، أو متوازي مستطيلات جزءه الأعلى به فتحات واسعة للتهوية، في حين يستقر الماء به ويبرد من فعل الهواء والنسيم، نشرب منه وننهل ونرتشف عذب الأمل والماء ونضحك ونتضحك ونتسامر ونلهو بعض الشيء، محرومون من كل شيء نحن. - سعيد أنك معنا أيها الراوي الجميل. - شكرا يا كامل، أنت فتى مؤدب جميل. فرح كامل وسر من كل كيانه وملاً كوباً وقدمه للراوي فشكره وتقدم الرحالة بصحبة عبد الرحمن وحسن واللؤلؤ وهديدي وضرغام وسلطان وإسماعيل، في حين أنه في مشهد متصل وغير منفصل حيث تدور آلة الزمان والمكان يصدر اسخرون وأوامره بالتشديد على الأطفال والصبية جامعي اللطع ومستخرجيها ونازعيها من وسط أوراق القطن، فيأتمر بذلك نادر وعبد الرحمن والمفتش، نعمل في كد ونشاط ولا يرحموننا من التوبيخ والألفاظ الجارحة والضرب بالسوط والكرباح، ندافع عن أنفسنا بالحجارة، نلقيها ونحن الضعفاء، أطفال لا يزالون في عمر الزهور وصبية لم تتفتح أعينهم على غدر الحياة،

ويتذوقون منها الوليات، نتراص في صفوف ممتدة من نبت القطن وشجره، نقلب الأوراق ذات اليمين وذات الشمال، قد لا ننتبه للطعة، واللطعة هي دودة القطن التي تفقس وتنمو على ورقها، لها منظر جميل رغم أنها ضارة وتحرق النبات، ويا ويلك لو سهوت وأخطأت وتركت لطعة، يفتش المفتش ويدور ويتحين الفرصة كي ينزل رؤسائه بك العذاب، اسخرون القائد لا يرحم، ونادر المهندس لا يعرف سوى السوط الملتف الموجع، يضرب به بلا رحمة، والمفتش سعيد ما هو وفرح أن كان السبب في إنزال العقاب والعذاب بنا، ورغم كل هذا، راضون نحن بنصيبنا، وقد دنا ميعاد الظهر وما هو يؤذن له، ويحضر كل منا صرته، فنجلس إلى ظلال شجرة أو أجمة، ونفترش الأرض، وقد يظلنا عريش، أو تلفحنا حرور الهجير، ننقي الطماطم والحلوة الخضراء والبصل والعروش الخضراء من فجل وجرجير وخبيزة ونبات الثلج والكثير الكثير، فالحضرة تلك مع الجبن طعام لذيق، مع العيش الجاف وماء المصرف العذب المستمد مياهه من الفائض من الزرع المروي بعذب نهر يوسف وبحره ومحيطه، في تلك العزبة الصغيرة والمترامية الأطراف بتمدها وتحولها لتشمل الفضاء الكوني وما أبعد، والمترابطة بأهلها ووثاق الخير وعهود المودة، في بؤرتها المتقدمة بالحماس وساحات حربها الممتدة عبر العصور والدهور، نعم فيها تتقلب البشرية وتتنوع وتتحد، والكائنات على مستوى المعمورة وعمر الخليقة وكل الحقب تستقر وتجمع ها هنا فيها، تتسع رقعتها للتو في ازدياد مضطرب مطرد إيجابي، تلك العزبة المسماة "عزبة عبد الواحد النورة والنسر" كل شيء يستقر هنا حيث الشمولية والاحتواء والتعدد البشري والجغرافي والزمني والمكاني، حيث يجلس الفتى - وهو يرتدي جلبابه الفلاحي وعقله الإصبع يجلس فوق كتفه مغتبطاً مسروراً - عند النخل الصغير الملتف الملتوي عجيب التكوين والهيئة طارح الثمر ومنبع الشجر وشعاع القمر، يطالع الأهله ويحدث النخلة الخرصاء الطائرة، وينظر بعين رضا إلى حيث الجدول النابع من حديقة ممدوح والحامل لكل صنوف الخير وثمار البهاء والحسن، وخواطر الشاب الفتى الجميل تنساب على فكره انسياب الماء في نهر الأمل واتقاد زناد الفكر من هوة الإبداع المتقدمة بجوار الغير العذب وعند مصرف الترعة الكبيرة وأفكاره ترسم الحرف بشوق تأجج ونبعه النبض الساري في أعطافه وهو يترنم:

-أليس لي منك فاتنة الدنيا سوى البعد وما أخشاه والحدُّ ولا نصيبي من الورد إلا الشوك آه وأن يصيبني الضرر أنا بالمقدر راض وأسير حيثما قسم لنفسي وما سطر القدر وكتاباتي منذ الطفولة شجر منه الطرح ورد وسحر "نجلاء" كم شقيت في بعدك أنا وعلى صبري وطول البال مختبر صبر أيوب بلغت وما يشبهه وللصبر وتبعاته في نفسي أثر ثم ذهبت "لنخل الصعل" والأشواق معي و"رشا" تنظر من شرفتها وإطلالتي تقتصر على نظرة خاطفة ليس إلا وإن جاوزتها لأخرى لأقاني الحور فأرق مهجتي وشغل كياني فكياتي ملتهب بضرام تستعر أريدها نظرة ليس إلا فإن طمعت في مثيلتها فلي العذر. وظل "ممدوح" يردد ما سبق ويضيف وهو يبدع في تأليفه حيث يجلس بجوار خلايا النحل وأخوه "حمادة"

يتصرف بطريقته البديهية الطبيعية ويسقي الزروع والبساتين ويصادق ويرافق "ملكة النحل" فيخلق معها في الأجواء الشاسعة فوق "نهر الموت" ببحر يوسف والمحيط الهائل التي تستقر لديه جزيرة الأمل، فلما ظهر الجان قرأ الشاب الطيب والفقي الجميل "عبد الصبور" آيات من الذكر الحكيم وهو يدير ويشغل الشادوف وهو تلك الآلة التي هي عبارة عن قائم خشبي يرتكز على محور وقد علق بأحد طرفيه ثقل مثل حجر وما يشبهه، وفي الطرف الآخر دلو أو وعاء يملأ بالماء، وبمساعدة ألياف النخيل المتينة تتم العملية والشاب الجميل للتو يملأ الدلو ويتركه حرا ولكن بشيء من الانتباه والسيطرة عليه بعض الشيء لحفظ توازنه، فيعمل الثقل في الطرف الآخر وبقوة وزنه كرافعة تشد ثقل الدلو كي يرتفع بمستوى الأرض المزروعة ليُسكَبُ محتواه فيها وتُرَوَّى من مياه نهر يوسف العظيم ومحيطه المتحول وبحره الخالد البهي، وعندئذ لا يزال عبد الصبور باسم الثغر يملأ الدلو والرفاق على امتداد بصره - حسين واللؤلؤ - أشهر صاندي الرحلة وبارعها يبحثون عن الأسماك ومعهم مداح وإسماعيل ووهيدي وحمادة وعبد الستار وربيع ومجد الجميل المبتسم دوما ورفاق آخر، وفي رحلتهم المانية يعترض المسحور وعائلاته طريقهم ومعهم الجان ساكن القبو والحجارة والأخبية والكهوف، فيما يظهر الكنز ويطل وعليه حراس شداد غلاظ من العفاريت ينشبون أظفار المنية فيمن يفكر مجرد تفكير في النيل من ثرواتهم المُدَافِع عنها، ثم تضطرب صفحة البحر اضطرابا عظيما حين تتحول آلة الزمان والمكان وتغضب متشكلة لهيئات مرعبة تواكب ذلك المد والجزر والبرق والرعد عند الصفحة الظاهرة حيث الزلازل والبراكين، والشاب عزمي لا يزال يركب مهره وفرسه الأبحر ومعه عنترة على جواده الأصيل وعبلة في ركبها وهودجها والأخير يقول وصوت قوله وصداه يعبر العصر على مداد البصر لينتقل إلى فترة زمنية مجهولة لدى البشر معلومة لدى رب الخليقة والبشر:- ريم إذا انسابت لدى الأحلام لم أزل أداعب الحسن في إطلالة الغزل أحبها حبا ولو تدري إذا حل بقلبي الماضي مع الأيام لم تسلم رأيت إذا بانث مع الآجام غرتها كغرة البدر ليل الأشهر الأول شعاع الضوء من فرط المنى هام كموج نيل لدى الروضات مرتحل وإنني ألزمتها في صبح مساء أنا في الشرق والغرب والأقطار والدول بريق أمل بمقلة مي قد بان وعطر ورد على نبض بمتصل عروس الحقل واقفة بحقل رضا رشا أقصد وما عنها بمنفصل وريم تمشي في روض الحياة كما الرنم يخطر في الأشواك والوحد تمايل القد آه منه كالفنن ويقطر منه طيب القطف والعسل. أعجبت فتيات الرحلة بغزله وهو ذلك الشارد فكره والمبدع قلمه شريف الشاعر أمير الرحلة ومؤلف حرفها وقطف بستانها وزهرة غصنها وهو يقول واصفا الفتيات كما سبق، فيتحول المشهد آخذا الأحداث معه وتتقلب آلة الزمان والمكان حين مضى به الجان ينهش لحمه وينشب ظفره وهو ما بين اليقظة والمنام، يدفعه للطير كذا فيطير بدون جناحين أو بهما، قوة دفع جبارة مسلطة بقوى سحر عجيبة قوية تنحرف في جسده وتنحرف في عظمه وتبحر في نفسه وتتعمق في روحه وتحمله على موجات مدفوعة مسلطة وموجهة من باطن بركان ثائر لا نهائي القوة يبلغ ذروة الاندفاع الهائل، لا يستطيع

الاستيقاظ وكتلة هائلة الحجم تجثم على صدره وتكتم أنفاسه، يحاول التحليق من تلقاء نفسه لينجو منها، لكنه في هذه الحالة لا يستطيع الطيران، ها هو للتو يلقي بنفسه من فوق مرتفع شاسع من الطوابق والبنائيات المتراسة المرنة المتماسكة المتلاصقة المنجذبة بعضها صوب الآخر، نعم يحلق ويفلح في هذه، ثم يطير صوب بحر يوسف المتحول لكل ألوان البحار والأنهار والمحيطات، يغوص فيه ويتنفس كما الأسماك، يا للعجب، هو سعيد في هذه الحالة كون الرفاق وكل الناس والعالم يرون تحليقه الفريد من نوعه، إنها معجزة تتحقق، ويا لجمال التحليق الذي يسر نفسه، هو يفعل كما الطير ويلتقي ملكة النحل ويلازمها، ويغوص الجميع في نهر الأمل ومحيط السعد والبحر الأبيض والأحمر وكلهم بحر يوسف، بحر الأمل والحب ونهر السعادة والظلال، والنبض الجميل الذي يملك كيانه، وتتجلى الفتاة ريم وهي الرئم، حريرية الشعر منسابته حيث تجلس إلى جواره فيمس خده خدها ويدفأ كيانه كيانهها ويذهب به كل مذهب حريري خصلاتها تلك المتهادية على نسائم الأمل السعيد، كل خصلة تحوي الأمل والانتعاش الروحي والفرحة الداخلية، تقرأ الفتاة كتابا للكون المتحرك في حروفه اللؤلؤية وترى صوراً منه فيميل إلى حناها ويلامس خده خدها في مداعبة بريئة وتمس أنامله أناملها لمس العفة لا غير ويشدو ويغني الطير، وهي الآن تحتويه بجمال منقطع النظير، وعن صوتها فتغريد العصافير ودعاء الكروان وترنم البلبل، يحبها من صميم الشغاف ويلهو معها بكل براءة، يداعبها في حدود الأدب وتبادل المداعبة الفطرية التي لا تتجاوز حد المثل وحفظ الكرامة والالتزام بالدين، لا تتجاوز لأعراف ولا أديان ولا تعاليم وقيم، هي قبثارة تستقبله لدى خروجه من قاع نهر الموت ببحر يوسف كي يحلق عالياً، يحارب الجان فينتصر عليهم ويكف أذاهم " عن عزبة عبد الواحد النورة والنسر " حبه وكل كيانه وأمله، وهي توازي وتكافئ الرئم الجميل وتساويه، هذه هي تلك، حياة جميلة لأن طرفها ينظر إليه بعين المهتم العاشق المحب، ثم أمسك بمعصمها ولامس أطراف أصابعها فقبضت هي بالتالي على أصابعه وتعلقت به، تحس ريم أنه المنجي لها من بعد الله من واقع حياة المرير، يحلق بها ويحملها على بساط فاطمة الضريرة ذات البساط وإلى جانب الأخيرة تجلس الفتاة الضريرة "فِتَّةٌ" وهي جميلة الروح والهيئة والقسمات ومعهم تجلس نجاة البرينة العذراء وأمل شقيقة فاطمة والكائنات والطيور، والجدة أفيات لا تزال تحمل مصباحها الفلاحي الذي يدفأ كيانهها ويسليها ويزاملها ويصاحبها، تعبر دروب العزبة المظلمة فتنيرها بمصباحها، يتعلق الجان بضوء مصباحها على غير العادة، حيث الجان من المفترض أنهم يختفون لدى ظهور الضوء، لكنه جان جبار لا يخشى ضوءاً ولا ناراً، ثم يصف كامل الرحلة وهو يتعلم من الراوي طريق الإلقاء والوصف بعدما هزم الجان في موقعة البحر اليوسفي فيقول:- رحلة هي أشبه بالدوامة لكنها أبلغ أثراً منها، دوامة ترتفع وتنخفض وتطير وتثبت وتقلب وتؤثر وتؤثر وتبتلع وتنجي وتغوص وتُهْلِك وتستولي وتملك وتثور وتهدأ وتُقلِّب الأيام وتذيبها وتخلق أحداثها وتنشأ أحداثها وتدفن موتها وتهلك أعداءها وهي تتسائل: - لَمْ الصَّبِيَّ تَصْفَعْ؟! وعنه الخيرَ تَمْنَعُ؟! والله إن العذاب غداً

حتما عليك واقعٌ يُصَيِّفُ حقل الأمل فمن له مانع سوى طامع بالدنا عمله الوضع طالع
وصاعد لرب الورى ويوم القبامة يقرع الجزاء يوما ستنال الله الطيب خاضع وزكاة فرضها
الرحمن عن كل محتاج تمنع. اهتز كيان الجبار وهو الذي لا يتصور أو يتوقع أن صبيبا طفلا
في مثل عمره وحداثة سنه يتحداه هكذا بلغة بليغة وقوة جبارة لا تصدر عن طفل بأي
حال....ضحك الجبار من فرط ذهوله وهو لا يكاد يصدق نفسه ولأم روحه وحوله الناس
يضحكون عليه وينادونه بالجبار البخيل الوضع والحمامة البيضاء صديقة كامل تلوم عليه
وتجمع مثيلاتها من الحمام فينكرون رأسه وجسده وأبو قردان وعائلاته كذا يفعلون،
،،،مشهد مضحك مبك...ألا ترون؟! فانتبه الجميع ونظروا في حين آلة الزمان والمكان تقلب
الأحداث وتنقيها وتخلطها وتجمعها وتفرقها في هيئة مذهلة جنونية عقلانية عجيبة غريبة،
وها هي تعود للحدث حيث الجبار الباغي يصفعه صفة جعلته لا يدري يمينه من يساره،
وهو الطفل المغلوب على أمره، لو استطاع لدافع عن نفسه، لكنه جبار شاب يملك من القوة
الكثير، بيد أن الرحمن لن يتركه وهذا الفعل الشنيع، لن يفر به ولو فر في الدنيا فأنى له
الفرار يوم الحشر؟!، ليت اللكمة والصفعة وحدها هي التي تلقاها، ولكن يتم لدغه من
الثعبان البشري عن طريق القرص بالأصابع وطحن الجلد واللحم والكي والوخز والضرب
بالعصا، كل ذنب الصبي الطفل أنه يُصَيِّفُ- أي يجمع القطن الذهب الأبيض والحبوب التي
ليس الفلاح في حاجة إليها وكل ما يشرع الصبية في فعله هو بسبب ضيق ذات اليد - زرع
القطن بعد حصاده مثلما الصبية يفعلون، وكامل هذا فتى طيب وطفل وديع، لم يؤذ أحداً،
تخلجه المواقف وينطوي على نفسه من عيون الناس، يحبه أصحابه، الرحلة تدنو منه، بل
تشمله دوما كأم حنون وهو لا يدري، حاول كامل الانتقام لكرامته فدفع الرجل صاحب حقل
القطن والفول، وكبل قدميه بمهارة قتالية من نوع خاص وقيده إلى شجرة وهو الذي لا تبليغ
قوته صفراً من جبروت ذلك الرجل الإقطاعي الماكر، كان الرفاق على مقربة من الحدث،
يرون ويشاهدون ولا يستطيعون الحركة ولا الحراك، الطاغية له أنياب ومخالب، فهو وحش
كاسر، ويحول بينهم وبينه مصرف التربة الكبيرة العذب والمروي والمملوء من عذب ماء
الجدال المتفرقة في كل حقل كي تسقيه وترويه، هبطت آلة الزمان تحيي شجاعته ولتركيه
على متنها وتستضيفه في فنانها الواسع الشاسع والممتد المحيط بكل شيء، ورفضت
استضافة أو انضمام الفلاح الذي قام بالهجوم على طفل بريء وصبي طاهر طيب، وحلقت
ملكة النحل فوق كتف كامل فأصابه الخجل منها مع أنه يحبها لأشد وأقوى ما يكون الحب
وأطيب وأصدق ما يكون الونام والرباط، شرع ينشد ويبكي كامل ويقول:- كم سحل فبكي
كامل والتقاءهم الهائل إنه الجسور إذا مضى في الحرب العوان والأول كم هزه فعل الظالم
لكنه الظالم مطاول الصفة الأولى التقاها فمضى إليه ينازل في حقل الفول يجمع الفول
الجميل ويرسل من قلبه شوق العاشق وفي حقل القطن نازل يرسل للحبيب سلامه وناهد
حلمه الكامل أحبها منذ الطفولة وهو لهما عائل ومضى الجبار يصفعه وهو الله سائل أن يهب
القوة ذاته حتى العدو يزلزل. وكانت ناهد تستمع إليه وتنصت وتطل من شرفتها دون حديث

ومعها فتاة القصر ونادية العمر وربيع الدهر وحوراء الجنان ونجلاء الزمان وضياء البدر
وياسمين البستان ورحاب الأحلام، نظر إليها وتأمل مقتلتيها، تلك التي منها الناظر مكحل
والطرف أميل والربيع باسم وموج النيل راحل، قد سافر في بدريها وعاد يتمايل، بالعصا
يضربه والصوت، بلا رحمة قبل الموت، والمصرف الكبير يشهد والصبية والعهد المتجدد،
ثم تتجلى ملاك وهي والله الربيع الضاحك والذي يشق الهم فيزيله ويمحو الحزن ويذهب به
كي يلقه في البيد ليحترق من وجدها ولهيبها، ويأتي بالسعادة المزهرة في وردة متفتحة من
جزيرة الأمل، حيث ملاك هناك، فتاة حريري شعرها منسابة غداثرها، متهادية جداولها، نعم
هي جنة مترامية الأطراف ويقول فيها: -- عهدي بك ملاك عهد متجدد وطرفي من صدك
ساهر ومسهد لا أغفو ولا النوم أرى وإنني لا مُسْتَلَقٍ على أريكة الأيام ولا راقد بل على
شوك الزمان سباق الخطى وشوكي الذي عليه أدوس لبيته يخمد هو مثل نار فيه معذب وأنا
رب البرية رغم كل شيء حامد، نار وجد مسني منها ما يتعب ويحرق قلبي ولهيب الغرام
يجدد. وكلما نطق ببيت شعر أو همس بحرف تتقد نارها هي وتشعل وتشعل، وها هي تعبر
معه نهر الأمل، على جناحين يطيران يكمل جناح أحدهما الآخر، فلا يتم التحليق إلا بهما،
هما طائر واحد بقلب وحيد ونبض مشترك يغفو قليلا ويصحو طويلا، الأنفاس معدودة يا
ملاك فدعينا نحيا بها قبلما تزول عنا، ولو زالت فروحين متعانقتان لا تخدمان ولا هدوء
يصاحبهما، التقلب على جمر الوجد لا يزال ساريا، والضرام ملتهبة فأين المفر؟! تنظر ملاك
وعينها ملؤها الرحمة ومكنونها الحنين، فلا يكذب طرفها بل يقص الحقيقة رواية عشق
أبدى، فمن الدنيا للآخرة الغير منتهية، نعيم مقيم، أحمذك يا رب.... تبتسم الغادة وهي تحيي
متعة همسه ونعيم حرفه وحسن نبضه، في حين يظهر ذلك المغازل الفتاة مريم والذي ينبع
حديث قلبه من حب صادق وهو يقول وآلة الزمان والمكان تكرر وتفر وتحلب وتدر وتلهي
وتغر والرحلة فيها الدر والله يعلم السر.... يقول ويواصل مؤلف الرحلة وفارسها....-هي
زهر الخميل واسمها مَرِيَمٌ وطير ذات الرياض يتناغم فيشدو وتشدو له الأمنيات وكروان فنن
يترنم رأيت بغصنها كل الجمال بها جل زهر المنى يحلم يغار البدر إذا ما تبين ويأفل حيناً
ويتألم إذا ما تباعد ضوء الحياة قليل الدجى ربه يعلم ظهرت مريم مثل النسيم وقنديل نور به
هانم أنا حيث حبها ملك الفواد وعن خط سيرها أستعلم فيظهر منها سنا معجزات لي بعد
جهلي أتت تعلم قلبي بأنها تأتي هناك فحسن لها لوحة يرسم. وكانت تمس شغاف قلبها
كلمات الشاعر ومؤلف الرحلة بلا حدود "شَرِيفٌ" باسم الثغر حلو الحرف سوي النفس
حسن الروح بهي الطلعة...دنت منه مريم وأخذها بريق عينيه وخطف لبها سنا ضوئه
المتوهج، وسارا معا على جانب الكثيب الرملي ثم دلفا إلى باب الحديقة وساحة البستان،
وكان يغازلها بحرف عفيف وذوق لطيف وهي تبتسم وتتلعثم الكلمات في فمها فتترجم
عينها الرد وهو يفهم ما تحويانه من وجد وحب وحنين، ثم انتهيا ولم ينتهيا حيث الأسمر
الخالد والنابع من كوثر الجنة، فجلسا على شاطئه وسمعا صوتا يخرج من ثنايا موجه
وعطر زهره وأريج غصونه، وشدي الطير وتغنى الكون والرحالة يقول:- نهر النيل من

الكوثر وزهر الربا العاطر الأخضر وحبى الذي نبضي يسري به أنا لست أغرق بالأسمر وفي بحر يوسف قطراته وشوقي ووجدي من ناظري وطرفي تألف من حسنه فلا بعد رؤياه من ممطر يمطر ذاتي بسوء أتى بل غيث ود متقاطر. فاطمة تستمع له وتنصت وهي في مخبأ القارب الصغير الطافي فوق صفحة نهر الموت والمتسع والمتمدد لأبعد الحدود، والفتاة " فتة " ضريرة كحال فاطمة بصير قلبها وتجلس مع الجميع الفتاة الباسمة نجاة، تجلس أمام قصرها وكوخها تحت شجرة العنب والتوت، ومصباح الفتاة والجدة أفيات الفلاحي يتوهج ويحاول الهواء إطفاءه فلا يقدر، تظله الأخيرة بكيانها، والجنان يتمدد طولاً ليلبغ العنان وهي تمر بمقربة من شجرة الجميز المطلّة على بحر يوسف وعلى مقربة أيضاً من دار الشاب نمر في العزبة المحلقة كالطير في سماء الرحلة، بل هي الرحلة في كل تفاصيلها وتطوراتها، فالعزبة بؤرة ملتهبة وهادئة وطائرة وراسية، كل الكون وأبعد ينصب بها ويسكن وتينها والخطر وقلبها والفؤاد حيث يرى النيل وهو لا يزال يجري وتنفض به الحياة وتنعم كائناتها بقطرات عذبة منه ويخضر الزرع وينبت حسنه ويتجلى بريقه، وفي الجدول المنبعث منه والمتهادي من صفحته ونبعه يسحب مدر المياه الماء، ثم يلقي بها عبر فوهته الاسطوانية الشكل إلى النبت الجميل، وروضة حفني تزهر وتزدهر ويتكون ثمرها وتنتج البلح العملاق والتمر المدلى الهائل نخلتها العالية والبالغة السحاب طولاً والحدائق والبساتين والحقول إنتاجاً، ومدر المياه هذا هو آلة تعمل بمحرك هوائي ومروحة مقلبة للهواء ودافع طاقة يستمد قوته من الشمس والعوامل الطبيعية، على أنه كذا يعمل بالوقود الطبيعي المستخرج من الأرض وتحلل كائناتها ونباتاتها عبر الأزمنة من حقب سحيقة بعيدة، ودوامة نهر الأمل لا تزال تشتد وتشد وتغرق كل شيء يمر فوق فوهتها الضخمة، والفتى جميل يسبح فوق الموج فلا يعير اهتماماً لأي شيء، والمسحور يتبعه للتو فيشده ويجذبه من قدميه ويديه، يدفعه عنه الفتى بقوة المغامر المتمرس، وتهبط آلة الزمان والمكان فتتنشله وهي تحلق في استمرارية عجيبة وكأن شيئاً لم يحدث بالأساس، ثم ينشد الراوي واصلاً حدثاً بحدث وقائماً على تفاصيله وآخذاً كل مجريات الأمور كما قدر لها الله وهو يقول في حدث لاحق أو سابق أو مواكب للحدث محل الاهتمام والحدث:- في الرحلة يظهر الفتى معتز والغصن الرطيب حوله يهتز وفي الحقل جمال والجدول سار به ماء النيل وبه أعتز في كرة القدم داهية وكنز وفي الذكاء والفكر موهوب وفذ ومملكة النحل ترى في طير مستمر الحال وللدودة قر وتعدو الكرة فتبلغ رجلاً قطعها إرباً، إن قلبه فظ قد قلنا: " تعال قم فالعاب معنا" والسّمك يسبح ويتهادى اللوز لو يوماً فهم ما شقّ الأمل ما به قد مرّ وتهادى العوز.... وقد سرّ وفرح لاعب كرة القدم والموهوب الجميل بكلماته وشدا وغرد وغنى وشكره من صميم الوجدان وأهداه زهرة البستان وها هو يمزّ الرخالة في عرض الطريق فيرى "حمدي" الشاب الجميل المهذب وهو يبتسم، فتتم بسمته تلك عن نقاء سريرة وطيب نفس وصفو خاطر، والأخير كما ترون يجلس إلى ظلال سدر مخضود وطلع منضود وفواكه متنوعة تحملها الشجرة دائمة متنوعة الإثمار، وإلى جواره المصلّى الجميل

ويسمى أيضا " مِصْلِيَّة " - بلهجة وحال لسان أهل هذه البقعة الجميلة وهي تحوي آلة الزمان والمكان وتحضنها الرحلة بلا حدود - هنالك عند بحر يوسف المتحول لشتى الصور، حيث يؤذن به ويقام للصلاة، ومورد ماء عذب من نهر يوسف المدرار قد رسا وتحرك مانجا وحوله أحجار تسكنها الأسماك وأسفل الأحجار كهوف مائية تحتلها " المساحيز " وهو جمع دارج لكلمة مسحور، درج واعتاد على النطق به هكذا الناس في " النّوارة والنسر عِزْبَة عبد الواحد " الطائرة الطائفة حول الكون والدنيا والآخرة والراسية في قلبي تسكنه فيمسه صوبها حنين قد يأت على بقيته الباقية، تلك الأنشودة التي تكتمل لو حط طائر سعادها فوق كتفي واحتضن كياني ورست سفينتها القُصّواء عند الشِّعَافِ ولا مست غدا نرها خد وجدي وصفو سعدي، هنالك جلس "حمدي" وهو يطل على موج البحر الهادئ الذي يشق البلدة والعزبة المُخَضَّرَة بلون الزرع البهيج والحالمة بجنة ربها، نعم...يبغي أن يسكنها وهو ذات جناحين مزركشين بألوان الطيف وبخضرة الربيع وبلون الأمل السابح في خيال الأيام ليضحى ما بها سعاد، ذلك لو غادرتة ونأت عنه تلك القيثاره، كم يحبها الفتى الذي نشأ وترعرع بها، ثم ها هو ينادي نخل الصعل ويسمع صوته يشق المساحات الواسعة والفضاء العريض، وصوت أشباح كذا تسمع آتية من كهف الظُّلُمات بنهر الموت الممزوج والمختلط بمياه بحر ونهر ومحيط يوسف، كيان واحد يشمل كل الكائنات والمكونات، ومملكة النحل تلقي السلام على حمدي وتحبيه وهي تعبر طائرة فاردة جناح الأمل، صافاة شراعي الحسن، مغردة بأناشيد الهيام والوجد، فيرد الفتى التحية ويرحب بها، تلك التي لا ترسو ولا تحط بمكان، بل تواصل تحليقها عبر الأزمنة والعصر وفي خلال الدهور وهي تمتص- وملكات النحل والشغالات والذكور والإناث- الرحيق المنبعث من زهر الأيام وورد الأحلام وأكاليل الياسمين وقوافل النرجس وروائح الحسن، فتنج العسل والشهد والبريق المحلى بضوء اللؤلؤ ونور السعادة، ظل يحييها الفتى وهي تحوم وتدور في خطوط دائرية تظل بها أرض الطيب والعطر، منطقة الأمل والجمال وميلاد الخير ومرسى الطير " عزبة عبد الواحد النواره والنسر "، والعيد ترتسم ملامحه الجميلة بكل دُورِها فتزينها، الصبية يلعبون ويلهون، والفتى الطيب الباسم المبتسم عبد الصبور يتغنى وينشد ويدق الدفوف ويضربها ويلامس الطبول ويقرع صوت الشدو الهانم في خلود الوجود من بعد قدرة الله المعبود، فالخلود لا يأخذ صفته ولا يعمل أثره وينفذ سوى بتدبير الله، والرحلة خالدة لأنها من خلود الله ودوام بقائه وعظيم سلطانه وامتداد ولا نهائي قدراته ومُعْجَز صنيعه، يلقي الشاب عبد الصبور التحية على حمدي وهو يحمل جواله المليء بالهدايا وصناديق ولعب الحظ والبخت وهو جمع درج علي نطقه هكذا أهل المدينة الفاضلة والدره المناضلة " عزبة عبد الواحد النواره والنسر " على أنه جمع بخت ويقصد بالبخت هذا أن حظا ونصيبا يوضع في ورقة ملفوفة مغلقة على ما بداخلها من نصيب لو تم شرائها بمبلغ من المال، ثم تفتح ويوجد بها كنز بالنسبة لفاتحها ومزيل ورقتها الخارجية، فيجد -الطفل أو الرجل أو الفتاة والصبية والمرأة والكهل والعجوز والجميع - حظه ونصيبه وما قدر له فيها، والسعادة بِإِلْغَة المدى

لكل من وجد ما يُفَرِّحُ فؤاده ويخلق به في عالم الحلم، أما ملكة النحل فقد حلق عقله الإصبع
عاليا في السماء الزرقاء وهوائها الرقيق المترقق ونسيمها الجميل المغدق، حلق وهو
يحمل البخت الخاص بها، والحمامة البيضاء تساعده على ذلك، وأماني شقيقته لا تتركه، ثم
يتحول المشهد لكن سابقه أو تاليه لا ينفصل عن الرحلة، فآلة الزمان والمكان شاملة كل
الأحداث والأزمان والأمكنة في آن واحد، وهنا يهمس ويقول الراوي المغامر والحاضر
الأحداث، المؤثر فيها:- وعن الفكر والحيرة فيملكان أمري وسيطران على حالي ويشغلان
بالي، مطبقان عليّ هما ومسيطران على روحي يكبلانها، فأفواج أبي قردان تحلق في انتظام
فوق رأسي تتجه إلى الفلاحين في هذه العزبة الجميلة المتحرك ثراها والمهتز بتخلخل كيان
ينقلها لزمن ومكان آخر، وعقلة الإصبع وشقيقته أماني في الأجواء يتنقلان بين أجنحة
الطيور المختلفة في رشاقة ونحن نفعل...في مشهد يريح النفس ويذهب بها كل مذهب
ويخلق بها أيما تحليق، وأبو العزها هو في موضع تصويب قاذفة وصائدة طيور الشاب
عزمي، ذلك حين يقول الرحالة له:- لا تضغط يا عزمي...نحن بالرحلة بلا حدود حيث الجمال
وعدم المساس بالطيور والكائنات، طعامنا من نبت الجنة وشرابنا من كوثرها.. فيضحك
عزمي وينتبه لحديثه ويوافق عليه بترحاب وقبول ثم يمر الجميع عند الصبية في الحقل عند
الترعة الكبيرة التي تدر مياهها الياقوت والذهب وتنتج الأسماك حيث تنمو وتتربى بها،
هنالك في الحقل يمस्क كامل بالقُدومة - قطعة خشبية طويلة معلق بطرفها قاطع حديدي يكاد
يكون مستطيلا وهو مسنون بحيث يقطع الحشائش ويقلب الأرض، والقطعة الحديدية
المستطيلة أو شبه المستطيلة متعامدة على العصا الخشبية الغليظة بعض الشيء، ونفر من
الرجال يمस्क بالطورية _ والطورية هي شبيهة القُدومة ولكن على هيئة حجم أكبر بأضعاف،
الجميع يقلب الأرض من أجل التهوية ونزع ما يلصق بها من حشائش وأعواد خضراء
مضرة بالزروع والنباتات، وها هو يخرج الجان من شقوق الأرض ويخلق في أرواح حول
الصبية والصبيات والرجال والنساء وكل كهل بلغ من العمر مبلغا متقدما، والمسحور يخرج
من الترعة الكبيرة وهي مصرف المياه العذبة المنسابة من خيرير مياه الحقول أثناء رويها
وسقيها، وفي عملية شبه سحرية وعجيبة تمور الأرض وتدور وتتحرك جزينات الجسر
الترابي المتحول فيها لذرات ذهب وياقوت وزبرجد، والنيل يطل من صفحة بحر يوسف الذي
آل إليه وكذا تطل الترعة الكبيرة المصرف العذب العجيب بجوار حديقة حفني الغناء، فإذا ما
غفت الأيام لتنتقلنا لعهود متفرقة أو متلاحقة، نعلمها أو نجهلها، سبح المسحور في اليم
العجيب وغاص ونقب في الأعماق، وحمادة في قعره يستوي على بساط لفاطمة لم يدع مكانا
إلا طاف به واستقر عليه، ولا زمانا إلا صاحب عهده ولازم وقته وترك به أثرا، والرحالة مع
حمادة في الأعماق ومعهم عروس البحار بجمالها الأخاذ تظهر كشقيقة نعمان وورد بستان،
فيما يخلق النسرو وفي كل هجوم له ينقض على فريسة فيلتهمها وما أكثر غنائمه، ولقد كان
النسر ابن عمها قوة بطش جبارة في يدها تسوق بها الناس والعمال في "عزبة عبد الواحد
النوارة والنسر " ...قوة كم تعد غاشمة ظالمة وأداة قهر وضميم، وها نحن أولاء نعمل ونذوق

من ألوان العذاب صنوفا عديدة، والخولي لا يرحم ضعفنا ونحن لا زلنا في عمر الزهور،
والنسر هذا يتمنى الزواج منها وهي لا تعطيه مجرد أمل في تحقيق هذه الأمنية وذلك الحلم،
على عكس محمد الذي كانت تتمنى نظرة من عينيه...تقدم الخولي وهو يرتدي الجلباب
ويمسك بعصاه ويلف الشال على رأسه وحول رقبتة، ويده الأخرى يمسك عصا خشبية
ترتكز عليها مظلة ضد الشمس، يذوب العمال من فرط شدة الحر والشمس المنصبة عليهم،
في حين أنه هو والنوارة والنسر والمفتش- الذي يكتشف اللطعة خلف الصبية والصبيات-
ينعمون بظلال وارفة تقبع تحت المظلات حيث يقبعون، وكأنهم يحيون في ظلال الربيع،
والعاملون في نار جهنم تكوى جنوبهم، ،،، تقدم محمد في جراءة عظيمة ومعه _ الصبية تبرز
الثائرة الفارس المثلث _ والتي لا ترضخ لظلم...فسبقته هي موجهة لومها للنوارة والعاملين
معها ولرجالها...كانت تعلمها النوارة جيدا وتعمل لها حسابا، وتوجه أدوات جبروتها
وتسلطها عليها فلا تعبأ تبر- من جانبها - ولا تكثر لهذا، بل يشتد غضبها فتهاجم الجميع
ومعها الفتاة عزيزة والفتاة الصبية سمهان وحمامة وحسن، ثم سمع صوت أثناء التهاب
الأحداث وتوقد شرارتها وتضرم لهيبها، وكان الصوت يشق الفضاء كأنه حلم أو تغريد
عصفور أو ترنم بلبل وهو يقول ويصدق:- طيف الربيع الضاحك بعث الأمانى بخافق
في حُسنِ حالٍ قد أتى يرى بلباس المشرق. وكان الصوت السابق لمحمد وهو يغني للصبية
والصبيات وهم أعواد خضراء لا زالت تزيّن أفنانها الحياة ويسقى ورقها من نهر الحب
والأمل عذب القطرات مليح اللّمي والمبتهج بالحياة والمغردة له الطيور، نهر...كل ما نتمنى
هو الوصول لجزيرة الأمل به في هذه الرحلة المباركة...حطت الرحلة للتو بالجزيرة
رجالها، وما أدراك ما هذه الجزيرة، إنها الخضرة والربيع والماء العذب، الفلاح فيها يعمل
بكد وجد ونشاط فلا يصيبه بأس ولا يبغده عن درب النجاح والفلاح عدو ولا عائق وهو
يكمل ما بدأه محمد ويقول:- طيف الربيع هو المنى ورَحَلَ كُلُّ مُنَافِقٍ فَبَدَا بِأَحْسَنِ حُلَّةٍ وَمَضَى
بذوق ذائق نوارة في عهده كمثل حال الرائي من نهر النيل إذ بدت لكن بموج مغرق. فتأثرت
بقول الفلاح وغضبت وصفعته بالسوط والشمس تلتهب، ولازمته ثورة انكبت على إثرها
تضرب الصبية والصبيات وتصب جام غضبها عليهم وعلى الجميع، فتقدم محمد بمنعها
بالقوة، فأحاط به رجالها وشرعوا يصدون تقدمه وصوبوا فوهات مدافعهم تجاهه، وبدأ
بعض المجرمين التابعين لها في التأهب بالقوس والسهم والسيف والحسام في وضع
الاستعداد للقتال فنهرتهم بشدة ومنعتهم مصدرة أوامرها بالتوقف في الحال، فعلى الرغم من
قسوة قلبها وإجرامها إلا أن فؤادها لين له هاو محب...تقدمت إليه بعد منع الرجال
المهاجمين من إلحاق الضرر والفتك به وكأنها قد مثلت بين يديه، تبدي القوة المفرطة
والعنفوان الظاهري أمام الجميع، وقلبها يذوب به، فهو لها ذلك الربيع المبتهج الذي زين
ربوع الدنيا وحل بالخضرة والزهو والجمال فهتفت له الحياة تحييه، وهو لها مكمل النقص
في شخصها والعيب في خلقها والحلم صعب المنال.... - توقفوا في الحال، لا يدنو منه
أحدكم، سوف أوقفه عند حد لا يتجاوزه. تعجب محمد وهو ينظر لطرفها الأخاذ وهو يظهر

عكس المُقَالَ، ، يرى الفتى الحب في مقتلتيها الساحرتين وناظريةها الأسرين فلا يهتم بل يرد ظاهر القول المنبعث منها وهو يثور غضبا: - لن تستطيعين فعل شيء أنت وتابعيك هؤلاء، نحن نعمل بالسخرة ولا يتم تقدير مجهود هؤلاء العمال ولا التضحيات المقدمة منهم وبذلهم الغالي والنفيس، تكفي تلك الشمس المحرقة التي يعملون تحت وطأتها وأشعتها مذبذبة الأجساد وحتى الأفئدة. تبتسم له في غفلة من الجميع ابتسامة تأييد ووعد بالتغير للأحسن كي تنال رضاه.

ينفث القائد العام لمؤسسة يد المنية - مُكوّن الجيش العالمي الجرار المخصص لقتل الأبرياء والاستيلاء على أموالهم وثوراتهم - دخان سيجاره بعد إشعاله بالقداحة الزمردية، وكان يميل على مقعده فاعتدل فجأة لما رأى موكب الرحلة يشق المدينة المنورة وهي تلك الجنة المحاطة بالبساتين والزرع أراضيها، والمنبسطة مساحاتها والربيعية أجواؤها، ضغط المجرم زناد مدفعه الرشاش وزرا في حقيقته النووية المحتوى ففجر أهدافا بعيدة ليخيف الرحلة وكائناتها، ثم هام على وجهه في البیداء وكأنه معتوه مختل عقليا وهو مزهو بما يملك من قدرات قتالية بمعاونة جيشه الظالم والمكون من كل مجرمي الزمان على مر العصور، يحلم بالمنى ويتأمل ويكد الفلاح ويعمل ويمسك فأسه ويفلح فلا يشغله شاغل. يضحك خميس الملك الغضنفر وبتبسم معجبا حيث يظهر وهو يرتدي بذلته الحربية فيحمل عقلة الإصبع على كفه ليقفز الأخير فوق قبعته السحرية، حين يقول الملك: - عجا لك عقلة الإصبع، ماهر أنت أيضا في إلقاء الشعر وصديقك الفلاح يحبك ويفضلك. فيطل عقلة من فوق القبة صوبه ثم يتدحرج في مرونة فيسير فوق قسماته وهو لا يكاد يبين ثم يقفز طائرا فيستقر فوق جناح أبي قردان ويداعب ريشة منه، وقد اعتلت الجناح أيضا أمانى الجميلة شقيقته، وهنا يحلق أبو قردان ويحيي جيوش الملك، وملكة النحل تفعل، وتلك الأخيرة ها هي تواصل تحليقها المستمر عبر الأزمان والأمكنة في مشهد يحمل بين طياته الأمل والخير، وفي الناحية المتصلة بالمشهد ترى الأتان وزوجها الحمار وابنهما الجحش وهم يعبرون بصحبة الصبية الجسر الترابي المتحول إلى الذهب والياقوت حيث أبو العقي- أكبر من حجم النملة وهو يشبهها - يسير بموازاتهم وينصحهم أن يلدغهم ويقرضهم كي يتعلمون فن السباحة والعموم، يوافقون على الفور، وكان مع الجمع الفتى عوني وهو يجر ماشيته وقد صحا مبكرا، أبو العقيص ها هو يقرصهم ويلدغهم ويذهبون إلى بحر يوسف المتحول فيسبحون....من أول وهلة

و تتحول آلة الزمان والمكان كعادتها، فهذا ما اعتادت ودرجت عليه ودأبت على فعله وتعودت وهاهو ذا أحمدُ هادئُ الطباع مُتَرَن النفس يسير في الطريق ليلا، لا يشغله شاغل سوى توفير سبل الراحة للكائنات والطيور المهاجرة، وتوفير الغذاء والكساء وجمع العشب النادر لمرضى الرحلة ومصابيها، وأم الصغار تسعى في الأرض كي تكسب قوتها وقوت أبنائها الصغار، هنالك في الكوخ الصحراوي المحصن من قبل المارد الطيب يقطن الصغار، وأحمد الفتى الجميل يحاول إرشادها للدرب الصحيح وهي تقدر له كل تلك التضحيات

والمساعدات التي يقدمها، وهو لتوه يذهب مسرعا يلاحق خطاه ويحثها على الهرولة للإتيان بطعام لهؤلاء الصغار وكذلك الحيوانات والطيور التي تقبع محبوسة عند جبل الظلمات، ولا تقوى آلة الزمان والمكان على تخليصهم...،،، - ليتنا نستطيع عبور نهر الموت يا أحمد... ألا ترى قارب فاطمة المتمدد المتسع؟! - نعم أم الصغار.. ألمح ذلك جيدا. كان أحمد تسيل دموعه من فرط الحنين والألم، ولا يستطيع معرفة كيف يسير وماذا يفعل، فنهر الموت يعج بالوحوش والكائنات المائية الشرسة المفترسة، وكان ليل العالمين قد أسدل أستاره وغشي الحياة بظلل من الغمام الداكن وبلهب من نيران متوقدة، والبدر مع كل هذا يصطحب الربيع الباسم كي يكشف الظلمات ويزيلها بأمر الله، والعالم الجليل يحاول جهده توجيه صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان لعبور الهوة المتقدة الكائنة قبيل نهر الموت، والملك الغضنفر خميس يحاول باستخدام جيوشه دك حصون العدو، فيستخدم في سبيل ذلك القلاع والحصون والقاذفات والدروع والسيوف والسفن حاملات الطائرات الحربية والقنابل العنقودية والجرثومية، ويعد العتاد والقوة والبأس لتجاوز الأزمة المتفاقمة، وحفني من روضته وبئرهِ يستخرج الدر لتمويل العمليات القتالية والحربية، وأم الرحلة تتوجه لله بدعاء عريض، والغراب والهدهد والبطريق وأبو فصادة وأبو قردان يقدمون العون في استجلاب الأعشاب النادرة لشفاء الجرحى والمرضى، والهوة المتقدة مع كل هذا تزداد اشتعالا واتساعا، تكاد تلتهم الفضاء الكوني، والمادة المظلمة والثقوب السوداء تعمل قوى جذبها المركزية على مجابهة ومناهضة قوى الطرد دافعتها عن مسيرة الرحلة واتجاهها، وآلة الزمان والمكان تحدث انفجارا يليه انفجار، تتبلور جزيئاتها الزمنية والمكانية وذرات مكنونها وتتحد وتحدث تخلخلات وتضاغطات متتالية لعملية تحول زمني ومكاني يصطحب الرحلة صوب القرون الوسطى ثم عهود الفراعنة وما قبل الأسرات وعهد الإنسان البدائي وما قبل التاريخ، حيث تظهر الشجرة دائمة الإثمار وهي تنفرع وتتسع رقعته ويقوى ظلها ويتمدد كيانه لتشمل كل الكائنات ثم تتحول لمحلقة رهيبة هائلة الاتساع، وسندباد يبين فوق صفحتها مقتول العضلات عالي القامة والهامة، حسن القسماط حلو الروح وهو يغازل الغادة سندريلا على مشارف المرتفع الصخري مغازلة أدب وخلق حسن قويم، لا يتعدى حد النزاهة وطيب النفس ونقاء السريرة قيد شعرة أو أنملة، فلما اشتدت المعركة وذاع لهيبها وانتشر، وتأججت النيران بها، عدلت آلة الزمان والمكان من دورانها وتحليقها، وها هي ملكة النحل فوق رمانة الميزان وتلك البقعة الثائرة مختلطة الأحداث- "النوارة والنثر عزة عبد الواحد" - تحلق في مرونة بالغة، تعمل على إحداث حالة اتزان، والفتى وهدي عند ساقية الشاب عزمي في ناحية قريبة من التربة الكبيرة حاوية الأسماك والجان والمفاجآت، حيث المصريف العذب الواصل بين الساقية والتربة الكبيرة يعج بالثعابين الفتاكة السامة، وبأنواع الجان والعفاريت والفهود الضالة وعائلات التنين الغادرة والضباع الخائنة المنقضة على فرائسها والقائلة لها وهي حية لتنهش من لحومها وتحطم عظامها ملتزمة الأخضر واليابس، في حين لا تعلم وجهة فاطمة، فلا يزال

الرحالة يهيم على وجه ليلا ونهارا، تارة يبحث عنها في المخبأ السري السحري هائل الدروب والشقوق والمكامن، وتارة يبحث قي عمق نهر الموت، وفينة يطير ويحلق ويتسلق الأشجار والجال ويطير في كل زمان لعل آلة الزمان والمكان نقلتها لعهد آخر ودنيا ثانية وبينة ومكان يختلف عن عهده الذي يحيا به، ويقول في نفسه:- لعلها في الجنة الآن في نهر الكوثر المعسول تسبح، لعلها في الفردوس وحدائق الجنة وبساتين النعيم تستقر. وللتو يأتيه صوتها يشق الحجب وهي في بستان بعيد، وفي زمن غير معلومة وجهته، يراها وتنادي عليه، وهي التي لا تراه،،،،،!!!! يحاول الرد عليها فلا تلمحه عيناها، إنها تبكي كذلك وهي تمر بمكان مقفر، الوحوش الضالة ها هي تريد التهامها عنوة وهي تستجد بالله ثم الرحالة، يبكي الفتى بحرقة في حين تهدأ ملكة النحل من روعه ومعها أم الرحلة ونادية وغادة وثريا وسوسن وصديقه عبد الرحمن وكذا قبطان وسندباد، حتى يظهر الفتى المثلث الفارس وهو ذاته الفلاح، وها هي تلف طمبورتها البدالة المبدلة الدائرية الأسطوانية ة وفريد يعبر الدرب فوق جواده ويردف خلفه ابن أخيه الصبي عيسى، والذنب لا يزال يصارعه ويضاريه ويطاوله، وتبر معهما قد أردفت هي الأخرى فوق الجواد الطائر، وأمير الرحلة ينظر من عدسة الآلة ويتعجب، في حين يسمع صوت يقول:- في الرحلة الفارس المُنْتَمَ مَنْ فِي حَيَاتِهِ مُنْظَمٌ هُوَ فِي الْأَسَاسِ فَلَاحَةٌ مِنْ زَرْعٍ وَحَصَادٍ تَقْدُمُ دَارِسُهُ فَنَ الْحَيَاةِ تَاللهَ مِنْهَا نَتَعَلَّمُ تَرْتَدِي هِنْدَامَ فَارِسٍ وَخَلْفَهَا الْبَيْتُ الْمُتَهَدَّمُ الْمَسْحُورُ مَنْ يَقْطُنُ بِهِ وَالْبُلْبُلُ الْمُتَرَنِّمُ تُدِيرُ طُمْبُورَتَهَا الْآنَ وَالْجَانُ لَا يَتَكَلَّمُ يَصْمَتُ كَأَنَّمَا أُخْرَسَ لَا يَنْطِقُ مِنْهُ الْفَمُ صَمْتُ الرُّعْبِ إِنَّهُ أَمَا الْفَعَالُ فَمُبْهَمٌ تَظْهَرُ الْفَلَاحَةُ كَأَنَّهَا الْبَدْرُ وَالْأَنْجُمُ فَتَاةُ الْبَدْرِ أَنْيْسُهَا بَلْقَانُهَا الْحَبِيبُ يَحْلُمُ مِنْ زَمَنٍ أَعْجَبَتْ مُحَمَّدًا وَمُحَمَّدًا بِهَا مَغْرَمٌ وَالْأُسْدُ فِي الْغَابَةِ تَرَأَّرُ وَتَحْمَجُمُ الْجَنُّ حَوْلَهَا قَدْ أَتَى وَهِيَ لِلْغَتَمِ تَتَرَجَمُ

و لمحت بها فتاة واسم الفتاة مريم وغادة القصر نادية بها الحالم يحل وأقبلت في الجمع رشا والله بها عالم ما كانت لتكن قاتلة لكنه السحر المبهم يدري أبو عوف قصتها والرحالة من يعلم من دون الله لمن ترفع بعد استفحالها المظالم من لاقى في الدُنا الولياتِ عند الله سَيُكْرَمُ كَأَن الْعَمْرُ لَمْ يَمُضْ وَإِنِّي بِهِ عَلَى رِبَوَاتِ ذَاتِ رِيَاضِهِ أَقْفُ يَلَاقِي الْحُلْمَ خَاطِرَتِي وَيَهْفُو لَهَا وَبَيْنَ الْحُلْمِ وَالْأَيَّامِ اخْتَلَفَ أَلُوذُ بَلِيلِ آمَالِي وَأَغْفُو بِهِ وَرِيمَ عَنِي بَعْدَ الْوُدِّ تَنْصَرِفُ وَمَاذَا يَفِيدُ بَعْدَ الْفَرَحِ إِذْ وَلَى وَكَيْفَ عَسَاهُ يَمْحُو دُمُوعِي التَّرَفِ أَقُولُ الْقَوْلَ مُشْتَاقًا لَطِيفٍ مِنِّي وَدُونَ الذَّنْبِ وَالْآثَامِ أَقْتَرِفُ فَيَأْتِي الْوَيْلُ يَلْحَقُنِي وَيَمْضِي بِي إِلَى الْأَغْوَارِ وَعَنِي لَيْسَ يَنْصَرِفُ وَيَشْعَلُ قَلْبِي وَالكتمان في صدري لعل الحال بعد الصبر يختلف فيبكي الريم من قلبي ويشقى به ويلحق بي ليمحو شقوتي السلف صحوا من رقدة الأيام بعد ضنا لكم من مره المردار

أغترف ببحرك يوسف الدنيا أهييم بها ونهر النيل جاء اليوم يعترف وضم السعد عن ابن يتوق له جناح النيل لا يهذي فينحرف ومن ذا قالوا ذاق المر مثلي أنا أشعر أن لي بالجنة الغرف فريق الفرع والأحلام فيه أنا وإني بساح كرة السحر محترف أراقص نفسي والدنيا فأمضي بها وتشر فيض ما أهدي الدنا الصحف ركبت الموج حتى الموج داهمني فما عن

درب ذاك الموت أنحرف وإنه آت لا ريب ويلحقني وقلبي من جلال قدومه وجف إلى أفيات
والسلمى أتوق أنا ويحوي فتة ابنة عمي منعطف وبعد الصبر في الجنات ألقاها ونمر خالي
من الأنهار يغترف وعبد الباسط ابن العم ينظرني كل الحسن والآمال يلتحف أنا الرحالة
المشتاق وقت إذا تهل الغادة الحسناء أنكسف وناهد عمري قد جاءت فسر بها شغاف القلب
وعني الشوق فمكتشف وتحمل عيني أشواقي فتبدو بها لأن الشوق في عين الدجى يقف
فيبدو النور في مقل يداعبها وقلبي العاشق الولهان يرتجف والسابق نص همس الراوي
الجميل المشارك لنا الأحداث والمتقلب معنا في رحلة العجائب بلا حدود..... أبدعت أيها
الراوي، أعلم أن في جعبتك الكثير المثير، كم تتزين بك الحياة.... - من دواعي فخري
وسروري أن يتحفني العالم الجليل بهذا الرأي الذي أسعدني كثيرا وأثلج قلبي. يبتسم العالم
الجليل وهو يهدي الراوي زهرة جميلة من حديقة حُفني أن مرور الصُحبة الجميلة المكونة
من عبد الرحمن وأشرف اللول وضُرغامٌ ووهيدي وسلطان وآخرون منهم مُعْتَزٌ ومصطفى
وجمال ومحسن، كم هي صحبة خير تتجه صوب "المصرف الكبير الثُرعة الكبيرة" على
مشارف زراعات القصب عند غدير الأمل والهوة المتقدة لدى "المُبَيضة" وهي الرقعة من
امتداد أطراف "عزبة عبد الواحد النَوَّارة والنَّسر" واتساعها لتلتصق برقعة أخرى
مجاورة فتشملها في مكنونها، وعند "المُبَيضة" يسكن الجان في حقول كبيرة واسعة عند
بحر يوسف، وحجرات من ماء وسحر يسكنها عفاريت وأسماك وأشباح، حيث حمادة
وحسين واللؤلؤ في غوص بعيد عند الأعماق، والحجرات مرصعة بالذهب تحوي الدر
والياقوت والمرجان، وهي نبع ماء بئر حفني وجدول سلمى وكنز عوض، يستمر حمادة في
مغامراته وهو ذو النفس الطويل الواسع، حيث رنتاه تحملان الهواء وتحويانه كي يستمر
في السباحة، وعقلة الإصبع مع الحوت المصاب يقدم له العشب النادر، وحسين الصياد
الماهر يطارد الأسماك ليمسك بها، وها هي جثث تعانقهم تتمثل بها الجان، يطوفونهم من كل
حذب وصوب ثم ينتقل المشهد ويأخذ مع الأحداث جلها فلا يتركها حيث الفارس المثلث
يصارع التماسيح في مشهد مهيب، وحسين وعلاء وحسن يرقبون ذلك الحدث ويرونه وهم
يتمرغون فوق الحشائش الخضراء في حقبة زمنية خضراء لا ينقضي ربيعها ولا يرحل
حسنها، لكنه وداع مشوب بالحزن، فهم على أي حال لا يريدون الرحيل عن "عزبة عبد
الواحد النَوَّارة والنَّسر"، يرون مشهد الفارس المثلث فيتعجبون من أمره... ذلك البطل الذي
يصد الهجوم الزاحف صوب "عزبة عبد الواحد النَوَّارة والنَّسر"، يتقدمون ومعهم الصبية
والصبيان والصبيات والبنات صوب موقع الأحداث، وأشتباكٌ حادثٌ هنالك، اشتباك مميت
مستفحل أمره، كيف لتلك الفلاحة الشابة أن ترتدي لباس محارب ملثم وتفعل هذا؟! بعدما
طاردها الجان وهي التي لا تخشاه، لكنها خطة وضعتها لاستدراجه حيث بحيرة التماسيح
وهناك مهلكهم - فالفلاحة هذه تدير الطمبورة- آلة يدوية أسطوانية بها تجويف معدني
ملتف على هيئة مدورة حلزونية ترفع المياه بالتدريج من حلقة لأخرى وتستخدم بها الأيدي
لتبدل الأوضاع لدر الماء ورفعها حيث يرتوي الزرع - وها هي وآلة الزمان تجلي الحدث

وتظهره، تديرها هنالك عند "نَخْلِ الصَّغْلِ" بجوار النخل الكومي، والمسحور يسلط عائلاته الفتاكة عليها وعلى أفراد وجماعات الرحلة بلا حدود، وأسامة لا يزال جالسا تحت ظلال الشجرة وأماني تتقدم صوبه ليتحولا لعقلتين للأصبع عجيبتين، رحلة حقيقية خيالية واقعية مدوية. نطق بالجملة السابقة أسامة وهو يتحول تارة لعقلة إصبع وتارة أخرى لطائر وفينة لأمير يعتلي فنن الشجرة المسحورة وفينة لطائر يحلق إلى جوار ملكة النحل المتحولة أسرة القلب ومالكة الفؤاد - في بَحْرِكَ يوسُفُ مدَّ وجذُرُ وتمَلَّكَ قلبي من مَوْجِكَ أَسْرُ والعزبة فيها النواراة وسلمى وفيها الرضا والمنى والنسر وفيها وهيدي وخَضْرُ وموسى وعلى مَر الزمان حبيبتي مصر وناهد حلم الليالي هناك بُنِيَ لها من الجمال قصرٌ ونَادِيَّةُ فتاة القَصْرِ تَهْلُ مَنْ غَارَ مِنْهَا الجميلة البَذَرُ حسين تمرغ فوق الزرع وعلاء شقيقه حوله شجر أفيات الجدة والمصباح بيدها تجلى ونطق القدر وناعسة الطرف بجانبها حفني وروضة حُسْن بطلعها ثَمَرٌ.....! - أبدعت أيها المؤلف الموهوب... فالتفت إلى مصدر الصوت وكان يألفه جيدا، وقد خطف قلبه وأسر كيانه، فإذ بها هيفاء وغادة الرحلة، غصن الأمل ومروج الحسن، وروضة الربيع وبستان الطير، هام شريف بها ورنا إليها وأحس كأنما الدنيا حِيَرَتْ له وأكثر، وشرع في شدو يحييها، وهي تستمع له في ذهول أسر فؤادها، حيث نادية فتاة القصر تطل عليهما فتحييهما والرحلة وكل الكائنات، ولا يزال في المشاهد المتصلة ذلك المسحور - يبدو خياله - وهو يتحرك في دجى الليل عبر موجات وأعماق نهر الموت، وفاطمة ذات البساط لا تعلم لها وجهة، مخبأها السري في القارب الصغير يتشكل ويتحول، وقاربها ذاك يضحي سفينة طائرة حيناً وطافية على موج النهر الخالد حيناً آخر، ثم تتحول لطائرة ومُحَلِّقَةٌ فضائية كونية، والتنين يلتهم كل ما ومن يواجهه لا يعيقه عائق ولا يشغله شاغل، يبتلع حتى ثرى الأرض، حتى شوهد فتى الرحلة العملاق شداد، فلما تقدم الأخير صوب السدرة هنالك عند المنعطف ذي الجان لدى "نَخْلِ الصَّغْلِ" اقشعر جسد التنين وارتعد من أعماقه وتملكه خوف هز كيانه، وذلك لأنه سوف يلتقي ويحارب ذلك المتقدم المغوار "الفتى العملاق شَدَاد"، وعلى مقربة من الحدث يقف "خَضْرَاوي خَضْرُ" بجسده المتشكل المتحول، فتارة في عمر الزهور وأخرى بلغ عهد الشباب وفينة في فصل الربيع وتارة في الشتاء يحيا حياة الربيع الباسم، حيث في الرحلة الغريبة هذه، ها هو يَخْضُر الزرع وتنشد العصفير ويورق الفن ويدعو الكروان بترنيمة أمل ويبسم ثغر ناعسة ليفوح منه عطر الزمان، ويتورد خد الأيام، وسندريلا ها هي كما ترون برفقة الطفلين حسين وعلاء وهما يتمرغان فوق محصول القمح الذي لا يزال أخضر الطلع في طوره الأول، حيث أبو الديول الذيول ويقصد به صغير الضفدع في طور هينة وشكل السمكة والصبية يلهون ويلعبون به، وحسن مع حسين وعلاء والغادة سندريلا تغني لهم، وعبد الرحمن هنالك عند بحر يوسف، يدنو من الجمع ويشاركهم اللهو، ومعه صديقه الرحالة وهما يصطادان السمك من بحيرة الجمال، ويمرون والحوار الشيق أداة تسلية وسكينة نفس لهما، وسلمى تطل من قصر أميرة القصر حيث يقفان في فناء طائر بساحة طابق عجيب سحري، والنافذة مرصعة

بألوان الزمان، وسمية فاكهة الرحلة ووردها المطل برفقتها ناهد، حيث الأخيرة هي درة الزمان وورد الشطآن وبسمة الأمل وربيع الحياة ولو كنا في فصل الخريف حتى، خريفها وشتاؤها وصيفها ربيع وديع، وقبطان لا يزال يغازل سلمى بعبارات عفة وأدب ورقى، لا يخرج عن المؤلف، هو فقط يصور نبض قلبه، ويترجم أنين فواده، يدق فواده برنين وحنين معتاد، موجات أمل ونسائم فرح تتخلق من مهجته.... تلك المهجة التي يمسه الحنين ويبعث بها الآمال، لتلقي الظلال في الأخير بصيص رفق ومشهد ود يحل في النفوس فيبعث على أمل خالد لا ينتهي، ويظن من سكن ذلك الأمل بفواده أن لا يأس سيطبق عليه تارة أخرى، استمر حسين وعلاء وحسن في التمرغ فوق الحشائش والورود والنبت الأصيل الأخضر، و"عزبة عبد الواحد النواره والنسر" تتزين في عرس جميل، ورشا فتاة وعروس نخل الصعل تراقص زهرات الخميل وعصافير الفنن، في رحلة تسكن الوتين فتريحه من هموم الحياة، عزبة تحلق بك في فضاء كوني متسع، ولم لا وهي الأمل والآمال والحنين والظلال، هي درة القلب وصفاء المهجة وبسمة الدنا وأنين الوتر الحساس حين تزغرد نغماته وتتلو سيمفونية بهاء حطت كطائر سعد داعب غصن المودة وسقى العالمين الشهد المكرر، الرحالة وعبد الرحمن وقبطان وسندباد أبطال كم طويت بأيديهم بلاد هو أشرف من معهم وسمير وسرحان وممدوخ وحماة وأمير وعماد سلطان ضرغام واللؤلؤ إذا يعدو مع رافت قد سافر ومع جمع شداد في نخل للصعل بالعزبة ها نحن ونواره من ظهر هودجها المرتاد جنا دنيا وجنان في ملك كم زال وكم زالت أيام الفرعون الأوتاد تختال بمشيتها من تعرف قصتها والنسر المختال تلهيه الأعداد في العزبة "خضراوي" من حبة كم يسري بربيع للنديا وتطل الأعياد إذ يقبل ويغني الطير بروضته الكل يفضلوه وسمير ورشاد قبطان كم يعدو ويقدم لرفيق العمر ويفديه ويطل الأشهاد فيرون حماسته ويحسوا كياسته في قلب المحبوب آيات ووداد ومن ربي الرحمن الخير لدى فنن وعطاء وجمال وقصور وو فتاة بالقصر من بطش الشرير الساحر لم تسلم ولها حن الأجداد ويلوي جسده دائرا حول مركزه في مرونة بالغة، لكان نمرا متمرسا فعلها، وفي دورانه ذاك يركل "الذنب القائد" في الوضع طائرا، فيفاجئ الأخير بتلك الركلة تطرحه أرضا، لينهض من موضع سقوطه في لمح خاطف وأقل من طرفة عين كأن لسان حاله يقول:- أنا "الذنب القائد" ...لا تنسى!! بالفعل نطق بها وهو يهاجم "الرحالة" هجوما شرسا منقطع النظير، فما كان من "رحالة الزمان والمكان" إلا أن واصل الهجوم، و"عبد الرحمن فتى الرحلة الأول" يتعلق بغصن شجرة وهو يتأرجح في استعداد ماهر لشن هجوم على بقية الذئاب المنقادة الشرسة، بيد أنهم تجمعوا حول الأخير وراحوا ينهشون لحمه أو قل قد شرعوا، فلمح "سندباد" و"قبطان" ما يحدث وانطلقا في دفعة واحدة لإنقاذ صديقهما الذي كان قد طوق بسور من نار وسلاسل من منية وموت قد أشرف عليه، وكان يُمسك "سندباد" برمح ناري يشغل ويبرق وسط أرجاء الغابة وفي محيطها، وقبطان تقبض يمينه على حسام من لهب حار وسيف مغوار جبار، خافت الذئاب برمتها من هول الانطلاق الهائل الموجه من البطلين، لكن الذنب القائد وجه جموعهم وقد

عوى بصوت انطلاق شرارة الهجوم وشارة:- " قتال حتى بلوغ المنية أو الخلاص أو القضاء على صفوف العدو وتشتيتها ". وفي أثناء اشتعال الحدث وتسارع ونبضه الصاخب المليء بالمفاجآت إذ بآلة الزمان والمكان يتحول وجهها ويتغير، وتفتش عن الأماكن والأزمنة، تأخذ معها الكائنات وتموج في عوالم غريبة وهي تلملم كل شيء كأن يوم الفرع قد هل وطل، حيث سفينتها تشق عرض بحر يوسف، وهناك يجلس عبد الرحمن على شاطئه في مشهد حالم خيالي، وقد سرح في أفكار وتاه في أنوار: تلك الفتاة التي اسمها مطابق لشخصها وصفاتها، هي الربيع وبسمته وذلك الحسن الذي طرفه أضاء ظلمات العالم والكون، ومريم إلى جانبها، ناظر لها يأسر من يصير ويخطف لب الأيام والأحلام، إنها ذلك الأمل الذي تحقق والمنال الذي حصل عليه كل مفكر في أمر ظنه خيالي ولا يمكن له بحال أن يتحقق، وها هو يفرض نفسه حوار أتى من مسامع الزمان بعدما مر عليها في حلقة من حلقات سلسلة حريرية ربيعية، لا تطوق كائناتها بل تشملها بحنين ورعاية، حيث نخل الصعل قد أطل، ويكفي أن به رشا المغلوب على أمرها، الفتاة السحرية الساحرة، ويتجلى مؤلف الرحلة ضاحكا مستبشرا وهو ينطق بكل حسن وبهاء وجميل وقتذاك ليقول: للكتابة وتأليف الحرف وتصوير نبض القلب متعطش أنا وكأن الربيع الباسم الدائم الذي لا يغيب عني يطل ببهجته وسنا نوره وأريج زهوره ووروده للتو! وهنا يضحك محمد ويبسم بسمة إعجاب لذلك المؤلف الفذ...و يقول وعلامات الدهشة تملأ قسماته المتناسقة، ، فرحا مسرورا:- لأول وهلة أسمع منك هذا الحديث، لا بد أن انشغالك الفترة السابقة وندرة وقتك وسعيك الدائم هي عوامل كان لها بالغ الأثر في قلة تلك الكتابات التي طالما تمتعنا بها؟!...أيده المؤلف بإيماءة من طرفه وبادله بالبسمة بسمات وهو يتجاذب معه أطراف الحديث في ذات الوقت الذي تمر فيه "ملكة النحل" على بعد كبير منهما، وقد رصد تحركها وتحليقها الهوائي بواسطة مجهر الرحلة عن طريق إديسون ويحيى ومجموعات الفنيين المخترعين، وكانت آلة الزمان والمكان تجوب العصر في الفضاء الكوني الهائل بجوار ملكة النحل العملاقة، وخلف الأخيرة.. تتبعها كائنات لا حصر لأعداد كائناتها المسافرة عبر الزمن والمكان، والمركبة الفضائية تتحول وتتشكل على نحو عجيب، فهي مسطح مائي وقيثارة ونجم وكوكب وبحر يوسف ونهر نيل ومجرة ومجموعات عناقيد مجرية وثقوب سوداء و...و....و أثناء ذلك الانطلاق الهائل وفي خط أرضي مواز يظهر "محمد" ومعه شقيقته "تبر".. غصن الأمل وفنن الربيع، الهمس هي والجهر والبوح وآية الزمان، وناعسة الطرف بجوارهما ومعها الحبيب الطيب "حفني" صاحب الروضة هناك في "عزبة عبد الواحد النوارة والنسر"، وتلك الأخيرة هي رمانة الميزان ودرة الأيام، ونبض الرحلة النابض وهمس الفؤاد الحائر، فلما سار الجميع هناك عند حقل القطن في طوره الأول، بدت شجيراتهِ الجميلة تعانق الربيع، ولم لا؟!.. وهو طويل التيلة وذهب الخير الأبيض، أخضر يبعث على أمل ويأخذك فيخلق بك في عوالم سحرية، بيد أن الظالمين لهم أفعالهم الدنيئة وتصرفاتهم المهيمنة القاصمة ظهر أولئك الصبية والصبيات والأطفال الذين يجمعون اللطعة

من كل غصن، والمفتش يتحين الأخطاء ليوشي لرئيسه في العمل عن طبيعتها، وأنور لا يزال طفلا صغيرا يحاول جهده أن لا يخطئ ويترك لأطعمته خلفه، يتقدم المؤلف إلى حيث يقف على خط زرعه الممتد، فيراجع حالة الشجيرات ويقلب الأوراق ذات اليمين وذات الشمال، وها هو يجد اللطعة خلفه فيسرع إلى المهندس المسؤول وينبئه بما حدث مشهرا اللطعة (الورقة التي أصابتها دودة القطن وتركت أثرا بها واضحا وضوح الشمس في كبد السماء)، وكان ذلك اليوم ما بين الغائم والمشمس، والطيور تغرد حزينة وكأنها تشارك أنور أحزانه، حين انهال عليه نادر بالضرب بالسوط وعلى كل أجزاء جسده، هنا اندفع الرحالة وهو لا يدري كيف جاءت انطلاقته بكل تلك القوة، زحف زحف المنية صوب المهندس ودفعه بكتلة وقوة جسده الواثب.. بل المحلق فوق نبت القطن، فوجئ المهندس بانطلاق وحش صوبه لا طفل، فوق أرضا وطرح كما يطرح نبت الزرع أوان الحصاد، وصرخ حتى سمع دوي صوتيه كل من سكن تلك البقعة من طير وبشر وحيوان وحتى الجماد، فانطلقت قوات النسر الغاشمة صوبه وأمسكوا به، وأنور لا يزال يدفعهم عن أخيه الرحالة دفعا، وهو ذلك الطفل الصغير الذي لا يقوى على شيء، هكذا فآلة الزمان والمكان في وتينه لها أثر خالد لا يمحي، وهي تتحول عن الحدث وتعود إليه في عجب يخطف لبك ويأسر قلبك، وتظهر لتوها الأم...و يا لجمالها الروحي وطيبة قلبها، حضن الزمان الدافئ والبسمة التي تأخذه من عوالم المعاناة إلى دنا الأمل المتجدد وصحوة وانتعاش الروح، ضالته وجدها لدى فؤاد لا يعرف سوى نبض الحنين ونزعة الدفء المستكين والقلب الرحيم، كل نبضة منها ينصت إليها فتطمئن كيانه وتحلق به كطير عانق غصن الربيع، وسندريلا قد تجلت في هندام أخضر وهي مع سلمى في بستان أبيها النحال عند السدرة دائمة الإثمار القريبة من الشجرة طارحة شتى أنواع النبت، ذلك لما تضيف "أم الرحلة" وسندريلا مذهولة من تعبيرها وسردها، مأخوذة من هول ما تسمع، ترتجف من عميق عميق قلبها الرقيق الحالم، فالأولى أم موجوعة اثر فقد ابنها وهي تنن برجع صدى اهتز له الفضاء الواسع.. تقول الأم حين تحول مجراها عبر الزمان والمكان:- رحلة تخيفك وتطمئن قلبك، تذهب بك محلقة عبر الأحلام، ثم تغفو وتطيل الإغفاءة فتحس أنها أم فارقتك وبصيص نور انزوى عنك وعقد لؤلؤ انفرط حبه في بحر سحيق وظلمات ليل بهيم، هذا ولا يزال "بنر حفني" يدر العجائب والخيرات، والماء العذب كذا ينساب أملا وجمالا من شلال تدفقه وغدير جدوله وهدير حسنه وبريق جماله، وناعسة ها هي تطل، فيرسل الأمل شعاع نور عابر يمس شغاف كل ذي نبض، ويعزف لحن الحنين على وتر جميل الإحساس ورقيق الشعور، والطيور في ذات المشهد المتحول تغرد تغريدا راقصا وكأن سيمفونية حب يعزف له لحنها، ورباط مقدس يجمع الشمل قد أسدل حريره على ربيع باسم ضاحك فتزين كعروس في هودج حسننها فازدادت بريقا وحسنا، كل ما سلف كان في أثناء عبور الرحالة تلك المنطقة الوعرة المظلمة من عمر الزمان في زمن الحن والبن في سالف عهد الأيام، وهو يبكي في مزيج من الألم والأمل، لا بكاء خوف على نفسه، بل على غيره من صبية وصبيات الرحلة وأطفالها ورجالها ونسائها وعجائزها، ذلك جبروت

مسلط على الكائنات بالرحلة العجيبة...يقول الرحالة:- لعل الله يكتب لي السلامة وأنا أصارع هذا الوحش ورفاقه وعائلاته، إنه يلتهم كل ما ومن يواجهه، فأنى يشبع نهمه وجوعه، مسعور متحفز ذلك التنين الغادر، لا رحمة لديه..لكنني سألقنه درسا لن ينساه أبداً، وإن يكن غير عاقل فسيظن ويدرك ما يدور حوله من ويلات قتالي، وما يعانيه من صارم سيفي ونافذ رمحي. يستمع التنين لكلماته فيستشيط غضبا، ويزيد من قوة اندفاعه، ويعلن الحرب على الرحالة، يمد ألسنته ويلف رأسه ويلوي جسده، ويدفعه بقوته الهائلة فيطير الرحالة عاليا، شعور ينذر وجوده عادة، فكيف يجتمع الألم والأمل، هذا ما حدث معه وهو يسير في الغابة جريح النفس شارد الفكر، خلفه التنين يدنو منه، برؤوس عديدة يمدّها نحوه، فيقبض عليه قبضة المنيّة، ويطوقه بقوة غاشمة مميتة، يعترضه في قوة وجبروت، وهو يحاول إيقاف زحفه وقد أبعدتني فاجعة الأيام وأقصاني نذير القدر وأحاطت مطبقة بي نوايب الدهر، حطت علي الهموم الكواسر، أنا في هذا الزمان خاسر، وكلما هممت بأمر وأطلقت... للجواد العنان...الجواد يتعثر، وكيف أخفي الهموم والقلب يتألم؟!، فما يحمله فؤادي علي يظهر، مقتلتي لا السر تخفي ولا الهوى، وأثقلني الدهر فهو لي كاسر، لكن أملا كلما بعدت دنا، من مهجتي وأراني أبصر، درب السعادة وبه أسير وأخلق، كأني حر طليق وطائر،...ثم إنني أشتم فأشم رائحة الربيع تبهج الكيان وتعطر النفس وتسعد روح الأيام لتجعلها منتشية بأمل الحياة وبريق الحسن الخاطف. – نعم يا ملكة النحل..صَدَقْتَ تَمَاماً، الربيع الباسم يحيي الحياة وطيوره تغرد وأطيّاره تشدو وتغني، هذا حسن صارح ينطق بآيات ربانية بهيجة من صنع الرحمن. تبتسم ملكة النحل في وجه سندريلا وهي صديقتها التي لا تفارقها، وأم الرحلة سعيدة لهذا من صميم قلبها، تبتسم لهما ابتسامة أم حانية حنونة، في طابعها وطبعها الوقار، تحمل الخير للجميع وهي رمانة ميزان الرحلة بلا حدود...تواصل ملكة النحل الأسطورية تحليقها السرمدي المستمر وهي لتوها فوق المرتفع الصخري الذي أضى واحة جميلة ذات نبات أخضر يانع مورق، وذات بهجة ترسم في القلب قبل القسمات سرور الدنيا وأمل الأخرى وتفاؤل النفس والود والخير، ولا يزال في الموقع الملهب بالأحداث والمفاجآت "صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان " و"عبد الرحمن" رفيق عمر "الرحالة" ومجموعات الكائنات يتسلقون ويحلقون فوق المرتفع الصخري المتحول لروضة فيحاء وتل جمال واحة أمل وجزيرة بلوغ هدف ومرام، وعقلة الإصبع يضحك مبتهجا سعيدا وإلى جواره أمانى شقيقته وحسنا ورشا ومديحة وحورية ونوال، وفتيات أخريات يعدون معهن، حيث عبد الرحمن يراوغ الذئب القاتل والأسد القائد ومجموعات التماسيح المسحورة المتسلقة للمرتفع والتنين وعائلاته اللذين يأكلون الأخضر واليابس بل يلتهمونه التهاما وبكل شراسة ونهم، وعن "نؤارة" فيتحول لها وجه الرحلة ومشهدا وهي تلك الشمعة المضينة التي لا تنطفئ أبدا ولا يخمد بريقها، لكنه بريق من شر وحسد وغيره وضيع وظلم وافتراء وتجني وأكل مال يتيم وجور... نعم هي الغصن الرطيب الذي يطل بسحره في عهد الربيع الباسم، بيد أن الظلم سمتها وذلك ما دفع عنها حنينٌ مُحَمَدٌ وَأُخْبَتَ

بطرفه ضوء الأمل المنبعث من أتون الوجد والهوى، تقف إلى جوار والدها وفي صفه ضد الفقراء المضطهدين، وفي ناحية أخرى من المشهد يرى وقد هروا واستبق الخطى المغامر "عبد الرحمن" المغوار وفتى الرحلة الأول وصديق الرحالة الصدوق - والتي تفضله على نفسها حورية السماء عذراء الربيع وفاتكة الحسن ويسمينه الروض العاطر - وبرفقتة الداهية المتمرس صاحب الخبرات الطويلة والمحنك الهمام "صبري الطائر قائد آلة الزمان والمكان" - ومعهم الكائنات وكل أفراد وجماعات الرحلة بلا حدود - صوب المُنحَدَر ذي الموت والمنية، وعِبْرَاءَ والجَمِيعِ بعدما نَجيا من الهلاك المحققِ وكُتِبَتْ لهم السعادة جميعاً، وكان قد راوغ عبد الرحمن الأسد المندفع صوبَ وجبته الحية كما نعلم، حيث خفض رأسه قليلا وثنى جسمه في مرونة يحسد عليها وهو يهبط في هيئة تصور للأسد - ومجموعات الأسود والوحوش التابعة له وتعمل تحت إمرته - مدى الخُئُوع والاستسلام، وتَحْمِلُ في طياتها حيلةً بالغة الذكاء، فلقد مرر الوحش كي يسبح في الهواء الطلق أعلاه وفي فراغ خلقه لأجله، والفكرة كانت لإيهاب كجزء من مخطط من مخططاته العبقريّة بصفته حكيم الرحلة وعقلها المدبر، وهو أيضا داهية في فنون الحرب والقتال، آنذاك استمر الأسد القائد في الاندفاع، وذلك في قمة القبة الصخرية ذات النار والهب والجنان، وظل صبري يقود آلة الزمان والمكان في جل تحولاتها، ويشارك الرحالة وعبد الرحمن وإيهاب حكيم الرحلة و"قبطان" شقيق "سلمى ذات الرداء الأخضر"، وفي خضم كل ما تقدم وسلف ذكره، تعرض الرحالة لهجوم بالغ من الذنب القائد عن السدرة دائمة الإثمار، وبجانب شجرة كل الفواكه والخضروات حيث الفراشة المزركشة ومجموعات الفراشات ذات الألوان المتنوعة هُنَالِكَ يُحَلِّقُونَ، وَتَبْرُ تَنْتَقِي اللُّطْعَةَ - (دودة ورق القطن المُسَبَّبةُ وبعد فقصها لا حترق أوراق ذلك النوع طويل التيلة وغيره من الأنواع الأخرى) - وتنتقيها من بين أوراق الأغصان الجميلة، والشاب عبد الرحمن ومعه نادر وحلمي واسخرون والمفتشون يقفون بالمرصاد لتحين الفرصة لإنزال العقاب بالصبيّة والصبيات والأطفال، ومحمد في الوسية - (كل ما يعني استغلال الناس عموما في العمل في شبه سخرة ودون أدنى أجر سوى ما هو أقل القليل واستخدام القمع والتوبيخ والنهر والسب لا آدمي النهج في المعاملة) - يحاول جهده مجابهة الظلم ممثلا في الفتاة "نؤارة" وهي في أوج جمالها وأعتا ظلمها وأفجر فعالها من حيث الضيم والظلم، تذوب وتتحرق له هياماً وشوقاً ولا تُظْهَرُ ذلك، وهو يبادلها الغرام لكنه لا يبيديه أبدا ولا يود منها ذلك الظلم البين في تصرفاتها ونهجها مع الغير، في حين يعبر بالصبيّة والصبيات والأطفال كل من محمد وعبد المجيد ورئيس العمال وآخرون، وبهلول المسكين الطيب معهم على متن ذلك المركب المتحول لبخرة وسفينة وطائرة و....و.... هو نفسه قارب فاطمة الصغير ذي المخبأ السري، وهو ذاته أيضا آلة الزمان والمكان العجيبة، في حين يظهر فتى خجول، بخجل من ذاته، ومعه أخته وأخوه وبنات الخالات وأبناء الأعمام وأولاد وبنات الخال، والصحبة الأول في "عزبة عبد الواحد النؤارة والنسر"، ويظهر "فارس وشاعر الرحلة وراويها شريف المؤلف القاص"، وهو

من يعرض للضيم فيزداد إصرارا ليطاول موج الحياة الثائر وهو يقول: - أنا من يعادي
أجنل نفسي احتواني الجدول وفيه أسبح برهة فإن عزمي هائل هذا حسامي مشهر وفي
يمني أحمل أبين كأني فراشة لكن همومي أحمل معي إيهاب هو الأمل هذا اسمه ومعه كامل
هما بالرحلة مثلما مثانا فيها يهرول لا بحث خلف متاعها لكن لنحيا ونرسل أفراح قلب
للدجى فيزاح ليل ويقبل نهار ود ضاحك ومعنا يبدو الغافل....و يكمل "أمير الرحلة"
و"الفارس النبيل" ما بدأه للتو "شريف"، وهما يرددان أشعاره قائلين في صوت واحد
ووتيرة متشابهة ونغم شجي:- البيث جميلٌ وواحدٌ وبه الطيرُ المغرّدُ عصر المودة ها قد أتى
رُكنٌ ركينٌ ويتجددُ وما يُسعدُكَ رفيقُ الربا تالله إنه إياي يُسعدُ وروحُ التكافلِ تواقّةٌ يطولُ
زمانها ويخلدُ وما قد حَزَتْ بهذي الدنا ملُكٌ يمينك ومُقنَدٌ وديني ودينُك كم ينقضي عنا فديننا
مُسَدَّدٌ مثل أوان الماضي نكون يُطلُّ علينا الآن الغدُ فيه البسمة لحنُ زمانٍ فلا محتاجٌ ومُهدّدٌ
يبارك ربُّ الكونِ برزقٍ تُمَدُّ به للغير اليد نحن الأسرة ذاتها نحن وإن طريقنا ممهد نمضي
عبر دروب حياة تزين لو نمضي المشهد فكل الخير بهذا الدرب بارك ربي من يعبد تحية
قلبي لكل الناس فكل إلى خير يعمد أراهم كلاً في ترحابٍ وأيدي الخير لكم تُمدّد لنا خيرٌ مثل
هو المُصطفى نبي الله ومُحمّد حبي إليك رسول الله يتمدد دوما ويمدد لا إله إلا الله وأنتك
رسوله كم أشهد. وكان الجميع قد أصغى لأشعار ومفردات وحروف الموهوب "شريف
الشاعر المؤلف"، ولا يزال في قسمات وجه "الرحالة حفني" صاحب الروضة البديعة
المبهجة عند "المصرف العذب" والذي تصب فيه مياه الربيع القادمة من زروع الجنة ونبت
الخلد في "عزبة عبد الواحد النواره والنسر" بستان الرحلة وأملها الخالد ونبعها الطاهر
وبورثتها المتحركة بالأمل والنابضة بالحياة،..... - أليست هذه "عزبة عبد الواحد" الطائفة
المحلقة والمتحولة والممتدة والمتعة لتشمل كل الكون والآخرة والبعث والنشور، القطعة
البهية الندية من مكنون الكون وعهد الأيام وأمكنة الدهور. - نعم يا "سامي"...هي ذاتها،
،فرحة القلب ونشوة النفس ويريق الحسن الصارخ....ثم استطرد "محمد" وهو يقول لنتوه
الآن.. نحن نقطن بها..كل الكائنات تفتersh أرضها وتتخذ سماءها للطير والتحليق، فما هو
الفتى "نمر" والفتى "داخلي" يرتلان القرآن الكريم ويجودانه على ضوء "المصباح
الفلاحي" و"مشكاة الرحلة" لصاحبها الفتاة "أفيات" قاهرة الجان ذات القلب الحديدي
والعزيمة القوية، يستمر نمر في تلاوة القرآن الكريم وبصيص ضوء من ذلك السراج المنير
المضوي بضوء الأمل ينتشر وينتثر مثل راحة الورود وأريج الياسمين، وعند فرن العيش
لصاحبه "أحمد" يجتمع الأحبة يتضحكون ويتسامرون وفي فناء الفتى "مدحت" تربي
الطيور وتحلق ليلا ونهارا، فيلومها "الغراب" ويقول حزينا مكسورا:- لم لا تدعوني ألعب
معكم وأحلق؟! فيبكي "الرحالة" متأثرا بقوله وتحن الطيور له فيقولون يصوت واحد:-
أنت أجمل مخلوق...يبتسم "الغراب" ويدنو من "حسين" و"حسن" و"علاء" وهم
يتمرغون فوق النبت الأخضر عند "النواره والنسر" "عزبة عبد الواحد"، فيتمرغ معهم
ويقلب جناحيه ويحرك ريشه، ثم يحمل "أمني" و"عقلة الإصبع" و"متناهي الصغر" و

متناهية الصغر" ويخلق سعيدا صوب السماء ثم يعود للأرض، والأرض كذا تطير في الفضاء الكوني العجيب وتتقلب بنظام الهي محكم، وتوجد لتوها الشهب والنيازك والمادة المرئية وغير المرئية، حيث يفرح بالمشهد أبو قردان والهدهد والبطريق وأبو فصادة والجميع، فها هم قد أتوا بالعشب الطبي النادر شافي كل الأمراض بمشيئة الله، جاءوا به للحوت العملاق ولكل الكائنات، حيث ها هو الحوت يسبح فب الأعماق فيعتلي ظهره الجميع ومعهم عقلة الإصبع، وملكة النحل حاضرة في كل مشهد تستمر في سباحتها الجوية والبحرية والمائية في انسيابية بالغه جميلة، وفتاة القصر تطل من شرفتها فتبعث في قلب الناظر أملا لا ينتهي ولا يخفت شعاع مداده المستمر الخاطف، وبجوارها نادية الشادية المُنغنية والعازفة على وتر الفؤاد، سلطنة الأيام وقد قيد حركتهما الساحر الشرير وربما العجوز اللنيمة بأوامر وتوجيهات من النواراة الطاغية والنسر الظالم، ومحمد في زرع القطن لا يزال يجمع اللطعة ومعه تبر، ونواراة مستعدة للتخلي عن كل شيء والتنازل عنه له في سبيل نظرة من عينيه، تلاحظ هذا الفتاة الهادئة نسمة الرحلة تبر، والأخيرة تجاهد ضد الضيم وهي نصيرة للمستضعفين في العزبة الطائرة المتحولة لكل أشكال الرحلة بلا حدود... عزبة عبد الواحد النواراة والنسر، ومع تبر تقف أسْمَهَانُ وعَزِيَّةُ الفتاة الحسناء شعاع الرحلة المظل المزين بضوء السحر المتهادي عبر الزمان والمكان، على أنه يظهر الملك الغضنفر خميس ومعه جيوشه الجرارة تدب فوق اليابسة وتهتز الأرض عند حوافر أقدام خيلها، يضرب في الفيافي والقفار ويغوص في المسطحات المائية، يستخرج الدر والأمل ويقضي على الضيم، معه الرحالة وقبطان والعالم الجليل والمخترعان أديسون ويحيى، في معامل عزبة عبد الواحد النواراة والنسر، وفي مصانعها وباستخدام المواد الخام المستخرجة من خيراتها الزراعية والصناعية والتجارية، ويمشون للتو جميعا فوق جسر الأمل المار بشاطئ بحر يوسف صوب الكوَعة، وسميت بالكوَعة حيث أنها مثل الكوع وتعد منعطا خطيرا ودرة من الدرر، لو ما سلكت صوب اليمين أو صوب الشمال فإنها تتجه صوب النخل الصغير وحديقة وبستان ممدوح والنخلة الخرساء، فلو ما اتجه السائر شمالا مر بمدار مياه الشاب تامر عند منطقة الأربعة عشر فدانا، ومدار الماء هذا هو صاحب للماء من عمق بعيد في الأرض " طُلْمَبَة "، ونحن نتجه الآن صوب نخل الصعل على يسار ظلمبة الشاب تامر من الجهة البعيدة، حيث الساحر الشرير وهو يجتمع برجاله المنفذين لكل عملية سطو وسيطرة بالقوة على مقدرات وأموال الكائنات، وها هي تظهر نواراة وبجوارها النسر ومجموعات من المدبرين وهم يوجهون الأدوات المنفذة ويرشدون ويخططون لإتمام عمليات سيطرة ونهب أموال وذخائر وعدد ومساحات أراض وغيرها، ومحمد يعبر الدرب في طريق الغابة ممتدة الأركان بين النخل الكومي ونخل الصعل، والمسحور وعائلاته أدوات تنفيذ لقوى السحر المجتمعة آنذاك، ونواراة لتوها تحاول لفت نظر محمد بكل استعطاف فيتجاهلها، وهو الذي يدري جيدا مدى ظلمها وبمرض الاستحواذ على مقدرات الغير المسيطر عليها، ورشا فتاة وعروس نخل الصعل تذهب إلى العجوز الطيبة عند البئر فتجد

أنور هنالك وهي تنصحه ومعها أبو عوف ناصح الناس ومرشدهم للخير....- عمت صباحا سيدتي.. مرحبا أنور. يردان التحية عليها ويستطرد أنور:- أعلم أنك مظلومة يا رشا، لكن كيف الخلاص من بطش وسحر نؤارة وريما والساحر العجوز والنسر؟! وأثناء الحديث يسترق السمع المسحور القاند، ولهب جسده يتقد فتصل حرارته إلى مكان الاجتماع ويشعر به أنور، فيمسك الأخير به ولا يخشاه، ويقيده إلى السدرة دائمة الإثمار بجوار شجرة الخير الكبيرة مستمرة الطرح لكل نبت والتي يعتليها الأمير المسحور، وفي محاولة لفك سحر الأمير المسحور يوجه أنور المسحور لقراءة سر التعويذة حتى يفك قيد المسكين، ولكن مسورا آخر يفك قيده ويعدوان صوب مياه بحر يوسف فيقفزان بها، ويتحول البحر لنهر الموت في لمحة عين لبيبن قارب فاطمة الصغير وهو يطفو ويتمدد بعرض المياه وطولها، تبين عيون الكائنات البحرية جاحظة مخيفة، يتوسطها الفارس المثلث دون أن يمسه خوف، وهو في أثناء خطته لمهاجمتها في عقر دارها، والرحالة أسفل المياه وفي القاع يبحث عن فاطمة في كهف الظلمات المظلم ذي الفتحتين والبابين، حيث من يدخل من باب يغلق خلفه ذلك الباب ويفتح له الباب الآخر في الجهة الأخرى، وأمامه لمح من الزمن خاطف كي يعبر بسلام وينجو من فكوك التماسيح المسلطة الشرسة، ثم يتحول المشهد فلا يتركها حبية القلب، فها هي درة الزمان ونبع الأمان "عزبة عبد الواحد النؤارة والنسر" تطير فلا عائق يعيق، ولا نهر ولا بحر ولا مضيق، مشرعة فوق موج الزمان تدق الطبول، ويسبح معها في نهر الحب ويرى الأسطول، أحببتها فلا يطول حبها منازع، ولا يستحق محبتها حاقد، وهي غايتي وأملِي والساحة والجامع، هي النادية لو ما الطيور تغرد، والشادية وكل الكون يشهد، والحب والسكن لما الجسد يئن، وحين الروح للحبيب تحن، هي كونك تروى بعد ظمأ وحرمان، وهي مدينة الأمل وكل الشيطان، المأوى هي حين يضلني الطريق، وطوق النجاة يتعلق به الغريق، أحببتها والزمان يشهد، وفي حقولها الطير المغرد، أتبه ثم إليها أهتدي، ونهر النيل والغد أغتدي، تشدو "عزبة عبد الواحد النؤارة والنسر" والكون يسمع شدوها وتغريدها، والفضاء الكوني تختلط به رائحتها الذكية، بها النخل الكومي ونخل الصعل وإلى جوارها نخل نمر والمعمل ذي الصمغ، وبها جنة الأربعة عشر فدانا والمصرف الغذب وجدول حفني وجنة القاضي والجميل سعد وبها الزرع والورد، وهنالك السنطة عند بحر يوسف، تنتج الصمغ وينتج بجواره العسل في بستان ممدوح وتحت رعاية ممدود وحمادة، تنشد العزبة وتقول، وهو الأمل معها ينول، رحالة زهره ما يمسه الذبول ونبت حقوله إلى كل خير وأمل يؤول....تقول...نعم تقول.....:- إلى عيون ذات الرداء الأخضر سلمى الجميلة يا عقيلة فانظر أماني معك إذا خطرت ترى معك ولو سكنت بنهر نيل أسمر وعوني يسبح في مداه الجدول وبحر يوسف كل أمل أسر تحاول "أماني" شقيقة عقلة الإصبع الذي يلزمها على الدوم.....تحاول قدر جهدها أن تصف ما يحدث وهي ترتعد خوفا وأخوها يشجعها وهما يجلسان فوق كف وراحة "سلمى فتاة البستان ذات الرداء الأخضر"، فيقشعر جسدها-... "أماني"- ويتراقص فوق راحة "فتاة البستان سلمى ذات الرداء

الأخضر " الماكثة فوق كفها متناهية الصغر "أمانى" وهي ترى وتشارك المشاهد بالرحلة العجيبة المتقلبة، إلى جوارها" الراوي" المغامر وهو يحاول إنقاذ "عوني"، وكذا "قائد الجيش العالمي الجرار " المغامر البطل صلاح الدين "حيث جلس ذلك الأخير بجوار صبري الطيار الطائر ليتعلمه فن قيادة آلة الزمان والمكان، وكانت أمانى تبصر " فتاة القصر الطائر المسحور وأميرته أحلام " وقتنذ حين تطل الأخيرة من شرفتها المرصعة والكاننة بذات ذلك القصر المسكون بعائلات الجان والأشباح والكاننات الفضائية، تقول "أمانى" ونبرات صوتها تتقطع وتكاد لا تخرج الحروف من مخارجها الصحيحة، واللغة الركيكة تسيطر عليها لما ينتابها عندنذ من أهوال ملمة وعوارض مكبلة ومعوقات معرقة ونواب جلل وخطوبا وذلك، حيث تظهر الفتاة "ناهد" في روضة الحدث مع سلمى وجدول ممدوح العذب قد آلت إلى هيئته الرحلة بآلتها الزمنية والمكانية:- حملته على جناح أمل وشوق فناهد حلم وهي له بمثابة توق سلمى معها أم جدول حسن بدا ومن تحت يسبح المسحور إلى فوق ومعنا عوني ومحمد والجميلة رشا وأحمد وإبراهيم وعبير وشوقي ذاك هو الرحالة في دنيا يهيم وقد هامت الدنيا بنفسها فلا تبقي في صفحة حسنهما من الجمال أثرا ولا من لدغة الأفعى ترياقها يرقى عجوز البيضة الحجر تحمل والبلورة اللؤلؤية بها تشقى معها عصاها العجيبة السحرية وهي تجلس بالقرب من جدول ممدوح النابع من بستانه وبالتحديد من بئر عذب هنالك حيث حمادة أخوه يربي النحل في خلاياه الجميلة وبصحبه ملكة النحل وذكور وشغالات الخلايا، تلك العجوز بلغت من الخبرة والمكر ما لا تقدر مثيلاتها أن تحصله من مواقف ودروس الحياة، تتلمذ على يدها الساحر الشرير والعجوز الساحرة ريما، تدفع بالكرة البيضاء والبلورة العجيبة السحرية وتقذف بها صوب المسكين عوني، وجل ذنب الأخير أنه كان يساعدها لانتشال متعلقاتها التي تعمدت إلقاءها في عرض البحر كي تسحره وتحوله لوحش يشبه القرد العملاق والغوريلا وما شابه وقارب، فأصابت البيضة البلورية عوني وتحول في الحال لوحش تقشعر من هيئته الأبدان ويفر من أمامه الكبار والولدان، راح يسبح الفتى وقد جن جنونه صوب عائلات أخرى للوحوش المسحورة في عمق نهر النيل وهو ذاته بحر يوسف وجدول سلمى والمحيط الهندي والأطلنطي ونهر الميسيسيبي وكل مسطح ماني على وجه البسيطة وما أبعد، فيما يتحول المشهد المتصل أو المنفصل في نفس الحقبة أو حقب تتلاحق زمنيا ومكانيا وتتقابل في قسمات وجه الطبيعة المرعبة، حيث هنالك يطل المسحور - ذلك الكائن العجيب - وعيناه تقدحان شررا، يعدو فوق الأشجار خياله، يتمثل به الجان في صورة ضوء متغير متنقل ويحمل كل الألوان، وهو ذلك المفزع هائل الحجم الذي خرج من البحر لتوه حيث يظهر في صورة جد مفزعة، جسده ممتلى بالشعر الكثيف، وأظافره من نار متقدة وقدماه تبلغان من الارتفاع والروع ما يفزع النفس ويأتي عليها ويصرعها، ثم يقفز عاليا ليبلغ من الفضاء الفسيح مبلغا وعرا شاسعا، ويعود حيث أشجار الغابة ليمشي على أوراقها وغصونها، يقفز ويحلق ثم غاص في مياه بحر يوسف، وذاب في المياه واختفى، يستمر في السباحة يبحث عن أي كائن حي يلتهمه بعدما يجره صوب الأعماق، وها هو ذا

يصعد لقمة المسطح المائي المتحول لكل الأشكال، طفا لتوه فوق مياه نهر يوسف ومحيطه، فالبحر يتجول الآن لجدول وبحيرة ومستنقع ومحيط وغدير وطائر و...و.....، يذلف صوب جدول سلمى وهي تقف مع صديقتها ناهد، فيسكن الجدول العذب ويتخفى في صورة لا يظهر لها أثر، وها هما الفتاتان تتبادلان أطراف الحديث، فإذا به يهجم عليهما لينال وجبته الحية، تنتبه للأمر ناهد وتسحب سلمى بعيدا، يعدو خلفهما وهما يفران من الزحف، وينتبه الرحالة للأمر وكذا سندباد وقبطان وفتيان الرحلة، تخرج مجموعات أخرى معاونة لذلك المسحور،:- أما كفاه ظلما النسر؟! والفتاة يحويها القصر ابنته وما باله بها من بعد عسر يسر وناعسة كذا ابنته مالها من أمرها أمر حفني حياتها والأمل والعطر بروضها ينتثر وتراود نواردة محمدا ويزين محمدا الفخر لا يقع برذيلة أبدا ولو حواه ليل والعصر:- زدنا من همسات أيها الشاعر الرائع " شريف"، كم تحلو برفقتك الحياة. ففرح شريف وسر وحواء أمل ذو بريق، وذلك حين استمع لكلماتها في مديحه، فسندريلا البحار والأنهار والمحيطات والمسطحات المائية تعشقه وتفضله وتقدمه على نفسها، هو روحها والأمل الذي تتعلق به على وجه هذه الحياة، فهو يزين وجه الرياض والحياة، حيث إنه زهرتها ووردها وغصنها وفننها، ويتحول المشهد كعادته إلى حيث يقف "النسر" الطاغية فوق "جزيرة الأمل" المتحولة الطائرة الغائصة والمحلفة والمليئة بشتى أنواع الخيرات، يشعل السيجار ويقود الأشرار، وبقداحة لا تحمل سوى أنفاس الغل والجبروت يدخل التبغ، وزوجه النواردة إلى جواره يتصاعد الدخان أمام عينيها فتستنشق في زهو وكأنما ملكت الدنيا وما عليها، وهما يظهران في مشهد لا ينم ولا ينبأ إلا عن الغطرسة والتكبر والحكم الظالم، يملكان الثروات الهائلة الطائلة، في حقول القطن التابعة لهم، ومساحات ورقع الأراضي الزراعية الممتدة لأبعد ما ترى العين، يمران كذا في درب "النخل الكومي" و"نخل الصعل"، وعبر مدار الماء من مضخة- "ظلمة"- شرب الشاب تامر هنالك عند منطقة "الأربعة عشر فدانا"، كما يمرن خلال النخل الصغير عند جدول ممدوح الخارج والمتفرع والنابع من بستانه ذي الخيرات والحسن، والسابقة أراضي قد استولوا عليها عنوة من أيدي الفلاحين ببطشهم وقوتهم الغاشمة، ومجد لا يزال يعامل النواردة بقسوة، وهي تلك الشابة ممتلئة الأنوثة متفجرة العواطف، كم تحبه وتتمنى منه كلمة واحدة، بينما لا يظهر من عامَ تَصَرُّفَاتِهَا ومُجْمَلِهَا شيء ينم عن هذا، لكن عينيها تَفْضَحَاتُهَا وتُثَبِّنان عن حُبٍ دَفِينٍ ووجد كبير، السالف يحدث منها ويقرأ في مقتلتيها لكل مدقق ومنتبه، ومجد لا يعاملها سوى بالقسوة لا اللين، ونهجه معها نهج مظلوم يدافع عن مظلومين مضطهدين، سيطرة عظيمة ظالمة من قبلها على أراضي الفلاحين وبيوتهم، هي تحسد من يقطن كوخا ولديه حتى رقعة زراعية غاية في الصغر، لا تترك الناس يهنئون بعيش ولا حياة... فلما يتحول المشهد لتوه بتلك الآلية العجيبة للزمن والمكان، بالرحلة المنفردة ذات المفاجآت، تلك السائرة السابحة الخاطرة الطائرة الغائصة العجيبة، يرى الراوي وهو لا يختفي من صفحاتها ومعه "حكيم الرحلة إيهاب" وهما ينصحان ويشرحان ويزيلان المبهم ويفسران أي موقف، ويحلان كل

معضلة ومشكل، نصائحهما جميلة:- على أن الحياة متشابهة أمرها، مكرر حدثها تحمل
الرتابة بين أحضانها فلا تفارقها، يشق ويبدد رتابتها تحليق لملكة النحل مستمر، بسمه من
قسمات أماني شقيقة عقله الإصبع رقيقة طرية، وانسياب عذب ماء من عسل موج جدول
سلمى ابنة عم حفني وصديقة ناعسة وسندريلا وحسناء الخصال، كما تجلو الحياة أيضا
بتجلي ذلك الأمل حيث يوجد القارب الصغير وهو لا يزال ينبض بالحياة وهو يطفو متحركا
ملينا ومفعما بالأمل حيث لا يزال يطفو فوق نهر الموت ويعج بالكائنات من حوله، فلا
تستطيع تلك الكائنات النيل منه،...نعم...فهو مركب عجيب ثابت متمركز فوق الموج ثقيل
بقيمته.. ومن المتوقع أنه يحوي "فاطمة ذات البساط السحري" في مخبأه السري ذي
المفاجآت:- يا لجمال نظمك وسردك وحلو حديث وعميق سحر كتابك ومخطوطك أيها
الراوي الساحر، والطائر بصحبة ملكة النحل المتوجة على عرش الرحلة المتشكل المتحول،
نعم...ملكة النحل آلة زمان ومكان في إحدى التحولات اللانهائية للرحلة الممتعة دائمة
الانطلاق... فيضحك الراوي مغتبطا مسرورا ويعجب من كلام وهمس عقله الإصبع حيث كان
الأخير يعتلي كتفه ثم يقفز إلى راحته ويده والحمامة البيضاء واللانهائية الألوان كذا تفعل،
والفتيات على مقربة من الحدث تتراقصن وتغنين وتمنن النفس بمزيد من تحقيق الأمل
وانحطاط وزوال الوجل واندثاره، وبزوغ نجم الفجر اللامع الناصع، وتولي الجيوش
المهاجمة عن روضة حفني بحصنها المنيع.....و قد تقدم "ابن النورة والنسر" صوب "
روضة حفني" وهو مدجج بالسلاح وجيوشه المسخرة من قبل "الساحر الشرير" و"ريما
العجوز الساحرة اللئيمة" متأهبة تمام التأهب، لا يشغلها سوى الانقضاض على حصن
المسكين، نعم...فحفني يحصن روضته ذات البئر وجدول سلمى ذي التبر وأنعم الحياة
والآخرة، ومن المعلوم أن القائد العام للجيوش الجرارة المعادية وابن النورة ووالداه
النورة والنسر ورشا المغلوب على أمرها والمسحورة من قبل الساحر الشرير وريما
العجوز الساحرة الداهية.... يعملون لحساب الأخيرين، وها هو يمطر يمطر الفتى الروضة
بوابل من القاذفات النارية، جنوده يحملون السيوف والرماح، كل يمسك بقوس ومسددة
قاذفات وخوذة وجرة يمنطق نفسه تحوي احتياجات الطعام والشراب، وبئر حفني وناعسة لا
يزال يدر الذهب والياقوت والمرجان والشهد من الماء العذب، وعسل النحل، ومدرار الماء
في مضخة مياه -" ظلمة " - "تامر" تدر هي الأخرى اللبن والشهد تارة. والبترول والتبر
تارة أخرى، وبين الفينة والفينة يتم الهجوم على مصادر الخير تلك، وعلى كنوز "النورة
والنسر عزبة عبد الواحد نجعي النورة والنسر"، كل ما يتقدم ويسرد يتم على مقربة من
بحر ونهر يوسف المتحول العجيب، والذي يؤول لمركبة وقارب وجدول ومحيط ومستنقع
وبحيرة وجزيرة أمل وكوخ وعطر وسطر، في النورة والنسر عزبة عبد الواحد حبيبة
القلب وأسرة اللب وأميرة خاطر ومهبط الناظر وروضة الحسن وزهرة الغصن، على أن
الرحالة في كل هذا لا يزال يبحث عن فاطمة بعدما أودعها المخبأ السري بالقارب الصغير
الطافي فوق صفحة نهر الموت، وتلك التماسيح التي تبين وتظهر كجذوع نخيل ساكنة

تداعب صفحة النهر " نهر الموت " بتحريك الرياح لها، والتماسيح تطارده بتمويه هو يقصده للإيقاع بها وإداعها كهف الظلمات ذي الفتحتين المغلقتين على ذاتهما، ذلك بأنه بعد جعل فاطمة تختبئ في مخبأ القارب الصغير السري، قفز تارة أخرى يشق موج نهر الموت لإبعاد التماسيح وعيونهم عن مكان فاطمة ذات البساط، وقد كان له ما تحقق، والجواد الأجر والفارس المثلث لا يتركان أو يتخليان عنه، وكذا صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان، وعبد الرحمن أيضا يساعده وقبطان وسندباد المتجول في تفاصيل الأحداث وصديق عمر الرحالة ورفيق دربه وك رحلة كفاحه ومع بالطبع عبد الرحمن و"وهيدي" و" اللؤلؤ أشرف" و"ضرغام" و"سلطان" و"سليمان" والكثير الكثير، وهو في خضم كل هذا يلتقي "نادية" فراشة الربيع وزهرة الأمل وطير الربا يلتقي "مريم" بسملة الحياة ونور الأمل وبهجة الحسن وإطلالة الجمال، كما يلتقي و"تير" غصن الأمل وقصة الأمس ومليحة القسمات ونسيم البستان وعطره، كما يقابل هالة وفاطمة الضريرة ذات" البساط السحري بساط الريح " وهم له الحلم الجميل والروض والخميل، ذلك كله حين كان يعبر الدرب هنالك في قارعة الطريق، عند "روضة حفني" و"ناعسة" التي طرفها كالسحر يبدو ونقاء الربيع وعذوبة "جدول ممدوح" الممتد والنابع من بستانه الأسر، هذا ولا يزال الحلم الذي يسعى لتحقيقه طي نسيان من كانوا يرونه بعيدا، وها قد حقق الرحالة الحلم الذي يسعى إليه، وهو تلك الرحلة بلا حدود بآلتها الزمانية والمكانية المتحولة المعاشة لكل العصور والجامعة للدنيا والآخرة والبعث والنشور والماضي والحاضر والمستقبل وكل شيء.....، وهو يقول ويتغنى أيضا:- نجعي نواراة والنسر، لا لن تقعان في الأسر، في قلبي السكنى والخطر، بسبيل مثال لا الحصر، وأميرة قصر في الشرفة، يبدو وكأنها من مصر، قد صفت فيه جناحيها، يا روعة هذا من قصر، والنواراة والنسر قد سميّا على اسمي "النواراة والنسر عزبة عبد الواحد" لكنما شتان الفرق بين تلك التسمية المتشابهة في حروفها، المختلفة تمام الاختلاف في قيمتها وسمتها، ف"النواراة والنسر" وهي ذاتها "عزبة عبد الواحد"، أهلها طيبون وهي تشمل الفضاء الكوني وما أبعد اتساعا، حيث تتمدد وتتسع وتجاور الأزمان والأمكنة وتلحق بها، بل تعاصرها، تحضر كل حدث بروحها...بكينونتها...بجمالها... وبطبيعتها... نعم... هو يشدو بتلك الكلمات ويخلق في الفضاء العريض، وإذ بالجان يدفعه دفعا، والحقول تشتعل وتذب بها الضرام لتكتنفها بوابل من اللعنات وتصب عليها صارم ومهلك العذاب، وأسود تظهر وحيوانات مفترسة تكاد تأت عليه، فيطير ويخلق وهو معذب بين محاولة الطيران وواقع السقوط المرير، يدفع جسده إلى الأعلى ليفقز طائرا مبتعدا عن مصدر الخطر، هنالك عند المصرف الشرقي والجدول العذب المار " بعزبة عبد الواحد النواراة والنسر " عند المنعطف القبلي المار بحقل الشاب " داخلي " حلو الصوت قارئ القرآن، وصاحب النبض الرائع في الأذان والدعوة للصلاة، أسود ونمور وجان وحيوانات مفترسة لا نهاية لأعداده تحاول جهدها إسقاطه، يكاد يتمزق الرحالة إربا، وليت التمزق بالغه ليرتاح من هذه المعاناة، لا تزال الجموع تطارده، قوى

الجان تحكم وتضيق الخناق عليه، على أنه في جانب آخر يظهر الفتیان في تقلب عجيب للرحلة بلا حدود بآلتها الزمنية والمكانية " الزمكانية "، يتقلبان في حقل القمح وبقية الزروع، لا يريدان السفر ولا الرحيل عن "عزة عبد الواحد النورة والنسر"،...الله أكبر...ها هي تحلق معنا فلا تتركنا...فاه بذلك "حسين" وهو يحتضن أخاه "علاء"، والجان لا يزال يحكم قبضته على "الرحالة"، والفارس المثلث يخرج من بحيرة التماسيح بعدما أنك الوحوش المتراسة بها، تلك التي تشبه جذوع وأعجاز النخيل، ويتجه الأخير صوب حسين وعلاء والرحالة، ويحاول إنقاذ الأخير بشتى الطرق، فتهمج للتو كائنات فضائية عملاقة، تبدد الضوء وتبعثره ليحل محله خيالهم المرعب وظلمهم الغير ظليل وأجنتهم السوداء الحالكة المكتسية بلون الألم لا الأمل، فتعود الرحلة لإيهاب تارة أخرى، وهي بالأحرى لم تتركه، وهو لم ينفصل عنها، فجزئياتها تحمله وغيره، وهو في الرياض يظهر والراوي يحكي ويصف في ذات أوان مشاركته لنا، ويستمتع لشدو شاعر الرحلة وأديبها... " شريف الشاعر الماهر " حيث يقول الأخير:- ولقد تجلى في الرياض إيهاب ومعه تجلوا بالمنى الأحباب بدر يداعب صفحة للنيل ولا يبدو بين جموعنا الأغراب تالله إنه مثل نهر النيل فلا يقال أحبة قد غابوا جمع الأحبة كلهم في الوادي فلا يطل إذا أتوه سراب في شاطئيه جميل كل عهود وطوع أمره لو بدا الإعراب إيهاب حلم مليحة قد بانث والآن تدنو وفي الربا تنساب وكمثل زهرة واحة تأتينا طبع المودة زهرة غلاب ظننا يوصد فلا نمر خلال ساح لديه وأن عليه عتاب الآن يفتح ومنه تبدو حقول نبت بهي والخير ذاك الباب. ثم تابع شاعر الرحلة " شريف الشاعر " مزيلا كلماته وغير مزيلها، هامسا وواصفا حكيم الرحلة وزهرها وفارس الحرب العوان ومغوارها البطل...." ما كنت لأنتهي أبدا من وصفك صديقي الحبيب " إيهاب. فسر من كلماته وإشاداته به وحسن جواره وتابع الحديث الذي لا ينتهي بين الرفاق حيث يقول إيهاب حكيم الرحلة:- أنت حلم جميل وبصيص ضوء وأمل يا " شريف " في صحبتك تحوم وتحلق كل الأماني الجميلة... فبادله شريف الكلمات الجميلات وقال وهو يعبر شاطئ الخلاص صوب صفحة نهر الحلم الجميل:- انظر...ها نحن أولاء على مشارف جزيرة الأمل إيهاب الجميل. وتابع مردفا مستطردا.... يتحول نهر النيل لكل الصور، ألا ترى، إنه حديقة وظلة وسفينة مقلّة، وهو محيط وجدول، وهو الحلم الأول. فتبسم إيهاب وهلت تباشير الصباح تحييه والرحلة، ثم دنت جزيرة الأمل، فلا يعلم أهي التي اقتربت أم نحن؟! هي التي أطلت أم أفنانها البهية وزهورها الندية،.... " ما هذه الكائنات العجيبة التي تسكنها؟! " عبارة نطق بها صبري الطيار الطائر وهو يقود الآلية العجيبة في زمن لا يعلم في أي عهد هو، ربما عهد الأمل وتحقيق الحلم... "نعم يا رحالة، أظن أنه هو "..فاه بالعبارة السابقة ونطق شريف وهو يصطحب صديقه إيهاب صوب السدرة دائمة الإثمار والشجرة الأخرى الطارحة لكل أنواع الخضر والفواكه، هنالك في يورة الرحلة وقلبها النابض "عزة عبد الواحد النورة والنسر " حبيبة العمر ومنبت الزهر، أسرة القلب وأميرة الدهر، عنقود الأمل ودرة الزمان، صفو الحلم واحة البستان، جزيرة الأمل ومزيلة الوجع،

حسنا الدنيا وأميرتي أنا.... فتعجبت رشا المغلوب عبي أمرها، فتاة الحقل ودرته المكنونة، المتحولة لشتى الصور والهيئات، يتحكم بها الساحر الشرير وتقود حركاتها وسكناتها الساحرة العجوز اللئيمة ريماء، والأخيرة تلك تتحول إلى شابة حسناء فائقة الجمال، تعود لعهدا الأول من البريق الأخاذ والضوء الخاطف الأسر، للتو يصيب العجب والذهول إيهاب وشريف وسندباد والعالم الجليل والفارس المثلث والهدد والحوت وقبطان والطيور والحيوانات والكائنات الفضائية و....و....في ذهول الجميع، يحارون ويتحيرون من كنه هذه الرحلة، غير مفهوم أمرها، من أين أتت، ولم هي ممتعة تحفها الأخطار ويضمها الأمان وتشملها السكينة؟! هي طير قد اهتدى لعشه، ورضيع وجد أمه فارتمى في أحضانها، وهي ضال مسافر بلغ منه الظمأ حد الموت، فإذ بواحة خضراء وجدول ماء وفواكه وخضر ونهر وكوثر قد تجلوا وباتوا ما بانوا، والجميع ما عانوا، هي شمس وقمر ومغرب وسحر وسحر منتشر وعطر منتشر، بريق أضواء فمستحسن ضوءه وعجيب أمره، وهنا تتحول آلة الزمان والمكان في الرحلة بلا حدود وتواصل تحولاتها لهيئات وصور يعجز العقل البشري عن تفسير ماهيتها، حتى تجلى يشق ظلام الليل فيبدد عتمته وينثرها نورا وأملا من فيض ضياء وجهه المنير... ذلك الشاب إيهاب حسن الطلعة مليح القسمات حلوها، لين الحديث والقلب والكلم، والذي انزوى في الدرب الوعر عند " نخل الصعل " ذي الجان، والمركبة الفضائية تبعث على أمل وفيض بريق مقبل، يقودها القائد المحنك "صبري الطيار الطائر".... عمت صباحا أخي إيهاب ". قالها صبري وهو يهبط بألة الزمان والمكان والتي تمثلت بهيئتها المركبة العجيبة.... - " عمت صباحا أيها القائد المحنك والماهر المدرب ".... فتبسم صبري وفي ابتسامته جل معاني الجمال والطيبة، حيث كشف عن صفين من اللؤلؤ زينه بهما رب العالمين وحباه، وضحك فكأنما تشدو الطيور في يوم ربيعي ذي نسيم وأمل....- كل ذلك لي أيها الموهوب "الحكيم إيهاب"؟!...حكيم الرحلة وفيلسوف أفكارها وأمير دربها. فتبسم بدوره إيهاب ليكشف عن مزهرية عطر وواحة حسن وروضة ياسمين نبعها قلبه الطاهر ومبسمه الضحك وصفحة وجهه المشرقة المضيئة بنور الله، فجل في عليائه رسم تفاصيلها النقية المتراسة كحلم بديع في ليلة قمرية يطل فيها البدر فيعانق ضوءه نهر السعادة و" غدير سلمى " و" روضة حفني"، وتظهر منه قسمات منسقة بهية تشبه قلبه الطاهر النقي.... وتزينت العروس له وهي تقف إلى جوار "فتاة الحقل ونخل الصعل" " رشا " آية الرحلة ورونقها البهي، وكان إيهاب يدل الكائنات والناس على الدرب الصحيح مع صديقه "أبي عوف"، ويعلمهم أن الحياة لا تستحق سوى من يقدرها، ويبذل جهده في عبادة الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو يدعو الجميع لسلام وونام وحب المرء لأخيه وتفضيله وإيثاره على نفسه، فابتسمت العروس الأخرى "جيهان" واطمئن قلبها لحرفه وحكمه ونصائحه وسكن خاطرها لمليح عزفه المنفرد على وتر جناح الأمل، فقلب يقر وينعم وعقلها يتدبر ويفهم، ثم في نفس المشهد ها هي لتوها مركبة فضائية تشق الحجب وتشعل اللهب، تحارب من يعاديها، رحلة...الله هاديها، وفي الفضاء الكوني العجائب،

كانت فضائية تهاجمنا، وجان تمثل بالشهب والمادة المظلمة، بل هو المادة المظلمة
والثقوب الفضائية الكونية السوداء، بقوى جذب رهيبية ومرعبة يسحب ويجر ويجذب
المركبة العجيبة والتي آلت إليها الرحلة، العالم الجليل يحاول إنفاذ الموقف، لكن قوى
السحب تتزايد بدنو المركبة من مركز الثقب الجاذب، طوفان من السحب المستمر، قوة
مغناطيسية جاوزت كل الحدود في جبروتها، " النورة والنسر عزبة عبد الواحد " ضمن
مواقع السحب، هنا يدير "صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان "...يدير اللوحة
بطريقة احترافية، ويضغط زرا أشار له العالم الجليل بالضغط عليه، زر هو المسؤول عن
عمليات الطرد المركزي المعاكسة والمضادة لقوى السحب الجبارة صوب الهوة المتقدمة في
مركز الكون عند الثقب الأسود الأعظم، "راو" يقص وروايات تنص، وشمس تشرق وأفنان
تعشق، وملتقى وأنين، وتطل البساتين، و"شريف الشاعر" أتى، لا يعلم أين ومتى،
و"صفية" كالنيل الصافي، ويتزين الحبيب بالأوصاف، و"الهوة المتقدمة" تشعل،
و"الحسنة" لا يشغلها شاغل، وهذا علي يعيب، وما لي بالحياة نصيب، لكنه بالحمد يتجمل،
ويطيب العيش وأتخيل، أني بالجنة قاطن، تضميني المواطن، ما انتهى "حسن" من حديثه،
يصف " شريف "و غيره، و" شريف" يلقي من شعره، أمير صال وخطر، فجال ها هنا
ونظر، و"حسن" يبدع ويقول، في وصفه ويطل الغول، يتأهب في "النخل الكومي"،
و"حسن" الفتى العصامي، مع " ضرغام" و"معتز"، والحدث الجميل مكتظ، والقلب من
غرام سكن، شغافه فرح ويهتز، وقد بدت الشادية، بمفاجآت مدوية، والبلبل يغني أغنية،
وتظهر الفتاة مريم، كالربيع يتناغم، وحسن بها مغرم، شاب فلا يهرم، وصفها وشريف
معجب، لحسن قوله يتعجب، في الرحلة شاعر غيري، قالها وتبسم خيري، وفي بحر يوسف
يعوم، عوني وسباحته تدوم، فتاة القصر تحذره، ومن يكتشف عدوا يحذره، استطرد حسن
وأكمل:- شريف اقبل فالدنا أهوال عجب وليل وملتقى وجمال سهر ونوم ومنتهى وذهل
وحال يكون بل إنها أحوال سمعت شعرك حين كنت أصول وهل تكفي قولك هذه الأموال
حسناء روض بالمنى تلقاك ولكم تذلل بنظرة أهوال من مقلتيك بذات ليل فلاة فعن البعير
تخفف الأحمال رشا عروس نخل صعل جاء في ناظريها أطلت الآمال والقطن تجمع بعد طول
عناء تبر الجميلة وكل الأماني تطل شريف هيا لقد عبرنا النار من دون لهب يمسننا وظلال
وحمادة يعدو بعدما الثعبان يؤتية لدغة من مضى يختال وليكفي سلمى ما الزمان أتانا أما
الأتان فجارها الخيال والجحش يمضي دون خطوبان ويسوق كامل خطوها وكمال أبو
العقيص أتيت في البستان وتحوي أثرك مساكن وتلال فشكره وأثنى عليه هو وشعراء
الرحلة ومؤلفيها، فلما انزوى إلى جانب الطريق عند تلك السدرة المورقة بجانب الشجرة
الطارحة لكل أنواع الفواكه والخضر مستمرة الربيع حسنة الصنيع، هام في خياله وأطلق له
العنان، وقد ارتسم بمخيلته طيف حبيبته، ذلك هو الشاعر شريف شاعر الرحلة وأميرها،
وهو بها الأمل الذي هل والبديع الذي أطل والعذوبة حين يكون منبعها نهر النيل الصافي
وجداول سلمى المدرار، وهو كذا القمر الذي ارتسم لتحلو به الأيام وتترين، والبدر الذي

اكتمل كي يراه من يبصر الحسن في صورة حسية ومعنوية، مع الراوي لتوه وسندباد وقبطان والرحالة وخميس الملك الغضنفر و"صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان"، وبرفقة رفاق الرحلة والصحبة الأول لدى روضة حفني حيث ناعسة يطاردها أخوها ابن النوارة والنسر، ولا يزال الأخير يحارب حفني ويطاوله ويحاول التضيق عليه هو ووالده النسر ووالدته النوارة الجبارة، ويبين ويظهر ويتجلى الراوي حيث يصف ما يراه قي ذات الوقت الذي يشارك فيه الرحلة حركاتها وسكناتها، ويحضر كل حدث لها، بل ويحياء وينبض قلبه ويدب بمجريات الأمور وحقائق الكون وعالم القبور والنشور والآخرة والأولى والجنة والنار والكوثر والكثير المتصل بتلك الرحلة المتعمقة في أسرار الكون ومفاجآت الدنيا والآخرة، والرحالة روح الرحلة يعجب مما يراه، لا تشغله الدنيا ولا يعباؤها، لكنها جميلة وهي ترافق تلك الرحلة الأخاذة الأسيرة. كان تستمع وتسمع همساته "حسنا الخصال" وهي بصحبة "سلمى" عند جدولها ذي التبر، و"تبر" المغامرة البطلة كذا تطل على نيل أسمر هي دره وياقوته، تجمع القطن واللوز عند الإقطاعي الجبار كي تكتسب قوت يومها وأمر معيشتها، وهو يهوي عليها وعلى الرفاق ضربا وسبا بالسوط والعصا وسي اللفظ والقول، فتثور ثائرتهم جميعا، و"أنور" لا يستطيع جمع الذهب الأبيض لصغر سنه، ولكنه يثور بدوره قائلا:- أين الرحمة أيها الماكر الجبار؟! فيصده ويصفعه رئيس العمال "الخولي"، ويتحين له الفرصة ويمكر به المفتش كي يجد خلفه في خط الزرع والنبت لطعة ليتهايمه بالإهمال، الحدث يتحول فجأة، فتارة نجم القطن وتارة أخرى ننقي وننتزع اللطعة من أوراقه في طور النمو الأول حيث يقول ماهر الجميل الشعر في النبات الأصيل والصبيا يغردن والصبية يطرب كل منهم لما يستمع وينصت إليه للتو:- الذهب الأبيض القطن ويكاد يتراقص الغصن من فرط أن الذهب يطل منه الحسن... وغرد طير روض في الأياك يغني في اتحاد لا انقسام أسير وليس حولي من أراه من الفوج المسافر في ازدحام وإني قد رأيت بأمر عيني جوار الغافلين من النيام كنوز الراقدين من الغفاة وطيف العاشقين لدى الهيام نقب والآمال على دروب ونحلم بالأمانى والمرام نذير الغاب يزأر في ركابي يلوح عن يساري بالضرام ونابه كالمنايا بيوم طعن وشدقه كالشطايا من ضرام وويلات تطل بناظرين كغيمات السواد لدى الغمام أزود عن الأحبة بالنفيس فأنعم بالأشقة من كرام وفي سحر الليالي السندريلا حديثها كم تناغم بانسجام وشهر الضيم زاد وشهر زاد وملك للزمان على الدوام ومرجان المكلف بالمنايا ككابوس المعاني في المنام وقاموس المعاني فيه شرح ونسل الخيرين من الكرام وأرجف دون سبب يعتريني فلا خطوي تقدم للأمام أزلزل من كيائي أنا جبان وخوفي صار يعدو بالمسام وإني قد خلعت جليل خوف فما دق الحديد ربي عظام وعشت العمر أطعم من حلال لأني لست أهل من حرام أخلق مثل طير في السماء فإني في سبيل الحق رام سهاما للمنية في اتجاه ظلوم قد تجبر إني حام وإني في المناورة الهمام وإني في البراعة كالمحام وفي حكم الشجاعة ليث غاب أنال من المراسم والوسام وتنين المغارة لي تراعى يقلبها الفريسة في التهام وظن بأني أهرب من لقاء فتم صراع حرب

واصطدام ملكته في يميني واعتصرت كيانه في معامع ذي الصدام وهول حتى عني قد تناعى وقال كفاك يا ابن ذوي الكرام وأصبح لي صديقا بعد هذا وظلي حتى يتبع في المنام وتتحول الرحلة العجيبة وتتشكل، وحفني بروضته وفيها الجدول، وسلمى هنالك ابنة عمه، ويمر ها هنا ذاك المحمل، وسعد بغيطة ما كل أبدا، وما مل سعيه...و يعمل: قد لحق بالركب سعد له الركب هو الوعد وأطل إذ جلس معنا لانضمام سعد الورد. وقد أطلت عليه وعلى الرحلة "أميرة القصر " من شرفتها المرصعة بشتى أنواع الحلي من ذهب وياقوت ومرجان وزبرجد و...و...، والأمير المسحور قد ترك به السحر أثرا بالغاً فجعله جامدا لا يتحرك، حين كان فوق غصن رطيب من الشجرة دائمة الإثمار والطارحة لكل أنواع الفواكه والخضروات، الناطقة المتحدثة الطائرة، حاول الأمير جهده أن يلوح لها وللفتى سعد وللجميع ويشير، بيد أن السحر يكبله، تراه هي صامتا في الهيئة الظاهرة، لكنما تلمس في قسماته المظلة ومكنونه الداخلي أنه يريد البوح لها بستر نفسه وخفي ذاته، والرحالة بجواره يجلس والنمور والمتسلقات والوحوش والنسور تلتفه بطوق من نار، وعبد الرحمن لا يزال يراوغ الكائنات العجيبة أسفل ذات الشجرة الطائرة المحلقة، وقد طفق يخصف على جسده من أوراق الشجرة دائمة الإثمار والبوح، وملكة النحل الحاضرة كل حدث لا تفارق الراوي ولا الكائنات، هي تروي معه الحكاية الممتدة لأبعد الحدود وأبعد وأكثر، تجوب البستان وروض الأمل وتمتص والمجموعات المرافقة لها رحيق الأزهار، تنتج العسل والشهد فيأكل ويشرب الجميع، والكائنات سعيدة هنيئة، وفجأة وفي إحدى تقلباتها وتحولاتها السرمدية الأبدية، تتحدث آلة الزمان والمكان وتجاوز الأمير المسحور وفتاة القصر والشرفة المتألنة، ورشا عروس نخل الصعل فاتنة الجمال فانفتحت لا تزال منقادا تحت سيطرة وقوة الساحر الشرير والقائد الجبار واللنيمة ريما والسحرة على مر التاريخ، ويعبر المارون والمشاة فننال منهم قبضتها وتتعمق في كيانهم أظافرها ومخالبها، وهي للتو تتحول إلى تنين بروفوس عدة لنمر وأسد وضبع وتمساح، جسد ذلك التنين مثل جسد التمساح وذنبه كذنب الأفعى بالغة الخطورة، وتكثر رؤوسها وتمتد في رعب ووحشية، تبتلع كل ما ومن تواجهه، وعيون الجان تبرق وتحدث رعدا، ما هذا العجب العجيب؟!، أيعقل أن العيون تصدر أصوات رعب وزلزلة؟! يسأل نفسه الرحالة بصوت جهير والكائنات تستمع له، ذلك حين دنت الرحلة من كهف المنية المظلم وقصر الجان المرعب أسفل نهر الموت والذي من أعماقه تشعل الهوة المتقدة مخالفة طبيعة المياه كونها تطفئ الشرر واللهب والنيران، هوة متقدة ظهرت في مساحات الغابة مترامية الأطراف على مشارف "عزبة عبد الواحد النواره والنسر"، حيث تحلق رقعة الأخيرة تلك وكأنها طائر عملاق يحجب الرؤية عن البسيطة والفضاء الكوني، وفي منطقة زمنية ومكانية لا يعلم وقتها ولا زمانها، جلس جبار الأرض على عرشه الناري وهو يأمر جحافلهم وجيوشه بزحف وغزو كوني، واستيلاء مخطط له على كل المقدرات والثروات، ظلت البلدة الجميلة تحلق بسكانها وأرضها ومتاعها وأثاثها، وبحر يوسف كذا بصفته جزء لا يتجزأ عنها، فيما تحار النواره ويصيبها الذهول،

وها هو النسر الجبار كذا قد أغشي عليه، يموج في تيه عقلي واضطراب نفسي، ويقول في
قريرة نفسه:- طغيت كثيرا يا نسر الضيم ومهبط الظلم، وما كانت الحياة لتحلو لولا أنك
ظهرت بها. فأعجبت الملكة أيما عجب من قوله، وأطلقت لجناحيها العنان، فهما الآن
يداعبان نسائم الربيع البهيج، وهي المزغردة الشادية أن الفتى حفني هو من قال لها هذا،
وناعسة الطرف مليحة اللمي تبتسم، فكم تحب ملكة النحل، فتلك الأخيرة متوجة على عرش
الرحلة الطائر، والملازمة لبساط فاطمة المتمدد هائل الاتساع... - كل هذا لي يا صاحب
الروضة الفيحاء والبر ذى التبر؟! تبسم بدوره الفتى وكان قد جلس إلى جوار فاطمة
الضريرة يمتدحها أيضا ويصف لها مشاهد الرحلة، والأخيرة تحس بها وتراها بشغاف القلب
وعينه الصادقة، نعم.. فلقلب عين مبصرة لا تكذب أبدا، وكان نخل نمر يعج بصنوف وألوان
من الأخطار وجماعات من الوحوش الضارية، حيث الليل ها هو يسدل أستار ظلامه على
العالمين، ومعمل الأفعى على الدرب الوعر وفي ساحته يخيف ويرعب كل مار، ومجموعات
التنين تهاجم الفرائس، وهذا التنين القائد كما ترون يحاول الإمساك بالريم الصغير. ففزعت
سندريلا، وما الريم إلا الحسن يا ريم وأنت الحسن في الأيام والميم حرف أخير في الأشواق
ناداني وهو النسيم في الدنيا وتسليم إنني أحبك منذ الوهلة الأولى وطن يودك والمشتاق
وظليم. وكلما شدت سندريلا ونظمت، تبسمت الفتاة ريم، فبسمتها كما ترون السحر، وحبها
ولو ما خلقتها قدر، وإنني برغم شقوتي راض، ولو ينزل على قلبي هنا المطر، فريم غيث
أحلام يلوذ بنا، وفي عينيها شوق الدنيا والسهر، وربما أنت يا أنا من تتكلم، وربما هو، وفي
الأخير هو صوت الأمل هل وحل، ونسيم الربيع أتى وأطل، تصفق الكائنات لذاك التناغم
وترقص، وكل يخاطب حبيبته ويهمس، ثم أن ملكة النحل الرائعة ملازمة لكل حدث وموجودة
به تزينه بجناحيها المتحولين وبريقها الأخاذ، حكيمة عاقلة وقائدة محنكة، يلازمها فلا يغيب
عنها" قائد آلة الزمان والمكان صبري الطيار الطائر"، والجميع يحلق للتو وقد غدت هي
عملاقة بلا حدود، حولها الطيور والأنعام والأجام والديناصورات، الهدهد إلى جانبها كذا
يطير ومعه أبو قردان وأبو فصادة والبطريق، يبحثون عن العشب النادر وهي معهم،
ومشهد الرحلة يجوب العصر، على أن ناعسة الطرف هيفاء القوام عروس الأحلام كانت
ترنو إلى حفني فلا ترى في الوجود إله، مرسلة إليه ناظر الود وعبق الورد، وكان هو كلما
رأها أحس بالحياة تقبل عليه ونعيمها يتمثل بين يديه، ولما لا وهي النعيم، وهو في النعيم
ذاك مقيم، حيث كان وهي ينظران إلى بحر يوسف من روضتهما ذات الظلال، فوجدا الفتى
عوني يعوم ويسبح فوق الموج وخلالله، يحاول انتشار الشال وعباءة "العجوز الساحرة"،
فيما تبدو هي واقفة على الشاطئ وبيدها جوهرة تشبه البيضة، نارية يتأجج ويشتعل لهيبها
فلا يخفت، والوجود من حول الجميع ساكن ويصمت، فقال حفني في اندفاع وشفقة:- حذار
عوني، هذه هي "الجنية الساحرة"، تبغي سحرك وجعلك طائعا لها ممثلا لأمرها، تود
جعلك من معاونيها في البر والبحر. فالتفت "عوني" لمصدر الصوت فرآه ومعه "ناعسة"،
تكرر نفس كلمات "حفني" وتوجهها للطيب "عوني"، ففهم الأمر وفطن للحيلة وأدركها

وغاص في قاع بحر يوسف وخلفه المواشي والبهائم تفعل مثلما يفعل، يتنفسون أسفل الماء ويفرون صوب نهر الموت المتفرع من "بحر يوسف"، والعجوز تكاد تجن، حتى تقدم إليها "حفني" واستل حسامه منتزعا إياه من غمده، وكاد يرسل رمحها بواسطة "القوس المحارب". فصرخت "ناعسة" وهي تقول في فرع:- لا تفعل "حفني"، إنها "أم الرحلة" قد سيطر عليها كل من "الساحر الشرير" والماكرة "ريمة" ومجموعات السحرة التابعين لهما. تعجب وترك الرمح وأرخی انطلاقة وأوقفها متعجبا مذهولا. ثم تابع واستطرد قائلا في عجب ألم به وارتسم في قسماته وفوق ملامحه:- كيف عرفت هذا "ناعسة"؟! فقالت والثقة تملؤها، فلتدقق النظر، فأسفل الملامح الغليظة الحادة تلك تقبع قسمات والدتك، ثم إن صوتها لم يتغير وهي تنادي علينا:- أنا لست شريرة، أنا منكم وأخضكم، ألا تعرفونني؟! - نعم يا ناعسة قد سمعتها وشككت بالأمر، لكن ليس لدى حاسة دقيقة وقلب ينبض كقلبك. انطلق "حفني" صوب "أم الرحلة" وحاول إنقاذها، لكنها لم تنجو من سحر "الساحر الشرير" و"ريما العجوز اللئيمة"، وقد قذفت "حفني" بالجوهرة البيضاوية فتحول إلى جان في الحال وقفز ليرتطم بمياه "نهر الموت" "بحر يوسف":- وكأن الهموم طائر حزن حط عليه يثقل كاهله، والأيام تطارده:- كيف وهو "الرحالة"، العنصر الرئيس والقائد في آلة زمان ومكان تشق الدروب لتعبرها متجاوزة كل صعب ومعرق؟! لكنه يا "سندريلا" يلتقي الصعاب ومعه الكائنات والرفاق:- وأنت يا عبد الرحمن أجذك دوما مقربا منه، صديقه الصدوق، لا تفارقه، تخاف عليه من النسومات والأفات:- نعم، فهو رفيق حياتي سندريلا، والأمل الذي أحيا به من بعد الله تعالى. كانت "آلة الزمان والمكان الآلة الزمكانية" قد تحولت إلى تلك العزبة الجميلة وآلت إليها، "عزبة عبد الواحد النورة والنسر"، أمل الحياة وكوكبها الدري، وبساطها السحري الذي تستقله فاطمة ذات البساط، قيثارة الزمن والأيام، وأميرة اليقظة والنام، وهمس القلب والأحلام، وقد انعطفت الرحلة يسارا بعض الشيء بعدما مرت ببیت عرابي وروضة ضرغام وحقل معتز، وهي في انعطافها ذاك تتجه صوب النخل الصغير حيث الضباع والنمور والأسود، والحيوانات المفترسة بالقرب من جدول الأمل النابع من بستان ممدوح، ومغارة ممدود، وللتو تبين النخلة الخرساء وقد سكنها الجان واستوطن جذعها وسعفها، فلما صعد إسماعيل إلى قمته وجد الأفعى الجنية ذات الجوهرة تقذف بها فتضيء الدرب لتسير على الضوء المتوهج، هنا فرح إسماعيل بالجوهرة والتقطها فهجمت عليه ونفثت سمها به بعد لدغها، أسرع الفارس المثلث فصعد والتقط الجوهرة من إسماعيل وأعطاهم لها، فهذأت الحية، ثم شرع يسحب ويشفط السم من مكان الألم، ففاق إسماعيل بعض الشيء، كانت "النورة والنسر" وهي عزبة عبد الواحد "المظلة على بحر يوسف" قد تحولت لطائر عملاق طيب ماهر في السباحة الجوية، شرع يحلق فتركب على جناحيه العملاقين كل الكائنات، وكان الهدد ومجموعته الطبية المسعفة كذا فوق أجنحة طائر اللقلق أبي العنز، فأعطى الهدد إسماعيل ذلك العشب الطبي النادر، مضغ الأخير العشب فاستفاق وشفى بأمر الله تعالى ثم يبين في تحول من تحولات الرحلة بلا

حدود والمتمثلة بها آلة الزمن والمكان عقلة الإصبع فيقول وهو يتجول في عزبة عبد الواحد النوارة والنسر أبعادية سيف الدين بؤرة الرحلة وفننها الطراح كل خير وغصنها الرطيب وروضها الحبيب، حيث يلتقي الشاب محمود عند القرن البلدي المواجه لمصرف الأمل وغدير السعادة وناحية روضة حفني ومنطقة الأربعة عشر فدانا، ويكمل وقد التقى أبا العقيص والجحش الصغير والحمار أبا الجحش والحمارة الأتان أم الأخير، ومعه أمانى وأسامة الذي يجلس تحت ظلال الشجرة وارفة الخير والطرح والظلال والآمال، وعوني لا يزال يساعد العجوز ممسكة العصا والحجر والبيضة على شاطئ بحر يوسف الجميل الخميل ولا يدري بمكرها ويسقي مواشيه وبهائمه ودوابة في غفلة من الحدث والمكر السيئ، ونية الخير لديه ذلك المبتسم منجاة ونجاه وسند من الله وعون ومدد، لن يطاله ضرر بعون الله، يشفق عليه عقلة الإصبع الخاطر والمار في منطقة العزبتين الجميلتين والبلدان المجاورة وقد تحولت رقعتها لآلة زمان ومكان محلقة مدورة منورة ساطعة لامعة، يقول عقلة وهو يصف الرحالة ويثني عليه:- حرف لا مثيل له، وإبداع جاوز كل حد، وطاول كل جميل، ربما العصافير والربيع والبهجة والأمل والطبيعة والنيل واليم وجمال الحياة، عوامل تبعث على أمل وتولي وجل وذهاب ألم وحزن وإقبال فرح متصل. فلما رأى مقتلتيها ويلي عينيها، وهي تطل والطرف مكحل، وربيع الدنيا ربيع أمثل، رنا فأطال ناظرا إليها، وبسمة الحياة في مقتلتيها، أمير نبيل وفارس مقدم، وكفاه منها ثغرها البسام، لم يشعر إلا والشعر تجلى، من ذائقة قلبه والكون تحلى، وهو يقول وينشد الآن، ويهدي ألقانه البستان:- أسدل شعرها وتجلت ولاء تالله لكان ولاء أنواع تعلمين الرحالة؟! قالت:- لا. فارسة مقدمة دعجاء وكأن بها البدر تمثل وسقى الأرض من عذبها الماء ربيع أطل في مقتلتيها وهي ذات الرداء والحسنة فلما التقاه " كامل الفتى الخجول " وظهر بصفحة الحدث " سيد " الأكثر خجلا، ساروا جميعا عبر شاطئ بحر يوسف، فعبروا المنعطف هنالك عند الشجرة المتنوعة الثمار ودائمة الخير، ربيعية المنظر، فالتقوا حفني عند روضته، واعترض دربهم ومهد طريقهم " الشاب الضال " ابن " النوارة والنسر عزبة عبد الواحد "، حبيبة القلب ودرته ومصون نفسه وقينارته، حلم حياته ودبيب سعده وسبيل سيره واتجاهه، مشرقة منورة، ضاحكة أسرة، يهيم بها وبه تهيم، بها رمضان وعبد النعيم، وشعبان ويوسف والكوثر، وأمل بها تسير تخطر، وعن الابن الضال فيسكن نفسه شعور بالذنب يؤرق عليه نفسه ويلون معيشته بلون الألم لا الأمل ويخضبها بمذاق المر والحنظل، غير راض هو عما يفعل، بيد أن قوى الجان والشيطان تؤثر عليه وتترك بنفسه وقريرة ذاتها بالغ الأثر، وفي ذات الحين تجلى الفتى " خضراوي " مثل أمل مقبل قد سرى بالأعطاف، وشمس تنير حياة الآملين، ضاحك مستبشر حد الدهشة، يرسل كرتة العرضية فيستلمها عبد الرحمن، وعن مهارة الأخير فحدث ولا حرج، مبدع وقلم يصور القلم والفكر بعض مهاراته المتنوعة، يبعث بالكرة إلى أحمد صاحب الموهبة الفذة، فريق أحلام غالب وغلب الجميع، لا من فريق قد يوجد في الفضاء الكوني ولا على وجه البسيطة ولا أبعد ولا أقرب يستطيع مجازاة فريق الأحلام،

تفوق على نفسه والجميع، نعم. والآن يقول عزوز الشاب بهي الطلعة وهو يحمل جوال ووعاء الرمال في البنية السكنية لا نهائية الطوابق:-و عن الفتى اللاعب صاحب الخبرات خضراوي فقد انضم إلينا يزين جمعنا، نحن في ساحة الملعب وفي ذات الآن في البنية العجيبة الممتلئة بالجان والثعابين والوحوش، غابة الموت تزحف صوبنا، ولا نعلم في لأي زمن نحن، كل ما نعرفه أننا في عهود سحيقة وأزمنة متواصل حدثها مستمر نابض قلبها. يضحك عامر وهو شاب يافع بالغ الطول ضحوك جميل، خفيف الظل مستسهل الأمور مفكر، والرحلة بآلتها الزمنية والمكانية تشق حجب المستقبل وتسعى سعي الأمل، تسير في نخل الكومي وتطير، وسندريلا يتطاير شعرها الحرير، أسرة والقلب تملك، وما سواها هالك. نطق بما سبق عامر، وقلبه بالإيمان عامر، وبحر يوسف بسمه، موجه الأرض عامر، فيما تتقلب آلة الزمان فلا تثبت، فيها جميل الفكر والفكر المشتت، حلم داعب نفس الغافي وصاحب السنة، والمتعمق في نومه وتمر سنة، تليها سنة والعمر يكر، فلا من موت ولو زحفنا يا بني مفر، وعن " الآلة الزمكانية آلة الزمان والمكان " التابعة للرحلة بلا حدود، بل قل مكونها الرئيسي وواسطة عقدها ونبت أرضها فهي للتو حيث الابن الضال يمتطي جواد أبيه الظالم، يعيث وإياه في طغيان فاجر، ونهج كافر، ظلم وضيم وسيطرة وغطرسة وتحامل على الخلق، اتحد الرفاق ضدهم ودارت رحى معركة انضم إليها سندباد وعقلة الإصبع والرحالة وقبطان ربان السفينة وقائد كتيبة الإعدام، كما انضم: كبسمة هاني لم أر، بقلبي حبه قد سرى، كاني به برحلتنا، نقله تلك منورة، نواره نسر هو منها، وزمان العزبة صوره، من عبد الواحد هو أصلا، وقطعت لأجله تذكرة، في عقلي يبقى والروح، وسلمى بيدها الإسورة، وعن ذات بساط من يبحث، معه الرحالة والورى. يتألق الراوي والمشهد يحدث، يحضره وعنه يتحدث، عند روضة حفني قد مر، وهو من يتكلم ويهمس، وناعسة هنالك طرفها، بعسل وشهد مغمس، وعلى هذا فهو يقول لتوه والجميع يرى ويستمتع:- مدار ماؤها نير، رافعة الماء معطر، فله صاحبها جنة، رونقها بالفعل نادر، وله ساقية تامر، بها الأمل عامر، عندها الرحالة ظاهر، وسيف يمينه مشهر، وسندباد لو طغى مجرم، على طغيانه ثائر. من فرط جمال ما يتفوه به، وما يبعث به فكره من أمل، لا يملك ضرغام هادئ الطباع، جميل النفس بهي الطلعة سوى أن يهتف متأثرا برقي ما يسمع ومتعة ما يرى، في رحلة هو بها والورى، الجمال فيها نعمة، وتداعبه أحلام الكرى. وتتقلب الآلة العجيبة " آلة الزمان والمكان وتلملم الأحداث وتداوي جرح الزمان بأريج البستان، وتداعب طيف الهوى بنسائم ربيعية حريرية، ويتجلى الراوي المشارك أحداث الرحلة وهو في لباس زمني ومكاني يتشكل ويتحول ليأخذ هيئة وصورة وطابع الحقبة التي يمر بها ويحيها وتجمعها له الآلة الزمكانية، راو في كل العصور والدهور، ورحلة بها الصبايا والهور، حيث الفتاة أرزاق تسحب بقرتها الحلوب وتتجه صوب النخل الصغير، والأخير يشقه جدول قد نبع من بستان ممدوح وروضة حفني وزرعة القصب لصاحبها الفتى معتز وطملة ومدره مياه شرب الشاب تامر العذبة:-في مرمى هدف والصعل، والكومي الأسر ذي النخل، حقل للقطن كم

ارتحل، إليه الصبية في أمل، يصيف قطنه يجمعه، بلوز حلو مكتمل، لفيف منهم كم حلم، بخير حسن متصل، وكم يختبأ لدى شجر، خبيث يبدو كما الرجل، هو المكار هو اللص، وكان تربص في البصل، يجر البقر بفتيات، وجاموس يسحب بالحبل، وزرع القصب به السكر، ومعتز الأمل بلا وجل، بروضة حفني الأيام، نعيش زمانها في وصل، حمادة ينادي ممدوحا، ويمضي من دون الكسل، وكامل يخجل من نفسه، ويخشى مذلات الخجل، وأنور حلم كم يأت، تحقق في نخل الصعل ينادي عليه الحوت الذي على متنه عروس البحار عاشقة أنور وملكة المياه وهي مع أمها الملكة وأبيها الملك المظفر وعمها الملك الغضنفر، فنزل أنور وسبح وها هو يفعل في مهارة، ترحب به الأحياء المانية، ذلك حين دنا من كهف الذهب الموجودة به ذات البساط السحري فاطمة، والتقى أنور بالرحالة وهو صديقه القديم الدائم، كما هو الآن يقابل عبد الرحمن، ويرحب به عرابي وهو متجه صوب نخل الصعل، حيث هبط نخل الصعل بما يحوي من أراضي ونخيل وبستاني ممدوح وممدود، هبط حيث حيث الكهوف والسرديب، ودوامة بحر يوسف ثائرة كما ترون، تقلب الذهب والدر والتواييت والتماثيل الذهبية، ومصطفى فرح ويفرح الجميع معه، وأنور وعبد الرحمن وقبطان وسندريلا يقطفون الخير، ويصفق عقله الإصبع ويمسك بريشة الحمامة ويتعلق بها فتسبح به في الفضاء والهواء، النسيم يداعبه، وها هي تدنو من الراوي لينتقل عقله ويستقر فوق كفه هابطا من فوق جناحها المزركش المتحول وينظر إلي ذلك الراوي مؤنس الوحدة - معجبا مصفقا لما تتقلب الرحلة بلا حدود في أحداث متصلة غير منفصلة، رابط هي وبؤرة ومركز تجمع لكل الأحداث الزمنية والمكانية في الماضي والحاضر والمستقبل والبعث والنشور وحياة القبور والدنيا والآخرة وما قبل الخلق وفي عهد الحن والبن والجن والجان وبني الإنسان، فهناك في ذلك العهد الذي تحياه الرحلة وتحضره الآن يظهر الرحالة وهو يصيف القطن بمعنى أنه يجمع ما بعيده من بقايا اللوز الأبيض الذهبي بعد الحصاد، فرحا سعيدا بالرزق الذي أرسله له الله وقدره له، وجل ما يسيطر على قلبه ويغطي على عاطفته ويحلم به هو جمع كميات ترضيه من ذلك الذهب الأبيض ثم الذهاب بها حيث دكان الشاب شلقامي في العزبة التي يعشقها المسماة "النوارة والنسر عزبة عبد الواحد"، وهي كما نعلم بؤرة الرحلة وكبدها وقلبها النابض، لكن صاحب الحقل كان يختبأ ويتحين الفرصة للصبية ليوقع بهم في فك خبثه، وكأنهم قد اتوا لينقصوا من رزقه، كان القطن كالذهب وأكثر، الصبية لتوهم يجمعونه في فرحة منقطعة النظير، اللوز الأخضر قد تفتح والثمر المنغلق على نفسه قد خرج يشم عبير الحياة ويهدي بياضه ولمعانه للزهور ممثلة في الصبية السعداء، ثم ظهر فجأة وهو يهرول في مكر ليمسك بأحدهم، فر الجميع ولم يبق سوى الرحالة، فأمسك به الرجل صاحب الحقل، وأوسع ضربا، لا رحمة بقلبه توجد، وماذا فعل الطفل الرحالة المسكين ليغدر به هكذا، خيانة آدمية دنيئة غادرة ووضيعة قذرة، وهل تقطف الزهور هكذا لم يك بيد الرحالة شيء سوى الابتهاال والتضرع وطلب النجدة م الله، وهو يقاوم الآن ويبادل الطاغية لكمة بلكمات وركلة بركلات، ويقول ثائرا: - هل سأخذ من رزقك، خيانتك وغدرك

وجرمك وصمات عار ومذلة لن يمحوها الزمن، ستوضع بمزبلة التاريخ، وستحاسب عليها يوم القيامة. فاستشاط المهاجم الغادر غضبا، واتقد الشرر من ناظره الخائن وزاد من قوة دفع لكماته وركلاته وقرصه ولدغه له، تالله هو حية آدمية وثعبان سام خبيث، حتى أشرقت آلة الزمان والمكان وهي التي لم تغب من الأساس، تلك المنقبة المدورة الباحثة الغائصة المحلقة، وتجلت للتو على هيئة جميلة من رفاق لم يتركوا رفيق دربهم، فهذا ضرغام وذلك حسن وهؤلاء وهيدي ومحمد واللول ومعتز وإسماعيل وعبد الرحمن والهدهد والبطريق وسندباد وسندريلا وسلمى ذات الرداء الأخضر ومها آية الرحلة وبريقها اللامع، حلقوا في الفضاء وحل معهم وهل بحر يوسف يغرق من طغي، والنيل تتهادى موجاته ففسكر الناظر والشارب ومن يروي ظمأه، ومشاهد الرحلة المتصلة تتداخل كلها في آن واحد، في زمن حاضر، والذئب القائد في نفس الأوان والعهد يهاجم بيوت القاطنين والساكنين، وهو في أطراف القرية وعلى حدودها اللانهائية البعد يهاجم الشاب حسانيين ويلتقم عصاه لما مدها صوبه الأخير في حركة مراوغة ذكية، اتقدت عينا الذئب وزادت شراسته القتالية، قضم العصا بوحشية بالغة ثم تركها وهاجم الفتى، فما كان من حسانيين إلا أن طار من فوق ظهره فأصبح خلفه صائحا: - حلم صعيب المنال أن تنل مني وتكسر شوكتي، فقد اعتدت المخاطر. زادت عدوانية الذئب وكأنه فهم لغته ثم قال موجها حديثه إليه مصحوبا بهجوم مباغت:- لكنني عاهدت نفسي أن أقتلك وأنهى قصتك الأسطورية. فتبسم الفتى بسمة سخرية واستهزاء وهو يعض على شفتيه متوعدا ويقطب الجبين من بعد ذلك، ووجه ركلة لمقدمة الذئب أطاحت به بعيدا، وحاول الذئب تدارك الأمير وعمل اتزان لجسده ولكن دون جدوى، حيث مال في الوضع متحركا وتقهر واضطرب مرتطما بالبسيطة وبروز المرتفع الصخري حيث عبد الرحمن وصبري الطيار الطائر لا يزالان في مراوغة قتالية نادرة للأسود وعلى رأسهم الأسد الغضنفر القائد، وكان الأمير قد تجلّى الأمير فوق الشجرة العجيبة مستمرة ودائمة الإثمار، والرمح الذهبي مغروس بجواره بفرع مثمر عجيب، والشجرة هذه تطرح وتنتج جميع أنواع الفواكه والخضروات، ممتدة لأبعد الحدود متسعة شاسعة تفتقرش الأرض وما أبعد بجمال وبريق وخضرة لامعة ربيعية، حيث وقف على غصنها عقلة الإصبع واستقرت فوق ورقة فننها أمانى الجميلة شقيقته، فقال الأمير المسحور بعدما حرك يده متحوّلا من حالة الثبات والسحر التي كان عليها بفعل كيد الساحر الشرير وريما، قال: اسمعنا من شدوك يا عقلة الإصبع، لم يكد الأخير يسمع الصوت إلا وحلق وطار فرحا واندھاشا، وهتف بصوت عال: - الأمير المسحور تخلص من سحره بأمر الله. تبسم الأمير ومد يده صوبه وصعد متناهي الصغر وهو يغني والفراشات تحلق وهي تمتص الرحيق فرحة سعيدة، وذكور وإناث النحل في المدينة الفاضلة تتبع سلمى ذات الرداء الأخضر وتحيي الأمير والهدهد قد أتى في موكب الطائر ومعه أبو قردان والبطريق والقلق وأبو فصادة وعبد الرحمن وضرغام ومعتز والمجموعات الطائرة من الكائنات، فتبسم العالم الجليل وكاد يحلق فرحا ونشوة وسعادة، وأم الرحلة قد ارتسمت فوق قسماتها آمال طوال،

وقد نظر الأمير صوب عقلة الإصبع وهو يحمله فوق راحته وكفه وقال بصوت رقيق يشبه
نسمات الربيع في يوم مشمس مشرق: - هيا أيها الجميل، أمتعنا بشدوك، فتبسم صبري
وكرر كلامه قائلاً: هيا أيها الجميل. وكان الخجل يبين ويظهر على ملامح عقلة الإصبع
الرقيقة، فشرع ينشد ويقول: صبري الطيار يقودها والرحلة تبدو غصونها والطير يحلق
بربيع والعزبة تشرق دورها وصفية بسمة أيام والجنة تشدو حورها نورة نسر قد هامت
بالظلم وتبنى قصورها حفني بالروضة قد زرع ناعسة ضوى هو نورها وظلت الأشباح
تركض في ثنايا وخلال الزروع والأشجار، تتمثل بتاجث وأرواح قبور النخل الكومي
بهياكلها العظمية المرعبة، وقد قدمت "رشا عروس نخل الصلع" المغدور بها ودرته
المكنونة تزحف صوب موقع الأحداث مدفوعة بقوى سحرية من قبل "الساحرة العجوز
ريما" و"الساحر الشرير"، زوجها، وفي جهة متصلة بالأحداث التي تقودها آلة الزمان
والمكان يظهر الفتيان "علاء" و"حسين" وهما يتمرغان في حقل القمح لا يدریان بالأمر
ولا يعلمان تفاصيله، فهما يودعان "النورة والنسر عزبة عبد الواحد" بعد مقام يسير بها
 وإقامة لقياً خلالها كل متعة مع محمد وأنور وضرغام وكامل وحسن ومجموعات من الأهل
والجيران الطيبين، وها هي "رشا فتاة نخل الصلع وعروسه الفتاة" تقود الأرواح
والهياكل الخارجة من قبور النخل الكومي، وتوجههم وهي المسحورة من كيد ريما،
ومشكاح يعطف عليها ويتمنى لو أن يفتديها بروحه، فهي مثل ابنته، وقد نظر إليها الآن
وكله حنو وعطف وهو يرتدي جلبابه الفلاحي الفضفاض، تبين عليه علامات الإرهاق
والتعب وفرط النصب حين قال وآيات الرحمة تنطق بها قسماته وترسمها عيناه: - لو
أستطيع ابنتي لخلصتك من كيد ريما وزوجها الساحر الشرير. فشكرته الفتاة وعطفت عليه
لأنها تعلم مدى إخلاصه وصدق حديثه، فجعلته يشاركنا الرحلة ثم انقلبت عليه وهي تثور
حين مسها السحر الصادر من النورة والنسر وزبانية القوم، فدنت منها أم الصغار
واحتضنتها لتهدأ من روعها، وقد مس أم الرحلة السحر فتلت آيات الله والذكر الحكيم،
فمست بركة القرآن الجميع وحفظتهم بأمر من الله، ودنت منها أكثر أم الصغار فتبسمت رشا
ونظرت إليها في عطف وهي تداعب خصلات شعرها التي ماج بها نسيم الربيع الرقيق وهي
تقول: - أعلم مدى حبك لي، لكن لا حول ولا قوة لنا، بل الحول والقوة لله. وحين سمع
الحديث الساحر الشرير، اتقدت عيناه شرراً وقفز ونط من الانفعال، فذكر لا حول ولا قوة إلا
بالله له فعله الجميل، بدا وكأنه قد شل وقيدت حركته، وأرسل زبانيته يعيثون في الأرض
فسادا وجورا، والذئب القائد التابع له يعوي عواء شرسا ويتلوى ويسيل الزبد من شدقه
الضخم متأهبا لالتهام الفرائس تمام التأهب ومستعدا كل الاستعداد، وها هو يبدأ بهجوم
الرحالة، والأخير يمسك ببساره فرع شجرة السدر دائمة الإثمار، ويقبض براح يمينه على
حسام مهند وأمل متجدد، كل ما تقدم يحدث ويدور وفاطمة ذات البساط تستقل بساطها
العجيب وتبحر به وتنقب وهي مخفية عن العيون فلا تراها سوى نادية الفتاة ذات الحسن
والجمال أميرة القصر وفتاة البحر والنهر وقيثارة الزمن وشدو الأغصان، فطيور على

الأفنان والأغصان تشدو وتترنم وتغني وتغرد في مشهد متفرد فريد، وأنا من الجمع لست ببعيد، وتراها كذا الفتاة فتة الضريرة صديقتها فلا تتركها ولا تخليها، صديقتها الصدوقة الوفية، فيما تتقلب آلة الزمان والمكان خلال العصر وعلى الدسر في السفينة العملاقة المتجهة صوب جزيرة الأمل، حيث تتجلى الأخيرة والربيع يفتersh أرجاءها الرحبية، بيد لأن لريما وزوجها الساحر الشرير رأى آخر، فقد أعمل سحره وركزه وصوبه تلقاء رشا، فانتفضت وأمسكت بعنق "مشكاح" في وحشية وضراوة واعتصرته، وكانت آلة الزمان والمكان تعبر من هنالك يحفها الربيع الباسم ويرسم الأمل بها، و"الطيار الطائر صبري قائد آلة الزمان والمكان المحنك" يقودها في حقبة زمنية غير معروفة، وأمل فوق بساط فاطمة شقيقتها وهي تبحث عنها في ما هنا وهناك عبر الأيام، فهبطت آلة الزمن والمكان وقد ثملت بالبساط، وجلست الفتاة تبر ونادية وسحر وسندريلا وسلمى، ودنا منهم عقله الإصبع وشقيقته أماني ومتناهي الصغر ومتناهي الصغر، حيث لا يزال الهدد يبحث عن العشب الطبي النادر في كل زمان ومكان، ورويدا..رويدا..هبط البساط من تلقاء نفسه، والأشباح الطالعة من قبور النخل الكومي تهاجم الجميع، فما كان من "صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان" المتجولة المتحولة المتشكلة إلا أن ضغط زرا في لوحة التحكم العجيبة بتوجيه من العالم الجليل، فانفض الجان مبتعدين ثم تجمعوا تارة أخرى في هجمة كالصاعقة، وقت أن نزلت الفتاة "تبر" وهي تحلق مبتعدة عن سطح البساط السحري، فدفعت قبضتي "رشا" عن المغلوب على أمره "مشكاح"، فالتقط الأخير أنفاسه وهو يقول بنبرات مختنقة تحوي الشكر والعرفان بين طياتها الخافتة: شكرا "ابنتي" تبر، لقد كادت أنفاسي تزهق، بارك الله لك. وشكر سندباد الفتاة، وصفق لها "الرحالة" أخوها، وضمتهما في جناح قلبها وكيانها شقيقتها سلمى، فانتفضت رشا عروس نخل الصعل المرعبة ودرته المكنونة في ذات الوقت وهي توجه وتدفع أشباح النخل الكومي وتماسيح بحيرة التماسيح لقتال دام ضد كائنات الرحلة بلا حدود، و"القائد المحنك صبري الطيار الطائر"، يوجه قاذفات ومدفوعات فوهة الآلية العجيبة صوب المقاتلين من الجان وأعوانهم، في حين يتقدم الفتى "عزمي" فارس الرحلة ومغامرها المقدام وهو يمتطي متن جواده الأبحر جنباً إلى جنب بجوار عنتره والرعد يرعد والبرق يبرق وجمال سحر يتألق، والنيل جار من عذبه يغدق، وساحبة المياه ورافعتها "طللبة" العم تامر تدر الياقوت والذهب حيناً والماء الصفو حيناً آخر، وتخرج منها أشباح وعفاريت ويقفز الجان مرات أخرى، وعبلة فوق جوادها مسابق الزمان تستقر في هندام عروس تملأ الدنيا أملاً وبريقاً، وشيبوب مرح النفس طيب خاطر منطلق الضحكات ومسابق وهازم الأنات لا يزال يبتسم ويلهو رغم الصعاب، يمسك بقوسه ويضع فيه السهم متأهباً لدفعه صوب من يهاجم أخاه عنتره، والراوي يرى ويشهد ويشرح ويغرد وهو يرى حفني وناعسة وسلمى والفتاة تبر درة الرحلة وكوكبها الساطع ومصباحها المنير، في حين تتقدم الجدة "أفيات" بهندامها الفلاحي فتحيي الجميع وهي تمر في دروب النوارة والنسر حاملة مصباحها الفلاحي العجيب الذي

وقوده كل شيء، وتحيي كذا الراوي وتقول له: - هيا أيها الراوي، قص ما لديك، مشارك أنت معنا تعبر الأحداث والأيام وتلملمها كما آلة الزمان والمكان. فتبسم الراوي وأمسك بكتاب الزمان والمكان الذي تتلون صفحاته وتقلب، وقد رأى بها الجدة أفيات وهي تخطو عبر الأزمنة والأمكنة، تزور بناتها لتطمئن عليهم، ثم قال والأمل رفيقه والحسن والبريق طريقه: - نعم، سأفعل أيتها الجدة الرائعة. فتبسمت بدورها، ثم ها هي ترى بنفسها صفحات الرحلة وأيامها تضوي في كتابها النير الساطع، والراوي ينظر إليها ولملكة النحل وعقلة الإصبع وشقيقته أمانى وسندباد وسندريلا هو ينشد الشعر ويقول:- بروضة "حفني" والبنر وجدول "سلمى" ذي التبر رأيت جمالا وبريقا ويسرا من بعد العسر وناعسة الطرف الحلوة كباقة ورد والزهر بناظر كحله الليل سكرت بغير روى السكر نجيب هل ببستاني وأقبل بأوان الظهر وليلى مع قيس تأتي أيعقل من دون المهر؟! يصير الرابط من ود وتحبط أفعال القهر أحبها من عمق العمق لقلب شاخ من الكسر وليتني أغفو على حلم وضوء شعاع من بدر أروح الحقل لدى صبح وأركض من بعد العصر أحقق نصرا لم يزل جمال الدنيا من نصر حكاها الراوي إذا تجري رحلة أيام العمر ورحلة أخرى والبعث وحكم تترى والعبر شعبان أراه كما الطير أيامه يحيى في صبر ما خلت مثيله بحياتي شعرا أكتبه مع النثر ويطل يزين أيامي طيار طائر هو صبري وأسلم للهادي الباري من بعد إرادته أمري وفتاة الحقل لدى النخل وحسناؤ الدنيا في القصر ورداء أخضر يا سلمى كربيع ينثر بالعطر والله شقيت من الدنيا برغم البسمة في سطري وبكيت فسال من العين هطل كمقيد في أسر يا عقلة هيا... أنتظر قدومك في وقت السحر أسامة شقيقته أمانى كم حبها في دمه يسري جلست في الحقل على قرب من بحرك يوسف لا تدري برشا إذ تقبل من غيد تتعلق بجناح النسر أبو عوف ظل كما قمر تحذيره جاء مع النذر لا تخطو هناك لدى الغاب في درب وعر مستتر وسبيل يملأ بالوعر بل ذات اللوح مع الدسر في متنها خير ونجاة بعيداً عن ذات الشرر في نخل الصعل هنا حبي أكرم باليوسف من بحر منبعه من نهر النيل وحمادة يجمع من خضر ثعبان راح يداعبه فتلقى اللدغة من غدر ممدوح أخوه لكم يبكي في طيف نديم معتذر الموت يخيم قد حل كي يسكن روضات القبر قد جاء الهدد بدواء ومجد يوفي بالنذر ما بالك غدر الأيام ماذا تجنيه من كسري يا مريم مشتاق دوما هل لي بقاء مختصر والطيور يغرد في حق لعل نحلق من يدري؟! فالحلم سيضحى كما نرج والماء لدى روض يسري قبطان وسلمى فعلاها وجميل بثينة في عصر صفى الود إذ التقيا بنخل الصعل المنتشر لأبعد ما يصل النظر وعطر زهور منتثر. يحكيها والأحداث تتلاحق، راو وأنا عليه مشفق، بنهار شمس كم حلوة، لما تنهادى وتشرق، على رأيه الدنيا تعترض، لكنني عليه أوافق. وكانت رشا تستمع منصتة لأحرفه فيزول دافع الغضب والعداء من قريرة نفسها ومنطلق روحها، ولا تلبث إلا أن تهذا، فتتنظر إلى بحر يوسف وتمعن النظر وتدققه، ذلك الذي يتهدى حيناً ويختلج حيناً آخر، ويهدأ تارة ويثور تارة أخرى، ويبسط جناحيه بيت الفينة والأخرى، وحيناً آخر يقبضهما، و"ذات البساط فاطمة" في مخبأ مركبها السري تستقر، ذلك المخبأ المتصل بعوالم أخرى، ترى

لتوها من خلاله آلة الزمان والمكان يقودها "القائد المحنك" ذو الخبرات والتجارب الواقعية "صبري الطيار الطائر"، وتتجه الآلة الزمكانية صوب الفتى سليمان وهو بالقرب من روضة حفني، حيث يسلم الرحالة عليه ويرحب به ويصف فيقول:- سليمان هل كبدر السماء سيف العدالة من يشهر بجانب أنور عند الفلاة وغصن المنى عنده يثمر يطل كبسمة زهر الربيع رابح دنيا لا الخاسر يبعث دوما على كل فرح وضوء الهدى هو من ينثر رعب تمثّل في نهر موت وإني لما عشته مخبر تبين بشكل يهز القلوب وليت يجرب من يسخر تسبح مثل جذوع النخيل على الماء تطفو أو تغمر تماسيح نهر هبوب المنيا كمثل الرياح التي تقدر بأن ترقى دوما لنيل المراد وحولها غصن الهوى زاهر تماسيح ليل كحيل العيون يقلها من نهرنا الكوثر ضرغام صاحب عمري الجميل طال زمني أو يقصر فإني أود اللقاء السعيد فرب يجيننا أو يحضر طال الفراق وأشتاق للقىا حبيب هو الأكثر قربا لقلبي آه وآه ويشتاق قلبي والناظر آلة زمن مكان الرحلة تنقب تبحث وتدور وإن لها من فعال وللكاننات المنى تضمّر تجلى سليمان في حلة وصبري الطيب والساھر وقبطان سلمى مع سندباد هناك فإن جار باغ هنا يمطر ويردي بوابل من قاذفات وهي عدوها كم تحذر والقائد المحنك والطيار الطائر صبري والعابر ينشب به ظفر كل المنيا وسليمان يجدف وهو عابر بحيرة الهلاك والفارس المثلث على موقفه ثابت لا يتغير يشاركه سليمان كل ملمة ويزود عنه والموج هادر يرتقي متن تماسيح الدجى وأسود تتأهب وتزأر واجهها الفتى في كل مرة تهاجمه فيها وهو صابر سليمان إن وصفنا فالبطل الشجاع والقائد في العوان والأمر قبل فوت الأوان ليت هاجر وأنا الذي هاجر أهجر تعاتبني حتى أو تلقي الملام فأنا لم أنسها بل أذكر يا ليت هاجر قد كنت جنبك ولو نهر موت الدجى أعبّر وها هو يسبح في نهر موت وهاجر معه وذا الكاسر قد ظهر فجأة كالموت المخيم يختفي تارة وحينا يظهر ويضوي ويبرق النور الأنور بين ماض مضى وحاضر أحيا ومستقبل لا أعلم أتحير على مصباح فلاحي أحيا حياتي وعلى ضوئه الخافت أستذكر وأحصل درسي وأجني علمي وجدتي تحمله وهو المنور قد ذهبت هنالك في عرض عربة عبد الواحد الجميلة وعمرها معمر تزور بناتها في كل ليلة وضوء المصباح من شوق ساهر لطيفة لطفية ومدينة روحية وأرزاق بناتها وأحمد الماهر وأخوهم محمد في القارب الصغير لهم الفرح والحزن والوجل مشاطر قد مضى عمري وزادت شقوتي وجميل صنيعها لا أنكر والمرء قبل اتخاذ قرار عليه التآني ويتدبر يا ليت أني على ما بي أرضى وأتحمل وأصبر ضمّني في الربيع نسيم الربا وفي الحرب الضروس العجاج المكدر - ما بك يا رحالة اليوم هكذا نال منك الوجوم ألا تشكر - بل أشكر الله حسناء الخصال فكم من نذير لي ينذر يفت في عضدي هجر الطيور وصبري الطيار والطائر ويزيد الوجل في نفسي التي بين جنبي الحظ العاثر لكنه قدر من رب رحيم وحوراء هنالك وأحور زينا الحياة بجميل مشهد وكم يحلو لي ويطل المنظر وعجوز تجلس بين نخل الكومي ونخل الصعل ولا أقدر أبعد عنها وهي التي جذاب قولها ويأثر أطراف الحديث جاذبتني تلك الربيع حولها مشرق أخضر وألقت شالها في عرض البحر إن الشال في البحر مبحر عوني الفتى عاون العجوز وهي تختصر

الكلام ولا تكثر انزل بني والتقط حاجتي من لديه المال لا يهدر فسيح عوني في اليم قاصدا
الशल الغارق وأطل واعر ومجدي الرفيق كان قد أتى على دليل الخيانة الفتى يعثر حدا
عوني مجدي قالها وواعر كذلك فقلبه نير قد خطف البيضة من يد العجوز ما أتم قصده الفعل
الغادر وبصحبة أبي عوف مر هنالك يهدي حلم المنى والهدى أنور ورشا تعلق منها به
طرفها والنيل قد بدا وهو أسمر وسليمان الفتى الذي أحبه الطلع الجميل والمزهر عند نخل
نمر التقى أنور وأسدا يطل ويتضور جوعا ونهما وكأنهما له
الغنيمة الشهية والطعام المسكر ظننت أنهم يسألون علي قالها حقني وهو يخطر عند روضة
حسن هو صاحبها وناعسة عطرها في الربا ينثر فبكته إذ رآته ودمعه همي وبكته كذلك
الفتاة هاجر وسليمان يقاتل أسد الشرى خطوه يثبت ولا يعثر وأنور راوغ وحش الفلا فارس
أشعث وأغبر أحاطت بي ملمات الحياة فلا عزمي صدت ولا تكسر أمير يدق طبول النجاة
خميس أسد وغضنفر ووحش الفلاة إذا ما التقاه يفر ويعدو أو ينفر رضا من تبسم حتى
الرياض إذا ما رآته تتغير ليكسو مداها طيف الربيع ونهر النيل يتعطر يقبض روح الباغي
اللينيم وعن أنياب غضب يكشر ذات الرداء أحبك سلمى ربيع رداوك هو الأخضر نبضك سكن
شغاف الفؤاد وودك في طرفي يظهر معك تجدد لون الحياة ورتابة دنيا أنا أكسر أرى طيف
نادية الرهيف فلا أحلى منها قد أبصر ومريم حلم عصيب المنال ومن منها شهد الدنا يقطر
وملكة نحل هي والعسل وراحت تسافر أو تعبر بنهر المنية ونهر النيل وفيض النيل الوفي
وافر وتبر رآها في نخل صعل الذهب الأبيض والأصفر بحقل القطن مع أسمهان وعزية فتاة
تتحضر كي تقضي يوما بروض الحياة وقرص شمس السماء أحمر ويركض ضبع الفلاة
العجيب منه الفتى مصطفى يحذر هجم عليه يود التهام ذاته إن الثرى غادر غبار الحياة
يخون العهود ويحجب عنا به الآخر رشا يا فتاة الحقل السعيد عروس الصعل أنا أخطر فلو
ما رأيتك عند النخيل أمشي وأزهو وأتحير أغني أغرد مثل الطيور كيأتي سعيد وأتبختر لما
كل من تلقين يقضي ويمضي أو يقبر عند النخل الصغير انطلقت أمين صديقي من يأمر
جموع الأناس وبصدر رحيب يجيب النداء الذي يحضر. تصفق الكائنات للشدو العذب والنظم
البديع، ثم تطل أفيات صاحبة المصباح الفلاحي المقدامة البطلة والجسورة جريئة القلب
والطبع، ويدنو منها المسحور في ظلام الليل الحالك، برفقتها أخوها نائل، قوي الشخصية
متزن النفس، يخشى عليها كل خطر قد يداهمها، وهو لها الحمى والحماية من بعد الله
تعالى، حيث تطل الأشجار وهي تعانق نسيم الربيع ويداعب ورود خميلة ممدوح الهواء
العليل فيصيب منه رائحة العطور والشذى، فلما تقدم المسحور نحوهما يريد التهامهما، لم
يكونا لها وجبتين سائغتين سهلتين، فهما من ملكا من الحياة خبرات واسعة برغم حداثة
سنهما وعمرهما، لم تخف أبدا الفتاة أفيات المغامرة الداهية، بل ثبتت في مواجهة المسحور
بكل عزم وقوة، هنا تلون المسحور وتشكل وشرع يطير موجهها نار جناحيه صوبها، يظهر
في جسده الشوك المدبب وتخرج النار من لسانه وبقية جسده تنسف كل ما ومن تواجهه،
والساحر الشرير قد أشعل نار الحرب ودق طبولها ضد الرحلة بلا حدود، وقد هدأت ثائرة

الحدث فجأة لما أقبلت آلة الزمان والمكان يظهر في هيناتها المتشكلة سندباد وسندريلا وتحيط بها ملكة النحل تطوقها ومجموعات الكائنات، وخميس الملك الغضنفر قد أتى بجيوشه يدفع كيد المعتدين، ورشا عروس نخل الصعل وفانتته الساحرة تتقدم في خطى ثابتة، تطوي الفيافي وقفار الحياة، يحاول أبو عوف تهدنتها بالسحر المضاد لسحر وكيد ريما والشرير العجوز، فلا تبالي وتستمر في التقدم صوب الرحالة، تنشب به أظفار غيظها وحقدتها، يصرخ من أعماقه الفتى صرخة مكتومة وبرد فعل معاكس يقبض ويلوي رقبتها ويعتصرها، تتأوه ألما وتبعث بصدى صرخات تهز أرجاء "غابة عزبة عبد الواحد النورة والنسر" التي تظهر الرحلة للتو في هينتها، ويصفو الجو فجأة ويركن الحدث ويهدأ، ويبتسم الربيع وتزغرد الطيور وتشدو ويدعو الكروان ليديوي صوته ويسري عبر نهر الموت عند قارب فاطمة حيث جذوع النخل الساكنة المخيفة وعيونها المتقدة البلورية ترهب الناظر وتقبض القلب وتأسر خاطر أسر استحواذ وافتراس، فتظهر تارة أخرى "أفيات" الفتاة الجميلة ومعها شقيقها "نائل"، فيبتسم الراوي ويلقي التحية عليهما وعلى شريف مغامر الرحلة وبطلها ومؤلف الحرف الجميل بها ورأسم البهجة على وجوه وقسمات المشاركين أيامها وأحلامها وهو يقول:- الجدة أفيات ونائل

في العزبة وفيها الخمائل عزبة عبد الواحد الأمل بها بحر يوسف مذهل نورة إنها والنسر لهما ابن ضال غافل وروضة حفني المذهلة وفتاة منها جدائل كثر الفتن المشتاق ناعسة الطرف يحاول الناظر طرفها يشغلها ويمني النفس فيفشل أفيات الجدة تعرفها وفتاة الحقل تجنل المار هناك لدى الصعل والجدة ها هي تقبل مصباحها تحمل والأمل من يحيا جنبها أمل والبسمة فيها الإشراق ولها ابن الابنة كامل أفيات ونائل لا تنسى هما قصة عهد يؤمل معهما كم أركض بحياة وراءها دوما طائل فحياة من دون عبادة كالزرع يفوته سائل أفيات ومعها النورة السوء تحين عاذل له كل الوقت من الخطأ في البحر وعوني ينزل أفيات أخوها نائل على شاطئ بحر تنزل لها حيث ثمار الجميز والنمر الشيخ مؤول ويفسر أي القرآن نمر الموهوب مرتل لعلاء الدين المصباح قد نسب وإنه يهلل لكن لجذتي أفيات نفاذ الضوء مطاول مصباحها حد الأيام كم جنده حر باسل أفيات الجدة في النيل ومقيم ضوؤها راحل قد ولت تخبز بالدار والليل هنالك الأليل قال:- أختي انتظري وترجي لا الوقت بحينها يمهل. فنظرت إليه والحنو يختلط بنظراتها ويغمرهما، والأمل يداعب مقلتيها وهي التي تراه كل حياتها وأملها في الحياة من بعد خالق الحياة والنبض، ترد عليه وهي تهم بالانصراف قائلة:- أخي كيف يكون وأقدر؟! مهر في الدار سيصهل في البيت الزوج وأولادي ومن قد يتألم يسعل وبناتي سكن لدى قلبي في رحلتي أمضي أكمل فمضت تختال لدى درب مصباحها ظهر وتحمل وخيال جنبها كم يمشي بالكاد مضى يترجل وقد قال لها: عمت مساء وكأنه غاب ويشمل يده كم مد يصافح يديها ما شاء ليرحل فأحس الملمس كعجين وقمح بها ظل ويهطل فصرخت وكأن بذى اليوم قيامة أخرى تقبل نادى على زوجها:- أدركني أناتها فؤادها ترسل ما كادت تنطق وتقول فأتاها الزوج يهرول الغيث بمدد من ربي ما العون إذن يتمهل ومضى

العفريت وقد ولى والضوء أتى يتخلل من بحر يوسف ذي الموج به دجى موجات تنزل وبدت لي أرانب من ليل وعهدا موصول أول أفيات أحبك من قلبي لي جدة أنت وتسأل وتزور بيت صبايا وحبها مرسل مصباحها الفلاحي على ضوءه المنجل بدا بزرع القطن وبحقل المنى المعمل الآن يوجد عامر فتى له منزل وفي السماء البدر ويغرد ذاك الأخیل لما التشاؤم إنى خيرا لكم أحمل ونخل نمر فيه الجن كم يرسل صنوف سحر آت وجه أكمل حمادة يبدو هناك ولدغة تفعل به فعال الجن وسيد يعدل ممدوح يبكي أخاه ومشهد يسدل وهدد قد جاء بالعشب المتثاقل ممدوح وسليمان لهما بدا كامل وهو الفتى المغوار ومن يخجل عزمي على ذاك الأجر محمول هو ولا لا حامل يمضي لنخل الصعل هناك والرعد سيرعد يتزلزل والبرق يبدو النار والثمر يتدلل والكومي نخل جمال وأمره معضل الجان فيه تجلى وملكه زائل في الماء يبني العرش من دون يتبلل أفيات يا جدتي هل لي بأن أكمل ومكان آلة زمن في رحلة مهمل ونائل في الغيط من نبعه ينهل في مصرف سيخوض ويقله الجدول وكأن حقل القطن يوم المنى محفل وسبيل ماء ظهر والعشق كم يقتل ماء ظهور فيه وقد بدت تسبل طرفا وتمضي هناك ناعسة أو تعمل وقد رنت لحبيب وحفني لها مائل في روضة يشناق وردا بها كامل الحسن منها يطل وتطل الخمائيل ملك الجميلة تأتي وتشدو العنادل تختال في مشيتها ريم ويتمهل نعم كأنها ذلك والصبح كم يحلل ضوء الحياة بروضة كل الدنا يغسل مصباحي الفلاحي أمضي وأتخيل أنى أزور منايا وإننى الأول أرزاق بسمة دنيا ومدينة جدول وتمضي بنا روحية ويمطر الوابل حتى تولى الخطر وبدرها يقبل في المرسلات "لطيفة" و"لطيفة" "تمهل جمع الذناب ليمضي أو كلهم تقتل للتو أتى قبطان قد بان ويجندل كل الأعادي ويمضي وعاءه أمثل وسندباد يجيء والشمس كم ترسل بریق ضوء شعاع فما بقى المهمل وقد صحا من نوم يطل يتأمل وأطلتا في زهو بغداد والموصل رشا وما أنا أبدا لبطشكم آيل إلى سقوط أبدا بل همتي تشعل قالت:- ولي من أين؟! عن ظلمهم أسأل فالساحر الشرير وريمة تعمل بي سحرها الأخاذ يا ليتها تقتل فقال:- أعلم هذا فسحرهم خامل لو ما دعوت الله كيدهم يبطل مصباحها الفلاحي ظله يظل كياني ذاتي ولما أبصره يتحول عني فيرسل ضوءا فلا الربا تخمل وقد ازدهت وازدانت وخيرها مسبل، والآن يظهر كما ترون عبد الله الرحالة في نخل الصعل وهو يشق طريق الأمل، فيرى الجميلة رشا هنالك تحيط بها الأطيوار وتناديها الأزهار، أزهار وورود تحدثها وتهديها أريجها، وهي تلك العروس التي يسيطر عليها الساحر الشرير وريما العجوز الساحرة الداهية، وأبو عوف يظهر كدليل الرحلة وفتاها الراجع، يدل الناس على الخير ويقدم ويمد يد المعونة مصحوبة بالنصح، وقول الصدق ينطق به فاه المعطر برائحة الإيمان، وسيدنا محمد يجاهد من أجل الدعوة ويحاول نشر الإسلام وتبليغ رسالة ربه للعالمين وها هو يعاني وينجح، فيواجه الأذى والاضطهاد من قومه، ويعز عليه ألا يجد المنعة أو حتى الصمت لديهم، يمطرونه بوابل من الأذى ويتهمونه أن من سفه أحلامهم وعاب آلهتهم ومن يحاول تغيير عقيدتهم، يقولون له:- ابتغ سلما إلى السماء وعرج فيه وارتق علك تصل إلى مناك أو يأتي من يؤيد قولك من السماء، يستمر في سعيه

ﷺ، فيؤذونه، يقفون له صفين ليشتموه ويضربوه، فتدعى قدميه الشريفتين، يقع على الأرض من أثر أذاهم فيحملونه على الوقوف ليطرحوه تارة أخرى أرضاً، فيظهر في المشهد الفتى عداس بعدما يجلس النبي إلى ظل وسور بستان به موليان لعداس هما صاحباً البستان، يرق قلبيهما وها هما يرسلان قطفاً من العناقيد للصادق الأمين ورحمة الله المهداة، يرسلان القطف مع عداس الخادم الجميل رقيق القلب، ويتحول مشهد الرحلة حاملاً معه سيدنا محمد، فهو معنا يشرفنا وتعطرنا رائحته الذكية، هو الورود والبساتين ونبع الخير، حيث تظهر عزة عبد الواحد النواره والنسر وهي مالكة الفؤاد وأسرتة التي تسير على نهج النبي وتتبع سننه وتحب كل الأنبياء والمرسلين، ينحرف نهر الموت وفوق موجه وسطحه قارب فاطمة الضريرة ذات البساط، حيث يبحر النهر ويختلط ببحر يوسف عند مشارف نخل الصعل، ورشا الجميلة هنالك، فيبتسم الرحالة لها وهي تفعل، ثم يسري بها سحر الساخر الشرير، وتشتعل آلة الزمان والمكان، للتلو مسها السحر القاتل والتهمت منها الكثير نيرانه المتأججة المضرمة، فقفز حسين ومعه أشرف اللول في مركب فاطمة وتبعهم الرحالة وسندباد، وشرعوا يطفئون النيران بعزم لا يلين، فخذت وتم الأمر بعون الله، وكان قد أشعلها المسحور وعائلاته السابحة في أعماق بحر يوسف المتحول إلى نهر الموت ذي التماسيح وجذوع النخل الطافية المرعبة، فلما تجلت رشا.... هدأت ثائرة الأيام وسبحت الرياح كنسائم شوق وفرش الربيع دفنه وأذاع رونقه ومهد بساط حسنه وأهداه الجميع، وتنافس الرحالة وشعراء ومؤلفي الرحلة أيهم يحسن النظم والوصف كي يهب تلك الراقية الساحرة رشا بعض الحرف الذي تستحقه ويكون ملائماً لها....فتقدم الرحالة وصعد منصة العرض ذات الصوت المصحوب بأمواج موسيقية غنائية والطيور تشدو وتردد خلفه وعقلة الإصبع وأمانى:- رشا جميلة هذا العصر، ألمحُ حُسنك في ضوئِ قَصْرِ فتاة الصعل وحلم حياتي، جَعَلَتْ قلبي في ضوئِ أسْرٍ يحيا فأنعم حين أراك، أنت الأريج في كل زهر نخل الصعل برشا يزدان والدنيا بأسرها في كل قطر دون أراك بصرت خيالا منك رشا في كل سطر. وها هي نواره ورغم حالة الهدوء التي تحيي إياها الرحلة، تثور هي كعادتها، تشعر المستمع ومن يرى أنها تمقت محمداً وتكرهه، وهي من تحبه وتتمنى كلمة منه ولو كانت كلمة إساءة، لا تعلم علاقة النسر بها، كل ما هو معروف أنها ظالمة وهو طاغية، يستوليان على الثروات والمقدرات، لا يشبعان أبداً من متاع الحياة الدنيا الزائل، يتقدم محمد صوبها وهو يأمرها بالكف عن أذى الناس، فيتقدم جان تابع لها ومعه عفريت ويقبضان عليه ويحلقان به في السماء ويخوضان في " بحر المنية " و " نهر الموت " و " الهوة المتقدمة "، فتصرخ من أعماقها، لا تفعلان هذا، يعجب الجميع من تصرفها، فمحمد تحبه حسناء الخصال وهو يبادلها الود، ونواره لا تشغل باله، على الأقل كما هو ظاهر أمام أعين الناس، في حين أن محمداً يحبها من شغاف قلبه، وهي أول وآخر حب في حياته، لكن لا يظهر هذا أبداً، وهنا تطلع " عبد الله الرحالة " الى السماء في شرود، وهام في سحر الخالق وناجاه وحمده على نعمائه، ذلك حينما شقت السماء بجناحيها المزرکشين في مشهد ممتع - " ملكة للنحل " -

وتجلت في زينتها، تتبعها الكائنات وذكور وإناث وشغالات ووصيفات النحل، بل قل تتبعها الدنيا بأسرها وتحلق معها الرحلة مصحوبة "بآلتها الزمنية والمكانية" المتحولة، والتي تتشكل على كل هيئة ولون، فهي التي لا تتخذ هيئة ولونا معينا ولا تكوينا بذاته، كل ذلك تم حينما أطلت الشمس من خدرها وتجلى في أجمل حلة قرصها الدامي، والذي بان وكأنه يودع السماء ويفارقها، وتسلك بصيص من ضوء القمر مقبلا يعانقها، حينما كان "عبد الله الرحالة" يلحظ تحركاتهما، وذلك لما دخل "متناهي الصغر" وأخته "متناهي الصغر" ومعهما "عقلة الإصبع" وشقيقته "أماني" وابنة عمهما "تهاني" ومعها الهر صديقها الى الحديقة المزهرة المورقة، حيث كانت الآجام تداعبها الرياح، والنسيم سار في سحر وهدوء، والقسمات باسمه تتزين في تناسق وجمال، والبحار والمحيطات أمواجها ثائرة هائجة تارة، وتارة أخرى في هدوء وانسيابية وترفق تنهادر سابعة، وقد أمسكت "العجوز الشريرة" بعضاها وببضتها مستغرقة في فكر خبيث وتدبير مريب، وشرعت تنفث سموها وتقذح زناد فكرها مدبرة أمرا ما، وكانت بالفعل في الشرور ضالعة وعوني الفتى الجميل يصحب ويجر أنعامه كي يروي ظمأهم من بحر الأمل على مشارف وحدود "عزبة عبد الواحد" "النوارة والنسر"، وعلى الجانب الآخر قدمت في حلتها البارقة، تلك الحسناء المتهادية الفاتنة، حيث كانت الهمسات في وريقاتها المرتسمة فوق سوق الآجام غارقة، والأزهار في أغصان الهوى المورقة متفتحة ندية، والورود تطل عليها مزهوة مشرقة، وضوت الدنيا بسحر خالقها في تألق وبهجة وهي صامته، ثم هاجت في عنفوان وغضب مضطربة متحركة، تلك لحظة في تاريخ الأزمان والعصر جد فارقة، حيث كانت قوى الخير سعيدة قادمة، وقوى الشر والعدوان قد رسمت فوق ملامحها الغليظة علامات اليأس وهي عابسة، تولي ظهرها من قوى الحق والعدل هاربة مارقة، والزهور والورود يلامسها دفي الشمس وضوء القمر، و"الحسناء فتاة الحقل وعروس نخل الصعل رشا" الى جانبيها شاردة، وكان متناهي الصغر يبدوان في صورة سحرية عجيبة، تسر لهما النفس ويسعد لمقتهما القلب وتبتهج العيون حين تقع عليهما فتصير قريرة لامعة بضوء الرضا والهناء، وقد افترشت الرياض في حجم عقل الإصبع كائنات كثيرة واضحة جلية وهي ظاهرة على هينات وصور غريبة، والفتاة صاحبة البستان والجدول سلمى ذات الرداء الأخضر وشقيقة الرحالة في حالة من الفرع مريبة، لما اهتزت غصون الأشجار حينما داعبها النسيم، وتبسم الرحالة حينما رآهما، والله تعالى بحال الجميع آنذاك وفي كل الأزمان عليم، فتعجبت أخته فتاة البستان وصاحبته وساحرته الفاتنة وقد رآته ينظر إليهما وكأنه يعرفهما جيدا، أو فلتقل أنهما أصدقاؤه منذ غابر الأيام، ولم تتغير دهشتها، ولم تتلاشى علاماتها المتجلية فوق قسماتها الساحرة الفاتنة، ودنت منه ثم سألتها في تطلع وفضول شديدين وهو ذائب في سحر الخميعة العظيم، الذي عانق البدر في علاه، ورأى السعد طيفه، وكان يمعن النظر إلى الكائنات الصغيران، يبتسم لهما ويأنس بها، وفي قسماته تبين علامات الحب والعشق والمودة تجاههما، سألتها شقيقته فتاة البستان وزهرته الندية:- هل تعرف هذان الكائنين

العجيبين يا أخي؟! فقال الرحالة وقد وضع يده فوق رأسه، وبان في سحر طلعتة كالبدر وهو هائم في الوجود والأكوان، حين تكشف أسنانه البيضاء اللامعة وهي تطل من مبسم الحياة الضحوك، حينما كان يداعبها شعاع الشمس الذي يبرق فتبين تلك الأسنان مصفوفة منتظمة تنطق بالطهارة والنظافة، ويشع منهما الأمل ومن قسما وجهه يطل تارة الفرح وتارة الوجل: - ماذا الم بك فتاة البستان سلمى ذات الرداء الأخضر شقيقتي..... سلمى الحبيبة؟!، ألا تعرفين متناهي الصغر وشقيقته، شعرت الفتاة أنها تحلم، وقالت في دهشة وذ هول: كم إنني سعيدة أن رأيت متناهي الصغر، مرحى بكما في رحلتنا بلا حدود فتبسم الصغيران وقالوا: - مرحى بفتاة البستان شقيقة البطل الرحالة عبد الله المطيع، وكان النحل حينئذ يمتص الرحيق من الأزهار، والحدث في الليل وفي ضوء النهار، تتداخل الأزمان حين تتقلب آلة الزمان والمكان بصورة عشوائية في حسابات البشر، وصورة وصلت في الدقة غايتها في حسابات رب الكائنات والبشر، حيث تحولت آلة الزمان والرحلة إلى شاحنة عملاقة، لما تقلبت تلك الأخيرة في الهواء، وكان يصحب تحركاتها دعاء واستغفار، وكأن لحظات الموت والنجاة اتخذت هنالك القرار، وكانت وسائد تلك الشاحنة ومقاعد لها قد جهزت بطريقة تحمي راكبيها من الخطر، واستخدمت في صناعتها آليات ومواد ناعمة لمساء، وتجهيزات ووسائل حماية جوية وأرضية وبحرية، تلك شاحنة تقاوم الزلازل والبراكين والحوادث، وتغوص وسط الشمس وتبحر في القمر والمجرات والنجوم، تتحرك والسماء صافية الأديم أو في حالات الغيوم، تحترق السحب والحجب وتشعل ضراما من الشعل واللهب، حيث تتقلب وتصطدم بسوق الأشجار والجبال والطرق والبنائيات، تعانق ناطحات السحاب وتتقلب وتتحوّل لكل الهيئات، إلى سفينة فضائية وبحرية، وكوكب دري ومزهرية، إلى غواصة وطائر وبساط ريح و.....و.....، وتغوص بالبحار والأنهار والمحيطات فتحمي نفسها وقاطنيها من المياه والحرارة والشمس، وتتعمق في رحلتها داخل القمر، هذا وقد أعملت الموجات الحاملة والناقلة بها أثرها، وكان لها جناحان عملاقان تستخدمهما لحظة الضرورة وساعة الخطر، وإطارات منتفخة من مادة لا يصيبها المناخ ولا تؤثر بها العوامل الطبيعية والصناعية بضرر، انحرف القائد صبري الطيار الطائر بها يمنة ويسرة ثم إلى أعلى وإلى أسفل، وكذا تنحرف هي بنفسها وتتعمق في الأزمان، تجمع الأزمنة وتمضي إليها، وكان قائدها بعد هذه اللحظة عبد الله الرحالة، والذي قد أطلت الرحلة عليه، بل شمله سحرها وبهاؤها، واحتضنته كذلك قسوتها، وشمله لينها واعتصرته شدتها، وعانقه صبري وسلمه القيادة بفخر وود وحب وطمأنينة قلب، وهي رحلة شملت كل المتغيرات والحالات، تلك التي حملت القلوب والأبدان، تميزها الأشكال والألوان، ويدل عليها مضيقها قدما في دروب الحياة ومختلف الأزمان، وفيها قد عاش عبدا لله الرحالة في بيئة فقيرة، وأسرّة تعاني من الظلم والاضيق والحرمان وضيق ذات اليد كما أغلب الأسر التي تقبع تحت حكم الساحر الشرير والنوارة والنسر، ولقد عمل المسكين كحال آبائه وأجداده بكل الأعمال المضنية المتعبة، كافح من أجل تعليمه، وجمع نفودا لا تكاد تسد احتياجاته البسيطة والأساسية في

ظل عناء منقطع النظير، وهيمنة من فجرة لا يعرفون الا القوة والبطش في التعامل مع الكائنات، فيما يقول عقلة الإصبع وهو بجوار متناهي الصغر:- أن هذا تقصير من الناس فترد عليه أماني حيث رفيقتها متناهية الصغر معها:- أي تقصير هذا الذي يؤثم به صاحبه الذي يسعى جاهدا لاكتساب عيشه، ماذا تفعل الكائنات المسكينة المغلوب على أمرها لترضي غرور الحاكمة التي تسلطت عليها حتى تؤمن من مكرها وبتشوها؟! ولماذا لا تتحد القوى، ويميل ميلا لا تبقى معها من ذنوب الفساد شيئا يذكر، ومن أذنا به أي متسلط جبار، بل تمحو فساد القتل من سجلات القتل الفجرة من ذاكرة الأيام.... فنظر الرحالة عبد الله باسماء وهم يتناقشون ويتحاورون، وكان معجبا أيا عجب من صغر حجمهم، فبادله عقلة الإصبع وأماني ومتناهي الصغر ومتناهية الصغر البسمة والنظرة، والرحالة عبد الله المسكين يهيم على وجهه في عوالم لا يديرها وأياما كم يبكيها، ويحمد الله أن رزقه تلك الصحبة في هذه الرحلة الممتعة الشيقة، والحزينة والسعيدة، والشقية والمنعمة والترتية والمملة، رحلة تجمع جميع المتناقضات، فيها ما مضى وما نعيشه وما هو آت، ولا تزال أفواج وجماعات من أبي قردان وأبي فصادة والبطريق والهدهد وطائر أبي العنز وهو اللُّقْلُق العملاق والكائنات برمتها، لا زالوا يحلقون تحليقا حرا منسابا سلسلا في الفضاء الكوني لانهاهي الامتداد والاتساع، والرحالة بها كالوردة كالزهرة كالخميلة، كم غرست الابتدائية فيه كل المعاني الجميلة في بادئ عمره وأول عهده بالحياة، لكن أرواحا عديدة تسيطر عليه في كل زمان، فهو يسكن كل نبض فيحيا حياة كل شخص وكل كائن وموجود من الموجودات وخلق من خلق الله تعالى، كما عانى الحرمان، وتنقل بآلته الزمنية والمكانية عبر الأمكنة والعصر والأزمان، كان خجولا بكل ما تعنى الكلمة من معان، وكانت ملكة النحل تحمل له ودا بكل صنوف الحب والألوان، أحبه معلموه وأصدقائه وجيرانه، كل الناس أحبته وأخلاؤه، لاقى الويل من أرباب الأعمال، عمل في شتى الأعمال ولاقى الأهوال، وحمد الله تعالى على أي حال، ولكنه كان سعيد الحظ أن تلقى تعليمه على يد أفضل الأساتذة والمدرسين، من المعلمين الأول ذوي الفضل والإمكانيات العلمية والعملية منقطعة النظير، حصل على جوائز تشجيعية في الامتحانات التي يختبر فيها الذكاء وتقاس القدرات العقلية، جميل الخط، رسام، لاعب كرة قدم، وذا صوت جميل، لاعب كرة سلة وطائرة، محترف في ألعاب القوى، لديه ملكة التأليف، كافح ضد النواراة بجل ضيمها وضد النسر ابن عمها، والساحر الشرير والساحرة ريمة المسخران لأجليهما والتابعان حالهما والمنفذان أوامرها، حضر جميع الثورات، صديقه ملكة النحل، ومتناهي الصغر وشقيقتها، والهدهد والفيل والأسد والحوت والهرة والحديقة والروضة والبستان والحمامة والقائد والعالم وآلة الزمان وصاحبة البستان و... و..... وأطلت الرحلة على الروضة الفسيحة والفضاء العريض، كانت دائمة الانطلاق والغوص والسباحة، تسعى في الآبار والغدران والجبال والوديان والسهول، تشق الحجب وترزع وتقلع وتجمع وتحصد و..... والانطلاقة الدائمة و..... و..... و..... و..... نعم دائمة الانطلاق والتحليق والغوص والسباحة، تسعى في الصحاري والبيساتين

وادي الموت والجبال والوديان والسهول والتلال، تشق الحجب وتزرع وتقلع وتجمع وتحصد، كانت ولا تزال في زمن معين، مشرقة به الشمس ومضيء به القمر، مكتمل به البدر ولم يكتمل، دائمة الانطلاق والسباحة الفضائية، مستمرة التحليق والعدو والغوص والتنقيب، على حالها من السعي والإبحار والترجل والسفر المتواصل، تتقلب الرحلة في الأزمان والأماكن لا شيء يوقفها، في الدنيا والآخرة، تحلق وتعدو، وتمشى في تريث وتمهل وسرعة وعجلة، وتغوص وتخوض وتتعمق وتنقب آلة الزمان والمكان المصاحبة لها، يبين على متنها الحكيم في وقاره المعهود، وهندامه المتشكل والمتغير، حيث يظهر وبجانبه العالم والمخترع والفلاح، وفي مشهد الأحداث تبين الفتيات والفتيان والطيور والحيوانات، وتكسو الحشائش الأراضي والحدائق، فتبين البسيطة خضراء مورقة، والنسيم يهمس للكون، يداعب الأوراق والزهور والورود، وخصوص النخيل يتجلى في روعة، فينعكس ظله في صفحة المياه لدى نهر الحياة والموت، وبحار الأمواج المتلاطمة والهادئة، وها هي تموج المياه في اضطراب ثم تعود لحالتها من الهدوء، وترسل الشمس أشعتها الغاربة الدافئة، والقمر يرسل بريق ضوءه المنساب، والرحالة يغازل الحسنة ويلقى إليها أبيات متدفقة من شعر النسيب، ويلقى الحبيب الحبيب، وفتاة البستان تبسط كفيها ليقف عليهما الصغيران متناهي الصغر ومتناهي الصغر وكذا عقلة الإصبع وأماني، وملكة النحل على عهدا من التحليق المستمر في رحلة العجائب تجوب الأكوان والدنيا والآخرة والبعث والنشور وحياة القبور، لا تتوقف أبدا..... تلاحقها وتلحقها الكائنات وذكور النحل والإناث والوصيفات الجميلات والشغالات المجتهدات، وتلحقها وتتبعها كذا جميع الكائنات والطيور والحيوانات المحلقة بدون أجنحة وبأجنحة، تحمل الجميع الموجات الحاملة والناقلة، وتتفاعل الجزيئات الزمنية والموجات المكانية فتخلق بأمر الله أزمنة جديدة في المستقبل والماضي والحاضر، ثم تجمع آلة الزمان الغيوب الدروب بأمر الرحمن إذ قال للكون كن فكان، وهكذا وأكثر تنطلق الرحلة لا شيء يوقفها، في كل العصر ساحاتها ومسارحها، وفي كل الأماكن والروضات والبيد والغيد وكل الكون والدنيا والآخرة، لا بداية ولا نهاية لمواقفها، بها آلة الزمان ترافقها، والأحلام والأمانى توافقها، وكان زحف الرحلة وانبعاثها وتحليقها وغوصها وتنقيبها لا ينتهي، ولقد عاش عبد الله الرحالة في أسرة فقيرة بها، ومعه الحسناء وشقيقته فتاة البستان وأصدقائه ومنهم الفارس النبيل والأمير والفقير و....و... وأصدقائه من الطيور والأنعام والحيوانات والكائنات المتنوعة والأسماك والحدائق والربا، حيث قضى عمره منذ نعومة أظفاره في الأعمال الشاقة المضنية، حتى يتحصل على قوت يومه وأسرته، ويساعد والده في مواجهة قسوة المعيشة، حتى أنعم الله عليه والكائنات بهذه الرحلة المباركة، وكانت الأم تمنع الزاد والشراب والأكل عن نفسها لتطعمه وتسقيه أولادها الصغار وفلذات أكبادها، وكان كل ذلك وأكثر وهو لا يزال طفلا لا يدري عن الكون المحيط به شيئا، غير تلك الطيور التي تحلق في السماء وتحط على الأشجار مغنية مغردة وصادحة بالأمل المنشود، وملكة النحل صديقتها وهي تلقى إليه بحنانها ودفى مشاعرها، وتشاركه مآسي الحياة

وأفراحها، تلك الملكة البديعة الرائعة التى تطوى الأماكن والعصر تتبعها الذكور والإناث والشغالات والوصيفات والكاننات جميعها، ولكم عانى المسكين من ويلات الحياة، وظل به الحال هكذا وهو يحمد الله على الضراء قبل السراء، فشق طريقه الصعب الوعر ونازل الملمات ولكن نزال الراضي بحكم الله، برفقة أصدقاء عمر كانوا سلوته وعزاه في دروب الحياة المليئة بالأشواك والورود،، يحيا وسط مجموعات من الجيران والأهل الطيبين اللذين قد عشقهم لأبعد الحدود، بل تجاوز حبه لهم كل الحدود، ولاقى الظلم من القائمين على الحكم في جميع العصر، ويكفى ما واجهه ويواجهه من تقلبات الدهر ومصائر الأيام، فتى هواياته لا حصر لها وهو بارع بجميعها، تعرض للقهقير من كثير من صنوف البشر، ومن قوى الشر المستبدة برأيها والطاغية بتسلطها وأنانيتها، وكان ظلمهم له سببا في إبعاده عن الرحلة، كان يعمل عاملا وبائعا و.....و.....و.....نعم لقد شغل جميع الأعمال الشاقة التى يتصورها عقل، تعرض للمشقة والعناء والشقاء والتعب والحب المتبادل والبسمات والمعاناة.....و.....و.....، عمل عاملا عاديا ومزارعا ومساعد بناء وحارثا للأرض مقلبا لها بفأس الاجتهاد والصبر، كان يتقاطر منه العرق ويقطر كالأنواء، وهو ممسك بمعول الحياة ومجرقة الزمان.....و.....جامعا للذهب الأبيض من القطن.....و وكان يلقى الويل من رؤسائه في العمل، ويعود فيستأنف الرحلة بلا حدود والتي لم تتوقف من الأساس، ولكم ضرب وأهين من هؤلاء الرؤساء والإقطاعيون والملوك والأباطرة وحراس السجون والكهوف والرؤساء والسلاطين والمحتلون و.....و.....ضرب بالسوط والعصا واليد والقدم والآليات الحربية والقاذفات المعدنية والرصاصية وغيرها، لكم صعق بالكهرباء وتعرض لشتى صور التنكيل والبشاعة والتعذيب حتى غرق في يم من الوجع والحزن والغم، بل غرق في بحر لجي ومحيط سرمدى أساسه بحر يوسف الكائن بعروس الرحلة درتها وجوهرتها وبوهرتها عزبة عبد الواحد النواره النسرة وأبعدية سيف الدين العادل الرادع، و.....و... وكان يرد على المعتدين وها هو يفعل، نعم يرد سبابا بسباب وقذفا بقذف وضربا بضرب، حيث كان لا يخاف في الله لومة لائم، ولكم تعرض للظلم المجتمعي والطبقي، ولاقى الولايات وألوان من التعذيب في غياهب الكهوف المظلمة المرعبة برفقة الجان والتي بناها الساحر الشرير والعجوز الساحرة ريمة لتأديب من تسول له نفسه معارضتهما، معهم النواره والنسر وابنهما الضال وكم حاولوا السيطرة وفرض الهيمنة فلم يفلحوا، وكانت الغلبة دائما لزحف المقاتلين من كاننات الرحلة المتنوعة الشاملة، والهجمات المضادة من قبطان ربان السفينة وقائد كتية الإقدام لإبادة الظلم والقضاء على الجور، وعمل عاملا في المصانع والحدائق والمتنزهات وشركات المنتجات الغذائية وغيرها ومصانع الحديد والمخازن والأسواق و.....و.....ونظرا لمعاناته الشديدة التى لا يزال يتذوق مرارتها ويحمد الله عليها بل ويستلذ لها، لأنها حب من الله له واختبار لمدى قوته الإيمانية، لا يزال يعاني، ونظرا لظروف تربيته القاسية لأبعد ما تحمل الكلمة من معان ودلائل، نظرا لكل ما تقدم.. أثمر عقله وفكره وقلبه وروحه ووحيه إبداعا خلقا، ولا تزال ملكة النحل والطيور والكاننات تحلق بالفضاء وتخطر على وجه

البسيطة وتغوص في المياه وتخرق حجب المستقبل بعون الله، وتذهب للأخرة والبعث والنشور وحياة القبور و....و.....انطلاقها المتجددة أذهلت الدنيا والآخرة و....و.....قاطنو الرحلة لا يزالون على عهدهم في جميع أرجاء آلة الزمان والمكان التي لا تتخذ شكلا ثابتا ولا هيئة متعارف عليها على الدوام، كل الصور والهيئات والأزمنة والجزيئات تتخذها هي، سفينة تجدها وكوثر عسل ونهر أمل وشخصا وكأننا وموت نفس وحياة طفل، وشعاع أمل، حيث بها يبدو سعد الفتى الجميل وهو يخطر هناك في النورة والنسر عزبة عبد الواحد، ينعطف وينزوي عند الطريق المار بين الزرع والشجر وجدول السمك والكاننات الغربية، وقد سبح الجان خلفه في هيئة غير طبيعية وهو يحجب الرؤى، يلاحظ الشاب ذلك فيلتفت خلفه ويرى ذلك الطيف وتلك الظلال الحاجبة لمدى الرؤية، ليجد كما ترون كأننا غريبا تستقله وتركب متن جناحيه بل أجنحته كائنات مرعبة عيونها جاحظة تبرق بها النار وتشتعل، ووجد فوقها الساحر الشرير يوجه جموعها ويدفع الطائر العملاق ذلك لتحليق قسري موجه، موجات مرتعشة تغطي الوجوه مصدرها بحر يوسف وهو البحر المتحول لشتى أنواع المسطحات المائية وما أبعد، يضحي محيطا وساح جنة وكوثر حسن وبريق أمل وجان منية وموت، وجداول الأمل تسري وهو مصدرها، وعيون الحسن تمضي وهو مبعثها ومرسلها، استعان سعد بالله تعالى وبآياته المحكمات، فوجد الطائر العملاق ذا الأجنحة قد تحول إلى بساط فاطمة الطائر ومن فوقه وعلى مسطحة الحريري يجلس العالم الجليل وحكيم الرحلة وشيخها وسندريلا وأم الرحلة والفيلسوف والشيخ والدرويش، فنأى الرحالة:- هلم سعد، تعال، هذا يوم الفوز. تبسم الفتى وضحك وكركر أن امتدت له يد آلية حريرية كأنها جناح طائر ووسادة راحة ذات أريج، لكنه وجد نفسه يطير ويحلق تحليقا حرا، فيما تحولت الرحلة لتوها لتصبح عوالم أخرى، وقد كان سعى الرحالة طويلا وممتدا، حيث الشمس ترسل أشعتها المحرقة أحيانا، والدافئة أحيانا أخرى، إنها تداعبه تارة، وتكويه تارة أخرى، متقلبة هي كالزمان، وكالأقدار الجارية في سالف العهد وهذا الأوان، هذه الرحلة التي لا نهاية ولا بداية لها تخرق حجب المستقبل وتعود للماضي وتعيش حاضرا تجمع به الغيبات الثلاث، وانطلاقها المتجددة أذهلت الدنيا والآخرة والبعث والنشور والجنان والنيران، بها قاطنو الرحلة وكل مرتحل بها، وو بها أهلها وكنائنها من جميع الأنواع التي يمكن تخيلها، بها مالا نهاية من الأفراد والمجموعات والكاننات في الدنيا والآخرة، بالفعل لأن أبطالها الكائنات والشمس والقمر والنجوم والمجرات والمجموعة الشمسية والبعث والنشور والأعداء والأحباء والمؤمنون والكافرون والرحالة والهدد وفتاة البستان والحكيم والعالم الجليل والجمال والفهد والشيخ الطيب وصديق الرحالة عبد الرحمن ومتناهي الصغر ومتناهية الصغر والأسد والذئب والحسنة وحسنة القسمات ومشرقة المحيي وأبو قردان وأبو فصادة والسفينة والأنبياء والمرسلون والعلماء والجهلاء وحسنة الخصال وسيئة الخصال وأم الرحلة ووالد الرحلة و.....و.....و..... والطبيب والمهندس والمباني والعقارات والبحار والمحيطات والروابي والصحاري والجبال والسهول والوديان والطيور والأنعام

६२०

الرحلة من أهوال، ومرتزن النفس، ضاحك مستبشر، وعبوس يائس، لكنه ملم بكل شيء، لا يتأثر فكره وحكمه باضطرابات الحياة والأزمان التي يمر بها، يبدو أن العصر التي تداهمه وتلاحقه تركت أثرها عليه، وتكونت شخصيته من أحداث خاضها ويخوضها، تتحول الرحلة وتتشكل في الأزمنة والأماكن، وهو ثابت الهيئة والتكوين أحياناً ومتحول أحياناً أخرى، ضخم الجثة، وكأنها تكبر وتتضخم مع مرور الأزمان، ونحيف ضعيف، لا تعلم وكأنه ولد هكذا، حكيماً مسناً تجاوز العصر جميعها إلى الجنان والنيران.....و.....و..... ثابت الشكل والهيئة أحياناً، ومتغير لا تعلم لهيئته ثباتاً تارة وأحياناً أخرى، هذا لا هو المكتوب ولا المنتظر، إنه ما قدر على جمع ولم يقدر على جمع آخر من الكائنات والبشر، ولكن هذا هو الواقع في رحلة لا أسس لها ولا أطر من قبل البشر، أو قل أنها في غاية الإحكام والدقة المتناهية من قبل رب البشر، رحلة فاض خيرها وملأت سمواتها وندياها قطرات المطر، فاكستت الأرض بالخضرة الدائمة وتجلّى الجمال في أماكنها المختلفة، ونطقت بها الزهور والورود فشاركنا المتعة المتجلية و.....و.....ملكة النحل: قائدة الرحلة الأولى ودليها ومتعتها اللانهائية، لا تزال محلقة في كل الأزمنة والعصر، تنتج العسل والشهد، تؤسر قلوب عاشقين، وتبين في جمال أخذ تتخذ جميع الأشكال الجمالية وتبعد وتقترب وتظهر وتحتفي وتختفي، تترين في تحليقها المتواصل في سموات الدنيا والآخرة والبعث، تعيش كل العصور وتتقلب فيها في رحلة بلا حدود، هي آلة الزمان التي تتشكل وتتحوّل وتتهيا في جميع الصور الممكنة، تقود الرحلة وتتبعها آلة الزمان والكائنات المحلقة والخطرة، تسعى الذكور إلى الزواج منها، ومن يستطيع مواصلة العدو ويتجاوز ويطوي المدى خلفها يتزوج منها وهي في غاية الجمال، يقطر منها الشهد، وفي قسماتها حلاوة وطلاوة منقطعتان النظير، يحلق خلفها كذا الحيوانات والطيور والشغالات والوصيفات والكائنات جميعها والرحالة والحسنة وأم الرحلة والأفواج والأمم و.....و.... وصاحبة البساط الفتاة الضريرة وفتاة البستان شقيقة الرحالة.....و.....و.....، وملكة النحل يحبها الصغير والكبير والرياض والبساتين وهي تعشق الرحالة وتدب وتخطر وتنشأ بينهما صداقة عبر العصور لا نهاية لها، وهي دليل الرحلة ومتعتها اللانهائية، إنها ملكة من طراز خاص، ونوعية فريدة، هي كل الجمال الذي يتخيله العقل و.....و.....و.....الثائر البطل: لا يقبل ضيماً، يثور ليهدم منظومات الفساد، يجاهد طالما بقي في صدره نفس، ينطلق لسانه دوماً بالحق أبداً ما أحتبس، يشارك في جميع الثورات عبر الأمكنة والأزمنة والعصر، صديق الرحالة ورفيق دربه وأبن عم الحسنة، يحب متناهي الصغر وشقيقته ويشغف بهما أيما شغف، يعشق طلعتيهما، ويكن احتراماً بالغاً للشيخ الطيب والحكيم والعالم الجليل والقائد المحنك صبري الطيار الطائر و.....و.....و.....يكره القتل الخونة الفاسدين.....و..... قائد جميع الثورات والفعاليات الثورية مجاهداً لأبعد ما تحمل هذه الكلمة من معان، ناصر للمظلوم من بعد رب العالمين، حضر جميع المظاهرات على مستوى الكون، وساهم في إجلال الظلم والقضاء عليه في كل الربوع والأماكن، يحب الرحلة وقاطنيها، وهو منارتهم وأداتهم لتأديب الظلمة

الخونة من الحكام على مر الأزمان.....و.....و....فتاة البستان سلمى وذات الرداء الأخضر
الربيعي:شقيقة الرحالة، وهى كالنسيم الهادئ المترقرق، تبين في إشراقها كالبدر الذي يتكبد
السماء، وكاللولؤ المكنون، والجوهر المصون، تحب أخيها حبا تجاوز السحب، وتتمنى
رؤيته على الدوام، صديقة الحسناء ورفيقة دربها، وسلوتها في الحياة....و.....و.....، تبين
كالقمر والنجوم والبساتين والرياض، تؤسر القلوب وتهمس للعالمين بهمسات الحب
والغرام، في شخصها تبين كل المعاني الجميلة والقيم الرفيعة، ارتقت لجميع الدرجات
العلمية، ودرست كل العلوم والفنون، صديقة للحسناء ورفيقة لدربها، وتعشق أمها. أم
الرحلة. وترتبط بها ارتباك العاشق بالمعشوق، تطير مع الرحلة في بستانها الطائر، فهي
فتاته التي قابلت فيه متناهي الصغر وشقيقته، صديقة صدوقة لملكة النحل والطيور
والحيوانات والأنعام والأسماك، تحبها الساحرة الطيبة، وتحاربها وتحارب الرحلة الساحرة
الشريرة، وتعشق فتاة البحار والأنهار، وتغوص معها ورحلتها بلا حدود في عوالم بحرية
بصحبة ك الكائنات ومتناهي الصغر ومتناهية الصغر.....و.....و....العالم الجليل هو قائد
العلماء وسيدهم، وكبيرهم الذي يأترون بأمره، وأكثرهم خبرة ودراية بكل المخترعات
والقواعد العلمية، صاحب الثورة العلمية الخلاقة، وله إنجازات عبر العصور في المستقبل
والماضي والحاضر، هو كل الشخصيات العلمية عبر العصر والأماكن، جميعها متحدة
ومجمعة في شخصه المبدع، صاحب معامل اختراعات متنقلة مع الرحلة في كل الأزمنة،
المثل الأعلى للرحالة ودليله، قائد الرحلة والمساهم في إضافة الجديد إلى آلتها الزمنية التي
هي من خلق الله سبحانه وتعالى، ثم جعل الله الأسباب مثل مجموعات العلماء والكائنات
الفضائية والمكونات الطبيعية والسحرة والمخترعون العظماء و.....و.....و...، ذا عقلية
علمية وعملية منقطعة النظير، دائم التجديد والابتكار، يطور دائما من إمكانيات الآلية
الزمنية، هادئ الطباع متأنى، متزن، راجح العقل ونير الفكر، يعشق الرحالة والكائنات
جميعا ويكن احتراما بالغاً لملكة النحل والملكة والسلطان، يقدر الحسناء وفتاة البستان
وحورية السماء والفتاة المسحورة والساحر الطيب،.....و.....و.
الشيخ الطيب: من حفظة كتاب الله هادى الطباع مبتسم، راض بنصيبه وقدره، كهل عجوز،
وشاب يانع فتى، وطفل صغير لم يبلغ الحلم، تراه على كل الهيئات تبعا لتحويلات الرحلة بلا
حدود وآلتها ذات الزمان والمكان المتحدين المتلازمين، يؤمن بالحق ويتبع سنة الهادي،
ﷺ، ويعشق كل الأنبياء والمرسلين جميعهم...و....دائما ما يهون على متناهي الصغر
وشقيقته وفتاة البساط السحري الضريرة فاطمة ومثيلتها فتة، وكل الكائنات بتلاوته الدائمة
لكتاب الله، وتفسيره إياه، وسرد سيرة النبي وأحاديثه ونهجه في الحياة، وسرد القصص
المسلية على مسامعهم، تحبه جميع الأطفال وكذا الكبار....و.....و....، يلقى الويلات في
المعارك الحربية لكنه يصمد فيها ويستبسل، ويعذب بشتى أنواع التعذيب عبر الدهور
والعصر، ثابت على مبدأه لا يغيره، وما كان من الظالمين إلا أن أطلقوا سراحه، يقول كلمة
الحق ولا يصمت، ويرى أنه وراء الصمت يأتي الانفجار، وأن الكلام أفضل منه طالما كان

في الحق، يرى أن من يكتم ما بداخله من قيم الحق والعدل والخير والمساواة فإنه شيطان أخرس، ربما ينفجر بكل ما يحمل من صمت دفين يحوى في طياته كتباً من الكلمات، وسطوراً من الروايات....و.....و.....أم الرحلة هي مثال للأوممة الحقيقية، تتغير هيتها وطباعها على مر العصور، لكنها تظل الأم الحنونة المثالية، التى تتفانى في تربية أولادها، وجميع من بالرحلة والدنيا والآخرة والبعث والنشور وحياة القبور أبنائها وبناتها، رقيقة القلب، رطبية المشاعر، حنونة مضحية لأبعد الحدود، متفانية بكل ما تحمله الكلمة من معان و.....و.....و.....وهى أم الرحالة وفتاة البستان اللذان يتعلقان بها لدرجة الجنون و.....و.....و.....بلا مقدمة:.....ولكل شيء مقدمة أما هي فلا، تنساب في جرياتها كالماء.....ولما لا والله خالق كل شيء، خلق الأرض والسماء، هل توصل العقل البشرى لعلم بلغه رب البشر؟! وهل شهد نشأة الكون وما قبله وهل للخلود نهاية تنتظر؟!، وإن كان كذلك فلماذا سمي خلوداً؟! وبما أن الرحلة بلا حدود خالقها الله جل في علاه، فهل يعقل أن يكون للرحلة مقدمة ونهاية؟! وهل تدرك لله سبحانه وتعالى وجل في علاه نهاية؟!.....حاشا لله فهو الأول لا شيء قبله والآخر لا شيء بعده وهكذا الرحلة وهى من الله أما الرحالة فهو من خلقه الله في أبهى الصور وأجملها سواء تؤول إليه كل الصفات الجميلة والخصال يخترق بأمر ربه كل العصور والأزمان ويذهب للآخرة ويزور الجنان المتحول دائما لكل الصور، الخير يقابله ولا يتبع الشيطان، ولقد فاق الرحالة الوصف في كل الخصال وطوت نفسه كل المعاني والشخصيات الخيرة عبر العصور والأزمان من حكيم ونبي ورسول ومهذب وطبيب وشاعر وروائي وعامل وجراح ومتعبد ومغامر وعاشق وساهر ونائم ومتيقظ وحالم ومبتسم وضاحك وحزين وماهر وفلاح ومزارع ورياضي وصائغ وسابح وخاطر وفارس ومحارب وعالم وشيخ وحاج وطيار وأستاذ ومعلم ومحفظ للقرآن وحافظ ومنشد ومرتل وأمير وفارس ومهندس ومصمم ورسام ومحكوم وحاكم مقسط وعادل ومتحول وخاطر ومبحر ورحالة عاشق و.....و.....و.....بلا تمهيد فهي بلا بداية، إنها غير أي حكاية، هي لا مبتدأ ولا خبر لكنها تشمل كل الروايات وأبعد وأكثر، فهي القلب تؤسر، ونحن لها نؤثر، هكذا قال الرحالة، وحسنا الخصال تنظره، والكائنات تستمع إليه، وتشهد حركاته وسكناته ثم أردف وأضاف: رحلتنا بلا حدود هذه في بحورها تتلألأ الدرر...وفي أنهارها الماء منهمر.. وشق سطوحها أمواج وجزر، وغابت في آفاقها أحلام العمر، ثم تجلت يحتويها الأمل.. تدور..... ودارت... وستدور والنصيب مكتوب ومسطر... تنقب... تخوض.... تحلق... تطوى المسافات وتلقى بالندى... تجمع الأزمنة والأماكن تذهب إليها أو تأتى هي إليها وتوقد الشرر...رحلة للهواء أو مزيج من الهواء والشقاء.. بأمر الله تعالى في مسارات مختلفة تسعى في البر وفي النهر، مستمرة الى الأبد، ولا نعم لها بداية، ليست لها نقطة انطلاق ولا نهاية مرسومة في سطر يليه سطر....هل وصلنا للعلم الإلهي...بالطبع لا... من أنا ومن هؤلاء؟!!!!!وما سر تلك السعادة؟!!!!!ولماذا هذا الحزن؟!!!!! إنه مزيج من المتضادات والعبر.... يا للعجب...أواه يا ليل...يا لحزني...يا

لسعدي ولكم دقت أبوابي أجراس الخطر...لست بحزين ولا سعيد...أنا غاضب مضطرب باك
نشوان محتضر...كاره.. محب طائر مغرد ولتحقيق الأحلام منتظر...الرحلة خالدة.. أوقفوا
زحف الأشرار الأمل في وجه الله فقط...لن يستطيعوا منع الأحلام والرحمات الإلهية
والأنواء والمطر...كانت الأفكار تتدافع في مخيلة الرحالة وفكره وتدور في خلده متزاحمة،
في ذات الوقت الذي كان لا يرى فيه الا صورتها الجميلة ترافقه أينما ولى، الحسناء طيف
حلم جميل وزهرة عشق أصيل، وقيثارة نغم خالد، حيث كان يسبح ويخطر ويغوص وينقب
و...و....وسط الكائنات والمخلوقات فيما سألها أفرادها وجماعاتها عن حالها وكيوننتها
ومتى بدأت، فقال والابتسامة تكسو وجهه المشرق وبصره ينتقل دوارا ليستقر لدى
الحسناء، مشرقة الوجه بديعة القسمات، وتلاقى الشعاعان واتقدت القلوب، وهام الوجدان،
وسر الكيان، وتأججت المشاعر قبل أن يقول المغامر متعدد المواهب: تعيش اللحظة بلا
مقدمة لها ولا نهاية منطلقة في حاضرها، جابت الفضاء وتخطت كل الحدود بانطلاقتها في
الماضي، وستطوى بحول الله وقدرته الزمان والمكان بتحليقها وغوصها في المستقبل
الموعود، غاب الرحلة في ذلك الوصف وهام في سحر ما يتفوه به مبسمه ويشرحه عقله،
وبدا قلبه كأنه متجليا كالكتاب المفتوح والذي تهمس صفحاته في ترفق ولين لتشرح
للعالمين ما بسطورها الذهبية الماسية المرمرية وأستطرد الرحالة مكملا ما يمليه عليه قلبه،
وما تفيض به عواطفه ويكنه فؤاده من جوى وسعد وحزن وفرح وخيال وحقيقة ومشاعر
متأججة قال الفتى والكائنات تستمع إليه: شوقي إليك يا ربى البستان، متوقدا في الزهر
والأفنان، وكان كل خميلة حين التقت، بجميل شعري عانقت نيرانى، فأطفأت على الدوام
لهيبها، إن اللهيب مع الحبيب نسيني، فذاب حزني بالجمال وسحره، وكان سعد العالمين
أتاني، وتبدلت حين التقيتها شقوتي، وأضحى الهناء عازفا ألحاني، بستان أملى قد تهادى
ظله، وحيا الربيع بمشهد مزدان، وحط الحبيب بصفحة وضاعة، قد أجلت ظلماتها البدران،
فالصفحة البيضاء يوما شمساً، ومشرق قمر بليل زماني، بدرا أطل في ليل الدجى، وفى
عينيك كان بدر ثان، أيا نسيم ترفق على بملمسك، أشفى من الجروح والأشجان، وكن رطيبا
بالحبيب ولينا، كلينك المعروف بالأغصان، وأسرد على كل المسامع قصة، بلا حدود تخطت
الأزمان، وتبدى النور في قمريها مرتسما، فلم يتمالك نفسه ولم يجد بدا من أن يقول:- في
عينيك ألمحها الدموع، قمران أضاءتهما الشموع، أتراها هذه الأحزان تنجلي، وتتولى دونما
رجوع، أم تخالط قلبي ومهجتي، ويصيب كيائك الخنوع، وأنني أرى أنك لو، خفت القمر
فبدرك سطوع، وحين تندثر ضياؤه وتتلاشى، فقمريك منارتين تهديان الجموع، يخفق قلبي
حين رؤية الجمال، واهتز لهما سوق الزروع، وتصير رجفة تعانقتي، لكنما لا يعانقتي
الخنوع، فجبهتي ركعت لرب الورى، وليس لسواه خضع الركوع وكان الأمير يناجى في
ناحية أخرى من الحدث حورية السماء حينما تحولت إليه الرحلة المتحولة بآلتها الزمانية
حيث كان يقول وبعدهما فرغ من وصف سحرها، وغازلها وبادلها أطراف الحديث، ومن بعد
ذلك خلا الى نفسه فهام في سحر الكون وأستطرد والفتاة تستمع إليه بصحبة كل الكائنات،

قال الأمير:- ساحرتي نسّمت أرسلها المساء، في صفحة تهادت من السماء، هفا لها القلب فعانقت طيفه، وكست القلب بهجة اللقاء، وسرت بالكون همسات سحر، نطقت بها، ربى تعانق الأهواء، وشهد الكون ميلاد أمل، تجلى بارقا يتلمس الأشياء، تلك الأمانى والأحلام التى، داعبت مخيلتي صباح مساء، سرت حقيقة بالواقع تجلت، إن السميع لمستجيب دعاء، فحينما إليه الناظرين توجهها، أمر السحاب فأنزل الأنواء، كن بالرحيم حسن الظنون وقانعا، يهدى إليك من الصخور الماء، قالوا رسمت جنتين على المقل، فأومأت باسماء وقلت: أجل، فبان سحرك بالقسمات والخجل، وشعاع عين باسم هزم الوجل، مترقفا من ناظريك وبالأمال قد اتصل، يا هاديا للمحرومين فيرتشفون من العسل، أنت لي بيت القصيد شعر النسيب والغزل، بحر الغرام ونهر الهوى ومداواة للعلل، حين أطل الفرح منك على الشفاه قد ارتسم، والنور شاع بريقه من وجنتيك وهذى قسمات الجمال أذاعت وتذيع بدايات الحديث ومختتم، قويت بها وشقت طريق فلاحها ونجاحها شتى الهمم، يا شاطنا لخلصنا أين الأناس...الأنعام أين؟؟!!!!.... أين الأمم؟؟!!!!.... نزلت ملكة النحل تحط هنالك وخلفها ذكور وإناث ووصيفات وشغالات النحل والطيور والأنعام والأسماك والنجوم والكواكب والكائنات، تشتم الملكة الرحيق، في حقبة زمنية معينة تجمع كل الحقب، توقد في ساحاتها اللهب، وقد بان كذا الحكيم وهو يصحو من نومه وقد أرقته الرؤى المزعجة، وأسعدته الرؤى الجميلة حيث حاول أن ينفذ عنه الأزمان والسنون التى يحملها فوق كاهله، مرفوعة فوق رأسه في مشيب كساها، وقد بلغ به الكبر حدا تجاوز كل حد:- رحلة لا بداية لها ولا نهاية، بها الكفر والهدى، والوسيلة والغاية. وكان صاحب عقل وله بالكون دراية، ضاحك مستبشر، وعبوس يائس، ومضطرب النفس حائر، لكنه يرفض الظلم، ويكره الظالمين القتلة الخونة، لو سنحت له فرصة لقاتلهم وخلص العالم من شرورهم، يحب التفاهم والتواصل، ويريد نشر قيم المساواة والمحبة والإخاء في الكون بأسره، يحب العدل والخير والحق والجمال، ويكره المتعطرسين المتكبرين، رحالة تعجب لأمره عاش في أسرة فقيرة، تلقى تعليمه الابتدائي في مسقط رأسه، يتمتع بمواهب لا حصر لها، وهبه الله سبحانه وتعالى إياها، يتمتع بصوت جميل، موهبته الكروية منقطعة النظير، لم تجد من يرعاها وينميها ويثقلها، ممثل موهوب، وموسيقى، ومطرب وأستاذ وطبيب، ورحالة، ومجاهد، وعلامة وعالم وشيخ، وإقطاعي عادل، وشريف ومحب وعاشق ولهان، ومتيم، بالإضافة الى مواهب أخرى لا حصر لها، من المناضلين ضد الظلم والطغيان والقهر،،وما تلاها من معارك، عمل في الحقول والبساتين بالأجرة، وجمع الذهب الأبيض من القطن،،عمل معلما بالأجر، ومحاسبا، وعاملا بالمصانع، وبائع خضروات، ومساعد بناء، وطاهي، وبائع أشياء قديمة، وحارس، وحاتك، نافخ كير، وصاحب شركات، وثرى يشعر بالفراغ، مدير، وفقير، وخفير و.....و.....و.....لا أدرى ما عسى أنى أفعل، حلت الهموم بالعامل الفقير المجاهد، وهو يسعى لاكتساب رزقه بعرق جبينه، في ظل ظروف قاسية ومعيشة في قمة البؤس والحرمان والصعوبة، ظروف اقتصادية صعبة وغلاء فاحش بالأسعار، وبطش من الآلة الحاكمة، وظلم بين من الخونة

الفجرة على امتداد الكون والأزمنة والأمكنة والعصر، يسعى العامل المسكين ليطعم أولاده، ويسد حاجاته الأساسية في ظل الفقر والحرمان والمعاناة، فيقول والدموع تسرى في مقلتيه وآلة الزمان تحلق به وتغوص وتنقب في خضم رحلة بلا حدود لا تنتهي، يقول المسكين المكافح المجاهد:- أسكن قفرا وعن الكون أعزل، أم أنزح بعيدا عن الورى، ويا ليت بعدها أحزاني تغفل، إنها تذكرني تطاردني يا للأسى، لن تتركني الأحزان حتى أقتل، أرجو توفير الزاد لفلذات كبدي، ما يسقيني وإياهم وما يطعمني سوى الله مسبب الأسباب الوهاب، حار دليلى وأراه انتهى أمري. فتقول له زوجته: أعانك الله، إنني سر عذابك، أنا السبب في حرمانك من كل شيء، فيبتسم العامل ويقول: وما ذنبك في كل هذا، إنها إرادة الله تعالى، أنت أُملي في الحياة ثم تزداد ابتسامته اتساعا ويردف:- لكنني لو لمحت طيفك، سررت مهجتي والحال تبدل، وغاب بريق الحزن اليانس، أمام شعاع أمل يتنزل، وسرت أحلامي واقعا يتهادى، ويهمس للنفس بنسيب وغزل، حينها أنسى أحزان قلبي، ويصير الفرح خليلى الأول. فتبتسم الزوجة بدورها، في الوقت الذي تفتersh فيه الشمس الكون وهى في غيابها وذهابها، ويقبل الليل ويضوى القمر فتذهب الزوجة لتحلب البقرة ومتناهي الصغر وشقيقته يتبعان ركابها كالظل، وهى عليهما تنظر وتطل، يودعون العامل الرحالة وهو ينظر إليهما والأسى والحرمان تبين علامتيهما عليه فيقول:- ثم يعاودني الحبيب بهجر، فيطل على الحرمان ويقبل، وأكتم جوى كاللظى بفؤادي، وبقطرات الدموع تسيل المقل، ويلهب كياني اتقاد العشق، فيكوى جوانحي من فرط الوجل. ويغيب المشهد عن هذه اللحظة لتنقب آلة الزمان في العصور والأحداث فيقول الرحالة:- جئت من رحم الحياة فهل تراني ابنها، وليدا قدمت ثم طفلا ففتى عاصرتها، ثم رجلا وكهلا وكأني رأيت خيالها، أهي أُمي وقد قضيت قبلها؟!، وهل تراها تعيش دوما بطبيعة حالها أم تولى كما تولت أُمم وقوم قبلها، إن كان هذا أو كان ذاك فإنني أحبها، أحب فيها نساءها... أطفالها... ومالها، أحب أطياف الربيع إذ تعانق طيفها، أحب أحلام تجلت واقعا في ظلها، أحب شمسا أشرقت وهجا فأزاد حسنها، ولقد بلغت المنتهى في الحب حين رأيته، أهي الحياة أم تلك روح قد ضمنت كيانها؟!، يوم يودع يوما وشهر يليه شهر، وعام يعانق آخر وزمن يسامر دهرا، أتراني قدمت عمري لدين الله مهرا، أم غالبتني شهواتي أو اه يا للقهر، وحسبت أن الدنيا تبين أجمل قصر، وأن ليس فيها سوى بريق قد تجلى للزهر، حتى أتاني موتى وضم العظام رعى القبر، وسبحت بالآثام وترى الآثام عظيم نهر، فأذبي بلغت مداها هناك عند القعر، لديك يا رياض لهوى ولعبي وأيام طفولتي ولهوي، وحولك يا شجر الطيور تحوم، وفي ثنايا الآجام أوكارها، فيها البلايل وبالسما نجوم، سبحت الإله على نعمانه، حين تأوي للفراش وحين تقوم، يا عاشقا للجمال وخالقه، لست يا غارقا في الحب ملوما، آياتك رباه بالكون ظاهرة، شمس وقمر وندى وغيوم، استوحى منها القلب جل صفائه، وتجلى طيفها في هدى مرسومها، نعماء ربى وللاله شرائع، عليها من حكم هو المحكوم، وللكون رب مدبر شأنه، والويل للظالم من المظلوم، متكلفا أراك اليوم الابتسام، وقد عهدت ثغرك دائما بساما، نح همومك جانباً وسر، الى الأمام

وكن كما المقدام، ما فائدة الربيع إذ، لم تكن بروضه الورد والنسيم، وكيف تروى ظمأى مياه
!؟، لم تسقني إياها راحتك هياما، نم عن مخاوفك وأترك، ما مضى لسالف الأيام، أولى به
الأيام منك، ما مضى ما كان إلا كلاما، فالجسد يوما يولى ويفنى، وتبقى التى تراود الأحلام،
روح وما أدراك ما الروح، سر هي مخبوء لدى العلم، يا سعد من كان الرفيق له القلم،
والروض والربيع إرثا مغتنم، فالقلم جاد وخط أحلام الورى، فضوت صحائفه وبددت الظلم،
ونسيم روض هامس قد داعب، أوراق شجر والنخيل المرتسم، وريشة الفنان كم هي أبدعت
لوحات حسن مشرقا كالعلم، حسان لوحات تبين كما العلم، ويعبق الورد عطور وشذى،
والزهر فيها مسلم ومستلم، لسحرها ومن بديع جمالها، ترى الصبي بساحتها بلغ الحلم،
كنت هائما أسبح في الملمات، ذاك دأبي منذ الأوليات، والآن بلغ منى المشيب مبلغا، فوصلت
ما مضى بالأخريات، يا بحارا أغرقتني لكم أحرار، أنت قطرات ذنوبي أم هفوات، متى
تصيرين مصب توبتي، ومنبعك الاستغفار والرحمات، وتغدين أنهار عذبة المذاق، وجداول
تنساب من القنوت، أغسل بهن ذنبي وإثمي، فيضوين ظاهرات كما المشكاة، وعلى جانبيها
كما الصبايا، النسيم داعبها تلك الشجيرات، فأضحت من حسنها لوحة أمل، الفرحة تملؤها
بالمسرات، تنأى بنفسها عن مشهد حزن، شابته الدموع والعبرات، وذاك الغدير سقانا
شده، فارتوى المسافر ومن هو آت، سكن القمر كبد السماء، فاضاء الكون بالمسرات،
وتجلى فكان كشعاع أمل، شق طريقه في الظلمات، وسرت تترقق منسابة، فيا لجمالها
النسمات، داعبت أغصنا كن عرائس، في ليالي زفاف مضيئات، فهو الحزن بقاع البسيطة،
وسما الفرح بالسموات، ومهدت لنا بالسماء بروجا، وبالأرض بسطت من طرقات، وكانت
دليلنا حسناء الربيع، وفتاة بستانه والمنارات، وحكيم زينه رشد عقله، وعالما ابتكر من
آليات، فكانت بعد إرادة القدير، آلة الزمان بنت الرحلات، يابستان أمل مورق، وبديع ما
مضى من ذكريات، هل لي رؤية بسمتك، تتلأل وضاعة فوق السماوات، وتغرك الباسم في
لوحة، تفيض بالروعة حسنة القسمات، فاللوحة وجه لبدر الدجى، إليه المقيم يرسل
الهمسات، ذاك الوحي عنقود أدبي، وتلك كلمات أنطقن الأخرس، بهن يهيم القلب المحب،
ويحييها رياض تلك الفلوات، بالفعل أضحى الحزن فرحا، وكست الخضرة الصحراوات
وتدلّت من الغصون فراند، وثمار الخير منها متدليات وتحولت الرحلة كعادتها تقلب الأحداث
والأزمان، وموجاتها الزمانية في حالة ثورة لا تتوقف، حيث تجلى العامل المجتهد المطحون
في هندامه المهلهل الممزق، والشمس تأكل من جسده وملبسه، والعمل يضنيه، والأحمال
تكسر ظهره، وصاحب العمل الإقطاعي ينقض عليه سبابا وضربا، فيقاومه المسكين، ويدفعه
ويطاوله، ويرد عليه الضرب بالضرب والسباب بالسباب، والنباتات الخضراء والحشائش
والطيور والأنعام من حوله تبكى لحاله وتشاركه العناء، تحمل عنه بعضه، والعصافير تغرد
له، ولا يزال الظالم يضربه بالسوط والعصا، ثم يسحب منه الفأس ويلتقطه في خفة ومكر،
ويهوى به عليه فتنسكب الدماء من رأس المسكين وتجرى كالأنهار ويذهب إليه الرحالة
فيضمدوها، ويحارب الإقطاعي هو ورحلته، فيستعين الرحالة المجرم بالاشرار ومغتصبي

الحقوق المجرمين، وتدور رحى المعركة بين قوى الخير والحق من ناحية وقوى الظلم والجور والطغيان والجبروت من ناحية أخرى، تستخدم في المعركة العصي والسيوف والآليات والقاذفات المعدنية والسهام والنبال والعجلات الحربية والطائرات والقواعد الحربية والأسلحة المتنوعة، والسلاح النووي، تطلق منصات إطلاق الصواريخ صواريخها من جانب آلة الزمان، فيتقهقر الساحر الشرير والقتلة الخونة... وتتحول الأحداث الى هدوء، وتتلاقى العيون ويتقدم شاعر الرحلة وهو يشهد الحدث في ناحية أخرى من صفحة الرحلة التى تبين فيها كل الأزمنة مرتسمة فوق صفحة آليتها الزمنية والمكانية، ويقول شاعر الرحلة وهو يبتسم للعامل المسكين ويرى المعركة تتقد جذوتها ويستعر لهيبها: - يلاقى الويل وحرور الهجير، وغيره من غفاة السرير ويتذوق الأول كؤوس العذاب، وينعم الثاني بالخير الوفير، فوق التراب يسبح يتلوى، أما هذا ففراشه الحرير، فلترضى بما قسمه الإله، لا يظلم المولى العلى القدير، لك مآل وله نهاية، ولو كنت فقيرا وكان أمير، ورب بصير لا يرى هداة، ويهتدي للحق أعمى ضرير، قل وأعمل ما شئت فإنك، حتما ستواجه ذات المصير، وأجعل لك بالدنيا خليل، وقرآن ربي أجمل سمير، لك في الدنيا طريق ظلام، وفي الأخرى لك درب المنير، اصبر فبعد العسر يسرا، ولكم أضحى العصيب يسيرا، وما تراه بعيد المنال، سيضحى لنا من بعد يسير، لن تحاسب بظاهر قول، إنما الحساب بحال الضمير، يا لانمي في عشق الحبيب، تالله إنى بطه أسير، أترك كل دروب الحرام، وفى سبل الخيرات أسير، ففي نهجه الفلاة رياض، ووسط رمال الفلاة خير، ماء تدفق في المفازة، فأضحت المفازة نهرا وغديرا، وعطرا غمر الكون شذاه، أمن غير أحمد فاح العبير، من يديه الماء طهور، ومن غير ذات يده المذاق مرير، الى غير ذاتك النفس غنية، وأما إليك فإني فقير، إن لم تكن لي إلهي عوننا، ونور طريقي الهادي البشير، تلك أنفاسي تسير تباعا، ونهاية أمري شهيق زفير. أرايت هكذا جودا وكرم، وهل تستطيع حصرها تلك النعم، شمس وقمر ودجى ليل، وبريق نهار ونورا وظلم، وكوكب ونجوما تؤسر القلب، ومجرات تسبح وبان وعلم، وطيرا يسبح اله الكون، وشعوبا وقوما وأناس وأمم، وأفراد تسعى لطلب رزق، وجماعات كذا وكائنات، وسمعا يرهف لذكر خالق، تجلى سبحانه رب الحرم، وبصرا عبر حدود الرؤى، فأهدى إليه الحب القلم، وقدمنا تسعى بكل أوان، تطلب رزقا كتب وقسم، ومن الإسلام بديع هدايا، أكرم بالرزق وبالمعتمد، تلك آيات الله تزين، كل العالم عرب عجم، منها غسل النحل دواء، يشفى فلا يترك من سقم، وهذى سماوات ظللن ربوع، جنان زانها أجم، أما الحق فتراه بيبين، ليبرأ مظلوما من تهم، وتلك الأنواء المتساقطة، تروى الأرض بسيل العرم، وهذا العقل أنار الدنيا، وبرأ مسكينا قد ظلم، وقلبا يعشق طيف جمال، ويهب الحب لمن قد حرم، وتلك الريشة أهدت رسما، للإنسان وكتب القلم، أما الطير فرمز جمال، زان البستان المبتسم، وصحراء أبحر في ساحها، إبل وأبحر غنم، وخمس من صلوات أضحت، من كل ما عداها أهم، فاز من أداها توا، وخاب من بها لم يهتم، وتلك أشهر حرم هلت، فيها يحرم سفك الدم، نعماء الله في كل وقت، هيا أفق لصلاتك قم، وإن ما غالبك طيف نعاس، أسلم نفسك

للسكينة ونم، أنعام طيبة لحومها، أراك دوما لها تلتهم، ورياض وارفة الظلال، وأراضى
مبسوطة ومبان وقمم، ما يرضيك كل هذا، ألم تكفيك الخيرات ألم، وبعد ما تركت النعماء،
جاءت تزحف إليك النقم، عاما يرحل كما النسيم، وعاما آخر لا منصرم، وهواء تلقاه عليلا،
ضحك هنالك فوق المبسم، أترك شركك هذا وقم، ادخل دين الحق وأسلم، طلّت الشمس على
الكون بابتسامتها الفضية المترققة، واستيقظ الفلاح من نومه، فألقى التحية على زوجته،
وأيقظ الصغار لتناول طعام الإفطار، وذهبت الأم لتحلب الجاموسة والبقرة، فلما رأتها البقرة
أطلقت للعنان صوتها المعروف، ففعلت الجاموسة نفس الشيء، فألقت الأم إليهما ببعض
العيدان الخضراء من الحشائش والبرسيم، وبعض الأعلاف المطحونة والمختلطة بأنواع
أخرى من المواد الغذائية، ثم ملأت وعاءان ووضعت أمام كل واحدة منهما وعاء، وتوجهت
لرب السماء بدعاء وقالت والابتسامة لا تفارقها شفاها: اللهم يا رب الأرض والسماء، إنني
أتوجه لك بالدعاء، فلا تخيب إلهي رجاء، اللهم اجعل بقرتي ودابتي لي يهما الخير حل
وجاء، وارزقنا من لحومهما ولبنهما جزيل العطاء... ثم جثت على ركبتيهما وأمسكت بوعاء
اللبن الفارخ، وشرعت تحلب البقرة ومن خلفها أتى الفلاح الفصيح، فألقى عليها التحية،
وقال: بسم الله ما شاء الله، لقد ملأ الله تعالى الوعاء لبنا فازدادت ابتسامة الفلاحة الأم حينما
سمع الأبناء حديثهما وهل جمعهم وهللوا وكبروا، فضحك الفلاح ونقل نظره بين زوجته
وأولاده من ناحية والبقرة والجاموسة من ناحية أخرى وجبينه يسيل عرقا ويبرق في ضوء
سنا النور المشمس من فرط الفرحة، ثم ربت على ظهر يهما، وفك وثاقهما، وذهب
بالجاموسة والبقرة الى الحقل بعدما أعدت الأم طعام الإفطار للجميع فتناولوا إياه في سعادة
بالغة، وقد ذهبت الأم الى السوق فباعت اللبن، متناهي الصغر وشقيقته والمعزة الصغيرة
والخروف والجمل والحمل و...و...والطيور والأنعام والرحلة كلها...و...، وغمرت الرحلة
السعادة وسارت بالأسرة السعيدة ولا تزال الشمس ترسل إليهم بسعادتها، من أشعة دافئة
ممتعة...و...و...و...حتى قدم المساء وكانت الشمس أخذة في المغيب، والقمر تبرق
ضياؤه في السماء، والتقى الأحبة على ضفاف نهر السعادة، وبحر الهيام، وغدير المتعة
والهناء...وتقدمت الرحلة تنفض عن نفسها وكاناتها غبار السفر، وحطت في الحديقة
المطيرة، والبستان الوارف الظلال و...و...و... تنطلق ملكة النحل، تسبح في الأحلام
والوقائع، تنشر قيم الحق والجمال والخير والمساواة، تحلق في الفضاء العريض
والسماوات، تتبعها المخلوقات والكائنات، تطوى الأحزان والأشجان وما تولى وانقضى،
تعود وتنظر لما مضى، تخرق الحجب وتوقد اللهب، تلاحظ وترى، وهذه الشمس تتوسط
سماء بها سبحت على جناح شوق وأسير هواء عليل، السماوات بها تلقى بظل ظليل،
والأشجار والبساتين والرياض بها، وبها خوص النخيل، ويداعب الخوص الشفق الأحمر
وشمس الأصيل، وتلك الحسناء تبين بها كباقة الزهر وعيدان الورد كالقمر كالنخيل، فتقدم
منها الرحلة وكانت الفتاة على غير حالها، فلقد كسا الحزن قسماتها المتوردة، وكانت
الحسنة في الأفكار سابعة وبأحوال الرحلة والدنيا والآخرة شاردة، دنا منها البطل المغوار

هامسا ببعض الكلمات باسماء عله يدفع عنها تلك الهموم التى ألفت بها، والفتاة تبادله نظرة
تؤسر القلوب شابها الشجن، فقال الفتى وقد وضع فوق الخد يد رقيقة رفيقة، وجلس متكنا
الى شجرة الحياة والخلد في جنة تجلت في ساح الرحلة:- مسحة حزن في عينيك ألمحها،
فهل للأشجان في تلك المقل أن تدوم، وكيف للسحر المظل من بدر تجلى، أن تطاوله رياح
وغيوم، إنى أفضل السعادة منها تطل، وأقضى طوال العمر مبعدا محروما، وأن أسبح في
بحر أغالب موجه، وتبقيين في منأى عن كل عذاب مسوم، فأنت وإن غابت عنى الكلمات،
مبعث موهبتي وغيث المهموم، لا أخاف بجوارك أي خطب، ولا أخشى من الأفاعي السموم،
أعبر الصعاب وأطوى شجونى، وأقطفها لك من السماء النجوم، وعند التداني تغمرني
سعادتي، ويكون عنواني في البعد الهموم، وإن كنت أخطأت فأذعت سراً، فأنا في أمرك دوما
كتوم، واللوم من الناس قد أغرقني، وأراني في عشقك غير ملوم، هل تسأل قطرات الندى:-
لماذا تحط فوق الغصون؟!، أو يسأل الربيع النادي، لماذا عانق الندى سنيها، وهل تلام
الأرض العطشى، حين ترتوى من ماء العيون، أو يقال لطيف جمال، خبأ سحرك عن
المفتون، أو يعاقب طفل رضيع، حينما يرتشف من صدر حنون، تهوى عليه الأم به، أم لا
ذنب للرضيع يكون وكانت الفتاة مأخوذة قد اختطفها الانبهار وسحر الفتى فأطلت عليه
بعينين ارتسمت بهما كل المعاني الجميلة والود ولم تنطق ببنت شفة، بل واصلت ركوضها
وكانها تهرب من شيء، فتعجب الفتى وركض خلفها ليسألها عن سر هذا العدو المتواصل
حتى غابت الفتاة في الغدير متحولة الى سمكة في غاية الجمال، لها رأس آدمية وتحولت آلة
الزمان عن هذا المشهد الى مشهد مكمل بجانبه يرتسم في صفحاتها اللانهائية، وقد ظهر
الخانن القاتل، بائع الأرض والعرض، الخسيس القليل فبادرته الحساء بهجوم كاسح حيث
قالت وكانت تعنى الشعب وتتحدث باسمه في البداية وتعني الخائن وتقصده في النهاية:- يا
أملا كان جلياً فغاب أثره، ونجاحا كان باهرا فهزمه فشله، أيا شمساً لكم أشرقت فغلبها
المغيب، ويا دمة تفرق بريقها في مقتلتي الحبيب، ويا قمرا أفل في الثلاثين، ويا خاننا حكم
فظلم المساكين، يا أنشودة سرت أصدائها في العالمين، وزهرة ذاع أريجها بربع
البساتين، يا علما ووحيا من الله اخترق الحجب، يا رمادا أضحى في مهب رياح العمر نارا
ذات لهب، أنا من ضيع في الأوهام عمره فلا عجب فتعجب "الخانن القاتل المغتصب
الساحر الشرير"، وأصابته رجفة وهزة، وكانت ملكة النحل تستمع للحديث وهى لا تزال
تحلق في الفضاء العريض، تطوى السحاب والضباب، وتحط فوق الرياض والأزهار
والأشجار وذلك وقت حل الربيع وأن ابتسمت الحياة وتغنى طيرها، ومتناهي الصغر يجلس
فوق راحة "فتاة البستان سلمى ذات الرداء الأخضر"، ومعه شقيقته متناهية الصغر، أما
الفارس النبيل فكان يتغزل في حبيبته حسنة القسمات ويقول: - فحينما تغيبين يغيب النور،
فأنت يا فاتنة.. بدر البدور، عروس أيامي وطيف أحلامي، وأجمل ما زين الجنان من حور،
لو ما رأيتك يشملني دفى، ففي مبسمك دواعي السرور، وإنى أزداد بك تعلقا، حتى ولو
تملكك الغرور، صوت الكروان إما ترنم، أنت في البستان تغريد العصفور، بهجة أنت كست

الخمائل، سر السعادة والفرح المبدور، قيثاره ذاع بالكون صداها، فعلى لحنها تغنت الطيور.
فاستضاء وجه حسنة القسمات، وتورد وجهها، ولازددت حسنا على حسننها ووبريقا فوق
بريقها، وضحكت فتغنت على ضحكاتهما الطيور، وترنمت البلابل في تجلى وظهور، وطافت
الآلية الزمانية جميع الساحات والباحات والعصر، وأنس الجميع ضوء القمر، وأظلت
الرياض بالآمال على الجميع، وافترش البهاء ساحات وربوع وخمائل وصحراوات وجبال
وكهوف، حتى ظهر في صفحة الرؤية المباركة للرحلة المحلقة الطائرة العملاقة الأمير
الساحر وبصحبته حورية السماء ولما بهره حسننها، واختطفته فتنتها ودلالها، ترجل عن
جواده الأصيل، ونزل عنه والشوق يحركه ويحرقه، وذاب المسكين في سحر المقل، ودافعه
إليها ذلك المتقدم من بريق الأمل، فقال وهو يمشط شعره وويسوى هندامه ويعدله، وقد
رسمت البسمة في قسماته سحر العشق وجمال الكون والخميل، وكانت كل تصرفاته تحمل
في طياتها على حبها دليل، قال الأمير: - إن كان للعشق تفسير، فأنت سره ومعناه، ولو كان
للربيع إشراقة، أنت ضوءه وبهائه، حبيب أنت في روض تزين، فبعث إليه العبير شذاه،
محب هام بسحر الورد، حتى توردت شفتاه، شعب أسره خائن قاتل، أنت خلاصه من الهوان
ومنجاة، حرية قيدها الاستبداد، فأنت انطلاقتها وللنصر أداها، وظلم كرسى له دولة جور، آه
لو كان اللقاء قريبا، ومن بعد التداني نلت رضاه، وحبذا لو دارت الدنيا، فقلب أسفل القاتل
أعلاه، وابتلعه اليم وغاص بعيدا، هنالك لدى القبر والظلماء، وسعينا سويا نلهو ونخطر، في
جنان ربى وما شاء، أيا نسمة الصباح المظلة، متى تعانقين نسمتي الأهلة، وأنى يكون
موعد لقاء؟! بك يجمعني والحياة مظلة، إني أراك إن جن ليل، إليه تسلك شعاعه بريق
نورك والليل تحلى، ولو ما داعبك طيف حبيب، أسدل الحبيب عليك مظلة، فكان العناق
بالروض طويلا، وأضحى التجلي في أجمل حلة، أيا نسمتي.. أنت كل الآمال، إذا ما طيف
الآمال تولى، بكل الربوع حياك الربيع، وقد اتخذت الربيع محلا، هذى الأهلة... تلك البدور،
لكم تهوى منك يا نسيم أن تطل، ليالينا كما الغصن الرطيب، لقد حيثك الطيور المقلّة، طيور
أقلت شوق الليالي، وتلك الرسائل في كل مرة، سرت أهواؤك الى حبيب، من مقتلتيه السحر
تدلى، غدوت تداعب ماء الغدير، وتحكى لموجه في العشق سرا، وتقصص على أذني
الزمان، روايات عشق وتعطي الأدلة، وتسرد ما كان من ذكريات، فليت الزمان يعيد
الكرة... فتلك تولت وذهبت سدى، وهذا الزمان بها يتسلى، أيا من توليت الينا تعود، فترسم
بالقسمات مسرة، أم ما ذهب قيد خيال، فهل تُبَصِّرُ الخيال النظرة، أرى الحياة بجنبك سحرا،
وفى البعد عنك مريرة مرة، في كل يوم أبحث عنك، ولو لم ألقك أعيد الكرة، فلا اليأس يوما
تمكن منى، فعلى العهد دوما إرادتي حرة، كل قواي والعقل ما كلّ، وكوى فيض نار الحور،
حتى أقبل نارا وظلا، وأنت عافيتي وسقمي وحالي، ومن البشائر ما اليوم هل، قمري
ونعمائي، وبدرا تجلى وياسميّنا وفلا، عطر الرياض وشمس الأصيل، لك يشهد الكل، أنت لي
من المشرقات الحل، ومن الأطلال أجمل ظل، نور كسا حياتي فغدا مطلا، من رفقاء دربي
أخلص خل، ساحرتي فاتنتني منك أكتم المشاعر، في دفئ لقائك لا أصير شاعرا، بل أغدو

مستمعا لأبيات فنك الماهر، هل تبين الشوكة في ساح البساتين وإنني لا ألقى بها إلا الورد والياسمين، وأنت أجمال الورود، عشق به موعود، تجاوزت معك كل خطب، وما اعترض دروبي من سدود، فإن بقيتي على عهد بقيت على عهود، كنت لي أيام شبابي وبحول القادر الوهاب سيجمعنا تعالى بعد رقتي فوق الثرى، وفور معانقة ترابي، سيشهد الثرى حياة وهبها الموت، وميلاداً من العدم تراءى، وحياة غادرها الصوت، وكانت الروح صداها، يا من أغار عليها منها ومنها الجمال يغار، أنا على العهد باق يحرقتي الانتظار، فوق جمراته اتقد قلبي، وبحال رأفت الطيور والأزهار، فبكنتي حيناً ونعتني طويلاً فتورد وجه الفتاة وقالت وقد تخضبت قسماتها، وعادت مسح جبينها بأنامل حريرية، والرحالة ينظرها بشوق ولهفة، قالت الحسناء: - هل أبلغ من هذا للحب دليل فأستطرد الرحالة قائلاً والبسمة تكسو وجهه بالأمل المتوهج: - هذا ما خلص من بنات فكرى، وما أوت إليه درر نسيبي وشعري ثم توقف فجأة وكأنه نسى الحديث، وتلثم قليلاً قبل أن يتمالك نفسه ويقول: - أتراها تكون قد نضبت يناعي، أم حلت شمس صيفي تحرق الرطيب من غصني، أم يأتي أمل يبدد يأس الحياة، وتعود أيامي ومعها الذكريات فضحكت الفتاة وكانت ضحكاتها كشدو الطيور وقالت مبادرة: - إن جل مناي أن ألقى الأحبة، وأنعم كالمقسوم له بالخيرات بنعيم ومحبة، أيا ترى تغادرني آخر الأنفاس، فهل تموت المشاعر وينتحر الإحساس، أم يراودني طيف سعادة فيبدد ظلماتي، ويمحى من الوجود آهاتي فابتسم الرحالة ثم عاودته مسحة الحزن وهو يقول: - إنى أطمح في عدل لا من البشر، بل بكل ما يحويه المقدور وما قد سطر، فربما في الشرور ما يؤدي لخيرات، وفي جزيل العطايا بقايا الشرر، وفيما نحسبه من مصائب الدنيا منجاة ومفر. فقالت ملكة النحل: - يا لكما من عاشقين، ويا لهذه الرحلة من رحلة عملاقة لا حد لها، بها كل شيء من درر ومفاتيح وغصون وجواهر، بها العود والسود والمزاهر، إنها رحلة الحياة والآخرة وكل ما يدرك وما لا يدرك و.....و.....، هي الآمال العظام، إنها تسير على ما يرام، بلغت بها الكائنات المأمول والمراد وبلغت المرام، ترمى بها الأحبة سهام العيون و.....و..... كانت تنظر معه صفحة القمر الدرية وهي تغيب في خضم ظلام دامس، حين كلن بدريها يفتشرشان البسيطة وآلة الزمان بينا نور متوهج، وماج شعرها وداعته النسومات، وتمايلت كما الغصن الرطيب، ولا حظ الفتى تلك القسمات والنسمات، حين تعانقا فأنتجا بدرا تجلى يستعيض ضياء البدر المغادر والمولى، حينها تفجر ينبوع البلاغة وفاض العقل والقلب، وسما الرحالة الى كل المعاني الروحية السامية، فبادل الحسناء النظرة على حين كانت ترقب المشهد ملكة النحل والتي لا تزال تواصل تحليقها الأبدى، وعقلة الإصبع وأماني متناهما الصغر يقفان فوق كف فتاة البستان شقيقة الرحالة، غاب الرحالة في سحر الله تعالى والكون حيث كانت الكائنات تستمع اليه وجميع من بالدنيا والآخرة والبعث والنشور والقبور، إنها الجنة عينها تعيشها الرحلة الآن، قال الرحالة والسحر يتقاطر من كلماته وهو يصف البدر الحقيقي والبدر البشرى في شخص الحسناء: - إن غاب البدر أو بان فسيان، يكفى نور الله في الكون عنوان، خلق الطير والزهر والربا، والأنعام والشمس

والثقلان، أبداع من الجمال آيات تتجلى، ومن صنوف الخيرات ألوان، وزع الأرزاق والعمر مقدرًا، وأنبت الزرع وعلم الإنسان، جعل للموت إما حسن خاتمة، أو سوء مرد ولا يستوي الأمران، ورزقنا بدرا تجلى في عليانه، والحسناء جعل لحالها قمران، مسلم أن القمر جسم معتم، وتلك عينيها بالنور تبعثان، بدران لو ما داعبا الأشجار، بان البريق بسوقها كشعاعي ضوء، ضوء لرب خالق منعم، يتبعه ضوء تشعه العينان، من مقلتي النور سحره يفترش كل الربوع فذاك سحر ثان، ويبقى للأشياء بدر واحد، وللحبيب وظله بدران، لنهر عطائك رياه متطلع، فلتسقتي ربي أنا الظمان، أول البكاء حنين ثم دمة، وبادئ الغيث نزول قطرة، ولكم فاضت من مقلتي أدمعا وسكتت بسحر النظرة، حرقنتي حرور الهجير، فوجدت ظلي تحت سدر منضود، شملني النسيم بلطيف هواء، وداعب جسدا التقى المسرة، ليتني نحلة أمتص الرحيق، ليت أني في الرياض أجمة، وريقة بغصن زيتون شامخ، تتحمل من تقلبات المناخ القسوة، أه لو كنت في الحقائق، تلك الرائعة المتجلية الوردية، أو كنت في ساح الحياة هذه المورقة المزهرة الربوة، يا ليت أني قطرة في بحر عشق، إذن لرويت العاشقين برشفة، عصفور شوق يا ليت أكون، وحيدا لو كنت كروانا تغنى، وكان دعاؤه في الفضاء، سار كما النسمات المهلة، كم أتمنى لقاء الأحبة، في مطلع الشمس والأهلة، كلى شوق أكتوي بنار، وما تلك الضرام تتولى، باقية ما استكملت حياتي وما بقيت في العمر لحظة، هل من ظل عمره وفاءً، يضحى اليوم خائن المودة، إذن وقتها يكون كالذي سكن الجنان ثم هوى، فالتقمه قعر جهنم وفي الجحيم سوء وتهلكة، متى يا طائر الشوق تمنى تلك النفس الطيبة الحزينة، إنى أغار عليك طائري من كل سوءة ومن الردى، لكن الموت كأس دائر يرتشفه كل من يحيا، لا يفتدى بمال الدنيا أو يدفع بكل الورى، تلكمنية كانت قدرا علينا جميعا ومقدرا من الأمر محسوبا، أفي المنية جدال؟! وهى التى تطل المؤمنين والكفرة، وتهزم كل حي فتردي قتيل الأماني وتعيد الكرة، الا يبلغك الشبع من جوع، والارتواء من ظمأ حل، فلتفعل ما تريد ولكن، تيقن أننى لا أخشاك، يكفى أننى كالشمس جليا، وأنتك تاتى بغتة، إن كنت على يدك أقضي وتدركني فتطحنني رحاك فجأة، فأعلم أننى أشد منك إيمانا وبالله أقوى، حين اختطفك حبيبي كأنك انتزعت من فؤادي كل مسببات الحياة وكل مسرة، لكن لا تحسبني أعدو وأهرع هاربا كالهرة، لا تحسبني أولى وجهتي حين ألقاك أو أتولى وسأقطفها من غصون جنتي تلك العناقيد الظاهرة تتدلى، وأنا مغفرة رب كريم، ولا تدركني بالحياة الأخرى، كيف وإن اشتاق النبت فاحتضن الماء لا اشتاق، إليك أتوق وتحفني الأشواق، يا دائي ودواني والترياق، كما يعشق الطير النسيم، أدوب بك وأنا بعشقي سباق، وكما تشناق الوردية للندى، إليك اشتاق رانع الأخلاق، كم من قبيح بك تجمل وكم غمرتني في طلعتك أشواق، كم تبسمت مقلتي كثيرا، ولكم ماتت دمعتي بالأحداق، أنت فرحى وحزنى وشقوتي، من الهموم بك الفؤاد استفاق، لكم لآمني في حبك لآئم، ونفصت شرورها تلك الأبواق ومعك أتنى الدنيا بزینتها، ولا أخشى معك قسوة الإملاق، بل أكون بحبك ثريا، حزت الكنوز والآفاق، ما كسر شوكتي حاسد، ولا لآنت إرادتي لآفاق، إليك بسمتي حبي اشتياقي، يا دنيا لك القلب

والمهجة، قدمت إليك عمري هدية، فما أهديتي لي ما أتمنى، سهرت ليلى أناجى طيفك، حتى
سحقتي طيفك فما أبقي، هل أنت حقا نعيمة، أم بالبيداء سجنى، شاطئ الخلاص أنت أم بحار
غرقى ومن أنت أخبرني، أترك طيف سعدي، نور أشرق أنت أم ظلمات قبري، بيت قصيد
زين نسيبي، أم قيثاره أذاعت لحنى، ربة شعر فاض وحيها، أم منية اختطفت قلبي، ساحرة
حسناء رسمت بخيالي، أم عجوز شريرة تطاردني، أيا دنيا فلتصفحي عنى، وحبذا لو
تتركيني لشأني، إن لم تغادرني همومك فأنا راض بقدري، وإن كان الموت قدرى فأنا راض
بمختتم، وفي خضم حديثه وأثناء القول والإنشاد يطير عبد الرحمن من غصن لآخر وهو
يطارد الوحوش والوحوش تطارده، يمنع عمليات الافتراس المجرمة من قبل الحيوانات
المفترسة، فمور تصطاد الغزلان وتنين يأكل الفريسة حية، وأسد جبان يأكل الجاموس
الوحشي بيد أن الجاموس يغلبه، وضبع لعين يطارد الفرائس ويأكلها حية دون رحمة فأكله
أنا، مثلما تفعل الكلاب البرية الحفيرة، واليوم لا صيد للمفترسين سوى ابن آدم، ولم يرق
ذلك الرحالة ولا سندباد، ولم يعجب أدهم ومحمد وسلطان وضرغام، ولم يناسب معتز وأمير
ومحمود وكل الرفاق الصحبة، وعلاء مع شقيقه حسين في تمرغ دائم فوق الحشائش
الخضراء والنباتات، فراشات حولهم، ومعهم كامل وسعيد ومصطفى وآخرون، والضباع
تتكالب عليهم والكلاب البرية والثعابين ومجموعات التنين ذب اللسان الطويل العجيب،
والتينن الآخر الذي يحمل ما لا نهاية من الرؤوس المفترسة، علاوة على الذئاب والثعالب
و...و....، ولا يزال سندباد برفقة عبد الرحمن وموسى وإبراهيم والكثيرون، يزودون عن
الحيوانات الضعيفة وعن النسوة والبنات والأطفال والعجائز والضعفاء، منهم من يقاتل
بيديه وقدميه، ومنهم من يدافع بأدوات قتالية بدائية أو متطورة، إنجاز رهيب مريب، وقتال
عنيف دائر، حتى تقدم للتو صوب سندباد أسد قاند، في ذات الوقت الذي هجم على الرحالة
تينن غادر، وعلى وهدي ذئب قادر، وتوالى الهجوم من قبل الخونة الذين يدفعهم الجوع
للافتراس، وانزوى المشهد قليلا، على أنه لم يغادر مجهر الرحلة عزبة عبد الواحد النورة
والنسر أبعادية سيف الدين، والتي هي سبب لنصر الدين بتمكين من الله، شبابها طيبون
أقوياء وفتيانها أتقياء ورجالها صامدون ونسانها صابرات وفتياتها عفيفات، لكن الوحوش
المهاجمة لا تفرق، هي فقط تريد أن تشبع بطونها، وهيئات أن يتم لها هذا، ينزوي المشهد
ونحن له ولغيره نترقب، ولكن مجهر الرحلة يكشف لنا ذلك الفتى في الأحداث ذاتها لكنه قد
ذاب بالبدر عاشقا، وقد جاوره مرافقا، وغاب في عينيها والبدر غاب، وترقرق النسيم
يداعب الأحباب، إنها منه وهو منها، ومثناها من التراب، من خيرة الرجال يعد وتعد هي
من الأتراب، إن حكم العشق ماض، ويعلم أن الشوق غلاب، ولكم صادف في حياته لهوا،
كما واجه المشقة والعذاب، من أصل ونسب كريم، يا لروعتها كريمة الأنساب. وتحركت
صفحة الأحداث، ويموج - كيان الآلية الزمنية والمكانية آلة المكان المتحد مع الزمان - في
هدوء تتبعه ثورة، تولدت على ضفاف نهر الحرية، وبلغت مجدها وزهوها في ساحات
الحرية والتغيير والتحرير، وواجه الرحالة الظالم، وباراه في حديث مطول، وطاوله في قتال

محتدم، وكأن الظالم كان يرى نهايته على يدي الرحالة المقاتل المجاهد المناضل. حيث بادره الخائن القاتل قائلاً: - ومن أنت سوى رحالة عبرت العصر لا دور لك، وهل تظن نفسك متمكناً مني، مسيطراً على، فأنا من سأذيقك الويلات في غياهب القيود والكهوف ذات الأسوار والويلات حيث النار المستعرة المتقدة، وعلى مستوى الأكوان والدنا. هنا استنشاق غضب الفتى المحارب واشتعل، وهو نفسه "الرحالة العظيم".... فقال في دفعة من غضب متأجج متوهج:- من تظن نفسك يا مغتصب الحقوق وسارق الخيرات، أوقدت للحرب نارا ولهباً؟!، أنت بطلا مغواراً أتاناً؟!، أشعل ضرام الحرية والحطب، أمن قتل وخان وسرق؟!، من شرف البطولة يقترب؟!، هل من فقد شيئاً يعطه، ومن نزعته منه الرحمة الحنان يهب، أترأه اختارك ظالم ونصبك، على عرش الرحلة والملك وهب، ارجع عن فعلتك الدنيئة، أيا خائن العهد فلتتب، فإن لم تكن لك توبة، ولم تعظك كلمات الخطب، وجد قلبك وشابته غشاوة، وكنت كالذي طبعه القسوة والغضب، فانتظر من ربي عقاباً، في الدنيا والآخرة ولا عجب، من أين أتتك البطولة يا مغتصب الحق ومباه بالرتب، لعنت في كتب الأعاجم والعرب، أرى نهايتك بأمر عيني، فلا عجب لا عجب، وقد كشفت لي الحجب. فتبسم الخائن القاتل ابتسامة تحمل كل معاني السخرية والاستهزاء قائلاً وكان يقف منتصب القائمة، بجسده العملاق، وكان عملاق الطول، ضخمة الجثة، عتيد البنيان قال:- ومن أنت حتى تجزم أن نهايتي اقتربت، كيف وأنا المعبود الأوحى فوق هذه البسيطة، أنا فرعون الإله إن كنت أنت موسى، يعبدني الجميع وينساقون لأمرى، في قبضة يدي ومعين لي قارون وهامان وكثيرون". فاستل الرحالة سيفه، شاهراً إياه في وجهه. على حين تراجع الخائن إلى الخلف متقهقراً، حيث كان لا يتوقع أن يقدم الرحالة على مثل هذا التصرف وهو في حضرة جيوشه وجحافل الممتدة بلا حدود، وما كان منه إلا أن أمر بإطلاق وحوشه وكلابه وذنابه على الفتى ويطلق كذا الضواري الفتاكة، والفتى يعتلى شجرة في الحديقة العملاقة، ويتنقل قافزاً في رشاقة الفهد، ويتحرك طائراً من فرع لآخر في خفة العصفور، حتى لاح له طيف الرحلة وآلتها الزمنية والمكانية، ودارت رحي المعركة... فقفز الرحالة من فوق الأجسام إلى الأرض هابطاً في خفة ومهارة رائعتين، وتقدم إلى القاتل الخائن المغتصب - النسر الشرير- حامياً ظهره جيوش لا حصر لها من كائنات الرحلة العملاقة، ولما حار فكر الخائن وتيقن من نهايته، استسلم في خضوع وخنوع، وكان الرحالة قد تقدم إليه ووضع نصل حسامه عند مقدمة رقبته، وأمر بالقبض على كل الجيوش المعادية، وأحكم قيد وتقييد المغتصب القاتل بنفسه، واقتاده إلى السجن في خضم هتافات اهتزت لها أرجاء الغابة الموحشة، وعلى حين غرة، يبعث الخائن إشارة عجيبة إلى مراكز القوة والهيمنة التابعة له، ففوجئت الكائنات والرحالة بجيوش طائرة وزاحفة وخاطرة تأتي من كل صوب وحذب، حتى اضطرت الرحلة آلتها الزمنية والمكانية أن تغير صفحة الأحداث وتحدث تلك التحولات الهائلة، حينما التقت موجاتها الزمنية والمكانية مع الموجات الطبيعية والجزيئات الزمنية، وتفاعلت الموجات الناقلة والحاملة وسارت الرحلة إلى حدث آخر وزمن بعينه، لعلها فيما بعد ستعود إلى نفس

الحدث حينما تعد العدة، ويتم التجهيز لهذه المفاجأة المذهلة لا تسلني من أنا، سل الأحلام
والمنى، لما هاجرت ونأت بذاتها، لما تولت عني سنوات عمري، وإليها ناظري قد رنا، فلا
الأمني رأيتها، ولا طيف الأحلام قد دنا، وتراني لمحت بريق أمل، وبصيص نور ذا سنا،
أوقد شموعا نيرات للأمل، يوما وشهرا وعهودا وسنة، لا تحسبن اليأس دائم خطوه، ولكم
ظننا خلوده وقد فنا، كم من ظلوم رفع الصروح مشيدا، وأتت المنية فهدمت ما قد بنا، فلا
تحسبن الله مخلف وعده، فالعدل قاض وبخلقه قد اعتنى، وكله منك يا حبيب، حكمت فظلمت
فلم تنم، أيا خائنا تخشى القلم، يا ذنب غدر لم تغنيه دماء سكبت، ولا أنات المصاب والألم،
يا من سرقت حلما حين كان في مهده، سيلقيك الواقع من أعالي القمم، لن تستطع كسر
إرادة، بنيت لتحارب من قد ظلم، هيهات لك تفريق جموع، أو أن تحبط هذى الهمم، أعلم أنه
منك العيب، وكم من الشعب كسول سئم، كم أورتتنا من هموم، حتى بلغ الصبي الهرم،
وحملها من بالمهد رضيعا، وذاك الذي لم يبلغ الحلم، تنساب خواطري تترى، قطرة تليها
قطرة، ودموع العينين كثرى، ولك أيها الصبر حدود، ففيضك لا ممدود، لو ما كثرت السدود،
نزلت على الخدود العبرة، فأسلمت لله أمرا، ولاحت لي الأماني منكسرة، تاتى المنية بغتة،
فلا تبقى آملا، ولا تبقى نفسا، قمران توارا فأطل السحر، أيجب الغيم من إطلالته الزهر،
وهل لم يفج مع الأحزان عطر، أهلت الأيام يوما ولم ينقض العمر، أظلت السعادة حيناً ولم
تزع الهم، وهل غدا مياها الدم، أيمنع جمال العينين ساتر أو ظل، وهما تضويان ببريق
مطل، أطلق العنان لبدرين بانا، كأنما زهرتين داعبهما الفل، أتدري أنه من سحر مقتلتيك
يذوب الكل، من ذا الذي يفوز بقلبك يا روضا مظلا، أطل فؤادي والعاشقين أو ما شئت قل،
نازعني إليك نفسي، أتراني أسبح في خيال أم الواقع حل؟!، كيف السبيل إلى نعيمك؟!
كيف الحل؟!، إن لم يجد قلبي جوارك فليرتحل، بالفعل قالها الأجداد، إنك يا موت كياد،
عكرت علينا الأعياد، محوت كل شيء في الكون،، ومات من موتك الجماد، عدت أو لم تعد،
أنت تلف البلاد وتبحث بها، ولقد خطفت واختطف حياة من نحب، لكن اللقاء في الجنة بحول
الله، كيف لي معك أن يمسنى العناد؟!، جبان أنت في سفينة العمر وقارب الضريبة فاطمة
وهي في مخبئها ومعها بساطها السحري الذي كأنه عليه لتوها أمل شقيقتها بحار مرتاد،
لك أسباب كثيرة، ألمحك بالكاد، إن كنت رواحا أو غاديا، أو فرعون ذي الأوتاد، أو طيبا
ومسكينا ومسالما، وسلكت سبل الرشاد، ستأتي لي حتما وستحل بنفسى، لا تنسى أحدا
أبداً...كعادتك التي لا تغير مسرى مركب مائها وقارب جدول حسننها المتدفق، هل لك أن
تمهلني بعض الوقت؟! فيضحك وهو يقول:-...بالطبع لا، أنا رأيتك بعد الممات، الشيطان لو
اعترض طريقي فاستغفرت ربي أو قرأت القرآن أو تلوت الذكر لرحل صاغرا بل ولاحترق
وذاب، وها هو يشتعل كيانه بالفعل ويولي الأدبار، لا يخشى الموت الأعداد وهو يحصد
الأرواح جملة وفرادى، حيث نحن الآن في حقل قطن النواراة والنسر الحبيبة عزبة عبد
الواحد " بؤرة الرحلة شاملة الكون ومركزها وقلبها النابض، وسندريلا تطل ومعها الربيع
الباسم يرسم لنا الآمال ويبعث بالظلال، والموت لا يخجل من أحد ولا يستثنى بشرا ولا طيرا

ولا دابة ولا أثرا لشيء يذكر....، لكنها ميتة هنيئة سعيدة متجددة جديدة مختلفة فريدة لا تعني النهاية بأي حال، فها نحن نبعث ونخرج -أفواجا وأما وفرادى وجماعات- من الأحداث بأنواعها، من قبور وقاع بحر ورماد نيران وغرق نفس وكيان و...و... والحرب تشتعل وطبولها تُدقُّ، والملك الغضنفر خميس بصحبة "صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان المتمرس الداهية العملاق"، يا موت أما أن لك أن تحل بروحي فتأسرها، ترفق بها بأمر من الله، لعلها تخرج منسابة كجريان قطرات الماء بصفحة نهر النيل في يوم ربيعي، جمال يأسرني منك حين تكن صديقا ورفيقا، لا توجع روحي، أهبك إياها لأنك سبب من عند الخالق ليسترد أمانته، لبت أني أكون قد حافظت على هذه الأمانة وصنتها، أنادي عليك في بعض الأوقات، وأقول أنك ستريحني أيها الموت، لا أنا ولا أنت بيدنا وملكنا شيء، والله هو من يفعل ما يريد، وأنت جميل أيها الموت لأنك ستذهب بي عند خالق العباد، وعند محمد وأحمد وأخي وصاحبي وصديقي، وعند أُمي وأبي وأعز الأحباب وعمي حمّاد، عند ابن عمي وخالي وجدي وجدتي، وذوي القربى في الدنيا وعند عماد عصام الدين، وعند أبي محمد ويوسف ونهاد، لا أحد يعرف لك بوصلة ولا نتيجة ولا عداد، وقودك كل شيء، كيف تموت يا موت حتى لو طاردك الموت نفسه أو ضربك جلد وشفكك ولطمك. تضحك الدنيا والآخرة، يقهقه الجميع ويكركر، تبتسم الحقائق، ترتسم في زينة الربا، كل ما ضاع في العوالم وفنا، يأتي من جديد يعود، منه ومن غيره شهود، وقد بان الشاعر في لباس رتيب قديم لكنه قيم، وفيلسوف الرحلة في هندام جميل مزركش واضح كوضوح الشمس، متحدثا بصوت عال لا بالهمس، حاله في السرد والكتابة أجمل وأحسن حال، أضفى على كلماته وجمله بعض الخيال، فازدانت معانيه وتزينت في حلة بديعة، وتهادت درره لتهدى الحياة سرها بطيئة حيناً وآخر سريعة، والأحداث من حولها مريعة، وعقلة الإصبع وأخته أمانى في واقع لا خيال يعيشان، وبالكاد في الساحة العريضة والفضاء الممتد يظهران، وعمر وأمل قد خرجا إلى الحياة بألوانهما الزاهية، وجمالهما المتناسق، وملبسهما المهندم، يقول عمر لأبيه وأمه: أنا أطول من أمل فتغضب أمل وتصعد فوق مقعدها الخشبي المكعب الشكل والآخر المستطيل الشكل وتقول: وأنا الآن أطول من عمر. فيضحك الأبوان وتضحك الرحلة يا للمتعة التي تعيشها رحلة بلا حدود لم تترك شيئا، تخترق جدر المستقبل وتجمع الماضي وتحضره هو والمستقبل الحاضر تعيشه فلا عجب..... أي شيء هنا يحدث، حيث الأقدار مملوكة ومهيأة من قبل الخالق جل في علاه، الرحمن العظيم الكبير المتعال، كل شيء عنده بمقدار ويؤول إلى مآل. ويظل المسحور يرمقهم بنظرات غدر وهو على الجانب الآخر من المصرف العذب عند الجهة الشرقية "لعزبة عبد الواحد نجعي النوارة والنسر"، وهي تلك البقعة المتحولة إلى مكة والطائف والعالم والكون، والمتحولة لبحر وسفينة وفضاء كوني ودنيا وآخرة، هي المتمددة والممتدة والطائفة كل أمل والنائلة كل منال، تلك التي يسيطر عليها النسر صاحب الضيم ملك الظلم ومسيبه، ونوارة أيضا تلك الفتاة التي تحيي أوج ربيعها وتحكم بالحديد والنار والسيطرة والغطرسة، هي آية من آيات الجمال، غصن لبنان هي وربيع

مزهـر مورق، ورد وزهر وبنفسج وياسمين، ورشا تغالبها وتطاولها جمالا وحسنا، وهي بجوار مستعمرة أبي عوف الطيب الذي يحتل قلوب الناس لا أرضا ومالا، مستعمرة يرضخ لحكمها الناس راضين مستقرين فرحين، ولا يزال الفارس المثلث يصارع الكائنات المائية في بحيرة التماسيح القتالة...كم تود نواراة لفت انتباه محمد، وتحلم بحبه...و كيف؟! وهو الواقف إلى جانب الحق والنصير من بعد الله للمستضعفين بما يملك من جرأة منقطعة النظير ومن مهارة ومراوغة قتالية، فارس هو حسن القسمات مليح الروح، يرتاح الناظر له وتتدفق جداول الحسن من روضة رفيقه حقني وابن عمه، وتظهر " الفلاحة تبر الفارس المثلث " في مشهد الرحلة وهي تشغل الطمبورة ساحبة المياه ومدرتها، والجان من حولها يتميلون مع تمايل سعف نخيل الصعل وجذوعه المسكونة، والمسحور يخرج من المياه ليفسد زرع عيسى الفتى المسالم القوي في نفس الآن، يمسك عيسى بالمسحور بعدما اختبأ له، يربطه إلى جذع الشجرة دائمة الإثمار ثم يفك قيده ويربطه إلى جذع النخلة في الشمس المحرقة التي تخللت الظلال وكادت تقتل المسحور، ثوان معدودات ويتشقق جسده، وأبوه المسحور الأعظم يستعطف عيسى لإطلاق سراح ولده وها هو يفعل عيسى، فيعاودون الهجوم والسب والقذف، فيتوعدهم بعذاب قريب وأنه لن يطلق سراحهم بعد ذلك أبدا....، ولقد عاود الأعداء هجومهم على قارب فاطمة المحصن ومخبأه السري ذي الإمكانيات الدفاعية القتالية، مركب يطور نفسه فيتحول إلى سفينة وغواصة معدة بكل وسائل الدفاع والراحة، بضغطة على أحد أزرار لوحة تحكمه يفعل الأفاعيل، مزود بشتى التقنيات الحديثة وتلك القديمة البدائية، والتماسيح لا تزال حوله تسبح في موج نهر الموت وتطبق فكوك غضبها ونهمها على هيكله الخارجي دون جدوى، فلقد حصنه العالم الجليل وأمدّه بمضادات قتالية هائلة، وكانت الشمس في هذه الصبيحة مشرقة بنور ربها، ورسول الله ﷺ يبلغ رسالة ربه وينصح الناس أن يتبعوا الدرب الصحيح، وحسين يلقي جسده فوق الحشائش الخضراء ويبتسم لأخويه حسن وعلاء، وكامل فتى الرحلة الخجول يخبر جبينه عرقا وهو يشاركهم أيام ولحظات الطفولة التي يقدرّون قيمتها ولا يريدون لزمناها المرور على أي حال، وكيف تمر والرحلة تتحول لكل صورة وهينة وزمن، وفيما يتمرغ الصبية يمر الفارس النبيل وهو يمسك خُطام جواده الطائر ويسحبه قليلا فيخلق الجواد، طيران له عجيب يبدو الآن، لجام ذهبي فضي لؤلؤي يتحول ويتشكل وربيع الحياة يرسل نسائمه الحريرية فتداعب الجباه والوجوه، وشيماء الفتاة البريئة تبتسم لها الأيام وهي تداعب أوراق الغصون عند شجر السدر المخضود في الجنة الكائنة عند شجرة السُنْطِ - شجرة ذات صمغ جميل لاصق وشوك لين محبب - على شاطئ بحر يوسف المتحول لنهر موت وقناة حسن ونهر نيل ومحيط شاسع وجدول سلمى وبئر حقني وكل شيء، وحسن يتجه صوب القرية المجاورة للزمان والملازمة للمكان وهو ينوي عزل الجزء الأخضر الكائن أعلى عيدان القصب كي يجمعه ويقدمه للماشية، يسير ليلا ومعه محمد رفيقه والفتى كامل ظل عمره وصاحبه وصديقه، والبدر لا يزال يبعث ضوءه وفجأة...يظهر بصيص من عتمة غير مكتملة يتخللها احمرار

مثل شفق وتمد أياد تستطيل وتتمدد وهي تقبض وتبسط معاصرة كل ما تمسك به، وذئاب قد عوت في المشهد وفهود تتقدم في شراة وهي جاعة تريد التهام وجبتها.... - حذار يا رحالة - حيث كان الرحالة معهم وظل من ظلال آلة الزمان والمكان ومستقر أمل سكن القلوب... - ما بالك يا محمد، أخطر من ماذا؟! من ماذا أحتاط؟!...،... تعجب محمد لرد الرحالة الذي لم ينتبه من الأساس لتلك الوحوش والعفريت الليلية والحيوانات المفترسة، وجذب الرحالة في لمح خاطف والذي استدار بدوره ليضحي وجها لوجه في مقابلة ومواجهة تنين عملاق برؤوس لا حصر لها وهو يطوق الجميع ويصدر أصوات غدر ورعب وزلزلة.... وكان العالم الجليل يسبح في الجهة المغيرة سباحة بحرية باستخدام قاعدة الطيران الراسية فوق موج نهر الرحلة العذب صوب جزيرة الأمل، فلما رأى المشهد ضغط زرا في لوحة تحكم القاعدة الهائلة فتحوّلت لمحقة ونفاثة ثم آلت بضغطة تلتها لزاحفة برية مقاتلة، فحالت بأمر الله بين الصبية وكانات الرحلة من جهة، والجموع المهاجمة من الكائنات الفضائية وعائلات التنين وبقية الوحوش من جهة أخرى، وظهرت سلمى وهي عند جدولها بحديقة أخيها حفني وناعسة معهما قد غفا وسها البدر في مقتلتيها ووجد ضالته ليسكن خدرها وقصر مقتلتيها المضيء بنور الحياة، وتقف الحياة كأنها عند مستوى فكره ورجاحة عقله وهو يتيه بها ولا يدري ماذا يفعل، فلما التقى في ناظرها نور الحياة أبصر دربه، وكان يمر حينئذ رفيق حياته وأنيس وحدته وجليس روحه عصام الدين، والأخير فتى تالله في بسمته الأمان والسكينة وفي نظرتة معاني الأمل وروحه،... - لطالما مرت بي نوايب وخطوب يا عصام الدين ولم تزل بي حتى أنهكني وقعها وواتاني أثرها، لكنك نعم الرفيق. نظر إليه عصام وكادت الدمعة تفر من عينيه لولا أنه حبسها كي لا يزيد ألم رفيقه ألما، وفي ذاك الحين تمر قافلة التجار عبر المدينة محملة بالمون والغذاء لنجدة المستضعفين، فيهاجمها اللصوص وقطاع الطرق ويريدون الاستيلاء على خيراتها وأسر النساء والرجال والصبية والأطفال بها، يترجل الرحالة عن جواد له ويدافع باستماتة منقطعة النظر، ويأت مدد من قبل الله متمثل بالفارس المثلثم ومجموعات جنود الرحلة الأقوياء وآلة الزمان والمكان التي تشملهم بدفنها وحضنها وحنائها الحاوي لهم، وتثور الهوة المتقدة وتنساب مياه غدير الأمل كي تطفئها، ويعتلي الساحر النسّر قصر فتاة القصر حيث نادية برفقتها في الشرفة المرصعة، ويوجه ذلك الساحر جل سحره وغضبه صوب الجموع، ويعمل كيده ويدفعه في انتقام موجه،... وعند المرتفع الصخري قي الوادي الفسيح تثور الأرض تبعا لثورة آلة الزمان والمكان والتي تحيل أرض المرتفع لجنة خضراء ذات وديان ورياض وبساتين مزهرة مورقة، و" صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان " يتعلق بفروع الأشجار وجذوع النخيل ويحلق لمسافات جوية بعيدة ثم يعود لرفيق كفاحه عبد الرحمن ليواصلان المغامرات والاتجاه صوب الكهف المظلم في أعماق نهر الموت ويعبران شقوق البسيطة ويتخللان الفجوات حيث الجان فيقاتلونهم بكل ضراوة وجراة، والأسود الجبابة والضباع الخائنة وعائلات التنين والمسحور والجان المتمثل لمن هو بين

اليقظة والمنام وفي الصحو....كل ما تقدم يهرول خلفهما والكائنات والجميع، وخطة - عبد الرحمن وسندباد والرحالة وقبطان وخضراوي وشداد والملك الغضنفر خميس بجيوشه والجميع.....- هي خطة جر وسحب القوى المهاجمة وبعث الوهم في نفوسهم أن الهروب هروب خوف وهذا ما لم يكن، كل ما في الأمر أنهم يسحبونهم ويستدرجونهم صوب عمق نهر الموت والظلمات، وهناك في الكهف المائي العملاق ذي المدخل والمخرج والبابين يذلف الجميع من فتحة لتحسب له فترة زمنية لو لم يتجاوزها لأغلقت الفتحة الأخرى من الكهف وأوصدت....تقدمت الرحلة الجميلة ومعها آلة الزمان والمكان وعبرت الفتحة الأولى وزادت من سرعاتها بالغة الفتحة المواجهة في زمن قياسي، فأوصد الباب الآخر للكهف وحبس الساحر الشرير وزبانيته والنوارة والنسر، ولما وصل آخر القطار حيث بداية الكهف العملاق أوصدت الفتحة الأولى وأغلقت نفسها فحبس من فيها ونجا الرحالة ومن معه من موت محقق، والقارب الصغير لا يزال يتسع فوق صفحة النهر وفاطمة لا يعلم إن كانت في مخبئه السري أم ماذا، ثم يتقدم صبري مندفعاً في جراءة تثير الدهشة، وفي جسارة يحسد عليها، وإقدام لا يتسم به سواه، نعم تقدم الفتى وهو يطوي الخوف وينحي اليأس ويخلي الحزن ويثير النقع، تقدم وهو الفارس الباسل المقدام يشق المياه ويسبح بها كما يسبح اللؤلؤ في الفضاء الكوني، يحمله الماء ويحتضنه في وسطه الجميل، ينقذ من أصابه الإعياء، وقد تحولت مركبته وآلة زمنه ومكانه إلى سباحة عظيمة وفلك بهي جميل، وتقدم حسن وكان قد عاد حينها من جني القطن وانتقاء اللطعة كي لا تصيب تلك الأخيرة شجرة القطن طويل التيلة، والفتى عبد الصبور مع الرائع عبد التواب يجاهدان ويعملان من أجل لقمة العيش ويديران الشادوف ويحاربان مع كائنات الرحلة العظيمة شاملة كل شيء، ولقد كان الفلاحون فرحين بقدوم الكائنات وآلة الزمان والمكان، والفراشات تتراقصن وتغنين وتصف أجنتها في مهارة من قبل الإله جل وعلا أعطيت لهم، وكنت معهم أنا وكان معهم أنا، فانا هذا هو شخص بالرحلة أيضاً، يكربل الفراش ويغربل كما نغربل بالغربال نحن فنفضل الخشن والردة عن الدقيق، هي أغنية وأنشودة تُولف عن طريق البسطاء الذين ينطقون اللغة العربية الفصيحة دونما يدرون، فها هي الفراشات تبتعد عنا وتقترب فتتهز أجنتها وتنتثر غباراً كالدقيق الذي نعد به الخبز الآن في الفرن البلدي، يبيل الدقيق بالماء كما ترون ويعجن ثم يكور ويدور ويلف ويوضع على المطرحة، وكأن المطرحة تلك هي التي نطرح ونلقي عليها الدقيق المعجون، والفراشات مع النحل تمتص الرحيق وتغني لنا ونجلس على أجنتها ونكلمهم ويحدثوننا ويضحكون معنا ويداعبوننا، كلنا عند جدول ممدوح ويستنان ممدود والنخلة الخرساء تنطق بعد حين وتلقي إلينا ثمرها الطازج الجميل، وأنا شاب جميل بالرحلة وهو صديق حمادة، والأخير يستخدم مهاراته في السباحة الجوية والبحرية، وهو صديق سندباد والرحالة وقبطان والناس أجمعين، وتقدمت تبر الفارس المثلث الفلاحة المجتهدة البطلة المغوارة _ تحيي الجميع، وتلقي التحية الخاصة للفتاة شروق والأميرة دلال والراقية الأميرة عبلة، وقد تزينت الرحلة بهن، وها هن يشرعن في الشدو لأجل مريم، في ذات

الحين الذي تطل فيه أميرة القصر نادية والزهور حولها لا تضاهيها جمالا، عبيرها فاق كل عبير وشذى للزهر والورد، وأميرة القصر وصديقتها يحملان نفس الاسم _ نادية _ وينشد الجميع وهم متحمسون: _ النور أنت ومن سحر الوفاء سنا، ونهر النيل موجه فيه ألحان، ويا بحر يوسف إنني أتوق للموج، ودون عذبك محروم وظمآن، فغذب مائك كالضوء الذي يسري، وأنا بحسنه فرحان وسكران، الليل يأتي والحسن البهيج هو، النور يمضي على مهل ويزدان، ولا كمثله أشخاص وإنسان، زهر الرياض وقد هام الربيع به، وأنيس حاله في الأيام قرآن الروض أنت ومن خير الحياة ربا، الثمر فيها أشكال وألوان، وأراك روضا من طرح المنى يشدو على فروعه مشتاق وكروان، وأنت بدر كم زال الظلام به، صفو الحياة بسمات وبستان، ونهر نيل في وادي الرضا تمضي، من حول نبعه آيات وثقلان، كم حل مجد مشتاق لرويتك، والسعد جاء وتهدي الخير أفنان، هو لا مثيل ولو طفنا الحياة له، ولا شبيهه في دنيانا شجعان." _ وانتهيت من إنشادي أنا والكائنات والطيور تغرد، وهمست للعالمين وكأني المتفرد، والدنيا والأحلام هي معي، ومجد رفيقي وعبد الرحمن سامعي، ثم تقدمت حيث غابة الموت والهلاك، فناداني الفتى العملاق سيد بصوته الجهوري وهو يصطحب الفيل الصديق وعلى ظهر الفيل يجلس قائده أنور، كم يعشق الفيل أنور، وعوني لا يزال يهوي في بحر يوسف وهو يصارع قوى السحر وبطش الساحرة العجوز وريما والنسر ونوارة والمجرمين في كل عهد، فدفعني حماسه أن أقاتل معه في عزيمة وإصرار، واتخذت طريق المرتفع الصخري فلمحت عبد الرحمن وصبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان والرحالة وآخرون وهم يهرولون هرولة محترف يكيد ويدبر لخصمه، والأسود والضباع والوحوش المفترسة خلفهم، فانضمت للركب العجيب، حتى انعطفنا في جهات مختلفة مناضلين مدافعين عن كرامتنا، في حين لا نزال لا نعرف وجهة فاطمة ذات البساط ونحن اللذين نظن أنها في المخبأ السري للقارب الصغير الطافي فوق صفحة نهر الموت والغائص به حيننا والمحلّق حيننا آخر، نعم...قارب متحول يقوده صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان الآلة الزمكانية العجيبة، وها أنا ذا وسط الحشد العظيم في بؤرة الرحلة وقلبها النابض عزبة عبد الواحد النوارة والنسر عزبتان متجاورتان خطفتا قلبي وأسرتا كياني وفؤادي وملكتا أمري، أجاهد مع الصحبة الأول وأقاتل، أستل سيفي وأخرج حسامي من غمده، فيقاتل الحسام السيف؟؟ من تلقاء نفسه، فهو ذاته حسام الأمير المسحور فوق الشجرة دائمة الإثمار بالقرب من شجرة السنطة لصاحبها أبي عبد الناصر، وأبو كامل مع الجمع لا يفارقهم أيضا، يستمر عوني في السباحة كما ترون، ويهزم كيد العجوز ببراعة، وأنور يكتشف أمرها، تلك التي تتشبه بصور عجيبة تظهر بها أنها طيبة، تقطن المنطقة الرملية الموحشة بين النخل الكومي ونخل الصعل حيث الأدغال والأحراش وعائلات التنين المفترسة والكائنات المفزعة، ثم التقيت الأصمعي وابن رشد وابن بطوطة وعنترة، وسرت مع شيبوب في كل مكان يقصده، وعبلة تنظر إلينا وتتعجب من أمري فتقول:- أنت الرحالة!!؟ فاضحك وأبتسم وأكركر قائلا:- " كل منا رحالة، أنت يا عبلة رحالة زمنك وكل الأزمنة

" ثم اصطحبتها حيث زمن المستقبل فطافت ربوع بلادنا وهي تعجب بعزبة عبد الواحد والنوارة النسر، وترى نهر النيل فيسر قلبها وتسعد مهجتها ويخلق حلمها ويثب حيث توقع المستقبل والعيش في غماره، ثم ها هو الجحش يخطر ونيدا وكامل يسوقه حيث النخل الكومي، والصبية يسبقونه بمرات ومرات، فإذا ما عاتبت الجحش ذاك قبل عتابي وحاول أن يركض فلا يستطيع، يضع الرفاق في جسده الشوك ويغرسونه، ويضعون الآلات الحديدية والسكاكين كي يحثونه على الركض والجري فلا يبالي، لكنني أشعر بألمه وأرى الدموع في عينيه هو وأمه الأتان وأبيه الحمار، والشباب عزمي لا يرغم ذلك الجحش على شيء بالرغم أنه ماله، والبقوشي في البلدة المجاورة يجعل الأطفال في الجحيم ويكب ويرغم إياهم في ويلات نزع الجزء الأخضر العلوي من نبات وعود القصب المليء بالشوك خشن الملمس ويذيقهم الويلات في رص المحصول وربطه وحمله فوق الأعناق والأكتاف، في حين أن آخرون يحملونه فوق الجمال والإبل، أي ظلم هذا، نحن صبية وأطفال وفتيات نلقى ويل الويل للتو، يا الله أنت المغيث والمنجي والملجأ لنا، ظهورنا تقصم والله، كل هذا من أجل تحصل ثمن قوتنا اليومي، وإطعام الماشية الخاصة بنا، وها هو حسن وعيسى ورضا يذهبون إلى القالوح فجرا، والقالوح هو الجزء الأخضر من عود القصب والمرجو انتزاعه لإطعام تلك الماشية وهذه الحيوانات التي نرعاها ونوفر لها القوت فتعطينا بعد إرادة الله الألبان واللحوم، وتهبنا الجبن والمش والسمن، ويعود المشهد ويذهب ويغزو المستقبل ويداعب الماضي عن طريق آلة الزمان والمكان التي تستحضر الأحداث جميعها أيضا في زمن حاضر وتلممها من كل حذب وصوب من الماضي والحاضر والمستقبل حيث ينقل الرحالة قبضتيه في مهارة وهو يطير ويخلق من غصن لغصن، فتحسبه عصفورا رشيقا وأنت تنظر إليه، ذاك هو الرحالة الذي يشغل انتباه الوحوش الفتاكة فيبعدها بأمر الله عن درب وطريق صديق ورفيق عمره عبد الرحمن الذي يقاتل هو الآخر في ذات الآن ليشنت انتباه نفس الوحوش ويبعدها عن حبيبه الرحالة، والله في عون العبد طالما العبد في عون أخيه، تشتتت الوحوش من تلقاء نفسها وخشيت وخافت، فلقد رأت جيشا لا يهاب العالم وهو مكون من فردين اثنين، ذهبت الوحوش لحال سبيلها ثم أعادت الكرة بعد برهة قليلة، في حين أنه قد دنت آلة الزمان والمكان وهي تومض وتبرق وتتحول وتتقلب لصور وهينات أعجب من الخيال، وهي للتو نهر الموت تسبح فوق موجه جذوع نخيل مرعبة مدمرة ثابتة لكن لها عيون جاحظة بلورية تقدح شررا كأنما تأتي من قعر جهنم، وهبت الجذوع فجأة كما ترون، هبت متحركة مندفعة اندفاع المنية صوب جسد محكوم عليه بالموت العاجل، والقارب الصغير يتراقص ويميل وبه فاطمة والرحالة، والفارس المثلث يمتطي جواد المغامرة ويسبح من الضفة المواجهة فوق الموج ويخلق فوقه، التفتت التماسيح صوب الفارس وأطلقت صيحاتها المدوية وهي لا تعود للوراء أبدا، زحفها متواصل وهي تشق مياه بحر يوسف المتمثل بنهر الموت لتوه، قفز الرحالة في دفعة واحدة وعلى حين غرة وعيون التماسيح تعلق به ولعابها يسيل وفكوك جموعها تفتح في وحشية، مر الرحالة من بين جموعها وهي

تلاحقه، وغاص فغاصت خلفه وهي تهجم في جنون، وكان قد تعلق الرحالة واستوى على جسد كبيرها، فلجمه وطوقه بحبل شد فكيه بإحكام، وسبح به في الأعماق وهو يوجهه أينما يريد، ثم وضع سنان رمحه وغرسه في ظهره، ولوح بحسامه الناري مخترقا صفحة نهر الموت الملتهبة، واتجه صوب كهف الظلمات وعبد الرحمن لا يتركه أو يخليه وحيدا، وكذا يفعل الفارس المثلث والجواد الأجر، والحوت العملاق يحجب عنه الوحوش ويمنعها بجسه هائل الضخامة، وعقلة الإصبع وأماني معهم في رحلة المغامرات البحرية، يعتليان ظهر الحوت بالغ الاتساع، ويوجهان الرحالة ويدلانه على الدرب الصحيح، ويحذرانه من المخاطر والأهوال، ومملكة النحل تواصل تحليقها تحت الماء وسباحتها، والمك الغضنفر خميس قد نزل بجنوده وعتاده ليساند الرحلة بلا حدود وكاناتها أيما مساندة ويساعدها كل مساعدة، تربطه بالكائنات علاقات وثيقة، وهو المغامر البطل والداوية المحنك وصديق صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان والآلة الزمكانية جبارة القوى حكيمة ومحكمة الرأي، حدثني قلبي إن قلبي دليل وقال إني للحبي أمل والطير حلق ثم غنى هناك وما لطير قد التقى بي مثل أما خليفة فهو الجميل ناداني وأضاء منه كما الهدى القنديل وبخل الصعل رحنا نمشي نظير له إني صحب وإنه لزميل وهو ابن عمي ما المنى تنساه وفي رباه تورد الإكليل وقطوف نرجس من رياض هواه زرعت جمالا إن الجمال قليل من دون وده ولست من ألقاه والعهد بيني وبينه لطويل ونخل نمر فيه مر الجان والزمن يعبر وخطوه لثقل ولكم يمر وولى عمري آه وقبر ينادي والفؤاد ذليل وأرى الجنان بروضة المختار الكوثر المعسول فيه سليل عذب وحسن من مياه غدير وشق دربي في الفضاء زميل، ولقد سبح الرحالة وها هو يفعل، يسبح في نهر الموت وفي الأعماق عند الكوخ المحصن ذي الفتحتين والتي لو دلف أحدهم من إحداهن ولم يمض بسرعة في ثوان معدودة كي يخرج من الفتحة الأخرى أغلقت تلك الفتحة ومثلتها عليه، وهي عبارة عن باب يسلكه المار في وقت محدد، راوغهم الفتى وضللهم كي ينجي فاطمة ويبعد عنها شرهم المستطير، ولقد دلفوا للتو ودخلوا في الكهف والغار العجيب بعدما سبقهم الرحالة في الوقت والزمن والمراوغة، فخرج من الباب الآخر يدفع الأمواج دفعا والحوت يحبس بالداخل بعدما كان قد عبر الباب الأول المتسع، أغلقت نوافذ ومنافذ الغار، وأنور لا يبرح حوته ولا يتركه، صديق هو مخلص له، يخوض معه كل مغامرات الرحلة، فبينما هم كذلك إذ بآلة الزمان والمكان تنقلهما حيث بر الأمان، والقائد المحنك صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان يلمس موضعا من لوحة اللمس العجيبة فيتسع باب المغارة ذات الكهف فيخرج الحوت، وترى مقبلة من بعيد حاملة السفن البحرية والغواصات، فتتقدم صوب الجميع في سباحة حرة في الأعماق، وعقلة الإصبع يلوح للرحالة وأنور وسندباد، وهو يمسك بريشة الحمامة الجميلة التي تطير أسفل الماء في ليونة ويسر وسهولة، وأماني تبتسم ابتسامة صافية وهي في قمة اتزانها النفسي، حتى قدم الفارس المثلث وهو عينه تلك الفلاحة التي تظهرها آلة الزمان والمكان حيث تدير الطمبورة عند حقل السحر والجمال بنخل الصعل، وهي تحارب الجان، والأخير يخرج أسننته تماما كما

يفعل التنين الذي يقرب منها للتو، يلتهم الكائنات ويريد التهام الفلاحة الفارس المثلث، واجهت الفلاحة الموقف بعزيمة لا تلين، والتقت ملكة الجان حين دنا منها يريد قتلها، عزيبتها التي لا تلين تواجه الصعاب للتو، وضعت اللثام حول وجهها وامتنعت الجواد الأجر، وها هي تعدو به فتلامس حوافره جسر العزبة -عزبة عبد الواحد النوارة والنسر- الترابي الذهبي المتحول، وكان الحوت قد غادر كهف الموت، وأتت أم الصغار من كوخها الصحراوي المحصن تبحث لأبنائها عن طعام، ولقد استدرج وجر وراوغ- الفارس المثلث الفلاحة - ملك الجان ذاهبا صوب بحيرة التماسيح، والبحيرة تلك هي مصدر قوته هو و" الساحر الشرير " و" ريمة" و" نواراة" و" النسر" و" مشكاح" و" المهاجمين"، قفزت في جراءة وهي تستل سيفها وتمسك برمحها وخوذتها لتسبح وهي تقاتل التماسيح بعزم لا يلين، ينضم إليها" أنور" و"سندباد" و"عبد الرحمن" و"مصطفى" والكثيرون، وغضبت الطبيعة وكشرت عن أنيابها، ولقد كان "القارب الصغير" ل"فاطمة" و"الرحالة" يتأرجح مداعبا النسائم أو النسائم مداعبته، ذلك فيما يبدو للرائي، بيد أن الواقع يشير إلى أن الكائنات المائية والجان هي من تفعل هذا، وموج التماسيح به ومطاربتها الرحالة، أو بالأحرى حركة مراوغة واستدراج التماسيح تلك هي المسؤولة عن هذا المشهد، و"أم الصغار" ترقب المشهد وتشارك به وبقيّة الكائنات ورفاق الدرب، "ثورة التماسيح" نتجت عن مراوغة " الرحالة " ومحاولته إبعادها عن "فاطمة ذات البساط السحري"، وهنا بالتحديد يغوص "صبري الطيار الطائر" بمركبته الفضائية التي تحولت إلى غواصة عجيبة عملاقة، ويسبح" الفارس المثلث" ب" حصانه الأسود " الجواد الأجر"، وبالأدق يمشيان فوق صفحة الماء التي تحجرت وفقدت خاصية الإغراق المتسم بها الماء، لقد حولت المياه السائلة لجسم صلب صلد، تلك "الساحرة الشريرة"، وعزلت "الرحالة" ومن معه في أعماق " نهر الموت " "بحر يوسف"، وعزلت فاطمة بقاربها الصغير فوق الصفحة الصلبة، حيث القارب لا يتحرك الآن، وكيف له الحركة وهو يقف فوق جسم معدني حديدي ثابت من كيان النهر، وعوني لا يزال يهبط نحو الأعماق ومساحة أنفاسه بصدرة تؤهله للاستمرار، ثم إنه قد اكتسب خواص السمك والأحياء المائية، وذاك كله لو صح وجود فاطمة في المخبأ السري للقارب الصغير العجيب المتحول، فالرحالة لا يزال يبحث عنها وهو يسأل نفسه، لقد تلاشى موضع المخبأ السري يا فاطمة، فأين أنت، كيف يختفي المخبأ برمته، وكان عبد الباسط حاضرا المشهد وها هو حاضر، يحاول جهده معاونة الرحالة والكائنات، كم هو صبور طيب مجاهد، في رفته الأمان والخير، يتقدم صوبه الرحالة ويسلم عليه مصافحا إياه بود واحترام، والفتى عبد الباسط يعمل فكره ويجتهد لتحليل الموقف وإيجاد ثغرة للحل، ويسأل نفسه ثم يجهر بمحتوى فكره وعقله قائلا: " لا بد أن للساحر الشرير ورفاقه كل الأثر في هذا، فهو يعاون ويقف في صف النواراة وهذا المدعو النسر. فيسمع النسر حديثه ويظهر له فجأة كما ترون من خلف الشجرة دائمة الإثمار والطرح، مستلا سيفه ومدافعا عن نفسه بخوذته وراكبا حصانه القوي وهو يأمر رجاله بالقبض

عليه، فدفعه عبد الباسط دفعة أسقطته من فوق جواده، فظهر النسر مضرجا بالدماء، وهجم رجاله وجنوده هجوما مضادا على عبد الباسط والرحلة بلا حدود، ولكم أن تنظروا ثبات هذا الأخير، عملاق لا يخشى أحدا، جسور وخبير، وطيب وأمير، وقد أسرعا متجهين إليه كل من، الرحالة وعبد الرحمن، تاركين النزال أعلى وأسفل وحول الشجرة متعددة الأصناف دائمة الطرح، فسر عبد الباسط من فعلهما، وهجم كالأسد الغضنفر على جموع المهاجمين المغتصبين، يقتل من يقتل ويأسر من يأسر، فطوى الجميع في كفه، وكذا فعل صديقه المخلصان، وانضم سندباد للقتال ومعه سندريلا، وحسم أمر المعركة من يعد إرادة الله لصالح الفنة الطيبة، ونحن نحمل الفتى المغامر الداهية عبد الباسط فوق رؤوسنا مهلئين مكبرين فرحين، في حين تظهر لمحة من حدث مصاحب مجاور فيه لا يزال سيد يحمل خجله وهو يسير، يحرق الأرض ويعزقها ويقلبها بفأسه ويجمع الحشائش الضارة في معوله الواسع، ومعه عبد الباسط وصبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان، ومعهم الملك الغضنفر خميس، والأتان تمر فوق الجسر الذهبي ومعها الجحش والحمار، وأبو العقيص يحيي البقوشي ويأمره ألا يضرب الصبية والأطفال أثناء عملهم في جمع محصول القصب أو تقسيم وتجهيز الأراضي الزراعية للزراعة والري وحين جني القطن وتنقية أوراقه من اللطعة الجميلة المحرقة في ذات الآن، يهرع إليهم البقوشي وتثور ثائرتة ويطارد أبا العقيص مطاردة عظيمة، فيخرج عوني من المياه ويدافع عن رفاهه، وتمر الرحلة برمتها عند نخل الصعل حيث الورود تتفتح والأمانى تدنو، وتظهر الفتاة شروق فتشرق مع مقدمها الشمس، وتتبسم فتتبسم الآمال محققة مع إطلالتها البهية، وتدنو الفتاة بهية بصحبة روحية وآمال وثريا، حقا رحلة معكم جميلة ذات عيون كحلا كحيلة، ورقاء ظليلة، فيحاء وارفة الخير والود، رائعة الياسمين والورد، وفي بستان ممدود الخير متوفر مطل، وحديقة ممدوح إلى جانب روضة حفني، الرحلة تضم الأزمان والأمكنة، وها هو أنور يداعب الحوت ويطفو فوق ظهره مستقلا إياه، والقطار يمر أسفل الماء، للناس مقرة كبيرة على التنفس، كأنما يسبحون في الفضاء، فالفضاء وسط مادي جميل مليء بالكتلة والمادة، هنا الهيليوم والهيدروجين والأجرام... ألا ترى عقلة الإصبع؟! كانت قد نطقت بها للتو كما تسمعون الفتاة أمانى شقيقة عقلة، نعم.. فاهت بها وهي تضحك وشقيقها يبادلها البسمة بأخرى حين رد عليها وهو يقول: "نعم أختي، لكني لا أنسى سلمى وأباها النحال بأي حال، ولا أنسى حمادة البراءة والطيبة. وتابعت الفتاة في تعجب،: "شيء عجيب يا عقلة، ألا ترى، ها نحن أولاء نظهر في شاشة آلات الزمان والمكان، وصفحة الماء القادم من أعماق كهف الظلم والظلمات تعكس وجوهنا، العصور تزحف نحونا، والأمس يعود، والمستقبل يستكشف بأمر الله، كأن العمر لم يمض وإنني به على ربوت ذات رياضه أقف يلاقي الحلم خاطرتي ويهفو لها وبين الحلم والأيام أختلف ألوذ بليل آمالي وأغفو به وريم عني بعد الود تنصرف وماذا يفيد بعد الفرح إذ ولى وكيف عساه يحو دموعي الترف أقول القول مشتاقا لطيف منى ودون الذنب والاثام أقترف فيأت الوقت يلحقتي ويمضي بي إلى الأغوار وعني ليس ينصرف ويشعل

قلبي والكتمان في صدري لعل الحال بعد الصبر يختلف فيبكي الريم من قلبي ويشقى به ويلحق بي ليمحو شقوتي السلف صحوا من رقدة الأيام بعد ضنا لكم من مره المردار أغترف بحرك يوسف الدنيا أهيم بها ونهر النيل جاء اليوم يغترف وضم السعد عن ابن يتوق له جناح النيل لا يهذي فينحرف ومن ذا قالوا ذاق المر مثلي أنا أشعر أن لي بالجنة الغرف فريق الفرج والأحلام فيه أنا وإني بروض كرة السحر محترف أراقص نفسي والدنيا فأمضي بها وتنتشر فيض ما أهدي الدنا الصحف ركبت الموج حتى الموت داهمني فما عن درب ذاك الموت أنحرف وإنه آت لا ريب ويلحقتي وقلبي من جلال قدومه وجف إلى أفيات وسلمي أتوق أنا ويحوي فتة ابنة عمي منعطف وبعد الصبر في الجنات ألقاها ونمر خالي من الأنهار يغترف وعبد الباسط ابن العم ينظرني كل الحسن والآمال يلتحف أنا الرحالة المشتاق وقت إذا تهل الغادة الحسناء أكتشف بأن الحسن في بدريها يختال فأذهل ثم إذ ألقى المنى أقف وناهد عمري قد جاءت فسر بها شغاف القلب وعن شوقي فمكتشف وتحمل عيني أشواقي فتبديها لأن الشوق في عين الدجى صدف فيبدو النور في مقل يداعبها وقلبي العاشق الولهان يرتجف، ويكمل هذا المبدع ويستطرد: _ في عيون خديجة تطل الآمال وفي مقتلتيها السفر والرحال وفيهن المقام وسحر الحياة ولهن عروس كم تختال ونهر النيل في صفح زمان وتضرب بـ " خديجة " الأمثال، وهي بالرحلة تزينها، فتاة بسيطة مؤدية وهي صديقة " فتة " و " فاطمة " و " أمل " و " سندريلا " و " أميرة القصر وفتاته رائعة الحسن والجمال نادية " و " فتاة عروس نخل الصعل " رشا"، وتحبها "حسنة الخصال" و " الفتاة المسحورة " وجميع النسوة وأولو القربى، وحتى الغريب حين يراها يرتاح لبسمتها التي تبدي طيبتها: - إن " خديجة " خير مثل على طرف المنى المكتحل مع " فاطمة " تسير الآن فلا يخليها طيف الغزل معهن " فتة " عند الروض والجمال لهن هنا لم يزل أحببت الجمال في طرف كحيل وما أجمله ذاك من طرف مكتحل و " ناهد " التي منها غار البدر كأنها الغيث حين نزل من عل كأنها الشمس أرسلت دفاها و " نهر النيل " في حكم ومثل بستان آمال قد أطل مضويا وليل وسمر في إطلالة أمل و " سمية " فتاة لو خلت طرفها لأمضيت حياتك دونما عمل لظلت ترقبها عند كل عشية وفي صبح ومساء وبينر العسل الشهد إنها وبريق جنة كم جمعت نشاطها من مغادرة الكسل وأنور قد بدا بالرحلة ملكها و " صبري الطيار " مضى على عجل قد قاد آلة للزمان وإنها الآلة تلك في طيب النزل، و " ذات الأنوار " تظهر لمصطفى فيرى قسماتها الجميلة، هي كالغصن الرطيب ونسمات الربيع، تقف في مغارة الكنز وتهبط لقاء الأرض وتعيد الكرة، ثم تأتي للفتى حبيبها بالجوهرة من بؤرة الرحلة الثائرة عند " دوامة بحر يوسف " في العزبة الحبيبة شقيقة القلب عزبة عبد الواحد النواره والنسر أبعدية سيف الدين،.... عمت صباحا مصطفى. -
مرحى ذات الأنوار. - لطفي فقط من يرانا ويستمتع إلينا، فأنت في خضرتي مختف عن الأعين إلا من نظرات فتى الرحلة خفيف الظل لطفي. ففرح لطفي وراح يرقص ويغني. فضحكت ذات الأنوار وهي تقول: ومعك مفتاح الكنز أيضا يا لطفي. والعجيب أن أحمد كان

يس بما يجري وكذا محمود، تتلاقى الأرواح للتو وتتسع دائرة المشاهدة، والجدّة "أفيات" تعود صبية، وبيّن "نمر" الجميل وهو يقرأ القرآن بصحبة صديقه الفتى "داخلي"، و"ذات الأنوار" يتعلّق بصرها ب"مصطفى" ولا ترى سواه، وهو كذلك لا يفارق بصره تكوينها الجميل، تالله إنها نسمة تترقرق في فضاء الرحلة اللانهائي، ؟؟؟!!!، ثم تجلّى "رضا" فلمعت الحياة به وازدهت الرياض، انظر ابتسامته الرقيقة، تالله لم أعهد مثيلها، حتى الطيور تغني له، وهو يحب سيدنا محمدا ﷺ، وصلى تبارك وتعالى وسلم على جميع الأنبياء، فنحن نحبه جميعا، وها هو رضا يتفرج على الزهور ويسقيها، ثم ينظر إلي مبتسما، ذلك لما رأى سيدنا محمد وهو يدعو الناس للصراط المستقيم، نظرنا جميعا بلهفة وود، فوجدنا وجه النبي الكريم مضيئا وضاء، وظللنا نسبح في نهر ومحيط وجدول يوسف، فإذ برجل تظهر عليه علامات النبوة، يتحدث إليه الخادم رقيق القلب "عديس"، وصاحبا بستان يرسلان مع عديس قطفا من الأمل والعنب للهادي البشير، لم يكن "عديس" يعلم أن سيدنا محمدا نبي مرسل، وها هو يعرف الآن، فيخر مقبلا يديه وقدميه، تركنا السباحة والعموم، وارتدينا الملابس وصرنا في وقار حيث يجلس النبي الكريم وهو متعب مرهق من أذى الكفار، تجمع الرحلة لحظات معاناته، وهم يقوموه ويقعدوه ويبرحونه ضربا وسبابا، يسبونهم ويشتمونه وهو وحيد لكن الله معه، فبكيت وبكى الجميع، ولا تسألون من أنا، تعلمون أنني "رحالة" وكل منكم رحالة، حضرت عهد النبوة وحضرنا، نحن أناس من مختلف العصور تجمعنا الآن في لحظة واحدة حاضرة تجلبها "آلة الزمان والمكان"، كانت الدهشة تظهر على وجه سندريلا وحسنات الرحلة وشبابها وفتياتها وصبياتها وفتياتها وعجائزها، والحكيم إيهاب لا يكاد يصدق نفسه، لا بد أننا بالجنة، وسلمى ذات الرداء الأخضر في الحديقة مع أبيها النحال وأما كريمة الأخلاق وابنة الأصول، ونادية أمير القصر الطائر، تحلق مع قصرها في الفضاء الفسيح، ورشا برفقة أبي عوف وهو يحاول إصلاح حالها، وطبيب الرحلة يمسك بيمينه ذلك العشب الذي أحضره موكب الهدهد الطائر وأبي قردان وأبي فصادة والبطريق، والعم عبد الصبور معه العم دسوقي وأحمد الجميل وهو يسير حافيا برفقة طه والفارس المثلث معهم، وكما تعلمون أن الفارس المثلث هو الفتاة تبر، حيث يحضر للتو مشهد تشغيلها البدالة الطمبورة، والأخيرة آلة اسطوانية الشكل تجويفها الداخلي ملئتو بحيث يسحب المياه من المصرف العذب بعزبة عبد الواحد النواره والنسر أبعادية سيف الدين وصلاح الدين، حيث الأخير يجلس إلى جوار صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان، فيعلم صبري كيفية قيادة الآلة بطريقة صحيحة، والتعامل مع التغيرات في شكلها وجوهرها، والآلة حينها طائرة وأخرى غواصة، وهي أرض ومحيط وشمس وقمر ودنيا وآخرة، وكل شيء وكل الهيئات، وهي بعث ونشور وموت وحياة، لنا إدارتها في التحولات المسموح لنا بها كبشر إمكانياتنا محدودة أن نتعامل معها ونديرها، وما يخرج عن إرادتنا هو تحت إرادة وحكم وقدر رب البشر، وعاد رضا يمدح الهادي البشير ويصفه بمسك الختام وخاتم الأنبياء والمرسلين: ألا حبيب الله أيها الخاتم للأنبياء والمرسلين منك نتعلم

فالهادي البشير هو محمد النبي الأمي الأمين الأكرم حبيب الله يا علم الهدى ممن تقضى وترد المظالم إلا منك من بعد خالقي لك مالي وقلبي والدنيا والأسهم أغرد كالطير برفقة أحمد وأسعي معمر وأجتاز وأحلم لك ودي والورد وكل جميلة وفي الشغاف تسكن والله عالم. فهذا نظمي وحد موهبتي وما رزقني الله من فن الكلام، وليته يكون في ميزان حسناتي. فتهلل وجه الفتاة المؤمنة وقالت: تالله في ميزان حسناتك يا رضا. فتهلل وجهه بدوره وأضاء، ونظر نظرة إلى النبي الكريم وهو يسقى الآن من يده الشريفة شربة لا يظما بعدها أبدا، ثم ثارت دوامة بحر يوسف وهي تقلب الذهب والياقوت، ونور مبتسم يحمد الله ويرفع أكف الضراعة، ومصطفى يدير آلة الزمان والمكان ويضحك صبري الطيار الطائر، حيث الأخير يحبه ويفضله على نفسه، وعبد الستار في براءة طفل يظهر، وهو يغترف المال والذهب ويهبه إلى عبد الباسط، فيفرح الأخير وهو يجمع القطن الأبيض الذهب الأبيض، وحمادة لا يزال يصارع الثعبان والأفعى، وعامر عند المعمل يروض الكبرى ويسيطر عليها، ويحرس المعمل الذي تسكن فيه الحية ليلا، كي لا تصل الحية للمارة وهي تعاون رشا، حيث يزحف المعمل المليء بالجان صوب نخل الصعل، واختلط أهل الشر، وحاولوا إغراق أنفاق نخل الكومي ونخل الصعل بمياه بحر ومحيط وجدول يوسف فلم يفلحوا، لقد صمم العالم الجليل والمهندسون الأنفاق تصميمًا هندسيًا دقيقًا متقنًا، بحيث يواجه كل المتغيرات، وتواجه الأنفاق كل ما يستجد، والأنفاق الآن آلة زمان ومكان تابعة للرحلة بلا حدود، ونحن نمني العدو بخسائر فادحة في الأرواح والممتلكات والآلية والأبنية والمعدات الحربية، ونسحقهم سحقًا على جميع خطوط القتال، فلا يملك الخونة سوى التراجع، كما توجد الكهوف الحربية التي تحارب من تلقاء نفسها عن طريق الدخان المتجمع عبر العصور، وعن طريق الأتربة التي تثور بوجه العدو وتتناثر محملة بالغازات المميتة، ولا تزال الطيور تشارك الجميع القتال عن طريق أسلحتها الطبيعية، وكل منها يستخدم منقاره، وأدوات السحر الفاعلة في جزيئاته الجينية التي تم إلصاق السحر بها عن طريق العملاق الطائر قائد الطيور، وهو من السلالة السحرية لطائر أبي العز العجوز، والنسر الطيب صاحب الجولات والصولات، وملكة النحل تشد من أزر "صبري الطيار الطائر"، وتعلمه الإصرار وكيفية التحليق المستمر، والفتى الموهوب "نجيب" يرسم الخطط ويكتب رواياته فتتفد على أرض الواقع، و"لطي" خفيف الظل المرح حلو الطلعة يشارك الجميع هذه المتعة اللانهائية الامتداد والروعة، ثم عادت الطيور للربيع. وعاد الربيع لها، واستوت السفينة على الجودي، من كل زوج اثنين، فلا عراك ولا شجار، جمع الله المحبة في قلوب كل من في السفينة، وسيدنا نوح ها هو معنا، والآلة الزمنية والمكانية تتقلب في الأمكنة والأزمنة، وسيدنا نوح ينادي ابنه أن يركب معنا، فيركب بعض أبنائه إلا سام، لم يا بني، هنا النجاة، ويقول الفتى أنه سيلجأ ويأوي إلى جبل عاصم من أمر الله في ظنه، ينجيه ويبعده عن الغرق، فيرد أبوه أن لا عاصم ولا منجي ولا مغيث اليوم من قضاء الله وأمره إلا الله، ونحن ومعنا ملكة النحل نتعجب ونعجب مما نرى، الأرض تغرق والموج منتظم يتدفق في كل مكان لا يغرق السفينة

وهو مترفق كذا بنا ولا لا يغرقنا، ولكن يغرق كل الكافرين والخارجين عن أمر الله تعالى،
وتجف المياه ونستوي بالسفينة على جبل الجودي، الله أكبر الله أكبر، نردها جميعا، و"
ملكة النحل" وهي قلب الرحلة ومتعتها اللانهائية ولا تزال تسبح في الفضاء وتلامس
الأشجار والأوراق والسحب والنجوم والكواكب وتسبح بين السدم والمجرات وعناقيد
المجرات ثم تهبط رويدا رويدا حيث السماء ثم بالقرب من الأرض وتعانق البساتين
وأعشاش النحل والطيور وتلامس الحيوانات فيتبعها كل ما تقدم، وأحداث الرحلة لا تتوقف،
فكيف لها التوقف وهي المستمرة في الماضي والحاضر والمستقبل والبعث والنشور ويوم
الهلول يوم القيامة وعند الساعة وفي الآخرة والأولى وفي الغابات والجداول والساقية
والبساتين والقفار والأزهار والصحاري و....و....و....، ورحلة الوفد الطبي الطائر، والفوج
السعيد المحلق ممتدة، يقود الجمع الهدد الجميل، ويذهب إلى مملكة سبأ ويتجول معه
الزمان والمكان، ويقول لقد وجدت امرأة تملك كل الجمع وتسيطر عليه، وسيدنا سليمان
معنا وكان ينوي معاقبته، هدهد جميل، انظروا فهو معنا الآن، يا لها من رحلة ممتعة إلى حد
الانبهار والتعجب، وصبري معنا في كل هذا والرحالة، وكل منا رحالة وكل منا صبري
وسنبداد وقبطان وحسن وخضراوي ومصطفى ونور وعبد الستار وعبد الجبار وو النسوة
والبنات والفتيات والشباب والصبية والصبيات، وعوني لا يزال يغوص في مياه البحار
والمحيطات والأنهار والجداول، ولا تزال الفراشات والطيور والحيوانات تتبع صبري وعبد
الرحمن ومجموعات الرحلة، والعالم الجليل يصمم ويكتشف وينظم ويخترع بمساعدة
المهندسين والفنيين والمخترعين، وأديسون يطور مخترعاته ويزيدها، وهذه حاملة
الطائرات تتحول لمحلقة عملاقة ومركبة فضائية وغواصة، تسبح على وجه الماء ثم تتحول
لبساط فاطمة التي تجلس فوقه ومعها الفتاة الضريرة فتة، والواقع أن فتة وفاطمة
ضريرتان، والملكة نادية في قصرها الطائرة محبوسة ومختطفة من قبل الساحر الشرير
والنسر وريمة اللنيمة العجوز، وحسن وكامل وعبد الرحمن وسيد وضرغام وسلطان وفرج
وسامي وعبد العال وعراي وآخرون وأخريات لا يزالون في رحلتهم الجميلة عند النخل
والحقل، ونخل الكومي يظهر وبه الأرواح والهيكل والجماجم، وسامي يمر فيراها فيقرأ
القرآن الكريم، وجميل يلقي الطفل في بحر ومحيط وجدول يوسف وهو بقصد مداعبته، وها
هو الطفل يغوص فلا يرجع مرة أخرى، ويشعر الفتى جميل بالذنب فيغوص خلفه محاولا
إنقاذه فيختفي هو الآخر، العجوز ذات البلورة الذهبية وو البيضة البلورية والشال تमित كل
من يسقط ويقع في البحر بمساعدة كل مسحور، فكل مسحور يقوم بمهمته بمنتهى الدقة
والإحكام، شراسة عجيبة فهم مصاصو دماء ويقتاتون على الجثث والهيكل العظمية والرّم
والروث ونواتج الإخراج وأشياء أخرى مقرزة، ويأكلون الديدان والهيكل العظمية والأسماك
والكاننات البحرية والطحالب، و"أفيات" الشابة والعجوز والطفلة والصبية تتحول لكل هيئة
و، وتعدو وهي ممسكة بألة الدبرك البدائية، وهي عصا غليظة متحولة سحرية كما تعلمون،
وكلما ضرب بها أحدا خر مغشيا عليه، إن كنت تتيه معي بالأحداث فأنت بالرحلة بلا حدود

حتما، أما عبد الرحمن فيصيبه الهم والغم، فيكتب وينطق بما يكتب، ويعلي صوته ويغني وينشد والفتاتان في القارب تستمعان وكذا كل الكائنات وأم الرحلة وسلمى وقبطان ونجوى ومحمود وعماد الدين وجلال الدين وصلاح الدين والعالم الجليل والفارس المثلث وملكة النحل ونادية أميرة القصر وآخرون وأخريات، نعم يقول عبد الرحمن: هم غيري أمل وهمي أعول وحمل هم الأمة النبي الرسول فما حمله النبي تنن الجبال ولن تقدر عليه فبه تميل سيدنا محمد حبيب الفؤاد وعهد حبه بقلبي عهد طويل ظل أحمد علي من فرح لطيف وظل باغ ظلم ظل ثقیل والشريفة العذراء ابنها نبي ورسول واسمها مريم البتول وجذع النخيل إذا ما تهز فممه الثمر اللذيذ الجميل وولدت عيسى وكلمة ربي ومن يكفله النبي الأصيل رحالة أعيش الماضي وزمني بين المروج وروض أخطر وأجول عند بحرك يوسف رأيت جمالا من صبر وشكر الجمال ينول قد سرت وصحبي عبد الرحمن نزرع ونحصد ونهمس ونقول نصطاد السمك فالخير كثير والظل بروض الحسن ظليل والشمس تزور كهفا في حين ما يكتب قلبي أو يصف قليل. وكانا عباد الرحمن، فمن ينشد عبد الرحمن، ويذكر في قصيدته عبد الرحمن، وكل الأسماء كل منها رحالة، رحلة عجيبة جميلة، نموت ونحيا ولا تنتهي، فهي بلا حدود ولا بداية لها كذا، فهل لله بداية أو نهاية، حاشا لله، إذن هي بلا حدود، بلا حدود الرحلة وهي مقدوره التقطت مع الحبيبة بها صورة وهي مرآة قلبي والقلب جميل والمنتصر هي والمنصورة رأيت فيها الفتى الجميل الأصل هي ودونها الصورة، حتى وصلنا إلى جزيرة الأمل فكنا سويا، جميعنا يدخل الجنة، نأكل من فواكهها ونستظل بحدائقها وروضها، ونزرع ونقلع ونبذر ونصد ونجمع، وجرار أحمد قد اعتدنا رؤيته وهو يقلب الأرض ويجر خلفه المحراث البلدي الجميل، نركب ذاك الأخير في جولة ترفيهية في الحقول، جولة عفا الزمان عنها وتناساها، نحن لا نعمل ولا نكد في هذه اللحظات، فقط هي هدية من الله كي نريح أجسادنا التي بليت من كثرة العمل وبذل المجهود القتال، ثم ها هو يلوم عليها حيث يظلم من جهتها فيقول والكائنات تسمع وترى وأنتم هكذا:- الظلم عينه هو دلال والسفر بعدها رزق حلال ظلمته الفتاة فخر صريعا وأساعت فهمه فتغير الحال ولما أفاق مضى واغتاظ وهل عليه يظلمه المنال ما كان يريد من الحياة جمالا لكن من السماء كان النوال لا تظلم فتوغر نفسا عليك من دونك محققة هي الآمال لا تظن امرأة أنها أسرته الرجل البريء يرى ويخال ويشق الدروب بعزم الرجال والمجد نصيبه والآمال. ثم يكمل الرحالة:- قد ندمت على فعلها وهو بريء والأفعال تروح ووقعها يجيء والأيام تمر وهي ونيدة وينتصر الفتى المقدام الجريء، لست أدري أ أكتبها أم تكتبني، ومتى سهم الموت يلحقني، كل ما أدريه أنني سأموت، وتحكمني المنية والجبروت، وكم أخشى أموت ولا أتوب، والجرم إلى قلبي منسوب، لبت أني صليت قبل الحمام، ودخلت المسجد والناس أمامي، ها هي الغرغرة تسلطت علي، وسقط القلم من ضعف يدي، لا بد أنني بك ميت، أيتها الحياة زمانك طال، وتمنيت الموت إلى أن جاء، فوجدت ميزاني المعنى مال، ذنوبي كثري فأني النجاة، وكيف المهرب أين الحياة، تبخر سرها من ناظري، وأنا الفارس الحر الأبي، ثم ذهبت إلى

أبي فوجدته في جنة مظلمة وظليلة، وكلما ضحك وتبسم أحسست برضا الله علي، وكلما قال لي افعل وافعل فرحت، يجلس مطمئن القلب مؤمنا مستريحا وقد يكون متعبا، يضحى بكل ما لديه من أجل ابنه، ما كل هذا الكرم؟!، أيها السند من بعد الله أحبك، كيف لي الحياة بدونك وأمي، لا أرى الربيع قد أتى إن لم تكن به موجود، ولا أنعم بالجنة وأنت غير رفيق لي بها، وكيف يحلو يومي ما لم تكن جزء منه يا أبتى، لك أنت وأمي حياتي، وأعرف أنكما لن تقبلان، لأنكما تموتان دوني سعيدين مغتبطين يملأكما السرور إن تطلب الأمر والواقع ذلك، هديتان أنتما من السماء تنزلتا، وحسن زين ربيع حياتي، طالما ألقاكما وأراكما فالأمل يملؤني والابتسامة ترتسم في شغاف قلبي قبلما وجهي، أنتما الزرع والنهر والهواء والجمال ونهر يوسف، رشفتان من أمل وبريق وحسن، وهل لي العيش دون الماء والهواء، أنتما ما سبق وأكثر، رسالتي من صميم فؤادي وتالله أنتما تسمعان، فأنتما مشاركان لنا الرحلة، بل أنتما الرحلة بلا حدود، أكتب فأنتما الدافع والمطلب والأمل والزاد، الطاقة المعنوية التي تمهد لي طريق النجاح وو الفلاح ودرب التفوق. وكانت فتاة البحار والأنهار مذهولة من استرساله الجميل وإسهابه المتدفق وحلمه المتحقق، فقد بلغ المنى وحقق السعادة ودخل الجنة بسلام من نال رضاها، والله تلك هي السعادة الحقيقية والتي لا يضاهيها فرح ولا يبلغها طامح لنيل حلم وتحقيق أمل، ثم سرنا جميعا صوب واحة الحسن فعبرنا الهوة المتقدة بسلام، وقابلنا عنصرة وهو في إحدى جولاته الحربية والتي يسعى من ورائها لنيل حب عبلة ونيل حريته، وعبلة ها هي تشجعه وتحينا وترحب بنا، عبلة الجمال وهي الدلال والحب والود والمنال، وشيبوب ضاحك تظهر نواجذه جليلة، لا نرى له عيوباً، هو بسيط طيب وحكيم وضاحك وخفيف الظل، والملك النعمان يرحب بنا وبعنصرة ويهبنا النوق العصافير، وعنصرة ينشد طرباً وسروراً، والفوج الطائر من الموكب الطبي بقيادة أبي فصادة وأبي قردان والغراب والحمامة البيضاء يجمع لنا العشب النادر ويجول في أرجاء جزيرة الخضرة والجمال وبستان ممدوح وممدود عند الجدول المائي المنبثق من بحر يوسف ودوامته العذبة الثائرة: بحر يوسف لك دوامة من حسن بها أنا أذوب قد هللنا بها نميل معا محب قد هام والمحبوب ومركب فاطمة هو قارب وعلى متنه الأمل المرغوب والرحالة عنها كم يبحث وفتة الجمال لها منسوب والنيل نهر هو غايتي انخفض به وعلا المنسوب وعنصرة يمر كبدر الدجى ومع عنصرة بدا شبيب. ثم ها هي أم الصغار تترك أبناءها مضطرة إلى ذلك، مخفية خلفها المارد القوي لحمايتهم، وكيف لا تكون للمارد مقدرة على إحضار الطعام، نعم لقد كبله الساحر الشرير ومعه ريمة والعجوز ذات البيضة البلورية والشال، ومنعوه من الإتيان بالطعام للصغار، وأم الصغار خارج حدود ذلك السحر وتلكم التكبير، والصغار يتضورون جوعاً، تمر أم الصغار بالفرس المثلث – تبر، حيث الأخير هو في الأصل فتاه اسمها تبر، تدبر الطمبورة الأسطوانية ذات التجويف الملتوي اللولبي الحلزوني، وهي تصارع الجان الذي أتى كي يقضي عليها، تستعين تبر بالله ثم ترتدي اللثام وحلة الفارس المثلث، وتمسك بجميع الأدوات والمعدات القتالية ومنها السيف والخوذة

والرمح، أم الرحلة تشهد الحدث وأنت وهو وهي وأنتم وكلنا، والكائنات ترى والنباتات والوحوش وأحمد عند رافعة المياه الخاصة به في النخل الكومي يشارك الجموع ويسقي لهم الزروع والنباتات لوجه الله، والهيكل العظمية تخرج من القبور والأحداث ونخل الصعل يزحف صوبنا، ويزحف معه التى الدسوقي - السوقي، السوقي هذه رجل جميل وساحر طيب ومخيف بالليل على أساس الدعابة، يضحك ويخيف الفتيان والفتيات، ويجمع معهم الثمار المتساقطة من أعلى النخيل الجميل، الفتى العملاق سيد طيب ونقى السريرة وطبيعي وما في قلبه ينطق به لسانه، جميل ومجتهد، علامة مضيئة في الرحلة، كثيرا ما يتشاجر مع أولى الشر وأصحابه، فهو نصير الحق، آلة الزمان والمكان ترحب به، وهو والله أولى أن يرحب به وأجدر، للحياة بسمة جميلة طالما هو بها، خفيف الظل ومحارب قديم، ولديه مهارات تفوق الوصف، صابر على قضاء وأمر الله، يمشي معي في عزبة عبد الواحد، فيعجب الخلق به ويلتفون حوله، ها هو المسحور يخرج من المياه ويهرول خلف الناس مهاجما إياهم، يتصدى له سيد ويواجهه فلا يخشاه أبدا.: _ قلت عني الكثير رفيق دربي، والله الخجل يمسني ويشل حركتي، لا أستحق كل هذا الإطراء والمديح، وأنت ترى كيف يعاملني الناس، يحملون فقط لي الأذى والشجار وفاحش القول، مستعد والله من خلق السماوات والأرض، مستعد أن أبيدهم جميعا، ينعتونني الجبان وهم الجبناء، ليت صبرهم مثل صبري. هي قصة ورواية عجيبة متجددة لا تنتهي أبدا، كيف إن انتهت الحياة لا تستمر في الآخرة، وكيف لا يكون القبر استمرارا للحياة والآخرة استمرارا للجميع، وهل تنتهي الآخرة، حاشا لله لا تنتهي بالطبع أبدا، إذن نحن في رحلة بلا حدود، رحلة جميلة وصعبة وبها الحزن والمسرة، مجرد الإحساس نعمة والإدراك كذا والسمع والبصر والتفكير والفكر والنعم الجمة التي لا تنتهي والطيور والحيوانات والكائنات جميعا والجماد، وبحر يوسف وهو ذاته كل المسطحات بما فيها نهر النيل والأمazon و....و.....، وهي الآبار والعيون والجداول، وبحر يوسف أيضا هو الدنيا والآخرة وآلة الزمان والمكان في إحدى صورها اللانهائية. يستمتع بهلول ويكاد يجن، ويحيا الرحلة وهو مستمتع، ويضحك فيضحك عليه الناس ويسخر كل منهم منه ويتنمروا فيشكو أمره لله أو يبتسم ويصمت مع الدعاء أيضا، ثم أقابل النجيب المبدع صاحب الدرر الأدبية وطه الموهوب ونابليون والصحابة والأولياء والرسل والبحار والأنهار وسندباد وقبطان، ولا أعلم من أنا، هل أنا من يسيطر هذه الأحرف أم إنها من تلقاء نفسها تسطر. هنا يضحك لطفي ويداعب أخاه أنور وهو يمضي محاذيا لبحر يوسف، هنالك في الجنة الربابة الفحاء، والخور عين يلعين حوله مشرقا متبسما باسمات الثغر، ووهيدي يرسل الكرة ليستلمها معتر ويرسلها بيساره عن طريق ركلة عابرة حدود اليأس حيث تستقر هنا عند الأمل، يتلقاها ويريحها على قدمه اليمنى الموهوب عبد الرحمن، والفتى كامل تائه لا يدري ماذا يفعل، فيضحكون عليه، ثم يفاجنون به والكرة صديقه وقد أرسلها له حبيب عمره عبد الرحمن، يعدو بالكرة كامل ويراوغ ويفعل المستحيلات فهو قائد فريق الأحلام الذي لا يمسه الكبر، ثم يرسلها لضرغام الذي يبعثها لشقيقه سلطان، ويأتي مهرولا من

الخلف خالد فيطير بها، وكان الكرة رفيقته ومحبوبة قلبه، وهنا يحل الدور ويأتي على محمد الداهية الهداف بعدما مررها له خالد، فيرسلها طائرة تنهادر لتستقر فوق رأس عبد الرحمن الذي يردها تارة أخرى لمحمد والأخير يهديها لحسن ثم يبعثها حسن إلى أشرف اللول الساحر الجميل، أمير كرة القدم وسيدها ليسكنها الأخير الشباك فيفوز فريق الأحلام بنتيجة المباراة لصالحه ويحصل على الكأس، استغل لحظات سعادتك ولا تضيعها لأنك لا تعلم إن كانت ستعود أم ماذا، واستغل لحظات حزنك بالبكاء فهو مطفى لهيب الحزن والهم، والدموع رزق من عند الله، فهي الماء الذي يطفأ لهيب الجمر والنار المتوقدة، وابحث يا رحالة عن فاطمة ولا تيأس فستجدها بأمر الله يوما ما، ولا تجعل حزنك يحدث عائقا لنفسك وجسدك وفكرك، بل تراث وأعلم أن الله منجيك لأنه خالقك ومدبر أمرك الذي لا يتركك أبدا، اصبر على البلاء ثم انظر ترتيب الله وجبره وسوف تعجب وتذهل أكثر مما كنت تظن في لحظات سعادتك ما لا نهاية من المرات، وها نحن نلتقي شكسبير وأرسطو والرافعي ونابليون والهكسوس والتتار وعصور ما قبل التاريخ، ونقابل محمدا وأحمدا وعيسى وموسى، وترانا الديناصورات ونراها والإنسان الطائر والوحوش الكاسرة والنسور والضباع والأسماك، صبري الطيار الطائر قائد آلة الزمان والمكان مع كل تحول وهيئة آلة الزمان والمكان، يتطبع مع هيئتها المنقلبة إليها، بل قل الهيئات والصور اللانهائية التي تتخذها الرحلة وآلتها العجيبة اللذيذة الممتعة، فلا يزال الرحالة ومعه الكائنات والفارس الملثم والفارس النبيل وأم الرحلة والهدد وملكة النحل والعالم الجليل وعقلة الإصبع وأماني وحفني وأبو قردان والبطريق وطائر السمان وطائر اللقلق والعلك وأم الرحلة، لا يزالون جميعا يتبعون الطيران المستمر والأبدي والسرمدى لملكة النحل الأسطورة وهي تحلق في كل الأزمنة والأمكنة والأجواء والمحيطات والأنهار والأراضي والسموات والفقار والأنهار والأزهر والحدائق والرياض، فهل من متعة بعد هذه؟! فتبتسم الغادة الحسناء وتقول فرحة مسرورة: لم أتخيل أن الجنة بمثل هذا الجمال، وها نحن يا رفاق نسبح فوق نهر الموت ثم نهبط إلى القاع، والرحالة تطارده التماسيح أو بالأحرى فهو يرسم لها خطة هلاكها، وكهف الظلمات يتحدث إلينا وينادي حيث له بابان يفتح أحدهما ليغلق الآخر حتى يجتاز العابرون المدى والمسافة بين البابين في زمن قياسي، حينها يفتح الباب الآخر للكهف، فالرحالة وصبري وعبد الرحمن وقبطان وملكة النحل وجيوشها والعالم الجليل وشيخ الرحلة وأم الصغار والحوت وصاحبه أنور و....و.... كل ما تقدم يصلون للباب الآخر فيفتح لهم بأمر الله، ثم ها هو يوصد على الكائنات المرعبة من الوحوش والتماسيح، رحلة في غاية المتعة نحيها وليتها تدوم، وهي بالفعل تدوم حيث نموت فلا تنقطع عنا ولا تنتهي لأننا مستمرون في المعيشة والحياة في القبور، وتتحوّل القبور والأجداث إلى رياض وأنهار وسندس وإستبرق وبساتين والرحالة يقول: _ يضمنا في الآخرة بستان ومن آيات الخير ألوان فلا الشر نلقى والدجى بيد تمتعنا أفنان منها الثمار تتدلى ومن كل زوج اثنان، وجمال أرى البسمة منه والطيبة عنوانا جميلا للإخلاص، ومحمد معه وهما صديقان صدوقان، لا تتجمل الرحلة سوى

بهما، والفوج الطبي الطائر يقوده في هذه المرة أبو قردان، والهدهد يذهب لسبأ، والغراب يصبح منا بعد توبيخ ملكة النحل لكل من أساء إليه، وهو فرح مسرور ينظر إلي بشفقة فهو يحبني، أستقل جناحيه وأنا سعيد، أبحث معه عن الدواء لغيري وعلتي ليس لها دوار، الغراب يسمع صمتي ويشعر بأنين قلبي، وملكة النحل تصف جناحيها وتحملني، وتحلق بي فتدنو منها الحمامة، الأجنحة الآن متوازية متساوية، أتقل ما بينها، وفاطمة تخرج من نهر الموت وتطير ببساطها، وتحملنا جميعا ويجد أبو فصادة العشب، وأبو الغز طائر اللقلق إلى جواره ومعهما ومعنا البطريق، والرجال العمالقة يطيطون ويبنون الصروح والقصور على ظهور وقمم الجبال، والفيل يأكل العشب ومعه الحوت فيشفيان بأمر الله، وأشرف اللؤل يخرج من بحر يوسف وفي فمه سمكة وفي يديه سمكتان، في كل يد سمكة عملاقة، سمكة المزم هذه جميلة، وحسين الماهر يسبح خلف السمك ومعه حمادة باسم الثغر يسبح بين الحجارة ويمسك الأسماك، والأيام ها هي تمر، والرحلة في دروبها منطلقة في سعي وطيوان وتحليق، وجزيرة الأمل تتجلى لأعيننا، وعن كم السعادة التي تغمرنا فكلكم يراها، نعم أنت وأنتي وهي وهو والجميع، جزيرة هي روضة وحسن ونور، يسكنها الملائكة وأهل الخير وتعم أراضيها نعم جملة وزهور وثمار تتدلى وتتحدى. والسفينة تشق مياه نهر النيل وهي من الدسر والألواح الأصلية، ثم نعتلي الصخرة الهائلة على جانب الهوة المتقدة ونمد حبلا هوائيا صوب الجهة الأخرى، الحبل لا يتأثر بالنار وهو كالجسر العظيم العريض، ونحن عند الصخرة كما ترون تهاجمنا الوحوش، والذئاب من بينها والأسود والنمور والضباع، عبد الرحمن يعمل بها ضربا وطعنا وينقض في لهيب الأحداث وبخضمتها وأوسطها، وملكة النحل ترسل جنودها من الشغالات والوصيفات والذكور المحاربين، وتلقي حجارة من الأعلى، فالنحل مملكة محاربة وهم عمالقة ويكونون سربا مقاتلا لا يهزم ويسد الأفق ويخيم على أرض المعركة بظلال من دخان ولهب، الأسود والضواري تنظر مرعوبة خائفة، والسيدة العجوز التي تمزق الكرة تتعاون معنا هي والفتاة أفيات والنساء والبنات، والرجال بالطبع يحاربون الضواري الفتاكة، والفارس المثلثم تبر يبلي بلاء حسنا، فالفراس هو تبر التي تدير الطمبورة مدرة المياه ليلا في ساعة مرعبة شتوية ماطرة بها الزلازل والبراكين والأعاصير المدمرة، لا تخشى الفتاة شيئا وترتدي لثامها وتقطع أواصر الجان وتعجنهم عجنا وتأكلهم وتلتهمهم التهاما، وسندباد تساعده سندريلا في المعركة ولا تتركه، والهوة المتقدة تزداد اشتعالا، والفارس النبيل يشارك مع عنترة وزيد وحمزة وخالد وعمر والجميع في قتال لا ينتهي، رحلة هي الأمل ولا نهاية لها، يعشقنا نهرنا ويحبنا ليلها، والدسوقي الشاب والمتحول لكل مراحل الحياة يجمع الثمر والتمر لنا والخضر والفاكهة، والشمس تداعبنا فتدقنا ويحل يوم القيامة فنقوم من قبورنا كما ترون مسرعين متلاحقين مدبرين ومقبلين، نفزع من الهول العظيم، وأنا أحمل ذنوبي على كاهلي وفوق ظهري، ولا يزال رجب يعارك حماره وجحشه، فيرفسه الحمار أي يضربه بقانمته الخلفيتين والأماميتين ويدفعه في أنفه فتسيل الدماء من أنف رجب الحائر المروجع والمتألم الباكي، ثم يمسك رجب بالحمار

فيرفعه عاليًا ويلقيه أرضًا فيعاتبه الحمار قائلا: هل تعاملني معاملة ابن آدم وأنا جحش وحمار وهذه أمي أتان لا تفقه شيئا فيضحك رجب ويرفعه عاليًا تارة أخرى ثم ينزله متبسما ضاحكا مقهقها، فيهب الحمار ويحمل رجب ويرفعه ويضربه بقدميه ويبكي الفتى ويصرخ ويتجه مسرعا صوب الجحش فيحمله عاليًا ويلقيه في بحر يوسف، ويقابل الجحش الفتى عوني ويسبح معه ويساعده على الانتقام من العجوز الساحرة ذات البيضة البلورية والعصا والشال، والمسحور يأكلنا أحياء هو الضبع فننقض عليهم ونأكلهم نحن وهم أحياء ومن بقوا يفروا منا في الغابات، كيف يكون لها انتهاء وهي الحب والأمل والخير وهي الدنيا والآخرة والبعث والنشور، ثم كيف تنتهي وخالقها الله، نحن بها وهي موجودة والموت محطة نحيا فيها أيضا، والبعث حياة والآخرة كذلك، هي لا تنتهي وآلة زمانها ومكانها تحمل المفاجآت، إنها العقل والفكر والقلب والفؤاد والزرع والحقل والنخل والقيامة والفضاء والمجرات والعصور والأزمنة والأمكنة.....و.....لا تنتهي أبدا لا تنتهي لا تنتهي.....و.....ليس لها بداية ولا نهاية، وهي تالله آية.....و.....